

الكلام رأسمال

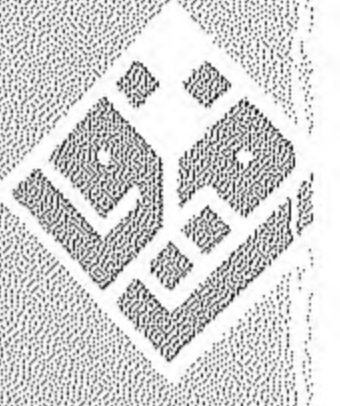
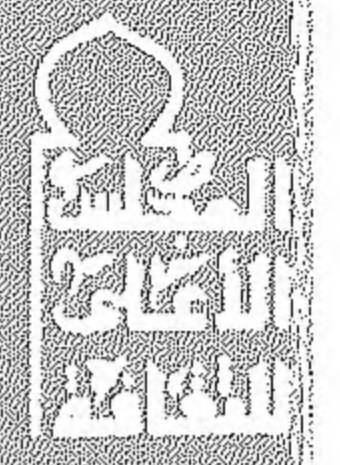
تأليف

الحاج أبو بكر إمام



ترجمة مصطفى حجازي السيد

تقديم محمود فهمي حجازي



المشروع القومي للترجمة

191

المشروع القومي للترجمة

الكلام رأسمال

تأليف

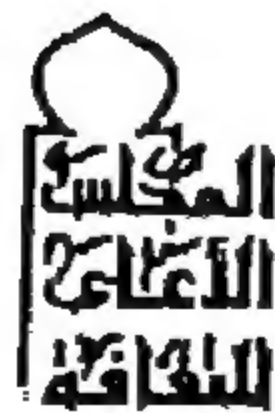
الحاج أبو بكر إمام

ترجمها عن الهوسا

مصطفى حجازي السيد

تقديم

محمود فهمي حجازي



٢٠٠٠

هذه ترجمة عن لغة الهوسا لقصص :

Mogana Jarice

تقديم

للقارئ العربي حق ثقافي في تعرف الآداب الإفريقية المدونة باللغات الوطنية والإقليمية الكبرى في القارة وجنوب الصحراء ، وهذه المجموعة القصصية الإفريقية تقدم اليوم مترجمة إلى اللغة العربية ، إنها من الجهود المصرية في هذا المجال ، وتعد من ثمار حركة الترجمة الأدبية من لغة الهوسا إلى اللغة العربية ، وفي هذا الصدد تفخر جامعة القاهرة بدور معهد البحوث والدراسات الإفريقية في دراسة اللغات والآداب المدونة بلغات هذه القارة، ولنشأة الاهتمام باللغات الإفريقية قصة مهمة ، كانت البداية عام ١٩٦٩ عندما كان التفكير على مستوى الجامعة في تحويل معهد الدراسات السودانية - التابع في ذلك الوقت لكلية الآداب - إلى معهد كامل ذي أقسام متعددة ومتكاملة يدرس القارة كلها ، ولا يقتصر على الجغرافيا والتاريخ بفروعهما ، بل يستوعب كل مجالات الدراسات العليا للقارة من حيث اللغات والآداب والتاريخ والنظم السياسية والموارد الاقتصادية والانثروبولوجيا مع الربط الجاد بالدول العربية الإفريقية وبالعربية لغة وثقافة وحرفا ، وفي مناقشة علمية مع المرحوم الأستاذ الدكتور محمد السيد غلاب اتفق الرأي لتحقيق الهدف الأكبر على أهمية الاهتمام أيضا باللغات الإفريقية.

وكان الدكتور غلاب صاحب رؤية لغوية جعلته فيما بعد عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة فكلفني المعهد بتدريس مقرر عام في هذا المجال لكل طلاب المعهد ، وهكذا كنت أول من درس تعريفا بالفصائل اللغوية واللغات الإفريقية وقضاياها لمدة عام دراسي واحد ١٩٦٩/١٩٧٠، ولكن الاتجاه العلمي إلى مزيد من الاهتمام باللغات الإفريقية أدى فور ذلك إلى إنشاء قسم كامل للغات الإفريقية على مستوى الدراسات ، وهكذا بدأ تكون أول مجموعة مصرية متخصصة في لغة الهوسا وآدابها بالجامعات المصرية ، وتكونت بعد ذلك أول مجموعة معينة باللغة السواحلية.

وفي هذا الإطار الجامعي الجاد كان دور الصديق الدكتور مصطفى حجازي السيد حجازي كبيرا ، لقد تخرجنا في قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب جامعة القاهرة عام ١٩٥٨، وبدأ سيادته منذ وقت مبكر الاهتمام بتاريخ القارة وثقافتها ولغاتها ، فحصل على دبلوم معهد الدراسات الإفريقية عام ١٩٦٩ وتخصص بعد ذلك في لغة الهوسا أهم اللغات في غربي إفريقيا ، وكان إصراره على إتقان هذه اللغة

نادراً ، على الرغم من الصعوبات ، سافر إلى نيجيريا وعاش بين أهلها ومثقفها ، فأتقن هذه اللغة ومكنه ذلك التخصص فيها وكان أول من حصل على الدكتوراه في لغة الهوسا من جامعة القاهرة عام ١٩٧٦ ، وكان موضوع رسالته "دراسة نحوية وصفية للغة الهوسا" وهو أول من بحث هذه اللغة وقام بتدريسها في الجامعات المصرية والعربية ، وقد قام بسلسلة من الأبحاث على مدى عشرين عاماً فيها نشر أكثرها في مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة ، تناول فيها الأثر العربي في هذه اللغة من حيث الأصوات والصرف والدلالة ، وإلى جانب ذلك كله له مؤلفات فيها طبعت في جامعة أم القرى بمكة المكرمة وجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، وقد تدرج في عدة وظائف في معهد البحوث والدراسات الإفريقية بجامعة القاهرة ، فشغل وظيفة مدرس للغة الهوسا بقسم اللغات الإفريقية ، ثم كان أستاذاً مساعداً وأستاذاً ورئيساً للقسم فوكيلاً للمعهد لشئون خدمة المجتمع والبيئة وأخيراً عضواً باللجنة الدائمة لترقية الأساتذة المساعدين بالمجلس الأعلى للجامعات وجامعة الأزهر في مجال تخصصه ، كما خطط لإنشاء مركز لتعليم اللغة العربية للأفارقة ، وفي هذا الإطار أشرف على عدد من الرسائل الجامعية تمثل في بداية الاهتمام لغة الهوسا وأدائها في الجامعات العربية ، لقد مكنه تخصصه في لغة الهوسا وأدائها ودراسة العلاقات اللغوية بين العربية والهوسا ، وما هو اليوم يقوم بترجمة هذه المجموعة من القصص من لغة الهوسا مباشرة ، وهو أول عربي يقوم بترجمة الأعمال الأدبية الهوسوية إلى العربية.

وقد كان الأديب المعاصر الراحل على شلش مهتماً بالأدب الإفريقي ، إلا أن اهتمامه كان منصباً على ما كتب باللغات الأوروبية ، وكان يلاحظ أن أحداً لم يتناول الأدب الإفريقي الذي كتب باللغات المحلية الأصلية ، كالهوسا والسواحلية والتقي الأديب الراحل - وكان منتدياً لتدريس الأدب الإفريقي في معهد الدراسات الإفريقية مع المترجم - فطلب منه أن يقوم بترجمة قصة "الشيخ عمر" لأبي بكر تفاوا - أول رئيس الوزراء لنيجيريا بعد الاستقلال ، كان الأستاذ على شلش يرى أنها ترجمة لحياة أبي بكر ، إن رغبة المثقفين التي عبر عنها صديقنا الأديب بدأت تتحقق ونشرت هذه القصة ضمن كتب "أدب الهوسا الإسلامي" الذي تقوم بنشره حالياً - جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض ، القصة بمعناها المعاصر لم تعرفها الهوسا إلا بعد سنة ١٩٣٤ .

ويسعدني أن أقدم هذه المجموعة الجديدة لقراءة العربية تترجم لأول مرة مع التمهيد الذي كتبه المترجم لها تعريفاً بلغة الهوسا ومتكلمياً وعلاقتها باللغة العربية

وتأثرها بها من حيث الشكل والصور والأفكار وبعد ذلك تأتي القصص المترجمة ، هذه نماذج من الأدب الإفريقي المكتوبة بلغة الهوسا نضعها أمام الباحثين والدارسين وجمهور القراء لمعرفة المستوى الذي وصلت إليه القصة في قارتنا الإفريقية.

إن هذه المجموعة القصصية نرجو أن تكون لبنة في صرح جديد يتكون ، ويدل على إهتمام أدبي وثقافي بالشعوب المختلفة في القارة الإفريقية ، ولقد كتب الإفارقة جنوب الصحراء إنتاجهم الفكري تارة باللغة العربية وتارة بلغاتهم المحلية ، مدونة بالحرف العربي ولكنهم أخذوا بعد تغيير نظام الكتابة من الحرف العربي إلى الحرف اللاتيني في عدة مواقع أخرى كثيرة ، ولغة الهوسا مثال لكل هذه الأنماط ، ولكنها تستحق الاهتمام الجاد بحثاً وتأصيلاً ومقارنة ، وإذا كان العالم المعاصر قد أصبح قرية اتصالية كبيرة ، فإن الوعي بالذاتية الثقافية للشعوب الإفريقية يصبح مطلباً جاداً.

ويطيب لى في ختام هذه المقدمة أن أشكر للأستاذ الدكتور مصطفى حجازى السيد حجازى هذا العمل ونأمل المزيد من العطاء في هذا المجال ، بقلمه وبجهد طلابه الذين يشكلون أول مجموعة مصرية متخصصة في اللغات الإفريقية وأدائها.

محمود فهمى حجازى

تمهيد

انتشرت اللغة العربية بإنتشار الإسلام في غرب أفريقية بصفة عامة، وفي ولايات الهوسا بصفة خاصة ، وكيف كان علماء الدين الإسلامي في هذه البلاد يعتمدون في ثقافتهم الإسلامية على ما كتبه العلماء والأدباء في المشرق الغربي دون أن يلجأوا إلى التأليف في هذه العلوم.

وكان العلماء من أمثال عبد الله بن فوديو شقيق الشيخ عثمان ، يجيد اللغتين العربية والهوسا ، فكان يقوم بترجمة ما يقرأ باللغة العربية إلى لغتي الهوسا والفولاني ، حتى يتعلم المسلمون مبادئ الدين الإسلامي الحنيف ، وبذلك غرس بذور الترجمة من اللغة العربية إلى لغة الهوسا ، إلا أن حركة التأليف والترجمة لم تنشط إلا فيما بعد عندما وقعت البلاد تحت سيطرة الاستعمار البريطاني.

ففي سنة ١٩٠٠م تم الاستيلاء على المناطق الجنوبية التي سموها محمية نيجيريا الجنوبية ، ثم تم الاستيلاء سنة ١٩٠٣م على المناطق الشمالية أي ممالك الهوسا والبرنو وسموها محمية نيجيريا الشمالية ، وكان التعليم التبشيري قد بدأ يتسرب إلى جنوب نيجيريا من وقت مبكر على أيدي المبشرين الأوروبيين ، وأخذت المدارس التبشيرية تنمو وتتسع جنوباً في تلك الحقبة في حين أن الشمال لم تكن فيه أي حركة تعليمية تبشيرية ، وظل الأمر كذلك حتى بعد الاحتلال البريطاني ، وظل المبشرون سنيين يحاولون التبشير بين المسلمين ولكن بدون جدوى ، وفي سنة ١٩٠٦م قام مبلر بتقديم مشروع للحكومة يقترح فيه إيجاد مدرسة داخلية فيها قسم لتربية أبناء الملوك والرؤساء المسلمين وقسم آخر غير داخلي للكبار الذين تأثروا شيئاً من الثقافة الإسلامية ، فوافقت الحكومة ، ولكن هذه المحاولة فشلت أخيراً.

وكان فشل هذه المحاولة وغيرها يرجع لكون الثقافة الغربية في ذلك الزمن ثقافة مسيحية صرفة ، فلذلك كرهها المسلمون ، ولم يروا فيها إلا حيلة لتغيير دينهم وثقافتهم الإسلامية ، وأن تلك الثقافة كانت بأيدي المبشرين الذين كان غرضهم الأساسي نشر الدين المسيحي لا التعليم ، وقطع التيار الإسلامي ووضع العقبات والحواجز دون

انتشاره وازدهاره وكون المسلمين يعتزون بثقافتهم التي ورثوها عن آبائهم وأجدادهم ، ولم يروا مبرراً لتركها والأخذ بثقافة أجنبية^(١).

وفي سنة ١٩٠٨ أعير هنس بيشا من إدارة الإرساليات بالجنوب إلى التعليم ليقوم بتنظيم التعليم في الشمال ، وقبل أن يشرع في تنظيم التعليم قامت الحكومة بإرساله إلى بعض البلاد الإسلامية التي كان الإنجليز يستعمرونها حين ذاك كمصر والسودان ، وفي القاهرة والخرطوم رأى المناهج في المدارس تحتوى على شئ بسيط من الدراسات الإسلامية والغربية ، وزيادة في المواد الدينية فاقترح بعد عودته فتح أول مدرسة حكومية في كنو فوافقت الحكومة ، وبدأ بفصل التدريب للمدرسين الوطنيين الذين يمكنهم أن يساعدوا في التدريس بعد فتح المدارس.

وفي سنة ١٩١١ ظهرت ملامح النجاح في هذه المدرسة فبدأت تتسع ، عندما فكرت الحكومة في إنشاء مثلها في سكوتو وكسبنا ، وكانت المواد التي تدرس في هذه المدارس هي القراءة والكتابة بلغة الهوسا بالحروف اللاتينية.

ونلاحظ أن الاحتلال البريطاني قد أثر في التعليم العربي في نيجيريا منذ وطأها أقدامه.

أولاً: أدرك المستعمرون أهمية اللغة العربية في الشمال ، فهي اللغة الراحية والثقافية، كما رأينا سابقاً - فحاول بكل ما يستطيعه من قوة أن يستبدل بها لغته فجعل اللغة الإنجليزية هي اللغة الرسمية ، وأصبحت الدواوين والمكاتب الحكومية كلها عدا المحاكم الشرعية تستعملها بدلاً من العربية.

ثانياً: وجد المستعمر أن بعض اللغات المحلية كالهوسا والفولاني تكتب بالحروف العربية ، وبذلك يتعلم الناس الكتابة والقراءة بلغتهم المحلية ، فاستبدلوا بهذه الحروف ، الحروف اللاتينية في المدارس ، وجعل التلاميذ يتعلمون القراءة والكتابة بلغتهم المحلية بهذه الحروف ، ووجد ذلك تشجيعاً كبيراً من قبل الحكومة.

ثالثاً: قام المستعمرون بتكوين طائفة من الموظفين الذين يقومون بحمل أعباء الحكومة الجديدة ، ولم يكن المقصود أن ينال المتخرجون من المدارس التي أنشئت لهذا

(١) شيخو ص ٩١ ، ٩٢

الفرض - خطأ من الثقافة الغربية الجديدة ، ولكن المراد أن يتعلموا شيئاً قليلاً بحيث يستطيعون أن يقوموا ببعض الأعمال الإدارية فحسب^(٢)

وكانت المواد العلمية مثل الرياضة والإنجليزية والهوسا والتاريخ والجغرافيا والفيزياء ، تكتب وتطبع في بريطانيا ، ثم تنقل بعد ذلك إلى نيجيريا ، فأدى ذلك إلى إنشاء مكتب للترجمة في مدينة زاريا في سنة ١٩٣٠ ، بمعرفة حكومة شمال نيجيريا حينئذ .

وفي ظل الحكم البريطاني جرت عدة محاولات لوضع أبجدية لاتينية للغة الهوسا ، ولكن استعمالها كان قاصراً على العلماء والباحثين الأوربيين ، الذين يدرسون اللغة وأدائها ، وقد بدأ ذلك بتسجيل التراث الشعبي الشفوي Oral Lore ، كما سترى فيما بعد " وقد بلغ هذا العمل أوجه في سنة ١٩١٣م بقيام أدمار فرنك Frank Idgar بطبع كتاب "أساطير الهوسا" Hausa Litafi Na Tsatsinyoyi Na كما ألف A.J.N. Tre-meame كتاباً في معتقدات الهوسا وعاداتهم Hausa Superstitions وألف R.S. Rattary كتاب فلكلور الهوسا Hausa Falldore ولم يتجاوز استعمال الحرف اللاتيني - حتى هذا الوقت - النصوص المسيحية ، والمعارف الشعبية التقليدية ، ولم يكن هذا التحول مقبولاً في بداية الأمر ، فقد كانت كتابة اللغة العربية وقراءتها ميزة إذ أنها تستعمل في الواقع - وإن كان استعمالها في هذا الوقت محدوداً - وهي لغة القرآن والحديث الشريف ، بينما كان استعمال الحرف اللاتيني مرتبطاً بالوثنيين ، وقاصراً على الباحثين الأوربيين ويمرور السنين تجاهل مثقفو الهوسا الحرف اللاتيني تماماً ، كما تغاضوا عن الامكانيات المتاحة لكتابة القصص النثرية الذي بدأ بعمل إدخار . وحصروا أنفسهم في الشعر العربي التقليدي^(٣).

ونظراً لأهمية استعمال الحرف اللاتيني بالنسبة للاستعمار الأوربي ، فقد أوحى إلى أنصاره خلال عام ١٩٣٠ بإصدار صحيفة الهوسا أطلق عليها اسم JaridarNijeriya Ta Arewa أي جريدة نيجيريا الشمالية ، وكانت تصدر عموداً بالهوسا ويقابله عمود بالعربية . وفي هذه السنة تأسس "مكتب الترجمة" في مدينة زاريا تحت رئاسة رجل أوربي هو "تيلر" Tailor وكانت مهمة هذا المكتب هي ترجمة وتأليف الكتب التي تنقل من اللغات الأخرى إلى لغة الهوسا ، ويعد تيلر Tailor تولى المكتب ضابط مثقف هو

(٢) شيخو ص ٩١ ، ٩٢

(٣) Albrt. S. Gerard, p. 62.

إيست R. M. East، واستمر في هذا العمل ، وقد قام في هذا الوقت بالاشتراك مع أبى بكر إمام وزملائه بوضع أسس كتابه الهوسا بالحرف اللاتينى، وتقويم قواعد كتابتها ، وقد بنيت على أساس لهجة كانو ، مع بعض التعديلات ، ولم يهمل المكتب التأليف تماماً. فقد كان هدف هذا المكتب يتركز فى :

١- ترجمة الكتب والمادة العلمية من اللغتين العربية والإنجليزية.

٢- كتابة الكتب بلغة الهوسا والحروف اللاتينية.

٣- تشجيع الكتب المدرسية.

٤- تشجيع الكتاب المحليين.

وكان إنشاء مكتب الترجمة نابعاً من الفكرة العامة التى ترى أن الترجمة من لغة إلى أخرى يثرى اللغة المترجم إليها ، من حيث المفردات اللغوية ، والأدب والثقافة بوجه عام ، وهذا ماحدث بالنسبة للغات الكبرى مثل العربية والانجليزية وإعمالاً لهذه الفكرة ، بدأ المكتب بترجمة الأعمال الأدبية من العربية والإنجليزية إلى لغة الهوسا فى وقت قصير . مثل كتب ألف ليلة الذى ترجم عن اللغة العربية .

- سيف الملك الذى ترجم عن اللغة العربية.

- أخبار الهوسا وجيرانهم . الذى ترجم عن المخطوطات العربية التى كانت لدى علماء الدين.

ولكن المكتب أدرك بعد ذلك أن هذه مجرد ترجمات وأن معظم المادة المترجمة بعيدة عن الخيال الأدبى ، فهى تعليمية بطبيعتها ، وفى سنة قرر المكتب أن ينظم مسابقة لكتابة القصة الخيالية ، على غرار القصص الانجليزى . ولإنجاز ذلك أرسلت نشرة إلى مدرسى المدارس الحكومية والموظفين الممتازين الذين تعلموا فى المدارس الابتدائية الاقليمية يحثونهم على الاشتراك فى مسابقة لكتابة القصة الخيالية بلغة الهوسا مع وعد بجوائز مجزية لأحسن القصص والقيام بطبعها .

يقول د/ إيست «للعثور على هذا الهدف المنشود زرت كل المدن الكبرى التى يتكلم سكانها بلغة الهوسا ، وأخذت أجمع أكبر عدد من المفكرين ، وقمت بشرح الموضوع لهم ، ودعوت كل من يجد فى نفسه القدرة على الكتابة أن يتقدم» وكانت أكبر صعوبة تواجه د/ إيست هى محاولة إقناع هؤلاء العلماء بكتابة القصص النثرى الهوساوى بحرف لاتينى ، ويقدم تفسيراً لذلك فيقول : كانت الصعوبة هى إقناع

المتعلمين بأن هذا الأمر ذو فائدة عظيمة، فقد كان فن الكتابة الأدبية من الصعب ممارسته ، إذ كانت الكتابة مرتبطة في ذهن المسلم بالدين الإسلامي منذ النهضة الدينية في نهاية القرن الماضي ، وكانت كل الأعمال العلمية التي ينتجها كتاب شمال نيجيريا تقريباً دينية خالصة ، أو تتصل بعلوم الدين ، وكان معظمها يكتب باللغة العربية ، التي كانت تشبه اللغة اللاتينية في العصور الوسطى ، والتي كانت جديرة بكتابة أى عمل علمي أكثر من اللغة الأم ، وكان فن القصة معروفاً بين شعوب غرب أفريقية ، وفي شمال نيجيريا كما هو الحال في كل مكان آخر ، ولكن ينظر إليه على أنه وسيلة لتسليية النساء والأطفال وأنه دون وقار الرجل الذي تقمص شخصية العال^(٤).

يقول د/ إيست ومع هذا فقد كانت دهشتي عظيمة عندما وجدت أن الكتابات الأدبية التي وصلتني مشجعة وقد اختار منها خمسة أعمال طبعت في نفس العام ١٩٣٣ وهي:

١- الماء الشافي Ruwan Bagaja ، الحاج أبو بكر إمام.

٢- الشيخ عمر Shehu Umar ، لأبي بكر تفارا.

٣- المغامر Gandoki ، لبلو كاجرا.

٤- عين الشائل Idon Matambayi لمحمد جوارزو.

٥- الجسم المتحدث Jiki Magayi ، لتفيدو ساسا و د/ إيست.

وقد جذبت قصة الماء الشافي انتباه د/ إيست فقرر دعوة الحاج أبو بكر إمام من مدينة كتسينا حيث كان يعمل مدرساً في المدارس الحكومية ، ومترجماً في المحاكم الشرعية، فعرض عليه استعارته من الحكومة المحلية إلى مدينة زاريا ليعمل معه في المكتب لإنتاج الأعمال الأدبية.

أما أبو بكر تفارا فقد تحول بعد ذلك إلى العمل السياسي ، وكان أول رئيس وزراء نيجيريا في عهد الاستقلال ، واشتغل محمد بللو بالإدارة حتى صار والياً ، أما أبو بكر إمام فلم يكف عن المتابعة وممارسة الأدب.

لقد وضعت قصة الماء الشافي الحاج أبو بكر تحت الأضواء على المسرح الأدبي،

(٤) المرجع السابق ص ٦٣ .

لقد كان هذا الأمر ظاهراً من عمله الأدبي الأول الذي خرج إلى النور بقوة ، فقبل أن يأتى إلى زاريا ليعمل فى مكتب الترجمة ولكن على أساس مؤقت فى المرحلة الأولى، حيث إن عمله الأساسى كان فى الإدارة المحلية فى كتسينا.

التدريس فى مدينة كتسينا ويستقر معهم فى مدينة زاريا ، فقاموا بالاتصال بالحكومة المحلية حتى تحقق لهم هذا المطلب. فتقدم الحاكم بهذا الطلب إلى أمير كتسينا الحاج محمد ديكو فطلب الأمير الحاج أبو بكر إمام وقال له "إن الحاكم رجاني أن أسمح لك بالذهاب إلى زاريا لتبدأ فى عمل مهم هو إصدار صحيفة ، وقال أنه بحث فى كل أنحاء الشمال ليجد شخصاً أفضل منك فلم يجد ، وإنى مسرور أن يكون الشخص المفضل من إمارتى" فوافق أبو بكر إمام وتحرك إلى زاريا أو تضاعف دوره كأول قصاص فى لغة الهوسا ، بتكليفه برئاسة تحرير أول صحيفة هوساوية وهى Gas-kiya Tafi Kwabo، أى الحقيقة رأسمال بمساعدة جيلز L. C. Giles، وبواسطة هذه الصحيفة استطاع أن يبرز أسلوبه الطبيعى فى الكتابة ، الذى أوجد الاهتمام بالصحيفة من القراء. واستمر يعمل بالمكتب فى تحرير الصحيفة حتى سنة ١٩٥٤، حتى عين فى عمل آخر فى الحكومة ومع ذلك فقد استمر فى كتابة الكتب الدينية والكتب المتعلقة بالأمور المدنية ، ويمكن فى هذه العجالة أن نذكر أهم الكتب التى ألفها:

(أ) فى الكتب الدينية كتب:

- 1- Tarihin Annabi Muhammadu
- 2- Sayyadina Abubakar
- 3- Tarihin Muasulunci
- 4- Tambayoyi Goma Amsa Goma
- 5- Hajji Mabudin Ilmi

- ١- تاريخ النبی محمد
- ٢- سيدنا أبو بكر
- ٣- تاريخ الإسلام
- ٤- عشرة أسئلة وعشرة إجابات
- ٥- الحج مفتاح العلم

(ب) فى الكتب التعليمية كتب:

- 6- Ikan Allah
- 7- Auren Turawa
- 8- Auren Zobe
- 9- Haben Abuja

- ٦- قدرة الله - خمسة أجزاء
- ٧- زواج الأوربيين

وبناء على ذلك سافر إلى زاريا وزار مكتب الترجمة ، فقد كان الاتصال به حتى

هذه اللحظة يتم عن طريق البريد ، ويمجرد وصوله لاحظ خطأ على اللافتة المكتوبة على باب مكتب يقول "خلال زيارتي الأولى لزاريا وقبل أن ألتحق بالعمل ككاتب بدأت بنقد اسم المكتب فقد كان اسمه "Ofishin Jule" وهو ترجمة لعبارة "مكتب الترجمة" فوافق د/ إيست في الحال على الترجمة الهوساوية ، فأصبح اسم المكتب "Ofishin Fassara" ثم تغير الاسم بعد إلى "مكتب التأليف "Ofishin Talifi".

وهذا التعليق الذي قام به الحاج أبو بكر إمام لأول وهلة ، يظهر مهارته وإحساسه المرهف في فن الترجمة ، وتحت هذا الاسم الجديد للمكتب تطورت المواد العلمية في لغة الهوسا ، وطلب من أبي بكر إمام أن يكتب سلسلة من الكتب للاستفادة منها في المدارس الحكومية ، يقول أبو بكر إمام "جمع د/ إيست مجموعات مختلفة من الكتب عن قصص الليالي في اللغة العربية والانجليزية ، وقدمها إلى لتكون مصدراً للتأليف وقد قضيت ستة أشهر في مدينة زاريا في سنة ١٩٣٦ ، كتبت فيها ثلاثة أجزاء من كتاب Magana Jarice أي الكلام رأسمال.

وبعد إتمام هذه الأجزاء الثلاثة وتسليمها للمكتب لطبعها بصفة عاجلة ، مع التفسيرات والملاحق ، عاد إلى مقره في مدينة كتسينا في سنة ١٩٣٦ وقد طبع الجزء الأول من الكتاب في سنة ١٩٣٧ والجزءان الآخران في سنة ١٩٣٨ .

وخلال إقامته في مدينة كتسينا كان على علاقة بالمكتب وفي سنة ١٩٣٨ طلب منه كتابة سلسلة مبسطة لقراء الهوسا من المستويات الدنيا حيث كانت السلسلة السابقة في مستوى المتقدمين من القراء ، فاستجاب لطلبهم ووضع كتابين وسمى السلسلة Karamin Sani Kukumi وهو مثل هوساوية معناه أن المعرفة القليلة قد تكون ضارة.

وحتى هذا الوقت لم يكن أبو بكر إمام متفرغاً للعمل في المكتب ، فطلب منه العمل معهم محرراً لصحيفة هوساوية ، ولكنه لم يوافق على أن يترك عمله في

10- Karamin sani Kukumi (1-2)

11- Hausa Bakwai

12- Ruwan Bagaja

13- Magana Jari Ce (1-3)

ولايات الهوسا السبع

(ج) الكتب الأدبية والخيالية:

١٢- الماء الشافى

١٣- الكلام رأسمال

بالإضافة إلى هذه الكتب توجد كتب ترجمها ولم يوضع اسمه عليها مثل كتاب Hasken Muhukunta، الذي ترجمة عن كتاب "ضياء الحكم" للشيخ عبد الله بن فوديو وكتاب Hali Zanen Duste الذي ترجمه عن كتاب عربي عن تعليم الحرف والأخلاق^(٥).

وكانت الكتب في بداية الأمر تُولف في نيجيريا وتطبع في لندن حتى تم إنشاء دار للنشر في زاريا باسم شركة شمال نيجيريا للنشر Northern Nigerian publishing Company وأخذت تشجع المؤلفين والأدباء على نشر إنتاجهم الذي كان ينشر قبل ذلك بالحروف العبرية ويكتب بخط اليد أحياناً . وبذلك نشطت حركة الترجمة والتأليف في جميع المجالات الأدبية والعلمية والدينية منها ما هو مترجم مثل ، كتاب ألف ليلة وليلة ، الذي ترجم عن العربية ، ورسالة أبي زيد القيرواني على فقه الامام مالك . ومنها ما هو شرح أو تفسير لبعض المؤلفات العربية مثل متن الربيعين النووية. وكان أهم ما صدر من الشروح الدينية أو تفسيرها أو ترجمة معانيها هو ترجمة معاني القرآن الكريم وطبيعة العمل العلمي يختلف عن أي نص آخر من حيث الدقة المطلوبة في ترجمة المعاني القرآنية لما فيه من كثرة التشبيه وغير ذلك من العلوم الإسلامية.

وبناء على تكليف شفقوى من الدكتور جابر عصفور أمين عام المجلس الأعلى للثقافة قمت بترجمة كتاب "الكلام رأس مال Magana Jarice" من لغة الهوسا إلى اللغة العربية لأهميته ، وكونه النبراس الذي سار على هديه كتاب الهوسا وأدباؤهم فيما بعد ، وحتى يرى القارئ العربي لأول مرة ، جانباً من النهضة الأدبية في جزء عزيز من قارتنا ، أثر اللغة العربية وأدبها.

وأخيراً أتقدم بالشكر إلى الأستاذ: إبراهيم بللو ، الهوساوى الأصول وطالب الدكتوراة بكلية الشريعة والقانون بجامعة الأزهر الشريف على مراجعته الدقيقة لهذه الترجمة حتى خرجت هذه الصورة .

مصطفى حجازى السيد حجازى

مقدمة

هذه الكتب الثلاثة المسماة الكلام رأسمال Magana Jarice ألفها الحاج أبو بكر إمام O,B,E حوالى عام ١٩٣٧ ، وكان فى هذا الوقت يعمل معلما فى Midil فى كتسينا ، ومنها استعارته الحكومة للعمل فى مكتب التأليف فى " زاريا" ليؤلف لها هذه الكتب .

وحتى الآن يقول الحاج أبو بكر إمام إن هذا العمل الذى قام به لتأليف كتاب Magana Jarice الكلام رأسمال أفاده كثيرا ، فقد أتاح له فرصة الإقامة مع أحد الأوربيين المشهورين فى تأليف كتب الهوسا ، وهو الدكتور R.M.East, O.B.E ، وأن على يديه تعلم كل صغيرة وكبيرة فى التأليف.

والملفت للنظر أن هذا الإنجليزى - الدكتور إست - فى المقدمة التى كتبها باللغة الإنجليزية عن كتاب .. الكلام رأسمال " يقول " نتقدم بالشكر إلى En'e ، فى كتسينا لمساعدتهم وبعد نظرهم حتى وافقوا على إعارة الحاج أبى بكر إمام ، وأن يترك عمله حيث يدرس اللغة الإنجليزية فى مدرسة Midil فى مدينة كتسينا ، وينتقل إلى زاريا ويقيم ستة أشهر ليساعدنا على ظهور هذه الكتب بلغة الهوسا .

وأقصى ما فعله هذا المكتب - بكتب التأليف - أن هيا له كل الأمور حتى تم طباعة هذه الكتب إلى جانب مساعدته فى جمع الكتب المختلفة لينسج على منوالها ، وإعدادها بعد الكتابة.

وإذا كان لدينا ما نفخر به ، فى تأليف هذا الكتاب فهو ما قمنا به من البحث حتى توصلنا إلى هذا " المؤلف "

صحيفة جاسكيا

١٩٦٢

الكلام رأسمال Magana Jari Ce

فى إحدى مدن الشرق كان يعيش أمير عظيم ، كان يسمى عبد الرحمن بن الحاج ، هيهات أن تجد رجلا ثريا مثله منذ عهد قارون ، كل من دخل منزله ورأى ما فيه من رخرف ومتاع ، لا يسعه إلا الدهشة والذهول ، بل إن الأمر يفوق الوصف ، وإذا حاول إنسان وصف قصره وما فيه من متاع لمن لم يره ظن أن ما يسمعه كذبا وهراء .

إلا أن كل هذا كان لدى الأمير لا قيمة له ، لأنه لم يرزق الأبناء وليس له أخ أصغر أو أكبر ، وكان له ابنة واحدة فقط تزوجت ، لذلك كان كل من يرى هذا الأمير يشعر أن الحزن قد استولى عليه ، فهو إذا مات انتقل أكثر هذه الثروة إلى ابنته ونسائه فقط ، والباقي يودع فى بيت المال ، أما السلطة فيهبها الله لمن يشاء ، وكان إذا فكر فى هذا صارت كل هذه النعم سببا فى حزنه وشقائه .

وذات يوم وهو على هذه الحال أنجبت ابنته ولدا ذكرا ، فعم الفرح ، وسمى الولد محمودا ، ومع أن الأمير فرح جدا بوجود حفيد له ، إلا أن هذا السرور لم يكن تاما ، لأن ابن البنت لا يرث المال ولا السلطة .

وأثناء هذا الحزن الشديد جاءه أحد العلماء وقال له " لقد رأيت أمس فى المنام من يقول لى أنك إذا جمعت أربعين عالما ، وظلوا يدعون لك أربعين يوما ، إن شاء الله ستنجب الابن " .

فرح الأمير بهذه الرؤيا وأخذ المال والثياب وقدمها لهذا العالم ، فقال العالم أنه لم يأت من أجل المال ، ولكن جاء ليبلغ أمرا ، واستأذن وخرج .

ولم يمض اليوم حتى أمر الأمير أن يجمع له أربعين عالما من كبار العلماء فى البلاد ، وقال لهم ما يريد ، فقالوا له " نسأل الله أن يتقبل الدعاء " فقال الحاضرون: آمين، واستعدوا ودخلوا المسجد وأخذوا فى الدعاء .

وكتب الله لهم التوفيق وتقبل منهم الدعاء ، ولم يمض أربعون يوما حتى شعرت زوجة الأمير بالحمل ، وبعد تسعة أشهر وضعت مولودا ذكرا، لا مثيل له فى الجمال ، وعم الفرح المدينة كلها ، وكان السرور الذى شعر به الأمير لا حدود له ، إذا لم تروه بأعينكم لا تستطيع أن أصفه لكم فى هذا الكتاب الصغير ، وأطلق على هذا المولود اسم

" موسى " ، وصار الفرق بينه وبين حفيد الأمير لا يزيد عن العام .
وتعلقت نفس الأمير بهذا الابن ، ومن المستحيل أن أصف ما يكن من الحب لطفله الوليد .

ومرت الأيام ، وبعد عامين بلغ الابن سن الفطام ، فأمر الأمير بإحضار حفيده محمود ليفطما ويلعبا معا ، وثبا معا كالتوأم ، لا يفصلهما عن بعضهما شىء .
لقد كانت أمنية الوزير من قبل أن يظل الأمير بلا ابن ذكر ليستولى على السلطة إذا مات الأمير ، كان يتمنى أن يموت الأمير دون أن ينجب ، إلا أن الله قدر أن يولد هذا الطفل ، ومنذ أن سمع الوزير الزغاريد فى قصر الأمير عقب ولادة موسى وهو فى حزن شديد .

ومنذ هذا اليوم أصبح لا يحب أن يسمع اسم موسى أو يراه ، وأخذ يفكر فى حيلة يقتل بها موسى أو يجعله يهيم على وجهه فى الدنيا ، إلا أن الأمر تعذر عليه ، حتى بلغ عمر الطفل خمسة عشر عاما ، وصار الأمير يصطحبه حيثما ذهب .

وذات يوم و الأمر على هذه الحال ، والوزير فى حيرة من أمره فكر فى حيلة ، وقال فى نفسه " طالما أنه لا توجد فرصة لعزل موسى وحده فى أى مكان دون الأمير ، لا أجد ما أفعله ، فإذا وجدت فرصة لافرق بين موسى ومحمود يكون أفضل ، وطالما أنهما متعلقان ببعضهما إذا فرقت بينهما سيفضب موسى ويطير عقله ويبحث عن طريقة يتسلل بها ليلا ليتبع أخاه ثم ضحك الوزير وأخذ يضرب الأرض بقدميه .

وفى اليوم التالى ذهب إلى قصر الأمير مع الحاشية ، وأخذوا يتحدثون فى أمور الدنيا ، حتى تطرق الحديث إلى أمور الحرب ، وهنا قال الوزير "نحن الآن لا نهتم بشئون الدنيا ، ولا نعد لها شيئا " فقال الأمير " ما سبب هذا الكلام أيها الوزير ؟ نحن الآن فى صلح ما شأننا وإعداد المحاربيين ؟ "

قال الوزير " أنت تعرف أننا لا نعرف ماذا تعده البلاد الأخرى ، والأفضل أن نستعد ، ولا نترك الأمور لتعد يوم الحرب "

قال الأمير " أى استعداد أفضل مما نحن فيه الآن ؟ ها هو أمير الحرب ، وهاك أمير الفرسان ، وأمير الخيالة ، كل منهم ينتظر صيحة الحرب للانطلاق . "

قال الوزير " هؤلاء جميعا صاروا شيوخا ، فأميز الحرب صار عمره الآن على الأقل بعد السبعين ، ومن كان كذلك ووهبه الله الوريث عليه أن يستريح ، وخطتى أن يعود محمود إلى منزله ، ويأخذ والده فى تدريبه على أمور القتال . "

وهنا تدخل موسى فى الحديث قائلا " إذا كان هذا الكلام لتفرق بين محمود وبينى ويتركنى وحيدا ، لا أوافق عليه ، لا بد أن نذهب ونتدرب معا . "

التفت الوزير وقال غاضبا " ما شأنك وتعلم القتال ؟ ، يذهب الناس ويقاتلون عنك "

قال موسى " لا أوافق أن يفرق أحد بيتنا . "

قال الأمير " طالما أن موسى لم يوافق ، فلا فائدة من حيلتك أيها الوزير . "

تجهم وجه الوزير ، وكان على وشك الكلام لولا أن دخل شخص فجأة وركع أمام الأمير قائلا " جاء وزير الأمير سينارى مع وفد من كبار مدينته ، يطلب الدخول " ، فسمح الأمير أن يدخل ، وعندما دخل أدى التحية وسلمه رسالة ، فأخذها قارئ الرسائل وفتحها فرأى أنها تقول :

" رسالة من أمير المؤمنين الأمير سينارى عبد العزيز بن الشيخ مختار إلى حبيبته وخليله الأمير عبد الرحمن ، تحية كبيرة ، وحب ورضا وأمان ، أما بعد أريد أن أوطد هذه الصداقة التى بيننا ، لذلك أقدم ابنى موسى لابتك سينارتو ، إذا كبيرا نقيم الأفراح ونستعد لزفافهما ونحن أحياء ، هذا والسلام . "

عندما سمع الأمير مضمون الرسالة ، قام غاضبا ، وجذب الرسالة من يد قارئها ومزقها ، وقام وجذب لحية وزير الأمير سينارى وألقاه جانبا فتدخل الأمراء بينهما وهم يقولون " هدىء من روعك ، عدم التعقل دفعه إلى ذلك . "

قال الأمير " حتى لو فسد موسى هل يعقل أن يتزوج سينارتو ؟ ماذا يكون سينارى وماذا تكون ابنته سينارتو ؟؟ . "

ونظر الأمير إلى رجاله قائلا لهم : اتبعوهم ضربا حتى يخرجوا من بلدى .

أسرع وزير سينارى وامتطى صهوة جواده وتبعه رجاله ، ووراءهم أبناء المدينة يصيحون ، وعم الهرج والمرج بين رجال الحاشية وأخذ كل منهم ينظر للآخر وقال الإمام " نصرك الله ، ما حدث هذا ، هل يعقبه خير ؟ . "

قال الأمير " ماذا يخيفك ، حتى لو كان الأمير سينارى ، لو لطمته هل يتكلم ؟؟ . "

قال أمير الفرسان " الأمير سينارى يرى نفسه الآن كفوا لكل إنسان ، لا أظن أن ما حدث الآن سيتركه " .

قال الأمير " أنت أيضا خائف مثل الإمام ؟ .

قال الوزير " ليس خوفا ما نقول ، ولكنها الحقيقة التى كنت أقولها الآن وهى أننا لسنا مستعدين "

قال الناس " حقا أيها الوزير ، ها أمير الحرب مر عليه اليوم حوالى عشرين يوما لا يتحرك وليس له وريث " .

اشتد غضب الأمير وقال " ليس له وريث ، بدأتُم تؤيدون كلام العجور الفارغ ؟

إذا كنتم تتحدثون عن محمود ، أعدكم - حتى لو كان ، لا يعرف شيئا - أى حرب ستشعب سيكون فى المقدمة " وأنتهى الاجتماع وانصرف رجال الحاشية وخرجوا يغتابون الوزير .

عاد الوزير إلى منزله غاضبا ، وأخذ يفكر فيما يفعله مع الأمير ليشفى غليله ، وقد عز عليه النوم فى هذه الليلة ، أخذ يفكر فى حيلة ثم غيرها ، حتى الصباح ، ولما أسفر الصبح ، كتب رسالة إلى الأمير سينارى يقول " لا يفزعك شيء من الأمير عبد الرحمن ، فهو كظل الشجرة الضخمة ، وإذا وعدتني بأن توليني أميرا على هذه البلاد ، فإننى أعرف ما سأفعله لأساعدك للاستيلاء عليها ، لأن كل رجال البلاد ينفذون ما أمرهم به ، وإذا عزمتم على الهجوم ، فعليك أولا أن تستعد قبل أن يستعد رجال الأمير عبد الرحمن ، وأن تسلك طريق قنطرة كمبا ، لأن هذا الطريق يوصلك إلى المدينة ، ولا يعرفه أحد واصطحبوا معكم رسولى ليدلكم على الطريق الذى لا يعرفه أحد غيره . " ، ثم سلم الرسالة إلى أحد خدمه المخلصين الذى يدعى بركى Barakai وأخبره بما سيفعل وأذن له بالإنصراف .

ولم يعد الأمير عبد الرحمن يفكر مرة أخرى فى أمر الأمير سينارى ، ومرت أيام على هذه الحال ، وأمر أن تعد الخيول لإحدى الرحلات ، وامتنطى صهوة جواده ، وخرج مع خدمه للنزهة ، حتى وصلوا إلى مستنقع ، فتزلوا للاستراحة وإذا برجل عربى يحمل قفصاً فيه بيغاء ، ولما رفع موسى رأسه ورأى هذا الطائر صاح قائلا " ها بيغاء أتشتريه لنا ؟ "

وفى الحال ذهب أحد خدم الأمير ونادى الرجل العربى وسأله عن ثمن البيغاء ، فقال " إن لم يكن مائة جنية لن أبيعها . "

عندما سمع الخادم ذلك قال " لا ، أتسخر من الأمير ؟ ، أنتظن الأمير قد طلب منك أن تضرب له الأمثال ^(١) . "

عندما قال الخادم ذلك أثار غضب الأمير ، فأمر أن يأتوا بهذا العربى ، فهاجم عليه الخدم وكادوا يفتكون به ، كأنهم سيلتهمونه نيئاً ، هو وطائره ولما رأى الطائر ذلك هز جناحيه قائلاً " نصر الله الأمير " ، لا تغضب من صدق صاحبي ، إن المائة جنية التى طلبها صاحبي ، تبخس من قيمتى ، مثلى لا يباع بمائه جنية فقط . "

وهنا أمر الأمير خدمه أن يتوقفوا ، ونظر إلى هذا العصفور الصغير وقال " أيها الطائر الصغير ما دليلك على ما تقول . "

طأطأ البيغاء رأسه وقال " أطال الله عمرك أيها الأمير ، العظمة التى أشعر بها ليست لجمال شكلي فقط ، ولا لحلاوة حديثي التى وهبنيها الله ، ولكن لهذه الموهبة التى وهبنيها الله ، وهى المهارة فى التنجيم حتى وصلت إلى معرفة أخبار ما سيحدث مستقبلاً ، فما بالك بما مضى ، وقد وهبني الله من الكهانة ما لا حد له ، وإذا كنت تحب أن تسمع أخبار الجن

أو اللصوص أو الأمراء أقص عليك ، فإذا اشتريتنى لن يضيع مالك هباء ، وكأنك اشتريت كتاب " ألف ليلة وليلة " أو كتاب أحد الأوربيين التى تتناول الرحلات ، أو التاريخ والحساب أو الرعاية الصحية ، التى يملها الناس ، وإذا كنت تبحث عن الثراء ، بشرائى تتحقق أمانيك . "

فقال الأمير " هل أحصل على كل هذا من الثروة التى لا فائدة منها "

قال البيغاء " الثروة ليست شيئاً مذموماً فالكلام رأسمال "

وعندما سمع الكلام أنه يستطيع أن يروى القصص - وهو ما يحبونه - أخذوا يقفزون مرحاً ، وأخذ الأمير يتعجب من أمر هذا الطائر ، وقال الأمير للبيغاء : كف عن هذا الهذيان ، مدح النفس ، جهل ، إذا كنت تملك الحكمة فقل لى ، كم عمر موسى اليوم ؟

انفجر رجال حاشية الأمير فى الضحك ، وقالوا " نصر الله الأمير ، هكذا تسكته ، فليقل ، لنسمع أن لم يكن كاذباً. "

نظر البيغاء إلى موسى وقال " عمره اليوم أربع عشرة سنة وخمسة أشهر وثلاثة أيام. "

قال الناس " نصر الله الأمير ، إنه صادق "

قال الأمير " عجباً ، لقد سمع هذا من بعض الناس ، أليست أخبار موسى تذايع فى كل مكان . " وقال للبيغاء مرة أخرى : إنك تردد هذا الكلام الذى سمعته من الناس ، ولكن فى أى يوم ولد ؟. "

نظر البيغاء مرة أخرى إلى موسى وقال " يوم الجمعة عصرا . " قال الأمير " حقا " ثم قال " طالما أن لديك الحكمة ، فقل ماذا سيحدث له . "

قال البيغاء " لن نحب أن نسمع هذا الأمر ، لأنه سيغضبك جدا ، والأفضل أن تترك الأمر مستورا . " ولكن الأمير أصر على أن يخبره ، وإذا امتنع سيأمر الخدم أن يضعوه الآن فى النار ويحرقوه حيا . "

وعندما أدرك البيغاء أن الأمير قد غضب قال " اغفر لى ياسيدى ما سأقول لك ، سيكون موسى سببا فى جرح الكثير وهلاك أرواح حوالى ألف من رجال هذا البلد ، وهذا الأمر سيحدث قريبا ، وعليك أن تستعد له من الآن. "

غضب الأمير عندما سمع أن ابنه سيكون سببا فى هلاك كثير من الأرواح ، وأخذ القفص وألقاه أرضا ، ونهيا لیسحق هذا الطائر الصغير بقدميه ، وهجم الخدم على الرجل العربى وحدث الهرج فى المكان ، وإذا بفارس يقبل مسرعا على صهوة جواده دون سرج ، كل جسده ملطخ بالدماء ، وهو فى منظر مؤلم ، وركع أمام الأمير وقال " وأسفاه أدركنا ، لقد هجم الأمير سينارى على البلد رغبة فى القتال ، وبعض البلاد الصغيرة على الحدود الشمالية صارت رمادا ، أقسم بعظمتك أننى وحدى ، الذى لمحوت . "

صمت الأمير ورجاله جميعا ، وأخذ كل منهم ينظر إلى أخيه ، وإذا بمن يقهقه من خلفهم ، فالتفتوا مذعورين ، فسمعوا صوتاً من داخل القفص يقول " ها قد حدث ، لقد قلت لكم من قبل فهجمتم على لتقتلونى ، لعلك أدركت الآن أن كلامنا ليس ككلامكم ، لا يجب أن يحتقر "

لم يجد الأمير ما يقوله ، فاستطرد البيغاء قائلا " حتى الآن إذا عملت بمشورتي سينجيك الله ، ولن يضرك شيء . "

نظر الأمير إلى البيغاء بغضب وقال " اسكت ، أية مشورة لديك؟ . وتدخل موسى في الحديث قائلا " نصرك الله " ما خاب من استشار دعه يقل لنسمع . "

قال الأمير " حسنا ، قل ، وإذا لم تفد مشورتك سألوى عنقك ويرتاح الجميع منك . "

قال البيغاء " الآن كاد الأمير سينارى أن يصل إلى قنطرة كمبا ، هدفه الوصول إلى تلال كمبا Kimba وأبندواكى Ubandawaki ويدور تجاه الشرق ويدخل المدينة من حيث لا تتوقع . "

قال الأمير " لا يوجد مخلوق فى هذه المدينة يعرف هذا المكان ، فما بالك بالأمير سينارى ؟ . "

قال البيغاء " اسمع ما أقول لك ، عد الآن مسرعا إلى قصرى ، وابعث بالرماة ليحرسوا المدخل بين تلال كمبا وأبندواكى ، مهما كان عدد جنوده لو عشرة رجال أشداء سيردونه عن هذا المكان ، وقبل أن يستعد ، أعد الجيش الكبير . "

تعجب الأمير وقال موسى " هذا البيغاء الصغير يعرف ما لا تعرف ، فلتتبع مشورته ، ونرى . " كل ما يقول هذا البيغاء يسمعه الأمير كأنه يستمع إلى أسطورة ، ومع ذلك ، وبعد أن تدخل موسى فى الأمر ، ركب الأمير وعاد إلى قصره ، واختار مائة من النبالة الأشداء وبعث بهم إلى حيث أشار البيغاء ، وأيقظ الرسل وبعث بهم جنوبا وشمالا ، شرقا وغربا ، ليأمرؤا الناس بالاستعداد للحرب بسرعة ، وبدأ الحدادون يعدون السلاح .

وهم على هذه الحال بعد خمسة أيام إذ برجل من النبالة التى بعث بهم الأمير يعود عدوا بالبشارة قائلا للأمير " نصرك الله ، هذه الخطة التى رسمتها قد نجحت ، فبينما كنا قابعين حيث أمرتنا رأينا فى ضحى الأمس الأول من بعيد الغبار يصعد إلى السماء ، ولم نر إلا أسنة الرماح تلمع ، والخيالة والرماة بلا حد ، رأيناهم على مرمى البصر ، ولم نر نهايتهم ، ونحن على هذه الحال تركنا مقدمة الجيش يقتربون منا ، وانهلنا عليهم بالنبال فسقطت عليهم كالطر من السماء ، فأدارت المقدمة لنا ظهرها وتقابلت مع المؤخرة وحدث الهرج والمرج .

وفى مضيق صغير انزلقت الخيول وسقطت على بعضها ، ونحن ننهال عليهم بالنبال ، وانقلب الأعلى على الأدنى تدوسهم أقدام الخيل . وقليل من فى المقدمة وجد السيل إلى الفرار ، وبعد قليل قام بعضهم ليهجم علينا ، فلم يجدوا السيل إلى ذلك لأن المر بين الجبال كان ضيقا ففعلنا بهم ما فعلنا بالسابقين ، فبعثوا بآخرين فكان جزاؤهم نفس المصير حتى حان العصر ، وعندما لم يجدوا فرصة للنصر عادوا وتركوا جثث إخوانهم لا يستطيع الناظر عددها .

عندما سمع الأمير ذلك كاد يطير فرحا ، ودخل وأخبر البيغاء وشكره ، وكاد يعانقه وأخذ مائتي جنيه وقدمها للرجل العربى ثمنا للبيغاء ، وأحضر حصانا معدا للركوب وقدمه إليه ، وأمدته بسبعة من العبيد ، واثنى عشر ثوبا وأذن له بالرحيل.

وفى الليل عاد بركى Barakai وأخبر الوزير بكل ما حدث ، وقال " نحن فى المقدمة ، رأينا من يصبون على رؤوسنا النبال حتى أصابت حصاننى ، ولم أشعر إلا ونحن محاطون ، وعندما رأيت ذلك رقدت على الأرض كمن مات ، ولم أتحرك طوال هذا اليوم ، والحرب تدور رحاها من حولى ، وعندما انتصف الليل وشعرت أن الحرب قد هدأت تسلفت وعدت . "

بارك له الوزير العودة ، وقال " ألم يرك أحد ؟ . قال بركى " إننى متأكد أن أحدا لم يرنى . "

قال الوزير " الحمد لله " ولكنى أعجب كيف عرف الأمير أنهم سيأتون من هذا المكان "

قال بركى " وأنا كذلك لم تخرج كلمة واحدة من فمى . "

قال الوزير " لا بد أن فى رجال سينارى منافقين ، ولكن لا بأس ، غدا يوم آخر "

بعد حوالى ثلاثة أيام سمعت صيحة الدعوة للحرب ، وامتلات المدينة بالخيول والفرسان ، وخلت البلاد و القرى القرية من الجنود وعندما رأى الأمير أن الجميع قد حضر منذ الصباح الباكر استدعى الوزير وكلفه بحراسة المدينة .

انحنى الوزير وقال " سأقبض على هذه الأمانة بيدى اليمنى ، وهو ييكى بكاء المنافقين . "

وقام الأمير ودخل المنزل واستدعى خمسة عشر من خدمه المخلصين وكلفهم بحراسة القصر ، ونبه عليهم ألا يدعوا موسى يخرج حتى يعيدهم الله سالمين ، وذهب استدعى موسى والخدم أمام البيغاء وقال لهم " إذا أخطأتم وذهبتم خارج القصر أثناء غيابي لن أعفو عنكم ، وإذا أردتم فعل أمر لم أصرح لكم به ، فلتأتوا وتستشيروا هذا البيغاء وما يقوله لكم حتى لو رأيتم أنه خطأ فافعلوه " .

انفجر الخدم في البكاء وهم يقولون " سمعا وطاعة " ، وستبع أوامرك . التفت الأمير إلى البيغاء وقال " وأنت هذه أمانة ، إذا خنت أمانتي ، سيكون حسبي الله " قال البيغاء " وهو كذلك ، أطل الله حياتك ، إن شاء الله يحدث كل ما تريد . "

قال الأمير " حسنا ، الحمد لله " ، وهم بالقيام ، ولكنه استدرك قائلاً " لقد رأيت بالأمس بيغاءة فاشتريتها لأزوجكها ، لتكون لك أنيسة " ، وبعث من يحضرها وجمعهما معا ، فشكره البيغاء واستأذنوا من الأمير .

وحان الضحى ودقت طبول الرحيل ، ولما اعتلى الأمير صهوة جواده جاء الوزير وقال له " نصرك الله ، هل نسيت ؟ لقد وعدت أن تشرك محمود في كل حرب تقع . "

تضايق الأمير ، فهو حزين لفراق أسرته ، ثم يسمع هذا الكلام الذي لا فائدة منه ، طلب الأمير محمود وقال له " ها الجواد إركب لتذهب معنا . "

فهباً محمود الحصان وركبه .

قال موسى " سأذهب معكم "

قال الأمير " لن تذهب معنا " ، فانفجر موسى في البكاء وقال " إنه لا يريد فراق محمود ، فزجره الأمير ... وعاد إلى قصره ، واستدعى رئيس القصر والخدم الذين تركهم للحراسة ، وقال لهم " انتبهوا ولا تدعوا موسى يطل برأسه خارج القصر ، وإذا أصابه مكروه سأذبحكم . " فدخلوا به ، وذهب الجنود وتجمعوا حيث يلتقون بالأمير سيناري .

عندما شعر الوزير انه فرق بين موسى ومحمود ، وأن الأمير غادر البلاد ، عاد إلى منزله مسرورا ، وأخذ يفكر فيما يفعله ليهلك موسى قبل أن يعود الأمير ، لأنه إذا وجد

الفرصة للقضاء على موسى يصير الأمر إليه فيما بعد ، سواء انتصر الأمير أو هزم ، فإذا انتصر الأمير سينارى سيتحقق أمله ، وإذا انتصر الأمير عبد الرحمن فستنتقل السلطة إليه إن عاجلا وإن آجلا ، لأنه سيكون الوريث .

عندما انقشع غبار الخيل الراحلة ، نادى أربعة من عتاة خدمه المخلصين وقال لهم أنه فى حاجة إليهم ، وكل من أطاع أمره سيحرره .

قال الخدم فى وقت واحد ، " مُرنا وستجدنا قد وفينا الأمر . "

قال الوزير " أريد أن تقتلوا موسى ، بعد أن أغلق عليه قصر الأمير وكلف كل الخدم بحراسته . "

قال هؤلاء الخدم " إذا كان الأمر كذلك ، فماذا نفعل لنقتله ؟ . "

قال الوزير " استمعوا لى جيدا ، إن العمل الذى نريده لا يحتاج إلى ثروة ، الآن كل قلبه معلق بمحمود ، وأشعر أنه إذا هدا الليل ونام الجميع سيخرج متسللا ليلحق به ، عليكم أن تبحثوا عن جوال ، وإذا أقبل الليل تذهبون إلى قصر الأمير ، وتبحثون عن مكان تختبئون فيه . وعندما ترونه أمسكوه ، وأغلقوا فمه وضعوه داخل الجوال ، واذهبوا به إلى النهر وألقوه فيه . "

قال الخدم " وهو كذلك . "

قضى موسى هذه الليلة صامتا ، فظن الناس أنه يفكر فى أبيه ، لذلك لم يهتموا بأمره ، وعندما أقبل المغرب ، أغلق رئيس الحرس الأبواب كلها ، وسلم المفتاح لموسى من النافذة ، كما أمره الأمير أن يفعل كل يوم . ، وعاد إلى الدهليز حيث يسمر الخدم حتى اقترب الصباح وغلبهم النوم ، كل هذا وموسى لم ينام ، ينتظر أن ينام الحراس ، ليذهب ويطلب من البيغاء أن يتركه ليلحق بمحمود .

عندما شعر أنهم ناموا ، استعد ، وأخذ المفتاح ، ولبس لباس الحرب ، وأخذ الدرع والسهم ، وقصد البيغاء ، فوجد البيغاء الذكر صاحب الكلام الساحر الذى اشتراه الأمير نائما ، فقال " طالما أن هذا البيغاء قد نام فلاطلب من زوجته ، فالرجل وزوجته سواء ، ووقف أمام زوجة البيغاء وقال " جئت لأقول لكما كى تعوفا ، سأخرج وراء محمود ، وما يصبه يصبنى معه " .

فلما سمعت البيغاء هذا أصابتها هزة وقالت " لا يمكن هذا كيف يتركك الأمير لدينا أمانة ثم نخونها ؟ . "

عندما سمع موسى ذلك غضب ونهر البيغاء وقال " حتى أنت أيها الطائر الصغير تمنعيني من الخروج واللحاق بأخي ، أنت لا تستطيعين ذلك ثم أمسكها ولوى عنقها ، وألقاها على الأرض ، وأثناء إلقائها استيقظ البيغاء ، فالتفت موسى إليه ، وقال . . وأنت الآخر ماذا تقول ؟ ، لقد جئت لأقول لك : إننى سألحق بمحمود الآن . "

سمع البيغاء ذلك ، فنظر إلى زوجته ورأى ما حدث لها ، لقد حملة الأمير أمانة الغلام ، فإذا تركه يخرج ، يكون قد خان الأمانة ، وإذا منع الغلام من الخروج فسيحدث له ما حدث لزوجته . وأخذ يفكر فيما يخلصه من هذا الموقف ، فقال موسى " لم أسمعك تقول شيئا ، ترى هل تمنعنى أنت أيضا ، كما منعنى زوجتك ؟ . "

رفع البيغاء جناحيه وطأ رأسه وقال " أمر عجيب أن تستشير المرأة فى هذا الأمر ، مثل هذا الأمر يكون بيننا نحن الرجال ، ولكنه تفكير النساء ، هل يقول الأخ أنه سيلحق بأخيه ثم نمنعه ؟ اذهب بسرعة ولا تخف شيئا . " لاشك أنك ولد طيب طالما أنك لا تخالف ما أمرك به أبوك إذ قال لك أن تستشيرنى فى كل ما تفعل . أنت تعرف أننى لا أساوى شيئا ، ولكن اذهب طالما أنك تفى بوعدك لوالدك ، كل ما هو مطلوب أن يطيع الابن الطيب أمر والديه ، ومعلميه ، الشبل الصغير الذى اتبع اخلاق أبناء هذا الزمان ، ورفض أن يطيع كلام من هو أكبر منه ، وقد عرفت كيف كانت نهايته "

قال موسى « الشبل الصغير ١١٢٢ ، أى كلام رفض طاعته ؟

هل تتكلم الحيوانات هى الأخرى ؟

قال البيغاء " إنهم يتكلمون مثلنا ، دعنى ، أقص لك ما حدث "

قصة الفلاني والشبل .

ذات يوم اجتمعت حيوانات الغابة يتشاورون فى الحيلة التى يعملونها ليتجنبوا مضايقات بنى آدم ، ويتخلصوا من شراكه ، وأخذ كل واحد يذكر حيلته فيرفضها الآخرون ، حيثئذ قال الثعلب " الأفضل أن نقيم مدرسة هنا فى الغابة ، ونحن الذين قاسينا من بنى آدم وعانينا من مكره ، نعلم أبناءنا حيلة " ، فوافقت باقى الحيوانات .

فقال الذئب " حسنا ، من الذى سيعلم ، تعرفون أن هذا عملنا . "

قال الأسد " حسنا ، قل لنا ما هى الحيل التى تقوم بها لتخلص من بنى آدم ، لنعرفها ، إذا كان أسلوبك مفيدا اتبعناه . "

قال الذئب " لا توجد حيلة تخلصنا من بنى آدم ، إلا أن تفتح فمك وتهجم عليه إذا اشتد عليك الأمر ، وإذا تعذر عليك الأمر اهرب واتج بنفسك . "

قال الأرنب " لعن الله هذه الحيلة ، إذا كانت لديك القوة للهجوم عليهم ، فهل لدينا هذه القوة ، ونظر إلى الأسد وقال . " نصر الله الملك ، لا يوجد سوى حيلة واحدة ، إذا وجد كل منا جحرا فى الأرض وعمل له عشرة أبواب بعيدة عن بعضها ، فإذا دخل له من أحدها خرج من الآخر ، إذا تهدم واحد خرج من غيره . . . "

نظرت البقرة الوحشية إلى الأرنب وابتسمت قائلة " هذا فقط ؟ . . الصغير صغير ، تتحدث عن بناء جحر ، أنا بجسمى الضخم أين الجحر الذى أستطيع أن أدخل فيه ؟ . "

قال الثعلب " قل هل تستطيع الدخول ، إذا تقابلتم فى المرعى ؟ أم تترك الطعام من شدة الخوف . "

قال الأرنب " هذا سهل بالنسبة له ، إذا تقابلتم سيجعل كلابه يطاردونك فتجربى أمامه وتشير الغبار وتعود للوراء ، وتبحث عن عش للنمل الكبير وتختفى فيه ، وتبعد عنه . "

هذا الكلام الذى قاله الأرنب أغضب الجميع ، حتى قام الفيل وكاد يطأه بقدمه ،

دون أن يشعر ، ونهرته قائلة " أنت غبي ، إذا كنت تستطيع الاختباء فى عش الجراد ، فماذا تفعل نحن ؟ ، أنت الكلاب تضايقت ما هى الكلاب ؟ إذا قيست بالأشياء المخيفة ، هل الكلاب مخيفة ؟ هذا ليس من إخوتنا ، الطمع جعله ينضم إلى بنى آدم ، وقبل أن يحتقروه ، كأنه ابن حرام ، وأنت أيها الأرنب ألا تدرك ما تقول . "

أخذ كل يعرض حيلته ليقبلوه معلما للغابة ، ولكن إذا درس الآخرون الحيلة رفضوها ، حتى عجزوا ، وهنا قفز الثعلب أمام كبير الغابة وقال " حفظك الله من شر الناس ، سأقوم أنا بالتعليم ، لأنى عرفت مكر الناس كلهم ، فلا توجد حيلة لم أعرفها . "

قال الذئب " لم نسألك لتقول هذا الكلام الكثير ، قل خطتك التى ستعملها لنسمعها وتنقذ رأسك من الهلاك إذا وافقنا . "

نظر الثعلب إلى الأسد وقال " رفع الله شأنك " لقد عرفت أن الصراخ من الأشياء التى تكشفنا أمام الناس ، لذلك إذا صرخت جهة الشرق أسرع بالذهاب إلى جهة الغرب ، وإذا صرخت جهة الغرب أبادر بالذهاب تجاه الجنوب ، ولا انتظر أبدا فى المكان الذى سمعنى أصرخ فيه ، حتى لا يتبعنى . "

هز الأسد رأسه وقال " إن لديك فى هذا الأمر حيلة ، ولكن ماذا تفعل لو نمت ؟ . أم ستظل مستيقظا تذهب هنا وهناك . "

قال الثعلب " نصر الله كبير الغابة ، أنا لا أنام إلا وسط الأشجار الضخمة ، وإذا سقط على شىء صغير حتى ولو كانت جرادة استيقظ مسرعا ، وإذا رأيت الصوت توقف أتوقف ، وإن لم يدلنى قلبى على الخطر أجرى . "

قال الأسد " حيلتك مفيدة . "

قال الذئب " ياكبير الغابة إن الناس ، يضايقوننا فى مورد الماء ، إذا كانت هذه حيلته فى الخلاء ، فماذا تفعل عند مورد الماء ؟ . "

قال الثعلب " أنا لا أشرب الماء كما تشربون ، إذا شعرت بالعطش ذهبت إلى مجرى الماء ، وغمست ذيلى فيه . ، وإذا خرجت امتصه ، ثم أعود وأكرر ذلك حتى أرتوى ،

ولا أرى لأنى أخفى رأسى ، أما هذا الأسلوب الذى تشربون به لا يخلصكم ، فإذا تسلل أحد من خلفكم وقعت الكارثة . "

سمع النمر ذلك فقال " الناس لا يتفوقون علينا هنا ، ولكن الشيء الذى لا نعرفه هو نصب الشراك . "

قال الثعلب " ما أخفيه فى نفسى ، هو أنه كلما رأيت أغصان الشجر متشابكة ، ولا أثر للأوراق ، ولا جذور تحتها ، أغير طريقى ، لأنى أعرف أن الأشجار لا تنمو إلا بالجذور ، والأوراق حتى لو جفت يبدو الدليل على وجودها . وإذا كنت اسير ورأيت طعامى فى مكان لا يتواجد فيه عادة ، أبتعد عنه حتى لو كنت اشتيه . "

قال الأسد بعد أن استمع للحيوانات " لا يصلح لهذا العمل إلا الثعلب نحن موافقون أن تكون معلم حيوانات الغابة " ، وجمعوا أولادهم فى المدرسة ، وأخذ الثعلب يعلمهم أساليب المكر ، وكان كلما جاء موعد الدرس يعلمهم الحيل التى يقومون بها للتخلص من الناس ، وذات يوم قام أسد صغير متمرد وقال " من أجل هذا الإنسان ، المخلوق البسيط ، أضيع وقتى لسماع قصص مكره وخداعه 1199 . "

وإذا حاول الثعلب أن يهدىء من غضبه ليتوقف إرداد تمردا ، ثم قال " إذا كان على الإنسان إن شاء الله عندما أقابله ، سأتعبه ، وإذا لقيته سأمزق بطنه ، وأكسر عظامه ، والتهم لحمه ، وأشرب دمه ، كى أشفى غليلى . "

ومرت الأيام ، وبينما كان هذا الشبل يتجول هو والزرافه ، رأيا من بعيد أحد الفلاتا ، قادما بالسياط وكثير من الحبال ، وهجر إخوته ، وتركهم وراءه وأسرع وسبقهم حتى وصل المهجر ، فأخذ يبحث عن مكان لينى فيه كوخا ، وبينما كان يسير منشدا بعض الأناشيد بالفلاتا ، ويستباهى بنفسه كالمجنون . . . ، وأنه الزرافة تذكرت الدرس الذى تعلمته من الثعلب وأدركت أن هذا هو الإنسان ، لذلك جرت ودخلت الغابة ، أما الأسد الصغير فقد وقف يتعجب من هذا المخلوق الغريب الذى لم يره من قبل .

ولما اقترب الفلاتى قال له الأسد الصغير " أنت ، قف ، أنت من تكون فى حيوانات الغابة ؟ لم أرك منذ شبيت عن الطوق ، ولماذا لم تأت إلى الحاشية لأداء التحية ؟ . "

وضع الفلاتى متاعه ، وركع أمام الأسد ، وقال " أنا قودجى - اخترع اسم حيوان - لم ترنى بين حيوانات الحاشية لأنى خجول ، وكل حيوان له أربعة أرجل ، أما أنا فلى اثنان فقط وكل له ذيل وليس عندى ذيل ، وشعركم كثير وليس لى شعر مطلقا ، كمن خرج من النار فاحترق شعره . "

قال الأسد الصغير " حسنا ، أين ستذهب بهذه الأخشاب ؟ .

قال الفلاتى " دعانى الذئب لأصنع له بيتا ، لأنه يخاف من الانسان "

قال الأسد الصغير " بالله عليك أخبرنى أين أذهب الآن لأرى هذا الانسان ؟ إننى تعبت من البحث عنه ، لم أره منذ مدة طويلة "

ركع الفلاتى وقال " أطل الله عمرك ، رويدا رويدا تراه ، ولكنه يخاف من لقائكم ، لا تضع وقتى ، إننى متعجل لأبنى بيت الذئب ، ولولا الخوف من الإنسان لفضلت البقاء فى البيت ، لقد اشتدت حرارة الشمس ، ليس افضل من الاقامة فى المنزل "

قال الأسد الصغير " انتظر لتبنى لى بيتا ، ثم اذهب لبناء بيت الذئب . "

قال الفلاتى " أطل الله عمرك ، ليس لدى فرصة طالما أنى وعدت الذئب أن أبنى له بيتا ، الحر لا يخلف وعده ، إذا بنيت له سأعود لأبنى لك ، لأن مصلحتى عندكم . "

قال الأسد الصغير " كلام فارغ ، من هو الذئب حتى تقول أنك ستبنى له البيت أولا ثم تعود لتبنى لى ؟ ثم هجم على الفلاتى ليمزق سترته .

نظر الفلاتى إلى سترته فرأها قد تمزقت ثلاث قطع ، فكظم غيظه ، وقال " طالما أنك تريد .. ياكبير الغابة فسأنتظر لأبنى ما تريد . "

قال الأسد الصغير " لا بد أن تفعل ذلك ، من لا يسمع الكلام لا بد أن يفشل كما قالت أمى . "

جلس الفلاتى ليستعد لبناء البيت ، فأقام قمة البيت القوية ، فى وسط بعض الأشجار ، ثم أحضر كثيرا من العشب والحطب وجمعها ، ووضعها فى جانب واحد ، كمن سيوقد النار أسفل القدر ، ولما انتهى من تجميع كل ذلك ، أخذ يلقيها فوق قمة البيت ، وترك منفذا ضيقا ليدخل منه الأسد ، وعندما انتهى ركع أمام الأسد ، وطلب منه دخول البيت ، قائلا " أدخل لأرى ما إذا كان مناسبا لجسمك . "

دخل الأسد الصغير البيت ، فأغلق الفلاتا الباب بسرعة وأحضر الثقاب وأشعل النار فى الحطب الذى يحيط بالبيت ، وعندما شبت النار وتصاعد الدخان ، عجز الأسد الصغير عن التنفس ، فحاول الخروج ولكنه لم يتمكن ، ولما شعر بالاختناق أخذ يزار ويقول " أيها الحيوان ، هذه الحجرة ضيقة ، ولا يمكن استنشاق الهواء بداخلها ، أخرجنى . "

قال الفلاتى : " ماذا تقول ، أرفع صوتك لأسمع ؟ ، لقد تأخرت . . . انا الانسان الذى ترجو لقاءه ، لقد التقيت به ، قبل أن تتباهى بنفسك ، كان عليك أن تسأل والديك وتعرف مدى ما يقاسون منا . "

عندما أحس الأسد الصغير بالنار تقترب منه أخذ يصيح قائلاً : " تبت ، بالله أخرجنى . "

قال الفلاتى . " ويحك ، اصبر ، جف القلم . " والتهمت النار الأسد الصغير تماماً ، وواصل الفلاتى السير فى طريقه .

كل من يحتقر كلام من هو اكبر منه ، يفعل ما يشاء ، ولا يلومن إلا نفسه .

قال موسى " ماذا أسمع الآن ، إنه كأذان الصلاة ؟ . "

أنصت البيغاء وقال " إنه الأذان ، هذا الأذان جاء مسرعاً ، لقد حان وقت الصلاة . "

قام موسى ودخل القصر ولم يقل شيئاً ، لأنه أدرك أن كل الخدم قد استيقظوا ، ولا فرصة للخروج . . . "

قضى موسى هذا اليوم وهو يعرض أنامله ، لأنه لم يجد فرصة للخروج . حتى أقبل الليل ، فجلس ينتظر أن ينام الخدم ، فلم يناموا إلا فى الصباح ، ولما أحس أنهم ناموا ، وأخذوا يغطون فى النوم ، قام وذهب إلى البيغاء ليطلب منه الإذن بالخروج .

قال البيغاء " أطال الله عمرك ، من أنا حتى أمنعك من الخروج ، كل ما أرجوه لكل المسلمين ، هو الأخوة ، ولكن عليك أن تسرع فقد طلع الفجر .

تلقت موسى ليخرج فقال البيغاء " أطال الله عمرك ، خذ المصباح ، لقد سمعتهم أمس يطاردون بعض اللصوص عند منزل كاكاكى ، لقد سمعت الحراس يقولون كل من يخرج بلا مصباح سنقبض عليه . "

قال موسى " كيف هذا ، لم أسمع أى صراخ ، كما أنى لم أتم ؟ "

قال البيغاء " لم تكن متنبهاً معنا ، عندما كنت تضحك ، دخل أحد اللصوص منزل كاكاكى ، وفرش بطانية ، وأخذ يستعد لربط ما سرقه ، فدخل الحجرة لص آخر ، ولم يعرف أن لصاً قد سبقه ، وعندما دخل ظن اللص الأول أنه صاحب البيت ، لذلك خرج من البيت مسرعاً ، أما الآخر الذى جاء بعد ذلك ، عندما شعر أنهم قصدوا مكانه ظن

انهم يتبعونه ، فخرج هو الآخر جريا ، شر يطارده شرآ ، وأخذ الحراس يطاردون
اللصوص من مزرعه مداكى ، نائب السلطان "

قال موسى " هل حدثت سرقتان أمس بعد أن علموا أن الأمير غائب ؟؟ . "

قال البيغاء : " لا.. هذا شيء مختلف . "

عبث بطارد عبثاً Banza Ta Kori Wufi

فى سنة من السنين اشتد الجوع فى إحدى البلاد ، حتى صار الطعام لا يناله إلا الأثرياء ، وليس لدى الفقراء والمساكين سوى الكسافا ، وهذا الطعام لا يغنى من جوع ، لذلك دأب الذين لا يجدون حتى الكسافا على أن يقوموا بسرقة المزارع إذا انتصف الليل .

وفى هذه الظروف اتفق ثلاثة ممن لا يجدون الكسافا على سرقة مزرعة مساعد الحاكم Madaki ، فأعدوا السلال ، ولما انتصف الليل قصدوا المزرعة ، أحدهم كان يسمى "قودوجو" والثانى "كَطَنُ" Kadan والثالث اسمه "كزنزى" Kazunzumi فلما دخلوا همسوا فى آذان بعضهم قائلين "الأفضل أن نأكل فى المزرعة ، حتى نشبع ، ثم نجمع الكسافا ونذهب بها فى اليوم التالى إلى السوق لبيعها ، فجمعوها وانتحوا جانباً يأكلون ، ونظر قودوجو إلى رفيقيه وقال 'عجباً ، كسافة هذا الرجل حلوة' .

وقال كطن "ويحك ، الحلاوة ليست مهمة ، المهم أن الطعم كالسكر" .

قال كزنزى "اللهم افتح لنا أبواب الرزق" .

وأخذوا يتهايمسون وقتاً طويلاً ، وكأنهم يجلسون فى بيوتهم ، ولما شبعوا ملأوا السلال وحملوها .

من المعروف أنه إذا انتصف الليل يسمع الكلام من بعيد حتى لو كان همساً لذلك سمعهم بعض الحراس ، فتسللوا وقصدوهم صائحين " لا تدعهم يفرون ، اتبعهم ، اطلق النار على كل من تراه واقتله " ، ثم أطلقوا السهام والحراش التى نزلت كالطرر .

كان هؤلاء الحراس من القرويين الأغنياء حديثى العهد بعمل الحراسة عندما تعرف كيف هجموا على اللصوص بجنون هكذا ، تعرف أنهم أشبه بالجانين الذين نشأوا بالقرى ، فهم حراس أمناء . نصرك الله ، تسللوا حتى يقبضوا عليهم بأيديهم ، ولكنهم لم يتمكنوا من ذلك وهكذا انتهى الأمر .

عندما أحس اللصوص بذلك جمعوا ما معهم وهربوا ، وجرى خلفهم الحراس وهم

يقولون " لا تدعهم يهربون " ولأن الظلام كان شديداً لم ير أحد أحداً، ومع ذلك أصروا على اللحاق بهم، ولكنهم فروا وكأنهم يفرون من الموت .

وأثناء الجري قال قودجو للآخرين بصوت خافت " لقد تعبنا ، يجب أن نرمى هذه السلال التي في أيدينا وننجو بأنفسنا .

قال كطن " هذا ما كنت أود أن أقوله لكما " .

عندما سمع كزنزى ذلك قال " لاتخافوا بسرعة واصبروا قليلاً ، واسمعوا حيلتى " . ثم سقط على الأرض قائلاً " يا إلهى لقد قتلنى ، هذه الحربة التى قلت أنها أصابتنى ، بدأ سمها يسرى ، ارحمونى يا إخوتى ، وأنقذوا حياتى " ثم همس للآخرين بما يقولونه " . فقالوا " قم بالله نصل إلى المنزل ، ربما وجدنا دواء إذا شربته تنقياً " .

قال كزنزى " أنا حياتى انتهت ، كيف أقوم؟ " .

قال قودجو " تسللوا ، إذا مت ، لابد أن نذهب بهم إلى قصر الأمير ، ونقول له أنهم قتلوك لأننا كنا نبحث عن جذور الكسافا لنأكلها حتى لا نموت جوعاً . "

ترنح كزنزى وقال " هيا نذهب ونقول له إذا استطعت . "

قال اللصوص ذلك ، وأخذوا يرددونه ، وعندما سمع الحراس نظر أحدهما إلى رفيقه وقال " هل سمعت ما يقولون؟! " .

قال زميله " نعم سمعت " ونظر إلى الثالث وقال " سمعت ما يقولون؟ .

قال الثالث " سمعت يستحقون كل ما أصابهم ، ولنسرع خلفهم لعلهم يرمون ما سرقوه ، فنراه ثم واصلوا الجرى وراءهم .

عندما شعر كزنزى أنهم يطاردونهم ، وقع مرة أخرى وقال " يا إلهى . . رأسى!! ، لقد قلت لكم أسرعوا واحملونى إلى المنزل ، لعلى أجد من يرعانى ، حتى لا تنتفخ بطنى فى الصباح ، ولكنى أشعر أن السم بدأ يضعفنى حاولوا أن تسرعوا ، وصبروا أولادى . وأخبروهم أن كل حى سيموت " .

عندما سمع الحراس ذلك أنصتوا ، فأخذ يكرر الكلام ويقول " اهتموا بوصيتى التى سأقولها ، واشهدوا أننى وهبت ثلاثين شلناً من مالى والذى تركته صدقة ، وأترك لكم أولادى أمانة ، ارعوهم جيداً حتى لا يضلوا ، لقد انتهت حياتى . . " ونطق الشهادة ، وعندما سمع الحراس ذلك أخذ كل منهم ينظر للآخر .

أخذ كل من قودجو وكطن يقلب كفيه ويقول " لا تظن أنك ستموت ميتة الكلب ، كما قتلوك ، كل من رماك بسهم سيقتله الأمير ، عندما يطلع النهار، لقد قالوا لهم أن يقبضوا على اللصوص، ولم يقولوا اقتلوهم، سنتظر إذا كان سيقتلك، يقتلنا معك، طالما أنهم سيفرقون بيننا وبين أحيينا، لا بد أنهم سيقتلونهم إذا قتلونا لأننا مسلمون ولسنا كفاراً.. " .

عندما سمع الحراس ذلك، ظنوا أنهم قتلوا هذا الرجل، لذلك أخذوا يفكرون في الفرار، حتى لا يراهم أحد، واخذوا يفكرون في المكان الذى سيفرون إليه، سمعوا اللص الراقد بدأ حشرجة الموت، ثم تجشأ بقوة وسكت ، .. وقال باقى اللصوص لا حول ولا قوة إلا بالله لقد مات " .

عندما سمع الحراس لم يتوقفوا لاستكمال مشاوراتهم ، وأخذ كل منهم يفرهارياً، ولما شعر كزنزى أن الحراس قد فروا ، قام وواصل السير وتبعه الآخرون حتى المنزل ..

عندما وصلوا المنزل وجدوا ماءً بارداً فشربوا كثيراً .. لقد قلت لك أنهم أكلوا كثيراً من الكسافا غير الناضجة، وما أدراك ما الأكل الحرام، عندما شربوا الماء أخذت الكسافا تنتفخ وهم يلتوون من شدة المغص ويتنفسون بصعوبة وراد انتفاخ بطونهم قبل صلاة الصبح وقد غرقوا فى التقيؤ والإسهال ولم تطلع عليهم الشمس إلا وقد فارقوا الحياة.

وفى الصباح وجدوا بطن كل واحد منهم قد انتفخ وصار كالقربة وهو غارق فى القيء والإسهال والكسافا تخرج من أنوفهم، وفى الركن تركوا السلال المملوءة بالكسافا غير الناضجة ، فتأكد الناس أن هذه الكسافا هى التى أهلكتهم ،أخذ الناس يكون ، وأقاموا لهم الجنائز ، وانتهى الأمر.

هذه المدينة كانت كبيرة ولم يعرف هؤلاء الحراس ما حدث ، وعندما التقوا فى الضحى ، قال أحدهم للآخر "تظنون من الذى أصاب هذا الرجل أمس؟ ، إنى متأكد أنى لست مذنباً" .

قال الثانى "ولا أنا فقد كنت أسير وراءكم " .

قال الثالث وهو ينظر إلى الأول "إذا كنتم توجهون إلى الإتهام، فأنتم الذين أمرتم أن اطلق النار" .

قال الأول "نعم حقاً ولكن أنت تعرف ما كنا نقصده، أنت أطلقت النار، وتجاوزت رأسه ، ولم تصبه " .

قال الثالث "أظن أنني أطلقتها في الهواء ، وأتعجب كيف أصابته ، ولكن القدر وقع ، وانتهى الأجل " .

قال الآخرون " حقاً ، يجب أن نسكت تماماً ، حتى لا نكشف أنفسنا " ومنذ هذا اليوم كلما التقى اثنان منهما ، يتحدثان في هذا الأمر ، ويحاولان الصاق التهمة في الثالث . . واستمروا على هذه الحال حتى النهاية ، وهم يظنون أن الناس إن لم يعرفوهم اليوم فسيعرفونهم غداً . ولم يسمعوا أى كلام في هذا الموضوع ، ويريدون أن يسألوا ، ولكنهم يخشون أن يكشفهم السؤال أمام الناس .

قال موسى " هؤلاء الحراس كانوا في غاية الغباء " .

قال البيغاء " هم أعقل من الهوساوى الذى خرج للصيد في بلاد اليوروبا .

قال موسى " هل فاق هؤلاء غباء " ؟ ويحك من يفوقهم غباءً يجب أن يقتل " .

قال البيغاء : هيا نسمع قصته " .

الأبله والغبي

فى يوم من الأيام خرج رجل هوساوى للصيد يسمى Wawa الغبى، واتجه إلى بلاد اليوروبا، ولم يكن يعرف لغة اليوروبا، وقابل بعض الناس فى المدينة مما لا يعرفون الهوسا ولكن لم يهتم واوا بهذا الأمر وأثناء السير وصل إلى باب المدينة، فرأى قطيعاً ضخماً من الأبقار البيضاء ترعى، تعجب واوا وقال فى نفسه إن من يملك هذا القطيع لابد أن يكون ثرياً وسأل رجلاً عند البوابة وقال له : لمن هذا القطيع؟.

فرد عليه الرجل بلغة السيوروبا قائلاً " لا أفهم " ، سمع واوا الغبى ذلك فظن أن مالك القطيع يسمى - لا أفهم - لذلك قال - لا أفهم هذا لابد أن يكون رجلاً ثرياً " ومضى فى طريقه حتى دخل المدينة، فرأى قصرأ فرفع رأسه ، ورأى أن هذا القصر كبير ، فقال لصبى على باب القصر " بالله أيها الصبى لمن هذا القصر الكبير؟ " .

كان الصبى لا يعرف لغة الهوسا فقال بلغته - اليوروبا " لا أفهم " عندما سمع واوا الغبى ذلك قال عجباً " لابد أن - لا أفهم - هذا لا يفوقه أحد فى الثراء فى هذه المدينة ، هذا القصر الكبير كأنه قصر أمير، إذا رأيت هذا القصر - حتى إذا لم يخبرك أحد - تعرف أنه قائم على كثير من المال ولبس حذاءه ومضى، حتى وصل إلى شاطئ نهر المدينة، عندما وصل وجد مركباً كبيراً مقبلاً عليه، وأخذ العمال يخرجون البضاعة منه، نظر واوا الغبى إلى البضاعة وقال " هذه المركب تحمل بضاعة كثيرة " ونظر إلى شخص بجواره وقال له " يا أخى كل هذه البضاعة لرجل واحدا؟!

ولكن اليوروباوى لم يفهم ما يقول فنظر إليه وقال " لا أفهم " عندما سمع واوا ذلك تعجب وقال " أهل المدينة أغنياء حقيقة، - لا أفهم - هذا نال ما يتمنى " متى يشاء الله والتقى بهذا الرجل ، لأمته عيني بجماله وزينته " . ثم جلس يستريح ، فطلب ماء وشرب ثم اتخذ طريقه وسار حتى وصل إلى باب أحد القصور ، فرأى ميتاً ، حمله الناس ليدفنه وهم يبكون، فوقف واوا ينظر إليهم وأخذته الشفقة واقترب من امرأة عجوز وقال لها " من هذا الذى سبقنا إلى دار الحق؟!

كانت العجور لا تعرف لغة الهوسا ، فنظرت إليه وقالت " لا أفهم " فلما سمع واوا ذلك أمسك رأسه بيديه وقال " الله أكبر ، اعلم أن كل ما فى هذه الحياة الدنيا إلى فناء ، لقد وقع فى مصيبة ، بالله عليك انظر ما جمع - لا أفهم - وصار الآن خبرا يروى كأنه لم يكن مخلوقاً فى الحياة الدنيا ، انظر ماذا أخذ معه من كل ما جمع طالما الأمر كذلك ماذا يجبرنى الآن ويجعلنى أمجر منزلى ولا اقتنع؟؟ ها هو الله لم يحرمنى الطعام ، لا يخرجنى من منزلى إلا التباهى والعصيان ، اللهم احفظنا من عمل الشيطان ، أحمد الله الذى جاء بى إلى هنا لأتعظ مما حدث للا أفهم ، - والأفضل أن أعود لبلدى وأصبر على مزرعتى الصغيرة التى وهبها الله " .

قام موسى وفتح الدهليز الأول فشعر أن الخدم مستيقظون . فتسلل وعاد .

عندما رأى الوزير أنه مر يومان ، وكل صباح يعود الخدم الذين أمرهم ، يقولون لم يستطع أحد أن يطل برأسه داخل الدهليز حتى يثسوا قال " لا " لقد كنت أظن أنه سيخرج ، كيف لم يحدث هذا ؟! ولكن لا بأس ، لا تفسدوا أعمالكم ، عندى حيلة ونادى خادمته العجور وشرح لها ما يريد أن تفعله فى موسى ، وقال لها ، إذا نجحت فى مساعدته وجعلت موسى يخرج سيعطيها عشرة جنيهاً ويحررها . وجاء بعشرة شلنات وقدمها لها ، فالتهمتها .

قالت العجور " أمر سهل " وجاء المغرب فدخلت قصر الأمير ببعض السلع لتبيعها ، وترقبت عيون الناس ، وأشارت لموسى سراً وقالت " بعثنى محمود لأقول لك هل تقبل أن تفضل وتمكث مع النساء؟ ، وطلب منى أن أقول لك الدنيا لا تحب الجبان " .

اقترب موسى من العجور وقال لها " بالله يا أمى ، هل هو هناك يحارب؟ .

قالت العجور " ويحك لا يوجد فى معسكره من لا يتحدث عن محمود ، لقد كنت فى المعسكر ، أطهى لهم الطعام ، وأرسلنى محمود إليك " .

فقال " عودى وقولى له : غدا بإذن الله سيرانى " وعادت العجور .

وعندما أقبل الليل ، وأحس موسى أن النوم تغلب على الخدم دخل ولبس لباس الحرب ، وجاء إلى البيغاء ، وقال له " سمعت أن محمود هناك فى ميدان القتال ، يقوم بأعمال مجيدة وأنت تريد أن تفسدنى هنا ببقائى مع النساء " .

قال البيغاء "أطال الله حياتك، وما شأنى؟ لم أمنعك، كيف يقول فارس مثلك أنه ذاهب للقتال وأمنعه؟ طالما نيتك أن تفعل ما يسر قلب والدك، كل خطر يصيبك ينجيك الله منه، كما نجى "أوتو" Autu ابن رئيس المزرعة من الحيوانات المفترسة".

قال موسى "وما هى المشكلة التى أوقعته فى أيدى حيوانات الغابة." أخذ البيغاء يقول:

قصة أوتو ابن رئيس المزرعة والحيوانات المفترسة

فى يوم من الأيام كان لمزارع ابن يدعى أوتو Auto، كان يذهب كل يوم إلى الغابة ويصطاد لهم ما يصنعون به الحساء، فيوما يصطاد أرنباً ويوماً آخر يصطاد غزالاً أو أى حيوان ، وذات يوم لم يجد شيئاً فغضب أبوه حتى ضربه .

واستمر على هذه الحال حتى تعبت حيوانات الغابة من كثرة القتل، فرفعوا شكوى إلى الأسد - ملكهم - ، فقال "ماذا نفعل؟ أنتم تعلمون أننا لا نخشى إلا الله والإنسان".

قال الذئب "أطال الله عمرك ، لا توجد حيلة إلا أن نحاول أن نأتيك بهذا الغلام ، وتعمل ما تراه مناسباً معه".

قال باقى الحيوانات "وهو كذلك" ، ما قاله الذئب حقاً واستأذنوا من الأسد وانصرفوا.

وذات يوم كان الغلام يتجول للصيد ، فتقابل مع الثعلب ، فسحب القوس ليومه فقال الثعلب "انتظر ، هل تريد طعاماً؟ تعال لأوصلك إلى حيث ترتاح من التعب".

ظن أوتو أنه صادق فى قوله، وتبعه ، وسارا حتى وصلا إلى كهف كبير، حيث يمتد الملك الأسد ، وقبل دخولهما طلب الثعلب من الصبي أن يترك قوسه خارج الكهف، حتى لا يظن أنه صياد ، ودخلا ، فوجدا الأسد جالساً وتحيط به كل حيوانات الغابة وهم يسمرون. ركع الثعلب وأدى التحية فنظر الذئب إلى الغلام وقال "وأنت لماذا لا تحبى الملك؟"

قال أوتو "هل هذا ما يضايقكم؟"

رد الذئب قائلاً "انه الأصلح ذات الرأس التى تشبه جورة الهند المتحجرة"

قال الأسد لأوتو "أيها الشاب لماذا تقتل إخوتنا؟".

وقبل أن يرد على سؤال الأسد ، قال الذئب "أطال الله عمرك، يحسنقنا أنظر إلى جسمه ، ابن حرام ، وغد".

ركع أوتو وقال "أطال الله عمرك ، هل أنت الملك ، أم الذئب؟".

عندما سمع الأسد ذلك غضب من الذئب، وقال " لا أريد أن أسمعك تتكلم مرة أخرى هنا، أكمل كلامك أيها الشاب. "

ركع أوتو مرة أخرى وقال " كبار شيوخننا طلبوا أن أتى وأستمر فى قتلكم لترى إذا كان ما يقوله الذئب عنكم حقيقة أم كذبا؟! "

قال الأسد " وماذا يقول الذئب عن أخبارنا؟! "

قال أوتو " نريد أن نتخذ لنا ملكاً من الناس لأنه لا أسنان له، ونعينك ملكاً على الحيوانات كلها، ونتحد وراءك ، ونفعل كل ما تأمرنا به، ونترك ما لا تريده ، ونحن نتشاور فى هذا . دخل الذئب المدينة وقال أنك أرسلته يقول أنه ليس بيننا وبينك سوى القتال، فسألناه فقال كل ملوك الحيوانات ظالمون مثلك، إذا أخطأ الإنسان فى حقك خطأ بسيطاً تقول اقتلوه ، لذلك طلبوا منى أن أستمر فى قتلكم ، لا أعرف ما إذا كنت ستقتلنى أم لا، إذا أمرت بقتلى ، يكون كلام الذئب حقيقة، وإذا عفوت عنى يكون الذئب كاذباً. "

نظر الأسد إلى الذئب ونهره ، وقال " من بعثك إلى الناس؟ "فهب قائماً بعد أن أصابه الإسهال ، يقول " كذاب، لم أدخل المدينة أبدا. "

قال أوتو " من الكذاب الأسد نفسه ، هل نسيت أننا قدمنا إليك كرسيّاً لتجلس عليه احتراماً للملك الذى بعثك. "

وقبل أن يتكلم انقض عليه الأسد ، ونشب مخالبه فيه، وهجمت عليه كل من حيوانات الغابة، بكل مخالب وأسنان حتى قضوا عليه، وصرف الأسد الغلام.

بعد أن وهبه كثيراً من المتاع الذى يسلبونه من التجار فشكره الغلام وقال أنه سيعود إلى المدينة ليخبر الناس بما حدث - لذلك إذا قابلت الأسد فى الغابة وقلت له " أطال الله حياتك " لا يؤذيك. "

نظر موسى فرأى النهار قد طلع ، ولم يتوقف ليعرف ما إذا كانت القصة قد انتهت أم لا، ثم تعجب وتلفت ودخل القصر، ورفض طوال هذا اليوم أن يذهب إلى البيغاء ، حتى حان المغرب، وتناول خدم الأمير الطعام وجلسوا يتسامرون حتى استولى عليهم النعاس.

وعندما شعر موسى أنهم ناموا ، ذهب إلى البيغاء ، فلما رآه البيغاء انفجر ضاحكاً ، فنظر إليه موسى وقال " ماذا يضحك هكذا ، وأنت وحدك كالمجنون؟! . . . "

قال البيغاء " ألم تعرف ماذا حدث ليلة أمس، بمجرد دخولك سمعت الخدم يسمرون

فى الدهليز الكبير؁ يقص عليهم رئيس الحرس أسطورة؁ وعندما رأيت أن النوم يفارق جفنى ذهبت لأشاركهم؁ ولما رأيت أن كبير الحراس انتهى من أساطيره ؁ قصصت عليهم قصة القروى وابناء المدينة " .

قال موسى "لقد هرم كبير الحراس أيستطيع أن يحكى الأساطير؟ إيه قصة سمعته يقصها عليهم. "

قال البيغاء "ليست قصة جميلة ؁ أعرفها منذ كنت صغيراً ؁ الملاكمة التى حدثت فى القصة تثير ضحكى عندما أتذكرها" .

قال موسى "ماذا فعلوا" .

قال البيغاء :

قصة ساهورو وساهوراما

كان هناك شاب يسمى "ساهورو" Sahoro لا يعمل أى عمل إلا رعى عنتزته، فيأخذها إلى مجرى الماء لترعى، وفي المساء يحبسها، وليس له طعام إلا لبن هذه العنتزة، إما أن يبيعه ويشتري شيئاً أو يشربه. وهكذا، إذا انقطعت العنتزة يبيعها ويشتري أخرى ذات ولد.

كان لا يهتمه شيء سوى رعى هذه العنتزة وإذا عاد إلى منزله يقول "لا شك أنه لا يوجد عمل أصعب من رعى العنتزة، هل فى هذا الوقت يوجد شيء أفضل من أن يضطجع الإنسان ويغط فى النوم؟ ولكن ليس هناك فرصة، فلا بد أن يتبعها الإنسان، وإذا لم يفعل، تدخل إحدى المزارع وتفسد الزرع فأدفع غرامة أو ترفض العودة فيأكلها الذئب، لا بد أن أجد وسيلة لأخلص نفسى من هذا العذاب...".

كان دائماً يفكر فى مشاكل الرعى، وفى ذات يوم قال فى نفسه "لا بد أن أفكر فى حيلة وليس أفضل من الزواج من "ساهوراما" Sahorama، فلديها عنتزة واحدة تقوم برعايتها، فإذا تزوجتها ضمنت عنتزتى إلى عنتزتها، فأجد الفرصة لقيلولة ولو قصيرة؟؟".

طلب ساهوراما للزواج، فوافق والدها وتم عقد القران والزفاف وأخذت ترعى العنتزين معاً ولما كان لا طعام لهما، إلا ما يحصلون عليه من العنتزين "أخذ ساهورو يغط فى نوم عميق.

ولم يمض وقت طويل حتى قالت ساهوراما لساهورو "يا سيدى لقد تعبت من مشاكل الرعى، الذباب يعضنى، وأتعث فى الطريق، بالله أنظر جسمى، عندما جئت منزلك كان جسمى يللمع، والآن صار كله خشن من عض الذباب، لا أرضى أن يتلف جسمى وأنا فى سن الصبا. لا بد أن نبحث عن حيلة".

قال ساهورو "كلامك هذا حقيقى، أراك بدأت تسودين، وأرى أنتى بدأت أسمن، فماذا سنفعل مع هذه المشاكل؟؟".

قالت ساهوراما "نعطى المعيز لدبو Dabo وتأخذ منه خلية نحل ، نضعها خلف المنزل ، وإذا بدأ النحل يتبع عسلأ ، نجمعه ونحصل على الطعام ، ونرتاح من الرعى ومشاكله".

قال ساهورو "لقد أصبت الحيلة ، ولا يخفى أن العسل يفوق اللبن حلاوة." ويعت امرأته لتسفق مع دبو ، فوافق على البدل ، لأن هذا أكثر ربحاً له ، وأعطاهم خلية واحدة ، وأخذوا يحصلون على العسل منها ويشربونه ويحشوا عن قرعة وملأوها. صار ساهورو ينام منذ الليل ولا يقوم إلا عندما تتوسط الشمس السماء ، وكان يقول القيام مبكراً يمنع شعر الحواجب من الظهور ، ويسبب العشى الليلي ، وذات يوم استيقظ من النوم عند الظهر ، فرأى زوجته أخذت قرعة العسل وذهبت لتقطفه وتعمل منه طعاماً يأكلونه ، فتملكه الغضب وقال "أنتن أيتها النساء فسادكن أكبر منكن ، انظري هذه القرعة كادت تفرغ ، هل العسل انتهى حتى بدأت تأخذين من القرعة؟ الأفضل أن نبيع قرعة العسل ونشتري دجاجاً وديكاً ، لتبيض لنا وتفقس كتاكيت".

قالت ساهوراما "إن كان الأمر كذلك نأتى بصبي يصب لها الماء والحب ، فأننا لا أقدر على تعب الدنيا كل يوم".

قال ساهورو "إن رعى الدجاج تعب شديد ، وأولاد هذا الزمان الكل يعرف أنهم كسالى ، الآن لو فطمنا طفلاً ليلعب مع الدجاج ويرعاه ، ترين اللعب قد استولى على عقله ، فلا يعمل عملاً طيباً".

قالت ساهوراما "إذا أخذنا أى صبي ، إذا رفض أداء العمل نضربه بهذه العصا" ومدت يدها وأخذت قطعة من الخشب ، "لأضربه على رأسه" وضربت القرعة بالعصا ، فانكسر القدر الذى يتفاحرون به ووقع العسل على الأرض.

قال ساهورو "خلاص ، الدجاج الذى سنشتريه ، والولد الذى سنأخذه ، كله نزل على الأرض ، ولكن الحمد لله أن القرعة التى انكسرت لم تسقط على رجلى" ونظر لزوجته وقال "مدى يدك واجمعى ما وقع على الأرض قبل أن تشربه ، لنجد ما نبدأ به ، حتى لا يحرمنى الجوع من النوم ، إذا لم أشبع منه".

مدت ساهوراما يدها وجمعت العسل وأخذت تصب القليل الذى جمعته فى قدر ، وتلحس جزءاً وتقص على زوجها قصة وتقول "ما فعلته الآن سترى فائدته مستقبلاً ، لأنى سمعت مرة أن السلحفاة دُعيت لعرس ، ومن بطنها لم تصل إلى منزل العرس إلا بعد

أشهر ، فلما وصلت وجدتهم يحتفلون بسبوع ابن العروس التي جاءت لعرسها ، بعد أن أنجبت ، وعندما أخبروها بذلك قالت " فى العجلة الندامة!! " .

رقد ساهورو فوق السرير ينظر إليها ، وهى تشرب العسل بمكرها ، وتسرد له كلاماً فارغاً، فتملكه الغضب، وقال لها ، " أى حكايات فارغة تقولينها ، لا أساس لها، وقد سبب كسلك لنا الخسارة ، لا تستطيعين رعى دجاجتين، وتطلين خادماً، امرأة فاسدة طائشة " .

قالت ساهوراما " أنت الرجل الفاسد ، إذا نام المغرب لا يقوم من النوم إلا الظهر " .

قال ساهورو وهو يقوم من الرقاد " تسين من يا ساهوراما ؟ امرأة فاسدة كافرة!! " .

قالت ساهوراما " هل سمعتنى أسبك؟ أنت الكافر ، ولست أنا الكافرة إذا كنت حراً ولست ابن زنا احفر حفرة وادفنى فيها! " .

واشتد الغضب فقام ساهورو من الرقاد ، ونزل وأمسك زوجته وأخذ يكيل لها اللكمات، حتى تعب ورأى أنه لا يستطيع التغلب عليها، وأخذت ترميه بالحجارة ، فقال لها " أتركينى، أنت ترمينى.. أنا قلت نهايتك اليوم!! " .

قالت ساهوراما " أتركك لاقع أنا؟ " .

قال موسى " إن هذه المصارعة كانت مضحكة ، أى الأخبار قصصت عليهم، أخبار القروى وأبناء المدينة؟ " .

قال البيغاء " هذه أيضا مضحكة " .

قصة القروي وأبناء المدينة

فى يوم من الأيام كان يجلس بعض أبناء المدينة وإذا بقروي يأتى يقود حماره لبيعه فى السوق، وأمام هذا القروي يسير مَهْرَجٌ ، ذاهب إلى السوق ليؤدى العابه ، يسير ويطلبون له، وهو يرقص ، وهو يرمى فأساً إلى أعلى ثم يتلقفها.

عندما رأى المدنيون هذا القروي ، يفتح فمه عجباً وهو ينظر إلى المهرج، ولم يتبه إلى الحمار الذى يقوده، قال واحد منهم "ألا تعرفون الآن أنه ممكن أن آخذ من هذا الطائش حماره، بسهولة لو أردت".

قال الباقيون "إن لم يكن كلاماً للتسلية كيف تفعل ذلك؟ هل ستضربه وتأخذه لن تستطيع، نحن لسنا بالليل ، ولا تستطيع أن تسرقه".

ثم قام المدنى وسار خلف القروي ، ورفاقه يتسللون وراءه ، وحشر نفسه ووضع الحبل الذى حول رقبة الحمار فى رقبته ، وسلم الحمار لرفاقه، فأخذوه ، وطالما رأى صاحب الحمار أمراً مثيراً أمامه واصل السير فاغرا فاه من شدة الدهشة وهو يتفرج على هذا المهرج.

وعندما رأى هذا المدنى أن إخوته بعدوا بالحمار، أخذ يجمع ، فيشده القروي وينهره، ولكنه لم يلتفت ليرى ما حدث ، وأثر أن يتابع المهرج حتى لا يعمل العاباً مسلية ولا يراها . وعندما وجد الحمار لا يتبعه ، التفت ليضربه ويواصل السير، وبمجرد أن التفت وجد رجلاً بدلاً من الحمار، فتعجب وقال "أنت ، ماذا حدث؟"

قال المدنى "أنا خمارك ، انتظر لتسمع قصتى، لأن ماحدث أمر عجيب ، لم أكن حماراً فى الأصل، ولكنى إنسان مثلك، أعيش مع أمى، وذات يوم غرنى شبابى، فشربت الخمر، وذهبت إلى المنزل ، ولم تعرف أمى ما شربت، فلامتنى لوماً خفيفاً، ولم تغضب ، ولعلك تعرف أن من يسكر لا يشعر بنفسه فسبيتها، فأمسكت رأسها من الألم ونظرت إلى وقالت "أنا تسبنى؟! هل عشت إلى اليوم الذى يسب فيه الابن والديه؟ ولعلك تعرف حال السكران فقلت لها "أسبك؟ من أنت لأسبك؟؟ فوضعت رأسها بين يديها وصرخت، وطلبت من الله أن أتحول حماراً، ومنذ هذا اليوم وأنا حمار، حتى شاء الله أن أقع بين

يديك ، والآن أرى أنها قد غفرت لى ، فعدت إنساناً" .

عندما سمع القروى ذلك أخذته الشفقة ، فبحلق فيه وقال " بالله عليك أطلع كلام والديك ، لا تدع الشباب يغرك ، لا تتفاخر بالكذب ، منظر ك شاب وسيم ولكن قلبك سيئ" .

سكت المدنى وهو يسمع الوعظ ثم قال " سأعمل بوعظك لى " ، وغافل القروى وأخرج لسانه ، فك القروى الحبل وتركه يسير فذهب إلى رفاقه ، أخذوا الحمار إلى أحد المنازل وربطوه ، وقبل يوم السوق ذهبوا لبيعه .

لم يذهب القروى إلى السوق ، وعاد إلى منزله وأخبر زوجته ، بكل ما حدث ، فشعروا بالشفقة على المدنى ، لأنهم احتقروه وظنوه حماراً وليس بنى آدم .

وذات يوم بعد ثلاثة أيام أخذ اللصوص الحمار وذهبوا به إلى السوق لبيعه ، لينالوا ما ينفقونه فى المدينة ؟ وتصادف أن ذهب القروى ليشتري حماراً ، كان الحمار الذى سرق منه أنثى لذلك أراد أن يشتري حماراً ذكراً .

عندما وصل السوق ونظر حوله رأى الحمار الذى سرقت منه ، فاقترب منها وأخذ يحدق فيها ، وهو يمصر شفتيه قائلاً " الله يلعنك كل الوعظ الذى قلته لك ، لم تهتم به ؟ الإنسان لا يتخلى عن طبعه ، تسكرون وتسيبون للناس الخسارة ، كل العذاب الذى أصابك عندى ولم تتب ، روح السوق ، احمل الخشب انقله إلى السوق ، كل هذا دون أن تعتذر ، ثم تعود وتشرب الخمر ، أما عرفتك اذهبوا عند من تتكرر عنده الشفقة " وتركه ومضى .

قال ابن الأمير " هذا القروى بلغ الغاية فى الغباء .

قال البيغاء " كيف عرفت أنه بلغ الحد فى الغباء ، اسمع باقى القصة . . عندما بحث ولم يجد حماراً يشتريه ، عاد إلى المنزل وقلبه مملوء حقداً على المدنيين .

وفى المساء خفضوا ثمن الحمار وباعوه وأخذوا الحلاوة" .

ولما حان موعد السوق التالى ، أخذ القروى نقوده ، وذهب إلى السوق لبيحث عن حماره ، وبالقرب من منزل الحاكم ، رأى المدنى الذى قال أنه تحول فاشتراه ، وقد ارتدى ثياباً نظيفة مزهرة متجهاً إلى السوق ، فلما رآه القروى عرفه ، فتملكه الغيظ فقبض عليه ، وقال فى نفسه " لا أقبل أن أخسر مالى من أجل هذا الفاسد" .

ثم نظر إلى المدني وقال له "عجباً هل عدت رجلاً مرة أخرى؟".

سكت المدني وكأنه لم يسمع شيئاً ، فهجم عليه القروى وأمسكه ، ووضع البردعة فوق ظهره ، وقال أنه سيركبه ويجعله يجرى به .

كان المدني يظن أنه يمزح ، ولكنه رأى القروى ينهض ويركب على كتفيه ، وكان يفوق المدني في القوة والمصارعة ، فحاول إسقاطه فلم يستطع ، تجمع الناس في المكان ليروا حكمة الله ، ولكن القروى لم يهتم بهم ، واستمر في شأنه ، وأخذ يهز رجله كأنه يركب حماراً ، ويضربه بكعبيه في بطنه .

ولما رأى المدني أنه لا مفر ، رقد على الأرض ، فركب عليه القروى وأخذ يضربه ليقوم ويذهب به ، وهو يقول "حتى لو سحبتك لابد أن آخذك إلى منزلي ، لقد أخذت مالى ولن أرضى أن يضيع هباء ، سب أمك لتعيدك حماراً ، لقد اشتريتك ولم أعرف أنها ستعود وتغفر لك ، وتعود إنساناً لقد خسرت ولن أتركك ، يوم الثلاثاء عندما ذهبت إلى السوق وجدت أنك فعلت شيئاً فتحولت حماراً ، اشتراك أحد الناس ، واليوم أرى أنها غفرت لك فعدت إنساناً ، تريد أن يخسر من اشتراك مثلى . ١٩ ونظر إلى الناس المحيطين به وقال "بالله عليكم أيها الناس ألا ترون أن ما أفعله من حقى ، هل يمكن أن يحدث هذا ؟؟ أنت تعرف أنه لا يوجد ما يمنعني أن أتسوق به ، أو يفدى نفسه . . . " . ثم انهال عليه ضرباً ، ليقوم ويذهب به إلى القرية .

وهم على هذه الحال جاء شرطى فأخذهما إلى منزل القاضى ، فسأل القروى عم فعل ، فقص عليه كل شئ ، فلما سمع الناس ذلك لم يتمالكوا أنفسهم من الضحك ، سأل القاضى المدني ، أهكذا ، قال المدني " لا ، لم أر هذا القروى إلا اليوم " .

كان القاضى يعرف طباع مثل هذا الرجل ، فطلب من الجنود أن يستجوبوه حتى يقول الحقيقة ، عندما استلمه - هؤلاء الذين يغضبون لغضب الغير - وشعر بآلام الضرب قال "بالله عليكم انتظروا بالله عليكم انتظروا!!" فانتظروا فقص حكاية القروى ، واعترف بكل شئ ، فتعجب الناس وأمر القاضى أن يدفع ثمن حماره ، أحد عشر جنيهاً وشلناً واحداً ، كما اشتراه القروى ، ولعلك تعرف المال عندما يكون في يد اللص لم يبق منه سوى ستة جنيهاً وشلن مما قبضه من ثمن الحمار في السوق السابق .

وأمر القاضى أن يسجن المدني ، ولما تسلم القروى المال ، انصرف لشأنه والقروى هو

القروى ما زال يعتقد أن الرجل تحول فعلاً، ولم يدرك الحيلة التي فعلها اللص ليسرق حماره.

نهض موسى وهم بالخروج ، ولكنه سمع كلاماً فى الدهليز الكبير، فقد ضايق البعوض بعض الخدم فعجزوا عن النوم، فاستيقظوا وأخذوا يسمرون حتى الصباح. فعاد موسى إلى القصر وهو مملوء غيظاً.

وبمجرد أن دخل القصر لم يكن فى عينيه إلا النوم ، لأنه لم يغمض له جفن فى الأيام القليلة الماضية، وما كاد يرقد حتى أخذه النوم ولم يستيقظ إلا العصر، فقام وصلى وبعد قليل حان المغرب فأكل ، وعاد الحراس يسمرون.

عندما أحس موسى أن الحراس ناموا ، لبس ملابس الحرب ، وخرج إلى البيغاء وقال له "بالله عليك لا توقنى اليوم، اسمح لى أن أخرج ، أسأل الله أن يحفظنا ، لم أر طائراً ثرثاراً مثلك " .

قفز البيغاء هنا وهناك ، الكل يعرف ثرثرتنا، ولكن إذا فكرتم فيما نقول لن تجد ثرثرتنا عبثاً ، نحن ننذر، ولأننا لسنا منافقين نكشف السر الذى نراه لدى من يضمرون الشر لبني آدم، لذلك فنحن الآن نرى أنه حيثما لا يوجد سمر يكون مجلس النساء ، انتظر لتسمع ماذا فعلت مع امرأة لكى تعرف أن أمرنا بيد الله ، وليس بيد عبيده " .

قصة البغاء وربة البيت

ذات يوم خرج ثرى للتجارة ، وترك زوجته فى المنزل ، وكان عنده ببغاء تركه مع زوجته فدأبت الزوجة على الخروج فى غياب الزوج ، وكان الخدم يرون منها ما يضايقهم ولكنهم لا يستطيعون الكلام ، حتى لا تشى بهم عند عودة زوجها ، لذلك كانوا ينظرون إليها بأسف .

وهى على هذه الحال عاد الزوج ، لعلك تعرف طبائع الناس فى هذه الحياة ، أسر أحد الخدم ما فعلته الزوجة فى غيابه ، فلما سمع ناداها ولأمها ، وأخذ العصا وضربها .

عندما رأت الزوجة ذلك تركت المنزل ، فجاءوا بها ، فقالت فى نفسها " لم يدع السر إلا البغاء " وأنت تعرفنا نصرك الله " نوصف دائماً بخفة الدم ، فما بالك بالنساء ، يقلن أننا أكثر المخلوقات نعمة ، لذلك تركت الزوج يذهب إلى السوق ، وأمسكت البغاء وتفت ريشه ، وألقته خارج المنزل من النافذة ، وهى تقول " بسببى ستكف عن النعمة " ، ولكن كتب الله للبغاء الحياة ، فتسلل حتى وصل إلى إحدى الغابات ، فوجد قبراً فدخل فيه وهو يتألم .

وعندما عاد رب البيت ، قالت له الزوجة أنه بعد خروجه بقليل أكلت القطة البغاء ، فلما سمع ذلك أدرك أنها تكذب وأنها قتلتها لأنها تظن أنه هو الذى أخبره أنها كانت تخرج أثناء غيابه ، لذلك غضب غضباً شديداً ، وأخذ يضربها ضرباً مؤلماً ، وطردها من المنزل ، فذهبت إلى المقابر وهى تبكى ، وتصادف وجود البغاء بالقرب من إحدى المقابر ، يسمعها ، فقال لها " اسكتى ، كفى عن البكاء إن شاء الله تعودين إلى منزلك ، ولكن بشرط واحد ، وهو أن تذهبي وتقصى شعر رأسك تماماً ، وتعودى هنا وغداً سأعدك للعودة إلى منزلك .

نظرت المرأة فلم تر أحداً ، وما أدراك ، النساء ؟ ظنت أن أحد الأموات يحدثها ، وفى الحال ذهبت إلى منزل والديها ، وجعلتهم يقصون شعرها ، ولما طلع النهار ، وجاء المغرب ، قصدت المقابر ، ورأسها يلمع كأنها رجل .

عند وصولها إلى المقابر ، ذهبت إلى القبر ، وما أدراك ما الجاهلة ركعت وقالت : قصصت . فقال البغاء " حسنا هل عرفت السبب الذى جعلنى أقول لك قصى شعر

رأسك؟ لأنك ظلمت طائراً صغيراً ، ولتية على ما لم يقل وما لم يفعل ، حتى نتفقت شعره، ورميته خارج المنزل لهذا عفوت عنك وقلت لك قصي شعر رأسك ، ولكن إذا أخطأتى وفعلت هذا مع طائر آخر ستبكين على نفسك ، وهذا الطائر الذى قتله سيعود إلى الحياة الدنيا كما سأعيدك إلى منزلك ، وسأعيده إليك ، فاهتمى به جيداً ، واجعلى زوجك يكلف خادماً عاقلاً برعايته ليقدّم له الماء والسكر وامنعى الأطفال من ندائهم له بالبغاء الجذوم . فأطالت هذه المرأة ركوعها ، وقالت "سمعاً وطاعة" .

وعندما همت بالقيام قال لها البيغاء "بقى أمر آخر، اليوم الثانى عشر من شهر صفر، فى مثل هذا اليوم من كل عام، قصي شعرك ليذكرك ، دائماً بأن هذا البيغاء الذى ظننت أنه تافه ليس كذلك . ولكنه أمانة الله وضعها بين يدي بنى آدم، والأفضل أن ترعوه جيداً. وغدا ستعودين إن شاء الله إلى بيتك ، إذهبي إلى البيت لشأنك ، ولكن احفظي هذا التحذير الذى قتله لك جيداً ، وكوني طيبة ، واتبعي زوجك خطوة بخطوة، حتى يجمعنا الله فى دار السلام" .

عادت المرأة إلى منزل زوجها ، وطار البيغاء حتى وصل إلى بيت الثرى، وقال له "هل تعرفنى؟!" .

نظر الثرى إلى بيغاء بلا ريش وقال "ماذا أفعل لأعرفك ، لم أرك من قبل؟

قال البيغاء " لم ترنى من قبل؟ أنا بيغاؤك الذى أكلته القطة" .

قال الثرى " طالما أن القطة أكلتك ، فماذا حدث حتى تعود إلى الحياة؟

إنى أعرف أن القطة لم تأكلك، ماذا حدث لك" .

قال البيغاء " قدر لى أن أخرج من بطن القطة ، لأقول لك أن كل ما قالته زوجتك حقيقى، فقد أكلتنى القطة، فلا تلمها، ولكن إذا كنت تحببنى، سأنتظر عندك مدة أطول ، لينمو ريشى وأعود كما كنت من قبل ، حتى يمد الله حياتنا معاً على أن تعيد زوجتك وتعفو عنها ، وتعيشا فى سلام" .

قال رب البيت "حسناً" وبعث يطلب من زوجته أن تعود ليعيشا حياتهما ، وصارت امرأة طيبة منذ هذا اليوم ، لا تدانيها امرأة فى الطيبة فى المدينة كلها.

وقام موسى ليخرج ، فنظر إليه البيغاء وقال "والله أطال الله حياتك لم تر كيف تنتقم ، اذهب بسرعة ، لا تدع التفكير يهلكك عبثاً ، كما كاد يهلك أمير "زيرانا" .

التفت موسى وقال "أين زيرانا؟ وما هو التفكير الذى أهلكه ؟ قال البيغاء .

قصة الأمير زيرانا وكاهن المدينة

كان يعيش في زيرندا يأتي الأطفال للشراء فقط عند ذلك يبدأ الصباح خفية ، عندما رآه الأطفال يطوف الشوارع وهو يصيح ، أقبلوا عليه وساروا وراءه يضحكون ، ويقولون أنه يجيد الصباح ، إذا سمعته يخيل إليك أنك ديك ، من لديهم قليل من المكر من الأطفال كانوا يطلبون منه أن يستمر في الصباح بصوت مرتفع ، حتى يأتي غيرهم للشراء .

فكان صاحبنا هذا يستمر في الصباح منذ الصباح حتى العصر ، ولم يرفع طفلاً واحداً رأسه لير الديوك التي في السلة ، ولكنهم كانوا يلهون مع سومالي فقط ، ويرون كيف يحرف فمه ، ويصيح مثل الديك ، فيضحكون ، فلما رأى أنه طاف السويدة ، وبدلاً من أن ينقص وزنه أخذ يزداد كل صباح ، كأنهم يعطونه دواءً لزيادة السمنة ، وعندما رأى الأمير ذلك ازداد حزناً ، وكاد أن يقتل نفسه من شدة الحزن ، فقد وهبه الله الدنيا ، ولكن السمنة منعه من الاستمتاع بها .

وهو على هذه الحال سمع عن طيب يسمى "جارا أبرقما" فبعث الأمير بمن يستدعيه ، وشرح له حزنه ، وقال إذا شفاه سيقدم له هدية عظيمة تعجزه عن الشكر .

قال جارا "حسناً، نسأل الله المعونة ، ولكن إذا سمحت أطل الله عمرك - أريد أن تمهلني ثلاثة أيام ، لأذهب لاستشارة أبرقما، جدتي ، وما تراه سأخبرك به " .

قال الأمير "حسناً، اذهب ، أعطيتك إذنا ثلاثة أيام ، ولكن لا نتجارها . ودعه جارا وخرج ، وهو يفكر في حيلة ليخدعه ، لقد شعر أنه لولا أن الأمير غيى ما فعل ذلك ، فأى طيب يستطيع أن يوقف مشيئة الله؟" .

بعد ثلاثة أيام عاد جارا إلى الأمير وقال له "نصرك الله ، لقد عدت" .

قال الأمير "وهو كذلك ، ما الأخبار؟"

قال جارا "رفعك الله ، دع السر ممسوراً، لقد ذهب الأمر بعقلي" .

قال الأمير "ماذا رأيت ، قل . أخبرني لأسمع" .

قال جارا "أطال الله حياتك ، لا أستطيع أن أقول ما قالت جديتى لى ، لأن الأمر محزن أقسم بعمامتك ، أننى لم أتم منذ أمس ، ما رأيت أكثر من أن تبحث عن دواء ، استغفر الله " .

غضب الأمير وقال "أسمع اليوم كلاماً فارغاً ، قلت أن تقول لى ما رأيت أخذت تلف وتدور" .

قال جارا "رحم الله الأمير ، قالت لى جديتى . أنه بقى أربعون يوماً وتسبقنا إلى الدار الآخرة " .

غضب الأمير وأمر أن يقبضوا عليه ويلقوه فى السجن ، فقبض عليه الجنود ، فقال جارا "هذا ما كنت أخشاه عندما أقول لك الحق" فقادوه إلى السجن .

أخذ الأمير يفكر فيما قاله جارا ويقول "لقد عرفت أن جارا رجل مشهور فى علاقته بالجن ، والأفضل أن أعد الأيام الباقية من المدة التى حددتها ، فإذا مضى أربعون يوماً ولم أمت ، أعرف أن جارا كذاب وإذا شعرت بمرض الحمى بعد ثمانية وثلاثين أو تسعة وثلاثين أعرف أن أجلى قد انتهى " .

هذا التفكير الذى استولى على الأمير يتغير ، فلم يعد يأكل طعاماً جيداً ، ولا يسر نفسه بملذات الدنيا ، كما أصابته النحافة من كثرة التفكير ، ولم يدرك الناس السبب .

بعد ثلاثين يوماً من هذا العلاج ، ازداد غضب الأمير حتى تعبت رأسه وأخذ يمرض ، وفى اليوم الثامن والثلاثين ، أخذ الصداع يزداد ، فنادى ابنه وسلمه مفاتيح خزائنه ، وأخذ يوصيه ، ويحذره ، ويقول له أن حياته قد انتهت ولم يعرف الصبى ماذا يعنى أبوه ، فظن أن ذلك بسبب شيخوخته ، يريد أن يطلعه على أمور الدولة .

وهكذا حتى اكتملت الأربعون يوماً ، والأمير ينتظر الموت ، فلم ير أنه قد مات حتى مر خمسة وأربعون يوماً ، ولم ير الأمير الموت ، فبعث من يأتون له بجارا من السجن ، وقال "لقد قلت أننى سأموت بعد أربعين يوماً ، وها قد مضى اليوم خمسة وأربعون يوماً ، على كلامك ولم أمت؟" .

قال جارا "لقد سألتنى دواءً لإزالة السممة ، هذا الكذب الذى قلته لك ، وأنتك ستموت بعد أربعين يوماً ، هو العلاج ، اسأل كل إنسان فى البلد تسمع أن وزنك قد نقص" .

عندما سمع الأمير ذلك هدأت نفسه، وانفجر في الضحك، وأخذ الناس جميعاً يمدحونه ويقولون "لقد بلغ جارا غاية المهارة"

قال جارا للأمير "ليس هذا الأمر مزاحاً ، يجب أن تعطيني ما وعدتني به".

فأمر الأمير أن يحضروا له ، قمصاناً وأقمشة وسراويل، وقال كل من يحبه يقدم لجارا الهدايا أخذ الناس يغدقون عليه المال ، فأخذ يشكرهم ، حتى بكى من شدة السرور وأذن له الأمير بالانصراف ، فجمع كل ما قدم له من الهدايا وخرج .

وكان كلما تذكر الأمير هذه القصة يضحك على نفسه ، إذا تذكر ليلة اكتمال الأربعين ، وعندما كان يتجول داخل القصر وحده ، وهو فى حيرة يصلى على أفضل الخلق.

وعندما انتهى الببغاء من هذه القصة سمع موسى الديك يؤذن، وطلع النهار ، فلم يعرف ماذا يقول للببغاء ليشفى غليله ، فدخل القصر ولم يقل للببغاء أى شيء.

وحان المغرب فعادت المرأة العجوز تحمل رسالة بعث بها الوزير كأنها من محمود، أعطتها لموسى ، فأخذها وقرأها ، وقال "لعن الله هذا المخلوق الصغير الذى منعنى من الخروج" .

قالت العجوز "أطال الله حياتك ، فى كل أنحاء الريف فى هذه الأيام لا تسمع رجلاً ولا امرأة تنطق إلا اسم محمود ، ولم يعد للنساء غناء إلا اسم محمود.

قال موسى "هل النساء ينشدن الشعر فيه ، بالله عليك ، هل تستطيعين أن تنشدى شيئاً لأسمعه؟" هزت المرأة رأسها ، وأنشدت شعراً لم يسمعه من قبل.

عندما سمع موسى هذا الشعر ابيضت عيناه ، فقامت المرأة وذهبت إلى الوزير وأخبرته ، فقدم إليها هدية.

وفى الصباح الباكر لبس موسى لباس الحرب ، وأخذ سكيناً كبيراً ، وذهب إلى الببغاء ، وقال له "سأذهب وافقت أم لم توافق".

طأطأ الببغاء رأسه وقال " أطال الله حياتك ، هل لى القيلة أن أمنعك؟ اذهب ، وأحضر بعض القروش لتقدمها صدقة، وهبك الله السعادة".

قال موسى "وهو كذلك" والتفت ليخرج . فقال الببغاء "هل تنتظر قليلاً لأخرج

من النافذة لأحضر لك بعض الدواء الواقى من الحديد الذى ورثته عن أجدادى؟ " أنت تعرف أن الشجعان لا يتحركون إلا بعد الاستعداد " .

قال موسى : ذلك حق ، اذهب واحضره لى ، ولكن لا تتأخر طويلاً .

خرج البيغاء من النافذة، وتسلق شجرة ، ومكث فترة ، وبعد أن اقترب موعد الصلاة عاد ببعض أوراق الشجر، ولم يعرف أى نوع من الأغصان أحضر ، وطار وأحضرها إلى موسى . أخذها موسى وقال " ولكنك عطلتنى " .

قال البيغاء " لو عرفت أقصى ما وصلت إليه ، مالتنى على التأخير، اجعلهم يغلونه لك، واستحم به ، ليس من أجل الحديد ، ولكن لشيء آخر " .

قال موسى " سمعت الفجر يؤذن " .

قال البيغاء " لا بأس ، اذهب غدا ، الذهاب مبكراً أفضل من المال ، قبل أن ينادى للصلاة، دعنى أقول لك قصة قصيرة " .

قصة القط والفأر

كانت توجد مزرعة لرجل خلف المدينة، وكان فيها شجرة ضخمة يعيش في جذعها فأر وفي كهفها قط. وكان القط يخرج كل يوم يبعث في المزرعة فسادا، فلما ضايق ذلك أحضر قماشاً وصنع منه شركاً، ليصطاد كل من يبعث في مزرعته، وفي صباح أحد الأيام رأى القط الفأر، فهاجم عليه ليقتله، فوقع في الشرك وحاول الخلاص ولكن عجز فلما التفت ورأى القط وقع في الشرك، أخذ يرقص فرحاً وهو في غمرة السرور نظر في حطب المزرعة فرأى بالقرب من جحره ثعباناً، ينتظر خلاصه من القط لينقض عليه ويلتهمه. ولما نظر إلى أعلى رأى حداة تحوم حوله تنتظر الفرصة للانقضاض عليه. فوقف الفأر حائراً لا يدري ماذا يفعل.

وهو على هذه الحال فكر في حيلة، وقال "لقد عرفت أن الثعبان والحدأة لا يستطيع أحد منهما أن يقترب من القط، والأفضل أن اذهب إلى القط، وأجعله يقسم ألا يضرني على أن اخلصه بقرض الحبال والشبكة.

وذهب ليعرض عليه الفكرة فقال القط "متى سنبداً هذا العمل؟ هل تخلصني من الهلاك ثم أضرك؟ خلصني وسنكون أصدقاء إلى الأبد".

قال الفأر "هيا نجرب وعدك لنعرف ما إذا كان حقيقة أم لا، سأدخل فيما بين رجلبك لأعرف ما إذا كنت ستؤذيني أم لا، ولتعلم أنك إذا اهلكني أهلكك نفسك، قال القط "أنا لا أقول كلاماً وأنقضه".

أخذ الفأر يقرض في كل مكان والقط لا يتحرك، وعندما رأى الثعبان ذلك تسلل، حتى لا يتخلص القط وينقض عليه، وانصرفت الحدأة خشية القط.

قال القط للفأر "يا عزيزي، بسرعة اقترض هذه الحبال، لأنجو، ففي كل حركة أشعر أنها تضغط علي".

قال الفأر "اصبر قليلاً"، إن الحبال متينة "متظاهراً أنه يجد في عمله، وكأنه يقرض الشبكة بقوة، ولكن في الواقع كان يعمل ببطء، ويقول في نفسه "إذا أسرع في العمل وخلصته، لا أظن أنه سيتركني، ولكن إذا تراخيت في العمل حتى يأتي صاحب

المزرعة، عند ذلك أعمل مسرعاً إذا رأيته فإذا تخلص القط هرب ، ولا يتوجه إلى " .
أخذ القط ينظر إلى الفأر ، ويقول " بالله عليك أسرع لقد طلع النهار، والآن سيأتى صاحب المزرعة ويرى ما حدث ، فإذا وجدنى هلكت " .
قال الفأر " دع الخوف، إنى أعمل بكل قدرتى، مَنْ مِنْ الفئران غيرى يقبل مساعدتك " . واستمر فى القرض رويداً رويداً ، ويترك بعض الأماكن .
ومن بعيد رأى صاحب المزرعة قادماً مستنداً على آله الحفر ، قال القط للفأر ها هو .
قادم، ها هو قادم ، بالله أسرع " .
أسرع الفأر فى عمله ، وقبل أن يصل المزارع كان الفأر قد قرض الشبكة كلها ،
فجرى القط ودخل الغابة ، وجرى الفأر ودخل جحره .
أخذ المزارع يقلب كفيه ويقول " يا خسارة لقد قطع الشبكة، ولكن صبراً ، غدا أبحث
عن حيلة أخرى " وجمعها وعاد إلى المنزل .
وعندما طلع نهار اليوم التالى ، جاء القط ووقف على مدخل جحر الفأر وقال يا
صديقى، يا صديقى ، اخرج لتحدث حديث الأصدقاء .
ضحك الفأر عندما سمع كلام القط ، " وقال أية صداقة؟ طالما أنك هنا لن ترانى
أطل برأسى . القدر هو الذى جعلنا نأمن لبعضنا، ولن تدوم الصداقة ، إنها مجرد كلام،
لقد افترقنا منذ أمس كما تكون الصداقة بين الماء والنار تكون بيننا، لقد صبرت ،
وتجاوزنا الخطر ، فإلى اللقاء " .
عندما سمع القط ذلك ، ريص وأخذ يقسم ، ويطمئنه قائلاً " اخرج، لنبحث عن
مكان للإقامة ولن أضرك ، ونظراً لكونى أكثر منك قوة، فسأرد عنك كل أذى وأنجيك منه " .
وأخذ يتحایل على الفأر الصغير حتى أقنعه ووافق على كلامه ، وخرج ، وأخذ
يلف فلم يضره شئ ، فقال " نعم، صدقت ، فى الققط كثير من أولاد حلال " .
قال القط : أنه سيجمع كل المتاع الذى ادخره ، ويعودان إلى الكهف ، فى الشجرة الكبيرة
، لأن هناك أوسع ، فأخذ الفأر يجمع الأشياء الكثيرة التى جمعها لوقت الشتاء حيث يمكث فى
الجحر ولا يخرج خشية الإصابة بالبرد .
عندما رأى القط الأشياء التى جمعها الفأر من دخن ، وزبدة ، ولحم وفرا ، وجبنة
وأشياء أخرى مختلفة شعر بالحجل لعدم وجود شئ من كل هذا فى منزله فسأل الفأر :

كيف جمعت ، كل هذا الطعام فى الغابة ؟ ، قال الفأر " لدى صاحب المزرعة الذى أمسك ، كل يوم تأتى زوجته إلى المزرعة ، وقبل أن يصل إلى نهاية خط الزراعة ويأتى ليأكل ، اذهب واخطف شيئاً وأتى به إلى جحرى ، ثم أعود مرة أخرى ، والبعض الآخر ورثته عن أجدادى " .

قال القط " هذا فقط " ، اجتهد هو الآخر ، واجتهد الفأر وجمعا أكثر مما جاء به وعندما انتهيا وقفا يتشاوران فى مكان المخزن ، قال القط " أفضل مكان هو المصلى عند مدخل الباب " أخذوا المتاع ، ويحثا عن مكان وأخفياه ، وعادا إلى الجحر ، وأخذوا يعيشان حياتهما .

وذات يوم وهما جالسان ، أحس القط بالكسل يستولى عليه ، وأخذ يشعر بالجوع ولم يدخل حتى يسحب من المخزن ، فذهب إلى الفأر وقال له " لقد بعثوا إلى من المدينة يخبروننى بأن أختى وضعت ، واليوم موعد تسمية المولود وأريد أن أذهب الآن ، يجب عليك أن تبقى لتكنس المنزل ، لأننا لن نذهب معاً ، لأن أحوال بنى آدم ليست واحدة ، ما يراه أحدهم ويتركه ، قد لا يتركه الآخر إذا رآه " .

قال الفأر " وهو كذلك ، ولكن لا تنسى عند توزيع السبوع " .

قال القط " ويحك ، إذا نسيك ، أنذكر من ؟ " وقصد المدينة .

لقد كان القط يكذب ، فلم يدعه أحد للسبوع ، ولكنه قصد مخزن الطعام المدخر ليأكل منه ، ولما أكل وشبع بحث عن مكان وورقه فيه يلحس شاربیه ، ويزوم . وبعد اشتداد حرارة الشمس ، عاد إلى الجحر .

ولما رآه الفأر من بعيد أقبل عليه مسروراً يظن أنه أحضر له شيئاً من الطعام ، فقال له : ماذا ولدت ؟ .

فقال " ذكراً " .

فقال الفأر " ماذا أسموه ؟ " .

قال القط " العمل الجاد لم يأتى بعد " .

قال الفأر " العمل الجاد لم يأت بعد هذا اسم غريب ، أهكذا أسماء ذريتكم ؟ " .

قال القط " ما هو الغريب فيه ، وأنتم ماذا تسمون أبناءكم طمبرنتو ؟ " .

فلما رأى الفأر أنه غضب ، تركه ، وبعد يومين ، قال القط ، لقد حدثت ولادة أخرى فى عائلته ، سيذهب للسبوع .

قال الفأر " و هو كذلك ، ولكن بالله عليك لا تنسى هذه المرة ، أنت لم تحضر لى شيئاً فى المرة السابقة " .

قال القط " لقد مكثت طويلاً فى هذا المكان ، ولكن اليوم سأحاول أن آتى بخمس قطع صغيرة من اللحم ، وخرج ، ولم يتوقف إلا عند المصلى ، فدخل وأخرج الطعام المدخر وأخذ يأكل منه ، حتى شبع ، واتخذ جانباً ونام ، وعندما اشتدت حرارة الشمس ، قام وعاد .

سأله الفأر قائلاً " أين نصيبى من بقايا الوليمة ، أم أن للمدعوين كانوا كثيرين ؟ تغاضى القط عن الكلام ، وتجاهل هذا السؤال ، فقال الفأر " وما الاسم الذى سعى به المولود اليوم ؟

قال القط " اليوم وغدا لن يبقى شئ " .

قال الفأر " اليوم وغدا لن يبقى شئ ، هذه الأسماء التى تسمونها لم أسمع عنها فى كتبنا " .

لم يعرفه القط أى اهتمام ، وذات يوم ادعى أنه وجهت إليه الدعوة ، فذهب وأكل ما تبقى من المدخرات فى المخزن ، وعاد .

سأله الفأر عن اسم المولود فقال له " كل شئ بدأ وانتهى ، ونحاشياً لغضب القط ، لم يقل الفأر شيئاً ، وأستأنفا حياتهما ، ومنذ هذا اليوم لم يعد أحد يدعو القط لأى سبوع ، كأن أخوته جميعاً توقفوا عن الولادة .

ومرت الأيام ، وأخذ البرد يشتد ، فقال الفأر للقط " حان الوقت لنأتى بالطعام بى ؟ ! ، الآن عرفت ما حدث ، لقد كنت تأتى إلى هنا ، وتدعى أنك دعيت للسبوع ، اليوم الذى بدأت تأكل فيه قلت أن اسم المولود " العمل الجاد لم يأت بعد " وعندما عدت قلت " اليوم وغداً لن يبقى شئ " ، وعندما أتيت على آخره ، قلت اسم المولود .

غضب القط وقال " كف عن الكلام بالتى هى أحسن ، إذا سمعتك مرة أخرى تنطق حرفاً سأقضى عليك " .

كان الفأر الصغير على وشك أن يقول "بدأت وانتهت" أسكته القط ، لذلك سكت قبل أن يخرج الحرف الأول من فمه، ولم ينتظر شيئاً فانقض على الفأر والتهمة . نصرك الله، أرأيت كيف يكون المخلوق السيئ ، ما أريد أن أردك به إذا كنت أميراً ابحث عن الأمراء ، فالعلماء يبحثون عن العلماء ، الفقراء يبحثون عن الفقراء ، وكل من لم يتبع ما أقوله ، إذا لم يعاون الناس لا يجد من يعاونه .

قام موسى ودخل القصر وأعطى الخدم الدواء الذى أحضره البيغاء لغيره، وانتظر هذا اليوم ليستحم به كما قال البيغاء .

عندما غربت الشمس أقيمت الصلاة، أخذ موسى يقرأ الورد، وقبل طلوع الفجر نام الخدم ، فاستعدوا وذهب إلى البيغاء، وقال "سأذهب" .

قال البيغاء "كل هذه الأناقة وتذهب إلى ميدان القتال ، لا يوجد شئ جذاب مثل منظرك ، لا شك كل من تراه فى هذه الدنيا ، لديه الأعباء التى كلفه الله بها .

العالم يطلب العلم ، الساحر يطلب السر ، الأمير يطلب الملك ، نصرك الله ، كل من غير نفسه فى الأمر الذى كلفه الله به ويحقد على الناس ، يجلب لنفسه المشاكل .

قال موسى "لولا عدم التعقل ما الذى يجعل الإنسان يهتم بهذا الأمر ؟

"كل إنسان يعرف أن الله خلق الناس ، وفتح لهم أبواباً مختلفة يسلكونها طلباً للرزق" .

قال البيغاء "أنت تعرف أن الله خلق الإنسان ، وكل له الرأى الذى يعتقده ربما لم تسمع من قبل قصة الحمار والثور؟

قال موسى "لا" .

قال البيغاء إذا كان الأمر كذلك انتظر لتسمع .

قصة الحمار والثور

فى يوم من الأيام كان يوجد رجل ثرى يسمى سالى، كان كل يوم يدعو الله أن يهبه القدرة على فهم لغة الحيوانات، وكان كلما سمع عن عالم مشهور، يبعث له بالمال ويسأله الدعاء لكى يحقق الله رجاءه.

ومرت الأيام على هذه الحال، حتى استجاب الله لدعائه، فذات يوم كان سالى نائماً، فلما استيقظ فى الفجر سمع ديكاً يقول " قيقرى " فقالت الدجاجة للديك " إن لك صوتاً. لا يوجد فى كل هذه المدينة من لم يسمع أذانك " .

قال الديك وهو يهز جناحيه " إننى مصاب بالزكام اليوم، عندما كنت معافى كان يسمع صوتى كل من فى المدينة " .

انفجر سالى فى الضحك، حتى كاد يخرج عن وعيه، وشكر الله الذى استجاب لدعائه، وقام وتوضأ وصلى، ثم خرج إلى الدهليز الذى يجلس فيه خدمه، يتحدثون فى شئون الدنيا، كل يقول ما يعن له.

وعندما اشتدت حرارة الشمس دخل سالى إلى المنزل ليستريح قبل الظهر، فلما صعد على السرير لينام تعذر عليه النوم، فأخذ الفروة وخرج ليجلس تحت الحميلة، بجوار الإصطبل وبالقرب من الحظيرة، وأخذته سنة من النوم، وكان فى هذه الحظيرة ثور المزرعة وحمار الركوب مربوطين بجوار بعضهما، فسمع الثور يقول للحمار " أنت سعيد، كل الخدم فى هذا المنزل يرفعونك، يحمونك ويقدمون إليك كل ما تشتهى من طعام، أما أنا فكل يوم يعلقون لى المحراث، ويأمرون هؤلاء الخدم الحاقدين يذهبون بى إلى الحقل، فأعمل منذ طلوع الشمس حتى غروبها، وليس هذا فقط الذى يؤلمنى، ولكن ضربهم لى إذا أردت أن استريح قليلاً، بالله عليك انظر إلى رقبتى، كيف تسليخت من العمل، وعندما أعود إلى المنزل لا يقدم لى طعام شهى لأكله، هل يكون الإنسان كذلك لأنه رأى حقد غيره، فلا يجب أن يرى غباءه " .

عندما سمع الحمار ذلك قال " تهاونك فى حق نفسك هو الذى جعلهم يعاملونك

هكذا ، عندما يأتون ليربطوا لك المحراث انطح واحداً منهم ، وإذا لم تنطح أحدهم فاهجم عليهم كأنك ستطأهم بقدمك . فسترى أنهم يخفون عنك العذاب لقد وهبك الله القوة التي تجعل نفسك محترماً إذا استفدت بها . ولكن غيابك منعك من هذا ، وإذا لم تفعل لهم ذلك ستراهم يأتون لك بالردة المعفنة ، فإذا أحضروها لك فلا تأكلها ، إذا شممتها امتنع عن أكلها ، والله إذا عملت بمشورتى سترى الأمور تحسنت وتشكرنى " .

عمل الثور بما أشار عليه به الحمار وشكره على هذه النصيحة ، وكان سالى راقداً يستمع إليهم ، وعندما طلع النهار أخذ الخدم المحراث وعلقوا الثور فيه ليذهب به إلى المزرعة فذهبوا وأدوا العمل وعادوا .

وعندما عاد الخادم بالليل ، وذهب ليربط الثور . هجم عليه كأنه سيقتله ، ففر الخادم وعاد ، وأخذ الثور يخور ، ولم يستطع الخادم أن يربطه ، فأغلق باب الحظيرة وترك الثور حرّاً ، وأحضر الردة والطعام وتركها أمامه ، وهو يقول " ربما هذا الثور مريض أو مجنون أو يشعر بالعطش " ، وذهب إلى البئر وأحضر له الماء ، وقدمه إليه ، فأبى الثور الشرب أو النظر إليه .

ولما طلع النهار عاد الخادم ليطمئن على الثور فوجده راقداً ممدداً أرجله يتنفس بصعوبة ، فنظر إلى سلة الردة والطعام فوجدتها كما تركها ، لم يمسه الثور وهكذا الماء الذى أحضره .

عندما رأى الخادم ذلك قال " ويحك لقد عرفت أن هذا سيحدث ، الوجوم الذى بدا على وجه الثور أمس يدل على ذلك ، عنده حق ، فهو وحده يعرف ما يحس به اليوم لايجب أن أقوده إلى المزرعة " واسرع وذهب إلى سالى وأخبره بذلك .

ولما سمع سالى أدرك أن الثور عمل بنصيحة الحمار ، لذلك أمر الخادم أن يذهب ويمسك الحمار ويذهب به إلى المزرعة ، وأن يعلقه فى المحراث ، ويحرث به بدلاً من الثور ، ولا يرحمه فى العمل .

ذهب الخادم وأمسك الحمار وذهب به إلى المزرعة وعلقه فى المحراث وأخذ يحرث به ، فإذا توقف الحمار قليلاً لعدم تعوده على هذا العمل ، يضربه الخادم بعصاً غليظة ، فيسرع ، واستمر الحال على ذلك منذ الصباح الباكر حتى غابت الشمس ، فساقه إلى المنزل حتى وصل بمشقة .

كان سالى عند باب المنزل ، فلما رأهم يعودون نظر إلى الحمار فرأى شكله تغير ،

فسأل الخادم عم فعل مع الحمار ، فقصر له كل شيء ، قال فى نفسه " هيا اتبع الحمار
لاسمع ما سيقول للثور .

بمجرد ربط الحمار أخذ يتنفس بصعوبة ويقول للثور " ماذا تنوى أن تفعل إذا أحضر
لك الطعام اليوم " .

قال الثور " هل توجد مشورة أفضل من التى قلتها لى ، ها اليوم طول النهار وأنا
نائم فى الظل ، أتباهى بالراحة ، إن جيرتك لى أفادتنى كثيراً .

حذق فيه الحمار وقال " أنت غبى ، أنت هنا نائم ولا تعرف ما ينوون فعله معك ،
الآن وأنا داخل سمعت صاحبنا يقول للخادم طالما أن الثور لا يستطيع الأكل ، ولا يعمل
أى عمل ، اذهب غدا وناد كبير القضاة ، ليذبحه ونوزع لحمه فإذا تركتك بعد أن سمعت
هذا ، وبعد أن علمت بنصيحتى ، أكون قد خنت الأمانة ، وقد سمعتهم يقولون كل من
خان أمانة غيره ، سيحاسبه الله فى الحال ، والأفضل الآن ، إذا أحضروا لك الطعام
تأكله بشراهة حتى تشبع . والله إذالم تفعل ذلك أقول لك الحق غداً فى مثل هذه الساعة
ستكون خيرا يروى " .

هذا الكلام أثر فى الثور بسرعة ، أخذ يأكل بشراهة ، ويشكر الحمار على هذه
النصيحة ، التى قدمها له .

حذق سالى فى الثور ، وضحك ، عندما رآه قد التهم الأكل ولم يرفع رأسه ، فإذا
أكل الردة ، التفت إلى غيرها ، ويملاً فمه بالأكل كالمجنون .

تعجب سالى وأخذ يقول فى نفسه " كل ما نفعل فى الحيوانات يشعرون به ، ولكن
الله لم يهبهم اللسان الذى ينطقون به وسخرهم لخدمتنا وليس لقوتنا ، والأفضل أن
نعاملهم معاملة حسنة ، ونخفف عنهم ، ونتذكر أن كل ما نسمعه هم أيضا يسمعون ،
ونرعاهم كما نرعى أنفسنا ، وأن نشكر الله ، ونبتعد عن العمل السيئ .

وقام ونادى الخدم ، وأخذ يوصيهم برعاية الحيوانات رعاية طيبة ، ولا يحملونهم فوق طاقتهم .

قال موسى " هل الإنسان يستطيع أن يفهم لغة الحيوانات ، هذا الأمر عجيب " .

قال الببغاء " لقد أعطيت صاحبى دواء التصنت عندما تزوج امرأة سيئة تسبب له
المشاكل ، وبهذه الطريقة فرقت بينهما ، لا ينبغي أن أعطلك بالقصة ، يجب أن تستعد
وتخرج قبل أن يطلع الفجر " .

استعد موسى ليخرج فسمع الأذان ، ولم تعد فرصة ليطل برأسه خارج القصر ، طالما أن الجميع قد استيقظ ، فعاد إلى المنزل ، ومنذ هذا الصباح حتى المغرب وهو يفكر في الحيلة التي يقوم بها ، ليسمح له البيغاء بالخروج دون أن يعطله .

وفي الصباح الباكر عندما شعر أن الحراس ناموا ، جاء إلى البيغاء وقال له " لا أريد سماع أية قصة اليوم ، كل ما أريد أن أعرفه هو أن تقول لى ماذا فعلت مع صاحبك الذى أعطيته الدواء لسمع لغة الحيوان ، وبعدما أخرج ، هذا فقط ما أريده منك ولا شيء غير ذلك " .

قال البيغاء لقد سألت الخبير ، ونزل إليه وأخذ يقول :

ما فعلناه مع سيدى أوجو

قبل أن انتقل إلى يد الرجل العربى الذى اشترانى الأمير عبد الرحمن منه، كنت عند رجل من اليوروبا يدعى أوجو، كان رجلاً غنياً ولا يوجد فى المدينة كلها رجل بلغ ما بلغه من الشراء ومع ذلك تعجب إذا سمعت أنه لم يكن له إلا زوجة واحدة فقط، كان له ثلاث زوجات قبل ذلك، ثم تزوج امرأة مومساً، عندما تزوجها ودخلت بيته أخذت تلجأ إلى السحرة والمشعوذين، حتى يصنعوا لها علاجاً يفسد الزوجات الثلاث الأخريات، وبمرور الوقت استطاعت أن تصل إلى هدفها وكان أوجو لا يعجبه إلا هذه المرأة المومس فكان يحبها حباً جماً حتى تزوجها.

عندما وجدت العلاج الذى يفرق بين أوجو وزوجاته قالت "حسناً" ولكن لا فائدة من الخطة الجيدة إذا لم تنفذ بعقل لذلك أخذت تدبر المكائد، وتفرق بين أوجو وزوجاته واحدة واحدة، فاليوم يطلق هذه وغدا يطلق الأخرى حتى لم يبق فى المنزل سواها. وقد وهبها الله الخطوة عند الزوج، فلا يفعل شيئاً إلا بإذنها فإذا وضعت له عوداً من الحطب فى الطريق لا يتعداه إلا بإذنها وكأنه رجل فقير لا يتمتع بهذا الشراء، وقد تجاوز نفوذها رب البيت إلى الخدم، فلا يستطيع الخادم أن يكبح فى وجودها. إذا تكبر عليها أحدهم جعلت زوجها يطرده من عمله، دعك من الناس حتى أنا الطائر الصغير كنت أخاف منها كان الزوج رجلاً طيباً يريد أن يفعل شيئاً ولكن كان يخاف أن تغضب وتترك له المنزل.

ولما رأيت الأمور تغيرت هكذا قلت "لابد أن أتدخل فى هذا الأمر" ومكثت ثلاثة أيام أفكر فى وسيلة أتدخل بها فى هذا الأمر دون أن تشعر هذه المرأة حتى لا تهلكنى وألا يدرك أوجو هدفى تماماً حتى لا يكرهنى، لأنك تعرف أن المثل يقول "الحب يعمى ويصم" وعندما وجدت الحيلة هدأت نفسى، وذات يوم كنت مع أوجو فرأيتة يصغى إلى عصفور كان يبكى على النافذة، فنظرت إليه وقلت "لو سمعت ما يقول هذا العصفور الصغير لم تعرف ماذا تفعل من شدة السرور".

قال أوجو "ويحك" هل أسمع حديث الطير "الحيوانات" إلى جانب أنتى أغنى

رجل فى العالم هكذا " ، فقلت فى نفسى " هذا ممكن " ونظرت إليه وقلت " يوجد دواء إذا تناولته يتم ذلك المراد ولكن بشرط واحد صعب وهو ما يجعل الأمر غير مفيد تماماً . ولولا هذا لأعطيتك آياه ، هذا الدواء لا يعرف أحد من الطيور سره ، إلا ذريتنا فقط " .

قال أوجو " بالله عليك أخبرنى بهذا الشرط ومهما كانت صعوبته سأقدر عليه " ، وأخذت الح فى الرفض وهو يلح على فى الطلب ، عند ذلك ذهبت وأحضرت له هذا الدواء . وقدمته له ، وطلبت منه أن يدقه ويصب فيه ماءً ويضع المحلول فى أذنه عند النوم . سألتى بعد كم يوم أتوقف عن هذا العلاج ، فقلت له عندما يحين موعد ترك العلاج لن أقول له ولكن سيشرح هو أن ما طلبته قد تحقق ، وتعجل الأمر وهم بالدخول إلى المنزل ليدقه ، فقلت له " لم تسمع الشرط ، انتظر ، فقلت " كل من يخصصه الله بهذه النعمة لا ينبغي أن يطيع كلام النساء ، مهما تقل له المرأة ، حتى لو كانت ابنة أمير ، وحتى لو كان قولها الحق ، ولو أخطأ واتبع مشورة النساء ، ولو مرة واحدة سيكون من الهالكين ، وإذا أباح السر لن يأتى عليه الليل ؟ .

عندما سمع ذلك نهرنى قائلاً " هذا الشرط البسيط تقول أننى لا أقدر عليه ، ماذا تظننى ؟ " .

قلت " وهو كذلك ، مشكلة الموت فقط هى التى كنت أخشى عليك منها " .

مصمص شفتيه ، ودخل المنزل ودق الدواء وأذا به فى الماء ، ووضعته فى رجاجة صغيرة ، وفى كل مساء تصب له المومس فى أذنه قبل النوم ، وعندما تسأل عن سبب هذا العلاج ، يخبرها أن أذنه تؤله ، فوصف له الطبيب هذا العلاج ومرت الأيام ، وذات يوم استيقظ من النوم فسمع فأراً صغير يقول لآخر " طمبرونتو " ، لماذا تأكلنا الققط؟ أليس لديهم طعام غيرنا؟ هكذا الحياة الدنيا ، من يفوق الآخر يأكله ، وكأنه لا يوجد من هو أقوى منه؟

قال طمبرونتو " ويحك يحتقروننا ، وصاحب هذا البيت منافق كبير ، لا هو أمير ولا وزير ومع ذلك يربى ثلاث قطط ، انظر بالله عليك كيف ينام ، فائماً فمه كأنه جوال " .

فرح أوجو جداً وكاد يضحك ، ولكنه سكت حتى لا تهرب الفئران ، وأثناء صمته سمع الفأر الأول يقول " طمبرونتو " لف من هناك وأنا سأدور من هنا لنعض أذنه ، ونشفى غليلنا " .

فلما سمع ذلك هب قائماً فهربت الفئران ، فانفجر فى الضحك وأخذ يشكر الله على هذه النعمة التى أنعم عليه بها .

وهو راقد على هذه الحال، عجز عن النوم من شدة السرور، حتى نوى للصلاة، فطلب من زوجته أن تحضر له ماء للوضوء، فوضعت الماء وذهبت، فخرج وبدأ في الوضوء، وكاد ينتهي من الوضوء إذا برتو- نوع من الدجاج - يرعى، يذهب إلى إحدى الدجاجات، ويقول لها "أيتها الدجاجة، أنتم تثيرون العجب بفضولكم وخيانتكم للأمانة".

قالت الدجاجة "ماذا رأيت حتى توبخنا هكذا؟".

قال برتو "انظروا الخير الذى يقدمه الناس لكم بالنهار يقدمون لكم الحب والماء، تشربون بسهولة، وفى الليل يضعونكم فى حجرة ويغلقون عليكم ويتصتون عليكم خشية أن يؤذيكم قط أو ثعبان أو أى حيوان مفترس، وإذا فقستم وضعوا فراخكم فى حجرة، ويقدمون لها الطعام حتى يكبروا ولا يخرجونكم صغاراً فتخطفكم الحداة، أو الصقر، وبعد ذلك تعيشون فقط لا ينقصكم شئ، ولو هموا بالقبض على واحدة منكم تملأون الدنيا صياحاً، تقفزون فوق سقف الحجرة وتتسلقون الممر، إذا لم يكن هذا ذكراً للمعروف فماذا يكون؟ وما هو عرفانكم بالجميل؟".

نظرت له الدجاجة باحتقار وقالت "وهو كذلك، طالما أنك لست منكراً للمعروف فقل لى فيما تفوقنا شكراً للإنسان".

قال برتو "أنا خلقتنى الله فى الغابة، ليس مثلكم، ولكن مع ذلك إذا أمسكنى الإنسان، يذهبون بى إلى المنزل، فأصبر رغم أننى لم اتعود عليه، وأقوم لهم بكل ما يريدون فيضحكون علىّ، وإذا نادونى، أقبل عليهم، وإذا رأيت رب البيت اتبعته، وأجلس على فروته وألعب، وإذا رمى شيئاً أجرى وأمسكه، ليضحك، حسناً، هذا ليس نكراً للمعروف. فماذا؟".

قالت الدجاجة "نعم لك حق أن تفخر بعرفانك للجميل، ولكن إذا رأيت الناس مرة يمسون إخوتك ويذبحونها، ويشدون ريشها ويجمعونها، كما نرى عادة يفعلون بأهلنا، واليوم الذى يمسونك، تجرى وتدخل الحجرة العليا وإذا قفزت تدخل الغابة ولا يسمع عن أخبارك أحد".

سكت برتو ولم يستطع أن يقول شيئاً للدجاجة عن هذا الكلام، نهته الدجاجة والتفتت وقالت "إذا كنتم ستكلمون انتظروا وفكروا، وزنوا الكلام قبل أن يخرج من

فمكم ويسمعه الناس، هكذا يحدث المخلوق، يتكلم كلاماً لا يعرف ما سيجر وراءه وتأتى بعد ذلك وتضايقه ، لعن الله حياة الغابة " .

عندما سمع أوجو ذلك انفجر ضاحكاً ، حتى رفس بقدميه إناء الوضوء دون أن يشعر، ولما انتهى من الضحك ، اكمل الوضوء ودخل الحجرة وأدى الصلاة، وعندما فرغ من الصلاة جاءت المومس وقالت له " يا سيدى، اليوم انتهى الأرز، سأصنعه وأحمره فى الدهن " كاد يقول لها وهو كذلك ، ولكنه تذكر كلام البيغاء ، معتقداً أنه لو وافقها فسيموت، وفى نفس الوقت لا يريد أن يغضب زوجته ، وتذكر أنه لا شئ أحب إليه من نفسه، فهو إذا مات ستذهب وتزوج غيره، وتنساه ، فقال لها " لا ، أريد اليوم حساء الذرة العويجة " . نظرت إليه فى امتعاض وتركته، تمص شفيتها وتقول " حتى لو ضربنى بيده ، لن يجعلنى أصنع حساء الذرة العويجة " . سأصنع حساء الأرز وأمسك دجاجة وأذبحها إذا لم يأت لى بدهن الجمل. وسأصنع ما أريد سواء أكل منه أم لم يأكل ، لا يهمنى ، ثم قامت وقصدت جوال الأرز وبدأت تغرف منه . رأى أوجو أنه لو تركها تفعل ما تريد سيموت ، فقام وأمسكها ونشبت بينهما معركة ومصارعة، وتذكر أوجو أنه رجل فأخذها وأوقعها على الأرض ، وأخذ يضربها.

وعندما سمع الناس صراخها تقول " تبت لن أعارضك بعد ذلك ، ارحمنى أسع الناس ، وجاءوا ، وخلصوها بصعوبة . فتركت البيت .

بعد ثلاثة أيام ذهب أوجو إليها واسترضاهما لتعود ، فقالت أنها إذا عادت سيكون هذا المنزل مقبرتها. وكادت تفعل به ما تفعل النسوة فى غضبهن ، وتقضح سر، بين الناس، فألقى عليها يمين الطلاق.

وما أدراك ما الرجل الثرى، قبل مضى سبعة أيام ، طلب ثلاث نساء جميلات للزواج فقبل طلبه ، عندما استعد، طلب أن يوضع لهن الخضاب معاً، وتم الزفاف ، وانتهى حفل العرس، وعشت حياتى سالماً مع هؤلاء النسوة، ولم يسمع لإحداهن شكوى بعد ذلك .

ولما وصل البيغاء إلى هذه القصة وجد الفجر لم ييزغ فنظر إلى موسى وقال " بالله عليك حاول أن تعمل ما يشكرك الناس عليه، وتأكد أن حيلتك وخوفك لن يمنعا عنك الموت، لأنه إذا حان وقت الموت لا راداً لقضائه ، حتى ولو كنت معافى ، ها هو أمير الحرب يعيش الآن سالماً، ولكن إذا حان أجله يجلب لنفسه الهلاك "

قال موسى "أمير الحرب معافى، وقد ذهب اليوم مع الأمير".
قال البيغاء "لا أتكلم عن أمير الحرب هذا الذى تعرفونه، ولكن أتحدث عن أمير
حرب نيرائني".
قال موسى "أين هو نيرائني؟ لم أسمع اسم هذه المدينة ولا اسم أمير حربها، لماذا
جلب لنفسه الهلاك؟".
قال البيغاء "الآن تسمع القصة".

إذا حان الأجل تموت بلا مرض

فى سنة من السنين شن رجال مدينة سُرَيْدا Suraida الحرب على مدينة نيرائنى Niraini وطارد رجال سُرَيْدا نيرائنى وقتلوا منهم كثيراً وبينما هم فى نشوة النصر لدخولهم المدينة ، أعد أمير حرب نيرائنى بعض الفرسان وتتبعوا رجال سُرَيْدا وأحاطوا بهم ، ومنعواهم من التقدم أو التقهقر وكان فى رجال سُرَيْدا فارس يسمى بردى رأى أنهم سيهلكون بسبب الحصار والجوع ، فقال لرفاقه يجب أن نستमित فى الحرب حتى لا نجلب العار لأبنائنا فوافقوا على خطته وهجموا على جيش نيرائنى واستبسل بردى فى القتال حتى طعن شاباً وقتله ، وقتل رجال نيرائنى أكثر رجال سُرَيْدا ، وقبض على بردى وهموا بقطع رقبته ، إلا أن أمير الحرب أمرهم بتركه ، وحمله إلى منزله ، وأخذ يمرضه ليلاً ونهاراً ، وكان فى صباح كل يوم يأتيه فيتحدث معه ويسأله عن صحته ، فبرد قاتلاً " الحمد لله "

واستمر بردى فى منزل أمير الحرب شهراً ، ثم بدأ يسير معتمداً على عصاه ، وأمير الحرب يتتبع خطاه ، ويسنده إذا ترنح حتى لا يسقط ، وبعد عدة أسابيع بدأ يسير بلا عصا ، وذات يوم وهو يتمشى نظر إليه أمير الحرب وقال له " اقفز لنرى مدى قدرتك " ، فهم بردى بالقفز ولكنه أدرك أنه لن يستطيع ، فنظر إلى أمير الحرب وقال له " يا أبنى لا أستطيع ، لابد أن انتظر يومين آخرين " .

وبعد حوالى سبعة أيام ، أدرك أن بردى لابد أن يكون قد شفى الآن ، فطلب منه أن يقفز ليرى ، فتهاى للقفز ، وضرب الأرض بقدميه ، ونظر إليه وركع وقال " أسأل الله أن يساعدك كما ساعدتنى " .

قال أمير الحرب " الحمد لله الذى عافك " ثم قصد المنزل وأخذ رمحين وخرج إلى بردى وقال " لنذهب خارج المدينة ، لنستنشق الهواء " قال بردى " وهو كذلك " فأخذ الرمح وسارا حتى وصلا خارج المدينة .

وعندما وصلاها قال له أمير الحرب " اختر واحداً " .

قال بردى " ماذا سنفعل به؟ "

قال أمير الحرب "قلت اختر واحداً منها" فاختار واحداً قصيراً وأعطاه الطويل .
فلما أخذه أمره أن يقف مكانه ، وتأخر هو للخلف قليلاً ليتحارباً حرباً حقيقية
وليست مزاحاً ، ليحاول كل منهما قتل الآخر .
عندما شعر بردى بذلك ألقي رمحه ، وتقهقر للخلف وقال "سبحان الله اللهم
احفظنا أقاتلك!"

قال أمير الحرب "لو رفضت سأقاتلك ، فلا بد أن تقاتل ، فالحرب التي خضناها
معكم في الأشهر الماضية ، قتلت ابني طعته بالرمح ، وبحث عنك في كل مكان في
هذا الوقت فلم أعر عليك ، ثم جرحت بعد ذلك وهموا بقتلك ، ورأيتك فشعرت أنه
لو قتلوك لن أشفى غليلي ، لأنك في هذا الوقت ستكون مثل القتلى الآخرين لذلك
أمرتهم أن يتركوك وعالجتك ، والآن عندما رأيتك قد شفيت وتستطيع أن تتألم كما كان
يتألم ابني ، وأريد أن انتقم له ، حتى ولو كان ميتاً ، فقد طعته في غاية قوته ، لذلك أريد
أن أقتلك وأنت في غاية قوتك ، ولست مجرداً من السلاح ، والآن سواء رضيت أو لم
ترض لا بد أن تأخذ الرمح وتنازلي حيثنأ أشعر أنني قتلتك" .

حاول بردى استرضاءه بكل وسيلة وقال في نفسه "لقد كنت بين الأموات من قبل
وهو الذي أنقذني ، وقد أراد الله لي الحياة ، لأشرب شربة ماء ، فشربتها وهو الذي نجاني
من الموت من قبل ، وشكرته" . وأخذ الرمح .

فلما رأى أمير الحرب أنه قد أخذ الرمح ، وهجم ليقته . وقف لينطق الشهادتين -
الله فعال لما يريد ، والله ، أطال الله حياتك ، قبل أن يصل إليه سقطت رجله في جحر
سنجاب ، فأنغرس الرمح في ظهره ، فأنترعه بغضب شديد ثم وقع على الرمح ، وفي
الحال طعن نفسه ، ولم يتحرك ، فلما رأى بردى ذلك احتضنه وأخذ يبكي ، ووضع يده
على رأسه ، وذهب إلى المدينة وأخبر الأمير بما حدث ، فجاءوا ورأوه فتعجبوا لهذا
الامر ، وحملوه ودفنوه .

ومتد هذا اليوم تعهد بردى أبناء أمير الحرب وأخذ يمد أولاده بالطعام والشراب وكان
يأتي لهم أحياناً بالماعز لبيعها وشراء الحبوب رداً للمعروف الذي ناله من أمير الحرب .

قال موسى "والله لو كنت مكانه ما أعطيتهم ذرة من تراب طالما أن نيته لم تكن خيراً" .

قال البيغاء "لست وحدك تقول هذا كل من سمع القصة يقول ذلك" .

وهم موسى قائماً ، ولكنه سمع المؤذن ينادى للصلاة، وانعدمت فرصة الخروج بعد أن استيقظ الجميع.

بعد الظهر أدرك الوزير أنه لن يستطيع الوصول إلى موسى ، ليشعره أن محموداً في ميدان المعركة يقوم بأعمال مجيدة ، ففكر في حيلة أخرى فكتب رسالة على أنها من محمود، وكلف العجور بحملها إلى موسى، عندما قرأها وجد فيها "من محمود إلى أخيه موسى ، وتوأم روحه تحية كثيرة وحب ورضاء، أما بعد ، موسى أنت الآن على قيد الحياة ، ومع ذلك رضيت أن يفرقوا بيني وبينك؟ وهو كذلك ، بالأمس التقيت بأحد الفرسان من جنود سينارى وأصابنى بعدة جراح، لم يترك جزءاً فى جسمى سليماً ولا أشعر بجسمى، وإلى اللقاء فى دار السلام . ويبدو أنك نسيتهى ولا تحاول أن تأتى لنغفر لبعضنا لا بأس، أسألك المغفرة، كل إنسان سيمرى الموت ، يا موسى تذكر صداقتنا ، هذا والسلام.

عندما قرأ موسى هذه الرسالة فاضت عيناه بالدمع، وجلست العجور تحكى له الأكاذيب ، وأنها كانت تمرضه ، وأنه سلمها هذه الرسالة بيده، انخدع موسى بهذا الكلام وتحير كل رجال القصر ولم ينم خدم القصر حتى انفجر استعد موسى وذهب إلى البيغاء وهو يبكى ، وأطلعه على الرسالة التى حملتها إليه العجور ، لبس البيغاء النظارة وقرأها، وانفجر هو الآخر فى البكاء الكاذب رغم أنه يعرف أن محموداً لم يبعث بهذه الرسالة ، وأنها خدعة ومع ذلك قال لموسى "يجب أن تستعد للخروج".

قال موسى "أين أذهب الآن هاهم الخدم لم يناموا؟

لقد جئت إليك مبكراً لأريك هذه الرسالة ، وربما يكون عندك قصة تدخل السرور على نفسى فتقولها لى الآن ، لعلها تهدئ من روعى ، كى لا آتى بعد قليل ، إذا ناموا وتعطلنى حتى أتأخر".

قال البيغاء "ويحك أطل الله عمرك ، أعطلك بعد أن قرأت هذه الرسالة هل أنا مجنون؟ طالما أنك طلبت أن أقص لك قصة تدخل السرور على نفسك ، وتخفف عنك الحزن، هذا أمر سهل".

ها قصة قصيرة اجلس لأن الوقوف لا فائدة منه".

صعد موسى على الكرسي، وجلس منتظراً ، سلك البيغاء حنجرته وصبق اللعاب وبدأ يقول:

قصة الأصدقاء الثلاثة

ذات يوم خرج ثلاثة أصدقاء قاصدين مدينة يطلبون الزواج وقد غسل كل منهم ثيابه وتزين، واتخذوا سبيلهم ، وأثناء الطريق قال صغيـرهم "استمروا فى طريقكم وسألحق بكم بعد أن أفضى حاجتى".

مضى الإثنين وانحرف الثالث عن الطريق، وبعد قليل وجد صندوقاً ، سرقه اللصوص فوقع منهم ، فنظر شرقاً وغرباً فلم ير أحداً ، فانحنى وأخذ الصندوق فشعر أنه ثقيل ، فبحث عن حجر وكسره، فوجد فيه مالا كثيراً ، فجلس وأخذ يجمع المال فى قميصه، وأخذ يجرى ، وسار خلف رفيقه يناديهما ، فلما سمعا النداء توقفا، فقال لهما "بشراكم".

قال "هل رأيتما ما عثرت عليه" فلما حقق كل منهما وجد مالا كثيراً، ففرحوا جميعا، واتخذوا جانباً من الطريق وأخذوا يعدون المال ، فوجدوه أربعة وعشرين جنيهاً وقرشاً واحداً، وكان الشاب الذى عثر على المال طيباً ، لذلك قال لهما "يجب أن نوزع هذا المال علينا فياخذ كل واحد ثمانية جنيـهات ، ويبقى قرش واحد نشترى به طعاماً لنأكله".

عندما سمع كبيرهم ذلك قال "وهو كذلك ، الحمد لله شكراً، نسأل الله أن يديم محبتنا ، ولكن الأفضل أن تذهب إلى المدينة بسرعة وتشتري لنا ثريدا وكباباً بهذا القرش، ونحن نحرس المال هنا ، وعندما تعود نقسمه معاً".

قام الشاب الذى وجد المال ، وقصد المدينة جرياً ، فلما اختفى عن النظر قال كبيرهما "الأفضل أن ندبر حيلة ، ونأخذ هذا المال ونقسمه بيننا نحن الاثنين ، فياخذ كل واحد منا اثنى عشر جنيهاً".

قال الآخر "عندك حق، وهو كذلك فماذا تفعل؟"

قال الكبير "عندى حيلة هاك صياد يجلس بعيداً نناديه ونطلب منه أن يدخل كهف الشجرة، فإذا خاطبناه يرد علينا".

نادوا الصياد وأخبروه بكل ما يريدان منه وما يريدان سلبه من أخيهما ، فلما سمع الصياد حديث المال وافق ، ودخل الكهف حتى عاد الشاب ، فلما رآوه من بعيد أخذوا يبيكون ، فقال " خيراً؟ قالوا " أين هو الخير؟ هذه الشجرة سلبت منا المال كله "

نظر الشاب إلى الشجرة وقال " لا " هذا كذب ، الشجرة لا تتكلم ، فكيف تسرق المال؟ أنتم غيرتم رأيكم .

عند ذلك رد الرجل من داخل كهف الشجرة قائلاً " أى رأى غيره ، أنا أخذت المال ، وإذا كنت تظن أنك أكثر من رفاقك شجاعة تقدم وخذ المال ، سخفاء أبناء هذا الزمان ، لا يحترمون آباءهم ولا غيرهم .

عندما سمع الشاب ذلك جرى ولم يتوقف إلا فى دار الأمير ، وقص عليه كل ما حدث ، من البداية حتى النهاية .

قال الأمير " هيا نذهب إلى هذا المنافق ، من يقول أن الشجرة تتكلم أين هم رفاقك؟ "

قال الشاب " هم هناك أسفل الشجرة .

نظرا الوزير إلى الأمير وقال " أطال الله حياتك ، دعنى أذهب لأرى ما إذا كان هذا الكلام حقيقة أم كذباً ، أنت تعرف أن قدرة الله تفوق ذلك .

قال الأمير " وهو كذلك ، إذهب لنرى .

ذهب الشاب أمامه حتى وصل إلى أسفل الشجرة ، فوجد رفيقه هناك يبكيان بكاء كاذباً ، وكان الأمر حقيقة . عندما رآيا الوزير قالوا " الحمد لله وركعوا تحية له ، فنظر إليهم الوزير وقال " أنتم اللذان الذين سرقت الشجرة مالكما ؟ "

قالوا " نعم ، نحن أطال الله حياتك ، ونحن جالسان تحتها نعد المال رأينا العاصفة تهب وتغطي المكان ولم نعرف ما نحن فيه ، وبعد قليل انقشعت العاصفة بحثنا عن المال الذى كان أمامنا فلم نجد منه شيئاً ، وأخذنا نبحت عنه فى كل مكان لعل التراب أخفاه فلم نجد قرشاً واحداً ، فأخذنا نتشاجر مع بعضنا كل منا يظن أن رفيقه قد أخفاه ، عندما هبت العاصفة وغطت المكان ، ونحن نبحت فى كل مكان سمعنا صوتاً كأنه من السماء يقول " لاتلوموا بعضكم أنا الذى أخذت المال ، إذا لم تصدقونى تقدموا وخذوه " فنظرنا حولنا فلم نر أحداً ، إلا الصوت الذى نسمعه يخرج من هذه الشجرة .

فلما سمع الصياد ذلك داخل الكهف تنهد وقال " هذا حق واضح " نظر إليهم الوريث وقال " لا ، هذا حقيقة أمر واضح " .

قالت الشجرة ، لقد كنت تظن هذا كذبا ، تعال خذ المال " .

عندما سمع الوريث ذلك ، سد فمه وقال " اغفر لى ، لا شأن لى ، لقد بعثونى " .

وفى الحال بعث للأمير أن يحضر بنفسه ليرى لأن الرؤية خير من السماع وبعد قليل أقبل الأمير وكل رجاله ، وعند وصولهم قال الوريث " أطل الله حياتك ، أرايت هذه الشجرة الصغيرة التى تحاورنا؟ " .

عندما سمع الصياد ذلك قال " أنا شجرة صغيرة ، من أنت حتى تقول لى شجرة صغيرة ، حتى أن قزمك هذا يلومنى؟ ، من اليوم لن ترى مثلى شجرة تقول لها صغيرة " .

عند سماع ذلك خفق قلب الوريث ، سجد أمام الشجرة يطلب العفو والمغفرة ، فوقف الأمير مذهولاً ، ينظر إل كهف الشجرة ، ولا حظ أن الإنسان يمكن أن يدخل فيه ، ونظر إلى أسفلها فوجد أثر أقدام شخص يدخلها ، ونظر إلى أقدام الشباب الثلاثة أصحاب المال فلم يجد قدماً مثلها ، وتذكر أنه لم يسمع من قبل أن الجان يحدث الإنس هكذا صراحة ، وأنه لم يسمع بهذا منذ وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام ، وأدرك أن هذه مكيدة دبرها الاثنان لهذا الشاب . الذى عثر على المال ، فنظر إلى الوريث وقال له " قم أتسجد لكهف شجرة؟ ، والتفت إلى الشجرة وقال " ردى إليهم مالهم وإلا أشعلت فيك النار ، كل من يمس مملكتى بظلم سواء من الجن أو الانس يجب أن أقضى عليه " .

فقالت الشجرة " سلطتك على الناس ، ولكن إذا فرضتها على الجن ستكون نهايتك " .

نظر الأمير إلى الحاضرين وقال " اقطعوا أفرع هذه الشجرة " فأسرعوا فى الحال وانتشروا أسفل الشجرة وقطعوا فروعها " .

فقال " أحضروا النار " وقصد الشجرة وهم بإشعال النار فيها وسط دهشة الحاضرين ، فأدرك الصياد أنه لو انتظر دقيقتين سيهلك ، فصرخ وقال " بالله لا تشعل النار أطل الله حياتك أنا إنسان ، دعنى أنزل " .

وفى الحال خرج رجل من داخل الكهف والمال فى يده ، وركع وحيا الأمير وأخذ يقص عليه كل شئ .

تعجب الأمير ورجاله من هذا الأمر ، وأخذ الناس يقولون "لابد أن هذا الأمير من الجن".

وفى الحال أمر الأمير أن يجلد هذان الرجلان والصياد خمسين جلدة ويحبسوا فى السجن ستة أشهر ، وأن يطاف بهم فى المدينة ليراهم الجميع ، وأخذ المال كله وسلمه للشاب الذى عثر عليه ، فركع وحيا الأمير وقام وعاد إلى منزله ، وذهب الأمير إلى قصره ، وكان كلما تذكر هذه الحادثة نظر إلى الوزير وتذكر كيف جلس كالجمل بسرواله الواسع أمام الشجرة فيضحك.

ابتسم موسى وقال "ليس الأمير فقط الذى يضحك ، كل من سمع هذه القصة يضحك ، النفاق لا فائدة منه".

قال البيغاء "كيف تعرف أن النفاق لا فائدة منه ، طالما لم تسمع قصة كاطوا والصوص الثلاثة؟

قال موسى "هل أكثر من هذه القصة ، لا أظن ذلك؟ ماذا فعلوا؟ قل لأسمع".

قال البيغاء "هذا أفضل ، افتح لى أذنك".

النفاق يضر صاحبه

فى يوم من الأيام كان يوجد قروى يسمى كاطوا ، حمل فأسه وقصد الغابة ليقطع بعض الأخشاب، وكان فى هذه الغابة بعض اللصوص يعرفهم كل أهل القرية، توغل القروى فى الغابة ، فرأى من بعيد شيئاً يلمع ويأخذ بالأبصار ، فاقترب ليفحصه ، فوجد كومة من المال ، فتلفت حوله فلم يجد أحداً فانحنى وملاً جيب قميصه ، وحمل فأسه وأخذ يعدو قاصداً منزله.

وما كاد يبعد عن المكان الذى وجد فيه المال حتى التقى بثلاثة لصوص فقالوا له "أنت ، قف ، لماذا تجرى؟"

ارتجف كاطوا وارتعش يحسب أنهم أصحاب هذا المال ، وقال "من ؟ أنا؟ نعم الموت هناك فى هذا الفضاء جعلنى أجرى".

ضحك هؤلاء اللصوص وقالوا له "رأيت الموت بنفسه ، أم ثعباناً؟"

قال كاطوا "والله رأيت الموت بنفسه هناك مكوم ، لذلك لم اتوقف فى هذا المكان ، لكى لا يقال أننى رأيته ، وأخذت أجرى".

ظن اللصوص أنه يخاف منهم لذلك يرتجف ، فقالوا له "حسناً ، هيا نذهب لنراه معك".

سار كاطوا وهم يتبعونه ، حيث تجمع هذا المال ، وقال "ها هو ، والله لم آخذ منه شيئاً ، لا تظنوا أنى أخذت منه " وهو يخفى جيبيه ، يظن أنه مالهم ، لذلك كان مرتبكاً.

وشاء الله ألا ينظروا إلى جيبيه، وقالوا "حسناً ، إذهب، إذا قلت شيئاً سنأتى بالليل ونقطع رقبتك".

عندما سمع كاطوا ذلك جرى كما يجرى الكلب، ولم يتوقف إلا فى البيت وهو يلهث ، كأن روحه ستفارق جسده، وأخفى المال، وأمسك فمه ولم يتكلم .

عندما رأى هؤلاء اللصوص أنه غاب عن الانتظار ، وقفوا يتعجبون من هذا المال ويقولون "ربما سرقه بعض اللصوص ، وعندما رأوا أنه كثير تركوا النصف هنا ، الله أكبر ، وهذا القروي ظن أنه مالنا".

قال كبيرهم "نعم ، ربما خاف ، والآن مضى وقت لعله وصل إلى منزله".
قال الآخرون "ويحك، فكّر ، لقد جرى مسرعاً ، حتى السيارة لا تلحقه الآن" فضحكوا.

وأخذ كبيرهم جنيهاً واحداً وأعطاه لصغيرهم وقال بسرعة اذهب إلى السوق ، واشتر لنا طعاماً لنأكله لأننا جعنا ، وبعد ذلك نبحت كيف نقسم هذا المال" أخذ صغيرهم المال ، وارتدى ثيابه كأنه ليس لصاً ، ولف العمامة ، وذهب إلى السوق ، وقصد بائعة الثريد، واشترى منها ، ثم ذهب إلى القصاب واشترى لحماً مجففاً ، وحمل الثريد واللحم وعاد إلى الغابة ، وهو يضم في نفسه ما يفعله ليسلب منهم المال وحده فرأى شجرة التينا السامة ، فوضع متاعه جانباً وقال "الحمد لله ، لأخذ عصير شجرة التينا وأضعه في هذا الطعام ، وأقدمه لهم، وإذا طلبوا مني أن أكل أدعى أنني أكلت في السوق فإذا أكلوه كله ماتوا جميعاً ، فأجمع المال ، وأتجول في المدينة وأتسوق واشترى ما أشاء" وكسر غصناً من شجرة التينا وصب في الطعام.

سبحان الله ، قبل أن يعود تشاور رفاقه ، واتفقوا على أن يقتلوه بعد أن يعود ، ويأخذوا المال ويقتسموه وحدهم ، وقالوا هذا أفضل.

وبعد قليل وصل صغيرهم بالطعام فانهالوا عليه ضرباً ، ولم يستطع الخلاص منهم ولم يتركوه إلا بعد أن قتلوه، والتفتوا إلى الطعام والتهموه ، ولما انتهوا جمعوا المال ودفنوه في مكان اتفقوا عليه ، وما كادوا يتنهون من الطعام حتى أخذ كل منهم يترنج ، ويسقط على الأرض ويقوم ، وفي الحال ماتوا جميعاً.

وبعد سبعة أيام ، قال كاطوا "فلأذهب إلى هذا المكان ، فإذا وجدتهم أخذوا المال، أبحث لعل الله يرزقني بالقليل ، وإذا وجدتهم أدعى أنني جئت لأخبرهم أن الشرطة ستأتى للقبض عليهم غداً ، والأفضل أن ينجوا بأنفسهم ، وقد جئت لأخبرهم بذلك لأنهم رحموني ربما يعطوني شيئاً والمال ها هو مكوم كما هو لم ينفد".

ولما وصل إلى المكان وجدهم جميعاً أمواتاً ، فأخذ يبحث عن قتلهم، فلم يجد أحداً ، بل وجد الذئاب قد أكلتهم ، فظن أن الذئب قد قتلهم، ففرح فرحاً شديداً وبسط

رداءه وجمع المال ، وحفر حفرة صغيرة وصبه فيها ، وعند المغرب نادى ابنه ، وذهبا
وأحضرا الباقي ، وعاش يتفق ماله باتزان وتعقل ، هو وابنه دون أن يعلم أحد .
انفجر موسى فى الضحك وقال " الله أكبر ، المقسوم لك لا بد من نواله "
وأصغى قليلاً فسمع الأذان ، فقال للبيغاء " هذا الأذان الأول أم الثانى "
قال البيغاء " الأول ، ولكن أنصت لنسمع " فسكتوا فسمعوا المؤذن يقول " الصلاة " .
قال موسى " سبحان الله ، لقد طلع الفجر دون أن نشعر " ثم قام ودخل القصر ،
وظل لا يأكل لقمة واحدة من الصباح حتى المغرب ، لشدة الحزن .
ومنذ غروب القمر حتى صلاة الصبح وموسى يستعد ، وجاء إلى البيغاء يقول " إلى
اللقاء " .

قال البيغاء " عدت سالماً " ونظر مرة أخرى إلى موسى وقال " ولا الوزير ، هل يرى
الإنسان ابن أمير قوياً مثلك ويمنعه من الذهاب إلى القتال؟ هل تكون أخلاق الوزير
هكذا " .

قال موسى " أتركه ، عجزور أخرق ، حتى لو منعنى سأذهب الآن . "
قال البيغاء " اذهب لشأنك ، كل ما يفعله الإنسان سيرتد عليه إن عاجلاً وإن آجلاً ،
إن شاء الله يسمع قصة هفرو وابنه ، الذى أجمل بعض الأمور " .
قال موسى " ما هى قصة هفرو وابنه ؟ أخبرنى لعلنى استفيد .
قال البيغاء :

ما يزرع الإنسان يحصده إن خيراً خيراً ، وإن شراً شراً

فى يوم من الأيام كان يوجد رجل لم يرزقه الله الابن ولا الحفيد، فأخذ كل عقاقير أدوية الدنيا لينجب، فلم يشأ الله ، حتى تعب فصبر .

وبينما كان يجلس أمام باب منزله ، رأى رجلاً أمسك ابنه وانهاه عليه ضرباً مبرحاً، فقال " الله أكبر واحد رزقه الله الابن فينهال عليه ضرباً، وأنا أبحت عن الابن فلا يشاء الله، لو كان الله وهبني هذا الابن، ما ضربته مهما كان عقوقه ، إذا كان الابن عاقاً ، أو غير عاق سواء ، ولكن سوء بصيرة من الناس " .

ومرت الأيام وشاء الله أن تحمل زوجة هذا الرجل ، وبعد تسعة أشهر أنجبت طفلاً ذكراً ، وأقيم السبوع وسمى المولود هفرو ، ونشأ الطفل مدللاً ، مهما يفعل لا يقول له الأب شيئاً ، حتى وصل الأمر إلى عقوق الأب وعدم مساعدته ، بل إن حب الأب للمولود جعله يأكل معه فى إناء واحد، بل إن الاثنان بعد الزواج لم ينفصلاً عن بعضهما أثناء الطعام .

ولما بلغ الأب سن الشيخوخة أخذ الابن يتضجر من الأكل مع أبيه ، فإذا أكلا معا منع الابن أباه أن يمس الطعام الذى أمامه ويدعى أن أباه شديد القذارة ، ويترك المخاط ينزل من أنفه دائماً يكح ولعابه يسيل ، فلا يقول الأب له شيئاً ، وكانت يده ترتعش فيقع الأكل من يده فى الإناء، فيزجره الابن ، ويجذب إناء الطعام من أمامه ، ويقول أنه سيقدم الطعام لأبيه بعد أن يأكل .

وذات يوم وهم على هذه الحال ، قال هفرو إن أباه لا يلعق الإناء، ويتركه قذراً، ويلوثة بلعابه، لذلك أحضر لأبيه إناء خشبياً وأخذ يضع فيه الطعام وذات يوم كان يأكل ، فارتعشت يده وسقط الإناء منه وانصب الشريد ، فجاء هفرو وزجره ، لرعشه يده، وذهب إلى السوق واشترى له مزوداً ، كالذى يوضع فيه طعام البقر، وأحضره إلى المنزل وأخذ يقدم له الطعام فيه، ويقول " اقلبه أيضاً، لنرى " .

لم يفعل الأب شيئاً ، إلا أن الأمر ضايقه وأخذ يبكى ويقول " هذا ذنبى لأنى لم أحسن تربيته وهو صغير ، ولكن لا بأس ، الله ينتقم لى " .

ومرت الأيام وشاء الله أن تحمل زوجة هفرو ، وولدت طفلاً ذكراً، وسمى إشيأ، وعندما بلغ سن الرابعة، ونما عقله، صار لا يلعب ولا يأكل إلا مع جده، وحاول أبوه منعه من الأكل معه، ولكن الطفل رفض حتى كان يحمل السمن واللحم، وكل ما يتاله من الطعام يذهب به إلى جده .

واستمر الحال على ذلك حتى بلغ إشيأ سن السادسة، وذات يوم خرجوا إلى المزرعة وكان يمسك له قربة الماء، وعندما وصلوا أخذ الأب يعمل في الحقل حتى توسطت الشمس السماء ، إذا بزوجه أم الطفل تأتي بالطعام، فترك عمله ، وجلس لياكل ، وجلست زوجته بالقرب منه، فأخذ الطفل فأسا صغيرة ودخل المزرعة وأخذ يقطع قطعة من الخشب ، وعندما رآه أبوه قال له "ماذا تفعل؟ أترك هذا العمل الذى لا فائدة منه، وتعال كل الطعام، دائما تفعل هذا حتى تجرح قدمك، وتترك الناس يمرضونك" .

عندما سمع الطفل ذلك، قال لأبيه "كل أنت، واترك طعامى، وسأبقى هنا أقطع هذه الخشبة ، أريد أن أصلح هذا الفرع ، لأصنع به مزوداً صغيراً ، واذهب به إلى المنزل واحفظه حتى تشيخ فأضع لك الطعام فيه" .

عندما سمع والد الطفل ذلك شعر بالندم، وتعجب "حقاً ما يقوله الناس ما تزرعه تحصده" .

ولم يتم هفرو عمله في المزرعة ، فقام وجمع متاعه ، ودفعوا الطفل أمامهم وعادوا إلى المنزل ، وعندما وصلوا المنزل أخذ هفرو يد ابنه وذهب به إلى جده ، وركع وقص على أبيه ما قاله الطفل في المزرعة ، وركع مرة أخرى وأخذ يسأل أباه المغفرة وهو يبكى ندماً على ما فعله ، والطفل ينظر وأخذ يسأل أباه المغفرة وهو يبكى ندماً على ما فعله ، والطفل ينظر ولا يدرك ما يحدث أمامه، فقال الجد "كل ما حدث أنا السبب فيه، اذهب قد غفرت لك فى الدنيا والآخرة" .

قام هفرو مسروراً ، ومنذ هذا اليوم لم يعد يحتقر أباه، حتى شاء الله أن يموت بين يديه وافترقا على الخير ، وكان هفرو إذا رأى ابنه ، وتذكر الكلام الذى قال ، يتعجب ويقول "أبناء هذا الزمان عقلهم أكبر من عمرهم" .

عندما شعر موسى أن البيغاء وصل إلى نهاية هذه القصة قال "هذه القصة تحذير مفيد لمن يسمعها" .

قال الببغاء "ليست هذه فقط ، كل القصص الذي أقصه ، إذا دقت فيه تراه كله
هكذا ، لا عيب في الإنسان الذي يستطيع أن يتحكم في لسانه ، إليك مثالا صغيراً عن
السلحفاة والطائر المتوج " .

احفظ لسانك قبل يدك

ذات يوم رأى طائران متوجان شجرة تين على شاطئ قناة، فكانا يطيران كل يوم ويقفان عليها ويأكلان ثمارها، وكان يعيش تحت هذه الشجرة سلحفاة، فكان إذا أكل الطائران سقطت ثمار التين فتأكله، فلما رأت السلحفاة أن الطائرين يسقطان لها التين ظنت أنهما يقدمان لها هدية لأنهما يحبانهما. فلما رأت خيرهما كثيراً رفعت رأسها ذات يوم وقالت للطائر المتوج "يا إخوتي أشكركما، كل يوم أكل التين الذي ترميانه لى، خيركم زاد كثيراً، حتى أننى أخجل من شكركما جزاكما الله خيراً".

فلما سمع الطائران ذلك نظرا إليها، وأدركا ما يحدث. وكاد الكبير أن يقول لها أنهما لا يحبانهما ولكن التين هو الذى يسقط، ولكن رميله منعه، ونظر إلى السلحفاة وقال "لأننا رأينا أنك لا تستطيعين الصعود، ونساعدك لأن الله خلق لنا جناحين، لذلك لا نخجل من هذا الأمر البسيط، نسأل الله أن يديم المحبة".

قالت السلحفاة "آمين"، وأنا بدورى أشكركما وعاشوا على هذه الحال، وبدأ الأمر كالمزاح ثم تحول إلى صداقة حقيقية، وعندما يأتى الطائران فى الصباح لا يبدآن إلا بتحية السلحفاة والسؤال عن حالها، وعاشوا لا يودون أن أحداً يمس واحداً منهم بسوء".

ونفذ التين بعد شهر واحد، وعاد الطائران يبحثان عن ديدان الأرض، وبعد شهرين آخرين جف ماء النهر، وعاد المكان كما كان، لا توجد فيه قطرة ماء، وعندما رأى الطائران ذلك فكرا فى ترك المكان والبحث عن مكان آخر، حيث لا يستطيعان الحياة بلا ماء.

وعندما عزموا على الرحيل، قالت الصغرى "يجب أن نذهب ونودع السلحفاة حتى لا تحزن وتظن أن أمراً سيئاً قد أصابنا". وطارا وذهبا إلى السلحفاة، وقالا لها أنهما مهاجران.

ولما سمعت السلحفاة ذلك قالت "لا تتركاني، يجب أن نذهب معاً، وما يصيبكم يصيبنى، كيف أستطيع الحياة بدون ماء؟"

عندما سمع الطائران ذلك قالا : ماذا ستفعلين حتى تتبعينا وأنت بدون أجنحة؟
قالت السلحفاة " يجب أن تحملاتي ، إذا حاولتما ستقدرا على ذلك " .
قال الطائر الكبير " من منا يستطيع أن يحمل شيئاً ضخماً مثلك؟ قولى ونحن نفعل ، كيف نستطيع إمساكك وجسمك كله أملس؟ "
قال الطائر الصغير " دعها تذكر حيلتها ونسمعها ، ربما لديها حيلة ، إنهم يقولون الحى لا يعجز عن التفكير " .
قالت السلحفاة " نعم ، إن لدى حيلة عرجاء قد تنفع ، إذا كنتم تقدران ، عليكما أن تحضرا ساقاً قوية من الحطب طولها حوالى ذراعين وأمسكها من الوسط بفمى واتعلق فيها وتطيران بى إلى حيث تريدان . "
قال الطائر الكبير " هذه الحيلة لا تصلح مع مخلوق مثلك كثير الكلام " .
قال الطائر الصغير " لا ، إذا قالت أنها تستطيع الكف عن الكلام ، نحملها ، وطار وأحضر ساقاً قوية من الدخن وعاد به ووضعها أمام السلحفاة ونظر إليها وقال " بالله عليك إذا أمسكتها فلا تتكلمى " .
قالت السلحفاة " ويحك ، هل تحشانى على ذلك ، كأتى طفل صغير؟ أنا أتكلم عندما أريد ، واكف عن الكلام عندما أريد " .
قال الطائران " الحمد لله ، وحملا الساق وطارا والسلحفاة معلقة بها .
وأثناء الطيران مروا فى طريقهم على السوق ، وهما يطيران فوقه ، نظر الناس إلى أعلى فرأوهم فقالوا " هيا انظروا ، طائران يحملان سلحفاة ، أيها الناس والأمور العجيبة لا تنتهى فى هذه الدنيا " .
عندما سمعت السلحفاة ذلك ، غضبت وقالت " لعن الله عيونكم أيها الناس لا ترون شيئاً وتتركونه " ولم تكذبتم ما تقوله حتى سقطت على الأرض بحجمها الكبير واصطدمت بالأرض وماتت .
رواصل الطائران طيرانهما ، فى حزن شديد وهما يقولان " من لا يستطيع التحكم فى فمه يلقى الهلاك " .

وأصغى موسى فسمع أحد الخدم يوقظ زميله ويقول له "لقد طلع الفجر ، فقطب جبينه ، فقال البيغاء "اليوم لم ينقض عبثاً ، لأننى قصصت لك عظة ".
قال موسى " عظة " .

أخذ البيغاء يسليه ويهدأ من روعه ، ومضى الوقت فى حديث وسمير .
وعندما غربت الشمس ، وحان وقت خروج موسى ، حضر وقال للبيغاء " بالله عليك اتركنى أمضى ولا تقل شيئاً " .
قال البيغاء " إلى اللقاء " .

قال موسى " أى يوم تركتنى ولم تقص على قصة " ووضع المفتاح وفتح باب الدهليز الأول ، وتهيأ للخروج ، وفتح الثانى ، والبيغاء يتبعه ، ويقول " الآن شئ عظيم خطر على بالى ، الأيام السابقة أعطيتك دواء للقوة ، ولم أعطك دواء لتحاشى السهام ، إذا أخذته يساعدك على تفادى الحراب والسهام " .

قال موسى " لا أستطيع تحاشى الضربات ، إذا كان قريباً منك أحضره لى ، لا أحد يرفض المساعدة " .

قال البيغاء " شجرة اللبلاب هنا قريبة ، انتظر حتى أذهب لإحضاره لك . " وخرج من النافذة مسرعاً .

قال موسى " بالله عليك أسرع " .

قال البيغاء " الله أكبر " وطار حتى وجد حديقة فأخذ يسرق منها التين ويأكل ، وعندما شبع ، وشعر أن الفجر ظهر ولكنه كان ضوء القمر فقطع بعض أغصان التين وعاد يقول لموسى " ها هى ، ابحث عن قطعة قماش وضعها فيها بعد الخياطة ، واجعلها مع لباس الحرب حتى لو أمطروك بالسهام فلن تصيبك واحدة منها . ولكن بشرط واحد هو أن تتعلم كيف تتفادى الحراب ، لأن هذا الحجاب لا يفيد إلا إذا تعلمت هذا الفن " .

قال موسى " وهو كذلك " وفتح المر الثانى ، فنظر البيغاء جهة الشرق لعله يرى أن موعد الصلاة قد اقترب ولكنه وجد أن ضوء القمر قد خدعه وأنه عاد مبكراً ، فأخذ يتبع موسى متسللاً فوجده قد فتح باب المر الثالث فقال دعنى أقص عليك قصة جميله ، كان فى أحد الأيام بعض التلاميذ .

قال موسى " اذهب واتركنى لقد سئمت قصصك " وفتح باب الممر الرابع .
تبعه البيغاء وهو يقول " نصرك الله ، أنت بذلك ترفض قولى ، ولكن طالما أنك لا
ترفض قول والديك ، انظر إلى تحذير الأمير لك فيما يتعلق بى ، أنت كنت متمسكاً بما
أمرك به والدك الأسبوع الماضى منذ أمس " .
التفت موسى وقال " اتعنى أننى ملتزم حتى مثل يوم أمس فقط ، فما بالك باليوم " .
قال البيغاء " دائماً أنت متمسك بكلام والدك " .

أسوأ الأمور أن يغضب الابن والديه

أظن لم أقل لك أبداً، فى أحد الأيام عقد لبعض التلاميذ اختباراً، وكان من بينهم ابن إمام المدينة، وكان اسمه، إيلو، لا يهتم بعمله مطلقاً، وكان يلعب كلما شرح لهم المدرس الدرس، لذلك عندما عقد لهم هذا الاختبار لم ينل درجة واحدة، مما أغضب معلميه فهو ابن أحد كبار المدينة، ومع ذلك فسد، لذلك ذهب المدرس وأخبر الإمام عن حال ابنه، حتى لا يؤاخذهم بعد ذلك.

عندما قال المعلم للأب غضب، ونادى ابنه وطلب منه أن يجتهد، ونهره وقال له، إن لم يجتهد ويتعلم القراءة والكتابة، لن ترجى فائدة منه وسيجعله يحمل اللحم المجفف على رأسه ويبيعه فى السوق.

قام الولد غاضباً من كلام الأب، كيف يقول له أنك إذا لم تجتهد سأرسلك إلى القصاب لتبيع اللحم الجاف فى السوق، وعاد إلى المر الضيق فى المنزل وجلس غضبان. ولما جاء وقت الطعام جاء أخوه الأصغر إبراهيم يدعو للطعام، فنظر إليه إيلو غاضباً وقال "إذهب كل أنت، أما أنا فلن أكل".

انفجر إبراهيم ضاحكاً وقال له "هل تظن أن أحداً يهتم بأمرك، أكلت أم لم تأكل؟ إذهب واسترح". وذهب وأخبر والديه.

قال الإمام "غضبان لأنى نهرته؟، وهو كذلك، اتركه، بجوعه" قالت الزوجة "مثل البنت التى ترفض العريس الغنى" وتقول الأم هذا ومع ذلك كان قلبها مع إيلو، وغافلت الإمام وذهبت إلى الولد تستعطفه ولكنه رفض تناول الطعام، وحاولت كثيراً فنظر إليها وقال "ما شأنك بى، إذا كنتم تقولون أنه لا فائدة منى، إلا أن أبيع اللحم؟ ما ذنبى إذا كان المعلم لا يحببنى ولا يوجد فى الفصل عشرة أفضل منى".

قالت الأم "هيا أواجهك به".

قال الولد "لماذا تواجهونى به؟ حتى لو واجهتبونى به لن أتناول الطعام، إذا تفعلون مع بائع اللحم المجفف؟"

عندما نظر الإمام ولم يجد الزوجة ، ظن أنها عند إيلو ، لذلك نادى إيلو قائلاً " قم تعال كل ، لا تكن غيباً . "

قال إيلو " أنا لست غيباً ، أنا أذاكر ، وأنا بائع لحم ، كيف سأكل معكم ؟ "

قال الإمام " ولد فاسد ، عنيد ، لعن الله أولاد هذا الزمان . "

قال إيلو " وصرت كذلك ولداً فاسداً ، بعد أن كنت صبي قصاب . "

نظر إبراهيم إلى أبيه وقال " لقد غضب ، يا أبتى . "

سمع إيلو هذا الكلام فقال ، وأنت الآخر ما شأنك - فغضب إبراهيم ، وقديماً قالوا الأرنب لا يغضب ممن سلخه ولكن ممن أمسكه ، فقال " من الذى طلب منه الكلام حتى يتكلم ، وأنت تعرف أن إبراهيم يحتقرنى . " وقام ودخل حجرة نومه ، فلما دخل وجد سروال إبراهيم على سريره فألقاه خارج الحجرة قائلاً " يكرهنى ويضع سرواله على سريري ، لينتقل القمل إلى " وصعد سريره ونام ، وقد أخذ الجوع يشتد عليه .

وبينما هو راقد ، يتهيأ للخروج إذ بإبراهيم يأتى ويقول له " جاءك ضيف . "

نهره إيلو وقال " اخرج واتركنى . "

ابتسم إبراهيم وقال " صديقك جاء . "

قال إيلو " قلت لك اخرج واتركنى بالتى هى أحسن . "

خرج إبراهيم يقول " أعرف أن الجوع يثير غضبك ، ولكن لا بأس . "

لقد كان إبراهيم صادقاً ، قام إيلو وتحير من شدة الجوع ، وفكر أن يعود ويطلب الطعام الذى قدم له ، ولكنه خشى أن يسخروا منه ، لذلك تحمل ، وقرب العصر شعر أنه لا يمكن الصبر على الجوع ، فأخذ سرواله ، وتسلسل ليذهب إلى السوق ف شعر بحركة والده فى الممر ، فادرك أنه إذا رآه سيضربه ، لذلك عاد ودخل من سور الحطب وخرج ، وقصد السوق حيث بائعى الملابس المستعملة ، فوجد خياطاً فقال له " هل تشتري سروالاً ؟ "

أخذ الخياط السروال ونظر إليه وقال " خذ سروالك ، هذا ليس قماشاً ، بل فضلات قماش ، لا يبيعونه فى انجلترا ولكن يرمونه ، أو يعطونه صدقة ، ولكن لا بأس كم تبيعه ، لأضعه فى الجزء الخلفى لبردعة حمارى . "

قال إيلو "كم ستدفع؟"

قال الخياط "أربعة قروش ، هل اشتريته غالياً؟"

قال إيلو "قالوا لى لا تبيعه بأقل من ثمانية قروش " .

فتح الخياط فمه كأن سيثاءب ، وأعطى إيلو السروال وقال "إذا طفت به السوق لن تجد من يشتريه بشلن ، انظر إليه كيف هو جديد؟"

لاحظ إيلو أنه يسخر منه ، فسلمه السروال وقال "أربعة قروش"

فدفع له نقداً ، فقبض الثمن ودخل السوق يشتري طعاماً وعندما اقترب المغرب وتفرق الجميع ، ولم يتبق أحد فى السوق ، قصد بائعى الكباب وجلس عندهم وطلب منهم بعض اللحم المدهن بأربعة قروش ، وأخذ يأكل حتى شبع ، وطلب ماء وشرب ، وقصد المنزل وهو يقول "طالما أنهم يلوموننى ، فسأبيع ملابسى لأكل ، ولن أكل طعامهم مرة أخرى إلا إذا جاءوا واسترضونى."

ولما عاد إلى المنزل وجد أمه قد أرسلت إليه ثريدا بالعسل فى حجرته ، ففتحه ، ونظر فيه ، واغترف قليلا منه بالمغرفة وذاقه ، فوجده حلوا المذاق ، قال "ها أنا أحب هذا الثريد ولكن إذا شربته سيسخرون منى ومع ذلك فلاشرب ثلاث ملاعق ، فلن يشعر أحد بها ، وجلس وشربها ، وما كاد ينتهى حتى دخل أخوه الصغير فقال "أين ذهبت ، ها هى أمى طلبت أن أحضر لك الثريد؟"

قال إيلو "ماشأنك بما ذهبت إليه ؟ وماذا أعطيت لى ؟ خذ الثريد لن أشرب شيئاً ، أنا غيبى ، ولد فاسد ، ما شأنكم بى ، فلاذهب وأموت."

ما كاد يخرج إبراهيم بالثريد حتى أخذ ايلو يتلوى من المغص الذى أصابه من اللحم المدهن ، ويخرج ما فى بطنه ويتأوه على السرير.

عندما سمعت الأم نادى إبراهيم ليسرع ليعرف ما حدث ، فوجده يتقيأ وقد غارت عيناه ، فسألوه عما أكل فقال "لحم".

فى الحال طلب أبوه احضار تمر هندى ، فأسرعت الأم ، بينما إيلو يصرخ ويتلوى ، وعجز عن النوم أو القيام ، وعندما أحضرت الأم التمر هندى تقعوه فى الماء وصبوه له فشرب وأخذ يفرغ ما فى جوفه ، وقبل العشاء تم له الشفاء . وقبل الفجر شفى تماماً،

فذهب إلى والديه ، وطلب منهما المغفرة ، فقال لن يعارضهما من اليوم وسيؤدى واجب المدرسة ، وسيسمعون خيراً إذا أجرى له الاختبار مرة أخرى ، ومن هذا اليوم أصبح ولدًا طيبًا وليس له مثيل في فصله.

نظر موسى فوجد الشمس قد طلعت فقال للبيغاء " رأيت لقد كنت أريد الرحيل فأخبرتني بلا فائدة ها قد تأخرت " وعاد وهو مملوء بالغضب.

وقد منع تقديم أى طعام للبيغاء طوال هذا اليوم ، وعندما غربت الشمس وجاء الصبح نظر البيغاء إلى الطريق الذى يخرج منه موسى ، فلما رآه خارجاً بالسيف مسلولاً ، قال له " خذنى ، أذهب معك " .

نهره موسى قائلاً " ماذا تفيدنى فى ميدان القتال؟ طائر صغير ثرثار مثلك ؟ تريد أن أقول لك أخباراً؟ "

قال البيغاء " ليس من أجل الأخبار ، الحرب خدعة وليست قوة، أظن أنك لم تسمع الحيلة التى فعلها الجدى حتى يطرد الذئب الذى ورث منزله .؟ "

ضخم مجنون وصبي عاقل يفوقه

كان يعيش أحد الذئاب الذئاب فى كهف فى الغابة رينة حتى أصبح لا مثيل له فى كل الغابة ، وكلف أحد القردة بحراسته فى غيابه ، حتى لا يهاجمه أحد أثناء عدم تواجده فيسرق متاعه ، فكان القرد لا يغادر هذا المنزل أبداً ، وذات يوم هبط على المنزل جدى وزوجته وأولاده الثلاثة ، منذ خرجوا للرعى ودخل عليهم الليل وضلوا الطريق ولم يستطيعوا العودة إلى المدينة ويخشون لقاء أسد أو ذئب .

فلما رآهم القرد قال لهم " أنتم من أين جئتم ؟ ومن أنتم ؟ هنا بيت الذئب ، اكنتمو السر فى أنفسكم وعودوا ، وإلا ذهبت الآن وقلت له فيأتى و يأكلكم؟ "

نظرت العتزة إلى الجدى وقالت " يا سيدى ما هربنا منه قد حدث وأوقعنا أنفسنا فى الهلاك ، ليتنا نعرف كنا صبرنا على العشب الذى يقدمه إلينا صاحبنا كل يوم فى المساء ، ها هى الشراة وحب العشب الغض جلب لنا الهلاك " .

نظر القرد إلى الجدى وقال " لقد قلت لكم اهربوا ، وإلا أذهب وأخبره "

قال الجدى وهو ينهر القرد " رجل فاسد ، هذا منزلى ورثته جدا عن جد ، الأمير ماسو ورثته ولن يسلبه أحد منى فى هذه الدنيا على سعتها ، اذهب وقل له وأنا هنا منتظره " .

جرى القرد وذهب إلى الذئب ، وبعد أن ذهب قالت العتزة للجدى " تنجو قبل أن يأتى الذئب " .

قال الجدى " أنت عديمة العقل ، إذا أظهرنا الآن أننا خائفون هلكنا ، ولا مفر لنا حتى لو جرينا ، إذا رأينا الذئب قادماً ، قولى للأولاد أن يبكوا جميعاً فى وقت واحد ، فإذا سألتك عن سبب بكائهم ، قولى أنهم يشعرون بالجوع ، إنهم يريدون لحم الذئب ، لا يريدون لحم ذئب الأمس ، فقد تعفن " .

أجابت العتزة قائلة " وهو كذلك ، ولكن لا أرى أن هذا سينجينا "

عندما وصل القرد إلى الذئب قال له "ها حيوان بأولاده جاء يقول أن هذا منزله جدا عن جده الأمير ماسو ، فقلت له أن يهرب حتى لا تأتى فتأكله ، قال ، من أنت ؟ وقال كلاما لم أسمعه عنك من قبل ."

قال الذئب "هل تعرفه"

قال القرد "لا ، ولكن الغزال يقول أنه جدى"

قال الذئب "مع أنى لم أره ليس جدى ، لا يفعل ذلك ، كيف شكله؟ وما حججه؟"
قال القرد "أطول منى قليلا ، ولون شعره أحمر وغزير وله ظلف مثل الغزال"

قال الذئب "إذا تأكدت أنه لا يفوقنى قوة، نذهب لنراه ، كم عددهم؟"

قال القرد "هو وأولاده خمسة"

قال الذئب "كم ، خمسة ، ليسوا قوة ، الكثرة تغلب الشجاعة"

قال القرد "كلهم صغار الكبير فيهم طوله قدم فقط ، وفى هذه الغابة لا يوجد من يفوقك قوة إلا الأسد والفيل ."

قال الذئب "اسكت حيوانات الغابة التى تفوقنى قوة من يعرف عددهم ، هيا لنراه إما أن نتصر عليه وإما أن ننجوا بأنفسنا ."

عندما رأهم الجدى من بعيد قال لزوجته ادخلى بالأولاد داخل الكهف ، واجعليهم يكون فى وقت واحد ."

فلما دخلوا انفجروا جميعا فى البكاء ، ماء ماء ماء ، فقال الجدى "ماذا أصاب هؤلاء الأولاد؟" قالت العنزة "يقولون كل هذا اللحم الذى فى الكهف لا يأكلونه يريدون أن يأكلوا لحم الذئب فقط لأنه لذيذ"

قال الجدى "وهو كذلك ، اعطيهم لحم الذئب الذى قتلته أمس ليأكلوه"

قالت العنزة "اعطيهم ، يقولون ، لا يأكلون اللحم الذى بدأ يتعفن ، يريدون لحماً طازجاً ."

قال الجدى "اصبروا قليلا ، ولا يتحركوا ، لآتى اسمع القرد قادماً بذئب لهم اليوم سأقتله إذا جاء به ، سيرزقنا الله اللحم الكثير ، لآتى سمعت بأن لحمها كثير ."

نظر الذئب للقرد وقال 'سمعت حقاً أنها تفوقنى قوة، لقد قتلت أمس ذئبا ، إننى أعرف أن الجدى لا يمكن أن يفعل ذلك ولا يستطيع أن يخرج إلى الغابة ، لأنه يختبئ دائماً فى المدينة ساهرب قبل أن يرانى .

قال القرد " لا تهتم، هذا كلام فارغ، فهى أكاذيب يقولها لك ، لقد رأيته حيواناً صغيراً عندما تراه يمشى تعرف أنه جبان " .

عندما سمع الذئب ذلك تشجع قليلاً وقال " وهو كذلك نذهب " وعندما رآهما الجدى دفع أولاده داخل الكهف وأخذوا يكون معاً، فقال للعتزة " بالله عليك قولى لهم أن يسكتوا لقد وعدنى القرد أن يعمل حيلة حتى يأتى بالذئب إلى منزلى ، فإذا أحدثوا ضوضاء كيف يأتى به، وكيف نقتله ، ونحصل على الطعام؟ أنتم تعلمون أننا لم نجهز طعاماً اليوم منتظرين ذلك "

عندما سمع الذئب ذلك امسك القرد وقال " منافق ، دبرت المؤامرة لتقتلنى ؟ ولكن الله كشف شرك يا فاسد ؟ " وكاد يرفع مخله ويقتله ، ولكن القرد تراجع وهرب وهو يسهل .

ولما رأى الجدى أنهم نجوا جمعوا كل ما فى منزل الذئب من متاع وعادوا إلى المدينة .

كنظر البيغاء إلى موسى وقال " وهو كذلك، هيا نذهب، ابن الحلال الطيب يفى بكل ما يعد به، ما يقع لمن يعد وعدا ولا يفى به، إذا سمعت سكت "

قال موسى "ماذا يقع لمن يخلف الوعد، لأن الإنسان ينوى عمل شيء ويخلف وعده، ثم يصيبه شيء؟ "

قال البيغاء " يصيبه أسوأ شيء "

قصة أمير المزمار

ما جعلنى أقول ذلك أنه فى إحدى بلاد اليونان التى توجد وراء البحر المالح، منذ سنوات طويلة مضت أصيب سكان هذه البلاد بيبلاء وهو وجود الفئران فى كل مكان فى المدينة، وأخذ عددها يزداد حتى عجز الناس عن مقاومتها، حيث ينظر الإنسان لا يرى إلا الفئران، وفى أى مكان يذهب لينام فيه يجد أكثر من عشرين من الفئران الكبار تنام فى مضجعه، إذا خلع قبعته أو رداءه قبل الصباح يجدها قد امتلأت بالفئران، ولا أطيل عليك لقد صار عدد الفئران لا يعد ولا يحصى، إذا استطعت أن تعد الذباب فى المدينة فإنك لن تستطيع أن تعد هذه الفئران فهى أكثر من ذلك مئات المرات حتى أصبح لا يخلو منها موضع قدم فى المدينة.

ومهما كانت حيلة الإنسان فلن يستطيع أن يحفظ طعامه بعيداً عنها، إذا أراد أن يطهى طعاماً فعليه أن يطهى على قدر حاجته، حتى لو وضعت الطعام فى صندوق وأغلقتة جيداً يعرفون كيف ينقلون إليه ليأكلوه.

كل ما يصنع من الجلود قد أتر عليه، فلا ترى حذاء، أو وسادة أو حقيبة جلدية أو فروة فى المدينة إلا أكلوها، إذا وصلوا إلى شئ لا يأكلونه، ثقبوه، وأفسدوه، وإذا وجدوا طفلاً رضيعاً نائماً هجموا عليه، عضوه وحاولوا أكله، فإذا صرخ أنقذه أبواه.

وإذا أقبل الليل منعوا الناس من النوم بالصباح والجري، وإذا رأوا جسم الإنسان مكشوفاً عضوه كأنهم سيلتهمونه. لا تلم سكان المدينة ولا تصفهم بالغباء لأنهم لم يستطيعوا قتلها، بلاء لا يكشفه إلا الله، إذا رأوا الكلاب هجموا عليها واثبتوا لها أن الكثرة تغلب الشجاعة. والقطة بالنسبة لها أمرها هين، فلا يهتمون بها.

الأمر العجيب أن الناس إذا حاولوا قتلها كأن عددها يزداد وأن تنصب لها شركاً، أو تضع لها سماً هذا أمر لا يخدعهم. إذا أحسوا بذلك طافوا حوله كأن أحد قد أخبرهم خبره.

وقد عجز كل أهل المدينة عما سيفعلون بها، فقصدوا حاكم المدينة، وقالوا له إنه سيء الحظ، لأنه منذ أن خلق الله الأرض لم يسمعوا عن مثل هذا البلاء إلا فى فترة

حكمه، وقالوا له إما أن تفعل ما يقضى على هذه الفئران وإما أن نخلعك ونطردك من البلاد.

تخير الأمير ولم يدر ما يفعل ، وازداد ضغط أهل المدينة عليه، وذات يوم كان يجلس مهموماً، تأتي مجموعة من كبار أهل المدينة ويسبونه، وبعد قليل تأتي مجموعة أخرى ينخرونه ويمضون ، ثم جاء رجل عجوز غريب عن المدينة وخياه.

نظر إليه الأمير فرآه غريباً، فقال " يا سيدى، من أين جئت؟ وما صناعتك؟ "

قال العجوز "ها أنا، جئت من بعيد ، أما عن صناعتي فهي التزمير، حتى أن الناس تسميني "أمير الزمارين" .

قال الأمير " اذهب وانزل ضيفاً ، إذا كنت تستطيع أن تنزل هنا، إننا لا نهتم بالتزمير الآن ، ولكن نهتم الآن بانقاذ أنفسنا من هذا البلاء الذى نزل بنا.

قال أمير الزمارين "إنى لا أزمع عبثاً، أن الله قد وهبى سرّاً، بحيث يتبعنى كل من سمعنى إذا رمرت . سواء من الضفادع أو الثعابين أو الفئران أو جميع الحيوانات البحرية والبرية والطيور حتى السائرين على قدمين، كل من سمع المزمار لا يبقى فى مكانه فيتبعنى باستمرار . إذا كانت هذه الفئران هى التى تضايقكم فإذا أعطيتنى ما أطلبه سأخلصكم منها.

قال الأمير "بالله عليك تساعدنا، كل ما تطلبه فى هذه الدنيا سأعطيك، اطلب لنسمع" .

قال أمير الزمارين "هل تعطينى مائه شلن، إذا خلصتك منها ، نظر إليه الأمير وقال أرى اليوم عجباً، ما هى المائة شلن، إذا أردت عشرة آلاف شلن أعطيتك، أهم شئ أن تخلصنا من هذا البلاء" .

قال أمير الزمارين "حسنا الحمد لله" ووضع نوعاً من المزمار فى فمه وأخذ يزمر ويتقدم إلى المدينة ، حارة حارة، وأخذت الفئران تخرج من كل مكان ، وتتبعه ، أفواجاً، بعضها الكبير والبعض صغير والآخر متوسط والبعض هزيل وبعضها أحمر والآخر أبيض أو أزرق أو رمادى والبعض حامل والبعض تجر أولادها وراءها وهى تقفز، وتصيح كأنها فرحة مستبشرة.

وعندما جمعها ذهب بها إلى النهر وهو يزمر وهي تتبعه، والناس ينظرون ويفرحون، وعندما وصل شاطئ النهر دخل الماء وهو يزمر، والفئران لم تشعر بنفسها إلا وهو داخل النهر، ولم ينج من الفئران إلا واحداً، وأخذ الناس يهتثون بعضهم البعض، إذا حاولت أن أصف لك مدى سرور هؤلاء الناس بخلاصهم من هذه الفئران لا أستطيع.

عندما رأى الأمير أمير الزمارين قادماً قال للناس ليرجع كل إلى منزله، ويسد ثقب الفئران بشيء من الطين.

وعندما وصل أمير الزمارين شكره الأمير كثيراً فقال أمير الزمارين الحمد لله - نصرك الله - عليك أن تفي بوعدك، فتجهم وجه الأمير وقال في نفسه ، الآن إذا أعطيته شلنا واحداً واحداً حتى المائة، وفعلت ذلك مع كل إنسان ماذا يتبقى لى؟ أما عن الفئران فقد ماتت على أعين الجميع، ولن تعود ، ماذا يفعل هذا الرجل العجور بمائة شلن لولا طمعه " .

ونظر إلى أمير الزمارين وقال "كنت أمزح معك عندما قلت لك سأمنحك مائة شلن، عجباً ألا تعرف المزاح؟ ها هي خمسة شلنات تكفيك ماذا تفعل بالمال الكثير وقد أصابك الكبر "

حملق أمير الزمارين فيه وقال "هذا عبث، الست بشيخ أيضاً تعد وتخلف؟ أسرع في إعطائي إذا أردت أن تعطيني ، لأذهب لستم أول من أتعامل معه " .

قال الأمير "لولا خلل في عقلك ، هل تظن أن ما فعلته منذ وصولك حتى الآن تستحق عليه مائة شلن؟ حتى الخمسة عشر شلنا التي قلت سأمنحك إياها ، كان ذلك من شدة فرحتي باحترامك لى لو حسبنا بدقة ما كان لك أكثر من ثلاثة شلنات ونصف، الإنسان يعمل من الصباح حتى العصر لا ينال سوى نصف شلن فما بالك بمن أتى الآ " .

قال أمير الزمارين "أن لم تعطيني ما وعدتني به الآن ، سوف أغير زمارى ، وسترى ما يحدث " .

غضب وقال "غير ، هل تظنتى أخاف من التهديد ، كأنا لسنا من أهل المدينة؟ من مات لا يستطيع أن يحيه إلا الله. "

قال أمير الزمارين "أنا لم أقل لك أنتى أستطيع إحياء الموتى ولكن سوف ترى ما يحدث " ثم أخذ أحد المزمارين وأخذ يزمر ودخل المدينة شارعاً شارعاً، وإذ بأطفال المدينة

كل من يستطيع السير من سن ثلاث سنوات حتى عشر أخذوا يخرجون ويتبعونه جرياً
ويصفقون ويرقصون ، وطفل من أبناء الأمير متوسط العمر أخذ يغنى والآخر يرددون
غناء جميعاً قائلين .

تعالوا .. ها هي السعادة .. من يرفضها

هيا .. هيا .. للمتعة

كل من ترك هذه الفرصة

تعالوا تعالوا للمتعة

الثريد واللحم حتى نشبع

تعالوا تعالوا للمتعة

اللبن والعسل لا مزاحمة

تعالوا تعالوا للمتعة

نلبس الحرير النظيف يوم العيد

تعالوا تعالوا للمتعة

نرتاح من السب واللطم

تعالوا تعالوا للمتعة

لا نقوم بالأعمال الشاقة

تعالوا تعالوا للمتعة

ولم يعرف الناس ما يفعلون مع الأمير ، كانوا يظنون أن أمير الزمارين يلعب مع
أطفالهم ، فوقفوا يضحكون ، ليروا قدرة الله ، ولكنهم عندما رأوه يقصد النهر ، طارت
عقولهم وظنوا أنه سيقتممه .

وعندما خرج أمير الزمارين من المدينة ، قصد جبلاً بالقرب من المدينة ، ووقف الأمير
ورجاله ينظرون إليه ، وقال الأمير في نفسه " أعرف أن هؤلاء الأطفال لا يستطيعون تسلق
هذا الجبل ، فلأرى كيف سيفعل معهم " .

ولما وصل أمير الزمارين إلى سفح الجبل رأى الناس الجبل ينشق، ويدخل فيه وتبعه جميع الأطفال، ودخلوا جميعاً عدداً طِفلاً واحداً تركوه خلفهم لأنه كان يعرج ، ثم انغلق الجبل عليهم.

أخذ الناس يبكون لأنهم فقدوا أطفالهم وكان من بين هؤلاء الأطفال أبناء الأمير الأربعة، فقدهم جميعاً.

عندما أحسن الله إلى الأمير، لم يعرف الناس أن عدم وفاء الأمير بعهدته سيجلب لهم هذا الأمر، فلما أدركوا ذلك اهلكوه هو وذريته ، ها هو قد فقد كل رجاله ، إلى جانب المكر الذي أخذ يحدق به.

عندما رأى والد الطفل الأعرج ما حدث، أسرع وأخذ ابنه ، وهو مسرور وسأل الطفل عما جعلهم يتبعون هذا الرجل؟ قال الطفل "سمعناه يقول أن نتبعه ، سننال كل ملذات الحياة الدنيا، قال لديه بحيرة من عسل ، ولبن ، نشرب منها، ولحم مشوى ومسلوق، وسنرى أرواً لا وصف له ، وأنا الآن حزين لأنهم تركوني هنا وذهبوا للاستمتاع بكل هذا " .

ذهب الفأر الذى نجى وحده فوجد بعض الفئران، ولكنها ليست مثل الفئران التى وجدت فى حالة البلاء ، فأخذ يقص عليها الأخبار، ويقول " ألا تعلمون، لقد جمعت طعاماً لذيذاً هناك خلف النهر يوجد رجل زمار جمعنا ودلنا على مكان الغلال واللحم والسمن ، وأنواع الطعام نأكل ولا أحد يمنعنا ، وقال أن هذا المكان لا يعرف شيئاً اسمه الكلب أو القطعة، ولكنى سمعت منذ قليل أنه غرق فى النهر، والآن إخوتى هناك قد سمنا من كثرة الأكل، ولكن سوء الحظ جعلنى أفشل " .

قالت الفئران " نرجو الله أن يأتى هذا الزمار إلى هذه البلاد فى يوم من الأيام ويذهب بنا إلى هناك " .

بعث الأمير رجاله فى كل الدنيا ، لعله يجد خيراً عن المكان الذى ذهب أولاده إليه، وأخذ يبحث حتى أعياه البحث وأخيراً تزرع بالصبر.

قال الناس " لا ، إذا لم نهاجمه، سنهلك جميعاً " .

ثم تجمعوا وذهبوا إلى قصر الأمير وأشعلوا فيه النار فخرج الأمير من القصر وهرب، فأتبعوه رجماً بالحجارة، وطرده من المدينة، وخرج من المدينة عريان، وأخرجوا أولاده،

وذهب الناس إلى قصره ونهبوا ثروته التي جمعها، وخزائنه المكسدة بالمال، وأحرقوا القصر حتى لا يصاب الأمير الجديد الذي سيختارونه بما أصاب سالفه من يؤس وسوء حظ.

هل سمعت جزاء من يعد وعداً ولا يفى به؟.

نظر موسى فرأى الضوء قد ملأ المكان، فأدرك أن الشمس قد طلعت دون أن يشعر بها، فقال للبيغاء "سمعت ما وقع لمن يعد وعداً ولا يفى به، ماذا يحدث لأمثالكم الذين يمنعون الوفاء بالعهد؟ ولم ينتظر حتى يسمع الإجابة، ودخل القصر غاضباً.

وعند الظهر بعث الوزير من يستعدى المرأة العجور وكال لها اللون لأنها عجزت حتى الآن عن حيلة تخرج بها موسى فقال العجور "أحاول كل يوم" ولكن بمنعني بيغاء صغير عن إخراجه بأن يقص له كل يوم قصة حتى طلوع الفجر".

-- قام الوزير ونهرها وقال "طالما أنه ليس لديك حيلة لتهدئي هذا الطائر الصغير، اذهبي وسأبحث عن غيرك اليوم" فنادى خادمه بركى الذى بعثه إلى الأمير سينارى منذ أيام وأخبره بما يريد، وكيف منع البيغاء موسى من الخروج بقصصه.

لبس بركى ثياب النساء وذهب إلى قصر الأمير، فوجد موسى حيث ذكرت المرأة العجور، فذكر له أن محموداً فى ميدان القتال بين الحياة والموت، وادعى أن محموداً قال له أنه طالما لا يريد الذهاب إليه ليودعه، فهو يرجو ألا يجمعهما الله فى الآخرة، فبكى موسى وقال "أريد أن أذهب وكل يوم يعطلنى هذا البيغاء بقصصه، وقد أمر الأمير ألا أفعل شيئاً إلا بعد أخذ مشورته، وإلا غضب على فى الدنيا والآخرة".

قال بركى "إذا كان على هذا الطائر الصغير، اذهب اليوم، وسأبيت هنا، وإذا شعرت أن هؤلاء الخدم قد استيقظوا نذهب معاً ونستأذن البيغاء، وسأمنعه من تعطيلك".

قال موسى "أحسن، وكان يقظته امرأة. وجلسا حتى تغلب النوم على الحراس، فقاما وذهبا إلى البيغاء".

فلما رآهما البيغاء من بعيد عرف أن بركى رجلاً وليس سيدة، لذلك قبل أن يصلا ويتكلما سارع وقال لهما "بالله عليك - أطال الله عمرك. اذهب اليوم لن نستطيع أن أقص عليك اليوم شيئاً اذهب حيثما تريد".

نظر بركى إلى الببغاء وقال "حتى إذا لم تقل ذلك لا نريد أن نسمع اليوم قصصك".

وضع الببغاء رأسه بين يديه، فأخذت الشفقة موسى فقال له "ماذا أصابك اليوم؟".
قال الببغاء "أفكر".

ولما كان موسى لا يريد أن يفعل أمراً يغضب هذا الببغاء وسأله عما يفكر فيه.

قال الببغاء "افكر فيما حدث للنجار الذى جمع أكثر مما وهبه الله".

قال موسى "هذا النجار جلب لنفسه الهلاك".

قال الببغاء "اسمع ما أصابه لو عرفت فسادة تجد لا نهاية له".

ولم ينتظر أن يطلب منه سمع القصة وبدأ يقول.

كل من يحاول أن ينال أكثر مما كتبه الله له هلك

كان يعيش فى بلدة كتكو نجار، وله طفلة فى الخامسة عشر من عمرها اسمها حليلة، وإذا كان المعروف أن الصبى يجب أن يسأل عن كل شئ يسمعه أو يراه، فإن حليلة تجاوزت هذا الأمر إلى حد بعيد.

ذات يوم كان أبوها جالساً يصلح إحد الكراسى، فدخلت حليلة وقالت له "بابا ماما رأى القطة فقالت لها مرة، هل هى لا تعرف اسمها أم تعرف؟".

وقبل أن يشرح لها أن القطة هى الهرة، سألته مرة أخرى، وقالت "بابا يقولون أنه يوجد فيل يتجول فى السماء، وهو الذى يتبول فى الخريف، فنقول أن السماء تمطر، هل هذه حقيقة؟".

نفجر الأب فى الضحك، وهم أن يبين لها أن هذا ليس حقيقة، فقالت "بابا هل ماما التى ولدتك؟".

رأى الأب أنها ستمنعه من العمل بثرثرتها، فقال لها "اخرجى، والعبي مع الأطفال وإذا انتهيت من عملى عودى".

فقامت مسرعة وخرجت، فرأت الأطفال يتبعون قزماً ويقولون "أيها الطويل أيها الطويل".

جذب الفضول انتباه حليلة، وعند رؤيته وقفت على مدخل الباب وقالت أيها القزم تعال، بابا يناديك".

عندما سمع القزم ذلك قصد باب المنزل، فجرت حليلة إلى أبيها، واحتضته وهى تبكى، تظن أن السلة الصغيرة التى يعلقها القزم خلف ظهره ليس فيها إلا أطفال صغار مثلها، فلما وصل القزم وركع أمام النجار قال "ها أنا، فتاتك الصغيرة قالت أنك تريدنى".

أحضر النجار بعض الطعام وثمار الكولا والقروش وقدمها له صدقة، وقال "طالما أن حليلة قد نادتك، فلا بد أن أعطيك شيئاً" فشكره القزم وفتح السلة وأخرج منها نوعاً

من الكعك الذى يأخذه صدقة وقدمه إلى حليلة ، ولكنها رفضت أخذه ، لأنها لأول مرة تراه .

ومنذ ذلك اليوم كان إذا مر على هذا المكان يأتى إلى مدخل هذا المنزل فإذا رأى حليلة خارج المنزل قدم لها بعضاً مما يتصدق الناس به ، فتجربى ، ويوماً بعد يوم تعودت عليه وألفته وبدأت تقف وتأخذ ما يقدمه إليها .

وكان عندما يراها يجلس فتصعد على رجليه وتلعب معه ، وإذا أخذت تسأل الأسئلة التى اعتاد أن يسألها الأطفال كان يجيب بما ينبغى أن يقال لمن فى عمرها فإذا سأله " ماذا فى سلتك؟ يرد عليها قائلاً " تريد لحم وسكر " فإذا قالت أين أمك؟ " يشير إلى النسر أو الحداة ويقول " ها هى تطير " ثم يضحكان ، وكانت هذه الطفلة إذا رأت نسراً أو حداة تقول

" ها أم القزم " وكانت تنظر إلى أمها وتقول " أمى ألا تستطيعين الطيران مثل أم القزم؟ " فكانت الأم لا تعيرها اهتماماً إذا أخذت تسألها هذه الأسئلة .

وكان هذا القزم ساحراً ولكن لم يعرف هذا السر أحد ، واستمر الحال على هذا الأمر ، وذات يوم جاء إلى النجار وهو يحمل كل متاعه وقال " لقد نويت أن أعود إلى بلدى اليوم ، ولكن إذا سألتك حليلة عن مكانى فقل لها أننى عملت أجنحة وطرت كأمى حتى لا تبكى ، وكل يوم أخبروها أننى سأعود غداً " .

حزن النجار لأن ابنته فقدت رفيق لعبها ، فدخل المنزل وأحضر بعض الثياب القديمة وأعطاهما لحليمة لتقدمها للقزم عند الباب ، فأخذت الطفلة الملابس وجرت وقدمتها له ، وهى متشبة من السرور .

نظر إليها القزم وعيناه تفيضان بالدمع للفراق ، وأقام حتى المغرب ، وبعد الصلاة تناول الطعام ونادى النجار وذهبا خارج المدينة ، وسارا حوالى نصف ساعة فى الغابة ، حتى وصلا إلى جبل ، فنظر القزم إلى النجار وقال " أنت تعرف أنهم يقولون المحبة توحد الدم ، أليس كذلك؟ " .

قال النجار " هكذا " .

قال القزم " منذ أن جئت هذه المدينة ، لم أر أحداً أحببته مثل ابنتك ، حليلة منذ

كانت تخاف منى ، حتى أصبحت لا تحب أن ترى أحداً سواي ، أى شئ تأكله تحجز نصيبى ، وأنت كذلك قدمت إلى ما استطعت من خير ، لذلك سأجازيك وإذا كنت ترانى هكذا فقيراً فذلك لاختبر الناس لا تجد فى كل هذه المدينة من يكون على علاقة بالجن مثلى " وجلس وجمع بعض الأعشاب والأوراق من فوق الجبل وأحرقها كالبخور .

فغر النجار فاه عندما رأى العجب ، فلما ارتفعت النار نظر القزم إلى الجبل وقال ، " فيّو افتح جبل المال " فانشق الجبل فى الحال ، فأخذ مصباحاً صغيراً كان معلقاً فى الجبل وأشعله ، فنظر النجار داخل كهف الجبل ، فلم ير إلا النقود الحمراء داخل إحدى القدور ، ففغر فاه متعجباً .

قال القزم " سأعطيك كل ما فى هذا الجبل ولكن بشرط واحد ، عندما تأتى لا تأخذ أكثر من جنيه واحد فى المرة الواحدة ، أعرف أن جنيهاً واحداً يكفىك يوماً واحداً ، من اليوم حتى تموت لأن ينقص هذا المال ، وإذا بلغت حليلة سن الزواج جهزها جيداً ، هذه مساعدتى التى أقدمها لك .

انحنى النجار شكراً له ، ويسأله المغفرة إذا كان قد أساء إليه يوماً ما ، وتبادلا المغفرة ، قال القزم ، كل يوم تأتى وتأخذ ما تحتاج ، ولا تخش من رؤية الناس لك . إذا جئت بالليل وخرجت أطلق بخور هذه الأوراق ، تأكد أنه لم يخيفك شئ ، لقد رأيت ما فعلته عندما جئت ليس أمراً صعباً ، فليس عليك إلا أن تأتى بهذه الأوراق من فوق الجبل وتطلق بخورها أسفل الجبل ، وتقول فيّو افتح جبل المال " فإذا دخلت تشعل هذا المصباح ، إذا جئت بالليل . وإذا جئت نهاراً فلا شأن لك بها . وكن مطمئناً فانت لا تسرق مال الجن وتخش شيئاً ، إلا إذا أخذت أكثر من جنيه واحد " .

نظر إلى النجار وقال " أبداً من اليوم " انحنى النجار وأخذ يعد الجنيه ، وخرجاً ، قال القزم " جَرَمَ ، اغلق جبل المال " فانغلق الجبل .

نظر القزم إلى النجار وقال " حسناً ، يجب أن نودع بعضنا ، سأمضى " وأستأذنا . ومضى القزم ، وعاد النجار إلى منزله يتהלل فرحاً ، وقص على زوجته كل القصة ، إلا ما يقوله للجبل لينفتح ففرحوا كثيراً .

وطلع الفجر ، ولما حان المغرب ، ذهب وطلب جنيهاً ، وأخذ يفعل ذلك كل يوم ، وقبل مضى ثمانية أيام بنى سوراً لمنزله من الطين بدلاً من الحطب ، وأقام اثني عشر ممراً قبل دخول المنزل ، وأدوارا عليها ، وجمع كل أدوات النجارة وأحرقها .

وخلال أسبوع واحد تزوج ثلاث زوجات، وضمهم إلى زوجته فصرن أربعة، وصارت الحياة حلوة والنساء الجميلات يتحركن في البيت، ونسى الناس لقب الكرساتى، يلقبونه رب البيت، وإذا طلب شيئاً هب الجميع لقضاء مطلبه، وحيثما دخل تسمع الخدم يقولون له "أحسن الله إلى رب البيت".

ولم يمض عام إلا وكان فى اصطبله اثنا عشر حصاناً لا تعمل شيئاً، إذا ركب أتبعه الخدم كالأمير، وتعجب الناس من مصدر هذا الرق، فهو لا يبيع ولا يشتري، ومع ذلك ثراؤه يزداد يوماً بعد يوم، حتى أخذ حاكم المدينة وبعض الناس يحسدونه ويغتابونه، فلما رأوا أنهم كلما حسدوه رادت نعمته، أخذوا ينافقونه.

لم يتكبر بذلك من قبل، ولكن المداحين والطبالين ملأوه غروراً، حتى أخذ يتعالى ويتفاخر، ولا سيما أنه رأى أن جبل المال لا يتتهى.

وذات يوم كان يجلس على الكرسي، فقال فى نفسه "لقد أضناني الذهب كل يوم إلى جبل المال، إنى أكبر من أن أذهب إلى الغابة كل يوم من أجل جنيه واحد، ولم يعد شئ أبغض إلى من الذهب، لذلك سأحاول أن أجمع ما أستطيع من مال، غداً سأخذ جنيهين وأنظر ماذا سيحدث، ربما القزم لا يتركنى لارتاح، ولكن ما فائدة أن يقوم رجل مثلى ويدخل الغابة من أجل جنيه واحد؟"

وعندما حان المغرب ذهب إلى جبل المال وأخذ جنيهين وخرج، وقال "إنى أعرف أن هذا المال خصصه لى القزم، وطالما أنه ملكى ما الذى يجعله يقيدنى بجنيه واحد؟".

وظل حوالى شهر يأخذ كل يوم جنيهين وذات يوم قال "ما الذى يجعلنى أتعب نفسى من أجل جنيهين فقط؟ إننى لا أسرق، حسناً - ألا أحضره إلى المنزل ليرتاح الجميع وربما نفسى تهدأ ويزاد وزنى، من الذهب إلى الغابة ودخولها كل يوم كأننى أحد أفراد الشعب؟"

وأحضر عدة أكياس ملح وجهازها وقال "غداً أذهب بها وأملأها وأعود بها إلى المنزل حتى أجمع المال كله، وارتاح من البرد كل يوم".

وطلع النهار وجاء المغرب، فجمع الأكياس وقصد الجبل وهو يختال كأنه ذكر البط، لأن العام والنصف الذى مضى راد وزنه فيها حتى صار كالجوال من كثرة النعم فقد أخذ يصبغ شعره حتى تحول لونه الأبيض إلى الأسود وأخذ لون بشرته يلمع.

عندما وصل الجبل جلس ليستريح ، وأخذ يفكر فى نفسه فيما سيفعل ليجمع المال كله ويحلم بتغيير مبنى البيت ، وأن يطلق نساءه جميعهن ، لأنهن مكثن أكثر من عام ونصف فى منزله .

وعندما انتهى من التفكير فيما سيفعله قام ودخل الكهف بأكياسه ، ووضعها على جانب ، وأخذ واحداً منها ليملاه بما يستطيع ، ويحمله إلى المنزل ثم يعود ، فما كاد ينحنى ويمد يده ليأخذ المال وقعت القدر على الأرض واختفت واختفى الجبل وجلس النجار يقلب كفيه ويندم حيث لا ينفع الندم ، فأخذ أكياسه وعاد إلى المنزل حزينا .

لم يكن فى حاجة لجمع المال ، لم يمض ثلاثة أشهر حتى نفذ ما فى يده من مال ، وباع خيوله ، ولما رأى الخدم سوء حاله انفضوا من حوله ، ولما نفذ ثمن الخيول التى باعها ، باع بيته بثمن بخس واشترى الحبوب للطعام .

وقبل مضى عام نفذت هذه الحبوب فهجرته الزوجات الصغيرات ، وتركته مع الزوجة العجوز ، وصدق المثل القائل الحصان العجوز يبقى لصاحبه .

لأختصر لك القصة ، أقسم بعمامتك - نصرك الله لم يمض عامان حتى عاد النسر إلى شجرة التمر هندی أو كما يقولون " رجعت ريمة لعادتها القديمة " هل سمعت ما يفعله الطمع ، كل من يحاول أن ينال أكثر مما قسمه الله له لابد أن يخسر .

وقبل أن ينتهى البيغاء من القصة طلع الفجر ، فنظر موسى إلى بَرَكَى وقال " هل رأيت حاله ؟ " .

قال بركى " لا عندك حق ، لقد سمعت شيئاً كالسحر ، والله عندما بدأ القصة نسيت ماجئت من اجله ولكن لا بأس ، سأعود فى المغرب " وخرج عائداً إلى منزله وقال للوزير ما حدث ، فغضب الوزير وقال " حتى أنت خدعك هذا الطائر ؟ حسناً ، اخرج غداً بدونه وسترى ما سيحدث لك " .

عندما حان المغرب استعد بركى وعاد وقال لموسى " سأنام اليوم مكانك مرة أخرى ، اليوم لابد أن نخرج ، وجلسا يسمران ، ولما شعر أن الخدم سكتوا ذهبوا إلى البيغاء ، وقال موسى " سأخرج ، ولقد وجدت اليوم رفيقا " .

نظر البيغاء من النافذة فلاحظ أن العاصفة تهب فقال لموسى " ويحكما هل جئنا حتى تخرجا الان فى هذا المطر ؟ " .

قال بركى " لم يبدأ المطر ، سذهب الان " وأخذ البيغاء يجرهما في الأحاديث حتى نزل المطر ، فجلسا ينتظران انقطاع المطر .

نظر إليهما البيغاء وقال " بدلا من ضياع الوقت عبثا دعانى أقص لكما قصة قصيرة ، نظر موسى إلى بركى وقال " لعلك تعرف صدقه ، فليقل لنا قصة قصيرة " .

قال بركى " اتركه ، لا نريد ، كل يوم تعطله بثرثرتك هذه العابثة ، فلأنت تقول له حديثا ، ولا تقص له قصص الأنبياء ،

قال البيغاء " السبب الذى جعلنى لا أقص قصص الأنبياء هو الخوف من الجاهلين ، أنت تعرف أنه يوجد إناس اليوم كثيرون ليسوا علماء نابغين ولكن إذا سمعوا رجلا يتكلم قليلاً عن هؤلاء ينظرون إليه على أنه أذنب ، ولولا ذلك لقصصت عليك الكثير من قصص الأنبياء منذ آدم عليه السلام حتى سيد المرسلين ، فلا توجد قصة واحدة لا أعرفها .

قال موسى " حسنا إذا كان الأمر كذلك قل لنا قصة النبي سليمان ، الذى يقال أنه ملك الإنس والجن والطيور .

قال البيغاء " هذه مشهورة حتى الان لاتعرفها ؟ " .

قال موسى " نعم ، سمعت أنه لا يوجد في هذه الدنيا كلها من يفوقه ثراء " .

قال البيغاء " هذا من قبل ، لانه عندما خصه الله بالنبوة خيره بين كل مايريد ، فقال إنه طالما أعطى ملك عباد الله ، لايريد إلا الحكم ، ليعرف كيف يسوسهم بالعدل ، فاختار ذلك ولم يختار المال ، وقد وهبه الله طول العمر ، والعظمة في الدنيا ، والحكمة التى فاق فيها كل الناس في زمانه ووهبه الله فوق ذلك اشياء لم يسألها " .

قال موسى " لم أجد من يبين لى هذا الأمر من قبل إلا أنت اليوم " .

قال البيغاء " حتى القصة التى حكم فيها بين المرأتين ؟ " .

قال موسى " والله لم أسمعها ، أى حكم حكم ؟ " اقترب البيغاء من موسى ومال على كم ثوبه وقال :

قصة النبي سليمان

ذات يوم كان النبي سليمان عليه السلام جالسا ، فجاءته امرأتان ورفعتا شكواهما إليه ، قالت إحداهما " يابى الله ، انا وهذه المرأة نعيش في منزل واحد فولدت ابناً وبعد أن ولدت بثلاثة أيام ولدت هذه المرأة كذلك ، ولم يكن في هذا المنزل سوانا نحن الاثنين وذات يوم نامت على ابنها دون أن تشعر حتى مات ، فقامت في منتصف الليل وأخذت ابني ووضعتة مكان ابنها ، وحملت ابنها الميت ووضعتة مكان ابني ، كل هذا دون أن أعرف ، فلما استيقظت في الصباح لأرضع ابني رأيته ميتا فلما نظرت إليه جيداً ، أدركت أنه ليس ابني ، فقلت لها ذلك ، فقالت إننى كاذبة . الميت هو ابني ، فاختلفنا ، فلما رأينا الأمر سيفسد ما بيننا جئنا إليك لتفصل بيننا ، ياسيدنا "

قالت الأخرى " لا ، إنها تكذب ، ياسيدنا ، لقد ولدت قبلها بيومين ، وفى هذا اليوم وطأت ابنها فمات ، فجاءت وغيرته بابنى "

قال الحاضرون " هذه المشكلة لا يحلها الا الله يوم القيامة "

عندما سمع النبي سليمان كلام هذه المرأة طلب سيفاً ليقسم الطفل نصفين ، وقال " طالما أن الأمر تعذر هكذا ، أمر واحد سيحسم النزاع ، سأقسم هذا الطفل إلى قسمين كل منكما تأخذ نصفاً ، ويرتاح الجميع ، وتصبرا حتى يعوض الله عليكما بآخر "

عندما سمعت المرأة الأولى ذلك قالت " بالله لا تقتله ، اعطه لها رضىته لها " أما الأخرى فقالت " لا ، هذا حكم صحيح ، يابى الله ، يجب أن تقطعه نصفين ، ليرتاح الجميع . "

عندما سمع النبي سليمان ذلك قال " اعطوا هذا الطفل الحى إلى تلك المرأة التى قالت لا تقتله ، إنه ابنها ، التى ولدته "

عندما سمع موسى البيغاء سكت فقال " الآن كيف عرف أن هذه المرأة هى أم الطفل ؟ "

قال البيغاء " ويحك ألم تدرك ما يعنى ؟ لو كانت هذه المرأة ولدته تقول أقتله وتقف
تفرج عليه وهو يقطع إرياً ؟ " لم ينتظر أن يجد موسى فرصة لقول شئ وقال " قبل أن
تنتهوا من هذا التفكير ، انتظروا واستمعوا كيف أصدر أحد الأمراء حكمه "

لا يتعب إلا الشره

في الأيام السالفة كان يعيش أمير يحب المرح ، وذات يوم أصابته الكآبة ، حتى عجز عن النوم ، فنادى خادمه وقال له " اذهب إلى الوزير وأخبره أنني أريدك " ذهب الخادم وأخبر الوزير ، وحضرا معا ، ودخلا على الأمير .

فلما دخلا قال الأمير للوزير " اليوم أشعر بالحزن حتى تعذر عليّ النوم ، أريد أن نخرج نسير على النهر لعل نفسي تهدأ " .

قال الوزير " وهو كذلك ، هذا أفضل أطال الله حياتك " فلما قال ذلك ، ضحك الخادم .

قال الملك " ماذا ؟ اتضحك عليّ أم على الوزير ؟ "

قال " أطال الله حياتك ، مَنْ أنا حتى أضحك عليك ؟ شيء حدث أمس فخطر ببالي فأضحكني " .

قال الأمير " أى شيء ؟ "

قال الخادم " أطال الله حياتك ، أمس بينما كنت أتجول على شاطئ النهر ، وجدت رجلا ، أحاط به الناس وهو يضحكهم " .

قال الأمير " اذهب واستدعه ، ليأتني ويقول لي ما يضحكني ، لعل نفسي تهدأ " .
ذهب الخادم إلى الرجل وقال له " الأمير يطلبك " .

قال الرجل " وهو كذلك ولكن لماذا استدعيني الأمير ؟ "

قال الخادم " الأمير حزين اليوم ، ويريد أن تأتي لتضحكه ، حتى تهدأ نفسه " .

قال الرجل " هيا بنا " .

قال الخادم " حسناً ، ولكن على شرط ، ما يعطيك الأمير يقسم إلى ثلاثة أجزاء ، تأخذ جزءاً وأنا جزءين ، إذا رضيت بذلك سنذهب ، إذا لم ترض ، كن مكانك وأعود وأخبره أنني لم أجده " .

فقال " وهو كذلك رضيت ، هيا نذهب " وقاده الخادم إلى الأمير .
قال الأمير للرجل " أريد أن تضحكني ، فإذا ضحكك سأقدم لك مكافأة وإن لم
أضحك جلدتك " .
وأخذ الرجل يقوم بأمور مضحكة وقصص شتى ، حتى تعب ولكن الأمير لم
يضحك

قال الأمير " هل بقي لديك شيء آخر "

قال الرجل " لا "

قال الأمير " ها أنا لم أضحك أرقد حتى أجلك "

تقدم الرجل وورقه وأخذ الأمير يضربه بالسوط بقوة ، فأخذ يصرخ صراخاً شديداً
ويقول " انتظر أظال الله حياتك ، لقد أخذت نصيبي ، والباقي نصيب خادمك ، لأننا
اشتريتنا أن كل ما أناله آخذ جزءاً ويأخذ جزءين "

استدعى الأمير الخادم وقال " أعطيت هذا الرجل نصيبه ، وبقي نصيبك تقدم وخذه "

تقدم الخادم يظن أنه سينال مالاً ، فضربه الأمير بأقصى قوته بالسوط حتى صرخ
الخادم من الألم ، فقال الأمير " لقد أخذت جزءاً واحداً وبقي جزء آخر "

قال الخادم " أظال الله حياتك هذا الجزء يكفيني وتركت لك الجزء الثاني " فلما
سمع الأمير ذلك ضحك وزالت عنه الكآبة ، وجاء بمكافأة وقدمها لهما وصرفهما .

وقبل أن ينهي البغاء هذه القصة طلع الفجر ، فعاد بركى وهو يعرض نواجزه ،
يبحث عن حجة يقولها لسيدة .

فلما وصل نهره الوزير قائلاً " أشعر أنك لم تنه عملاً ، ما السبب ؟ "

قال بركى " المطر "

قال الوزير " المطر ؟ أى مطر ؟ المطر الذى سقط توقف قبل آذان الفجر الأول "

قال بركى " ربما هنا عند منزلك توقف مبكراً ، ولكن عند قصر الأمير ظلت تمطر
حتى طلوع الشمس .

غضب الوزير وامتلاً غيظاً ، وهجم عليه وكاد يفتك به ، وقال " قل لي الحقيقة ولا تقتلك الآن ، رجل فاسد ، منافق ، لابد أنك أنت الذى كشفت السر الذى كان بينى وبين الأمير سينارى ، لقد كنت أشك فى ذلك "

عندما سمع بركى ذلك أخذ جسمه يرتعد ويقول " نصبرك الله لقد تبت ، سأقول لك الحقيقة الآن ، إن كلام البيغاء كأنه السحر ، إذ بدأ يقص قصة استولى على عقل الإنسان ، فلا يعرف ماذا يفعل ، وطالما أن هذا البيغاء على يد الحياة ، لن تستطيع أن تخرج موسى من القصر حتى لو ذهبت أنت بنفسك . "

قال الوزير " اغتنى فمك هذا الكذاب " وأخذ السوط وضربه به حتى بهرى . وعاد الوزير وجلس وحده غاضباً ، ويقول " أنا وزير كل هذه البلاد بطونى وعرضها ومخلوق صغير مثل هذا يمنعني من أن أصير أميراً ، طائر صغير يقول سيمنعني ، دعني له "

ثم بعث إلى موسى وقال أنه يريد أن يأتى البيغاء اليوم ليسليه بالقصص ، أرسل حبلاً وقال إذا وافق موسى يربطون البيغاء ، ويأتون به ، فلما قالوا لموسى لم يدرك ما ينوى أن يفعله فقال إنه موافق ، وسيأى البيغاء ليعرف رأيه وذهب ليسأل البيغاء ، فقال البيغاء " طالما أنك قلت أن نذهب ، يجب أن نذهب " أحضر الخادم المكلف بإحضار البيغاء حبلاً ليربط البيغاء به فقال البيغاء " لماذا الحبلى لم أسرق متاع أحد ، ألم يقل أنه يريدنى لأسليه سر وسأقف فوق رأسك " وذهبوا إلى منزل الوزير فوجدوه عند باب منزله فهبط البيغاء ووقف قريباً منه فصرف الوزير الناس ، وفى نيتة أن يبحث عن عصا غليظة ويخفيها ليقتل بها البيغاء ، ويرتاح منه فلما رأى البيغاء العصا مخفية فى ثوب الوزير تراجع إلى الخلف .

فقال الوزير " اقترب منى "

قال البيغاء " نصبرك الله ، من أنا حتى أقرب منك ؟ "

قال الوزير " أريد أن تقص لى قصة ، أية قصة تريد ، فإذا وجدتها جميلة أعطيتك مكافأة "

قال البيغاء " حسنا عليك أن تجلس لأبدأ " جلس الوزير وبدأ البيغاء .

سرعة الغضب تجلب الندم

في يوم من الأيام كان الأمير يتتزه ، فوجد جروا صغيرا يرقد على الأرض ، وقد ملأ النمل الصغير فمه ، وأخذ يتنفس بصعوبة ، كاد يموت من شدة الجوع ، وكان صغير السن حتى أنه لا يستطيع أن يطعم نفسه ، متى تم فطامه الله وحده أعلم .

عندما رآه الأمير أخذته الشفقة به ، فجذب لجام الحصان ووقف ، ونظر إلى اتباعه وقال لهم " انفضوا عن هذا الجرو النمل واحملوه إلى منزلي ، وقدموه إلى الطبيب بياني ليرعاه جيدا ، ويقدم له الطعام حتى يقوم إذا كان له بقية من حياة .

وفي الحال قبل أن ينتهي الأمير من كلامه نزل الخدم وأمسكوا الكلب ومسحوا فمه بأكمام ثيابهم ، ووضعوه أحدهم على مقدمة سرج الحصان ، وذهب به إلى المنزل وحمله إلى بياني ، وأخبره بما قال الأمير ، وعاد بحصانه مسرعا حتى لحق بركب الأمير ، وعندما غربت الشمس عادوا .

بعد حوالي ثلاثة أيام أفاق الكلب الصغير ، حتى أخذ يسير ، وعندما أتم شهرين تغير شكله كان لم يكن به مرض ، وزاد وزنه وصار حيثما ذهب الأمير يسير وراءه ولما كبر ، كان كلما ذهب الأمير لينام جاء ورقد أمام باب حجرته ، ولا يستطيع أحد أن يقترب من الحجرة حتى يطلع النهار ، لذلك كان الأمير يحبه حبا جما . فلا يجرؤ أحد على ضربه أو زجره مخافة من غضب الأمير .

وذات يوم خرج الأمير صباح يوم العيد للصلاة ، فتبعه هذا الكلب ، فتلفت الأمير فرآه ، فزجره ، فعاد إلى البيت ورقد مكانه ، لأنه كان يعرف أن هذه هي عادة الأمير إذا لم يرد اضطحابه .

وبينما كان راقداً أمام حجرة الأمير ، وكان على وشك العودة من صلاة العيد ، وبعد أن انتهى الخدم من شواء اللحم ، وحملت إحدى الخاديمات إناءً به اللحم ووضعت في الحجرة ، ولكن بدلا من أن تغطي الإناء تركته مكشوفاً ، لأنها تدرك أن هذا الكلب لن يقترب منه حتى لو تعفن .

وبينما كان الكلب راقداً إذ بشعبان كبير يزحف على حائط الحجرة ، ونزل من فوق الدعائم التي تحمل السقف ، ومد فمه في الطعام وأخذ يأكل منه ، خرج الكلب وأخذ ينبج لعل أحداً من الخدم يأتى ولكن لم يهتم به أحد ، ولما شعر النساء أنه ضايقهم نباحه تناولوا حجراً وأخذوا يقذفونه ، لأنهم يعرفون أن الأمير غائب عن المنزل ، ولما أدرك الكلب أنهم لم يفهموا المقصود من نباحه تركهم ودخل الحجرة ورقد ، ولما أحس الشعبان بالشبح تسلل وعاد من حيث أتى .

وبعد قليل عاد الأمير فهتأ أولاده بسلامة الوصول ، وبعد أن انصرفوا توجه إلى مكان الطعام ليأكل ، وتبعه الكلب وهو يهز ذيله وكأنه يقول له " لا تأكل ، الشعبان نفث لك السم فيه " ولكن الله لم يهبه القدرة على الكلام .

غسل الأمير يده ووضعها في الطعام ، وقطع لقمة ، وأخذ الكلب يحوم حوله حتى الأمير أنه يريد طعاماً ، فرمى له شيئاً فرفض أكله ، وظل ينبج على الأمير .

فتح الأمير فمه وسيضع فيه لقمة ، وأخذ عصاً ليترد بها الكلب فقفز وضرب يد الأمير وأوقع اللقمة على الأرض ، فضم الأمير أصابعه وكاد يضرب الكلب ، ولكن الكلب أخذ يعوى ولم يهتم بما يفعل الأمير ، ومد فمه وأكل اللقمة التي سقطت من يد الأمير ومجم على باقي الطعام وأكله كله وظل الأمير يضربه والكلب ينبج حتى تعب فتركه ، ووقف واجماً ليرى قدرة الله .

ما كاد الكلب يلتهم الطعام حتى انتحى جانباً ورقد وفي الحال تمدد ومات .

هذا المنظر الذي رآه الأمير أثار شعوره ، وقال " لابد أن في هذا الطعام شيء ، ربما الخادمة جاءت ووضعت لى فيه سما لأكله فأموت .

خرج الأمير ونادى الجارية ، سألها فأقسمت بمن سيقبض روحها بأنها لم تضع شيئاً في الطعام ، فسألها ربما تركته أمام إحدى ضرائها ، فقالت أنها عندما انتهت صبته في هذا الاناء وأحضرتة .

قال الأمير " عندما خرجت هل دخل أحد بعدك ؟ "

قالت الجارية " لم يدخل أحد بعدى ، ولا أنهم أحداً ، إنى وحدى الذى جئت وفتحت الإناء ليبرد عندما علمت أنك قادم "

سكت الأمير وقال " لابد أنك تكذبن ، مَنْ مِنَ الناس لم يعرف مكركن ؟ لابد أن تقولى لى ماذا وضعت في الطعام ولأ قتلتك "

ركعت الجارية وأخذت تصيح وتقسم قائلة أنها لم تضع شيئاً في الطعام ، فنظر إليها وقال " أنت منافقة " وبعث من يستدعى الخدم ليقتلوا ، وفى الحال دخلوا وامسكوها وهى تبكى وخرجوا بها .

جلس الأمير واجماً في حجرته ، يتعجب ماذا فعل بهذه الجارية حتى تفكر في قتله ، ولكنه عجز عن معرفة السبب ، وبعد قليل شم رائحة كريهة في الحجرة ، فقام ونظر حيث يجلس فلم ير شيئاً ، فقام ونفض ثيابه لعل حشرة ذات رائحة كريهة تختفى فيها ، فلم يجد شيئاً . ثم سمع صوتاً كخفيف الثعبان يصدر من حوامل السقف ، فرفع رأسه فرأى ثعباناً كبيراً في أخشاب السقف ، فلما رآه أدرك أن هذا الثعبان نفث في الطعام عندما ترك مكشوفاً ، لذلك قام مسرعاً وذهب حيث يقتل الخدم الجارية ، فوجدهم قد قيدوها وألقوها على الأرض وهموا بذبحها ، وهى تبكى وتدعو فقال " انتظروا ، انتظروا " ، انتظر الخدم وهم يرتعدون يظنون أن الأمير استبطاً عملهم . فقال الأمير " فكوا وثاقها " ، ونادى الخدم وذهب بهم إلى منزله ، وأراهم الثعبان ، وقال لهم هذا الذى جعلنى أهم بقتل الجارية ، وقام الخدم بقتله في الحال فوقع على الأرض ، فأخرجوه ورموه في الخلاء .

جمع الأمير كل أولاده وقص لهم هذا الأمر وحذرهم من ترك الطعام مكشوفاً مرة أخرى ، وعفا عن الجارية أمامهم وعاد الجميع إلى شانه .

وأمر بإخراج الكلب وقص لكل الحاشية ورؤساء القصر ماحدث وأمر أن تبنى حجرة صغيرة عند باب قصره لتكون قبراً يدفن داخله الكلب ، وحذر رجاله من أمرين ، الأول: ألا تتسرعوا بالغضب ، كل أمر يقع قبل أن تحكموا فيه يجب أن تتمهلوا وتبحثوا الأمر ، لأن الخدم عندما أسرعوا لتنفيذ حكم الأمير الذى أصدره بقتل الجارية ، لو نفذه لندم فيما بعد .

الثانى: أن يحسنوا ويرحموا الحيوانات والطيور ، لأنهم لايملكون الحيلة والتفكير مثلنا ، ولايعرفون أين تغيب الشمس ، كل إنسان ترونه في الدنيا له يوم ، لذلك قالوا افعل الخير لكل إنسان وجزاؤك عند الله .

عندما سمع الوزير ذلك قال في نفسه " لا ، ماذا يعنى بهذه القصة ؟ هذا الطائر الصغير مشكلة ، يظننى طفلاً ويعظننى " ثم ابتلع غيظه وابتسم ، وقال " هذه القصة عظيمة القيمة ، دعنى أقدم لك هدية " ثم سحب خاتماً ذهبياً من يده اليسرى وقصد البيغاء ليقدّمه له ، بيده اليمنى التى فى القميص ، أخذ البيغاء يقفز ويتراجع إلى الوراء ، والوزير يتبعه ويقول " انتظر خذه " .

عندما لاحظ الوزير أن البيغاء أدرك قصده ، انزلق مرة واحدة وضربه ، فرجع البيغاء إلى الخلف فتزحلق الوزير وسقط ، والمجروح واصيبت سته وبررت ، وقام أحمر الوجه مخضباً بالدماء وفى الحال تورم فمه .

فلما رأى البيغاء ذلك صعد فوق شجرة عالية أمام باب المنزل ، ونظر للوزير خلصة وأخذ يضحك ، فلما رأى الوزير قد فتح عينيه قال " كيف حالك يا عبد الله ، ألا تعرف يا وزير ، أننى لم أشعر بالألم ، ألم تسمع قصة الطائر وصاحب الدراجة ، عندما أضمرت هذه النية لى ، هل تريد أن أقصها لك ؟ " .

لم يقل الوزير شيئاً ، ولكنه كان يعانى مما أصابه ، فأخفى البيغاء وجهه وأخرج لسانه للوزير ، وقال " ألا تريد أن أقص لك ، إن مهمتى أن أقول لوجه الله ، لذلك سأبدأ " .

إن يُحتقر الشكل تر الانتقام

ذات يوم كان عصفور يرعى خلف المدينة ، فوقع في فخ صياد ، وحاول أن يتخلص منه ولكنه عجز ، وبينما هو يحاول الخلاص مر عليه كلب عجوز ، فلما رآه العصفور قال له " بالله عليك أيها الكلب ، باسم الصداقة ارحمنى ونجنى ، يساعدك الله "

وقف الكلب . وكاد يرفض ، ويرى أنه طائر صغير ، هل يأكله ، حتى لو أكله لن يشبعه لصغر حجمه ، واقترب منه ، ومد فمه وعض الشوك وقطعه وخلص العصفور ، فلما رأى العصفور أنه خلصه ، شكره وسأله عن وجهته ، فقال الكلب " إنه ذاهب يبحث عن طعام " .

قبل أن يقع الطائر في الشوك ، مر على عترة ماتت ، فحملها أصحابها والقوها أسفل شجرة . لذلك طلب من الكلب أن يأتي ليدله عليها قبل أن يدخل الليل وتأكلها الذئاب .

وطار العصفور واتبع الكلب ظله حتى وصلا إلى المكان . وقف الكلب وغرس أسنانه في العترة وأخذ يأكل ، ويأكل حتى شبع . فقال له العصفور " طالما أنك شبعت هيا بنا لأريك عشي ، وإذا شعرت في أى وقت للحاجة إلى الطعام تأتيني ، فأطير وأحوم حول المدينة ، فإذا رأيت شيئاً تستطيع أن تأكله آتيك وأدلك عليه " . قال " وهو كذلك ، الحمد لله "

عندما بدأ المسير . وصلا إلى شارع . فقال " والله هذا اللحم الذى أكلته ملاً بطنى ألا تنتظر قليلاً حتى ارقد هنا لأرتاح "

قال العصفور " صدقت ، ارقد واسترح ، وإذا كنت تريد أن تنام فلا بأس وأنا سأصعد فوق الشجرة وانتظر ، فإذا رأيت الأطفال سأخبرك لتستيقظ ، حتى لا يؤذوك . "

قال الكلب " الحمد لله " ولم يكذب يرقد حتى غلبه النوم ، وبعد قليل جاء رجل بعربة يجرها ثوران ، وتحمل أكياس الدخن ، فلما رآه العصفور من بعيد قال له " أنت يا صاحب العربة انحرف عن الطريق ، حتى لاتطأ أخى ، الذى ينام "

نهره صاحب العربة بغضب وقال " من يكون أخوك الذى توقفتى من أجله ؟ ! "

فأشار إلى الكلب النائم وقال " هامو " .

نظر صاحب العربة إلى الكلب ومض شفتيه وقال " أمن أجل كلب توقفتى ؟ ، ماذا يعنى الكلب ؟ لعنة الله عليك . " وساق الثيران فوطئت الكلب . فمات وبرزت أمعاؤه دون أن يتحرك .

طار العصفور وتبعه وهو يبكى ويقول له " ويحك وياويلي قد قتلت أخى دون أن يفعل لك شيئاً ، لقد قلت لك انتبه ، ولم تهتم لأنك تحتقرنى . كما جعلتني اذرف الدمع عليه اليوم ، سأجعل دمك يسيل غداً ، ودعنا من الدموع ، فكما جعلت أخى يفارق هذه الدنيا اليوم . ستفارقها إن شاء الله "

ضحك صاحب العربة وقال " حتى أنت أيها العصفور الصغير ، تقول أنك تستطيع أن تجعلنى أبكى ؟ أنظر جيداً تعرف من أكون . "

قال العصفور " وهو كذلك إن تحتقر الشكل تر الانتقام من المحتقر "

وكان صاحب العربة يجلس في المقدمة ، خلفه أكياس الدخن ، فلما رأى العصفور أنه ساق العربة طار وكأنه سيعود إلى عشه ، ثم عاد وهبط على أكياس الدخن دون أن يشعر الرجل وأخذ ينقرها ويوسع ثقبها ، حتى أخذ الدخن يتسرب منها دون أن يشعر الرجل وإذا شعر العصفور أنه سيلتفت اختبأ بين الأكياس ، وبعد قليل تسرب الدخن تماماً ، ف شعر الرجل أن العربة خفت وأخذت تحدث صوتاً كأنها فارغة فأخذ يقلب كفيه .

طار العصفور وقال " هذا قليل . إن تحتقر الشكل تر الانتقام من المحتقر ؟ "

وطار وهبط عند عين أحد الثورين ، وأخذ ينقرها ، فأخذ الثور يقفز ، رآه صاحب العربة فأخذ الفأس ليضربه بها فطار فهوت على رأس الثور ، فسقط الثور في الحال ممداً ، فقال الرجل " ياخسارة "

فقال العصفور " انتظر . لقد قلت لك إن تحتقر الشكل تر الانتقام ؟ "

عض صاحب العربة على الشفاه وربط العربة في الثور الآخر وحده ، وركب وساقه وقصد المنزل ، فعاد العصفور ووقف على عين الثور وأخذ ينقرها ، أخذ الثور يرفس ، فنظر إليه صاحب العربة وقال " هذا الطائر المفسود عاد مرة أخرى " وأخذ الفأس .

ووقف ليحدد مكانه بدقة ويضربه، فلما ضربه طار العصفور فأصاب رأس الثور فسقط يرفص فتزل وهو عاجز عما يفعل ، فحمل قأسه على كتفه وقصد المنزل وهو يعرض على النواجذ .

قال العصفور " هيا نذهب إلى المنزل لقد قلت لك . إن تحتقر الشكل تر الانتقام " عندما رآته زوجته يدخل وهو يلعن ويسب قالت له " خيراً ، أمر خطير ، لماذا هذا الوجه العابس ؟ "

قال " أين هو الخير ؟ عصفور صغير جعلنى اقتل الثورين ، لأننى وطأت كلباً في الطريق فقتلته ، فالتفت فرأى العصفور يقف فوق القدر فقال هل رأيته إنه يتبعنى المفسود " قالت زوجته " أنت رجل طائش ؟ كيف طائر صغير مثل هذا لا يكفينى لقمة يُحيرك هكذا ؟ " وسحبت الفأس وهى غاضبة لتضرب بها الطائر فطار العصفور فأصاب القدر فانكسرت . طار العصفور ودخل حجرة المرأة ووقف وقال " إن تحتقر الشكل تر الانتقام " .

فلما التفتت المرأة ورآته أخذت الفأس مرة أخرى لتضربه بها فأصاب الأوانى كلها فانكسرت ، لا أطيل عليك . ظلت تفعل ذلك حتى كسرت كل الأوانى .

نظر إليهما العصفور وقال " إن تحتقر الشكل تر الانتقام "

وهنا خطر على بال الرجل حيلة ، اقترب من زوجته وهمس فى أذنها وقال " اغلقى النافذة بسرعة وأنا اغلق الباب ، ونحاصره ونمسكه ونقتله كما نريد "

واندفعوا مرة واحدة وأغلقا الباب والنافذة ، وعادا واستعدا للإمساك به حتى أمسكوه بيدهما وفتحوا النافذة والباب ، واختلفا في طريقة قتله ، الرجل يقول " نشعل النار ونلقيه فيها " والزوجة تقول " لا ، لانفعل ذلك ، ننتف ريشه الآن ، ونطحن شطة ونعجنها ونغمسه فيها ، وإذا لم نفعل ذلك ، نسمل عينيه بالسكين اليوم وغدا نقطع رجلا واحدة ، وبعد غد نقطع جناحاً واحداً ، ونستمر هكذا نقطعه عضواً عضواً حتى يموت هذا المفسود " عندما سمع العصفور ذلك قال " إن الله ليس ملكا لكما ، إن تحتقر الشكل تر الانتقام "

فلما سمعا ذلك غضبا ، وسحبت الزوجة سيف زوجها وقالت " دعنى اقتله " رأى

الزوج أن الزوجة تأخرت في قتله ، فانحنى ليطأ عليه بقدمه وكانت عين الزوجة لا ترى من شدة الغضب ، فصوبت السيف على العصفور بالضبط عندما كا زوجها منحنيا ليطأه بقدمه ، فقطعت رأس زوجها فسقط ميتا ، فطار العصفور وخرج من المنزل . وهو يقول " الحمد لله . القذى الذى تستهين به هو الذى يؤذى عينيك .

رؤية هذا الحدث جعل الزوجة تجن فأخذت الفأس وذهبت إلى الغابة، ترمى كل عصفور تراه وتقول له " إن تحتقر الشكل تر الانتقام "

ولما انتهى البغاء من هذه القصة طار وعاد إلى قصره .

فلما رآه موسى سأل عن القصة التى قصها للوزير فقال " قلت له قصة عمر معلقم والشيخ عثمان بن فوديو والكرامة التى أظهرها "

قال موسى " آية كرامة أظهرها الشيخ المجدد لعمر معلقم التى لم اتذكرها مع أن قصص الشيخ ومعجزاته أقولها للناس ، ولأنتظر أن يقولها الناس لى "

قال البغاء " أطل الله حياتك ، أنت تعرف صعوبة هذا الأمر بالنسبة له ، كل إنسان إذا عرف شيئا غابت عنه أشياء "

قال موسى " وهو كذلك ، ، قل لى هذه القصة لأسمعها لعلّى، أتذكرها ؟ "

قصة الشيخ المجدد ابن فوديو وعمر معلقم

في يوم من الأيام عندما كان الشيخ عثمان بن فوديو في سيفاوا Sifawa اجتمع أصحابه يتحدثون ، فنظر أحد أصحابه وكان يسمى معلقم إلى الناس وقال " إني أريد ثمار الكولا ، هل يوجد لدى احدكم شقا منها يعطين لي لأنصفه ؟ . فرد الناس جميعا بالنفى .

فنظر إليهم الشيخ وكأنه لم يسمع شيئا وبعد قليل تغير مجرى الحديث فنظر الشيخ إلى عمر معلقم وقال " قم نشم الهواء خارج المدينة "

قال عمر معلقم " وهو كذلك " قام وخرج ، الشيخ في المقدمة والآخر يتبعه ، وفي هذا الوقت حان العصر ، وبعد أن خرجا من بوابة المدينة ، وسارا قليلاً وصلاً إلى نهر صغير ، فعبراه حتى وصلا إلى إحدى الغابات ، نظر عمر معلقم فلم ير شيئا إلا أشجار ثمار الكولا في كل مكان .

نظر إليه الشيخ وقال " قلت إنك تشتهى ثمار الكولا ، حسناً هاهي ، خذ منها بقدر ما تستطيع . "

أخذ عمر معلقم يجمع ثمار الكولا وهو مندهش ، هل توجد غابة بها ثمار الكولا قريبة من سيفاوا . ولم يعرف ؟ ، ملأ جيبه وقال للشيخ بن فوديو " هذا يكفيني ، غفر الله لك ياسيدي " وفي الحال عبرا هذا النهر وعادا إلى المنزل .

وبعد أسابيع قليلة نفذت ثمار الكولا التي جمعها عمر معلقم مع الشيخ عثمان فلما أدرك أن غابة الكولا ليست بعيدة عنه ، قام وحده واتبع الطريق الذي سلكه الشيخ وأسرع الخطى حتى يذهب ويجنى الثمار ويعود قبل أن تشتد حرارة الشمس في الضحى ، وسار وسار حتى توسطت الشمس السماء ولم ير مايدل على أنه اقترب من مقصده ، حتى يش ، فالتفت وعاد ، ولم يصل إلا بعد العصر ، ولم يتوقف إلا في منزل الشيخ عثمان فتبادلا التحية ، ونظر إلى الشيخ وقال " اليوم هلكت من السير " .

قال الشيخ " ماذا أصابك حتى تشكو مما أصابك من نصب ؟ "

قال عمر معلقم " قمت في الصباح لأذهب إلى غابة ثمار الكولا التي ذهبنا إليها
معا عندما خرجنا نشم الهواء في الأيام الماضية لأتزوّد منها ببعض الثمار ، فسرت حتى
تعبت ، ولم أصل إلى هذا النهر الصغير ، عندما رأيت أن الشمس توسّطت السماء ،
فأشفقت على نفسي وعدت ، وجئت إلى هنا ولم أذهب إلى المنزل ولو لأشرب الماء . "
نظر إليه الشيخ عثمان وابتسم وقال " لو تعلم أين ذهبنا عندما خرجنا هذا اليوم ما
فكرت أن تذهب بهذا الطريق ، لقد أخذتك إلى بلاد اليوروبا لتقطف ثمار الكولا . "
اندهش عمر معلقم . وقال الشيخ " هل تعرف هذا النهر الصغير الذي عبرناه معا ،
قبل أن ندخل غابة الكولا "

قال عمر معلقم " عرفت "

قال الشيخ " هذا نهر كوارا بعد أن جف من الأمطار "

لم يجد عمر معلقم شيئا يقوله إلا أن يهز رأسه ويقول " الله يهبنا بركتكم "

عندما سمع موسى ذلك قال " اعتقد أن هذا أول ما سمعت من كرامات الشيخ بن
فوديو ، إذا كنت ستقص على قصصا أخرى ، فأنا موافق ، أما قصص الشيخ ، فأنا
الذي أقصها لأن كل قصص الجهاد والمدن التي أسسها والتي رفع فيها أعلامه ، كلها
أعرفها جيدا . "

أصلح البيغاء من جناحيه وقال " وأنا كذلك - نصرّك الله . رغم أنني طائر . أنا
الذي أقص أخبار فوديو ولا يقصها لي أحد . "

عندما رأى موسى أن البيغاء أخذ يمدح نفسه قال " انتظر ، لماذا التفاخر ، مدح
النفس جهل ، أنا لا أملأ أذنك بالثرثرة ، ولا تملأ أذني بها ، سأقص عليك الآن من
كرامات الشيخ عثمان بن فوديو ما لم تعرف ، لأقنعك ، ولن استدرجك لأخبار الجهاد
ولا أصله ولا تقل أنني تعمقت بما أعجزك ، أبدا وأعد ، وسأقول لك ثلاثا لا تعرفها ،
ثم ادخل لأصلي الظهر لاني أسمع الأذان "

قال البيغاء " وهو كذلك ، ألا تبدأ لنسمع ؟ إذا كان ذلك حدث فعلاً فسوف أرى "

قال موسى " أولا ، أنت لاتعرف هذه ، ذات يوم عندما كان الشيخ بن فوديو

صبيًا، كانوا يعيشون في طاجل مع والده فوديو ، فدخل فوديو ليتوضأ ليصلي الظهر ،
ونادى الشيخ وقال " تعال لأرسلك إلى مرنونا . . .

هبَّ البيغاء قائماً وقال " عندما ذهب الشيخ وأحضر الكتاب وعاد قبل أن يتم الأب
وضوءه وتوضأ الشيخ وتبعه وصلى خلفه ، في حين أن ما بين طاجل ومرنونا مسيرة مابين
طلوع الشمس وضحاها بالنسبة للتجار ؟ "

قال موسى " ما هذا الذي تثيره لأنك تعرف أنني أبدا ؟ إذا عرفت شيئاً هل تعرف
الشيء الآخر ؟ "

قال البيغاء " وهو كذلك ، قل لنسمع ، نصرك الله "

قال موسى " ذات يوم بعث الأمير بونو نقاتا أمير جويير من يستدعى الشيخ عثمان
احتراماً له "

فأخذ البيغاء الحديث وقال " عندما حفر حفرة عميقة ووضع فيها السيوف والسكاكين
وأمر أن تغطى بالحصير حتى إذا جاء الشيخ طلب منه أن يجلس عليها فيسقط في الحفرة ؟
وجاء الشيخ وجلس ولم يسقط . فرفع أمير جويير بندقية كانت لديه وصوبها نحو الشيخ
ليقتله بها فانفجرت . فاحترق الأمير تماماً . إن لم تكن هذه الكرامة فما هي التي ستقولها
لي لنسمعها ، نصرك الله . "

قال موسى " لا ، هذا الطائر الصغير ماذا أفعل معه ؟ . "

ونظر إلى البيغاء وقال " هل تعرف قصة الشيخ وكبير التجار ؟ "

قال البيغاء " الشيخ وكبير التجار ، أية قصة للشيخ وكبير التجار التي لم أعرفها ؟
وماذا حدث معه ؟ نصرك الله ، قل لنسمع "

قال موسى :

قصة الشيخ ابن فوديو وكبير التجار

في يوم من الأيام كان أحد التجار الكبار عائداً من جورجيا ، فلما وصل نهر كوارا ركب مركباً وبينما هم سائرون بهذه المركب ، ثارت الأمواج وأخذت المركب تتمايل ثم انقلبت ، فاستغاث التاجر قائلاً " ياشيخ عثمان ساعدنا ، ياشيخ عثمان انقذنا ، والله إذا نجوت من هذا الهلاك ، عندما أذهب إلى سكوتو أقدم لك صدقة عشرة أكياس من الكولا " وما كاد يتهى من كلامه حتى رأى شخصاً يمد يده وينقذه مع متاعه ، فنظر ليعرف من المنقذ فلم ير أحداً .

في هذا الوقت كان الشيخ المجدد ابن فوديو في مدينة سكوتو يلقي الدرس ويعظ الناس ، فرآه الناس يسكت ، وبعد قليل شاهدوه يعصر أكمام ثيابه والماء يتصبب منها ، فطلب منه الحاضرون تفسيراً لما شاهدوه .

قال الشيخ " أحد عباد الله طلب مساعدتنا عندما جنحت مركبهم في نهر كوارا ، وأراد الله أن أذهب وأساعده " .

تعجب الناس وقالوا " اللهم اجعلنا في حماية نبيه ، ويهبنا بركتكم يامجدد " ، وبعد شهرين تقريباً ، إذ بكبير التجار يأتي إلى سكوتو ويطلب ثلاثة أكياس من الكولا ، ويذهب بها إلى الشيخ ويقدمها إليه وفاء بنذره ، ويطلب البركة ، وبعد أن حياه وقص له كل ما حدث للمركب عندما كانوا وسط نهر كوارا ، وكيف طلب مساعدته ، وكيف جاء وساعده ، وجاء شخص ليخرجه ولكن عندما نظر لم يجد أحداً ، سأل الشيخ بن فوديو في أي يوم وقع هذا الحادث الخطر وفي أي شهر .

ذكر كبير التجار اليوم والشهر ، فحسب وذكر اليوم والشهر الذي وقع فيه هذا الأمر وعندما حسب تلاميذ الشيخ فوجدوه مطابقاً لليوم الذي سكت فيه الشيخ المجدد عن الوعظ وأخذ يعصر كم قميصه ، مما زاد الأمر غرابة .

أخرج كبير التجار ثمار الكولا وقدمها للشيخ وقال " هاك ما وعدت أن أقدمه إن شاء الله ونجوت " .

شكره الشيخ بن فوديو وأخذه ووضعته وابتسم ونظر إلى كبير التجار وقال " ولكن لم تف بالوعد تماماً لقد نذرت عشرة أكياس ، وما أنت قد أحضرت ثلاثة " .

عجز الرجل عن الرد من شدة الخجل وعاد إلى المنزل وملاً سبعة أكياس وأحضرها للشيخ وانحنى شاكراً ، فأخذها الشيخ ووزعها على الناس صدقة .

نظر موسى إلى البيغاء وقال " سمعت قصة واحدة من كرامات الشيخ المجدد التي لم تسمعها من قبل ، الآن قص واحدة ، إذا كانت من أخبار الشيخ ، إذا بدأت الرواية سأستطيع أن أقص لك عشرة لا تجد فيها واحدة تعرفها . "

ذهب البيغاء هنا وهناك ووضع رأسه بين جناحيه وقال " الله اكبر ، هذه القصة كل طفل يعرفها ، ومع ذلك فقد أخطأت فيها خطأ كبيراً ، وهو ما أوقعني في حيرة ، وشعرت كأنني لم أسمعها " .

قال موسى " وهو كذلك ، هل تبدأ ، لا يستطيع أحد أن يحسن شيئاً سواك ، هذه القصة سمعتها كثيراً ولكن لم أسمع أبداً موضع الخلاف " .

قال البيغاء " اسمع نصرك الله ، كل ماقلت لك من أخبار الشيخ ابن فوديو ، عليك أن توافق عليه ، كبير التجار الذي قلت عنه ليس كذلك هو تاجر ، وهو الخطأ الذي وقعت فيه . "

قال موسى " والسلام " ، ألم تسمع ؟ ما الفرق بين الضرب والملاكمة ؟ "

ضحك البيغاء وقال " نصرك الله تبادل الشتائم " .

ضحك موسى ومض شفتيه وقال " ألم تتعب من هذه الثثرة ، الإنسان يشور عليك ويغضب منك ، ثم تضحكه ، اللهم احينا إلى الليل ، لتقص لي القصص التي لم يعرفها أحد إذا اتبعتك الآن حتى يمضي الوقت فلن أصلي " .

مز البيغاء جناحيه وقال " اللهم احينا ، ولكن استفتيك ، بالله يا شيخنا ، لا يقال إن الإنسان جميل إلا إذا كانت أدوات الزينة كثيرة ؟ "

قال موسى " إنني أعرفك ، بعض الأسئلة تلقىها للسخرية ، ألا ترى بنفسك ؟ " حتى الطائر يعرف أنه لا يعظم الإنسان إلا أن يرتدى سروالاً مزركشاً ، وجبة وفوقها عباءة مزركشة ، بعد ذلك

قال البغاء " نصرك الله ، الزينة انتهت ، لا أعطلك ، حتى الليل "

قال موسى " اللهم احبنا على الخير "

عندم جاء الليل وغلب النوم موسى ، استيقظ في الصباح فقام ولبس ملابس الحرب وأخذ الرمح وجاء البغاء وقال " الحمد لله ، كل من يكذب بالليل يطلع عليه النهار ، لقد قلت أن أخبار الشيخ عثمان التي قلتها أمس كل طفل يعرفها ، وهو كذلك أريد أن أسمع قصتك التي لم يعرفها أحد . "

هز البغاء جناحيه وطأ رأسه وقال " نصرك الله استمع الآن "

قصة الشيخ ابن فوديو وأحد العلماء

ذات يوم سمع أحد علماء الشرق عن أخبار الشيخ فجاء إلى مدينة سكوتو ، ليرى بعينه ما يقال لأنهم يقولون الرؤية خير من السماع ، وعندما اقترب من مدينة سكوتو استعد كالحجاج ، ولبس الثياب الغربية ، وذهب إلى الشيخ المجدد وقال " جئت استفتيك يا شيخنا "

رد الشيخ بن فوديو قائلا " اسأل الله أن يلهمنا المعرفة " قال الرجل " يا شيخنا من أى شئ يصنع الحساء في بلدكم ؟ "

قال الشيخ من أشياء مختلفة في بلدنا " فودع الشيخ وخرج ، واستمر الشيخ فيما كان فيه من شأن الجهاد ، واستولى على كثير من البلاد، وسلم الأعلام لبعض الناس ، وبعد عامين نسي هذا الرجل الذى سأل ، ثم عاد الرجل ولبس ثياب الهوساويين حتى لا يدرك أحد أنه هو الذى جاء في العام قبل الماضى ، وذهب إلى الشيخ وحياء وقال " وماذا أيضا ؟ "

وعلى الرغم من أن هذا الأمر مضى عليه زمن بعيد إلا أن الشيخ تذكر سؤال العام قبل الماضى ، ونظر إلى الرجل وقال " إذا كان ثريا يضع بعض اللحم . " عندما سمع هذا الغريب ذلك ركع وأخذ يطلب المغفرة من الشيخ بن فوديو واستأذنه وعاد إلى بلده.

" بينك وبين الله ، نصرك الله ، هل سمعت هذا الخبر عن الشيخ المجدد قبل اليوم ؟ "

قال موسى " الحقيقة . لم أسمعه ، بالله عليك هل اخترعته الآن ؟ "

طأطأ الببغاء برأسه وقال " ويحك ، نصرك الله ، والله لم اخترعه الآن ، هكذا سمعته ، لعل رجلا مجنوننا ، مثل هذه الأكاذيب والخرافات تضاف لتاريخ الشيخ المجدد بن فوديو ، ليس هذا الموضوع للعبث .

قال موسى " وهو كذلك ، مهما يكن الاتظن أن هذا أكثر مما قلت لك أمس إثارة للعجب ؟ "

قال اليبغاء " نصرك الله أنا لا أختلف معك ، أمور الولى هذه إذا تعمقنا فيها ، قد نذنب ، ولا حيلة لنا ، اللهم هبنا ببركتهم "

قال موسى " حقا ، اللهم نجنا من عذاب يوم الجمعة الذى لاسبت بعده ، من أجل أفضل الخلق " واستدار لينصرف .

قال اليبغاء " نصرك الله ، ثم ، ماذا وجدت ؟ "

قال موسى " ماذا تقصد ، بماذا وجدت ؟ ، عمن تتكلم ، أى شئ سأجد ؟ إذا كنت تسأل عن شئ قل لأسمع . لا يغرنك إلا شبابك ، أنا فرغت لك "

طأطأ اليبغاء رأسه وقال " هدا الله من نفسك ، بقى السؤال الذى قلته لك أمس لقد كنت أريد أن أرى هل تستطيع أن ترد على الكلام الذى بدأت تقوله لى أمس ، لانك قلت إن التاريخ الذى رويته الآن عن الشيخ المجدد ليس عجيبا كالذى قلته أمس "

قال موسى " أى سؤال قلته لى أمس ؟ "

ضحك اليبغاء وقال " هل نسيت ماقلت أمس . أطال الله حياتك ، لقد سألتك ماذا يصنع الإنسان على جسمه حتى يصير جميلا وليس مزموما ، حسنا - فمابالك بهذا الذى حدث من عامين "

نظر موسى إلى اليبغاء وقال " أكره ، ألا تترك شيئا مهما كانت الجهة التى يأتيك منها الإنسان تترقبه "

ثم نظر فرأى الفجر قد ظهر فنهر اليبغاء وقال " إذا كان للسوء تفعل لى هذا الأمر لا بأس ، حسبى الله " ، ودخل المنزل وعندما حان الظهر إذ بالأمير عبد الرحمن يبعث رسولا بالبشرى فقد انتصر ، وغداً في الصباح سيحضر ، سأل موسى " أين محمود ؟ هل شفى ، قال حامل البشرى ، " لم يصبه مكروه ، وغداً ستراه " وقبل أن يجد موسى الفرصة ليسأله ركب وعاد ، لأنه أمر بالآلا يبقى . وضجت المدينة بالزغاريد والأفراح الكثيرة ، وقد وقع الخبر على الوزير كالثوت ولما حان المغرب استدعى أربعة شبان من خدمه ، وأخبرهم بكل ما سيفعلونه ووعدهم إذا نجحوا في قتل موسى هذه الليلة أو قطعوا عنقه سيعطى كلا منهم عشرين جنيها .

قال هؤلاء الخدم " هذا الأمر بسيط " ودخلوا يبحثون عن ملابس وحلى النساء ليلبسوها .

كان البيغاء يدرك أن هذا سيحدث ، فلما حان المغرب قال لموسى " أطل الله حياتك اليوم لا ينبغي أن تنام ، ويجب أن تذهب للممر الكبير وتجلس مع الخدم للسمر "

قال موسى " وهو كذلك " أعد كرسي وجلس عليه موسى وأحاط به الخدم " وبعد قليل تبعهم البيغاء ونظر إلى الخدم فلم يجد أحداً منهم يحمل سلاحاً بالقرب منه ، فقال " عجباً ، هل جميعكم نساء ، كيف تقومون بالحراسة ولا تحملون حتى العصي ؟ ، هل نسيتم شر الدنيا ؟ " شعر الخدم أنه محق في قوله ، فحمل كل سيفه ووضعه إلى جانبه وبدأوا يسمر .

وبعد العشاء دخل خمسة من خدم الوزير يرتدون ثياب النساء ومن بينهم بركى ، وقد أدرك البيغاء وحده أنهم رجال ، وبحسوا عن عمر واختبأوا فيه ، لاهم داخل البيت ولاهم خارجه ، ومكثوا ينتظرون موسى ، حتى يدخل ، فبالتقوا به ويقتلوه ، لم يته السمر ، إذا أدرك البيغاء أنهم سيتوقفون بعد قليل يقول لهم شيئاً مضحكاً وظل كذلك حتى الصباح .

عندما أدرك البيغاء أنهم تعبوا من كثرة السمر ، واستولى على بعضهم النعاس قال " هيا أقص لكم قصة جميلة "

قال موسى " إذا كان الأمر كذلك انتظروا لتسمعوا فصاحة طائرنا الصغير " ففرك من غلب عليهم النعاس عيونهم ، وشرب البيغاء ماء ، ونظف خنجرتهم وصبغ اللعاب وبدأ يقص .

التعجل يسبب التأخير

كان يعيش هنا في الشمال أمير له طفل أصغر إخوته لم ير أحد مثيلاً له في الجمال ، فهو ليس بالنحيف جداً ولا السمين جداً وسطاً بين ذلك ، كان عنقه قرعة لبن ، عيناه بيضاوان كاللبن ، شعر رأسه يجذب النظر ، كأنه يدهنه بالزيت ، إذا ضحك ورأيت أسنانه سبحان الله ، أقدامه . . .

قال موسى للبيغاء " بالله عليك . إذا كنت ستقص علينا قصة ، ابدأ وإلا فاتركنا كل يمشى إلى غايته . "

قال البيغاء " دعني أزين لك القصة حتى تصير جميلة . . . "

و ذات يوم ركب هذا الأمير وتبعه كل رجاله ، ليطوف حول بلاده ليفرض عليهم الخراج ، وأثناء السير تخلف ابنه الأخير مع أحد الخدم عن الركب ، وبعدا عن الركب يريدان أن يعرفا أحوال الدنيا ، فلما أدركا أن الركب اختفى أخذتا يتحدثان ويقهقهان ، وهكذا حتى وصلا إلى إحدى القرى الصغيرة التي مر بها الأمير منذ قليل ، ولما أدركا أن موعد صلاة الظهر قد حانت نزلا للصلاة ، وذهب الخادم إلى منزل حاكم القرية وأخبره أن ابن الأمير هنا ويريد أن يصلي في قريتهم . . .

عندما رأى خدام الوزير أن الصباح كاد يشرق ، ولم يتحرك موسى ولم يجدوا الفرصة للقضاء عليه فكروا في الأمر ، فجاء أحدهم وركع أمام موسى وقال له " يطلبونك بالداخل . "

ظن موسى أنها إحدى خادmates فقال " إذهبي ، أنا قادم " وعاد واستمر البيغاء في القصة التي كان يقصها ويسهب فيها حتى لايتهي منها قبل أن يطلع النهار ويطلب موسى الخروج .

« عندما مضى الخادم إذ بفتاة كأنها ابنة العرب تخرج من أحد المنازل بالقرب من المصلى ، تطل برأسها ، فأضاءت كل المكان ، إذا نظرت إليها ظننت أنها لا تأكل الطعام مثلنا ، جسمها اقسم بعظمتك إذا نظرت إليه كأنه النخاع ، أنفها كأنها صفته لنفسها ، إذا نظرت لعينيها اقسم بالله لا تغمض عينيك ، شعرها . . .

قال موسى " كفى هذا ، استمر في القصة ، لعلك سمعتهم ينادونني بالمتزل " .
قال البيغاء " ساستمر " وأخذ يسهب " رفع ابن هذا الأمير رأسه ونظر إليها من أسفل إلى أعلى ثم قال في نفسه " يقال أن ابن آدم كله لم يكمل عشرة ، واليوم هاهي تكمل اثنتي عشرة " .

ثم امعن النظر فيها وقال " من أين هذه الفتاة ؟ " .
قالت " من ويلا فدم ، جئنا أمس هنا لحفل عرس وسنعود اليوم بعد الظهر " .
تعجب ابن الأمير " ويلا فدم ؟ ، في أي منزل تقيمين لأعرفه ؟ " .
قالت " هنا منزل حاكم المدينة ، أنا ابنته الكبرى ، لا أخرج ، من العرس للصلاة ، لذلك لم تعرفني ، ولكن ها أنا أعرفك وإن كنت لاتعرف أخبار نانا يوقى ابنة ويلا فدم " .

سكت ابن الأمير وقال " والله ، سمعتهم يقصون أخبارها " .
قالت " وهو كذلك ، ها أنا " .
عندما سمع ابن الأمير ذلك فاتحها في أمر الزواج ، ورأى الدليل على أنها تريده ، الرجل السابق الذي طلبها للزواج كان رجلاً عجوزاً ذا لحية ، فقالت إنها لاتريد الزواج من ذي اللحية .

بعد أن بحث الأمر معها هنا ذهبت ، فأخذ الأبريق إلى المصلى ليتوضأ ودخل وأدى الصلاة ، وبعد أن سلم ، وبعد أن دعا أفضل الخلق سأل الله أن يتزوج هذه الفتاة ، حتى اخطأ في القول ، فقال إذا شاء الله وتزوجها سيقتل نفسه من السرور .

بعد أن خرج من المصلى تقابل مع حاكم المدينة فأكرمه ، وتبادلا التحية ، وسار مع خدمه ، وتتبعوا الأمير حتى أدركوه ، كان أثناء السير يقص للخدام قصة الفتاة .

عندما انتهى الأمير من طوافه عاد إلى منزله ، فأخبر ابن الأمير الوزير أنه يريد أن يطلب له ابنة ويلا فدم للزواج ، فأخبر الوزير الأمير ، فطلبها الأمير ووافق أبوها وأقيم حفل الزواج .

بعد ثلاث سنوات من الزواج ، قالت نانا ذات يوم أنها تريد أن يصحبها زوجها

لتزور أهلها ، فقال ابن الأمير لأبيه ، ووافق الأب ، وطلب من كبير خدمه أن يصطحبهم ، واستعدوا وركبوا الجمال وبدأوا الرحلة .

واستمروا في الرحلة حتى رأى ابن الأمير المدينة التي رأى فيها نانا لأول مرة ، وتحدثا عن الزواج ، ووقفوا بالقرب من المصلى ، ليتوضأ ويصلى الظهر ، فلما دخل وأدى الصلاة ، بدأ يختم الصلاة ، فسمع من يقول له " أين الوعد الذى قطعتة على نفسك ، عندما قلت إن شاء الله وتزوجت نانا سأقتل نفسى من السرور والشكر لله . " ؟

عندما سمع ابن الأمير ذلك ، تذكر هذا الوعد فنظر شرقاً وغرباً فلم ير أحداً يتكلم معه ، فأخذ جسده يرتعش ، ويقول لاحول ولاقوة إلا بالله ، وقال إن اللسان هو الذى يقطع العنق ، وسحب السيف وقطع رأسه وسقط ميتا .

عندما وصل البيغاء إلى هنا سمعوا نداء الصلاة ، وجاء أحد خدم الوزير مسرعاً وركع مرة أخرى أمام موسى وقال " ينادونك بسرعة بالداخل " .

قال موسى " ويحك ، هم يضايقون الناس بهذا النداء ، هل تظنين أننى أقوم دون أن أسمع نهاية القصة اللذيذة ؟ إذا كانوا يريدون شيئاً فليذهب رئيس القصر " .

عندما رأى هذا الخادم أن رئيس القصر سيذهب ويتبعه قال " لا ، اجلس لشانك ، يا رئيس القصر ، يريدونه هو ، إن لم يأت ، دعنى أذهب لأقول لهم ، ثم عاد وأخبر رفاقه ، فخرجوا مسرعين يهتتون بعضهم بأن رئيس المنزل لم يتبعهم ، وإلا كانوا ضيوفاً على الآخرة ، وذهبوا وأخبروا الوزير بما حدث ، فأمرهم الوزير بأن يعودوا ويحاولوا مرة أخرى ، وسيزيد كلاً منهم عشرة جنيهات ، فعادوا ودخلوا كالرجال ، وعادوا . وقد استيقظت كل المدينة وأضاءت الشمس أرجاءها والبيغاء يسهب في قصصه .

عندما رأت نانا أنه تأخر ولم يخرج طلبت من الخادم أن يذهب ويرى أى ورد طويل هكذا يقرأه وحتى الآن لم يتنه منه ، فلما دخل وجده غارقاً في دمه ، دون رأس ، والسيف ملقى بجواره ، فأمسك رأسه وقال : الآن إذا خرجت وقلت ماحدث ، سيقولون أننى الذى قتلته ، ولن أجد وسيلة للخلاص إلا أن أقتل نفسى هنا معه ، فإذا رأوا ذلك ، سيظنون أننى حاولت الدفاع عنه ففشلت فحدث ماحدث . وأخذ السيف وقطع رأسه ، وسقط ميتا .

نانا في الخارج تنتظر وقد عم السكون ، ولم تر أحداً يخرج ، فقالت " اليوم أرسل الرسول فلا يعود . لا بد في الأمر شئ ؟ "

وصبرت حتى حان وقت العصر فقالت " رغم أن النساء لا يدخلن المصلى ولكن لابد أن أذهب لأرى ما حدث "

ثم نزلت وما كادت تدخل برأسها في المسجد حتى رأت زوجها وخادمها بلا رأسيهما ، فتراجعت إلى الورا ، وأخذت تدور في المكان وتبكي ، فلما رأت أن البكاء لن يحيى ميتاً أخذت السيف وقالت " دعنى أقتل نفسى لأرتاح من هذا الحزن ، حياتى لا فائدة منها طالما أن زوجى فارق الحياة "

وسحبت السيف لتقتل نفسها ، فسمعت من يقول " انتظرى ، خذى رأسيهما والصقيها لهما سيقومان "

فنظرت شرقاً وغرباً ، فلم تر من يكلمها ، فقامت وجسمها يرتعش وأخذت الرأسين والصقتهما في جسديهما .

من شدة السرور عندما شعرت أن زوجها سيقوم ارتبكت وأخذت رأس ابن الأمير والصقتها على جسد الخادم ، وأخذت رأس الخادم والصقتها على جسد ابن الأمير ، كل واحد بما الصق له ، حتى ارتبكت وكل منهما يقول أنها روجته .

حسناً أيها الناس من تظنون أنه زوجها ؟ "

وتشب الخلاف بين الخدم ، بعضهم يقول أنها روجة ابن الأمير والبعض يقول أنها روجة صاحب الجسد ، وبينما هم في هذا الجدل كان خدام الوزير يقفون عند باب الممر ، لا يعرف أحد ماذا ينتظرون سوى البيغاء ، ثم سمعوا الطبول تدق ، فقد قدم الأمير ، وقبل ذلك كان باب القصر قد أعد لاستقبال البشرى .

عندما رأى خدام الوزير ضياع الفرصة ، عادوا وأخبروا الوزير فأخذ يعرض على يده من شدة الحزن ، وبعد قليل وصل الأمير ومحمود في المقدمة وقد أحاط به الطبالون وهم يمدحونه وينشدون فيه الشعر ويقولون :

اصبر يا محمود وكن ذا عزيمة

لا يعرف العظيم إلا بالتجربة

البقاء بالبيت للكسالى

يا أخ موسى قم لنقدم

محب الحرب فليات لنا
إلى محمود الآن وليترك اللهو
أهل سينارى استجلبوا التعب لهم
أخ موسى رفع الله شانك
اترك الخوف والإهمال
الدنيا لا تحب الغبى
أهل سينارى تابوا واتبعوك
أميرهم جاء لتغفر له
جمال الشاب في حمل رمحه
ليتميز عن النساء
أيها الناس فلنردد الزغاريد
محمود ولد يشبه الكبار
اللهم انظر إلينا بعين الرحمة
وارحم الأبوين وقلوا آمين

عندما وصلوا كانت المدينة كلها في فرح ، ذهب موسى وقابل محموداً على باب المنزل ، وعانقه في سرور ، وسأله كم يوماً كان يمرض فيها ، فقال إنه لم تصبه وخزة منذ خرج ، لذلك لم يمرض من شئ ، تعجب موسى فسأله عن موضوع الرسالة التي بعث بها ، فقال انه لم يبعث أحداً، ذهب موسى ليحضر الرسالة ، فلم يجد شيئاً ، لقد أخذها البيغاء وأخفاها .

جاء الوزير وهو يضحك بعض الضحكات المصطنعة ، يتصنع السرور، عندما ألح قال البيغاء لموسى " أشعر أنك تبحث عن الرسائل التي بعثها محمود لك عندما كان في ميدان القتال . هاهى لدى قد حفظتها لك " ذهب وأخذها وأحضرها لهم ، فقرأوها وتعجبوا كثيراً، وأخفوا الرسائل ، وسكتوا .

عندما طلع النهار ، اخذوا هذه الرسائل إلى الأمير ، فنظر فيها وقال " خط الوزير " قال محمود " خط الوزير اقرأ لنسمع "

قرأ الأمير الرسالة ، فتعجب وقال " ماذا يقصد بهذا ؟ " ، والتفت إلى موسى وسأله كيف حدث هذا ، حتى يبعث له بهذه الرسائل ؟ .

قال موسى إنه لا يعرف سر هذا الأمر ، كان يظن أن محموداً هو الذى أرسلها ، وقال كل ما حدث أول الأمر ، وكل الأمور التى حدثت ، وكيف شغله البيغاء بالقصص حتى لم يجد الفرصة للخروج ، وقص للأمير كل شيء .

عندما سمع الأمير ذلك قال " لا شك في الأمر شيء ، يستدعى البيغاء " وفى الحال جاءوا به ، فسأله الأمير ، جلس البيغاء وقص كيف حدث كل شيء ، حتى ما فعلوه مع الوزير عندما بعث ويأتوا به ، وأخبار هؤلاء الخدم الذين بعثهم ليلبسوا ملابس النساء ويأتين لقصر الأمير ، وحدث ليلة عودة الأمير ، حتى عادوا واندسوا في الخدم الذين تركهم الأمير للحراسة ، والذين أخذ يقص لهم القصص حتى لا يغلبهم الناس وكيف تعب مع موسى حتى يمنعه من الخروج ، قص كل شيء .

عندما سمع الأمير كل ذلك فاضت عيناه بالدمع شفقة على البيغاء ، وأخذه وعانقه ، وهو يقول " ماذا نفعل لنعالج هذا الأمر ؟ "

قال البيغاء " كل هؤلاء الذين بعثهم الوزير في أى مكان يدخلون فيه ، إذا رأيتهم أعرفهم ، دعنى أحوم حول منزل الوزير ، إذا رأيت واحداً منهم دعوته ليأتى ، إذا شدد عليه يقول ما كانوا ينوون فعله ، إذا قدر لى أن أرى المرأة العجور ، وجاءت ستوضح كل شيء تماماً " ثم وضعه أحد الخدم على عنقه ، ويتبعه ثلاثة من عتاة الخدم ، وأخذوا يطوفون به في حى الوزير ، حتى وصلوا إلى باب كوخ خرب فنظر فيه البيغاء وقال " هاهى "

دخل الاتباع العتاة الكوخ وجذبوها ودفعوها من قفاها حتى الأمير ، فلما رآها موسى قال " نعم ، انها هى ، هذا البيغاء أمره عجيب "

سألها الأمير عما أضمره الوزير بشأن موسى ، ارتبكت العجور وقالت " نعم نصرك الله ، والله لقد أجبرونى " .

قام محمود ونظر إليها ، ولطمها على وجتيها وقال " الأمير يسألك ، قولى له من الذى أجبرك على ذلك ؟ " .

ركعت العجوز وقالت كل شيء ، فلما سمع الأمير ذلك ، بعث لكل رجال الشرطة فجاءوا ، فقال لهم " اذهبوا واحضروا لى الوزير " فأسرع الشرطة بالذهاب .

عندما قبض على هذه المرأة العجوز ، ذهب رجل إلى الوزير ، وقال " أطال الله عمرك " رأيت ثلاثة من خدم الأمير ومعهم بيبغاء يأتون ويقبضون على خادمك هنا خلف المنزل ، ماذا فى الأمر ؟

عندما سمع الوزير ذلك ، قال " خيراً " ولم يقل شيئاً ، ودخل المنزل ، وأمر أن يُعد له الحصان ولم ينتظر أن يلف العمامة ، ولا الخادم ، وتسلسل خلف المنزل وخرج ، دون أن يره أحد.

عندما جاء رجال الشرطة ودخلوا المنزل وجدوا الجارية ، فقالوا " أين الوزير ؟

قالت الجارية " خيراً ، ماذا حدث حتى تدخلوا المنزل دون استئذان ؟

دفعها رجال الشرطة وقالوا " اذهبى ، وادخلينا "

دخلت الجارية المنزل ، وبعد قليل خرجت وقالت " ليس بالمنزل " ظن الشرطة انها تكذب ، ففارقوا فى المنزل ، البعض يحرس باب الممر ، فلما بحثوا لم يجدوه ، فقبضوا على كل خدم المنزل ، وأخذوهم إلى الأمير ، وقالوا إنهم لم يجدوا الوزير .

نظر البيغاء إلى خدم الوزير الذين جاءوا بهم ، وقال " أطال الله حياتك ، هؤلاء هم الشهود على كل ما حدث " .

قال الأمير " هل عرفتهم ؟

قال البيغاء " أعرف سبعة منهم ، وها هو الذى بعثه إلى الأمير سينارى "

قال الأمير " حسناً ، دلنى عليهم " .

طار البيغاء وقال لأحد رجال الشرطة " هذا وهذا ، أحضرهما هنا ، وانتم تعالوا هنا ، وأنت الذى تشعر بالخيانة ، كن مع هؤلاء " ونظر إلى الأمير وقال " ها هم ، هؤلاء ، الذين طلب منهم أن يختبئوا عند الباب فإذا خرج موسى يقتلونه ، وهؤلاء هم الذين لبسوا ثياب النساء وجاءوا أمس الأول مساء ، وهذا أيضاً ، وأشار إلى بركى ، وهو كبير المنافقين ، الذى بدأ يعمل مع الأمير سينارى ، ودلهم على الطريق ، وهو الذى دخل المنزل بعد المرأة العجوز "

عندما سمع هؤلاء الخدم ذلك قالوا معا " والله هذا كذب ، نصرك الله ، تقسم بعمامتك لم تدخل هنا من قبل . "

نظر الأمير إلى الشرطة وقال " اسألوهم "

انهال عليهم الشرطة ضرباً ، وأخذوا يصرخون ، فقال بركى " سأقول الحقيقة ، لقد ضحيت بنفسى من أجل سيدى ، ولم ائل شيئاً إلا الضرب والحضور هنا ؟ " واعترف للأمير بكل شيء ، فلما رأى الآخرون الا فرصة للانتكار اعترفوا بالحقيقة ، فأمر الأمير بحبسهم داخل قصره .

ومضى يومان وفى ظهيرة اليوم الثالث ، إذا بالشرطة يدخلون بالوزير ، وقد قبضوا عليه على الحدود ، كاد يعبر الحدود قاصداً الأمير سينارى ، عندما اجلسوه أمام الأمير تجهم وجهه وقام نائراً ونظر للأمير وهو يقول " لماذا بعثت الشرطة للقبض على لم أسرق متاع أحد "

قام الأمير متعجبا وهو يقلب كفيه ويقول " لا ، قبضوا عليك ؟ "

نهر الوزير الشرطة وقال " قبضوا على "

قال الأمير " انا لم آمرهم أن يقبضوا عليك ، طلبت منهم أن يستدعوك ، لأطمئن على صحتك ، لانى لم أرك منذ العام الماضى "

عندما سمع الوزير كلاماً مطمئناً ، قال فى نفسه " لئن لم يكشف سرى من قبل كنت سأكشفه بنفسى عبثاً ، لقد كنت أعرف أن هذا الأمير غبى ، لا يعرف شيئاً ، أم أنه ليس غيباً ، ومن نوع الرجال الماكرين ، على كل سرى ، ثم قال " آسف خادمنا لم يقل لك ؟ ، لقد ذهبت لزيارة خالتى ، التى أخبرتنى بأنها مريضة ، ولكن نصرك الله ، هؤلاء الشرطة أساءوا إلى . "

قال الأمير " اصبر عليهم ، لقد قلت لك انهم أغبياء ، فقلت انهم طيبون " نهر الوزير رجال الشرطة وقال " أقسم بعظمتك ، لن أعفو عنهم ، طالما انهم أساءوا إلى هكذا ، سأسجنهم جميعاً الآن ، لو كان شخصاً معتوها ، لأدرك ما ينبغى فعله "

قال الأمير " أنت الذى يحكم ، فافعل ما تراه مناسباً معهم ، ولكن دعنى أسألك عما دفعنى لاستدعائك الان ، منذ عدت لم أجد الفرصة لسؤالك ، بشأن منزلى الذى تركته أمانة لديك . "

قال الوزير في نفسه " لا سمعت العجوز الخرفاء في هذا الأمر " فنظر إليه وقال " هل وجدت شيئاً أثار غضبك ؟ انا لم أكن العب في هذا البيت ، بنفسى كنت أخرج فى منتصف الليل اتعسس "

قال الأمير " أعرف ذلك ، ولكن بعض الرسائل قدمها إلى البيغاء لم أفهم مضمونها " فنظر للبيغاء وقال " اذهب واحضرهم "

طار البيغاء واحضرها وألقاها أمام الأمير ،

لما رأى الوزير هذه الرسائل أخذت بطنه تمغص ، وأخذها وفتحها وهو يضحك ويقول " شخص قلد خط يدى ، إذا تتبععت هذا البيغاء اللعين تعرف ، ولكن نصرك الله ، عليك أن تهدده ، إذا كان سيلعب يوجد من هو ند له وهو النسر والخفاش " ، وانفجر في الضحك ، أى أنه ماهر في السخرية ، ورفع رأسه ونظر للأمير فرآه لم يضحك ، ونظر إلى موسى ، فرآه كذلك لم يضحك ، فالتفت إلى محمود . فرآهم جميعاً سواء حتى البيغاء ، كان يلعب في الفول السوداني كأنه لم يسمع شيئاً مما يقال فكشفت عيناه السر .

نظر الأمير إلى رئيس الشرطة وقال " استدع هؤلاء الناس " ذهب رجال الشرطة بسرعة إلى منزل الأمير واحضروا خدام الوزير ، وقد قيدت يد كل منهم خلف ظهره ، عندما رآهم الوزير خفق قلبه ، وغير جلسته ونظر شرقاً ونظر غرباً فأدرك أن الكل يحدق فيه .

ونظر الأمير إلى الوزير وقال " هل تعرف هؤلاء ؟ "

قال الوزير " نصرك الله ، تبت ، واتبعت الله واتبعتك . "

قال الأمير " ماذا فعلت حتى تتوب ؟ هل لأنى قلت لك هل تعرفهم ؟ "

قال الوزير " ارحمنى ، واعفو عنى ، ولا تؤاخذنى . "

أهل المدينة الذين اجتمعوا أخذوا ينظرون إلى الوزير ، ولا يعرفون مافى الأمر ، قام محمود ولطم الوزير وقال " الأمير يسألك ، هل تعرفهم ، فتضايقه بالرجاءات التى لا فائدة منها . "

نظر الوزير إلى بزكى وقال " أنت الخادم الأمين بالله قل لهم الحقيقة تماماً ، هم يعرفون أنه لا ذنب لى فى هذا الأمر "

قال بركي " لا ، لست مذنباً ؟ ، إذاً فمن المذنب ؟ خبيث عابث " ، وتقدم ورفع صوته واعتترف بكل الحيل الماكرة التي فعلها الوزير لصالح الأمير سيناري ولل قضاء على موسى ، ولم يخف شيئاً .

عندما سمع الناس ذلك ، قالوا لاحول ولا قوة الا بالله ، وهجموا على الوزير مرة واحدة كأنهم سيأكلونه حياً ، إلا أن الشرطة تدخلت بينهم .

قال الأمير لهم " انتظروا لم تنته بعد " وقص لهم ما فعله البيغاء حتى يخلصهم حتى لا يصيروا عبيداً للأمير سيناري ، وكيف منع موسى من مغادرة القصر لأنه يعرف مايكيده له الوزير ، فلما سمع الناس ذلك أخذ كل منهم يقلب كفيه ، وينظرون إلى البيغاء ، وينظرون إلى الوزير ، وأخذوا يجمعون التراب واستعدوا للإلقاء عليه ، لولا أن الأمير زجرهم .

عندما سكتوا نظر إليهم مرة أخرى وقال " وهو كذلك ، أيها الناس ، انظروا إلى ذنب هذا الوزير ، من يفعل ذلك ما جزاؤه ؟ "

قال الناس مرة واحدة " يصلب " ، لم يكن أحد في المدينة يحبه لسوء خلقه .

قال الأمير " سمعت قوله ، وأنتم أيها الناس ؟ "

قال الناس " هم أيضا يصلبون ، ما أصابه يصيبهم "

قال موسى " لا ، طالما أن الله كشف نيتهم ، وجمعنا مع محمود سالمين ، وانتصر الأمير في الحرب ، الأفضل أن نعفو عنهم "

قال الأمير " حقاً يا موسى ، فك وثاقهم فكوا الأغلال " ، فجاءوا وركعوا أمام الأمير وقدموا له الشكر . لأنهم كانوا متأكدين أنه سيقتلهم ، تعجب الناس من حكمة الأمير .

ثم قام الأمير واقفاً وقال للناس " رأينا أين ذهبت بهؤلاء الناس نياتهم ، ولكن لدى سؤال : لماذا يعين الوزير ؟ "

قال الناس " ليمد الأمير بالمساعدة والمشورة ، ويدفع ما يمكن أن يضر الناس وليس كهذا الظالم ، اللهم احفظنا من شره "

قال الأمير إذا كان من أجل ذلك فقد عينت هذا البيغاء وزيراً ، مناستشيره دائماً " ونظر إلى الناس وقال " أم أنكم ترونه انه لم يصل إلى درجة التشاور معه لأنه طائر ؟ "

قال الناس " من وصل مثله ، هل من عمل عمله يقال أنه لا يصلح ؟ هذا الطائر هبةٌ خصنا الله بها ، من يستطيع أن يجادل في إرادة الله . والله نحن موافقون ، والله موافقون . "

نظر الأمير للشرطة ، وقال " خذوا الوزير ، واربطوه في الحقيبة التي أعدها لموسى ، واذهبوا به وألقوه في النهر ، كما كان ينوى أن يفعل مع موسى ، وأنتم أيها الرؤساء والطبالون اذهبوا واحملوا الوزير البيغاء إلى مقر الوزارة ، وأخرجوا زوجاته " ، ونُقِلَ كُلُّ مافي بيته وحمل معه .

قام الأمير ودخل المنزل ، وضج كل رجال الحاشية ، بعضهم ذهب حيث سيقتل الوزير السابق ، والبعض الآخر تبع الوزير الجديد ، وهم يزمرون ويطلبون ، والبيغاء متربّع على كرسى من الذهب وقد أظلمت مظلة كبيرة .

وصل البيغاء إلى مقر الوزارة ، فطلب ثلاثة من الخيول التي وجدت في منزل الوزير السابق فقدمها للطبالين الذين رافقوه ، وأمر الخدم أن ينضموا إلى خدمه ، وأقيمت أفراح السلطة لمدة سبعة أيام ، وبعد عدة أيام بعث الأمير بزوجات البيغاء الأربع فانضمت إلى الوزير الجديد ، وكلما سمع الأمير عن بيغاء أنثى ، اشتراها وضمها إلى نساء وزيره لتكون ضمن جواريه .

وبعد عدة أسابيع وضعت إحدى زوجات البيغاء بيضة ، وبعد حوالي عشرين يوماً فقست وأخرجت بيغاء صغيراً ذكراً ، فأطلق عليه أسم فصيح ، وخصص خادماً لرعايته . وعاش الوزير البيغاء حياته ، يقاسى من السلطة ، فلا يشرب الماء ولكن يقدم له السكر والأرز ، ولا يأكله إلا بعد الطهي ووضع الملح والسمن به .

الكلام رأسمال

فى الجزء الأول تركنا الأمير عبد الرحمن بن الحاج ووزيره البيغاء يستمتعان بحياتهما ، وهما على هذه الحال انتشر خبر الوزير البيغاء فى كل البلاد ، حيثما تذهب تسمع الناس يلومون الأمير عبد الرحمن على بلاهته لتعيينه طائرا وزيرا له ، وإذا التقى أهل إحدى البلاد مع فرد من بلد الأمير عبد الرحمن يسخرون منه ويقولون " الإنسان فى بلدكم لا يستطيع أن يقول للبيغاء يا مجذوم ، إذا قال الإنسان ذلك تقطع رقبتة "

وإذا سمع أهل البلد الناس يلومون أميرهم على ذلك يقولون " نحن نعرف ما عليه وزيرنا أنتم تسمعون أخباره فقط ، أما نحن متحققون، دع الكلام عن الوزارة ، فلو ولى أميراً على البلاد فلا عيب فى ذلك ، أو لم يكن للأمير ولد وتوفى وليناه الإمارة . لا نستطيع أن نوليه الإمامة فقط، لأن البيغاء لا يصلى بالناس ، هل بالقوة وحدها يكون الأمير ؟ ، أنتم تعرفون أن بالقوة رجلاً واحداً لا يستطيع أن يحكم آلاف الناس ، المطلوب من الأمير الحكمة والفصاحة والعدل ؟ وزيرنا قد فاق الجميع فى هذا إذا احتجوا بهذا الكلام يتركون وشأنهم. "

بالقرب من بلد الأمير عبد الرحمن توجد بلدة كبيرة للأمير اسمه جمعان أمير سيركا ، الذى قص قصته الحاج أبو بكر إمام فى كتاب يسمى " الماء الشافى " هذا الأمير صديق مخلص جدا للأمير عبد الرحمن . وذات يوم وصله خبر أن صديقه عين بيغاء وزيرا له ، سأل عن السبب ، فقليل له لأن البيغاء يقص قصصا جميلا .

قال أمير سيركا " للقصص أم لأمر آخر؟ "

قال الرواة " من أجل القصص فقط استوزره ، حتى أنه وضع وزيره فى جوال وألقاه فى النهر ، لأنه لا يستطيع رواية القصص. "

عندما سمع أمير سيركا ذلك قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأخذ يقلب كفيه ، وعجز عن الكلام من شدة الغضب ، وأمسك القلم وأخذ ورقة وكتب يقول " من جمعان أمير سيركا إلى صديقه وحبيبه الأمير عبد الرحمن بن الحاج ، تحية كثيرة وحبا ورضا. "

أما بعد لقد سمعت أخبارا ضابقتني جدا وأشك أنها صادقة ، أو وشاية بعض الناس ، سمعت أنك عزلت وزيرك وعينت بيهاء ، إذا كنت قد عزلته اليوم فعلا ، فاقطع عنق هذا البيهاء حتى لا يشيع خبره في كل مكان ، والآن كيف نكون عاقلين وكل هذه الدنيا جنوبها وشمالها شرقها وغربها ، نخافها ثم نسمعهم يقولون رغبة في سماع القصص الجميل عين بيهاء ووزيرا ، ماذا يفعل البيهاء ، وماذا تفعل قصصه ؟ إذا كان من أجل القصص ، دعك منها في هذا البلد ، ألا يوجد في هذه الدنيا بيهاء أرعاه وأربيه يفوق هذا البيهاء في رواية القصص ؟ مهما كان يروي البيهاء من أخبار ، أقصى ما يعمل له هو أن يكلف أحد الخدم برعايته حتى لا تأكله القطة ، أما أن يعين وزيرا ، ويحك هل الأمر لعب وجنون ؟ إذا كان من أجل إمتاعنا نحن الأمراء هل يصل الأمر إلى هذا الحد ، هذا ليس متعه ، أطلق سراحه الآن .

وإذا كنت قد عيّنته وزيرا من أجل رواية القصص عند بزوغ هلال الشهر القادم سأتي لك بيهائي ، لتختبرهما معا ليخرج وزيرك بين الناس ، حيثنذ نرى ماذا ستعينه ، وأعرف أنك ستقبل وتولييه السلطة ، أي يصير الأمير والوزير من الطير ، و تجلس أنت ليقص لك القصص ثم تضحك ، أمرك هذا يثير دهشتي ، الإنسان يرى الكثير طالما على قيد الحياة .

والسلام "

عندما أحضر للأمير هذه الرسالة وقراها ابتسم وسلمها إلى وزيره البيهاء ، فلبس النظارة وقراها ، وانفجر ضاحكا ، وقال " الله أكبر ، رغم شيخوخة أمير سيركا لم يعرف حتى الآن أنهم يسمون كل المعادن حديداً ، ولكن يوجد في المعادن ذهب وفضه ؟ اكتب له ، نسأل الله أن يحيينا إلى هلال الشهر القادم ، ولكن أخبره أنني أقول له إذا كان سيأتي يأخذ مفاتيح خزائنه ، التي أعطاها لربة البيت أمانة ، ويغلق الخزانة ، ويأتي بالمفاتيح ، ويركب الحصان الأسود ويأتي به ، ولا يتركه لابنه ، مهما ألح عليه ، وإذا سمع مشورتى ، لا يأمن لهذا الخادم الطويل الغريب الذى بايعه فى الشهر الماضى ، يطرده حالا ، لا يأمن له حتى يعرف سره . " كتب الأمير الرسالة ، وأرسل إلى أمير سيركا بكل ما قاله البيهاء .

عندما قرئت الرسالة للأمير سيركا انفجر ضاحكا وطأطأ بشفتيه وقال " لا ، هل سمعت ؟ هذا الطائر الصغير يثير المشاكل ، هذه الأكاذيب التى يرويها للأمير عبد الرحمن

تنصره ، هل يظن أن كل الناس أغبياء مثله ؟ لقد سمع أخبار الخادم الطويل والحصان الأرقط ، أنه يشير المشاكل مدعيا العلم والتنجيم ، حتى لو مات ما شأنه ؟ أقول أقصى ما يحدث فى هذه الحياة أن يموت ، كل إنسان يعرف أنه سيموت ؟ "

ثم مزق الرسالة ورماها ، وظل يسب ويلعن معتقدا أن البيغاء يحتقره ، ونادى ببيغاء الذى يتباهى به ويطلق عليه اسم حاذق ، فلما جاء البيغاء قص له الأمير كل أخبار البيغاء الوزير ، وطلب منه أن يفكر فى قصص جميل ، إذا أفحمه ، سيزيد له الرعاية ، وسيلوى عنق ذلك البيغاء مثير المشاكل أمام الناس ليشهد الجميع .

ضحك حاذق وقال " بعض البيغوات مشاكلهم تفوقهم ، إذا وجدوا الفرصة ، ولكن صاحبك هذا خالف العادة ، ماذا سيقول الطائر أمام الناس ؟ ولكن دعهم نصرك الله ، لا بأس ، إذا كنت ابن حلال سترى أنك لم تنفق مالك عبثا ، وسيراق ماء وجه بيغاء الأمير عبد الرحمن إذا كان يستحي . "

قال أمير سيركا " خذ الحذر لأنه ، لا يلقب الآن إلا بالوزير " انفجر حاذق فى الضحك ومضى وهو يقول " اللهم أحيينا إلى هذا الحين " قال الناس آمين .

وعادوا إلى أمور المملكة ، وكلما جلسوا لم يكن لهم حديث إلا أخبار الوزير البيغاء . وفى يوم سبعة وعشرين استعد أمير سيركا وركب وتبعه كل كبار رجال الإمارة ، وحمل البيغاء حاذق على حصان وخرجوا بالطبل والزمر ، حتى وصلوا إلى بلدة الأمير عبد الرحمن ، فقابلوهم وأنزلوهم فى ضيافتهم .

وبعد أن استراحوا وأقبل الليل ، ذهب الأمير عبد الرحمن إلى صديقه أمير سيركا وقضوا نصف الليل يتحدثون عن الوزير البيغاء ، وما فعله حتى ولاء الوزارة ، قال أمير سيركا " سمعت ، وأقصى ما كنت تفعله أن تخصص له من يمد به الماء المسكر ، ولكن لا توله الوزارة ، هل يستورر البيغاء على الناس؟ ويحك هل كل هذا لأنك تسمع من لسانه كلاما جميلا ؟ ، بالنسبة لى كل ما قلته لى أرى أن أهم شئ جعلك تجعله وزيرا لأنه يقص عليك القصص ، لا لشيء آخر .

إذا كان لأنه أخبرك بمكان لقائك بسينارى هل هذا أمر عجيب بالنسبة لطائر ؟ يستطيع حتى فى الليل أن يطير ويقصد مكان معسكر جنود سينارى ويرى وجهتهم . ويأتى ويقول

لك فى الصبح بهذا تعينه وزيرا ؟ ، وإذا قيل أنه فصيح ، إذا كان من أجل هذه الفصاحة التى تتباهى بها ، أرى أنك ستعين حاذقاً إذا تغلب على وزيرك .

قال الأمير عبد الرحمن " سمعت كلامك ، ولكن ينبغي أن تخصص مبلغاً لهذه المباراة ، البيغاء الذى يتصر نقديمها إليه . "

قال أمير سيركا " خصصت مائة جنيه ، إذا تغلب ببغاؤك أقدمها له "

قال الأمير عبد الرحمن " وأنا كذلك خصصت مائة جنيه إذا تغلب ببغاؤك قدمتها إليه ، وأجعل وزيرى خادماً لحاذق "

قال أمير سيركا أنه موافق على هذا ، وقال " غدا ترى فصاحة حاذق "

قال الأمير عبد الرحمن " نسأل الله أن يحيينا " وودعا بعضهما وافترقا .

طلع النهار وعندما حان وقت الظهر اجتمع كثير من الأمراء عند باب القصر ، وجاء أمير سيركا برجاله ، والجنود يسرون أمامه يحيونه قائلين " تخطو خطى السلامة ، يامن بيدك قضاء حوائج الناس ، رجل عظيم ، وأعد له كرسيًا بالقرب من الأمير عبد الرحمن فاعتلاه .

وبعد قليل جاء الوزير البيغاء ، البعض يحمله والبعض الآخر يهوى له بالمروحة ، فلما نزل ذهب إلى حيث أمير سيركا وحياه ، فلما رآه انفجر ضاحكاً ، فلم يهتم به الوزير ، وطار وتوقف أمام أميره وحياه ، ثم جلس .

نظر حاذق ببغاء أمير سيركا إلى الوزير البيغاء يتعجب ، وبعد مدة نظر الأمير عبد الرحمن إلى وزيره وقال " لنبدأ بسم الله "

قال أمير سيركا " يجب أن نحضر لوحاً ونكتب فيه الدرجة التى ينالها كل منهما ، حتى لجمعها إذا انتهينا ، ثم نخرج النسبة المئوية ، وما زاد على ذلك نتجاوزه مهما كانت قصته جميلة ، ولا نذكر الدرجة إلا بعد أن يوضح كل منهما أوجه الجمال فى القصة "

قال الأمير عبد الرحمن " هذا حق ، وهو كذلك ، من الذى سيذكر درجة كل قصة؟ "

قال أمير سيركا قاضى مدينتى وقاضى هذه المدينة.

قال الأمير عبد الرحمن " وهو كذلك " أحضر اللوح والمحبرة ، وكتب فى صفحة اسم الوزير وفى الصفحة الأخرى اسم حازق ،

نظر الوزير إلى حازق وقال " ابدأ لأنك شاب " فبدأ حازق قصته بالتورية يقول :

أيها الصبي الزم مكانك لا يغرنك أبناء الدنيا

كان يعيش ثلاثة شبان في مدينة تسمى كونا ، أحدهما يسمى خليل دهاء ، والثاني عبده عناية والصغير ناهىء عقل ، لم يلقبوا بهذه الألقاب عبثا ، ولكن لأن حال كل واحد يناسب اسمه .

وذات يوم قال خليل دهاء " يجب أن نجول في الدنيا لنجرب هذه الهبة التي وهبنا الله إياها ، لنرى أينما أفضل لترك الآخرون له القيادة ، ولكن ماذا نستفيد الآن من بقائنا ، نختلف ونثير المشاكل ؟ "

قال الآخران " أنت على حق يا خليل ، قديما قالوا الرجال كالبنديق لا تعرفها إلا إذا كسرتها " واستعدوا وخرجوا إلى مدينة بيلا .

عندما وصلوا طلبوا مقابلة الأمير ، فأخذوهم إليه ، فأنحنوا وحيوه ، استجاب^(١) لهم الشرطة ، سألهم الحرس عن أسمائهم وصنائعهم ، ومن أين جاءوا وما هي وجهتهم . فذكروا أسمائهم واحدا واحدا ، وأخبروه أنهم جاءوا من كونا ، وسيتجولون في الدنيا ، لعل الله يهديهم إلى حيث يحسمون الخلافات التي بينهم .

ضحك الأمير عندما سمع أسمائهم ، ثم نظر إليهم ، وقال " ما هو الخلاف الذي فرق بينكم وجعلكم تتركون منزلكم ؟ "

قال خليل " لقد وهبني الله الدهاء ، واعتقد أنه لا شيء أفضل من الدهاء في هذه الحياة الدنيا ، وهذا عبده يعتقد أنه لا شيء أفضل للإنسان من قوة الملاحظة ، والشاب الأصغر ناهىء وهو يقول أن العقل لا يقارن بشيء ، لذلك خرجنا ، لنبحث عن يفض هذا الخلاف بيننا فترتاح "

قال الأمير " وهو كذلك ، لابد أن هذا الخلاف وصل إلى الحد الذي يخرجكم من المنزل لتهموا على وجوهكم خلاصا منه . "

(١) من عادة الأمراء في بلاد الهوسا إذ قدم عليهم ضيف وحيا الأمير لا يرد الأمير التحية ولكن يردها الحرس بدلا منه .

وكان هذا الأمير يربى حوالى مائه طائر من فصيلة أبى قردان ، ولعلك تعرف أن شكل هذا الطائر واحد ، ومع ذلك فى هذه الطيور طائر واحد يفضله الأمير ، ليس لشيء إلا لأنه يالف بنى آدم ، كلما حان وقت الظهر تتجمع هذه الطيور وتأتى إلى القصر فينفضل هذا الطائر عن إخوته ويقرب من الأمير ويقف ليداعبه ، ورغم أنه تعود على رؤيته ، إذا دخل وسط الطيور لا يستطيع تمييزه منها . لكثرتها واتفاق شكلها . بعد أن انتهى هؤلاء الشبان من سرد قصتهم للأمير ، جاء هذا الطائر ووقف على كرسى الأمير .

عندما نظر إليه الأمير قال " الحمد لله ، لقد حان وقت فض الخلاف بينكم لترتاحوا من الهيام على وجوهكم فى هذه الدنيا " وأمسك أبا قردان وقدمه لهم وقال " كل منكم يحاول الاستفادة من الهبة التى وهبها الله ، ويفكر فيما يفعله ليخرج هذا الطائر ، حتى لو دخل بين ألف ، من إخوته "

لاحظ عبده صفاته جيدا ، من القدم إلى الرأس ، ناهىء عقل لم ينظر إليه ، وعندما كان يلاحظ نوعها ، كان خليل دهاء يغافل عيونهم ويصب له عصير ثمار الكولا على جناحه ، وبعد أن انتظر الطائر قليلا أمرهم الأمير بتركه ، فطار .

قال الأمير " سأجعل خمسة جنيهاً ، وخمسة خيول ، وخمسة جمال ، وخمس بقرات وخمسة من العبيد ، لمن يستطيع إخراجه من بين إخوته ، بالإضافة إلى ذلك أبني له منزلاً ، وأعينه رئيساً للحاشية . "

قال الشبان " وهو كذلك ، سمعاً وشكراً ، نسأل الله أن يحينا إلى الغد . "

وعندما طلع النهار تجمعت الطيور على باب قصر الأمير حيث يقدم لها الطعام ، وخرج العبد المكلف برعايتها وقدم إليها الطعام ، فنادى الأمير الشبان وقال " ها هى الطيور قد خرجت ، من سيأتى أولاً ؟ " قال خليل دهاء أنه سيبدأ ، وقد مرت الليلة الماضية والسماء تمطر ، لذلك غسل ماء المطر القليل من ثمار الكولا التى ميز بها الطائر ، فحاول أن يخرجها فلم يستطع ، فعاد وقال أنه فشل وليذهب الثانى .

نظر الأمير إلى الآخرين ، وقال " من سيليهِ ؟ " فقال عبده قولى الملاحظة أنه سيتقدم ، فقام وذهب إلى الطيور ، فوجد أن الأشياء التى لاحظها فى جسمها ، موجودة عند الجميع . فلما أدرك أنه تحير وعجز عن إخراج الطائر ، قال " من التى تحب الأمير منكم ؟ "

فردوا جميعا " أنا - أنا " من الذى لا يحب صاحبه الذى يرهه جيدا ؟ "

فلما رأى أنه لا يجد ما يستند عليه ، عاد ، وقال أنه عجز ، فابتسم الأمير ونظر إلى ناهىء ، وقال " إذا عجز الأول والثانى كيف سينجح الأخير " فقام ناهىء وخرج إلى الطيور .

عندما وصل نظر إليهم ، وأمسك ذقنه تعجبا وقال " عجباً ، أمس قضيتم الليل تغنون ولكن التى ذهبت إلى الأمير أمس الظهر ، وأشار إليهم بفمه وقال " صوتها فاق الجميع "

فلما سمع هذا الطائر أنه يمتدحه قال " ويحك أيها الشاب لقد رأيتني وأنا كبير السن ، وعندما كنت صغيراً ، كان الجميع ينظر إلى وأنا أغنى "

قال ناهىء " حقا يبدو هذا " ومد يده وامسكه وأخذه إلى الأمير ، فعندما عرف الأمير الطائر تعجب من هذا الشاب الذى أخرجه ، وأحضر كل ما وعد به ، وقدمه إليه ، وعينه رئيساً للحاشية ، وأنضم الآخرين إلى حاشية الأمير ، وقدم لهم ناهىء رئيس الحاشية شيئاً مما حصل عليه فتزوجوا وعاشوا ، وأخذوا يرسلون الرسائل إلى والديهم من وقت لآخر .

وذاة يوم كانوا يجلسون بالليل مع الأمير ، فجاء أحد المداحين وأخذ يعظم الأمير ويمتدحه ، حتى بدأ يفتر بما يقوله ، فقال رئيس الحاشية " نصرك الله ، أتعرف أن يمثل هذا الإطراء خدعت أبا قردان فكشف لى عن نفسه " فخجل الأمير من كلام المداح والطبال .

ابتسم أهل مدينه سيركا عندما سمعوا ببغاءهم يقص هذه القصة وبعد أن انتهى لاحظ الوزير أن قصة حاذق مليئة بالتورية فبدأ يقول .

ما شأن الرزق بالشعر السيء من وهبه الله الصبر لا يلام

كان قديما يوجد رجل ثرى اسمه عيسى العامرى . لم يكن له مثيل فى الثراء ، ولكثرة ماله كان إذا ذكر اسمه تسمع الناس يمدحونه قائلين "صاحب المال الكثير فى المدينة " وكان أكبر أمر ينقص سعادته فى الحياة الدنيا ، أنه لم يرزق بالابن ولا الحفيد ، لذلك كان يقول أنه ليس له هدف من هذا المال المكتور الذى وهبه الله ، وكل ما كان يفعله هو الاستمتاع وأكل ثمار الكولا ، وتدخين التبغ ، رجل دنيوى محب للمتعة ، وكان إحسانه كمطر السماء ، وكان أهله دائما يحاولون منع الخير الذى يفعله ، ويقولون له " يا عيسى المال لا يحب من ينفقه فى الملذات " فيقول لهم " وهو أيضا لا يحب أن يجمع ويكثر "

فلما شعر أن أقاربه يضايقونه ، خرج ذات يوم للترهة ، تذكر أن هذا المال الذى وهبه الله ليس لاجتهاده ، فطلب أن يجمع له كل المساكين العميان والعجزة فى المدينة ووزع عليهم ماله صدقة لوجه الله ، ولم يبق لنفسه إلا شلنا . فدعى له الجميع بأن يرحمه الله كما رحمهم ، ويجازيه خيرا مما قدمه إليهم . وانصرفوا ، وذاع خبره فى كل أنحاء المدينة ، فشعر أهله بأنهم سيموتون من الغيظ ، لقد كانوا يتمنون أن يرثوا ماله بعد أن يموت ، طالما ليس له ابن ولا حفيد.

حدث كل هذا فى شهر ربيع الأول ، شهر المولد النبوى ، ولم يكتمل اليوم العاشر من هذا الشهر ، حتى صار عيسى لا يجد ما يأكل سوى ما يقدم إليه الجيران ، وأخذ أهله يسخرون منه ويقولون " لقد قلنا لك أن المال لا يحب الإسراف ، ها اليوم لم يمض سوى عشرة أيام فقط على تبذيرك للثروة حتى بدأت تتسول ، نسأل الله أن يزيدك. "

لم تغير أحداث الزمن قلب عيسى ، فكان عندما ينال قرشا يتصدق بنصفه والنصف الآخر يشتري به طعاما ، ويدعو أحد العجزة ليأكل معه ، وإن لم يجد أحدا ، يدعو الكلاب والقطط فتأكل معه .

وفى اليوم الثانى عشر من هذا الشهر أى ليلة المولد ، كان نائما فرأى رؤية ، سمع من يقول له " فى ظهر الغد سيأتيك رجل يرتدى ثياب الطوارق ويقف أمامك ، فعندما

تراه وقف ، تأخذ عصا غليظة ، وتضربه ضربا كثيرا ، فستراه قد تحول إلى مال كثير فتجمعه ، لقد بدأ الله يجازيك على خيرك ، وقبل مرور العام فى مثل هذا اليوم ، ستحمل زوجتك ، وتتجب ذكرا ، فأطلق عليه اسم سعيد .

وهنا هب من النوم فزعا ، وجلس ، وتلفت حوله لما سمع ، وقال " هذا الأمر رؤيا أم ماذا ١٩ ، الأفضل أن انتظر حتى ظهر الغد لأرى ، إذا رأيت أحد الطوارق جاء ووقف أمامي ، سأضربه بالعصا ، إذا تحول مالا ، حيث أعرف أنه لم يكن حلما ، ولكن رؤيا صادقة ، وإذا لم يتحول ، حيث يريد أن يأخذني فليأخذني ، يفعل بى ما يشاء "

ونظر خارج المنزل فرأى النهار قد طلع ، فقام وصلى ، ويحث عن يد فأس كبيرة وأخذها ، ولم يخبر أحدا برؤياه ، وقرب الظهر إذا بحلاق أسمه شعيب ابن الحلاق صاحب السلاح الحاد . يأتى إليه فى الممر ليقص له شعره ، لأنه حلاقة منذ كان ثريا .

جلس ابن الحلاق وبدأ عمله ، وأثناء عمله نظر فرأى على يمين عيسى يد الفأس فقال له " هذه الفأس ستصلحها ؟ "

قال عيسى العامرى " نعم ، أنت تعرف إذا كسدت التجارة أتحول إلى الزراعة " وبعد قليل كاد أن ينتهى من الحلاقة ، إذ بأحد الطوارق يدخل الممر ، ولم يقل شيئا ووقف عند رأس عيسى ، وعند رؤيته تذكر عيسى رؤيا الأمس ، فقال للحلاق " انتظر " توقف الحلاق ، وقام عيسى وأخذ يد الفأس وأخذ يضرب الرجل حتى سقط على الأرض ، ولم ينطق الرجل بحرف واحد ، فاستمر يضربه بالعصا .

وهم الحلاق بمنعه فقال له " لا شأن لك أنت لا تعرف ما بيتنا . "

وعند سقوطه رأوه قد تحول ، وصار مالا مكوما ، تعجب شعيب ابن الحلاق ، وقال فى نفسه ، " إذا ضرب الإنسان رجلا من الطوارق تحول مالا " أخذ عيسى العامرى عشرة شلنات وقدمها للحلاق ، وجمع الباقي وتوجه به إلى المنزل .

عندما وضعها فى مكان واحد ، جلس يحمد الله ، على هذه الهبة التى ردها الله إليه ، وما كاد شعيب ذو السلاح الحاد يخرج ، حتى قصد السوق واشترى عصا غليظة وأخفاها ، وقصد مكان تجمع الطوارق إذا جاءوا لبيع التمر ، فوجدهم قد ملأوا المكان يشربون الفرا . وعند وصوله دخل فى وسطهم ، ورفع عصاه وانهال عليهم ضربا ، فخرجوا جميعا يجرون ، فأمسك واحدا منهم وأخذ يطأه بقدميه ، ويضربه ، فلما سمعوا

رفيقهم يصرخ ، عادوا وهجموا على شعيب ، وأمسكوه وقادوه إلى رئيس السوق ، فسار بهم حتى وصلوا إلى الأمير وقالوا " ها الرجل المجنون جرح رفيقنا "

نظر الأمير إلى الجريح وقال " لماذا حدث هذا الأمر ؟ "

قال الطوارق " كنا نجلس فى الكوخ نشرب الفرا ، فجاء هذا الرجل ودخل علينا وانهاه علينا ضربا ، فلما رأينا أنه سيقتل أخانا ، فقلنا أيها الرجل صبرا ، فأمسكناه وجئنا به إلى هنا " وشهد الناس جميعا بذلك ، نظر الأمير إلى الطوارق ، وقال " لقد أصيب بالجنون ، يجب أن تصبروا ، سآمر بوضعه فى الأغلال "

عندما سمع الحلاق كلمة الأغلال ، نظر إلى الأمير وقال " لا ، كيف أوضع فى الأغلال وصحتى جيدة . ؟ "

ابتسم الأمير وقال " وهو كذلك ، أين هى الصحة الجيدة التى تجعلك تعمل هذا العمل ؟ "

قال الحلاق " يوجد سبب لذلك ، أطال الله حياتك ، فى ظهر هذا اليوم ، كنت أقص لعيسى العامرى شعره ، فدخل أحد رجال الطوارق الممر ، وعند رؤيته قام عيسى وانهاه عليه ضربا ، فرأيت أنه قد تحول فى الحال مالا ، وقد أعطانى من هذا المال عشرة شلنات هامى . "

عندما سمع رجال الحاشية ذلك انفجروا فى الضحك ، وقالوا " لابد أن هذا الحلاق جن ، ولكن لنستدعى عيسى العامرى لنسمع كلامه " ، وفى الحال استدعى عيسى العامرى فجاء .

سأله الأمير ، فقال " هذا كذب ، كيف يحدث هذا ؟ ، منذ دعوته ليخلق لى ، رأيت أن رأسه فى هذا اليوم لم يكن متزنا " فقد جذب عمامتى وقال " ترون أنه لم يتم قص شعره ، قام وجرى وتركنى . "

نظر شعيب بن الحلاق إلى عيسى العامرى وقال " ويحك يا عيسى ، قل الحق ، لأنك ضربته كثيرا ، تريد أن تنال هذا المال الكثير وحدك ؟ ، لا تريد أن يعرف أحد سرك ، إذن دعنى أضرب هذا الرجل ، وسترى ، ما إذا كان سيتحول مالا أم لا ، لقد كاد يوشك أن يتحول مالا ، ولكن حققنا نحن أبناء السوق أفسد على الأمر . "

عندما سمع الأمير ذلك قال " لابد أنه جن ، يجب أن ننقله إلى السجن . "

ولما هموا بالخروج به ، ركع عيسى العامري أمام الأمير وقال " بفضل بركتك ، أطال الله حياتك ، إذا وافقت ، أريد أن تتركه لى ، لأذهب به إلى المنزل ، لأعمل له بعض التعاويذ ، وقبل مضى ثلاثة أيام إن لم يشق ، وتعذر الأمر على سأتيك به لتساعدنا . "

قال الأمير " وهو كذلك ، اذهبوا ، ربنا يشفيه . "

أخذ عيسى العامري يده وهم بالخروج ، فنظر إلى الطوارق وقال " عجبا ، هذا المال بين أيديكم كثير ، وتركونه ينصرف . " فانفجر الجميع فى الضحك ، وتفرقوا .

أخذه عيسى العامري إلى المنزل ، وأخذ يهدىء من روعه ، ويقول " الله هذا حلم لا تتبعه لقد كاد يسجنك دون ذنب ، منذ أن جئت إلى فى هذا الممر وأنت تنفس ، وتأخذك سنة من النوم وأنت تقص شعري ، أن لم يكن حلما هل رأيت من قبل رجلا يضرب فيتحول مالا ؟ فكر فى هذا بعقلك . " وأخذ يضرب له الأمثال ، حتى اقتنع بأنه كان حلما كاد يجنه عندما أدرك عيسى العامري أنه اقتنع ، اصطحبه إلى المنزل وعاد به ، وكان كلما جاء ليقص شعره ، يذكره بهذا العمل الذى قام به ، فيضحكون .

وبعد حوالى شهر ، حملت زوجة عيسى العامري ، ولم يمر العام حتى ألحيت له مولودا ذكرا ، فلم ينس ما قيل له ، فأسماه سعيدا ، وأقيم له فرح كبير .

وحينما كان يذهب ابن الحلاق فى المدينة ، كانوا يسخرون منه ، ويقولون " ابن الحلاق صاحب الطوارق . "

عندما سمع أهل سيركا هذه القصة حذقوا فى الوزير البيغاء وهم يتعجبون ، ونظر أمير سيركا إلى الأمير عبد الرحمن وهز رأسه ، وهم حاذق فى أن يأخذ دوره فى القصص فقال أمير سيركا ، " يجب أن نذهب لصلاة العصر ، وأن يستأنفوا القصص فى الغد ، العمل الذى يؤدى للتسلية يكون عملا سهلا كأكل العمياء للبيض " ، وتشاور القضاة فى الدرجة التى تمنح لكل قصة ، فقالوا " قصة حاذق ثلاثون درجة وقصة الوزير خمسون " ، وتفرق الناس فقال أمير سيركا للقضاء " يجب مراعاة الحق . "

ثم قال القضاة لحاذق والوزير " نريد قصصا فقط دون تورية ، أنتم تعرفون أن مصلحة الأمير عبد الرحمن وأمير سيركا واحدة " .

قال الوزير " وهو كذلك ، لقد غر الشباب حاذقاً ، ولكن لا بأس . "

عندما وصلوا إلى المنزل نادى أمير سيركا حاذقاً وقال " القصة التى قصصتها جميلة ، عليك أن تجتهد اليوم أيضاً ، وفكر فيما هو أفضل منها ، إذا اعطوه خمسين هذا لايهم ، سنمكث حوالى اثنى عشر يوماً هنا نروى القصص ، طالما أن القصص جميلة سيترك لك المجال حتى تنتهى . "

قال حاذق " لأنني لم أعرف حقيقة أمره ، غدا سنلتقى . "

وبعد المغرب بعث الوزير إلى حاذق ليذهبا ليتناولوا الطعام معا ، وحملا معا وأحضر لهما ألواناً شتى من الطعام ، فأكلا وشبعا وكان بعض الأطعمة لم يسمع حاذق اسمها من قبل .

عندما انتهى من الطعام أمر الوزير أن يحضر لهما ثمار الكولا ، المقطع ، فملاً فمه وأعطى حاذقاً قطعة ، فقال حاذق ، " إنه لم يأكل ثمار الكولا من قبل ماذا يفعل لمضغه؟ " ابتسم الوزير وأمر أن ينقل حاذق إلى المنزل ، فذهب وهو يتعجب من هذه النعمة التى يتمتع بها الوزير .

وطلع الفجر ، وحان وقت الظهر ، فاجتمع الناس مرة أخرى وبدأ حاذق قصصه .

قصة كلالا وكلالة

كان يوجد رجل يسمى كلالا وله امرأة تسمى كلالة ، لقد خلق الله كلالا من النوع الذى لا يكره شيئا كما يكره أن يأكل طعاما وحده ، وقد تعود أن يدعو جاره على الطعام وكان هذا الجار كثير النميمة ، فكان دائما يقول أن كلالة لا تجيد عمل الحساء ، فحساؤها دائما كثير الملح مما يجعلها تضيف إليه الكثير من الماء .

فلما لاحظ كلالا أن نميمة جاره قد رادت عن الحد ، كف عن حمل الطعام إليه ، وتعود أن يخرج إلى الطريق ، ويبحث عن أى ضيف ويأتى به إلى المنزل ليأكل الطعام معا .

وكانت كلالة لا تحب هذه العادة فى زوجها ، لأنه على سبيل المثال ، عندما كان يذبح دجاجتين ، يكون أقصى نصيب كلالة فخذة منها ، لأن كلالا كان يحمل الدجاجتين معا ويقدمهما للضيف الذى يدعو ، وقد حاولت كثيرا منعه من هذه العادة ، دون جدوى . لذلك رأت على أن تأكل نصف الدجاجة إذا قدمها إليها لتطهوها ، وإذا قال لها كلالا شيئا تدعى أنها احترقت . أو تقول أنها نزلت ودخلت الحجرة لتحضر إناء وقبل أن تخرج وجدت القطة أكلت نصف الدجاجة ، وسبب هذا التصرف هو ما كانت تعانيه كلالة كل يوم ، ولكن لما جبل عليه زوجها من الصبر لم يقل لها شيئا .

وذات يوم وجد كلالا مالا ، فذهب إلى السوق ويبحث عن دجاجتين كبيرتين واشتراهما وتسوق وعاد إلى المنزل ، وطلب من كلالة أن تحمر الدجاجتين معا ، فقامت بعد أن أعدتهما لها ووضعتهما فى الإناء وبدأت تحمرهما ، وما أدراك ما الدجاجتان السميكتان ملاً الدهن الإناء ، وأخذ صوت التحمير يملأ الحجرة إذا قلبتهما ، واستولى عليها الشوق للدجاج ، لقد تسمرت عيناها واللحم ، كأنها ذئب رأى فريسة ، وأخذ لعابها يسيل ، فمدت إصبعها لتذوق ما إذا كان الملح مناسباً أم لا ، فشعرت ، أن طعم الأكل قد سيطر عليها ، فقالت " هاتان الدجاجتان نضجتا اليوم بسرعة ، ورغم أنهما دجاجتان فإن نصيبى لن يزيد عن فخذة واحدة منهما ، لقد حيرتني طبع هذا الرجل "

واستمرت فى تحمير الدجاجتين ، وقد انتشرت رائحتهما ، وحاولت أن تصبر ولكنها عجزت عن الصبر ، فأخذت قطعة وذقتها ، فاشتتها ، وقبل أن يتم تحميرهما كانت قد أكلت نصف دجاجة ، ونزلت وذهبت إلى زوجها وأخبرته أنها حرمتها .

قال كلالا " وهو كذلك ، خذى فخذه واحدة لك ، واحفظى الباقي ، حتى أخرج وأبحث عن صيف " .

قالت كلالة " وهو كذلك " ، وخرجت وأكلت الفخذه التى قال أنها نصيبها ، وجلست تحديق فى الباقي ، والسمن يقطر منها ، وخرجت تطل من باب المنزل لعل زوجها يأتي بصيف ، فلم تر أحدا ، فعادت إلى الدجاجتين تحديق فيهما ، ثم قالت " لقد احترق الجناحان منذ قليل فلاكل الجناحين الآخرين حتى تساوى الدجاجتان ، حتى لا يدركهما رب البيت " ، ثم أمسكت الجناحين وشدتهمما والتهمتهما وخرجت مرة أخرى إلى الممر لترى لعل زوجها قد وصل ، فلم تر أحدا ، فعادت ووقفت أمام الإناء الذى تضع فيه الدجاجتين ، وقالت " هل رب البيت سيأتي ؟ ، ها الدجاجتان قد بردتا ، إذا جاء يا كلالة الآن ورأى هذه الدجاجة وقد نزع جتاحيها وسألنى ماذا أقول له ؟ ، الأفضل أن أكلها كلها ، وإذا سألنى عنها أقول " أن قطعة البيت سرقتها " ثم جلست وأكلتها كلها ، وجمعت العظم ورمته فى الحلاء .

وعادت إلى باب الممر لتتظر زوجها فلم تره ، فعادت تقول فى نفسها " ترك الطعام ليبرد يجعله من نصيب الغير ، هيا آخذ فخذه واحدة ، ليرتاح الجميع وإذا عاد ليكن ما يكون " ثم أخذت دجاجة وأكلتها ، وذهبت إلى التزير وملأت الإناء وشريت وتجشأت ، وقالت :

" الحمد لله ، ليكن ما يكون " .

وبعد أن جلست إذ برز البيت يدخل ، فقال لها " بسرعة اطحني الفلفل وانثريه على الدجاج ، تعرفين اليوم برد ، ولا شئ أكثر فائدة من التوابل ، لقد نسيت أن أقول لك ، اطحني الفلفل الآن ، اصبرى ، اليوم أنت مشغولة " .

قالت كلالة " لا بأس ، انتظرني قليلا " . ودخلت الحجرة تفكر فيما ستقوله لزوجها عما حدث للدجاج ، وأثناء وجودها فى الحجرة ، أخذ كلالا السكين وقصد المسن وأخذ يسنها ، حتى تكون حادة فيقطع الدجاجة أجزاء صغيرة ، عندما تحضرها زوجته .

بينما كان كلالا يعاني من سن السكين سمعت كلالة شخصا يستأذن، فنظرت إليه وأبدت الدهشة وقالت " أنت الضيف ، أنت الذى استدعاك رب البيت ، جئتم لتأكلوا الطعام ؟ "

قال الضيف " نعم جزاكم الله خيرا "

قالت كلالة " اذهب بسرعة يا غبي ، أنت لا تعرف ما فى الأمر ، هل تظن أن رجلا عاقلا يخرج إلى الشارع يبحث عن ضيف ليأكل ؟ ، إذا كنت أنت خذ الطريق بسرعة وانج بنفسك . ألا تسمعه هناك يسن السكين، سيقطع إحدى أذنيك ، يفعل ذلك كل يوم ، إنه مجنون . "

فلما أنصت الضيف سمع كلالا يسن السكين ، فوضع ذيله بين أسنانه واندفع فى الجرى ، وأسرعت كلالة إلى زوجها وقالت " تدعو كل من هب ودب ، دون أن تعرف نوع الناس الذين تدعوهم إلى المنزل . "

قال كلالا " مجنون ؟ "

قالت كلالة " مجنون أو عاقل لص ، اللص والمجنون سواء ، ما كاد يرى الدجاج الذى نثرت عليه التوابل ، حتى رأيته يهب قائما ويخطفه ، ويجرى بهما ، ها هو هناك يجرى متجها إلى السوق . "

غضب كلالا وقال " لعن الله ابن الحرام ، أبناء هذا الزمان لا يستطيع الإنسان أن يجادلهم ، ألا يترك لى ولو واحدة لأجد ما أكله ، يأكل هاتين الدجاجتين الكبيرتين وحده ؟ دعينى انظر لعلى أراه نقسمهما معا " وأسرع إلى الممر يتطلع إليه ، وإذا بالضيف يجرى مسرعا وكأنه يسابق الريح . فقال كلالا " يا صديقى ، انتظر ، بالله عليك أعطني ولو واحدة ، والله زوجتى لم تذقها " ، وكان الضيف لم يسمع شيئا .

قالت كلالة للزوج " اتبعه ، بسرعة ، إنى متأكده أنه لن يستطيع الهرب منك ، كل هذا التعب الذى عانيته يذهب هباء ، لم أحس واحدة منهما ، أنت تعرف أنه أخذ حقنا . "

وأخذ كلالا يجرى وراء الضيف والسكين فى يده ويناديه قائلا " بالله انتظر أريد واحدة فقط ، وأترك لك الباقي "

وكان الضيف يظن أن كلالا يقصد أن يقطع أذنا واحدة فقط ويترك له الأخرى
فالتفت فرآة يجرى وراءه رافعا السكين فى يده ، لذلك أخذ يزيد من سرعته وأخذ يفر من
كلالا وكأنه لا يسمع ولا يرى .

فلما أدرك كلالا أنه لا فائدة ، استدار وعاد إلى منزله والسكين فى يده ، وهو يقول
"حسبى الله ، حسبى الله" ، فلما رآته الزوجة عائلا يسب ويلعن قابله وقالت " هل
أعطاك ، هذا ما كنت أحذرك منه دائما "

قال كلالا " لم الحقه ، هذا لللعون يجرى جريا ، من يره يدرك أنه رجل عجوز
ولكن إذا اندفع فى الجرى أشعر كأن قدميه لا يمسان الأرض . دعيه يأكلهما لن أسامحه لا
فى الدنيا ولا فى الآخرة ، حسبى الله " ، ومن يومها حتى اليوم ، لم يدع أى إنسان
ليأكل معه الطعام ، طالما أن الدنيا تغيرت ، لعن الله المساكين ، لم يعد فيهم الصديق .
اتفجر الناس الذين يسمعون القصة فى الضحك وعندما سكتوا بدأ الوزير قصته .

قصة يوشع الصخرة الذى لا يخاف

فيما مضى كان يوجد صبي خصه الله بقلب كالصخر لا يخاف شيئا، لذلك كان يفتخر بنفسه ويقول أنه لا يوجد فى كل هذه الدنيا ما يجعل قلبه يخاف أو يخفق ، وكان رفاقه من الصبية يدبرون له من الأمور ما يجعل قلبه يخفق ولكن دون جدوى . لذلك أطلقوا عليه لقب الصخرة ، فعندما يقابلونه يمدحونه بقولهم " يوشع بن نازعى الصخرة الذى لا يخاف "

ولما سمع جده ذلك ، قال لا بد أن يخيفه حتى يجعل قلبه يخفق ، ولم يعرف يوشع ذلك ، وذات يوم ذهب فى منتصف الليل ليسمر فى أحد الأحياء ، وانتصف الليل ولم يعد ، وعندما علم جده بذلك ، قام وأحضر بعض عيدان الحطب وربطها فى بعضها حتى صارت كخيال المآته ، وألبسه قميصاً أبيض ، وجعل له رأساً أبيض ، وقام وحمل خيال المآته ، ووضع على رأسه ، وذهب إلى الطريق الذى يسلكه الصبي واختبأ .

وبعد منتصف الليل انقطعت حركة الناس ، فسمع الصبي قادماً يغنى، فخرج من مخبئه ، وانقض عليه ، فلما أدرك يوشع أنه يقصده قال " أنت يا طويل ورفيع هل أنت من الجن ، لعل الله لم يخلقك سوياً ، ها أنت رفيع جداً ولكن رأسك مثل رأس الفأس ، أم أنك عفريت ؟ إذا كنت عفريتاً أريد أن أراك وأنت حى طول النخلة .

لم ينطق جده حرفاً واحداً ، وتوجه إليه وطأ رجله ، فوقف وقال " لا، شقاوة الجن والعفاريت وصلت إلى ؟ ، أنت يا طويل لماذا تطأ قدمي ؟ ، رغم أن طولى لا يمكننى من أن أصفحك ولكن أستطيع ضربك بالعصا . " ثم ضرب جده بقبضة يده .

ورفع يده مرة أخرى ليضربه ، فألقى الجعد بعيدان الحطب وقال " أنا جدك ناريمى لا تضربنى .

ابتسم الصبي وقال " جدى لماذا فعلت ذلك حتى جعلتنى أضربك ؟ "

قال ناريمى " سمعت الناس يقولون ، لا يستطيع أحد أن يجعل قلبك يخفق ، لذلك عملت هذه الحيلة حتى أخيفك ، ولكن هم على حق ، غدا أذهب إلى الأمير وأخبره بشجاعتك . "

قال الصبى " يا جدى ما الذى يخيفنى ؟ لا أعرف ما يسمونه الخوف ، هل يوجد الآن فى هذه الدنيا ما يجعل قلبى يخفق ؟ " ابتسم الجد وعادا إلى المنزل .

ولما طلع النهار ذهب الجد إلى الأمير وقال له " إن لى حفيدا لا يوجد شئ يجعل قلبه يخفق من الخوف ، إذا كان الأمير يريد أن يرى ذلك فليرسل من يدعوه لتجربته " ، قال رجال الحاشية " أطال الله حياتك هذا الصبى مشهور بعدم الخوف ، منذ أن خلق لا يوجد ما يجعله يخاف ولو مرة واحدة . "

قال الأمير " وهو كذلك " الحمد لله ، غدا آتونى به لأجربه ، هل تجرب المصارعة بدون وجود الأرض التى يصارع عليها . "

عندما طلع الفجر نادى الجد الصبى وقال ما حدث عند الأمير ، فقال الصبى " وهو كذلك فلنذهب إنى أشك فيما سيفعل . "

وبعد صلاة الظهر ذهب الصبى وجده إلى قصر الأمير فوجدا القصر قد امتلأ ، وكل يقول ما يحق له ، فركعوا وأديا التحية ، فقال الجنود " إنه يحييكم "

نظر إليهم الأمير وقال " حضرتتم ؟ "

قال الجد " نعم ، نصرك الله ، ها هو الصبى . "

نظر الأمير إلى الناس وقال " أرايتم الصبى الذى يقال أن قلبه لا يخفق مطلقا من الخوف ، أريد أن أختبره ، ولكن اشهدوا ، إذا أهلكه الجن ، أو جن ، فلا تلومونى ، سأجعله ينام فى حجرة أسفل شجرة التمر هندی التى يسكنها الجن ، فإذا قام سليما صباح الغد ولم نسمعه يصرخ أو يخاف ، سأزوجه ابنتي . "

فلما سمع جد الصبى ذلك دمعت عيناه ، ونظر إليه جميع رجال الحاشية ، وضحكوا ، فالكمل يعرف أن هذه الشجرة يسكنها ملك الجن وحاشيته ، إذا انتظر الإنسان حتى يأتى عليه المغرب أو تتوسط الشمس السماء وهو قريب من هذا المكان ، حكم على نفسه بالهلاك ، هذا الأمر ليس تشاؤما ولكنه حدث أكثر من مرة ، لذلك أطلقوا على هذا المكان " الموت القريب " .

عندما سمع جد الصبى ذلك قال " أطال الله حياتك ، إذا كنت ستختبره بهذا ، فإنه لا يستطيع ، فقوته لم تصل إلى هذا الحد . "

فهب يوشع قائما وقال " لماذا تقول ذلك ؟ ، لا يوجد فى كل هذه الدنيا ما يجعل

قلبي يخفق خوفاً ، ولا أصرخ ؟ ، ويحك أطل الله حياتك ، ألم تسمع أخباري ؟ ، أنا الصخرة ابن ناريمى الذى لا يخاف ، أسأل الله أن يحيينا إلى المغرب "

وحاول جده كثيراً أن يمنعه ، فذهب واقفاً وأصر على النوم فى هذا المكان ، فلما يئس من منعه قال " اذهب ، من كتب عليه أن يضرب لا يسمع النصيح " واستأذنا من الأمير وذهابا إلى المنزل ، وناريمى يفكر فى هذا الأمر ويقول " إن القم هو الذى يقطع العنق "

وعندما جاء المغرب أخذ الصبى حصيرة صغيرة ، وذهب أسفل شجرة التمر هندى ودخل الحجرة ، وفرشها ، وأشعل المصباح ، وركد ، وترك المصباح يضىء الحجرة ، فجاءوا وأخبروا الأمير ، فأمر أربعه من العلماء أن يبحثوا عن مكان قريب من الشجرة ويختفوا فيه ، ويقفوا حيث يستطيعون رؤية خيال الصبى داخل الحجرة ، حتى لا يخرج .

بينما هو راقد إذ بأحد الجن يشق حائط الحجرة ويخرج ، لايزيد طوله عن ذراع واحد ، ولكن رأسه أكبر من حجم الزير ، وجلس أسفل المصباح مع الصبى ، وأخذ يحدق فيه بعينه ، فقال له يوشع " ماذا أعطيتنى من الوديعة حتى تضايقنى بهذه النظرات هكذا ؟ أم لك طفل يشبهنى ضاع منك ؟ " لم يقل له هذا الجنى شيئاً ، وأخذ يلحق شفته بلسانه ، فقال الصبى " كل نفسك واشرب من الماء القدر " فلم يقل له الجنى شيئاً .

وهما يجلسان على هذه الحال إذ بفخذ رجل تسقط على الأرض وهى تقطر دماً ، نظر يوشع إلى الفخذ وقال " عجباً ، لابد أن صاحب هذه الفخذة كان ضخماً جداً قبل أن يموت ، ولكن مثل هذه الضخامة لا تنم عن قوة ، دعنى أرفع الفخذة ، لأعرف ما إذا كان قويا أم لا " .

رفع يوشع الفخذة فلاحظ أنها خفيفة ، فقال " لعنة الله ، ضخامة لا قيمة لها ، كل هذه الضخامة لا فائدة منها " ثم القى بها ، وعاد وجلس بالقرب من الجنى القصير ، وأثناء جلوسه وجد فخذة أخرى تسقط بجوار الفخذة الأولى وقبل أن يتحرك سقطت بعض الأيدي ، ولم يفعل الصبى سوى الضحك عليها ، وبعد قليل سقط القفص الصدرى وأخذ كل عضو يلتصق بئده حتى اكتمل جسم إنسان وقام وتوجه إليه ، ولكن دون رأس فقال الصبى " كبير على الفاضى ، ضخماً دون فائدة ، انتظر حتى يسقط رأسك إذا أردت أن نسمر معا " .

لم يقل الجنى شيئا ، ثم جاء إلى ذلك القصير الذى وصل فى بداية الأمر ، وداسه بقدمه وأمسك إحدى يديه وأخذ يكسرها إربا إربا ، وتركه يبكى ، وهم بالجري وإذا بخمسة من الجن يشقون الحائط ويخرجون ، فلما رأوا ما حدث ، أخذوا يشفقون على أخيهم الذى تكسرت عظامه ، وقالوا ' لا ، لا ، كرمى أنت الذى كسرت طنطد جزجى ؟ والله إذا جاء ملك الجن سيتقم منك ومن هذا الصبى الذى يحمل المصباح .

فقال الصبى ' إذا كنتم تعشون بالقول لا تجعلونى معكم ، لعلكم ترون هذا الفاسد ذا الأذن الكبير ، كيف تقولون أننى سأهلك ؟

أختصر لكم القصة ، أخذ هؤلاء الجن يعرضون له مما يخيف ألوانا حتى طلع النهار ، ولكن يوشع لم يخف ولم يخفق قلبه .

ولما طلع النهار أخذ حصيرته الصغيرة وتوجه إلى قصر الأمير وقال إنه عاد ، الذين كانوا يجادلون فى شجاعته قالوا إنه لم ينم ، ولكن العلماء الأربعة شهدوا أنه نام ، عجز الأمير عما يسره ، فقد وعده وعدا لا يستطيع التحلل منه ، والناس يتعجبون من شجاعة الصبى ، وجده سعد بنجاته .

قام الأمير ودخل القصر وهو غاضب ، واستدعى ابنته وأمها وقص عليهما هذا الأمر كله ، فلما رأت الفتاة غضب أبيها وأمها قالت ' لا تغضبوا بلا فائدة ، قلت ولا خفقه ' ، فقال ' لم ير ما يجعل قلبه يخفق ؟ '

قال الأب ' نعم ، إنه على حق ، لا يوجد فى كل هذه الدنيا . '

قالت الفتاة ' وهو كذلك ، هل انتهيتم ، أنتم الكبار ؟ وبقي أن نفعل نحن الصغار ما نرى '

ضحك الأب وقال ' آيه محاولة لديكم أنتم الصغار إلا اللهو ؟ '

قالت الفتاة ' أريد إذا وافقت ، أن تذهب الآن وتعلن وسط الجمع أنك وافقت ، ولكن بشرط واحد ، وهو إذا حدث أمر يجعل قلبه يخفق من اليوم وحتى مثل هذا اليوم فى الأسبوع القادم ، تفسخ الخطوبة '

ضحكت الأم وقالت ' أسمعت هراء هذه الفتاة ، من نام فى حجرة الأصنام ولم يخف ، ماذا سيخيفه فى منزله ؟ '

قال الأب " دعيني أذهب وأقول له ، حتى لا ندع حيلة تفوتنا . " ثم خرج إلى الممر وأخبر الناس بذلك ، وشهد الجميع ، ضحك يوشع واستأذن من الأمير وذهب إلى منزله ، فأخذت والدته تزغرد من شدة السرور ، وكانت الفتاة تعرف أنه طالما نام في حجرة الأصنام أمس ، فلا بد أن الجن لم تدعه ينام ، وطالما أن الأمر كذلك فإنه سينام نوما عميقا هذه الليلة ، والليلة سيكون الجو غاية في البرودة ، لذلك قامت الفتاة في الصباح وطلبت من والديها أن يُبعث من يوقظ الوزير والقاضي وكبار رجال المدينة والأربعة العلماء الذين بعثهم الأمير لمراقبه الصبي ليلة أمس الأول ، وعندما اجتمعوا طلبت الفتاة ماء بارداً جدا من زير جديد ، وأعطته لأمير الحرس ليحمله ، وذهب الجميع إلى المنزل .

عندما وصلوا إلى باب القصر ، طلبت منهم ألا يتكلموا ولا يتحركوا، وطلبت أن يتسلل أحدهم ويوقظ جد الصبي ، وأخذ الكل يحدق في الفتاة ليعرف ماذا ستفعل ، ثم طلبت من جد الصبي أن يدخل أمامها ويربها حجرة حفيده ، ولكن إذا دخل لا يوقظه ، أو يقوم بحركة شديدة هو أو غيره .

وصلوا فوجدوا الحجرة مغلقة بستارة صغيرة ، فمدت يدها بهدوء وجذبتها والصبي نائم ، وليس عليه إلا السترة ، وقد غلبه النوم حتى لم يشعر بالبطانية عندما جذبت من فوقه ، وأخذت الماء البارد وتسالت إلى الحجرة وسكته على جسمه فما كاد هذا الماء ينصب عليه حتى انتفض وارتعد وقام ، وقال " من ؟ من ؟ فصفق كل الناس مرة واحدة وانفجروا في الضحك وقالوا " لقد انتفض لقد انتفض "

عندما فتح يوشع عينيه ، وأدرك الحيلة الماكرة شعر بالخجل ، ومن شدة الشعور بالخجل لم يدع الفجر يطلع عليه ، إلا وقد ترك المدينة ، وأخذ الناس يتعجبون من ذكاء هذه الفتاة .

عندما عاد الأمير إلى قصره وقال لأم الفتاة ما حدث عانقها الجميع من شدة السرور، ولما طلع النهار طلب الأمير الصبي ، فقالوا إنه ترك المدينة ، فجعل الناس يتبعونه ، وقبل الظهر عادوا به ، فعينه الأمير أميرا للحرب ، وأعطاه منزلاً كبيراً ، وزوجه الأمير امرأتين من أبناء عبيده ، وقد كان يكره أن يزوجه ابنته ، لأنه من أفراد الشعب وأمر الأمير بهدية كبيرة لجد هذا الصبي لشجاعة حفيده ، وأخذوا يستمتعون بحياتهم في هدوء ، وكان كلما ذهب أمير الحرب إلى الحاشية يقول له الأمير " يوشع أمير الحرب ابن ناريمى الصخرة

الذى لا يخاف " فيرد قائلا " إنى لا أخاف إلا من الماء ، نصرك الله " فيضحك الجميع .

قال الناس " ليس أميرا فقط " ، كل من يسمع هذه القصة ، لابد أن يضحك ، قال القاضى " حاذق عشرون والوزير سبعون "

تجههم وجه أمير سيركا وقال " قاضيان فى النار وقاض فى الجنة "

وعادوا إلى المنزل ، فأمر الوزير من يذهب ويستدعى حاذقا ، ليتناولوا الغداء معا مرة أخرى ، وعندما انتهيا ، أمر أن يحملوه ويعودوا به إلى منزله .

وعندما طلع النهار وأدوا صلاة الظهر ، اجتمع الناس مرة أخرى ، وجاء الناس من القرى البعيدة ، ليسمعوا أخبار هذا الجمع الكبير ، وأمر الناس بالسكوت ، وبدأ حاذق يقص قصته .

الكذاب يعرق حتى ولو كان فى الماء

ذات يوم خرج سبعة من الفلاتا من أكوأخهم ليلعبوا لعبة الشارو ، وأثناء سيرهم وصلوا إلى إحدى المدن ، ورأوا أنهم إذا استمروا فى السير سيأتى عليهم الليل قبل أن يصلوا إلى المدينة التالية ، لذلك نزلوا فى عمر كبير بمنزل رئيس القضاة ، وكان مع أحدهم بعض المال دون أن يعرف أحد من رفاقه بذلك ، وبينما كانوا يسمرون فى منتصف الليل أخذ ماله وعده فوجده خمسة عشر ، فأعاده وربط عليه السترة ، وقال " إذا عدنا سأتزوج " قال إخوته "إننا لم نأت بمال ، ونطمع أن تنال من فضله "

وكان أحدهم لا يملك شيئاً وقلبه مملوء بالحقد ، فقام بالليل وسرق هذا المال ، وحفر حفرة ودفنه فيها ، وعاد ونام فى مكانه .

وعندما طلع النهار هموا بالرحيل ، فحل صاحب المال سترته ليأخذ المال ويعده ، فوجده قد سرق ، فأخذ يلعن ويسب ، وقال أن إخوته سرقوه حقداً عليه .

عندما سمع رئيس القضاة هذا السباب فى الممر ، خرج وسألهم ، فقص صاحب المال الأمر كله ، فلما سمع رئيس القضاة ذلك ، حاول أن يعرف السارق ، ولكنه عجز .

فقال لصاحب المال " هل توافقون أن أذهب بكم إلى القاضى ؟ "

قال صاحب المال " يجب أن نذهب إلى القاضى هذا ثمن بقرة واحدة ، لا يمكن ذلك " ، فأخذهم رئيس القضاة إلى مجلس القاضى ، سأل القاضى صاحب المال فقص عليه ما حدث ، فلما سمع القاضى ذلك قال لباقي الفلاتا " إذا كان ما حدث ليس بقصد السرقة ، بالله عليكم ردوا إليه ماله ، واذهبوا لشأنكم ، وإذا كنتم أخذتم المال بقصد المزاح ، لا ينبغي أن أذهب بكم إلى المحكمة "

فقالوا جميعاً فى وقت واحد " أطال الله حياتك ، لم نأخذ منه مالا "

قال القاضى " ويحكم ، أنتم تحبون المزاح كثيراً ، أقول لكم إذا كنتم تختبرونه لتعرفوا ما إذا كان يخاف أم لا ، فقد خاف ، فردوا إليه حاجته واذهبوا لشأنكم "

قال " الفلاتا حد الله بيننا وبينه لم نأخذ ماله " ، عندما قام القاضى بهذه الأفكار القضائية ولم تفلح أحضر ستة عصي طويلة ، وقاس طولها والجميع ينظرون إليه وقطعها قطعاً متساوية ، ووزعها عليهم وقال لرئيس الشرطة " اذهب بهم إلى مكان الحجز حتى غد " ، وقال " لقد قلت لكم " إذا كنتم تمزحون ، قولوا الحقيقة وانصرفوا ولكنكم رفضتم ، وهو كذلك ، فأنا قاض لا أكذب ، وورثت القضاء جدا عن جد غدا إذا جئتم عصا اللص ستكون أطول من باقى العصيان شبرا ، أيها الناس ألا ترون أن أطوالها متساوية ؟ " .

قال الناس " نعم ، غفر الله لك يا سيدى "

ونظر إلى الفلاتى وقال " أنتم أستم ترون ذلك ؟ "

قال الفلاتيون " نعم ، أطال الله حياتك " قال القاضى " وهو كذلك ، يا رئيس الشرطة اذهب بهم ، وأنت يا كبير القضاة اذهب بصاحب المال إلى منزلك حتى الغد " فذهبوا ، وعندما انتصف الليل ، نام الجميع ، إلا أن اللص تحير ولم يعرف ماذا يفعل ، وتأكد أن القاضى سيسجنه صباح الغد ، إذا وجد عصاه قد رادت ، نصف شبر ، لذلك قاس نصف شبر وأخذ سكيناً من خصره وقطعها ، وقال " غدا إذا رادت عصاه ستكون مساوية لعصى الآخرين " .

عندما طلع النهار جاء القاضى إلى المحكمة ، وطلب من رئيس القضاة أن يأتى بضيوفه وجاء رئيس الشرطة بالآخرين ومع كل منهم عصاه فى يده ، وعندما اجتمعوا قال القاضى " أيها الناس ، كل منكم يقترب لئرى " . عندما اقتربوا نظر الفلاتا لبروا قدرة القاضى ، فأخذ العصي وقاسها ، فإذا بعصا اللص أقصر من عصيهم نصف شبر ، انفجر القاضى فى الضحك وطلب من الشرطة أن تستجوبه ، حتى يدلهم على مكان المال ، فلما شعر اللص أنه لا فرصة للإنكار قال " ليرسل القاضى معى أحدا لأحضره " .

قال القاضى للشرطة ، اتركوه ، وأمر رئيس الشرطة أن يذهب معه ، حيث يخفى المال ، فكشف عنها وأخرجها ، فأخذ صاحب المال ماله ، وأمر القاضى بجلد اللص ست جلادات ، وسجنه ثلاثة أشهر وصرف الباقيين فعادوا إلى أكوأخهم يقصون القصة فلما أطلق سراحه أخذ إخوته يسخرون منه ، وينادونه قائلين " الطويل صاحب العصا القصيرة "

عندما وصل حاذق إلى نهاية هذه القصة ، قال الوزير " هل قرأت الكتاب العربى
الذى يقال له بحر الأدب ؟

قال حاذق " ماذا تعنى ؟ "

قال الوزير " أعرف أن قصتك فى هذا الكتاب "

قال حاذق " لا ، أنا ابتدعتها "

قال الوزير " لا تثر خلافا لست على حق فيه ، كل ما غيرته فيها أمرين فقط الأول
قلت أنه فلاتى ، والثانى أنك أطلقت على الشخص الذى نزلوا عليه اسم أمير القضاة ،
ما عدا هذا لم تغير شيئا ، وحاولت أن تحكيها جيدا عندما شعر حاذق أنه غير صادق
سكت ، حتى لا يطلب الكتاب ويفتحه ويخجله أمام الناس ، عندما سكت الناس ، قال
الوزير لحاذق " دعنى أقول لك عكس القصة التى رويتها . "

ليس من الصدق أن تهمل حكم الشرع لتنال السعادة

ذات يوم وضع أحد الخشابين الخشب على ظهر حماره وقصد السوق لبيعه ، وأثناء الطريق ناداه رجل وطلب منه أن يحمل الخشب إلى منزله ، فلما وصل تساوما ووافق الخشاب ، فأنزل الخشب وأدخله إلى الحظيرة .

فلما دخل القروى الممر الثانى شعر برائحة السمن تفتحم أنفه ، فنظر فوجد ربة البيت قد أحضرت لزوجها طعاما مملوءاً بالسمن ليأكل ، وكان الحساء كثير السمن والدجاجة فوق الثريد.

وقف القروى بالخشب وأخذ ينظر إلى رب البيت ويتعجب ، فلما رأى ذلك قال " اذهب وضع الخشب وتعال لتأكل معا ، حتى لا أغص بالأكل دون فائدة "

وضع القروى الخشب وجاء وجلس وبدأ يأكلان ، وكان قبل أن يأكل رب البيت لقمة يكون الخشاب قد أكل ثلاثة ، وعندما شبع وغسل يديه ، نظر إلى رب البيت وقال " يا أخى بالله عليك ، ما هى الصناعة التى تقوم بها حتى تنال هذا الرزق ؟ ، لقد قضيت ثلاثين عاما حتى اليوم فى قطع الأخشاب ، ومع ذلك لم أكل مثل هذا الطعام اللذيذ ولو مرة واحدة فى حياتى "

قال رب البيت " أنا ؟ ، أعمل بالسحر "

قال القروى " أنا أريد أن أتعلم السحر ، هل أستطيع ؟ "

قال رب البيت " تستطيع ، هذا أمر سهل . "

قال القروى " بالله عليك قل لى كيف أفعل "

قال رب البيت " عليك أن تبيع حميرك هذه كلها ، وأن تشتري قميصا أسود وأبيض ، وتلبسه ، وتشتري عمامة سوداء وسروالا واسعا وتلبسهما ، ثم تشتري الكتاب العربى الذى يسمى ألف ليلة وليلة ، وتأتى بلوح خشبى وتكتب عليه " أنا أمير السحر المعلم العامرى من يرى الأمعاء " ، وتثبته على باب منزلك .

عندما سمع القروى ذلك ، ظن الأمر حقيقة ، فلما عاد إلى المنزل فعل كل ما قاله رب البيت ، فلما رأى أهل قريته ذلك أخذتهم الدهشة ، وأخذوا يضحكون عليه . ويسخرون منه ، لهذا الغباء ، ولكنه لم يهتم بكل هذا ، وكان مغرب كل يوم يأخذ كتاب ألف ليلة وليلة ويفتحه ويتمتم بشفتيه وكأنه يقرأ شيئاً ، واستمر كذلك حتى وصل إلى صفحة أحبها فكان يفتحها دائماً لأن فيها صوراً جميلة .

وهو على هذه الحال ، وضع أحد جيرانه الخشب على حميره وذهب إلى المدينة لبيعها ، فلما وصل سمع الناس يسألون عن شئ ضائع ، فقد سرق من أحد الأثرياء ثلاثمائة جنيه ، فلما سمع الرجل ذلك ، ذهب إلى الرجل الثرى وقال له ساخراً " يوجد ساحر فى قريتنا، يمدحونه يسمى المعلم العامرى - من يرى حتى الأمعاء - إذا ذهبت إليه، أنا متأكد أنه يستطيع أن يدلك على هؤلاء اللصوص . " ، ثم ذهب الخشاب لشأنه وهو يضحك .

عندما سمع الثرى ذلك ركب سيارته ، وذهب إلى قرية المعلم العامرى ، ولما وصل إلى باب المنزل وجد مكتوباً عليه " أنا أمير السحر ، المعلم العامرى ، من يرى حتى الأمعاء " أخذ الثرى يتعجب واستأذن ، فأذن له المعلم العامرى ، فخرج له وهو يمسك كتاب ألف ليلة وليلة مفتوحاً فى يده ، فذكر الثرى سبب حضوره وقص عليه كل شئ .

قال العامرى " هيا نذهب إلى منزلك لثرى " ونادى أخاه الأصغر ، وركبا سيارة الثرى وهما يحدقان فيها ، لأنهما لم يركبا سيارة من قبل ، وبعد قليل وصلوا إلى المدينة ، وأدخلهما إلى قرب عمر قريب من الحائط المواجه لباب المنزل ، وتركهما ، بينما كان القروى يفكر فيما سيقوله من أكاذيب إذا سأله الثرى ، وإذا بالثرى يأمر أحد الخدم بإحضار الطعام ، فلما دخل ووضعه وخرج ، قال القروى لأخيه " هذا هو الأول " يقصد أن هذا أول طعام يقدم .

لقد كان الخادم يسترق السمع لدى الباب ، و كان من بين اللصوص الذين سرقوا الثلاثمائة جنيه ، فظن أن العامرى عرفه ، فقال هذا هو السارق الأول ، لذلك ذهب إلى رفاقه الذين اتفقوا معه على السرقة ، وقال رأيت أن سرنا سينكشف ، لقد عرفنى هذا المعلم ، عندما دخلت بالطعام .

قال رفاقه " ما العمل ؟ "

وبينما هم يتشاورون نادى الثرى أحدهم فدخل ، ليحضر الماء المحفوظ فى الإناء ، ويقدمه للمعلم العامرى فى الممر ، فوضعه وعاد ، فقال العامرى لأخيه الأصغر " هل رأيت الثانى " ، يقصد أن هذا الماء هو الشيء الثانى الذى يقدم إليهما ، وكان هذا الخادم يسترق السمع ، فذهب وقال لإخوته " أن سرهم جميعا قد انكشف "

وهم على هذا أخذوا يفكرون فى الهرب ، فنادى التاجر مرة أخرى ، فذهب الخادم الثالث وأعطى ماء لغسل الأيدى فذهب به إلى المعلم العامرى ، فعندما دخل ووضعه وخرج قال العامرى لأخيه الأصغر " هل رأيت الثالث ؟ هذه الرحلة جلبت لنا الحظ السعيد " يقصد أنهم سعداء لأنهم وجدوا الطعام ، بينما ظن الخدم أنهم سعدوا لأنهم عرفوهم فعاد إلى رفاقه وأخبرهم "

عندما سمعوا ذلك قالوا " إذا هربنا لن ننجو ، والأفضل أن نذهب إلى العامرى ونتوسل إليه بالله ورسوله ، ألا يكشف سرنا ، وندله على المكان الذى أخفينا فيه المال ، ونسأله أن يكشف عنه ولكن دون أن يكشف سرنا ، وما يطلبه نقدمه له " ثم ذهبوا ونادوا العامرى وانتحوا به جانبا ، وبيثوا له كل ما هم فيه ، ودلوه على المكان الذى أخفوا فيه المال ، وقالوا إذا وعدهم ألا يكشف سرهم سيعطونه عشرين جنيها .

وافق المعلم العامرى فأعطوه المال فحفظها وعاد إلى الممر وجلس ، وعندما جاء الثرى أخذ المعلم العامرى الكتاب وفتحه ، وبعد قليل قال " اذهبوا إلى مكان كذا وابحثوا ، ستروهم ، لم ينقصوا شيئا " ، فعندما ذهبوا وجدوها كما هى ، فسر الثرى غاية السرور ، وأحضر عشرين جنيها وقدمها للعامرى ، وأركبه السيارة وأوصله إلى منزله ، وطلب منه أن يزوره دائما .

عندما رأى العامرى أنه أصبح لديه الآن أربعون جنيها نقدا ، قام وقصد منزل هذا الرجل الذى علمه كيف يكون السحر ، وتبادلا التحية ، وقال " ألا تعرف يا أخى ، السحر ليس صعبا لقد كسبت أول أمس أربعين جنيها ، ها قد أحضرت لك خمسين شلنا لتشتري بها خشبا ، وأشكرك "

قال الناس " لقد سعد هذا الرجل حقيقة ، لقد فاز بأربعين جنيها كاملة " قال القاضى " حاذق عشرة ، والوزير . . . وهنا هب أمير سيركا وقطع كلام القاضى وقال " لا نريد أن تعطوا درجات ، ولا تكتبوا ، ألا نستطيع أن نتذكر ؟ " ثم قام وأخذ اللوح ومسح الكتابة التى به ورماه .

فلما رأى الأمير عبد الرحمن ذلك ، قال ماذا نريد غير الضحك ، وتفرقوا ،

وعندما وصلوا إلى القصر قال أمير سيركا لحاذق " الآن يجب أن تهتم وإذا جلست تقص أفضل ما عندك ، لا أرضى أن تتخلف أو يقال أنك لم تتفوق ، ولكن على الأقل تكونان متساويين "

قال حاذق " إذا كان الأمر كذلك لا بأس نسأل الله أن يحيينا إلى الغد " . عندما طلع النهار ، بدأ حاذق قصصه ، فقال نصرك الله ، منذ بدأت رواية القصص حتى اليوم لم أرو قصص اللصوص ، وأكون بذلك قد نسيت أمراً مهماً " .

قال الوزير " لا ، انتظر ، نحن لا نحب قصص اللصوص " تجهم وجه حاذق ، وهز جناحيه وقال " لماذا تقول أنكم لا تحبون قصص اللصوص ؟ " هل فى قصص الحياة الدنيا وقصص اللصوص و النشالين ما يفوقها متعة وغرابة ؟

قال الوزير " سبب عدم حبها ، عندما كنا صغارا ، كان أبائنا يمنعون الطيور أن تقص علينا قصص اللصوص حتى لا نتعلم حيل السرقة ، وإذا كنت أروى قصصا فلا تظن أنني أروىها عبثا ولا أعرف ماذا أروى ، فقبل أن أروى القصة أبحثها جيدا حتى لا يلومنى أحد عليها ، ومع ذلك يقال أن أبناء الدنيا لا يعجبهم شئ ، فمنذ أن خلقت أقص للناس القصص حتى اليوم ، لم أقص أبدا قصص النساء حتى لا أسمع كلاما سيئا ، فيما عدا قصة النبی سليمان التى قصصتها مرة واحدة ، حتى اليوم لم أقص قصة نبى واحد ، رغم أن كل قصصهم أحفظها فى رأسى ، حتى لا يظن من يسمعها - ولا يفرق - أنني تعودت على هذا ، وهو ما منعنى من رواية قصصهم ، رغم أنها تفوق كل شئ جمالا ، إذا كنت تجيد رواية قصص اللصوص فعليك بزمان الجاهلية ، الذين لو ذكرت حيلهم فى السرقة لأبناء هذا الزمان المثقفين يتعجبون كيف كانوا ينخدعون فى حيل هذه القصص " .

قال أمير سيركا " هذا كلام صادق " ، والوزير ينظر إلى حاذق وهو صامت فيضحك عليه .

عندما سمع حاذق ذلك قال " رغم أنني لست من النوع الذى يحب أن يفسد أخلاق الناس "

قال الوزير " وهو كذلك ، قص لنا قصة واحدة من قصص اللصوص فى زمن الجاهلية لنسمعها ، إذا كانت جميلة تزيدنا منها مستقبلا ، وإذا كانت ليست جميلة نكتفى بها . "

هز حاذق رأسه وقال " وهو كذلك . "

قصة كبير المزارعين وأولاده

كان يوجد فى عصر الجاهلية مزارع اسمه طنانى ، وكان له ثلاثة أولاد ذكور ، الأكبر كان يسمى جمرى والأوسط يسمى قوسى والأصغر نومو ، عندما بلغوا سن الرجولة جمعهم وقال ' ترون الآن أننى كبرت ، لذلك رضىت لكل منكم أن يخرج للحياة الدنيا ، ويتخذ الحرفة التى تناسبه ، واليوم هو الأول فى شهر العيد الكبير ، أذن لكم ، وفى العام القادم فى مثل هذا اليوم نلتقى إن شاء الله إن كنا أحياء ، أريد أن تجتمعوا جميعا هنا لنر الحرفة التى اتخذها كل منكم ، لقد غفرت لكم فى الدنيا والآخرة ، أسأل الله أن يجمعنا على الخير . '

ذهب الأولاد وطلبوا المغفرة من أمهم ، وخرجوا ، لا يعرفون وجهتهم ، خرجوا من بوابة المدينة ، حتى وصلوا إلى ملتقى أربعة طرق عند بوابة المدينة ، أحد هذه الطرق توصل إلى الشرق ، والأخرى تقصد الشمال ، والأخرى تتجه نحو الجنوب والرابعة جهة الغرب وهى التى يتبعها من يريد أن يدخل المدينة .

عندما وصلوا المكان قال جمرى لأخيه الصغير لنقف هنا ليتخذ كل طريقه ، إذا دارت الأيام وكنا أحياء للعام القادم ، حيثما كنا نحاول أن نلتقى هنا ، مهما كان الأمر نكون هنا فى ضحى مثل هذا اليوم فى العام المقبل ، ونعود إلى والدنا معا كما خرجنا معا .

قال الباكون ' نسأل الله أن يهبنا الحياة والعافية ' ، وودعوا بعضهم وافترقوا والدمع فى عيونهم .

اتخذ نومو الطريق المتجه إلى الشمال ، ومرت الأيام وهو يفكر أثناء السير ، دون أن يعرف الحرفة التى يحترفها ، ففكر فى الزراعة ، فرأى إذا كان على الزراعة فلماذا خرج من منزله ؟ ، فاستبعد هذه الحرفة ، فكر فى نسج الملابس ، رأى أنه لا يستطيع أن يصبر على الجلوس وربط الوسط طويلا ، فكر فى التطيل ، فرأى أنه لا يستطيع الصراخ ورفع الصوت ، قال التجارة ، قال أنه لا يستطيع النوم خارج المنزل ، كل حرفة تخطر على فكره ، إذا رآها غير صالحة له يستبعدا ، حتى تعب ، فقال ' أى صناعة تقابلنى أول مرة سأحترفها . '

أثناء السير وصل إلى منتصف الغابة ، فهبت العاصفة وسقط المطر فى كل مكان ولم يجد مكانا يختبئ فيه ، أثناء البحث وجد كهفا صغيرا ، ووجد طريقا ضيقا فاتبعه وهو يقول " لأرى هذا الطريق ، إن لم يوصلنى إلى منزل ، يوصلنى إلى نهر . "

وأثناء السير قبل نزول المطر وصل إلى منزل صغير ، كان هو الوحيد وسط الغابة ، فوقف أمامه ، واستأذن ، فخرجت امرأة عجوز ، وقالت له " أيها الشاب ، هل ضللت الطريق ؟ الا تعرف أين جئت ، هنا منزل لصوص ، عد من حيث جئت بالتى هى أحسن قبل أن يعودوا . "

قال نومو " أعود ، من حيث جئت إلى أين فى هذا المطر ؟ أن أبقى يقتلنى إخوتى من الناس أفضل من أن أذهب فيأكلنى حيوان فى الغابة عبثا ، فهم على الأقل لو قتلونى سيدفنون عظامى ، حتى لا أسبب لهم رائحة كريهة . "

قالت العجوز " وهو كذلك ، ها هو يمر اجلس " دخل نومو المر وجلس ، وأثناء ذلك سمع وقع أقدام ، فقد عاد اللصوص ، أربعة عشر لصا ضخام الأجسام ، فلما رأوه قال كبيرهم " أيها الشاب من أين ؟ " وكاد يرد عليهم ، ولكن بادرتهم العجوز قائلة لهم كل ما قالته له عند وصوله وكل ما قاله لها ، ثم سأله مرة أخرى عن سبب مجيئه فقال لهم كل شئ ، حتى الطريق الذى جاء به إلى هنا .

قال الكبير " طالما الأمر كذلك فلن نضرك ، غدا ندلك على الطريق ، لترحل "

قال نومو " إذا كنتم لا ترفضوننى أريد أن امكث هنا معكم ، لقد نويت من قبل أن أحترف أول حرفة أقابلها ، وطالما أن السرقة هى أول حرفة قابلتنى ، فسأحترفها ، لقد قال لى والدى أن احترف الحرفة التى أريدها . "

قال اللصوص " هل تستطيع أن تسرق ؟ ليست حرفة الكسلان ، ولا الأبناء الطيبين ، ولا الرحماء العطوفين ، ولا الذين يفرون من العذاب ، إنها حرفة الفاسدين الذين استولى الشيطان على قلوبهم ، إذا كنت تستطيع ذلك ، فمهما حدث لك فى الدنيا أو الآخرة فلا تبكى على واحد منا . "

قال نومو أن أباه قال أية حرفة يريدونها يحترفها ، فاتخذوه اللصوص كخادم لهم ، وكلما ذهبوا للسرقة أخذوه معهم ، رويدا رويدا صار ماهرا ، وظلوا على هذه الحال ولعلك تعرف أن السرقة ليست كالتجارة ، وذات يوم تجهمت الحياة لرئيسهم ، فقد تقابل مع رجل من الطوارق وكان هذا الرجل يفوقه قوة و كان يتباهى بأنه لا يوجد شئ يعجبه .

فاستل الطوارقى سكيناً وطعن رئيس اللصوص فانكسر السكين ثلاث قطع ، فهجم عليه كبير اللصوص ، فاستل الطوارقى السيف وهم بقطع رأسه فسقط نصل السيف .

عندما رأى الطوارقى أنه استعمل السلاح الذى لديه كله ولم يفده ، قال " هيا أنا الرجل الذى شرب دواء ضد الحديد ، هل تتغلب على ؟ " ، ثم خلع ملابسه ، وأخذ يتصارعان ، وكان الطوارقى يفوق كبير اللصوص قوة ، فحمله ودار به وألقاه على الأرض وركب فوقه ، ووطأ على يديه ، وأمسك عنقه ولواه حتى قضى عليه ومضى وتركه ميتاً .

ولما عاد رفاقه إلى مخبئهم ، انتظروا رئيسهم فلم يعد فاقتفوا أثره ، وأثناء بحثهم وجدوه راقداً ميتاً ، فأخذوه إلى المنزل ودفنوه وهم يقولون " اليوم تجهم للشجعان " ولم يعد أحد يفكر فيه أو ييكى عليه .

عندما طلع النهار بدءوا يفكرون فيمن سيكون الرئيس الجديد ، كل واحد قال أنه سيتولى الرئاسة وهنا قالت المرأة العجوز " هذا الأمر لا يستحق الخلاف ، عليكم أن تخرجوا كل من يجد فى نفسه القدرة اختبروه بأمر ، ومن يجد خطته مقنعة يولى الرئاسة . "

قال اللصوص " نعم ، صدقت " ، استعدادوا للاختبار كما يستعد الناس الطيبون ، وخرجوا وقصدوا المدينة ، وجلسوا فى مدخل السوق ، وبينما هم جالسون إذ رجل يأتى ومعه حقيبة فى يده بها مائة جنيه ، قاصداً منزله ، نظر كبيرهم إلى إخوته وقال " من يسرق هذه الحقيبة الآن بالنهار دون أن يقتل هذا الرجل يكفى هذا لنوليه رئيساً لنا " .

قال واحد منهم " هذا كلام معقول ، من يستطيع أن يأخذ هذه الحقيبة من هذا الرجل الآن فى وضوح النهار إلا الجن ؟ " ، ونظر إلى الآخرين وقال " أو متهوراً ؟ "

قال الآخرون " أمن أجل التفاخر هل يضحى الإنسان بنفسه ويهلكها عبثاً ؟ "

قال نومو " أنا سأحاول ، عدم المساومة تجعلك تترك الرخيص " ، وقام وتبع الرجل بهدوء حتى منزله وبحث عن مكان واختبأ فيه ، وأخذ يراقبه ، ووضع الحقيبة فى الخارج ، ولما وصل الرجل إلى باب حجرته ، وطلب من زوجته أن تحضر له الماء فى دوره المياه ، ليستنجد ، أحضرت الماء وتبعته إلى دورة المياه ، فجاء نومو فى الحال وخطف الحقيبة وجرى ، وحملها إلى رفاقه ، وقال " ها هى ، صعوبة المكان عدم وجودنا فيه " ، وقال لهم كل ما فعله .

نظر اللصوص إلى الحقيبة ، وتعجبوا ، وهنا قال أحد الحاسدين منهم ، أنت بهذا لم تفعل شيئا ، لأنه سيضرب المرأة الآن ويتهمها بأنها هي التى سرقت المال ، ولكن عليك أن تعمل حيلة حتى تخلص هذه المرأة من اللوم ، ثم تعود بالحقيبة ، بلا جدال تكون رئيسنا .

قال الآخرون " صدقت ، صدقت . "

لذلك أخذ نومو الحقيبة وعاد ، حتى وصل إلى منزل الرجل ودخل الممر ، وانتظر يتسمع فسمع الرجل يلوم زوجته ، ويقول لها لا بد أن تدله على المكان الذى وضعت فيه المال ، وإن لم تفعل ذلك الآن سيطلقها .

عندما سمع نومو ذلك ، استأذن ، فخرج رب البيت ، يسب ، فلما وصل إلى الممر وإذا بحقيبة المال فى يد نومو ، ففتح عينيه ليراها ، فقال نومو " الرجل الذى كنت تجلس فى كوخه فى السوق بعثنى لأحضر لك حقيبتك التى نسيته فى الكوخ ، وقال عليك أن تهتم بمالك ، وقال ليس كل الناس أمناء ، لو وقعت فى أيدي سيئه لضاعت . "

انفجر الرجل فى الضحك ، وتنهد وقال " صدق " ومد يده ليأخذها وهو يقول " دعنى أذهب لأحضر لك البقشيش "

فرفض نومو أن يسلمها له وقال " كيف أسلمها لك ، فتأتى وتقول أننى لم أسلمها لك ؟ " أو تقول أننى فتحتها وأخذت شيئا ، الأفضل أن تدخل وتكتب لى إيصالا صغيراً ، وتأتى وتعد المال ، إذا كان المبلغ تاما تعطينى الوثيقة لأسلمها له . "

قال رب البيت " صدقت ، ولكن الأولاد الطيبين أمثالكم لا يلامون على هذا ، انتظر قليلا حتى أفعل ما طلبت " ، وأسرع إلى المنزل وأخذ المحبرة والورقة ، فهرب نومو بالحقيبة .

لقد كان باقى اللصوص يتبعونه ليروا ماذا سيفعل ، حتى لا يكذب عليهم ويدعى أنه ذهب ، وعندما رأوا أنه خرج قابله وامتدحوه على حكمته ، وقصدوا منزلهم ، ونصبوه رئيسا لهم .

عندما خرج رب البيت ، لم يجد نومو ، أسرع إلى السوق فوجد صاحب الكوخ جالسا فقال " الولد الذى بعثته بحقيبة المال التى نسيته هنا جاء بها إلى ، وطلبت أن

يسلمها إلى ، فقال أنه لن يسلمها إلى إلا بعد أن اكتب له إيصالا ليأتيك به ، دخلت المنزل وأخذت المحبرة والورقة وخرجت فلم أجده ، لعله ضاق بي صبيرا فعاد ؟
قال صاحب الكوخ " أنا لم أبعث أحدا لك ببال ، أى مال سأقدمه لك ؟ أنت خرجت من هنا وحقيقتك فى يدك . "

قال رب البيت " أنا أيضا أتذكر ذلك "

قال الجالسون فى الكوخ " اطلب مساعدة الجن ، هم سرقوا منك المال ، يريدون أن يجتنوك ، ربما هذا المال لم يكن حقيقيا ، مثل المال الذى يحضره الجن للناس ، هل تعرف نوع هذا المال ، أو أنك عثرت عليهم فعادوا إلى صاحبهم الاصلى . "

قال رب البيت " لا بد أن الأمر كذلك " ، وقصد منزل أحد العلماء ليعمل له حجابا حتى لا يصاب بالجنون .

وظلوا على هذه الحال ، وقضى نومو رئيس اللصوص معهم حوالى عشرة أشهر ، حرموا أهل الريف من الراحة من كثرة السرقة ، ولما تكرر الأمر ، بحث الأمير المشكلة حتى توصل إلى المكان الذى يعيشون فيه ، واستعد لحربهم ، وهجم على مخبئهم فى الليل ، وأحاط الجنود بهم ، وأحرقوا المنزل فخرج اللصوص ، فطاردهم ، وضربوهم وقبضوا عليهم ، ولكن نومو رئيس اللصوص وجد ثقباً فخرج منه وهرب ، فأخذوا يجرون وراءه ويطلبون المساعدة ، فتبعه جندي بحصان أحمر أعده للجري السريع ، وأخذ الحصان يحاوره ولكن هذا المجرم استطاع الفرار فبحثوا عنه فى كل مكان فلم يعثروا عليه ، وتسلل وأكمل رحلته وهو يلهث وهو عريان لا يرتدى سوى السترة والملاية التى ينام بهما .

لقد حان وقت عودته إلى منزله لذلك بحث عن عصا صغيرة وقصد مدينتهم ، ها هو يسير بلا سترة ، وليس لديه ما يشتري به حتى الثريد ليأكله فى الطريق ، لذلك أخذ يخطف ، إذا وجد مطعما وقف ، وطلب طعاما بنصف قرش أو بقرشين ، فإذا أكل وشبع يأخذ عصاه ويتكىء عليها ويمضى ، إذا طلبت منه بائعة الثريد مالا ، فر هاربا ، ويقول لها " اتبعينى وخذى " وظل كذلك حتى وصل . "

قال الأمراء " لا ، لا ، هكذا قصص اللصوص الجميلة ، التى منعنا الوزير من سماعها ؟ "

قال الوزير «ألا يوجد أفضل من قصص اللصوص جمالا؟»، البعض الذين لا يجيدون قصص اللصوص ، يقصونها بحيث يمكن تعلم السرقة منها ، مثل هذه القصة كانت جيدة في البداية ، ولكن فيما بعد تحولت إلى الشكل الذي لا نريده ، حيث سرق بها هذه الحقيبة ، ومع ذلك لا بأس» ، أراد حاذق أن يستمر في قصص جمرو وقوسو ، فقال القضاة «يكفى هذا الآن ، حتى يقص الوزير قصته ، وبعد ذلك تستمر غدا» ، قال حاذق ' حسنا فليبدأ الوزير '

فبدأ الوزير قائلا:

عدم القيام أفضل من الرقص السيء

كان يوجد أمير له جارية غاية فى الأمانة ، وكانت تحفظ له كل أمواله، إذا أراد شيئا يبعث فقط فتعطيه. وظل على هذه الحال فترة طويلة، وكان إذا حسب ماله يجده دائما ينتهى بسرعة ، وإذا حسب كل ما ينفقه فى اليوم يجده حوالى جنيهين ، وإذا دخل وسألها تقول له خمسة جنيهات أو ستة ، ضايق الأمير هذا الأمر ، ولكنه لم يظهر لها ذلك ، لأنه متأكد أنها لم تأخذ مليما واحدا ، إلا إذا أعطاهما .

لذلك قال لها " منذ اليوم سأخذ من المال ما يكفى حاجتى مرة واحدة، وأضعه فى جيبي ، وإذا انتهى ، غدا تعطينى شيئا آخر ، لن أبعث أحدا وسأتى بنفسى ، إذا جئت مرة واحدة ، لأخذ المال ، لن آتى مرة أخرى فى هذا اليوم . "

قالت الجارية " نصرك الله ، وأنا أفضل ذلك ، لأرتاح من الحساب، وأقيد الوقت الذى تأخذ فيه المال ، حتى لا أخرج شيئا فى هذا اليوم "

قال الأمير " سأتى دائما فى العشاء ، عندما أدخل المنزل ، ليبيت معى ، وعندما يطلع النهار أخرج للحاشية دون أن أنتظر ، والأفضل أن تعطينى فى هذا الوقت ، لأننى أعرف أن فى هذا الوقت ، لا تريد أن تذهبى إلى أى مكان ، فلا تعطلك، وفى هذا الوقت أيضا لا يضايقتنى الناس. "

قالت الجارية «وهو كذلك ، نصرك الله ، لنبدأ من الآن ، كم سأعطيك؟» ، قال الأمير «أعطينى جنيهين» فأعطته، فوضعهما فى جيبه وخرج .

لقد جرى هذا الحديث على مسمع من خادم الأصبطل الذى كان مختبئا يسمع، عندما دخل الأمير عاد ونام، ولم يعرف أحد، وكان خادم الأصبطل هو الذى يأتى للجارية ويأخذ المال ويقول أن الأمير بعثه.

لقد كانت الجارية تعرف أنه مؤتمن، ولم تحاول تتبع كل ما يقول، واليوم بعد أن أدرك أن أسلوبه انكشف، وسدت عليه الطرق ظل يفكر أياما وأياما فى حيلة، ليتخلص من هذا الاتفاق الذى اتفق عليه الأمير مع الجارية، ولكنه عجز، حتى وجد حيلة فى يوم من الأيام.

لقد قلت لك أنه كان يسرق مال الأمير ، ومن كان هذا طبعه لا يمكن أن يمكث طويلا دون مال ، لذلك أخذ يلاحظ ملابس الأمير السوداء التى يرتديها إذا خرج للحاشية ليلا ، ونوع العطر الذى يضعه على ملابسه ، ولما اشتد الأمر على خادم الأصبطل ضيقا ، أخذ ما تبقى من ماله ، وذهب إلى بائع الملابس ، واشترى الملابس التى يرتديها الأمير إذا أقبل الليل ، واشترى نفس العطر الذى يتعطر به ، وأخفاه فى المنزل ، ولما أقبل الليل وأثناء وجود الأمير فى الحاشية ، قام خادم الأصبطل وارتنى هذه الملابس ، وتعطر بنفس العطر ، وقصد حجرة الجوارى ، فركعوا وأدوا التحية ، وقد ملأ العطر المنزل .

عند وصوله وجد الجارية ، وما يدريك ما العجوز ، قد أغلقت الباب على نفسها ، وملأ النوم عينيها ، فتسلل ودق الباب ، وكما يفعل الأمير عادة عندما تكون نائمة ، فقامت الجارية مذعورة تتمايل من النعاس وفتحت الباب وركعت ، وقالت " نصرك الله ، لقد نعست الآن ، حتى استولى على النوم ، كم سأعطيك ؟ "

قال خادم الأصبطل ، وهو متفخ كأنه الأمير " خمسة جنيهات "

قالت الجارية " خمسة جنيهات ، هل ستعطى غدا ساعى أمير الجنوب "

قال خادم الأصبطل " أنوى ذلك " لقد كان دائما مع الأمير ، وتعود أن يسمع كلامه ، وماهر فى التقليد . عدت الجارية مائة شلن وسلمتها له ، فوضعها فى جيبه ، وخرج ، فقالت الجارية " حتى الآن لم تخرجوا ؟ "

مضى خادم الأصبطل ولم يرد عليها ، وذهب وخلع هذه الملابس واختفى ودخل بين رفاقه ، وورقد ، وقلبه يخفق خشيه أن يعلم الأمير ، فيذبحه .

وعاد الأمير وصرف السمار ، ودخل المنزل ، وقصد حجرة الجارية وقال لها " أعطني جنيهن ، بل ثلاثين شلنا تكفى "

قالت الجارية " نصرك الله ، يبدو أن ضيوفك كثيرون اليوم ، أرى أنك خالفت ما اتفقنا عليه ، وهو أن تأتى مرة واحدة "

قال الأمير " كم مرة جئت ؟ "

قالت الجارية " مرتين ، ألم تأت الآن وأخذت خمسة جنيهات ؟ أى أخذت اليوم ستة جنيهات وعشرة شلنات . "

عندما سمع الأمير ذلك عرف ما حدث ، لابد أن شخصا لبس لباسه وجاء وأخذ خمسة جنيهاً ، ولم يمر أحد عليهم عندما كانوا يسمرون ، لذلك شك في خادم الأصبطل ولكن لأنه كان ذكياً لم يرد أن يكشف الأمر ، حتى لا تنذيعه الجارية فيشعر اللص ويختفى ، فابتسم وقال " إذا أخذت عشر مرات ، أقول كم ؟ " ومضى كأنه غاضب ، وخرج ، وقال في نفسه " إن من فعل هذا الأمر ينام الآن وقلبه يخفق ، إذا كان من خدم الأصبطل فلأذهب إلى حيث ينامون ، وأعدهم ، من لا أجده يكون هو اللص ، وإذا كانوا جميعاً نائمين ، من ألمسه وأجد قلبه يدق اتهمه غداً " .

ثم قصد الأصبطل فوجد الخدم مبعثرين يغطون في النوم ويتنفسون في الظلام ، لذلك عد خيالاتهم التي يراها ، فرآهم خمسة وعشرين ، وهو عددهم تماماً ، ثم تتبعهم وهو يضع يده على صدورهم ليرى كيف يدق صدر كل منهم ، حتى وصل إلى الخادم الذي قام بالسرقة ، لقد كانت عيناه مفتوحة ليسمع ، ولم ينام ، وينظر للأمير خلسة ، فلما رأى الأمير يقصد مكانه ، تملكه الرعب ، وازداد خوفه ، ها الخوف مما فعل ، وها الخوف من الأمير يقترب منه ، ربما سيعرفه ، فأخذ قلبه يدق بسرعة شديدة ، فلما لمس الأمير صدره شعر بذلك ، فتأكد أنه اللص .

ظن الأمير أنه كان نائماً ، فحاول أن يرى وجهه ليعرف من هو ، فلم يكن الهلال ظاهراً ولا يحب أن يحضر مصباحاً حتى لا يثير ضوضاء أثناء الليل ، لذلك أحضر المقص ، وقص له علامة عدم الصلاة في جبهته ، حتى يمكن معرفته وعاد إلى القصر لشأنه .

وما كاد يمضي حتى قام خادم الأصبطل وأحضر المقص ، وتتبع رفاقه وعمل لهم نفس العلامة في جبهتهم تماماً مثله ، وعندما طلع النهار تجمعوا ليغسلوا وجوههم ، فنظر أحدهم إلى وجه أخيه وانفجر ضاحكاً وقال " يا فلان هل بدأت تمتنع عن الصلاة؟

فنظر الآخر إليه وقال " أى امتناع عن الصلاة؟ ، أنت الذى كدت أن تكفر ، ها أنت قد أوقفت الصلاة ، إذا كنت تريد المزاح بأنك تركت الصلاة ليعرف الناس ذلك فقد عرفوا " .

ثم نظر أحدهم إلى الآخر وقال " لستم أنتم وحدكم الذين قطعتم الصلاة حتى فلان انظروا إليه لتروا ، إذا كان بلاء ابتلاكم الشيطان به ، يجب أن تدعو الله أن يساعدنا ويرفعنا وينجيننا " ، وبصق البصاق السيئ على الشيطان .

لقد كان هناك شخص يقف يراقب وجوههم ، فقال " أنت تبصق بصاقا كاذبا ألا ترى وجهك؟ أم لأنهم يقولون " الحشرة ذات الرائحة الكريهة لا تشم رائحة نفسها؟ " فهب هذا قائلا " أين هو؟ أين هو؟ " ونهره قائلا " أم أنت؟ " ألا تقول أنك قد اتبعت سبيلهم، حقيقة ما تقول " نظر إليه الباكون فرأوه كذلك ، فقالوا " ماذا حدث اليوم؟ ، ولمس كل واحد جبهته ، فشعر أنه قد قصت خصلة من شعره ، فأخذ كل يصفق يديه .

فقال خادم الأصبطل " لا أحد ، حلاق الليل ، ألا تعرفون عمل الظالم " قال الباكون " نعم ، صدقت ، إنه هو "

وهم على هذه الحال يتعجبون ، كيف تتبعهم العشرين جميعا وعمل لهم عملا واحدا ، وإذ بالأمير يخرج ، فرأهم مجتمعين ، ولا يعرفون ما حدث ، ووقف أمامهم وأول ما رأى رأى الذى وضعت له العلامة في وجهه أولا ، فأمسك يده وكاد يمضى به إلى القصر ليوجه إليه الاتهام ، وإذا لم يقل الحقيقة يقطع رأسه وحق بعينه فرأى شخصا آخر والعلامة في جبهته ، فالتفت في الحال ونظر جيدا ، فرأى الجميع يحمل هذه العلامة مما أدهشه ، حتى ابتسم ، عندما أدرك ما حدث وكاد يتكلم ولكن أدرك أنه لا فائدة من الكلام ، وأنه سيثير أعصابه وأعصاب حاشيته بلا فائدة ، ولن يعرف اللص ، ورأى أنه طالما أن الأمر وصل إلى هذا الحد فإن الحكماء يقولون عدم القيام أفضل من الرقص السيئ ، ثم نظر إلى خادم الأصبطل وقال " الذى فعل ما جعلنى أعمل هذه الضوضاء يعرف نفسه ، ويعرف ماذا فعل ، ويعرف معرفة جيدة أن الله ستره هذه المرة ، ولكن ليعلم إذا أخطأ وتجراً وعمل هذا مرة أخرى ، سأكشف سره ، وما كل مرة تسلم الجرة ، اذهبوا . "

تفرق خدم الأصبطل وهم يسألون بعضهم ، ولكن لم يعرف أحد ماذا حدث ولا يعرفون سبب خطاب الأمير ، خادم الأصبطل هو وحده فقط الذى يعرف المقصود من الحديث، ولا فرصة لأن ينطق حرفا حتى لا يجلب التهمة لنفسه .

قال حاذق " ها أنت قدمت قصة عن اللصوص ، إذ كان يوجد قصة تعلم منها السرقة فهي قصتك ، أراد الوزير أن يتحدث فقال القضاة " ، إذا تركنا سوف تستمر الجلسة إلى ما بعد المغرب ، فقالوا يكفي هذا المقدار ، فنودي للصلاة وتفرق الناس ،

وبحلول المغرب أمر الوزير بقلل أنوع من الأطعمة وأحضرت لخدمه ، قال لعله تعب من تكرار حضوره يوميا.

وفي اليوم التالي ، حضر الناس حيث المجلس فصعد حاذق على المائدة ، وبدأ في رواية قصته ، يريد الشروع في قصة أولاد المزارع التي بدأها والذين خرجوا طلبا للرزق ، أمس قد أخبرهم عن قصة نومو ، واليوم سيقدم قصة جمرو فبدأ قائلا:

قصة جمر و ابن رئيس المزرعة الثاني

أما جمر و فقد اتبع الطريق المؤدي إلى الجنوب ، واستمر في السير حتى وصل إلى منزل صغير في وسط الغابة ، فاستأذن فرد عليه ، وإذ بولد صغير عمره حوالي سبع سنين يطل برأسه ويخرج فنظر إليه جمر و وقال " أين رب البيت؟"

قال الصبي " ماذا تريد منه؟"

قال جمر و " استأذن لي منه"

قال الصبي " قلت ماذا تريد ، أنا رب البيت"

قال جمر و " بالله عليك أيها الشاب ، ادخل استأذن لي لعلك تعرف أنني تجاوزت سن المزاح معك".

قال الصبي " هل تحقرني؟ ، أقسم لك والله أنا رب البيت ، اسأل عما تريد ، لتسمع كل شيء"

عندما سمع جمر و ذلك شعر بالحنج ، وقال للصبي " وهو كذلك إذا سمحت أريد أن أبيت هنا ، وفي الصباح أمضى"

قال الصبي " ادخل ، من يرفض الضيف؟".

قام جمر و ، وأدخله إلى حجرة صغيرة ، فوضع متاعه ، وقلبه يخفق ، ونظر إلى المنزل فلم ير دليلاً على وجود أحد ، فنظر إلى الصبي مرة أخرى وقال " بالله عليك أيها الشاب ، أنت وحدك في هذا البيت؟ ، أم أن والديك ذهبا إلى المزرعة ، وتركاك تحرسه؟"

قال الصبي " هل تظن مثلي يحلف كذبا؟"

عندما سمع جمر و ذلك ، قال " لو سمحت أشعر أنني استرحت وأريد أن أمضى"

ابتسم الصبي وقال " تستمر في الرحلة في هذا الليل ؟ ، ارحل في الصباح ، قبل أن يطلع الفجر ، فتصل الظهر ، إذا كنت تخاف لأنني قلت أنني صاحب البيت ، لا يخيفك شيء"

قال جمر و " وهو كذلك ، فغمض إحدى عينيه وجلس ، فلما تبادلوا التحية سأل الصبي عن مقصده ، قص له جمر والسبب الذي جعله يترك منزله ، وفي منتصف الليل أحضر الصبي لحما مشويا وأكلوا وأحضروا أنواعا مختلفة من الطعام فأكلا من الطعام كثيرا ، ولكن لم يعرف جمر متى صنعه الصبي ، ولم ير أحدا أحضره له ، وكاد يسأل الصبي ولكنه قاطعه وقال «انتظر، أهم شيء لا أريده هو السؤال ، كل ما تراه لا تسأل عنه " ، لم يقل جمر شيئا مرة أخرى .

عندما طلع النهار قال جمر أنه سيرحل فرجاء الصبي أن يبقى معه ، في هذا اليوم حاول الصبي أن يبقى جمر معه ، طالما أنه خرج لبحث عن عمل ، فقبل أن يبقى ، رويدا رويدا ألفا بعضهما وكان جمر يرى أمورا عجيبة ويريد أن يسأل عنها ، فكان الصبي يقاطعه من البداية ، ومكث جمر حوالى عشرة أشهر معه ، كان يفعل له كل الأعمال التى يكلفه بها ، فيجصص له المنزل ، ويجدد له الممر ، وبنى له دورا علويا ، ومخزنا لحفظ الطعام ، وأصلح له كل المنزل ، ولما أتم الشهر العاشر ، طلب من الصبي أن يسمح له بالرحيل ليعود لبلده ، فشكره الصبي كثيرا ، وأحضروا قطة وقدمها إليه ، وقال " هذا رزق أسلمه لك "

وكاد جمر أن يحتقر هذه القطة الصغيرة التى قدمها إليه ، وهو يقول «أهذه جزاء ما قدمه إليه من أعمال ، ومع ذلك خشى أن يظهر هذا الاحتقار على وجهه فيشعر به الصبي ، فشكره كثيرا كأنه أعطاه مائة جنيه ، فأخذ القطة وذهب ، فقال الصبي " . انتظر ، لقد كنت أظن أنك ستحتقر هذه القطة ، ولكن الآن عندما رأيت أنك لم تحتقرها وفرحت بها ، سأقول لك كل فائدة ستقدمها إليك وأين تذهب بها وحيث تفيدك "

توجد عفريتة تقطع طريق التجار وتقتلهم وتاكلهم وتسلب متاعهم ، وجمعت مالا وثروة كبيرة جمعتها في حقائب في منزلها ، وذكر الصبي كل أخبار هذه العفريتة وكيف تتحول لجمر ، وذكر له اسم الغابة التى تسكنها ، والحيل التى يحتال بها وكيف تساعد هذه القطة فى الانتصار عليها ، وقتلها وجمع كل الأموال التى سلبتها .

شكره جمر واستعد وقصد الغابة حيث تقيم العفريتة ، وهو يقول فى نفسه « إذا كان ما قاله هذا الصبي حقيقة ، فقد قابلت هذه العفريتة هذا العام من سيقضى عليها "

عندما رأى رفاقه فى الرحلة أنه يعاني دائما من حمل هذه القطة ، قالوا له " ماذا تفعل بهذه القطة ، تحملها دائما هكذا؟ .

قال جمر و "هى دلىلى " فىتمنون له السلامة.

عندما وصلوا إلى مفترق الطرق ، قرب منزل العفريته ، أخذوا يسرعون الخطى ويخفضون صوتهم فرأوا جمر و يتخذ الطريق المؤدى إليها ، فتعجب رفاق الرحلة ، وأسرعوا حتى لا يصيبه شئ فقال "إنه يعرفهم"

عندما وصل المكان المقصود عند الظهر ، قصد منزل العفريته ، وهو يخفى هذه القطة الصغيرة ، وكان على طول الطريق يرى العظام البشرية ملقاة ، فاستأذن فخرجت العفريته ، بأسنانها البارزة ، فركع جمر و وحياها ، فسألته عن وجهته ومن أين جاء ، وهى مسرورة ، وهى تلحس شفيتها ، وتقول "مرحبا بالمشوى"

فزمجر جمر و ، ونظر إليها وقال جاء لها من بلاد السودان ، فسألته ، عما جاء يبحث عنه من بلاد السودان.

قال جمر و "أخبارك التى أذاعها التجار فى كل مكان حتى وصلت بلاد السودان ، إنهم يقولون أنك تستطيعين التحول إلى كل شئ تريدينه ، لذلك جئت لأرى ، ما إذا كان حقيقه أم لا ، لأنهم يقولون الرؤيا خير من السماع ، ولا أهتم بما إذا كنت ستقتلينى أم لا ، طالما أرى أمراً عجيباً"

فلما سمعت العفريته ذلك ، عرفت أنه لا يوجد مكان إلا وشهرتها قد وصلت إليه ، فجئت ، ونظرت إلى جمر و فرأت أنه سمين ، وكادت الفرحة تقتلها ، ونظرت إليه مرة أخرى وقالت " لا تخف ، الآن ستري ما سمعت أخباره تنتشر فى كل الدنيا ، كل ما سمعت يقال عن أخبارى غير كامله ، أنا طنقوريا دودنيا ابنة دودنى " وفى الحال انتفض جسمها فصارت فيلا ضخما فى الممر الذى تعيش فيه ، ثم انتفضت فصارت أسداً ، ثم ذئبا ، ثم جاموسة صغيرة ، ثم بقرة وحشية ، ثم نعامة ، ولما انتهت من ذلك عادت إنسانا سويا كما كانت من قبل ، فنظر إليها جمر و وقال " لم يبق إلا شئ واحد ، هل أنت الآن تستطيعين التحول إلى حيوانات صغيرة مثل الفأر؟"

قالت العفريته " ما هو الفأر ؟ ، لقد تحولت فيلا فما بالك بالفأر؟ " ، ونفضت جسمها فصارت فأرا ، فلما رآها جمر و قد تحولت فأرا ، أسرع وأطلق القطة عليها كما قال له الصبي ، فما كادت القطة تري الفأر حتى قفزت عليه وأمسكته وقتلته وأكلته ، فلما أكلت العفريته سمعت من يقول فى البيت هاها جمر و لم تخطئ لقد انتصرت"

عندما سمع ذلك هرب دمه ، فتذكر أن الصبي سبق أن قال له أن ذلك سيحدث ،
لذلك قام ودخل المنزل وجمع كل ما سلبته هذه الملعونة ووضعته في صناديق تملأ حجرة ،
وحصان ضخمة وحوالي سبعة عشر حملاً ، كلها محملة بالمتاع ، ودخل حيث تخفى المال
فوجدتها أكواماً ، جمع كل متاع البيت ولم يترك الإبرة ، وضعها على الحمير واعتلى ظهر
حصانه ، وساقها أمامه وقصد منزله وهو يغنى ، فقد قضى حاجته .

قال الوزير "أحك هذه هي قصص اللصوص التي تريد سماعها"

قال الأمير عبد الرحمن "هذه ليست قصة لصوص"

ضحك الوزير وقال "نصرك الله ، ما الفرق بين الضرب والملاكمة؟ ، هل هذا ماله ،
هذا أفسد من اللصوص ، لم يسرق ولم يقتل"

اتفجر الناس في الضحك ، وعندما سكتوا ، بدأ الوزير يقص قصته :

قصة الأعمى

يوجد في مدينة بوبى رجل أعمى يسمى الأعمى الأسود ، السبب الذى جعل الناس يسمونه هكذا هو ما وهبه الله من شدة الذكاء ، كان كلما خرج للتسول لا ينفق ماله عبثا ، فيبحث عن مكان أمين ويجمع فيه المال حتى صار كثيرا .

وفي يوم جمعة ، بعد أن عاد من جولته جمع ماله كله وعده فوجده قد بلغ ثلاثة جنيهات ، فلما وجدها قد رادت هكذا خشى أن يتركها في كوخه ، فباتى أحد ويسرقها ، لذلك بحث عن مكان يحفظها فيه ، ورأى أنه إذا أعطاها لأحد وديعة ، ربما يخون الأمانة ، وبينما هو يفكر في وسيلة حفظها تذكر أنه لا يوجد مكان أكثر أمانا من المصلى ، لأنه يعرف أن اللص لا يظن وجود شئ في المصلى سوى الفرو وأواني الوضوء .

ورأى أنه إذا ذهب وقت الظهر سيجد بعض المصلين ، لذلك انتظر حتى توسطت الشمس السماء ، فآخذ ماله ووضع في جيبيه وقصد المصلى ، ولما وصل لم يتوقف إلا أسفل المنبر ، وجلس صامتا لعله يسمع حركة بالداخل ، فلم يسمع أية حركة ، فقال في نفسه " أنه لا يوجد أحد ، من الذي يأتى إلى المصلي في هذا الوقت من الظهيرة ؟ " وكنس ، وحفر حفرة أسفل المنبر ، وصب المال وانصرف ، وهو يقول في نفسه ، إذا عدت إلى هذا المنبر هو علامة لي لا يتحرك "

كل ما فعل الأعمى كان يراقبه رجل خياط يجلس يقرأ ورده ، وما كاد الأعمى يمضى حتى قطع الخياط ورده ، وقال " لقد قضيت حاجتى واستجاب الله لدعائى " وقام وحفر أسفل المنبر وأخذ المال وذهب .

وفي اليوم التالى أخرج أحد الأثرياء أموال الزكاة ، فنال الأعمى الأسود حوالى خمسة شلنات صدقة ، فقصد المصلى مع ابنه الصغير الذى يقوده ، وتركه في الخارج ودخل ليتحسس المنبر وحفر تحته فلم يجد المال ولم يجد أثرا له ، فأصغى لعله يسمع حركة أحد ، فلم يسمع شيئا فتعجب وقال لا حول ولا قوة إلا بالله ، قال " لا بأس إذا كان مالى حلالا سيعود إلى ولن يضيع "

وخرج فوجد ابنه فقال له "عندما كنا قادمين إلى هنا ، ألم تلاحظ أحدا يراقبنا ويضحك ؟ "

قال الصبي " لم أر أحدا يضحك عليك سوى سندا الخياط الذى لا يعطينا صدقة إذا ذهبنا نتسول في السوق ، عندما مررنا به هنا عند قصر الأمير والتفت ، رأيت يخرجه لسانه لك ، ظنته رفيقك في اللعب لذلك لم أخبرك لأنك تمنعنى من التدخل في شئون الكبار .

قال الأعمى للصبي " وهو كذلك ، خذني إليه "

قال الصبي " وهو كذلك " ، وأمسك عصا أبيه حتى وصل إلى محل سندا الخياط في السوق ، فوجدوه قد عاد من جولته .

فلما رأهم قال سندا " الأعمى الأسود ، ماذا جاء بك إلى هنا اليوم ، اليوم ليس يوم جمعه ؟ أنتم أيها العميان تضايقون الناس بتسولكم "

ضحك الأعمى وقال " أنت يا سندا لو كان من أجلك فقط جئت إلى السوق ، ملتنا من الجوع ، لم آت اليوم من أجل التسول ولكن لمسألة بينى وبينك اخرج لتسمع . "

خرج سندا ، واتخذنا جانبا فقال الأعمى الأسود ، منذ مدة أريد أن أتشاور معك ، ولكنى كنت أنتظر حتى تنتهي من مواضيع الزكاة ، واليوم أرى أن المال الذى جمعته من أموال الزكاة زاد الآن كثيرا لذلك أريد إذا وافقت أن أعطيها لك لتاجر لى فيها فتشترى بعض السلع وتبيعها ، أنت تستفيد وأنا أستفيد ، لأن الخياطة غير مربحة في فصل الخريف ، وأنت تترك الخياطة حتى فصل الحصاد ، واليوم سأذهب حيث أحفظ بعض الأموال لأضع جنيها حصلت عليه من بعض الأثرياء الذين يخرجون الزكاة ، لقد وجدت مكانا أحفظ فيه المال حيث يوجد الناس ، لذلك انتظر حيث تتوسط الشمس وتخف الرجل عن السير وأذهب وأتى بها ، وغدا أذهب وأضع معهم ما أحصل عليه مما يخرج به الأمير ، وأتيك به ، لأنى أراك تحفظ الأمانة ، لذلك أقدمها لك ، ولكن بالله لا تخن أمانتى ، أنت تعرف أن كل من يخن أمانة الناس يضيع الله أمانته .

عندما سمع سندا الخياط ذلك فرح في نفسه وقال " سبحان الله " ليس بينى وبينك خيانة للأمانة ، ربما أنت لم تعرف لقد سمعت أخبارا من والدى ووالدك أنه ما كان شئ يفصلهما عن بعضهما وهما طفلان ، غدا في الظهر انتظرنا هنا "

قال الأعمى الأسود "وهو كذلك نسأل الله أن يحينا إلى الغد" ، ووافق سنداً وودعه ، وجذب الصبي عصا والده وعادا إلى المنزل .

ولما انصرفا أخرج سنداً للأعمى لسانه ، وقال في نفسه هيا أذهب الآن وأعيد الثلاثة جنيهاً إلى المصلى ، حتى إذا مضى وقت قصير وتوسطت الشمس السماء ، وذهب الأعمى الأسود وأحضر الجنيه الذى تحدث عنه ووضعها هناك ، فإذا وضعها اكتملت أربعة فإذا جاء المغرب أتسلل وأخذ المال كله ، وأتى واشترى مقطعا من القماش وأخيطه ، وقبل أن يأتى فصل الحصاد اشترى آله خياطة ، وأبدأ أفعل كل ما أريد .

وفي الحال أخذ هذا المال وعده ، فوجد أنه قد نقص ، فقد اشترى لزوجه أمس قماشا بعشرة شلنات منه ، لذلك ذهب واقترض عشرة شلنات وأضافها حتى صارت ثلاثة جنيهاً تماماً . وذهب إلى المصلى وحفر أسفل المنبر ووضعها ، وقال "لا شك أن ما يقوله الناس حقيقة في ليلة واحدة يجعل الله الخياط غنيا كالأوربي ، انظر هذه الهبة التى وهبها الله اليوم فأجد أربعة جنيهاً لا بيعت ولا اشترت" واتخذ طريقه وانصرف .

عندما توسطت الشمس السماء ، عاد الأعمى الأسود إلى المصلى وحفر أسفل المنبر ، فوجد الثلاثة جنيهاً كاملة ، فشكر الله الذى كلل حيلته بالنجاح وجمع ماله وعاد إلى المنزل .

وحان المغرب ، وسبق سنداً الخياط الإمام إلى المصلى ، ولما قضيت الصلاة أخذ يقرأ ورده الكاذب حتى ينصرف الناس ويتركوه فيحفر ليأخذ المال ، فلما رأى الجميع قد انصرف ، قام وقصد أسفل المنبر ، وأخذ يحفر ويحفر فلم ير شيئاً فغضب ، ليس لضياح الخمسين شلناً ولكن لضياح العشرة شلنات التى اقترضها ، وعندما هم بالخروج قال "ما الذى يغضبني من هذا؟ ، لقد أخذتهم من قبل ذنباً ، هذا العبد الذى أخذتهم منه ، الله وحده الذى يعرف سرهم" ، ومضى وهو يفكر فيما سيفعله ليدفع للناس العشرة شلنات التى اقترضها منهم .

عندما طلع النهار ظل ينتظر الأعمى الأسود حتى بعد أذان الظهر ، فلم يره فقام وذهب إلى منزله ، وقال له "جئت حسب الاتفاق الذى تم بيتنا أمس ، أنت تعرفنى لم أوافق على أمر وأرجع فيه"

قال الأعمى الأسود "وأنا كذلك ، ولكن أموال هذا الزمان أمرها عجيب إذا نظرت إليها حيث تضعها تجدها ، وإذا نظرت إليها مرة أخرى تجدها قد ذهبت تتجول ، لقد

كنت سأتيك بها الآن ولكنى وجدتها قد خرجت تشم الهواء ، ليس مرة واحدة ، إذا عادوا سترانى معهم.

عندما شعر أن الأعمى الأسود يقصد السخرية منه غضب ونفض حذاه ، وخرج وهو يقول " أهل هذا الزمن أفسد الأورييون عقولهم بهذا الذكاء ، حيثما خرجت عليهم تجدهم يختبئون ويراقبونك "

ما كاد الوزير ينتهي من رواية القصة إذا برجل يأتى عدوا ويركع إمام أمير سيركا ويقول " أول أمس عندما ركب داود الحصان الرمادي وخرج يتنزه فرفع رجله الأمامية وأوقعه فكسر يده ، وذهبنا نطلب المجبراتى فوجدناه قد سافر ، ووجدنا ابنه فقال أن العظمة منقولة.

عندما سمع الناس ذلك ، سكتوا جميعا ، لأن دودا هذا هو حفيد الأمير الذى لا يحب أحدا مثله.

حيثذ قال الوزير " عندما قلت ، أن يرسل لك بالآ تدع له هذا الحصان، مهما ألح عليك رفضت الاهتمام بقولى؟ ، لا بأس ، إذا اتبعت ما أقول لك.

نهره أمير سيركا وقال «بالله عليك أغلق فمك هذا على كلامك السخيف ، لا تجعلنى أضربك ، سواء جئت به ، أو لم آت به ما قدر الله أن يحدث حدث..».

قال الأمير عبد الرحمن «لا ترفض كلام وزيرى هذا، دعه يساعدك، أنت لا تعرف.

عندما غضب الوزير استرضاه، وقال «وهو كذلك دعنى أذهب لأحضر لك مساعدة من عندنا» ثم طار، وبعد قليل عاد ببعض الأوراق، وقدمها لأمير سيركا وقال يذهب ويغليها، ويغمس يده فى الماء، ولا يطلب المجبراتى مرة أخرى لمدة ثلاثة أيام، فجعل السيارة تحمل هذا العلاج فى الحال وتذهب به، فلما عاد إلى المنزل تعجب أهل سيركا من أمر الوزير البيغاء.

قال حاذق «لا بأس ، مشكله ولكن سترون ما قلته لكم»

اليوم عندما طلع النهار استراحوا من سماع القصص بسبب هذا الحزن، قال الوزير البيغاء " لا بأس ، نستمر إذا توقفنا معناه أننا لم نتوكل ، هل الانتظار يشفيه أو يمنعه من الشفاء؟ "

قال أمير سيركا " صدقت يا وزير ، ها أنت طائر صغير وتعطينا الموعظة " ، ونظر إلى حاذق وقال " وهو كذلك ابدأ بسم الله "

أصلح حاذق صوته ، وقال " أول أمس بدأت قصة رئيس المزرعة وأولاده ، وقصصت لكم قصة نومو الذى تعلم السرقة ، وأمس قصصت لكم قصة جمرو وقطنه التى قتلت العفريته ، وبسبب موتها حصل على ثروة كبيرة من منزلها واليوم سأقص عليكم قصة أكبرهم قوسو .

قصة قوسو ابن رئيس المزرعة الأول

أما قوسو فقد أتجه جهة الشرق ، وظل يسير أياما وأياما ، يصل إلى مدينة وينتقل منها إلى أخرى ، حتى أوصله الله إلى سابون برنى ، فلما وصل هذه المدينة سأل عن رجل ثرى ليعمل عنده خادما ، ولكن قلبه حدثه قائلا " الخدمة في المنزل عمل الكسلان ، والمثل يقول كل من يترك الوطن الوطن يتركه " ، لذلك بحث عن منزل رئيس المزارعين ، حتى وصل إليه فأستأذن ودخل عليه .

وبعد أن تبادلا التحية مع رئيس المزارعين ، قص عليه كل ما دفعه للخروج من منزله ، عندما سمع كبير المزارعين ذلك قال " إذا كان الأمر كما تقول البقاء معى لن يفيدك لأننى مزارع ، ولو كان أبوك يريدك مزارعا لتركك معه ، الأفضل أن تبحث عن حرفة أخرى لأنك إذا مكثت معى ، كأننا لم نفعل شيئا .

قال قوسو " أنا سأعيش معك والرازق على الله "

قال كبير المزارعين " وهو كذلك " ، وعاشا معا وبذل قوسو في خدمته أقصى ما يستطيع ، وعندما انقضى حوالى تسعة أشهر لم ير كبير المزارعين من قوسو ما يغضب الله ، أو يغضبه ولو مرة واحدة ، وذات يوم استدعاه ، وقال " ألم يقترب وقت عودتك إلى بلدك؟ قال قوسو " بلا ، في سبعة وعشرين من هذا الشهر أريد أن استعد للرحيل " .

وعندما حان الحين قال كبير المزارعين " الشهر التاسع في خدمتى ، ولم تغضبنى ولو مرة واحدة منذ بدأت تعمل معى كل يوم ، واليوم لك عندى ثمانى جنيهات وعشرة شلنات عليك أن تختار ، إن لى أخا يهب التجار الذين يذهبون إلى بلاد اليوروبا الحظ السعيد ، إذا أردت اذهب معك ليهبك هذا الحظ السعيد ، وتعطيه هذا المال الذى أعطيته لك ، أو تأخذ مالك ها هو أسأل الله أن يجمع وجوهنا على الخير .

قال قوسو " طالما الأمر كذلك يا أبتي ، أريد أن أنال الحظ السعيد ، يقولون قيراط حظ ولا فدان شطارة .

قال كبير المزارعين "أفضل الحظ أكثر؟"

قال قوسو "نعم"

سار كبير المزارعين وجعل قوسو أمامه حتى وصل إلى أخيه الأصغر الذي يسمى العامري ؛ وقال له كل ما فعل مع قوسو.

عندما سمع العامري ذلك نظر إلى قوسو وقال لقد دخلت في مضاربة أيها الشاب ، خذ مالك واذهب ، عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة"

قال قوسو " أريد في قرارة نفسي الحظ ، وفوضتك في الأمر ، ما تراه الأفضل سأفعله"

قال العامري "أحيك أيها الشاب ، عليك أن ترحل ، غدا سبعة وعشرون بمجرد ظهور قرص الشمس ، اسأل الله أن يساعدك ، ولكن عليك أن تراعى هذه الأمور الثلاثة التي سأقولها لك ، أولا ، كل مدينة تدخلها أدخلها من الباب الغربي ، وإذا كنت ستخرج أخرج من الباب الشرقي ، الثاني ، لا تنم في مكان لا يوجد فيه ماء ، الثالث لا حظ مهما تكن خائفا لا تخطئ وتدخل المدينة عند الغروب ، هاك ثلاثة شلنات اشتر بها رادا ، نسأل الله أن يساعدنا ، وخرج قوسو وكبير الزراع.

وعندما طلع النهار وظهر قرص الشمس استعد قوسو واستأذن من كبير المزارعين ، ووجد بعض التجار وسار معهم ، وذات يوم أثناء السير وصلوا إلى مدينة عند غروب الشمس ، وكاد قوسو أن يدخل ولكن وجد أن الباب الذي سيدخلون منه هو الباب الشمالي ، وقد قيل له أن يدخل دائما من الباب الغربي ، لذلك انفصل عن رفاق الرحلة ، وطاف حتى وصل إلى الباب الغربي ، ولما كانت المدينة كبيرة غربت الشمس قبل أن يصل ، لذلك بحث عن مكان خلف المدينة ومكث فيه حتى طلع الفجر ، ودخل ، لأن العامري عندما وهبه الحظ طلب منه ألا يدخل المدينة عند المغرب"

بينما هو جالس عند بوابة المدينة تذكر أن العامري قال له ، ألا ينم حيث لا يوجد ماء ، لذلك لم يجد فرصة للجلوس ، فقام وأخذ يتجول خلف المدينة ، يبحث عن بئر أو مجرى مائي ، لينام بالقرب منه ، حتى وصل بالقرب من مقابر أهل المدينة ، فدخل وطاف ، وعاني من البحث عن الماء ، حتى شاء الله أن يجد مصادفة بحيرة وسط المقابر ، فذهب إلى مدخلها ووضع متاعه البسيط ، واضطجع ، وبعد قليل قال في نفسه «بدلا من

أن أنام في هذه الغابة، أليس الأفضل أن أقوم وأدعو لهؤلاء المسلمين الذين دفنوا هنا"، ثم قام وأخذ يدعو لهم .

وهو على هذه الحال في الثلث الأخير من الليل هبت العاصفة وسقطت الأمطار الغزيرة ، وكأنك تصب الماء من الإناء ، وتحير قوسو ولم يجد مكانا يختبئ فيه ، وفكر أن يدخل في كهف أحد أشجار البوابو ، القرية منه ، ولكنه رأى أنها ليست كبيرة حتى تخفيه ، لذلك استسلم للموت وخرج وجلس يلوم نفسه وغيباه الذي جعله يرفض المائة والسبعين شلنا ويرتاح من هذا العذاب .

بينما كان يجلس القرفصاء يرتعش ، ويعد أن انقطع المطر ، رأى رجلين وضعاً صندوقاً فوق سور المدينة ، فلما وقع على الأرض انزلق فاتبعاً مجراه وخرجا ، وأخذا صندوقهما وحملاه إلى كهف شجرة البوابو التي كان قوسو يفكر في الاختباء بها ، وألقياه، وعادا إلى المدينة ، وكاد أحدهما يطأ قدم قوسو لأن الدنيا كانت مظلمة .

عندما انصرفا ظن قوسو أنهم لصوص سرقوا بعض المال وأخفوه ، لذلك قام مسرورا وهو يقول «في نفسه حان الحظ السعيد» ، وذهب وأطل في الكهف وجذب الصندوق فشر أنه ثقيل وشاء الله ألا يخلق بالقفل ، عندما وضعه على الأرض كان مشتاقا لفتحه لجمع ما فيه ، فرأى الصندوق يتحرك ، فلما رأى ذلك تملكه الخوف ، حتى تراجع للوراء وكاد يجرى ، فتذكر أن الله واحد ، فعاد وفتح الصندوق فوجد رجلا راقدا فيه ، يتنفس بصعوبة، فنظر إليه قوسو وقال "أنت أيها المخلوق إنس أم جن؟"

قال الرجل "لماذا تسأل؟ افعلوا ما تريدون واستريحوا ، ولكن اكتبوا ورقة وارموها ، حتى إذا رآها إخوتي تهذا نفوسهم ويصبرون"

نظر إليه قوسو ودموعه تتساقط وكل الصندوق يقطر دما قال "نحن الآن في المقابر ، بعض الناس جاءوا بك إلى هنا لا شأن لي ، لقد كنت مختبئا هنا فرأيتهم يلقيونك داخل هذا الكهف ، فظنت أنهم لصوص يخفون مالا ، لذلك جذبتك ، قل لي قصتك لأسمعها لعل أستطيع مساعدتك. "

قال الرجل "أنا الآن قريب من الموت ، لا أستطيع أن أقص عليك أية أخبار ، إذا كنت تستطيع مساعدتي ، فيما بعد إذا كان لي بقية من حياة ، وإذا لم تستطع مساعدتي بالله عليك تأخذ حجراً وتكسر رأسي لأموت وأستريح"

استولت الشفقة على قوسو وأخذ قطعة من عمامته وربط جرحه ، فقد كان الدم ينزف من فخذ هذا الرجل ، وعندما قرب الفجر على الظهور تسلل وذهب به إلى قرية صغيرة غرب المدينة ، وقال أن أخاه جرحه اللصوص ، فأنزلوه في حجرة وأخذ قوسو يمرضه حتى شاء الله أن يشفي تماما ، فلما شفي سأله عن اسمه وحرفته وسبب حدوث هذا الأمر.

قال الرجل "اسمى ميكوما وحرفتي الصيد ، وذات يوم جاء رجل عجوز صغير قصير أبيض أعور وطلب أن أعطيه صدقة لله ، فأشفقت عليه ، فأعطيته شلنا وقميصا قديما لى وسروالا ، وقميصا وعمامة ، فشكرني كثيرا وانصرف.

وفي الليل عاد إلى منزلي ، وقال لى ماذا أطلب ليفعله لى ، أنت تعرف أن الإنسان لا يريد شيئا إلا أن يتفوق في حرفته ، لذلك قلت له لا أريد إلا شيئا واحدا ، أن كل ما يدخل شبكتي يصير سمكا ، حتى ولو كان ورقا ، فما بالك لو كانت ضفادع حية فابتسم هذا الرجل العجوز ، وقال لى في منتصف الليل ستأتيني جنية ، لا أخاف منها لأسألها عن الشيء الذي أريده ، وذكر لى بعض الأوراق وقال لى «كلما أردت رؤيتها أحرقها في حجرتي فتأتي في الحال.

وعندما انتصف الليل ، جاءت ، فسألتها ، فأعطتني هذه القدرة ، فلما رأى باقي إخوتي أنني أفوقهم في الصيد ، ولا تتحدث المدينة كلها إلا عني ، حقدوا على ، ودبروا لى مكيدة ليعمدوني عن مدينتنا الشهر الماضي ، لذلك جاءوا بي هنا الشهر الماضي ليقتلوني ، هم الذين رأيتهم يدفعون بي على سور المدينة ، ويظنون أنهم قتلوني ، ولم يعرفوا أنه ما زال في حياتي بقية ، والآن غدا ليلة الأحد ، سأقدم لك خيرا ، أنا أيضا إذا جاءت إلى هذه الجنية سأخبرها بكل ما حدث لى ، وسأطلب منها أن تساعدك إذا كان لديها فرصة.

شكره قوسو ثم قال "هل رأيت هذا العجوز الذى تقص أخباره ، لا بد أنه هو الذى وهبني الحظ السعيد ، اسمه العامري ، ألم يقل لك؟"

قال ميكوما "العامري ، نعم هو العامري"

قال قوسو "لا بد أنه عرف أن هذا سيحدث ، لذلك قال لى أن أتى لأساعدك" وقال له كل ما حدث ، بينه وبين العامري وميكوما فتعجبوا

وقبل أن تغيب الشمس بحث ميكوما عن هذه الأوراق وأعدّها ، ثم تركها حتى تأكد من نوم جميع الناس ثم قام وأخذ هذه الأوراق وأطلق بخورها ، فما كاد بخورها يظهر حتى خرجت الجنية ، فقصر لها كل ما حدث له "

عندما سمعت ذلك قالت "ياويحك ، صدقت ، لقد انقطعت فترة طويلة عن استدعائنا ، أين الصبي الذي ساعدك؟" ، ها هو ينام ، وهو كذلك ، أيقظه فنحن كذلك سنجازيه خيراً ، منذ شهر واحد العامري أخبرني قصته " ، وأيقظ قوسو فحيا الجنية ولما انتهيا من التحية سألتها عما يريد ، فقال أنه لا يريد شيئاً سوى أن يعود إلى منزله ، وأن يتفوق بعمله على إخوته .

أخذت الجنية خاتماً من الألومنيوم من إصبعها وقدمته إلى قوسو وقالت له "خذ هاهو جزاء عملك "

أخذه قوسو ووضعها في يديه ، ولم يعرف فائدة هذا الخاتم ، واختفت الجنية ، ونظر إلى الخاتم وقال لميكوما "هل تعرف فائدة هذا الخاتم؟" ، لو بعته لا يساوي نصف قرش "

قال ميكوما "والله ولا أنا أعرف فائدته ، أظننت أنها ستعطيك مالا أفضل من هذا قيمة ، غدا تتبعني إلى مدينتي لأمدك بالزاد ، حتى لا يضحك عليك إخوتك "

قال قوسو "ليس لدى فرصة للرجوع ، بقي الآن ثلاثة أيام ونلتقي حيث اتفقنا أنى أريد أن أسير طول النهار ، والآن طالما أنك شفيت يجب أن نودع بعضنا ، وفي الصباح أريد أن أرحل لعلى أقصر الطريق " ، فودعا بعضهما بالبكاء لشدة اللفة .

وفي الصباح قام قوسو وأخذ الطريق ، وأخذ يسير ويسير ، وقد نال الحظ ، ولم ير الحظ السعيد ، وكاد يرمى هذا الخاتم من شدة الغيظ ، فرأى أنه إذا رماه ، لا شئ يريه لإخوته ولأبيه ، فتركه ، وأثناء السير ، وصل إلى غابة كثيفة ، فطلع الفجر ، فبحث عن الماء في كل مكان ليتوضأ ، فلم يجد ، فجلس ليضرب الأرض ليتيمم ، ويؤدي الفريضة فمابالك بغير المتعلم لم يحاول أن يخلع الخاتم أثناء التيمم ، فضرب الأرض به مرتين ثم مسح ومسح وجهه ، ومسح ذراعه اليمنى وخلل أصابعه ، ثم مسح ذراع يده اليسرى ثم بدأ يخلل أصابعه ووصل إلى الأصابع التي بها الخاتم فمسحها فرأى فجأة شخصاً ضخماً كأنه نزل من السماء يقف أمامه ويقول "ها أنا ذا اطلب ما تريد أقدمه لك الآن "

لم يعرف قوسو متى قطع التيمم ، ظن أنه لص ، وقال "والله ، ليس معي ولا قرش ها متاعى افتحه وابحث فيه "

قال الرجل له "نصرك الله ، لا تخف منى ، لست لصا ، أنا جنى ، أنا خادم هذا الخاتم الذي في يدك ، كل من يملكه ، أكون له خادما ، لقد شعرت أنك تمسحه ، لذلك ظهرت مرني ، تجدد كل ما تأمر به"

وقلب قوسو يرتجف قال له "وهو كذلك ، احضر لى ماء لأغسل وجهي" فما كاد يغلق فمه حتى اختفى الجن ، وبعد قليل ظهر بقدر من الماء ، فغسل قوسو وجهه ، وتوضأ وصلى ، وقام وواصل السير وهو يقول "هل هذا الجنى يلعب بى ، أم هو أمر حقيقى؟" ، هيا أجرب" ثم مسح الخاتم مرة أخرى .

خرج الجنى وقال " ها أنا مرني"

قال قوسو "إن كان حقيقة ما تقول وليس مزاحا ، أحضر لى طعاما" ، اختفى الجنى ، وبعد قليل عاد بأنواع شتى من الطعام ، أحضرها هو ثم جلس قوسو وأكل وشبع شبعاً شديدا ، ولم يعرف من أين جاء بهذا الطعام ولكنه أكل ، لقد سمع مثل هذه القصص في كتاب ألف ليلة وليلة لذلك زال عنه الخوف من هذا الجنى ، واتخذ طريقه وقصد المنزل ، يستفيد من هذا الجنى كلما احتاج شيئا ، وعندما تعب من السير على قدميه طلب من الجنى أن يحضر له حصانا معدا للركب فركبه وسار به .

قال الناس في وقت واحد "هذا فاقهم جميعا حظا"

قال الوزير "اتركوا المديح ، طالما أن السرقة حرفته ، سيأتى الوقت الذى لا تباع فيه السلعة المسروقة حين يسرق متاع الأمير" .

قال الأمير عبد الرحمن "لقد قلت أن جمرو لص ، وهذا قوسو اين تكون السرقة هنا؟" .

قال الوزير "أن لم يقل عن هذا اللص ، الباقون ليسوا لصوصا في الحياة الدنيا ، المال الذى جاء به الجنى له والمتاع هل نسجوه بأنفسهم؟ ، أم أنه متاع خلق الله من أى بلد سرقوه وأحضروه له؟"

قال القضاة "صدقت ، يقال في القصص: صديق اللص لص"

قال الوزير "الأعمى عندما يريد الغيبه يقول راقبوا لى الطريق. هذه القصة تذكرني بقصص داود وطيثا .

رفض أكل القرد فأكل الثعلب

ذات يوم دخل نشال اسمه داود سوق كنو ، فتقابل مع نشال آخر كان يختفى خلف السوق ويمسك مسبحة في يده كالناس الصالحين ، فنظر إليه داود وقال "طنتيا ، أى شرك تنصبه اليوم هنا ، ألا تريد أن تتكلم مع الناس؟"

قال طنتيا "أى شرك أنصبه؟"

قال داود "هلا وجدت ما يسد جوعتك ، بالله عليك قم لدخل السوق نرى ما سيرزقنا الله ، أم أنك شبعت ، ولا تحتاج شيئا؟ ، ها اليوم قد استعد حي فاجي للاحتفال واللهو ، فكل أصحاب الكمان والعود في حي سابون جرى قد اجتمعوا"

قال طنتيا "لقد عقدت النية على أن أتوب عن النشل منذ الشهر الماضي ، والآن ليس لى عمل إلا العبادة ، إذا لم يجد الإنسان ما يحترفه منذ الطفولة يفسد"

قال داود "تركت النشل ، أمر عجيب ، ماذا تأكل؟"

قال طنتيا "لا أكل إلا الأشياء التي أنالها بحيلتي ، الفم الذى خلقه الله لا يحرمه من الرزق"

قال داود "غير أفكارك ، لا تنفع هذه الحيل في مدينة كنو ، ولا بد من الأمر الواقع ، فهل هذه الحيل ستطعمك؟ ، لا تكن كمن يرفض أكل لحم الكلب فيأكل لحم الثعلب".

قال طنتيا "لقد قلت لك أننى تبت عن السرقة ، وتركتها ، إذا كنت أسرق هل أخشى من القول لك ، ولماذا؟ ، هل يخفى عن الحانوتى خبر الموت؟ ، اذهب واتركنى لشأنى ، أي شئ تسرقه احضره هنا أحفظه لك حتى تعود ، حتى لا تظل ممسكا به في يدك فيراه الناس"

قال داود "وهو كذلك ، قول حسن" وقصد السوق.

قال طنتيا "الله يسعدك"

دخل داود السوق وأخذ يقطع جيوب القرويين ويسلب محتوياتها ، فيحفظها له طئيا ، وإن لم يجد مالا ، يخطف قبة أو مقطعا من القماش من أحد التجار ، ويأتي به إلى طئيا فيحفظها له في بطانية قديمة . كلما أحضر شيئا قال له طئيا " خرجت اليوم وأنت محظوظ ، انتبه ، لاشك أن كل ما تركناه مغطى سوف تفتحونه ، عجبنا بعد أن تركنا هذه الحرفة ، وجدنا من يرثنا "

قال داود " دعك من هذا ، الأورييون لهم حيلهم ، إنهم يستعملون الشرطة ، ولم يعرفوا أنهم لو جعلوا كل هذه المدينة شرطة لا يستطيعون منعنا من النشل ، إلا إذا منعوا أهل الريف من الحضور إلى السوق ، ويحك لقد ولدنا في كثر وعشنا في كثر ، ثم يحتالون علينا في كثر ونحن في كثر؟! "

أخذ طئيا يردد قوله " عظيمة كثر كبري بلاد الهوسا ، كل مدينة عدا كثر غابة من غابات الله ، الولد يأتي بكل شيء في مدينة كثر ، اجتهد لترى ، الابن يرث الكبير ، ترك الطعام ليبرد وهو الذي يجعله من نصيب الغير ، ودخل داود السوق وظل يعمل حتى كادت الشمس تغرب .

وفي العصر رأى طئيا شرطيا فتعارك معه فوضع الشرطي القيد في يده ، ووقف على رأسه يضربه ، وربط وسطه بحبل ومسجه به ، فلما رأى طئيا داود من بعيد قادما ببعض المسروقات قال " للشرطي " امسك هذا " ، فلطمه الشرطي ، فأخذ يصيح ويقول يا ويلي يا ويلي ، ليست حاجتي صاحبها قادم هاهو لقد تبت من الشهر الماضي .

عندما شعر داود بذلك غير طريقه فقال طئيا " أين ستذهب؟ ، أقبل ها متاعك "

قال داود " أي متاع؟ ، أقسم بقبر أبي لم أعطك شيئا لتحفظه لي "

قال طئيا " ويحك يا داود ، لأنك رأيت حظي سيئ اليوم تفر مني هكذا؟ "

قال داود " متى فعلنا شيئا معا فأفر منك اليوم؟ ، أنت من فاجى وأنا من هنا ، وما الذى يجمع الشامي على المغربي ، اذهب معه أنت الذى أذنبت "

قال طئيا " الشيء الذى أعطيتنيهِ وديعة هل أنت مسامح فيه؟ ، واذهب بما تحكم به على المحكمة ، وبعد انتهاء الحكم آخذ ما عندى ، فلست أول من سجن في هذه المدينة ، قال داود " أنا لم أعطك وديعة من قبل ، اذهب لحالك لتتال ما تنال ، الحياة مهارة ومضى لشأنه "

فلما اختفى قال طتيا للشرطي " فكنى "

قال الشرطي " كيف أفكك؟ ، غير كلامك ، كيف أقبض على لص وأتركه؟ ، ولماذا يستعملنا الأمير " ودفعه من عنقه إلى قاضي السوق.

سأل قاضي السوق طتيا عما فعل ، فقال " غفر الله لك يا سيدي ، كيف أنشل أسأل الشرطي عما سرقته حتى يقبض على " ، التفت القاضي إلى الشرطي وقال " ماذا فعل حتى تقبض عليه؟ "

ذكر الشرطي الأسباب التي دفعته ليقبض على طتيا ، وكرر الحديث الذي دار بينه وبين داود.

أمر القاضي بجمع كل المال والمتاع ، وكلف من يبحث في السوق عن أصحابها ، " من الذي سرق الآن؟ " فلم يرد عليه أحد ، ما بالك بسوق كبير كثير الحركة مثل كنو ، كل مشغول بما أمامه ، لا يعرف أحد أحدا ، ولو سمع الإنسان من يبحث عمن سرق منه حوالي عشرة شلنات ، وسمعت من يبحث عما سرق منه ثلاثة جنيهاً وشلنان وقرش ونصف ، هل تجيب وتذهب إلى دار القضاء؟

لقد طاف الباحثون السوق فلم يجدوا أصحاب المتاع ، فقال قاضي السوق " الآن ليس لدى الدليل الذي أحكم به ولا أحكم بالظن في هذا الأمر ، لأنهم يقولون الظن إثم حتى لو صار حقيقة ، أيها الشرطي أطلق سراحه ، إذا كانت هذه عادته سوف يكررها ، وأطلق سراح طتيا.

عندما فك وثاقه ركع أمام القاضي وحياء وقال " أصلح الله أمر القاضي أنا عندي شكوي ضد الشرطي لأنه اتهمني زورا وسوء سمعتي في السوق يجب أن آخذ حقي منه "

دمعت عينا الشرطي ، فقال القاضي " الأفضل أن أسالك الآن أن تغفر له وتعفو عن بعضكما ، وتذهب لحالك. " . قال طتيا " وهو كذلك ، أحسن الله إليك يا سيدي لعظمتك غفرت له "

وقام وجمع ماله ومقاطعة الأربعة وخرج ، وقصد الشارع الذي يسكن فيه داود فوجده ، فلما رآه انفجر ضاحكا ، وقال " كم جلدة؟ "

قال طتيا "ويحك كم جلدة ، لو خربت لا أكون أحد أبناء هذه المدينة ، ها المتاع والمال تركوه لى كله"

قال داود "وهو كذلك ، علينا أن نقتسمه لأنه ملكي"

قال طتيا "نفعل ماذا؟ نقتسمه؟ أتقول حقا أم تمزح؟"

لقد قلت لك من قبل أنني تركت السرقة ، وأكل بحيلتي ، ها هي حيلة واحدة بدأت تراها من حيلى التى أكل الطعام عن طريقها ، هاك خمسة شلنات اشرب بها ثريدا .

راى داود ألا يتركه عبثا ، فأخذها ونظر إلى طتيا ، وقال "أذهب أيها الفاسد ، لا بأس سرقة بيت اللص دين"

انفجر الناس في الضحك وقالوا "لابد أن بطتيا هو الذى كره أكل لحم القرد فأكل لحم الثعلب "وانصرفوا وهم يتعجبون من أبناء مدينة كنو.

لقاء قوسو وجمرو ونومو

في اليوم الأول من شهر عيد الأضحى ، أي اليوم الذي قال كبير الزراع لأولاده أن يتقابلوا فيه في المنزل ، وإذا بهم جميعا يلتقون في مفترق الطرق الأربعة ، حيث وعدوا أن يلتقوا ، وصل جمرو أولا ، فأنزل المتاع من فوق ظهور حميره في ظل شجرة وقبدها ، وأخذت ترعي ، وبحث عن مكان وجلس فوق حصيرة مستديرة.

وأثناء الجلوس رأى من بعيد شخصا قادما يركب حصانا فلما اقترب أدرك أنه قوسو فأمسك له الحصان ونزل ، وجلسا يتبادلان التحية ، وأهل المدينة ينظرون إليهما ، وامتنعا عن الدخول لأنهم وعدوا إن كتب الله لهم الحياة أن يجتمعوا ويدخلوا معا.

وهم على هذه الحال رأيا من بعيد شخصا يقبل لا يملك إلا الرداء الذي يرتديه ، وعصا غليظة يعتمد عليها يغنى وهو سائر ، فلما اقترب أدركا أنه أخوهم الأصغر نومو ، فجاء وجلس فتبادلوا التحية ، فنظر إليه جمرو وقال "هل سرقت في الطريق؟"

قال نومو "سرقة ، لا يوجد من يسرقني؟ ماذا ترى؟"

قال جمرو "لا بأس" وفتح متاعه وأخذ قميصا صغيرا ، وقدمه إليه ليرتديه حتى يدخلوا المدينة"

قال نومو "هل تحتقر ما حصلت عليه؟ ، وهو كذلك ، هيا نذهب ، أنا لا أحتقر شيئا ، أحمد الله ، خذ قميصك ، يكفيني ما حصلت عليه" ، وأخذ قميصه ووضعها في الصندوق واستعدوا ودخلوا المدينة معا ، كما خرجوا معا.

وكان أبوهم قد أمر أن يكنس المنزل ويعد الطعام لأنه كان يظن أنهم إذا لم يعودوا جميعا سيعود واحد منهم ، وبينما هو جالس يرقب الطريق ، وإذا بهم يأتون جميعا فقام أبوهم مذهولا من شدة السرور ، فأخذوا متاع جمرو وأدخلوه ، وأنزلوا ما يحمل قوسو ، ودخل الأولاد المنزل وعانقوا أمهم في سرور.

ولما هدأت حرارة اللقاء ، وخفت زيارة الناس ناداهم أبوهم في البهو ، وأخذ يسأل

كل واحد منهم عما فعله والحرفة التي اكتسبها ، وبدأ بجمرو لأنه الأخ الأكبر ، فقص له قصة هذا الصبي الصغير ، الذي كان يخدمه ، والقطعة التي أعطاه إياها وما حدث بينه وبين العفريتة ، كل هذا حكاه لأبيه وأخوته فاستولت عليه الدهشة .

عندما طلع النهار جمعهم والدهم مرة أخرى ، وقص لهم قوسو ما حدث بينه وبين صاحب المزرعة ، وكيف اختار الحظ السعيد من العامري ، حتى تقابل مع ميكوما ، والرجل الصياد ورفاقه ، الذين ضربوه ووضعوه في صندوق ووضعوه في كهف شجرة البابواو ، وكيف ساعده ميكوما وأعطته الجنية الخاتم وشرح ، لهم كل فوائد هذا الخاتم ، ولكي يثبت لهم أن ما يقوله حقيقة وليس خيالا ، نظر إلى والده وقال ماذا تريد يا أبتاه في هذه الحياة الدنيا ، تراه الآن أمامك؟

قال والدهم "أريد لحما مشويا"

ونظر قوسو إلى جمرو وقال "وأنت ماذا تريد؟"

قال جمرو "كرسيا من ذهب"

وقال لنومو "وأنت؟"

قال نومو "طاقة الإخفاء"

نهره والده وقال "كل واحد طلب شيئا طيبا ، وأنت تطلب طاقة الإخفاء؟ ، هل ستعمل بالسرقة؟" قال نومو "لا تزدد ، لقد قلت كل ما يخطر على قلب كل منا ، وهو ما خطر على قلبي " ، فلم يفهم أبوهم شيئا ، فتركهم .

حك قوسو خاتمه ، فرأوا الجن يظهر أمامهم ، ويقف ويقول "نصرك الله ، قل حاجتك ، وعلينا الاستجابة"

قال قوسو "أريد أن تحضر لنا الآن لحما مشويا ، وكرسيا ذهبيا ، إذا وجدت وطاقة الإخفاء ، إذا كانت لديك؟"

وقال الجنى "وهو كذلك لا شيء أعجز عن الإتيان به إلا ما لا يوجد في هذه الحياة الدنيا" ، ثم اختفى ، فتح والدهم عينيه يظنون أن قوسو تعلم السحر ، ولا شيء غير ذلك ، وأثناء ذلك ، إذا بالجنى يعود بكل ما طلب منه ، فمد نومو يده وأخذ طاقة الإخفاء ووضعها في جيبه .

وبمجرد أن كشف جمرو عن هذا الكرسي الذهبي ، رأوا المكان يضاء ، والتفوا حوله وهم يتعجبون ، فقال قوسو لجمرو "ها هو إذا أردت أن تجلس عليه اجلس " .

قال جمرو "بالله عليك أكنم السر ، لا تكن سببا في قطع رقبتى ، حتى أمير سيركا الذي ذكره الحاج أبو بكر إمام في قصة الماء الشافى ، لا يجلس على هذا الكرسي " وأمر جمرو الجنى أن يعيده إلى حيث جاء به ومد والدهم يده وأكل الطعام مع أولاده وتفرقوا .

وفي اليوم التالي تجمعوا مرة أخرى ، نظر الوالد إلى نومو فقال للأخ الأصغ وأنت أية حرفة احترفتها ، أرى أنك لم تأت بشئ ؟ " .

قال نومو "لعلك ترى أن رحلتى فاقت الجميع حظا ، فما وجدته يختلف تماما عنهم ، فهو ليس شيئا ملموسا ، لقد قال القدماء ، كل والمرعى الذي يعجبه ، إذا اشترى صاحب البيت ذنبا فما دخل الجار به "

قال الوالد "وهو كذلك ، فما هى الحرفة التى تعلمتها؟ و، ماذا نلت منها؟"

قال نومو "الحرفة التى تعلمتها ، ليست تجارة الكسالى ، لقد نلت العلم والذكاء " فوضع الأب يده على رأسه وقال "لقد تعلمت شيئا عظيما ، أى فرع من فروع العلم تعلمت؟ ، التفسير أم اللغة أم النحو؟"

قال نومو "لا أتعبك با أبتى أنا لم اتعلم شيئا من هذه العلوم ، لقد تعلمت السرقة وتفوقت فيها حتى صرت رئيسا للصوص " .

قال الوالد "السرقة ، والعياذ بالله ، اللهم احفظنا من هذه الحرفة التى تعلمتها ، أى قلب أسود جعلك تحترف هذه الحرفة"

قال نومو "ما ذنبى في هذا؟ ، لقد سمحت أن يحترف كل منا الحرفة التى يريدتها وهو كذلك ، لقد رأيت أن السرقة أكثر ربحا لى لذلك احترفتها " ، وقص له كل ما حدث بينه وبين اللصوص .

ضحك باقى إخوته ساخرين منه وقالوا لن نعيش معه مرة أخرى ، فقال الأب ، صدقتم فكيف يعيش ثرى مع لص في منزل واحد، إن هذه المعيشة تكون كاذبة ، قال إخوته يجب أن يطرد من المنزل ، أو يخبر الأب الأمير ليسجن ، فقال الأب "وهو كذلك، كيف تفعل ذلك، هل يطعن الإنسان نفسه ويتفاخر بذلك؟" ، ونظر إلى نومو وقال

"لا حول ولا قوة إلا بالله ، لقد صرت فينا كالعضو المصاب بالسرطان إذا تركناك ستصيب إخوتك ، وإذا قطعناك لا نجد لك بديلا " .

قال نومو " لا يا أبتى ، أرى أنك تلعتنى ، لقد جعلتني أفسد دون ذنب لى كما باركت ودعوت لكل واحد دعوت لى ، فعندما افترقنا لم تقل لنا ألا نختار حرفة السرقة ، قلت الحرفة التى ترونها "

عجز الأب عن الرد ، وعفا عن نومو ، وعاشوا معا مرغمين ، ولكن كان إخوته يسخرون منه ، ويلومونه ، وإذا سار معهم في طريق يقولون " هذا الولد الشقى ليس أخونا "

وهم على هذه الحال رأى جمرو ابنة أمير المدينة فالح على والده ليتزوجها ، وما أدراك ما التنافس بين الإخوة ، رآها قوسو ، فالح هو الآخر على والده ليتزوجها ، وسيفعل كل ما يطلبونه من أجلها ، ولم يتدخل نومو في الحديث ، وقال في نفسه " يجب أن أتدخل وأطلب هذه الفتاة للزواج مثلهم ، إنى أعرف طبع أبى ، إذا رأوا أننى تركت هذا الأمر ينظرون إلى نظرة وضعيه ، لأننى فقير "

فقال لوالده أنه يريد أن يتزوجها هو أيضا .

عندما سمع الأب كلام نومو قال " الحى لا يعدم الحركة ، فعليك أن تتحرك ، لقد سمعت إخوتك الأثرياء يخشون من الحديث معك ، فما بالك عندما تتفاخر بحرفة السرقة ؟ ، كأنك لص كبير "

قال نومو " طالما أنك أنجبتنى ، ولست ابن زنا ، لابد أن تفعل لى ما فعلت بإخوتى " ، فقال الأولاد معا لأبيهم لابد أن يخطب لهم ابنة هذا الأمير .

قال الأب " يجب أن تصبروا وتتركوها لواحد منكم ، إذا وافقتم أذهب أطلبها له " أصر كل واحد من الأولاد على أن يتقدم إليها وأنه لا يستطيع تركها ، إلا إذا عجز وخارت قواه ، وأرغموا الأب على أن يذهب إلى الأمير ، ويبلغه رسالتهم جميعا ، وكاد الأمير أن يأمر بضرب والدهم ، بسبب هذا التهور ، قال الوزير " نصرك الله ، من يقول أنه يريد توطيد علاقة الود معك لا يكرهك ، يقول الناس " إذا سمعت الأعمى يقول نلعب بالحجارة ، فأعلم أن في يده حجرا "

قال الأمير "كلامك هذا مسموع أيها الوزير؟ ولكن ، ماذا ترى أفضل ما نفعل؟"

قال الوزير "يجب أن نسأله عما يستطيع كل واحد من أبنائه أن يفعله بالنسبة لهذا الأمر ، فإذا علمنا كل ما يتفاخر به كل منهم ، نستطيع أن نجربه بالأسلوب الذي لا يستطيع القيام به ، وبذلك نتخلص منهم واحدا واحدا ، لعجزهم عما طلبنا منهم دون ضربهم."

قال الأمير "كلامك هذا لا يرد ، وأمر من ينادى كبير المزرعة طالما كان الوزير ينوي الحديث خرج كل الناس - فلما دخل كبير المزارعين ، سأله الأمير عن حرفة كل أبنائه ، الأمر الذي جعلهم لا يريدون الزواج من أكفائهم ، ثم اتجهوا إلى ابنة الأمير ليتباروا في خطبتها."

قال كبير المزارعين "الكبير لا يملك إلا المال ، والذي يليه يستطيع أن يفعل كل ما تريده في الحياة الدنيا ، والصغير نصرك الله اغفر لى ، عندما خرج يبحث عن حرفة في هذه الدنيا تعلم السرقة ، حتى صار لشهرته رئيسا للمصوص."

قال الوزير "ألم تسمع الآن ، نصرك الله ، يجب أن نحدد لكل منهم الصداق الذي يدفعه بالأسلوب الذي تميزه به."

قال الأمير "هذا الأمر فريضة أيها الوزير " ، ونظر إلى والدهم وهو يتسم وقال "اذهب وأخبر ابنك الأكبر أن صداق أبتى ألف جنيه يحضرها بسرعة ويستعد للزواج" أسرع أبوهم وقال لجمرو ، ولم يكذب ينفذ مجلس الحاشية حتى رأوا كبير المزارعين يحضر المال ويقدمه إلى الوزير فقدمه الوزير إلى الأمير."

نظر الأمير إلى الوزير وقال "أيها الوزير ها هو قد أحضر الصداق فما العمل؟"

قال الوزير "نصرك الله ، الرجل الذي يقدم ألف جنيه صداقا ، لا يكون من عامة الشعب ، وهذا يستحق الزواج ولم يقل من قبل ذلك أن بنات الأمير لا يتزوجن الأثرياء ، الأفضل أن نضع شروطا للباقيين حتى يتركز اهتمامنا على هذا ونستريح من هذا الأمر ، ولو علمنا ذلك لحددنا صداق ابنتك بألفي جنيه."

قال الأمير "اسكت أنت " ونظر لكبير المزارعين وقال "اذهب وقل من يليه ، الذي قال أنه سيقدم كل ما أطلبه ، قبل الغد في مثل هذا الوقت بينى لى متزلا طوله ماتنا قدم،

وعرضه مائه ، وارتفاع الحائط لا يراه من يركب الحصان ، ويكون له اثنا عشر عمرا ، يعبرها الإنسان قبل أن يدخل المنزل ، ويبنى فيه أربع حجرات وطرقه ، وأن يكون لكل الحجرات والممرات دعائم في السقف ، ويفرشها بكل أنواع السجاد والقطيفة وكل أدوات الزينة .

شعر كبير المزارعين بالعجز ، لأنه رأى أن هذا الطلب من الصعب تحقيقه ، فاستأذن من الأمير ، وقام ، وذهب فوجد قوسو ، فقال له كل ما حدث ، فقال قوسو " لا بأس ، يصلح الله الأمر " ، وحك الخاتم ، وفي الحال ظهر الجنى فدلّه على المكان الذي طلب الأمير أن يبنى فيه القصر قبل الصباح ، وكل التفاصيل التي طلبها ، وسأله هل يستطيع مساعدته ، لأن الأمير وعده أن يكون هذا هو صداق ابنته التي يريد أن يتزوجها "

قال الجنى " هذا أمر يسير ، طالما أنك تملك هذا الخاتم ، تأكد أن شيئا واحداً ليس لى سلطان عليه هو الروح ، لا أستطيع أن أنفخها " ، ثم اختفي .

جلس الأمير مع الوزير يضحكان ، ويقولان " رأيت لقد تخلصنا من هذا " ، وقام الأمير وانصرفت الحاشية .

عندما طلع النهار استيقظ الأمير فأطل من النافذة ، فإذا بقصر ضخم كأنه هبط من السماء ، فلم ينتظر حتى يغسل عينيه ، وقام وذهب إلى هذا القصر ودخل وأخذ يتجول فيه وهو في غاية الدهشة ، قصر من الطوب ولكنه كالأسمنت ، كل عمر يدخله يجد المقاعد والسجاجيد وأدوات الزينة أنواعا مختلفة ، إذا تجاوزها ودخل الأصبطل وجد الخيول ، والطوارق المثلثين لأعمل لها إلا قضاء الوقت في استرخاء ، وعندما دخل مخزن القصر رأى كل شيء معداً ، والخدم والجواري يروحون ويجيئون في القصر ، وكل حجرة نوم يدخلها إذا نظرت إلى السرائر والفرش والسجاجيد تأخذ بالأبصار ، ويرى أنها أفضل مما رأى من قبل ، المتاع الذي فرشت به كل حجرة ، أفضل من السابقة عليها ، أمر يفوق الوصف ، فلما رأى ذلك بعث إلى الوزير ، فجاء فكان أكثر دهشة .

وهم على هذه الحال عجزوا عن الخروج من شدة الدهشة ، وإذا بكبير المزارعين يدخل ، فركع وحيا الأمير وقال " ها هو القصر يقول أنه انتهى ، هل بناء كما تريد؟ " .

فأخذ الأمير يقلب كفيه فقال الوزير لكبير المزارعين " اذهب وقل له ، لقد أعجبنا كثيراً " فخرج كبير المزارعين .

قال الأمير للوزير "وهو كذلك ، ما العمل ، ماذا ستفعل الآن؟ لا بد أن هذا العمل عمل الجن"

قال الوزير "هذا لا يحتاج إلى كلام ، الأفضل الآن أن نخبر ابنه الأصغر ماذا سيفعل بحرفة السرقة ، حتى يعجز ، فلنستدعه ، ونفعل معه كما فعلنا مع الآخرين ، لأن الذئب الهرم لا يخاف من الكلب ، ولذلك حتى لو بارت ابنتنا لا تتزوج من كبير اللصوص"

قال الأمير "هل يقدم أحد على هذا ، ربنا، يسر إن شاء الله وأحياناً في الغد أبعث إلى كبير المزارعين ليأتي مع ابنه الأصغر كبير اللصوص ، ونرى ما يتفأخر به .

قال الوزير "رفعك الله ، وهو كذلك ، واليوم نفكر ليلاً في الأمور الصعبة التي ستكلفه بسرقتها" ، وركع وقال للأمير " أتركك بسلامة الله " ، وقصد منزله .

عندما سمع الوزير البيغاء وحاذق يتوقف فقال "بالله أمض وأكمل القصة لنسمع ، إنها قصة واحدة قطعناها لتقصها في عدة أيام ، هذا عمل غير جميل وغير مفيد ، ويعلم عملاً سيئاً، قال حاذق "لو لم تتكلم اليوم لوصلت الحديث"

اختبار نومو كبير اللصوص

عندما طلع النهار ، بعث الأمير إلى كبير المزارعين ليأتي مع نومو ، وقال له " طالما قلت أن السرقة هي المهنة التي تتباهى بها إذا كنت ممن يطلبون ابنتي سأجربك بأربعة أشياء ، إذا فشلت في واحدة أقتلك ، لأنك جئت لتسرقني ، هل توافق؟ " .

قال الأمير " غدا تأتي وتسرق خاتمي ، ها هو سأضعه فوق المائدة بالنهار أثناء اجتماع رجال الحاشية ، ولا أوافق على استعمال طاقة الإخفاء " .

قال نومو " وهو كذلك اسأل الله أن يعطينا إلى الغد " ، وأستأذن وانصرف .

قال الناس غدا نستعد لرؤية الخوارق ، كيف سيسرق الخاتم أماننا في وضوح النهار ، ونحن نرى ونسمع ، بدون طاقة الإخفاء .

وفي اليوم التالي أخرج الأمير الخاتم ووضعها على المائدة ، وأحاط به رجال الحاشية ، وأخذوا يتحدثون ، وهم متأكدون أن الخاتم لم يسرق ، وبينما هم جالسون ، حضر رجل عجوز يحمل سلة ، وأطل في المجلس وهو يتسول ويقول " اللهم ارزقهم ، اللهم اجعلهم من الناجين " .

فلما رآه أحد رجال الحاشية رجره وقال له " أنت اذهب من هنا ، ألا تعرف أن هنا قصر؟ ، هل الشيخوخة جنون؟

قال الأمير " دعه يتسول ، الآن هو في عقل الصبي ، وغافل العجوز عيونهم وأطلق من سلته أرنباً في الممر " .

فلما رأى رجال الحاشية ذلك قالوا " ها أرنب ها أرنب!! " .

قال الأمير " اتركوه ، وانتبهوا لما تعملون " ، ثم أطلق العجوز أرنباً آخر ، فصاح رجال الحاشية " ها أرنب آخر ، لقد صار اثنين إنهما سمينان ، ربما أنثى وذكر ، إن شكلهما مفرح ، والأفضل أن تجمعهما مع الحيوانات التي يربها الأمير " .

قال الأمير " حتى الآن ما ربيت الأرانب قط ، ولكن استمروا في عملكم " ، والعجوز واقف يتسول ، فأطلق واحداً آخر .

فهب الأمير واقفاً وقال "أسرعوا وأحيطوا بهم وامسكوهم ، لأضمها إلى ما أرعى من الحيوانات ، قدم الناس وأخذوا يتتبعون الأرانب في المنزل ليمسكوها ، وتركوا الخاتم فوق المائدة ، فلما أمسكوا الأرانب وعادوا ، قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقال " من الذي أخذ الخاتم الذي كان هنا الآن ؟ " ، فلم يرد أحد ، وأخذ كل رجال الحاشية يبحثون في التراب فلم يجدوا الخاتم ولا أثر له .

وبعد الظهر إذ بنومو يأتي بخاتم الأمير ، ويحييه ويقول "ها هو نصرك الله " أخذ الأمير الخاتم ونظر إليه فتأكد أنه خاتمه فقال "أنت كذاب لقد استعملت طاقة الاختفاء ، وأخذت الخاتم ، نحن اتفقنا على عدم استعمال طاقة الاختفاء " .

قال نومو "لم استعمل طاقة الاختفاء ، نصرك الله ، أنا الذي لبست كعجوز ، وجئت لأتسول عندكم من قبل في الضحى ، وأطلقت الأرانب لتبعوها ، فهذا ليس أمراً صعباً وعليكم أن تقول الاختبار الثاني .

تعجب الأمير وقال " وهو كذلك ، اليوم تأتي بالليل وتسرق حصاني الأصفر الكميث طشتينو نومو " . كبير اللصوص حيا الأمير وخرج قاصداً منزله ، فأخذ إخوته يضحكون عليه .

وقبل أن تغرب الشمس ذهب ويبحث عن قدر للبيرة واشتراه ووضعها في المنزل ، ولما انتصف الليل ، لبس ثياب امرأة عجوز وأخذ قدر البيرة ، وقصد قصر الأمير ، وقبل أن يصل هطل مطر غزير ، وأغرقه المطر ، فوصل إلى قصر الأمير مبلاً يرتعش من شدة البرد ، فوجد الأمير قد خصص ثمانية رجال من الشرطة لحراسة الحصان ، و يحمل كل منهم الجراب مملوءاً بالحرايب ، ووجد أربعة منهم يمسكون الحصان ، أحدهم يمسك المؤخرة والثاني يمسك رمامه والثالث يمسك الذيل والرابع يمسك وهو راكب عليه ، وأحدهم وهو الكبير يدور حول المنزل ليحرسه ، عندما خرج إلى عمر الأصطبيل وأطل منه رأى امرأة عجوزاً بقدر تباع البيرة مبللة الثياب ، ترتعش وتصطك أسنانها من شدة البرد . وتجلس القرفصاء تحت الحائط من الخارج ، فخرج وزجرها قائلاً "أنت أيتها العجوز أين ستذهين؟" .

ركعت العجوز وجسمها يهتز وارتعشت وقالت لهذا الشرطي "خرجت إلى السوق ، ودخل الليل على ، وفاجأني المطر ، لذلك جئت إلى هنا أختبئ ، جئت بالبيرة من القرية لأبيعها ، وها قد أقبل الليل ولم أصل إلى السوق " .

اقترب الشرطي وسلب منها قدر البيرة ، ورفع رأسه وأخذ يشرب البيرة ، لعلاج النوم ، ولم يدر أنها مخلوطة بالمخدر ، فقالت العجوز "بالله عليك ترفق حتى لا تكسر لى القدر"

فنهرا وقال "قدر ملعون أي قدر هذا الذي تملكينه؟"

وملاً بطنه بالبيرة ، وانتحى جانبا وأخذت رأسه تتمايل من النعاس ، وجلس ليرتاح ويعود بعد ذلك إلى عمله ، وأخذت البيرة تستولى على عقله ، وأخذ المخدر يعمل عمله ، ولم يتركه إلا بعد أن نام ، فلما أدركت العجوز أنه قد نام ، قامت برفق وسلبت ملابسه وعمامته ، ولبستها ، وأخذت حزامه وقصدت حيث الشرطة يحرسون الحصان ، وقالت لهم على أنها رئيسهم "الا تعرفون عند خروجي تقابلت مع هذا المجرم ، أعددت السهم لأصوبه عليه ، ركع وأخذ يسألني المغفرة فأشفقت عليه وتركته ، بعد أن جعلته يقسم ألا يعود أبدا ، ولينم كل من أراد النوم ولا بأس ، ولا يخشى أحدكم شيئا وإذا سألكم الأمير في الصباح فأخبروه أنني الذي أمرتكم ، وإذا فضلتكم البقاء فلا بأس ، أما أنا فلن أتعب نفسي من أجل خمسة وعشرين شلنا ، أنتم ترون نومتي " ، ثم أخذ يحدث صوتا كمن يغط في النوم .

ولما سمع باقي رجال الشرطة كبيرهم يقول إذا حدث شئ في الصباح يقولون أنه هو الذي أمرهم ، فماذا يحملهم على التعب؟ ، فناموا جميعا وأخذوا في الشخير فلما رأى نوموا أنهم غرقوا في النوم حتى الشخير ، قام وخرج وأخذ المتاع الذي أخفاه ويبحث عن فروع خشب ذى شعبتين ، وحفر حفرة وثبته فيها ، فرعان في الخلف وآخران في الأمام ووضع بعض الأخشاب عليها كأنها منسوجة ، وأخذ ما على الحصان ، ووضع فوق خيال المآته ، وهو نائم لا يشعر بشئ ، وأخذ حبالا وربطها في هذا الخشب ، وأعطى الشرطي الذي يمسك ذيل الحصان والذي يمسك زمامه الحبال ليمسكها ، وهما نائمان لا يشعران بشئ والذين يمسكون الأرجل أعطى كل واحد منهم طرفا من الشجرة وليمسكه ، وفك الحصان وربط له قطعة من القماش في الحافر وسحبه وتسلل به وترك الجنود يغطون في نوم عميق ورئيسهم عند باب القصر قد سيطرت عليه البيرة :

عندما طلع النهار فتح الأمير القصر فرأى ما فعل نومو بكبير رجال الشرطة فأنصرف وهو مملوء بالغضب ، ومع ذلك انفجر في الضحك ، وخرج وتركهم يغطون في نومهم العميق وبعضهم يمسك بخشبة في يده ، والبعض الآخر يمسك حبالا ، فبعث من يوقظ

الوزير فجاء وأخذوا يضحكون ثم أخذ الأمير سوطا ، وانهال عليهم ضربا فقاموا مذعورين يجررون.

وفي الضحى أقبل نومو وهو يسحب الحصان ، وقدمه للأمير ، فغضب وقال " تأتي اليوم ليلا وتدخل حجرتي وتسرق البطاطين التي أنام عليها ، وسأحمل بندقية إذا جئت ساقتك بها ، وأريد أن تأتي اليوم ، وليس غدا أو بعد غد ، ولن أجعل أحدا يحرسك " قال نومو كبير اللصوص أسأل الله أن يحيينا إلى الغد " ، وهب قائما ، وقال " أنا القوى أنا نومو ابن كبير المزارعين "

وفي المغرب ذهب إلى المقابر ، ويبحث عن قبر جديد ونبشه وأخذ جثة وحملها إلى المنزل وأحضر سلما وخبأه ، وفي الليل قام وأخذ الجثة والسلم وقصد قصر الأمير ودخله ، وقصد الصالة فوجد النافذة مفتوحة ، والمصباح مشتعلا كالشمس ، فأسند السلم على النافذة تماما ، وحمل الجثة على كتفه وصعد بها السلم ، حتى صار رأس الجثة مقابلا للنافذة تماما فرآه الأمير ، فصوب عليه البندقية تماما ، وأصاب الجثة في الرأس ، فترك كبير اللصوص الجثة تسقط على الأرض .

قال الأمير لربة البيت التي كانت معه «هل سمعت لقد قتلته ليرتاح الجميع ، هل يقال أن ابنتي لم تجد من تتزوجه إلا لصا ؟ ، لا يكون هذا " ، ثم قام وأخذ المصباح وتبع السلم ونزل ليرى .

وأثناء نزوله دخل كبير اللصوص من النافذة ، وقال لامرأة الأمير " أعطني هذه البطانية التي كنت أنام عليها لألتف بها ، هذه العاصفة الباردة كالثلج ، البرد الشديد لا يستطيع الإنسان أن يصبر حتى يمر "

كل هذا الأمر في الظلام فظنت المرأة أنه الأمير ، فأخذت البطانية من فوق السرير وركعت وسلمتها له ، وقالت " لقد استرحنا من هذا الملعون "

قال نومو " لقد كان مهملا من قبل ، ولم نعامله بشدة " ، ويقول هذا وهو يصلحها ، وعندما سمع الأمير يصعد ، غير طريقه وخرج من النافذة ، وذهب بالبطانية .

عندما صعد الأمير بالمصباح قال للمرأة " لقد قتلته ، ولكن أشعر أنه ليس هو لأن هذا له لحية ، والآخر شاب ، لم تكتمل لحينه ، ربما هذا المجرم قد تحول "

قالت المرأة "يستطيع"

نظر الأمير فلم ير البطانية ، فقال للمرأة "أين البطانية؟"

قالت المرأة "أية بطانية غير التي جئت وأخذتها الآن؟"

قال الأمير "متى جئت وأخذت البطانية؟"

شرحت له المرأة ما حدث ، فلما سمع ذلك قال "لا حول ولا قوة إلا بالله ، وأدرك ما حدث ، فلما طلع النهار قال للوزير ، وأثناء ذلك جاء كبير اللصوص بالبطانية ، وحياتهم ، وسلم الأمير البطانية ، وإذن له الأمير بالانصراف ، فعاد إلى المنزل وتركهم ينفذونها.

وأثناء ذلك جاء إمام المدينة ومؤذنها وحييا الأمير ، وعندما سمعا الأشياء التي قام بها نومو مع الأمير تملكه الغضب ، فنظر إلى الأمير وقال "نصرك الله ، هذا الخبر لا ينبغي أن نتركه ليسمعه الناس ، لكي لا يضحكوا على غبائنا ، هذا خطاكم ، دائما لا تستشيرون أحدا ، كأن كل ما يقوله لك الوزير يكفي ، هل يستشار شخص واحد فقط؟. لو أخبرتموني بهذا الأمر، ويحكم ، نومو هذا عبث ، ألم تكن تمسح مخاظة منذ سنوات قليلة ؟" ، رأى الأمير أنه يحتقره ، ها هو قد شاخ لذلك خفف الأمير عنه، ولم يدرك أن الأمير يهون عليه الأمر.

خرج الإمام وترك الأمير بعض نواجذه ، وإذ بكبير اللصوص يدخل ، فنظر إليه الأمير غاضبا وقال "اليوم تسرق لى الإمام في الليل ، وتأتينى به غدا في الصباح ، هذا هو عملك الرابع"

قال كبير اللصوص "بالنسبة لهذا ، هذا أمر بسيط جدا ، إننى لم أتول رئاسة اللصوص إلا عن جدارة" ، وحييا الأمير وخرج.

عندما وصل إلى المنزل وسمع اخوته ما حدث قالوا "دعوه لا ينام الإنسان كل يوم على السرير وليس كل مرة تسلم الجرة حتى لو كان أمهر اللصوص ، وليس كبير اللصوص كيف يستطيع أن يسرق إنسانا؟"

لم يقل لهم كبير اللصوص شيئا ، وخرج إلى مصب النهر بسلة ، وأخذ يصطاد الكابوريا ويضعه في السلة ، وعندما امتلأت تماما حملها وجاء بها إلى المنزل وأخفاها ،

وذهب إلى السوق واشترى مجموعة من الشمع واشترى صندوقا وأحضره إلى المنزل ،
وضمه إلى ما اشتراه وفي منتصف الليل خرج وقصد المصلي بهذه الأشياء ، وكانت
المصلي قريبة من منزل الإمام ، وعند دخوله المسجد أخرج الكابوريا من السلة وأطلقها
والصق لكل واحد منها شمعة ، وأشعل النار فوقها كالمصباح ، وفعل ذلك مع الجميع ،
وأطلقها في المصلي تتجول ، ثم قام وأخذ يؤذن ، بعد أن لف جسده بملاءة ، من قماش
أبيض .

عندما سمع الإمام الأذان ، خرج ظنا منه أن المؤذن خدعه ، وعند دخوله المنزل رأى
أن المسجد كله مضاء ، ومئات من المخلوقات تتجول فيه ، والمصباح مشتعلة على ظهورها ،
ورجل شديد البياض يمسك مسبحة ، فتراجع الإمام للوراء ، وهو يقول " لا حول ولا قوة
إلا بالله " ، وكاد يجرى فقال له نومو " لا تخف لقد بعثت إليك ، وقيل أنه لولاك لكانت
ذنوب الناس كافية للخسف بهم ، لذلك أمرت أن أتى وأذهب بك ليرى الناس مثالا من
مدينتكم فيهتموا بأمور الدين "

نصرك الله لم أر إماما جاهلا أبدا مثل هذا الإمام ، لم يكن مسلما كاملا ، كان مثل
المجوس الذين لا يعرفون حقيقة الإسلام ، استمع إلى كلام نومو وركع أمامه وقال " وهو
كذلك "

أخذ نومو كبير اللصوص الصندوق وقال " ها ما امروني أن أحملك فيه ، وأطير بك
إلى السماء ، عليك أن تبدأ التسبيح إذا طرت بك . "

وبجسم يرتعش دخل الإمام الصندوق ، وتكور فيه ، وأغلق نومو الصندوق وأحضر
حبلًا وربطه ، بطريقة لا تسمح له بالخروج ، وربط الصندوق في حبل وأخذ يسحبه
وقصد منزله ، بينما استمر الإمام في الذكر حتى جعلته حرارة الشمس يتوقف ، إذا
صعدوا جبلا يشعر الإمام بضربة في أعلى الفخذ ، فيتألم حيثذ يقول كبير اللصوص
" انصت ، لقد وصلنا إلى السماء الثانية ، وتجاوزنا السماء الأولى " وعندما دخلا حجرة
واسعة تدحرج الصندوق ، فاصطدم فم الإمام بالأرض وشعر بالآلم فأخذ يصرخ .

قال كبير اللصوص " انصت ، أكثر الذكر لقد وصلنا إلى السماء الرابعة "

اللهم احفظنا من أعمال الجهلاء ، وبعد ذلك أخذ نومو يجرى ويوحى إليه أنه يطير
حتى وصل إلى بحيرة ، فسمع نقيق الضفادع في البحيرة ، فقال له " لقد وصلنا إلى
السماء الخامسة ، الا تسمع ، إنهم يرحبون بك ، فأكثر من الذكر "

بالغ الإمام في الذكر ، وبعد قليل وصل نومو إلى منزله ، ففتح حجرة الحمام ، ودفع الإمام فيها وأغلقها ، وازداد هديل الحمام فقال نومو "نم واكثر من الذكر ، حتى يأذن الأمير بدخولك ، أنت الآن في السماء السابعة ، هذه التحركات التي تسمعونها الملائكة الطيارون يرحبون بك ستسمعونهم يقولون قو قو قو لغتهم كصوت الحمام ، وسأذهب للحصول على الإذن بدخولك " ، وذهب نومو ونام ، واستغرق في النوم وترك هذا الجاهل يذكر .

وعندما طلع النهار حضر نومو وفتح حجرة الحمام وسحب الصندوق وقال له "سمح أن أذهب بك إذا تنبهت ترى النور يسطع ، ليس كنور الدنيا التي تركناها " ، وأخذ يجره حتى قصر الأمير ، وحياء والإمام يتعجل فتح الصندوق ليرى ما سيرى ، قال كبير اللصوص للأمير " ها تحيه بسيطة من تحياتنا أحضرتها إليك ، افتح بنفسك لترى "

قام الأمير وفتح الصندوق ، وإذ بالإمام بداخله وقد احمرت عيناه ، ويده المسبحة ويذكر الله ، كما قال له كبير اللصوص أن يفعل ، عندما رآه الأمير على هذه الحال ، لم يتمالك نفسه وانفجر في الضحك ، وكاد الحاضرون يغصون من كثرة الضحك ، وأمسك الأمير كبير اللصوص ، وجذب القبعة التي فوق رأسه ، والعمامة التي يلفها حولها ، وقال "لقد تأكدت من رئاستك للصوص ، أما مسألة الزواج فيجب أن أبحثها مع ابنتي ، لشدة خجل هذا الإمام لم يستطع الخروج لذلك حملوه وأخذوه إلى منزله .

وعندما تفرقوا نظر الأمير إلى الوزير وقال "أيها الوزير ما قطع عنقك غير لسانك ما العمل الآن؟"

قال الوزير "لا شئ نفعله إلا أن نبحث عن وسيلة نهذا بها الباقين حتى يصبروا ونزوجهما لقوسو ، لأن من بنى مثل هذا القصر في ليلة واحدة لا يستطيع أحد أن يجادله " قال الأمير "صدقت ، علينا أن نبعث لكبير المزارعين ليأتى بهم جميعا ، وعندما جاء بهم أخذ الأمير يصبر جمرو ، ونومو ، حتى يزوج قوسو ابنته ، قال جمرو أنه موافق ، أما نومو فقال أنه لن يوافق على هذا أبدا ، إلا إذا منع بالقوة ، إن الأمير بذلك يكون قد حاد عن الحق "

عندما سمع الأمير ذلك ، نظر إلى الوزير ، غضب الوزير من كلام نومو ، وقال "ما هي صناعتك؟"

قال "السرقه"

قال الوزير "وهو كذلك ، هل رأيت في حياتك أو يحتمل أن يقال أن ابنة الأمير لم تجد من تتزوجه إلا اللص؟ ، إذا كنا نحن الذين انجبنا ابنتنا فقد روجناها قوسو .

عندما طلع النهار اجتمع الأمراء ، لعقد القران فأمر الأمير لرئيس القصر ، أن يذهب إلى الخزانة ليحضر له ملابس التشرية ، ورتبه العظيمة ، فأسرع رئيس القصر ، ثم عاد مسرعا ، فارتبك الجميع وركع أمام الأمير وجسده يرتعش ، وقال "نصرك الله ، كل خزائن الثياب قد سرفت ، كل الملابس لم يبق منها إلا هذه البطانيه القديمة ، التي كان فيها ثياب الأمير"

صمت الناس جميعا وهم يستمعون هذا الحدث العجيب ، وكاد الأمير أن يفتح فمه ليتكلم ، وإذا بالمستول المالي يدخل مسرعا ، وعمامته في يده ، ويركع أمام الأمير ويقول "نصرك الله ، ارحمنى ، تبت واتبعتك"

قال الناس "ماذا حدث"

قال المستول المالي "لقد سرق اللصوص بيت المال اليوم تماما ، ولم يتركوا مليما واحد إلا المليم الذي وجدته على الباب"

وأثناء رواية هذا الخبر ، وإذا برئيس الحرس يدخل مسرعا ويقصد الحاشية بدون سروال ، وكاد أحد رجال الحاشية أن يكلمه فرآه يركع أمام الأمير ويقول "نصرك الله ، الأصطبل خلى اليوم من الخيول ، فقد سرق الجميع"

هب الأمير واقفا ، وإذا بالجارية تخرج من القصر ، وتركع وتقول للأمير "اجتمعنا لنحنى العروسة فبحثنا في كل مكان في القصر فلم نعثر عليها"

فأرأوا الأمير يصمت ثم نظر إلى الشرطة وفمه يرتعش وقال "اذهبوا بسرعة وأتوني بنومو" ، اندفع رجال الشرطة مسرعين ، وقصدوا منزل والد نومو وعادوا بعد قليل يقولون:

"لقد غادر المنزل منذ مساء أمس ليلا" ، بعث الأمير الناس في كل مكان يبحثون عنه ولكن لم يسمع أحد عنه خيرا"

نظر البغاء الوزير إلى حاذق وقال "هكذا؟ ، هذا ما كنا لا نريد أن نسمعه من قصص اللصوص ، وهو أنهم يجدون السعادة في انتصارهم على الناس الطيبين"

قال حاذق " من هم الناس الطيبون فيهم ، لقد قلت أنهم الثلاثة لصوص"
قال الوزير البغاء " وهو كذلك ، قصتك هذه ضاقت الناس ثلاثة أيام، نقص قصة
واحدة ، دعني أقص لكم قصة قصيرة بعد أن نقوم للصلاة".

قصة الخياطين الثلاثة

فى إحدى البلاد كان يعيش ثلاثة خياطين ، لم يعرف أبدا المكان الذى يشترون منه القماش الذى يخطونه ، حتى ظن الناس أنهم يستوردونه من بلد آخر ، والبعض قال أنه ربما لديهم جن يأتون لهم بالقماش ، ولكن لم يكن شىء من هذا حقيقة ، وإليك ما كانوا يفعلونه فكانوا يجتمعون كل يوم فى منتصف الليل ، ويتخذون طريقهم إلى مقابر المدينة ، حيث يدفن الموتى ، وينبشون المقابر الحديثة ، ويسحبون الأكفان من فوق الموتى ، ثم يعودون بها إلى المنزل ، ويصنعون منها الثياب والسراري ويبيعونها .

وكان من عادة أهل هذا البلد إذا مات ثرى فيها ، يضعون معه متاعه كله ، فيحفرون حفرة كبيرة ويضعونه فيها ، ويأخذون حجرا كبير ويضعونه على فوهة القبر ، وذات يوم مات وزير هذه المدينة ، فذهبوا إلى المقابر وحفروا له قبرا كبيرا وفرشوه بالقطيفة والحرير والبطاطين ، ولما انتهوا من إعداد المقبرة حملوا الوزير ، والبسوه قفطانا وجبة ، وسروالا مزخرفا ، ولفوه فى عباية ، إذا رأيته يخيل إليك أنك إذا قلت له " أطال الله حياتك " سيرد عليك ، وجاءوا بخاتم من ذهب ووضعوه فى إصبعه ، وحملوه إلى القبر ، ودفنوه ، وأتوا بصخرة كبيرة وسدوا فوهة القبر .

ولما تفرق الناس ، حضر الخياطون الثلاثة إلى القبر ، ليسرقوا ما فيه ، وكان كل ما يسد حاجتهم فى كل هذا هو الخاتم الذهبى ، لأنه يساوى فى القيمة كل ما فى القبر ، عند وصولهم عند فتحة القبر صمتوا تماما ، وأخذوا يفكرون فىمن سيدخل ليسلم المتاع ، فتراجع كل واحد ورفض الدخول ، وطلب من أخيه أن يدخل ، قال كبيرهم ، الصغير ينبغي أن يدخل ، فقال الصغير " لا ، هذا المكان يدخله الكبار " وهكذا أخذوا يتحاورون ، حتى بادر الصغير وقال أنه سيدخل ، وفتحت المقبرة ، يقول المثل من كتب له أن يعيش للعام القادم سوف يعيش . وعندما فتحت وهم بالدخول قال من يليه " إذا أخذت الخاتم انتبه حتى لا يقع منك " ، التفت وقال " ما شأنك ، إذا وقع منى أو لم يقع ، ألم يمنعك الخوف من الدخول ؟ " .

ودخل وأخذ يسلمهم المتاع ، وهم يأخذونه ويضعونه ، وأخذ الخاتم وأخفاه فى ثنية سرواله ، واستمر فى تسليمهم المتاع ، وبعد قليل بدأ يسلمهم الفراش ، فقال الكبير " ألم أقل لك خذ الخاتم ولا تنسه ؟ "

قال " خذوا هذا وأنا خارج " ولما انتهى من تسليمهم باقى المتاع قال أنه بحث فى جسم الوزير فلم يجد الخاتم فى أى مكان .

قال الأوسط " انظر الإصبع اليسرى هامى أمامك ، إن لم تكن مكرت بنا " فقال " أبدا " ونظر فى كل مكان فلم يره ، حاولوا معه بكل وسيلة ، قال أنه لم ير الخاتم ، وهو فى الواقع فى ثنايا سرواله .

عندما سمع الكبير ذلك قال " أمكذا تفعل بنا ؟ ، اذهب به لن يفيدك الخاتم شيئا فى الآخرة ، لن تشم به هواء الدنيا أبدا بعد ذلك . " وبعد أن قالوا ذلك أعادوا الحجر وسدوا فوهة الحفرة ، وانصرفوا .

قام اللص واتجه شرقا وغربا وجنوبا وشمالا ، فتحير ، فذهب ورقد بالقرب من الوزير ، وأخذ يصرخ ، فلما شعر أن الصراخ لا فائدة منه فى هذا المكان ، قام وقصد فوهة الحفرة ، وتمطع وحاول أن يحرك الصخرة فلم يستطع ، فقال " إذا جاء القدر لا مرد له سواء خرجت من هنا أو لم أخرج ، سيقع الموت ، لأن الدنيا ليست دار بقاء ، سنلقى أجدادنا هاهنا ، لقد استرحت من عذاب الدنيا ومصائبها . "

وصعد على سرير الوزير ورقد فوقه وظل ينتظر لعل الموت يدركه بعد ثلاثة أيام ، فموت ويستريح ، وبعد أن انتصف الليل ، سمع كلام بعض الناس قاصدين القبر ، وكاد يصرخ ليفتحوا له ، فأدرك أنهم حتى لو سمعوا سيمنعهم الخوف من الوقوف ، ولا يتون ليعرفوه ، ويفتحوا له ، وأنهم لو فتحوا له لن يتركوه ، فسيقودونه إلى الأمير ، ولا شك أن الأمير إذا سمع ذلك سيأمر بقتله ، ويترك لأهله العار حتى نهاية حياتهم .

عندما فكر فى ذلك صبر ، وترك الأمر ، وبعد قليل سمع هؤلاء الناس يقبلون ويقفون على فوهة القبر ، فأصغى لعله يسمع بعض أصحابه اشفقوا عليه وجاءوا ليخرجوه ، فلم يسمع صوت أحد منهم ، لقد كانوا ثلاثة لصوص آخرين جاءوا إلى هذا القبر ، ليفتحوه ويسرقوا المتاع الذى بداخله ، ويأخذوا الخاتم الذى سمعوا عنه بالنهار ، ولم يعرفوا أن آخرين سبقوهم إليه ، فوققوا صامتين على فوهة القبر ، ليتشاوروا من

سيدخل ليسلمهم المتاع ، فكل واحد يطلب منه الدخول يرفض ، فقال أحدهم إن رأسه تؤله وهو ما يمنعه من الدخول ، وقال الآخر " أنه أعشى " ، وأخذ كل منهم يحتاج كما فعل الأول ، أخيرا أحد المتطفلين قال أنه سيدخل ، هل الميت سيمسك الناس ، حتى يخافوا هكذا ؟ .

عندما سمع الرجل ذلك فرح حتى كادت الفرحة تقضى عليه ، وقام وجاء عند فتحة الحفرة واختبأ ، وفتحوا الحفرة ، وكاد المتطفل يدخل ، وشمر سرواله وأنزل قدمه ، ليدخل القبر ، وبمجرد أن رأى المحبوس قدمه تتدلى أمسكها وأخذ يجذبها ، فقال اللص " لا إله إلا الله ، لقد أمسك قدمي ، ساعدوني ، سيجذبني إليه . "

عندما سمع الآخرون ذلك ، لاذا بالفرار ، وأخذوا يجريان ، كل ينجو بنفسه ، عندما شعر المحبوس بالقبر أنهما هربا ، ترك قدم رفيقهم ، فلما شعر أن قدمه تركت انتفض وخرج ، وأخذ يجرى ويتلفت حوله ، حتى لا يمسكه أحد من الخلف ، ولما شعر من بالحفرة أنهم فروا وتركوا الباب مفتوحا ، خرج بالخاتم وأخذ ينقص سرواله وسار في سبيله ، ومنذ أن نجا من هذه الحفرة ، وتاب ولم يسرق بعد ذلك .

قال القضاة مرة واحدة " كل القصص التي رويت عن اللصوص ، ولكن هذه أجملها "

وقام كل مستمع وقصد منزله ، وهو يضحك على هذا اللص وفي اليوم التالي بدأ حاذق يقص قصصه .

الذئب عند الطمع يموت

كان يعيش في إحدى المدن رجل فقير يسمى ألتى ، وما يعرف عن المسلم أن أية مصيبة تصيبه ويذكر الله ، ولكنه كان لا يصبر ولا يذكر الله ، وكان دائما يقول " لو كنت أجد أثناء سيرى صندوقا مملوءا بالمال .

وهو هلى هذه الحال كان يتجول ذات يوم فى الغابة ، قرب غروب الشمس يقطع الأخشاب للحريق ، فاصطدمت رجله فى رجل عجوز جدا ، فلما رآه الرجل العجوز تنهد وقال " يا عبد الله ارحمنى وساعدنى ، لقد ضللت الطريق ، منذ الصباح وأنا فى الغابة ، لا أعرف جهة الشرق ، وها الشمس كادت تغرب ، ولم يدخل فى جوفى حبة من الغلال . " أشفق عليه ألتى ، وأخذ يده وأوصله إلى منزله ، وأحضر طعاما وقدمه إليه ، ليأكله ، وعندما هدأت نفسه ، قال أنه سيتحسس الطريق قبل أن تغرب الشمس ، لعله يواصل السير .

قال ألتى " لا ، لا بد أن تبقى معنا حتى الغد حتى تهدأ نفسك تماما ، لا تخرج فتضل مرة أخرى ، ربما ذاكرتك لم تعد لك حتى الآن تماما . "

قال العجوز " أنه شفى ، وسيواصل السير " فرفض ألتى ، وقال " ها الشمس قد أوشكت على المغيب ، وتقول أنك تسير فى الغابة وحدك؟ ، لا بد أن تبقى حتى الغد . "

عندما رأى العجوز أنه حاول كثيرا أن يتركه ألتى يسير ولكنه رفض ، قبل أن يبقى عنده هذه الليلة ، فأحضر له حصيرة ووضعها فوق السرير ، فى الحجرة التى خصصها للضيوف ، وأشعل له النار ، وأخذ العجوز يدلك جسده ويهرش وعاد ألتى إلى حجرته ، وترك له المكان ليسترىح .

وعندما طلع النهار قال العجوز أنه سيرحل ، فقال ألتى " وهو كذلك ، فلأخرج لأودعك . "

عندما غابا عن أعين الناس ، رأى هذا العجوز ينفض جسمه ، وفى الحال عاد إلى

صفة الجان ، فراجع ألتى إلى الوراء ، وتهياً للجري ، فقال الجن " انتظر " ، فانتظر ،
وركع أمامه ، وحياه فى أدب .

قال الجن " أنا لست أنسا بل جنأ ، ولم أضل من قبل ، ولكن عندما كنت تقطع
الأخشاب أمس قطعت فرعاً ، فوقع على ابنى الذى كان يلعب أسفل الشجرة ، فكسرت
يده ، لذلك جئت إليك فى هيئة عجوز ، لأختبرك لأعرف ما إذا كنت رجلاً طيباً
وجاهلاً هو الذى دفعك إلى هذا العمل فإن كان ذلك غفرت لك ، لأنهم يقولون الجاهل
يفوق الليل ظلمة ، وإذا رأيت أنك شقى ، عديم الشفقة قتلتك ، وقد علمت أنك لم تر
ابنى عندما كنت تقطع الخشب ووقع عليه ، وقد جربت خبيرك ورحمتك فوجدتك تفوق
أبناء هذا الزمان ، لذلك سأعمل لك معروفاً واحداً ، فقل لى رغبتي تريدهما ومهما كان
الأمر سأحققهما لك ، جزاء لما قدمت إلى من خير . "

وقد قلت لكم من قبل أن ألتى لم يكن شىء يشغله إلا أن يجد المال ، إذا علم أنك
ستعطيه قرشاً ، مهما كان مقدار الاحتقار الذى سيراه منك يتبعك ، حتى كان أهل قريته
يسخرون منه بسبب ذلك ، ويقولون " ألتى يبيع عرضه من أجل المال . " و ، هذا الخير
الذى فعله ، فعله حتى يدعى له بتحقيق غرضه من المال ، ولذلك دون أن ينطق تستطيع
أن تعرف ما فى نفسه ، بمجرد سماع كلام الجنى ركع وقال " لا أريد إلا المال ، إذا ناله
الإنسان تحققت كل أمنياته فى الحياة الدنيا " .

قال الجنى " وهو كذلك ، كيف تريد أن أهبك إياه ، هل تريد أن أدلك على خزائن
الجن لتجمع منها ؟ ، أم تريد أن أمر لتحمل إليك فى بيتك ؟ "

قال ألتى " أنا أريد إذا كان ممكناً أن تكون لى السلطة أن أحول كل ما ألمسه إلى
مال . "

قال الجنى " هذا ما تريده فقط ؟ "

قال ألتى " نعم ، إذا نلت هذه السلطة ، أطأ كل إنسان كما أشاء أى أعمل ما
يعجبني ولا يعاقبنى أحد . "

قال الجنى " وهو كذلك ، سمعت واحدة ، قل ما تريده عدا هذه الرغبة "

قال ألتى " إذا نلت هذه الرغبة تكفينى . "

قال الجنى " لقد وعدتك أن أحقق لك رغبتين ، اطلب واحدة أخرى "

قال ألتى " والله هذه تكفينى ، إذا نلت المال ، انتهت رغبتى فى هذه الحياة . "

قال الجنى " طالما أئنى وعدتك أن أحقق لك رغبتين فلن أخلف وعدى ، عندما تريد شيئا آخر ، هاك الحبوب أطلق بخورها فى منتصف الليل ، واذكر اسمى ثلاث مرات "

سم سم سم ، ترنى شققت الأرض وخرجت "

قال ألتى " وهو كذلك ، ولكن ليس لى حاجة أخرى أطلبك من أجلها ، طالما أئنى نلت هذا . "

قال الجنى " إذا كان من أجل هذا فقد أعطيتك ، ولكن أى شيء يصيبك لا تلمنى ، وتقول أئنى رددت معروفك لى بالإساءة "

قال ألتى " إذا كان كل ما أمسه يتحول مالا ، ماذا أريد غير ذلك ؟ ، ويحك المال هو علاج الفقر "

قال الجنى " هو كذلك " واختفى ، وتوجه ألتى إلى المنزل وهو مسرور يتخيل ما يمكن فعله عندما ينال كل هذا المال ، وأثناء السير ، لدغته حشرة فى رأسه ، فمد يده ليضربها ، فرأى المال يسقط على الأرض ، فانحنى ليأخذه وهو مسرور ويقول " يا للعجب لقد صرت ماهرا منذ البداية ، ثم قصد مجموعة من الأعشاب ولمسها ، فصارت الجميع مالا ، وجذب ملاءته يريد ضمها ، فصارت الملاءة هى الأخرى مالا ، وسقط على الأرض ، فتجهم وجه ألتى وقال " ليس كل شيء لأئنى أستطيع شراء ملاءة أخرى بشلن ونصف . "

رأى ألتى أنه يستطيع أن يصب شيئا فيها ، فتركها وذهب إلى المنزل وقال " هذه أيضا لا تلمع ، ماذا سأفعل بها ؟ ، فجمع الناس وقال لهم أنه لديه القدرة أن يحول كل شيء بمسه إلى مال ، وكادوا يختلفون ، فمس بعض الحجارة أمامهم فصارت مالا فى الحال ، فجمعها وقدمها إلى الناس ، وأخذ بعضها ، وطلب أن يشتري له بها بعض الثياب الجديدة ، وبمجرد أن لمس هذه الثياب الجديدة ليأخذها تحولت مالا ، فتركوه عريانا ، فلف جسده بستره جديدة فصارت هى الأخرى مالا ، وهنا ضايقته أمور الدنيا ، ها هو عريان بين الناس ، يضحكون عليه ، ودفع ابنه من قفاه وقال له " اذهب إلى المنزل ، ليعطوك شيئا اتستر به أحضره لى " . ، فعندما لمس قفا ابنه تحول مالا وسقط على الأرض .

عندما رأى الناس ذلك ، تفرقوا ، عنه وأخذوا يفرون بعيدا ، وهم يقولون " الجن جنته ، من ينتظر الشتوم ليمسه فيصير مالا بلا فائدة ؟ "

لقد هجرته كل نسائه وأولاده وتركوه وحده فى المنزل ، وعندما أحس بالجوع خرج ، فحيثما توجه يفر الناس من أمامه ولم يدعه أحد يمسه بيده .

عندما رأى ذلك الأمر قال " هيا أذهب إلى الأطفال ، إذا تفرق الناس عنى ، لعلى أجد عندهم ما أكله " فعندما رآه الأطفال تفرقوا عنه ، وتركوا المتاع الذى كانوا يبيعونه مبعثرا ، ولما وصل وجد اللحم المشوى ، فجلس ليأخذ سيخا واحدا ليأكله ، فصار السيخ مالا ، فأعد آخر بسرعة ، وقبل أن تصل إلى فمه صارت مالا ، حاول أن يجد طعاما ، فكلما وجد قبل أن يصل إلى فمه يتحول مالا .

فوجد حيلة أخرى ، وهى أن يمد فمه ويأكل كما تأكل الدواب ، ولكن دون فائدة ، فكان كل شيء يمسه فمه يتحول مالا ، فعجز عما يسعده فى هذه الحياة فندم ، وأخذ يتجول عريان .

وعندما طلع النهار كاد يفقد أعصابه ، وقضى النهار بلا فائدة ، حتى المساء يروح ويغدو فى المدينة وهو يقول " لعنة الله عليهم ، المال لا فائدة منه ، لعن الله المال "

وهو على هذه الحال تذكر الجنى ، وأنه قال له أن من حقه رغبة أخرى ، إذا سألها سيحققها له ، وفى الحال عمل ما نبه عليه أن يعملها إذا أراد ، وذكر اسمه سمس ، ثلاث مرات ، فرآه يشق الأرض ويخرج ، وقال " لماذا تضايقنى بهذا النداء فى منتصف الليل ، ألم تعدنى بأنك لن تطلبنى مرة أخرى ؟ "

قال التى " بالله عليك ارحمنى ، وارجعنى كما كنت من قبل "

قال الجنى " لقد قلت أن أهبك المال وليكن ما يكون "

قال التى " بالله عليك ارحنى من هذا المال ، والله لا أريده ، الأفضل أن أكون كما كنت من قبل ، حياة الفقراء سعيدة "

انفجر الجنى فى الضحك وقال " أنت سعيد ، بقيت لك رغبة واحدة تستطيع أن تطلبها ، اذهب وستعود كما كنت . "

فرح التى ، وعاد إلى المنزل ، فوجد الطعام فأكل ، ولما طلع النهار قال للناس أنه

شفى ، ولكنهم أخذوا يتجنبونه حتى تحققوا من صدق كلامه وأنه شفى ، فاختلطوا به ، وأخذ الناس يضحكون عليه ، وينادونه " الذبابة تموت عند الطمع "

قال البيغاء الوزير لحاذق ، منذ أن بدأت تقدم القصص ، اليوم فقط سمعتك تقدم قصة لذيد ، ولكن القصص الأخرى التى قدمتها ، سمعتها كأنك تحكى تاريخا ، حسنا طالما أنك بدأت تزيد ، حاول أن تقدم أفضل من هذه ، مستقبلا "

انفجر الناس فى الضحك ، وبدأ على الوزير أنه لم ير فيما قاله شيئا مضحكا ، فاستمر فى تقديم قصته .

لا تفرح يا غلام إذا اصطاد كلبك أسداً

كان يعيش فى مدينة تنجا رجل مؤذن محب للدين ، بلغ من الكبر عتياً ، ولكن لا يجب أن يقال أنه كبير ، له لحية حتى عارضيه ، وكان كلما ذهب إلى السوق صبغ لحيته عارضيه بالصبغة السوداء ، وإذا نظر فى المرآة ورأى شعرة بيضاء نبتت اقتلعها ، وكان دائماً يقول عن نفسه أنه شاب ، ولا تمر جمعه إلا ويغسل ملابسه ويكويها ، ويضع لها زهرة ، ويحنى رجليه وقدميه ، إنه مؤذن ولكن عادته عادة الأشرار ، ولشدة سواد لحيته ، وعنايته بها ، يسميه الناس " المؤذن ذو اللحية السوداء " .

وذات يوم وكان يوم الأحد تزين المؤذن وقصد السوق ، وقد ملأ فمه بشمار الكولا ، والسيجارة فى فمه ينفث دخانها ، ومشى ، يشتر ، وقصد محل باعة الجلود وجلس ، كأنه محله ، وأثناء جلوسهم تطرق الحديث إلى تجارة الجلود ، فقال باعة الجلود " الجلود نادرة الآن ، كل واحد أخفاها ، حتى يزداد ربحها " .

وهنا تدخل المؤذن فى الحديث ، رغم أنه ليس بائع جلود ولا أى شئ ، وقال " الناس فى غاية الغباء ، إذا علمت أننى سأربح بعت مهما قل الربح "

عندما سمع أحد باعة الجلود ذلك قال " ويحك ياسيدى ، ليس كل شئ ، الآن إذا علمت أن لحيتك وعارضيك تباع هل تبيعهما ؟ " ، فانفجر الجميع فى الضحك .

وكان المؤذن من الرجال الذين وهبهم الله طبيعة خاصة ، كل شئ يعلم أنه سيكسبه قرشاً يقدم عليه ، مهما كانت حقارته ، فعينه معلقة بالقرش ، وكل ما يأتى به فهو جميل ، لذلك قال " أبيع ، إذا أراد أحد شراءها ودفع لى المبلغ الذى أطلبه "

قال بائع الجلود " إذا حددت مبلغاً مناسباً أشتري "

وخز المؤذن شخصاً بجواره ، وغمز لشخص بعيد عنه بعينه ويشير إلى الجلاد بشفتيه ويقول " إذا كنت أنت الذى يريد الشراء أبيع لك بثمان أرخص "

قال الجلاد " بكم تستطيع أن تبيع لى ؟ "

قال المؤذن " أبيعها لك بثلاثين شلنا . " ، ونظر إلى الجالسين وغمز لهم بعينه يطلب منهم التغاضى عن الجلاد .

قال بائع الجلود " نعم ، ثلاثون شلنا ليست غالية على لحيه كلحيتك ، هل بعت لى ؟ "

قال المؤذن " نعم " ، وغافل عينيه وأخرج لسانه .

قال بائع الجلود " اللحية والعارضان كلاهما " .

قال المؤذن " نعم " وهو يتسم.

قال بائع الجلود " اشتريت ، متى أقصها ؟ "

قال المؤذن " لقد بعت لك ، متى شئت سأعطيكها لك . "

هب بائع الجلود واقفا ، ونظر إلى الناس وقال " اشهدوا أيها الناس لقد اشتريت وبيع لى ، ووافق أن أتى لأقصها عندما أرى أنها نمت ، لعل الله يبارك لى ، القرش يجلب قرشا "

انفجر الناس فى الضحك وقالوا " شهدنا لك فى الدنيا والآخرة " ، فأحضر بائع الجلود ثلاثين شلنا وقدمها إلى المؤذن .

وهم المؤذن بالقيام فقال الناس " ألا تدفع العادة ؟ ، ألا تريد أن نبارك لك فيها ؟ فأحضر شلنا وقدمها إليهم ليقتسموها ، وانصرف بياقى المال، ودخل السوق وهو يقول " هيا انفق المال هنا ، وأرى ماذا سيفعل بائع الجلود بشقاوته "

أخذ الجالسون يضحكون على بائع الجلود ، بسبب هذا الغباء الذى بدا منه ، فطلب أن يكفوا عن الضحك عليه الآن حتى يروا أنه لم يربح .

وبعد عدة أسابيع ، كلما تقابل المؤذن مع بائع الجلود ، يضحك ويقول له " متى ستأخذ وديعتك ؟ " ، فيطلب منه بائع الجلود أن يحفظها، ويداوم على دهانها بالصبغة والزيت . حتى تظل ناعمة ، عندما يحن اليوم الذى يأخذها فيه لن ينتظر حتى يذكره . وأنه يتذكر ، وهل ينسى الإنسان ثروته ؟ ، إن سوق بيعها لم يحن حينه ، إنه لا يريد أن يبيعها بثمن بخس ، فيضحك الناس ويتفرقون .

ولما شعر المؤذن أن بائع الجلود لم يهتم به ، ظن أنه غيبا ، وأن المال عنده وفير ،

لذلك فهو يلجأ إلى المزاح هكذا ، لذلك ذهب واتفق مع أصدقائه على حيلة يحتال بها على بائع الجلود ، وهي أن يذهب إلى بائع الجلود ويتباهى بأنه أكثر أهل مدينة كثر ثقافة .

وفي أحد أيام الجمعة ذهب بائع الجلود إلى محل الحلاقين ، فوجد المؤذن هناك ، يقص شعره ، وتناول المرأة وأخذ يمشط لحيته وعارضيه ، حتى يذهب إلى المصلى فى أجمل صورة ، فلما رأى بائع الجلود قال " ألا تأتى لتأخذ لحيتك ؟ "

قال بائع الجلود " ليس من أجل هذا جئت إلى هنا ، جئت لأقص شعري ، اذهب أنت لشأنك "

ابتسم المؤذن وقال " أنا دائماً مستعد ، إذا كنت تريد ما ها هي " ، وأخذ عمامته وبدأ يلفها ، ليذهب إلى المصلى بسرعة .

جلس بائع الجلود ، حتى بدأ الحلاق يثر الماء على رأسه ، ثم أعاد التفكير ، ونظر إلى المؤذن وقال " لقد فكرت مرة أخرى ، اجلس ليقص لى الحلاق لحيتك "

تجههم وجه المؤذن ، وحدث فى وجه الجلاد ، وقال " بالله عليك ألا تتركها لى حتى انتهى من صلاة الجمعة اليوم ، وإذا اردت أتى ليقصها لك ؟ " .

قال بائع الجلود " أعلم أن اليوم الجمعة ، ولكن ألا ترى أنني إذا قصصتها لك ، تشعر بالسعادة بين الناس ، ويصير وجهك جميلا ، ويلمع كأنك ابن عشرين عاما ، فلم أتخيل عليك ، لا أرى سببا يجعلنى أتركك لتذهب بلحيتى إلى المصلى اليوم ، اجلس وأعطينى حاجتى "

حدث فى المؤذن ولم يجد ما يقوله ، ثم كنس مكانا وجلس أمام الحلاق ، وهو يكلم نفسه ، وبلل الحلاق وجه المؤذن بالماء ، وأخذ موسى وهم بالحلاقة ، فقال الجلاد " انتظر ، لا أريد اللحية اليوم ، اتركه يذهب لشأنه ، حتى يوم آخر عندما أريد قصها . "

هب المؤذن قائما وهو يزمجر ، ويقول " كلام فارغ ، كيف تجعله يثر الماء على وجهى ، ثم تقول أنك لا تريد ما اليوم ؟ ، يجب أن يقصها لك اليوم حتى استريح . "

قال بائع الجلود " إذا كان كلامى قد أغضبك يا والدى ، ها أنا أنحنى لك ، لقد ظننت أن الانسان له السلطة أن يفعل ما يراه فى ماله ، لم أعرف أن الزمن تغير هكذا "

ثم قام ونفض قميصه ، وعوج الطاقيّة ، حتى استقرت على حاجبيه وخرج ، وترك المؤذن يجفف وجهه من الماء الذى بعثه عليه الحلاق .

وذاث يوم كان الجلاد يجلس فى محل بيع الجلود ، فرأى المؤذن فى السوق ، والأطفال يسرون وراءه ويقولون " ها الذى جعله الفقر يبيع لحيته ، والآن لا يستطيع حكها ، حتى لا تسقط شعرة واحدة فيراها الجلاد فيشكوه ويذله " ، وقد انتشر خبر بيعه للحية فى كل المدينة .

وتحير المؤذن ، ولم يشعر بالسعادة ، وتمنى أن يقصها حتى يستريح ، ها هو الزغب ملأ وجهه وارداد ، وليس له الحق فى أن يهذب لحيته ، حتى لا يجد الجلاد ما يحتج به عليه ، وأخذ يسترضى الجلاد حتى يقص له لحيته ويرتاح ، فيقول أنه لا يحتاجها الآن .

وذاث يوم كان بائع الجلود يجلس مع إخوانه فى السوق ، الذين اشترى اللحية أمامهم ، وجذب الحديث بعضه حتى تطرق إلى مسألة اللحية التى اشتراها الجلاد ، فقالوا له " بالله عليك لا تطلبها إلا فى مثل هذا اليوم ، يوم الوقفة ، لنرى المؤذن يذهب إلى صلاة العيد هكذا ، أو ينام بها هكذا فيرسل إلى الإمام ويقول له أنه مريض " .

قال الجلاد " لن أطلبها منه يوم الوقفة ، ولكن صباح يوم العيد قبل أن يذهب إلى الصلاة ، عندما يتزين ويأخذ عصاه ، ويذهب إلى منزل الإمام ليذهباً معاً ، قال الجالسون "والله صدقت ، هذا هو اليوم المناسب "

وفى صباح يوم العيد نادى الجلاد شاباً ، وطلب منه أن يذهب وينادى المؤذن ، ولكن لا يدخل ويقف على باب المنزل فقط ، حتى يراه قد استعد ليذهب إلى صلاة العيد .

ذهب الشاب إلى عمر المنزل واختبأ ، وعند الضحى رأى المؤذن يخرج بالحذاء والعصا ، متجهاً إلى صلاة العيد ، وقد تزين تماماً ، وأتى بالعمامة ولفها ، فقال له الشاب إن الجلاد يطلبه ، فتجههم وجهه لأنه أدرك ما فى الأمر ، ولا حيلة يفعلها ، وسار الشاب فى المقدمة وتبعه المؤذن ، حتى محل بائع الجلود ، فلما وصلا وجد المحل قد امتلأ بالأولاد ، البنات ، وباقى الناس الذين شهدوا أن المؤذن باع لحيته بثلاثين شلناً ، وعند رؤيتهم خفق قلب المؤذن ، وقطب جبينه ، وأخذ ينفخ غضباً ، كمن لطم على وجته فى معركة ولم يستطع الانتقام حتى فض القتال ، لم يسلم عليهم ، ودخل المحل ، ووقف أمام بائع الجلود واضعاً يديه فى وسطه ، وقال " ها أنا ذا ، سمعت أنك تطلبنى " فقهقه كل الجالسين .

فقال الجلاد " ليس من أجل القتال دعوتك ، اجلس "

جلس المؤذن ، وأسند ظهره إلى الحائط ، وقال " أفعل ما تريد ، لأذهب ، الإمام هناك الآن ينتظرنى ، كدنا نخرج لصلاة العيد "

قال الجلاد " نعم ، صدقت ، إنكم الكبار فى المدينة " والتفت وقال " أين كبير الحلاقين ؟ ، قص لى لحيتى وعارضيه . " فانفجر كل الناس فى الضحك .

نثر الحلاق الماء على وجه المؤذن ، وأخرج الموس وبدأ الحلاقة ، وحلق نصف اللحية ، فتعجل المؤذن الحلاق لأنه يعلم أن الإمام ينتظره ، فقال " بالله عليك أسرع ، وانتهى لأذهب ، إنى متعجل . "

وهنا قال الجلاد للحلاق ، " وهو كذلك طالما أنه متعجل ، اتركه هكذا ، يوما آخر اكمل لى الحلاقة ، لا ينبغي أن نعطله هكذا ، ونمنعه عن الذهاب إلى صلاة العيد ، لست متعجلا لتقصها لى الآن " ، فلما رآه الناس بنصف حلقه أغرقوا فى الضحك .

أخذ المؤذن المرآة ونظر إلى وجهه وكادت الدموع تتساقط من عينيه من الغضب ، ورجا الجلاد أن يحلقها كلها .

قال بائع الجلود " لقد اتفقنا على أن آخذ حاجتى عندما أحتاجها ، ولم نتفق على أن تجبرنى على أخذها عندما لا أريد ، اليوم احتاج النصف فقط ، فحصلت عليه ، والباقى سأأخذه عندما أحتاجه "

عندما رأى المؤذن أنه ليس فى نيته أخذ النصف الآخر ، طلب من الحاضرين أن يرجوا الجلاد أن يبيع له النصف الآخر ، فرجوه فى مسألة البيع ، فقال لهم لا تتعبوا أنفسكم ، إنه يريد أن يحتفظ بحاجته ، لمدة شهرين أو ثلاثة ثم يأخذها .

فبدأ المؤذن يجادل فى بيعها له ، وقال أنه سيعطيه عشرة شلنات ، فلم يوافق الجلاد على ذلك ، فقال سيعطيه عشرين شلنا ، فتضايق من كل ذلك ، فنظر إلى الجلاد وقال " هل تتركه بثلاثين شلنا ؟ "

قال الجلاد " ياسيدى ، لقد ملأت وجهى رذاذا من فمك بلا جدوى ، لن أبيع لحيتى ، الشهر القادم ، ولا الذى بعده ، أنا غير موافق "

قال المؤذن " بالله عليك إذا كنت ستبيع ، قل بكم ستتركها لى ، والريح الذى ستحصل عليه إذا تركتها للشهر بعد القادم ، أعطيه لك الآن . "

قال الجلاد " الآن أرى أنك سلكت طريق الحق ، لأنك جئت لى عن طريق المساومة الودية ، وقد كنت أظن أنك تريد أن تظهر لى أنك ثرى ، فأخذت ترفع الثمن هكذا ، وفى هذه الحالة أقول بدورى مهما ساومت لن أقبل ، إذا كنت سوف تعطينى ربحاً كبيراً سوف أقبل ، كل شيئائنا للبيع " .

قال المؤذن " وهو كذلك ، بكم تريد أن تبيع ؟ "

قال الجلاد " بستين شلنا ، أنت تعرف أن القرش يجذب قرشا " .

قال المؤذن " أليس بينى وبينك أى ود ؟ "

قال الجلاد " لا ، ليست لدى فرصه ، لولا أنت ، ما خفضت لك هكذا " .

قال المؤذن وهو يترجى " وهو كذلك ، إذا دفعت هذا المبلغ ، ماذا أفعل؟ لقد قالوا قديما أن الطمع سبب المشاكل ، هيا نذهب إلى المنزل لأعطيك الثمن ، ولكن عليك أن تنتهى بمجرد قبض الثمن .

قال الجلاد " ليس بينا وبين هذا الأمر شيء ، لنذهب حتى تعطينى السلعة . " . قام المؤذن وسار أمامه ، والناس يتبعونه ، كمن سرق شيئاً ، وذهب إلى منزله وأخرج بعض قمصانه وأقمشة روجته ، وثمنها ، ثم دخل وأحضر ستة وعشرين شلنا كان يحفظها من ثمن الحمار الذى باعه أمس ليشتري حاجيات العيد ، جمع كل هذا ولم تسد الدين ، فأخذ ثلاث عزات لزوجته وخروف الضحية ، وثمنها ، ولم تسد الدين ، ثم خلع ثيابه التى يرتديها ، حتى استطاع أن يحرر نفسه ، ونظر إلى الحلاق وقال له ، " بالله عليك قص لى بقيه لح لح لح حتى لأستريح من هذا العذاب " ، وجلس يقص له شعره .

وما كاد ينتهى من قص شعره حتى بعث الإمام من يخبره أنه فى انتظاره ، لماذا لم يأت ، هل هو مريض ؟ ، قال المؤذن " اذهب وأخبره أنه مصاب بمغص وعليه أن يبحث عن شخص آخر يذهب معه ، فهو لا يستطيع الحضور " .

انفجر الناس فى الضحك وأخذوا يقهقهون ، وانصرفوا وهم يسخرون من المؤذن .

وعندما رأى المؤذن أنه إذا أخطأ وانتظر حتى يفرغ الناس من صلاة العيد ، سيسمع الأمير وكبار المدينة هذا الخبر ، ستضيع هيئته ، فجمع ما تبقى له من متاع قليل ، وجعل زوجته أمامه وترك المدينة قبل أن ينتهى الناس من صلاة العيد .

قال الناس " والله لقد قدمت لنا اليوم تحذيرا مفيدا "

قال الوزير " ليس اليوم فقط ، كل قصة أقدمها لو أمتعتم النظر فيها تجدون فيها العبرة " ، قام كل أمير وقصد منزله ، وتفرق الناس .

وعندما اجتمعوا اليوم فى الصباح قال حاذق " سمعت أمس أنكم استمتعتم بالقصة التى قصها الوزير ، وأنها صارت تحذيرا لكم ، وهو كذلك ، إذا كان الوعظ هو الذى جمعكم هنا ، مالى يكفيكم ، فاستمعوا أقدم لكم عظة قصيرة " .

هديل الحمامة كلام لا يفهمه إلا العاقل

ذات يوم خرجت امرأة تسمى جما من مدينتها قاصدة مدينة تسمى سورد ، لتزور والديها اللذين يعيشان فيها ، وأثناء الطريق قابلها بعض أطفال المدينة الأشقياء ، وقاموا بالتهليل خلفها ورميها بالحجارة لأنها قروية ، ريتها وملابسها مختلفه عنهم . وكانوا كلما رأوها تصرخ أمعنوا فى رميها بالحجارة ، ومنهم من أخذ يلطمها ، وأسقطوا بعض الهدايا التى أعدتها لوالديها .

أسرعت جما إلى منزل الأمير ، ورفعت إليه شكوى ، فقال لها الناس " الأفضل أن تصبرى من أن ترفعى الشكوى إلى الأمير ، ستتعين نفسك بلا فائدة إذا لم تصبرى ، إن الإبرة لا تحفر بئراً " .

قالت جما ، " وهو كذلك ، إذا لم أصل إلى الأمير ، هل تدفعون لى ثمن ما أفسدوه ؟ " ، قال لها الناس " ما هذا الكلام الفارغ ؟ ، اذهبي . "

وهمت جما بالذهاب ، فقال لها رجل عجوز ، " يا ابنتى لا ترفضى كلام الناس ، هذا الأمير وجوده كعدم وجوده ، فهو لا يهتم بمن يسبه ، ولا يهتم بمن يسب الناس حتى يحكم بينهم ، فهو طالما يملأ بطنه ، لا يهتم حتى لو لطمته ، أمره غريب لا يعرفه أحد ، إذا كان هذا صبرا فقد تجاوز الإسلام ، وإذا كان هذا غباء نسأل الله أن يخفف عنه فى هذه المدينة ، يسرقك اللصوص الآن فى وضوح النهار ، إذا كنت قوية ، تستطيعين أن تردىهم بقوتك ،

ولا تصبرين وتسلمين أمرك لله . "

عندما سمعت جما هذا الكلام ، انحنت وشكرت هذا العجوز وانجهت إلى قصر الأمير وهى تبكى ، فلما وصلت لم تتوقف إلا أمام مجلسه حيث يجتمع رجال الحاشية ، وانحنت وقالت " نصرك الله ، عندما كنت قادمة إلى هذه المدينة قابلنى بعض الأطفال ، وضربونى ، وأهدروا كرامتى وسلبوا بعض متاعى وجروا ، وحاولت أن اكظم غيظى وأتركهم ، فعجزت ، لذلك جئت إليك الآن لتساعدنى ، لا أريد أن تجمع أطفال هذه

المدينة وتضربهم أو تقدم إلى معروف ، ما أريد أن تساعدني به ، هو أن تعلمني كيف أصبر ولا أهتم بما حدث من أمور ، كما سمعت أنك تفعل ، وأن تساعدني كما ساعدك الله ، حتى أصبر دائما على ما يفعله الناس بي ، لأن الرؤساء لم يكونوا لتحذير الناس ، وليصبروهم ليعيشوا حياتهم ، ويتركوا الناس يعيشون حياة السمك في الماء ، كل تحميه قوته .

عندما سمع الأمير هذه المرأة ، فهم مقصدها ، وصار كمن استيقظ من النوم ، وبدأ يجمع هؤلاء الأطفال ، وعاقبهم على ما فعلوه لجما ، وأحضر مالا كثيرا وقدمه إليها ، تعويضا عما فعلوه بها ، ومنذ هذا اليوم أصبح يهتم بأمور ملكه .

قال الناس " إن هذا الكلام الذى قالته جما ، لا يفهم معناه إلا أصحاب العقول فقط "

قال الوزير البغاء للقاضى " هذه القصة قصيرة جدا ، لا يجب أن تعطى درجه " ، واستعد ليقول قصته ، فقال القضاة " لا نريد وعظا ، نريد قصصا فقط ، مضحكة ولها معنى ، وتكون كما يقصها الهوساويون "

قال الوزير " منذ أن بدأت ، وأنا أحاول ذلك ، هيا اسمعوا هذه القصة التى سأقصها . "

قصة أمير وخادمه

كان يوجد قديماً أمير لم تكن له عادة إلا قراءة أخبار النساء ومكائدهم، فلما علم أن النساء بلغن الغاية في مكرهن، رأى أنه لا شك حيلهن ومكائدهن، كل من نصبن له شركاً ولا معين له يصطدنه، ولشدة خوفه لم يوافق أن يقدم له أى إنسان الطعام، فبحث عن صبي أمين وجعله يطهى له الطعام.

وهو على هذه الحال، خرج الأمير ذات يوم إلى الغابة ليصطاد، فسار حتى شاء الله أن يتعب، ولم يصطد إلا طائراً واحداً، وعند العصر ركب حصانه وعاد إلى قصره، وعندما وصل أحضر الطائر وسلمه للخادم ليطهيه، طهيّاً جيداً، على ألا يقطعه، ويتركه سليماً، ذهب الغلام وغلى الماء وأسقط الطائر فيه، وجذب سكيناً وشقها، ثم نظفها تماماً وبعد ذلك وضعها فى إناء كبير، وطهاها جيداً، ووضعها فى الإناء حتى تبرد، فلما بردت، أخذ الطائر ووضعها فى إناء، وهم بأخذه وتقديمه إلى الأمير، وفجأة جاءت امرأة يسعى لزواجها ودخلت الحجرة.

بعد أن انحنت وحيته، نظرت بعينها فرأت الطائر المشوى، فسأل لعابها، فطلبت أن يسلخ لها رجلاً واحدة لتذوقها، فقال " لا، إنها للأمير، ليس لدى السلطة أن أعطيك ولو جناحاً واحداً، لقد قال الأمير أن أطهوها كاملة".

نظرت إليه وقالت " وهو كذلك، هل ما بيننا لا يساوى فخذه طائر؟ هذا ما تفعله الآن، فماذا تفعل عندما آتى بيتك، طالما أنك أخرجتنى عندما سألتك، والله لو منعتنى إياها ستكون سبياً فى فساد ما بيننا".

وكان هذا الغلام يحب الفتاة حباً شديداً، فأخذ السكين وقطع لها فخذه واحدة، وأخذ الباقي وقدمه إلى الأمير.

فلما نظر الأمير ولاحظ أنه قطع فخذه قال له " أين هذه الرجل؟"، ألم أقل لك أن تطهوها كلها، أنت الذى اخترتك، تبدأ تخدعنى؟

قال الصبي " أطل الله حياتك ، هذه الطيور لها رجل واحدة ، ها هي ، ألا تلاحظها ، هكذا جاءوا بها إلى "

فزجره الأمير وقال " غبي ، متى رأيت هذا الطائر برجل واحدة ؟ "

قال الغلام " أقسم بعمامتك أنني أراها دائما هكذا ، هذا أمر عجيب في هذا الطائر ، لا يخفى على أحد ، إذا كنت تريد أن ترى - أطل الله حياتك - غدا في الصباح آخذك لترى هذا بعينيك "

هذا الكلام الذي قاله الغبي جعل الأمير يكظم غيظه ، فلم يتكلم ، كلما اقترب من الطائر قال " هو كذلك ، اذهب ، أسأل الله أن يحينا إلى الغد . "

انحنى الغلام ، وحيا الأمير ، وعاد إلى حجرته ، وعندما ذهب لينام تجمعت في رأسه كل هموم الدنيا ، وتمنى أنه لم يتعهد بهذا أمام الأمير ، وصمت وقال " إن الفم هو الذي يقطع العنق ، ولكن الأفضل إذا ذهبنا لرؤية هذه الطيور أن أحاول أن أثبت أن لها رجلا واحدة ، مهما حاول أن يثبت أنني لست على حق ، أصر على رأيي ، أن يقال أنني غبي أفضل من أن يقال أنني سرقت الأمير ، فيطردي ، ربما إذا رأى أنني غبي يعيدني إلى خدمته بعد أيام قليلة . "

وهو على هذه الحال من التردد والتفكير لم يتنبه إلا والمؤذن ينادي للصلاة ، فلما سمع المؤذن أخذ قلبه يخفق ، فقام وتوضأ وصلى ، وتناول المسبحة وأخذ يذكر الله ، ويسأله أن ينصره في هذا الأمر ، وعد على المسبحة دورتين وفي بداية الدورة الثالثة ، جاء رئيس الحيلة يناديه ، فلما قال له " الأمير بالخارج ينتظرك " خفق قلبه وأخذ بطنه يغمص ، فقام وخرجا .

عند خروجهم وجدوا جميع رجال الحاشية ، وكبار خدم الأمير مجتمعين ينتظرونهم ، فانحنى وأدى التحية ، فاستقبلهم الأمير ، وقال " هيا نذهب " وسار أمامهم ، والجميع يتبعونه ، يسير وكأنه بلا حياة يتعثر وهو سائر رهبة من عظمة الأمير ، ينظر أمامه وينظر خلفه لا يجد مكانا خاليا ، فكبار الحاشية يتبعون الأمير ، والجميع ينفذون أوامره ، فلو طلب منهم أن يلقوا بأنفسهم في النار لفعلوا قبل أن يغلق فمه ، اعتمد على الله ، وواصلوا السير حتى وصلوا إلى مدخل المستنقع ، فوجدوا الطيور كثيرة تغط في النوم .

وكانت هذه الطيور إذا نامت وقفت على رجل ووضعت الرجل الأخرى تحت جناحها ، وإذا تعبت بدلت رجلا بالأخرى ، فتسحب التى على الأرض ، فلما نظر الغلام رأها واقفة على رجل واحدة ، ابتسم وقال للأمير " نصرك الله ، إن - عدم الرغبة فى جدالك أمس ، هو الذى جعلنى أسكت ، ولكن انظر ، تراها كلها لها رجل واحدة " .

نظر إليه الأمير وقال " أنت غبى ، هكذا ينامون ، يسحبون رجلا وينامون على الأخرى ، أنت تكذب ، ليس لها رجل واحدة، هيا لترى . "

ذهب الأمير وقال لها " هر هر " فأنزلت كل الطيور رجلها الأخرى ووقفت على الاثنين ، ثم طارت ، قال الأمير " هل رأيت أن لكل منها رجلين " .

قال الغلام " لقد رأيت الآن ، كل منها لها رجلان ، عندما صرخت فيها ، ولكن - أطل الله حياتك - التى طهيتها لك بالأمس لم تصرخ فيها ، فعندما أحضرتها لك كان لها رجل واحدة ، لو صرخت فيها - نصرك الله - ، أخرجت الرجل الأخرى واسترحنا من هذه المشكلة ، طالما أن هذه عادتهم ، إذا رجرتها " .

هذا الرد الغبى جعل الأمير ورجاله ينفجرون فى الضحك ، ونظر الأمير إلى الغلام وقال " صدقت ، هذا الطائر الذى أحضرته لى أمس ، لم أصرخ فيه ، هذا هو السبب الذى جعلنا نراه برجل واحدة " ، وعفا عنه وعادوا إلى المنزل وهم يضحكون عليه لما هو عليه من غباء " .

ضحك الناس الذين كانوا يجلسون على الجانب الآخر ، وقالوا " هذه القصة فاقت كل القصص التى رويتها فى الأيام الماضية " .

وعندما طلع النهار إذ برجل يأتى من سيركا ويقول للأمير " نصرك الله ، الدواء الذى أرسلته إلينا ، لم نجد أبدا دواء لعلاج الكسور مفيدا مثله ، أقسم بعظمتك . عندما غلبناه ، وغمسنا فيه اليد ، وفعلنا كذلك فى اليوم التالى ، لم يطلع النهار إلا وكان قد شفى ، وعندما أخذت السيارة أمس فى المغرب ، تركته يركب الحصان للترهة . "

تعجب أمير سيركا ونظر إلى الأمير عبد الرحمن وقال " هل سمعت ؟ " ، قال الأمير عبد الرحمن " هل بدأت ترى ما يفعله وزيرنا " .

قال أمير سيركا " بالله عليك دعنا من وزيرك ، لقد اكتسب المهارة فى الكلام ،

لابأس ، ولكن هل تظن أن هذا الصبي قد انكسر ؟ ، لقد شرخت العظام فقط ، فتحير الجميع ، لقد صادف الحظ وزيرك ، ولكن إذا سمع الآن هذا سيضايقنا بجذاله ، هيا ابعث له بمن يناديه لسمع الثناء عليه بنفسه " ، وفي الحال بعثوا من ينادى الوزير البيغاء ، وقالوا له ما وصلهم من أخبار داود .

قال الوزير " طالما أنكم اتبعتم مشورتي ، إن شاء الله لا ترون ما يسوءوكم ، والآن يجب أن يعود ويشترى مسحوق جوز هندي من السوق ، ويخلطوه بدهن الأوز ، ويمسح به مع العلاج الذي سأقدمه لكم الآن ، سيشفى تماما . " ، وذهب وأحضّر بعض الأوراق ، وأعطاهما للرسول ليعود بها ، وأمير سيركا ينظر إليه وهو يتسم ، ويخشى أن يضحك بصوت مرتفع فيغضبه .

واستمروا فى هذا السمر حتى أقبل الظهر ، فقاموا وصلوا ، ولما انتهوا واجتمعوا بدأ حاذق يقص قصته .

الإلحاح فى الطلب لا يحضر المطلوب

كان يوجد رجل فقير جداً ، لا يملك إلا فأساً وحمارين ، وكانت حرفته هى الذهاب كل يوم إلى الغابة وقطع الأخشاب ، ويضعها على الحمارين ويذهب بها إلى السوق لبيعها . ويشتري الحبوب التى سيأكلها فى نفس اليوم ، لم يخلق الله هذا الرجل كسولاً ، ولو ليوم واحد ، لم ينقطع عن العمل سواء فى فصل الجفاف أو المطر ، مهما كان المطر ، ومهما كان البرد ، إذا انقطع ماذا سيأكلون ؟ ها الأطفال صغار ، والأولاد إذا كبروا هموا بمساعدته ، ولكن مع كثرتهم واجتهادهم لم يجمعوا شيئاً يذكر ، فهو يعيش فى بؤسه .

وذات يوم تعب ويئست نفسه ، فجلس صامتاً فى حيرة مما يدخل الراحة على نفسه فى هذه الحياة الدنيا ، فقال " لقد تعبت من هذا الشقاء بلا فائدة ، الإنسان يتعب سنوات وسنوات ، ومع ذلك لا يملك شيئاً ؟ ، غدا إن شاء الله أكف عن الذهاب إلى الغابة لقطع الأخشاب ، وأنام فى البيت ، وإذا شاء الله أن أنال الرزق وأنا راقد فوق السرير سيأتينى . "

وفى اليوم التالى رقد فى المنزل ، حتى حان وقت ذهابه إلى الغابة ، ومضى ولم يقم ، وقامت زوجته وأنهت كل أعمال المنزل ، ولم تسمع حركة تدل على أن رب البيت قد استيقظ ، فدخلت الحجرة لترى ، ربما يكون مريضاً ، فلما دخلت وجدته ممدداً على السرير ، فقالت له " ياسيدى هل أنت اليوم مريض ؟ ألم تشعر أن النهار قد طلع منذ مدة ؟ ، يجب أن تقوم ، وتذهب للبحث عما سناكله . "

فلم يرفع رب البيت رأسه لينظر إليها ، ثم قال " ويحك ياسيدتى ، أقوم لماذا ، ماذا أفعل لك ؟ "

قالت " اليوم ألن تذهب إلى الغابة ؟ "

قال " لن أذهب ، ما فائدة كل هذا التعب الذى عانيت به سنوات و سنوات ، رغم أننى أخرج مبكراً جداً و أذهب إلى الغابة ، هل أجد ما تقتاتون به إلا بصعوبة ؟ . "

قالت " وهو كذلك ياسيدى ، هذا ما قدره الله ، يجب أن نتحرك حتى نجد ما نأكل ، كل من تراه فى هذه الدنيا يفعل ذلك ، لا أحد ينام فى السرير ، كيف نحصل على الأكل ؟ "

قال رب البيت " ما أقوله لك الآن هو أننى تعبت من هذا السعى وراء الرزق بلا فائدة، إذا كان لى نصيب فى الرزق مستقبلا ، سيأتينى فى سريرى ، ولكنى تركت هذا السعى غير المفيد للأبد . "

انحنت ربة البيت وقالت " ويحك ياسيدى ، لا تجعل البؤس يجتلك، من الذى رأيته فى كل هذه الدنيا ، ينام ويجد الرزق يأتية إلى سريريه ، إن لم يقم ويبحث عنه ؟ ، قم وأحمل فأسك واخرج حماريك إلى الغابة ، واعمل ما تعودت أن تفعله ، واحمد الله الذى وهبك القوة والعافية ، قم ، ليس عندنا اليوم ولا حبة غلال فى المنزل "

نهزها الزوج وقال لها " هل قلت لك أننى لم أحمد الله ؟ أغربى عن وجهى ، عندنا حبوب ، أو ليس عندنا هذا لا يعينى ، اذهبى لشأنك، لا تتعبى نفسك بلا فائدة ، ليس فى هذه الدنيا من يحملنى على الخروج لقطع الأخشاب " ، عبثا حاولت زوجته كثيرا، فلم تثته عن عزمه، حتى تعبت من ثرثرته ، فانصرفت .

لم يمض وقت طويل على انصرافها حتى جاء أحد جيرانهم يسمى سمبو وأستاذن ، خرجت الزوجة وتبادلا التحية ، فقال لها ، لقد جاء يبحث عن الرزق لدى زوجها ، هل يوافق أن يعيره حماريه ، فلديه عمل ويحتاجهما ، وإذا كان رب البيت لديه عمل سيأتى ويساعده فيه .

دخلت الزوجة البيت وقالت «شخص يستأذن على باب المنزل» ، التفت الزوج فى غضب وقال " سبق أن قلت لك أنه لا يوجد فى كل هذه المدينة من يخرجنى من السرير، مهما كان ، من أراد أن يرانى فليدخل "

عادت الزوجه وقالت لسمبو ، فدخل وكرر الكلام الذى قاله للزوجه ، ولكن الزوج رد قائل " يا إلهى ، لقد سبق أن أقسمت ألا أقوم من هنا ، ولا يوجد من يجعلنى أغير كلامى "

قال سمبو " وهو كذلك ، إذا لم تذهب ، أعرنى حماريك ، وإذا عدت سأساعدك بما تشتري به الطعام "

قال رب البيت " ويحك ، إذا كان هكذا ، اذهب بهم ، ثم عد ". أخذ سمبو الحمارين ووضع عليهما الغيظ وخرج ، لقد طلب سمبو الحمارين لأنه رأى بعض اللصوص يخفون المال فى حقيبة فى كهف فى بطن الجبل ، وكان يظن أن هذا المال ملك لأمير المدينة ، لأن بعض اللصوص سرقوا خزائن الأمير ، ولم يمض على هذا الحادث أكثر من ثلاثة أيام ، ومازال البحث جاريا على هذه الخزائن ، لذلك يريد أن يستولى على هذا المال كله قبل أن يعثروا عليه ، فلما وصل إلى المكان أخذ يصب المال فى الغيطين ، وأخذ ما يمكن أن يحمله الحماران ، ويبحث عن قطعه قماش وغطى بها الغيطين ، حتى لا يرى أحدا ما فيهما ، واتخذ طريقا قصيرا ليعود إلى المنزل .

وأثناء السير رأى من بعيد اثنين من شرطة الأمير ، وما أدراك ما الكذاب ، لقد خشى أن يعرفوا ما فى الغيطين ، فإذا أمسكوه يذهبان به إلى القاضى ، فيحكم عليه بالإعدام ، لذلك جرى وترك الحمارين ، فسارا فى الطريق الذى تعودا أن يسيرا فيه إذا عادا من قطع الأخشاب ، وقصدا المنزل ، ولم يتوقفا إلا فى مربوطهما .

وكانت ربة البيت فى هذا الوقت خارج المنزل تقطف بعض النباتات ، فرأت الحمارين بما يحملان من متاع ، يجران أرجلها بصعوبة ، فذهبت مسرعة ونادت زوجها ليخرج ليرى الحمارين قد عادا يحملان شيئا ثقيلا .

عندما رأى رب البيت أنها ضايقته بالنداء ، قال " ويحك بالله لقد قلت لك ألا تضايقيني ، كم مرة قلت لك أننى لن أخرج ؟ "

فلما رأت أن زوجها يرفض الخروج ، ذهبت إلى الحمارين وفتحت الغيطين فرأت المال أكواما ، والشلنات حمراء ، تأخذ بالأبصار ، فلما رأت ذلك أسرعته وذهبت إليه وقالت له ، بالله عليك أخرج مسرعا ، صدقت عندما رفضت أن تخرج اليوم لقطع الأخشاب ، وانتظرت الرزق يأتى إليك حتى السرير ، ها هما الحماران قد عادا يحملان المال ، أقسم بقبر والدى أنه لا يوجد اليوم فى هذه المدينة من هو أغنى منا "

عندما سمع صاحبنا ذلك ، هب قائما من السرير ، وقصد مكانا واحدا وهو مربوط الحمارين ، فأمسكت الزوجه الحمارين ، وأخذ ينزل الغيطين ويفتحهما ، ونزل الدمع من عينيه من شدة السرور ، وحمله وذهبا ووضعاه فى إناء كبير ، ونظر إلى زوجته وقال " ياسيدتى هل علمت الآن أن ما قلته لك كان حقا ؟ "

الرزق شيء لا تعرفين له كيفية ، إذا كنت تبحثين عنه لا يأتيك مسرعا ، ولكن إذا تتركته يأتيك مسرعا ، ويبحث عنك حيثما تكونين . " قالت الزوجة " والله وافقت على كلامك ، صدقت ياسيدي " وما كاد يأتي الظهر حتى جاء سمبو ، سأل رب البيت عن المتاع الذي حمله الحماران ، فلما أدرك أن هذا المال ليس ملكا لسمبو ، وأنه لا بد أن يكون احتال للحصول عليه ، قال " لقد وهبني الله هذا المال وأنا راقد في السرير ، ولن يوجد من يأخذ كل هذا المال مني ، إذا كنت تشعر بشيء فارفع شكوى "

وكان سمبو يعرف أن هذا مال الأمير ، وأنه إذا شهد بأنه رآه سيقتل ، لذلك قال " اذهب ، لقد رزقك الله ، ولكن كما رزقك الله ، إذا كنت تحبه ساعدني " ، دخل رب البيت وأحضر عشرين جنيها وقدمها لسمبو ، فأخذها وانصرف ، صفق كل الجالسين وقالوا " اليوم سمعنا أمرا عجبا ، الناس لا يعلمون ، أنهم يتعبون أنفسهم عبثا؟ " .

قال الوزير البيغاء " أطال الله حياتك ، لا تتبعوا هذا ، هل الإنسان ينام دائما في السرير ، أي يوم حلو ويوم مر ، أمام سماجتي ، الذي فعل هكذا لم يشعر بالسعادة ، نظر أمير سيركا إلى البيغاء وقال " من هم سماجتي ، هل هو الدجال ؟ ماذا فعل إمامهم ؟ ، بالله عليك قل لنا ، لنسمع قصة هؤلاء الناس " .

أصلح الوزير صوته وقال " نصرك الله لقد سألتم أمرا بسيطا "

الله يساعد من يساعد نفسه

يوجد بعض الفولاني في الشمال يعرفون باسم أبناء سماجتي ، لا هم مسلمون ولا هم مسيحيون ، كالحفايش ، لا شأن لهم هنا ولا هناك ، ومع ذلك يرون الناس في ضلال ميين ، لذلك فهم لا يرضون لأى إنسان لم يدخل في دينهم أن يدخل أية قرية يعيشون فيها ، هؤلاء الناس لا يرتدون ثيابا فيما عد السترة ، لا يغسلون ثيابهم ولا يستحمون ، ولا يشربون الحساء بالملح ، ولا يأكلون اللحم ، ولا يستمتعون بأى شيء لذيد في هذه الدنيا ، بحجة أن كل هذا بدعة .

ونساؤهم لا ترى أحدا غير إخوتهم ، إذا اضطر غريب أن يدخل عندهم ، يحجبون نساءهم داخل المنزل حتى يقضى الغريب حاجته وينصرف .

الأمر الأكثر غرابة في دينهم ، هو أن أصل دينهم ، شخص ذكر لهم مرة أن في آخر هذا الزمان ، سيأتى عام يعطيهم الله فيه القدرة على الطيران مثل الطيور ، وطلب منهم الابتعاد عن الحياة الدنيا ، لأنها ستكون أكثر قذارة ، حتى أن الأطهار مثلهم لا يعيشون فيها ، لذلك فهم يصنعون في كل عام ملابس ذات أكمام واسعة ، ويعطونها لأولادهم ، ويقولون لهم ربما يأتى الوقت الذى يطيرون فيه ، ثم يقولون لهم إذا لم يأت ، تصنع لهم نساؤهم ملابس مثلهم ، وهم يصنعون ثيابا واسعة الأكمام ، لتكون لهم مثل أجنحة الطيور تساعدهم في الطيران ، إذا ذهبوا يقفون أسفل إحدى الأشجار ويطلبون من إمامهم أن يبدأ ، لأنه أكثرهم جميعا طهارة ، فيصعد الإمام فوق شجرة حتى يصل إلى قمته ، ثم يقفز ويترك الشجرة ، ويرفرف بأكمامه فيسقط على الأرض فيقولون « سماجتي ، سماجتي » حتى يهوى إلى الأرض ، وتسمع صوت الاصطدام فتتكسر عظامه تماما ، ولا يتحرك ، فيحملونه إلى المنزل ، ويدفنونه ويقولون لزوجته « لقد أخفق الإمام ، ليس له حظ هذا العام ، أحيانا الله إلى العام القادم » ، ثم يبحثون عن آخر يستحق أن يكون إماما لهم ، وهكذا يفعلون كل عام .

وكان أحد أئمتهم يتجول في الغابة ، فرأى أحد النور يأخذ فرخا صغيرا ويحضره إلى عش غراب ، ويشق بطنه بأسنانه ، ويقدمه للغراب الصغير ، فيبتلعونه ، ولم يأكل

النسر من هذا الفرخ شيئا ، فلما شبع هذا الغراب الصغير ، طار النسر وذهب ليجث عن آخر.

عندما رأى الإمام ذلك تعجب وقال " طالما أنه هكذا أمر الله ، فلماذا أتعب نفسي عبثا ، أذهب هنا وهناك لأبحث عن طعام ؟ ، أنظر إلى يدي كم صارت خشنه ، أنظر إلى قدمي كم أذاهما الشوك لجهلي ، أنظر كيف لدغني الثعبان في المزرعة في العام الماضي ، كل ما أصابني لا يؤسف عليه ، لأن عدم صبري هو السبب في ذلك ، والأفضل أن أبحث الآن عن كوخ صغير في مزرعتي وأدخله وأنام فيه ، وأسأل الله أن يهني الطعام ، كما وهب هذا الغراب الصغير ، رغم أنه ليس من فصيلة - النسر " ثم قام وقصد مزرعته ودخل الكوخ ونام ، وطلب من أولاده ألا يأتى إليه أحد ، أو يأتون له بشيء ، وأنه لن يغادر كوخه إلا بعد أن يكون وليا .

ورقد في الكوخ حوالى ثلاثة أيام ، لا يصوم ولا يصلى ، ولا يدعو بأى دعاء ، حتى ذبل ونحف ، وصار لا يستطيع أن يقوم ليجول ، وظل على هذه الحال ينتظر طعاما يأتيه ليأكله ، وكان يتمنى أن يأتية أنواع الطعام التى يفضلها ، حتى تعب فترك الاختيار قائلا " حتى إذا جاءوا لى بشريد أريده " .

وظل على هذه الحال ، وبعد ثلاثة أيام ساءت حالته فرأى فى المنام من يقول له " أنت لم تكذب ، هذا مخلوق ، والله يفعل ما يريد ، لأنه خالق كل شيء ، قادر على أن يجعل الليل نهارا والنهار ليلا ، هو الذى يطعم طيور السماء ، ويطعم السمك والضفادع فى الماء ، ويهيئ للحيوانات والناس وسائل العمل لينالوا رزقهم ، وفى كل الكتب التى أنزلها يقال أن الله يساعد من يساعد نفسه ، وإذا كنت تريد أن تقلد هذا الطائر الذى رأيته مرتين ، عليك أن تقلد النسر الذى يطعم الغراب ، وليس الغراب الذى يأكل الغراب الصغير الذى لا يستطيع الطيران ، ليجث عن الوسيلة ، التى يساعده الله بها ليجد الطعام ، أما أنت فقد وهبك الله القوة والصحة ، وقد قال الله قم لأساعدك ، قم واجمع أولادك واقصد الناس واتبع الدين الحق ، وأترك الجهل ، حتى لا تموت على الكفر ولا تنال خير الدنيا ولا الآخرة . "

وهنا استيقظ الإمام من النوم ، وقد وفقه الله ، فما كاد يستيقظ حتى جاء أحد أبنائه وأخذ يطوف حوله ليرى ما إذا كان حيا أم لا ، فناداه ، فجاء الغلام ، فوجد أباه قد تغير

شكله ولم يعد يشبه الناس ، فأسرع إلى المنزل وأخبرهم ، فجاءوا مسرعين وحملوه كالميت إلى المنزل ومرضوه ، وبصعوبة عاد إلى هيئته .

وعندما أفاق وعادت له قوته ، جمع أهل الحى كلهم وأخبرهم برؤياه ، وقال لهم أنه من اليوم خرج من دين سماجتي ، وجمع أولاده وعاد إلى المدينة ، ودخل الدين الإسلامى ، أما الآخرون فقالوا أنهم لن يتركوا الدين الذى ورثوه عن أجدادهم وعينوا إماما آخر ، ودفعهم الشيطان إلى هذا الضلال ، حيث قوى الجهل ، من الغباء أن يذهب الإنسان إلى هناك ويزعم أنه يريهم الحكمة ، اللهم أحفظنا ، آمين . قال الأمراء " هل هؤلاء الفولانى بلغوا هذا الحد من الغباء ، بالله عليك أيها الوزير هل هذه القصة حقيقية ؟ هل يوجد فولانى يسمون سماجتي ، أم هو خيال ؟ "

قال الوزير البيغاء " نصرك الله ، أنا لا أكذب ، ولكن أرى القول ، لأن الحكماء قالوا " الانسان طالما عاش لابد أن يخطئ يوما ما " ، ولكن هنا فى الشمال أقسم بعظمتك يوجد فولانى يسمون أبناء سماجتي ، لولا أننى أخشى ضياع وقتكم لقصص لك قصة أخيهم ، الذى لم يعمل طيبا فى يوم من أيام حياته ، ثم صار وليا بعد موته "

قال أمير سيركا " بالله عليك استمر ، العصر لم يقترب حينه " . استعد الوزير للاستمرار فى رواية القصص ، فأروا من بعيد سائق سيارة أمير سيركا يأتى ، فانتظروا حتى دخل ، وانحنى أمام الأمير ، وقال " نصرك الله ، لقد سرقت خزنتك اليوم ، ولم يتبق فيها قرش واحد ، أمس فى الليل دخل اللصوص حجرة ربة البيت ، وسرقوا كل مفاتيحك التى لديها ، وفتحوا الخزنه وسرقوا كل ما فيها ، وقد رأيت وكيل المدينة منذ الصباح يأمر الجنود والشرطة ورجال الأصبطل أن يتشروا فى كل مكان فى البلاد شرقاً وغرباً ، وجنوباً وشمالاً ، يبحثون حتى اقترب ظهر اليوم ، لم يجد لهم أثرا ، فلما رأى ذلك طلب أن أركب مسرعا وأتى لأخبرك لعلك تعود فتبحث الأمر . "

صمت الناس الذين سمعوا هذا الخبر ، فقال أمير سيركا ، " اذهب وماذا أفعل ؟ ، هل عندى القدرة أن أفعل مالم يستطيع أن يفعله هؤلاء الرجال الذين انتشروا فى كل مكان ؟ ، عليك أن تذهب وتقول لوكيل المدينة أن يشدد البحث ، وسأحضر عندما ينتهى الوزير البيغاء من قصصه . "

نظر الأمير عبد الرحمن إلى الوزير البيغاء ، ونظر البيغاء الوزير إلى أمير سيركا ،

وقال " نصرك الله " ألم أقل لك عندما بعثنا إليك أن تحضر بمفاتيح خزائنك ، رفضت قولى ؟ "

قال أمير سيركا " والله لقد أخذت كلامك على أنك تسخر منى . "

قال الأمير عبد الرحمن " لقد قلت لك أن الأفضل أن تسمع كلام وزيرنا البيغاء ، إننى أعرف من الذى وليته الوزارة ، ونظر إلى البيغاء وقال " بالله عليك يا وزيرى ، لا تغضب ، ساعدنا أكثر بما يجب أن نفعله " قال الوزير البيغاء " وهو كذلك ، لا بأس ، نسأل الله أن يساعدنا ، ولكننى أعجب كيف يحتقر أمير سيركا كلامنا هكذا ؟ وكأنه لا يعرف أن قدرة الله واسعة "

عجز أمير سيركا عن الرد ، هل غضب ، هل تعجب من أمر هذا البيغاء ، لا يعرف أحد ، وبعد قليل نظر الوزير البيغاء إلى سائق السيارة الذى حضر وقال " عد مسرعا إلى سيركا ، وابحث عن صبى صغير لم يبلغ الحلم ، واجعله يسير أمامك ، وقل له سنمر على الأحياء ، وسر خلفه وحيث ينحرف اتبعه ، لا توجهه ، وعند باب المنزل الذى يقف أمامه ويقول لك أنه تعب ، اجعل الشرطة تحيط به ، فاللصوص لم يغادروا المدينة "

ركب السائق وعاد فى الحال ، وأخذ الناس ينظرون إلى الوزير البيغاء ، وأخذ حاذق يغمض عينيه ويفتحهما ويضحك عليه .

نظر الأمير عبد الرحمن إلى أمير سيركا وقال " يجب أن نقوم الآن حتى تهدأ النفوس ونستمر "

قال أمير سيركا " نقوم ؟ طالما أننى لا أستطيع العودة إلى سيركا ، ننتظر لنسمع آخر هذه القصص ، أنت تعرف أننى لا أستطيع القيام حتى يتمها "

ونظر إلى الوزير البيغاء وقال " بالله عليك ابدأ ، ما قدر الله أن يقع لا محالة ، قال الوزير " صدقت نصرك الله " وأصلح جلسته وأخذ يقول :

قصة جائر بن سماجنتي

تعب أحد أبناء سماجنتي من بقاءه عديم الاستمتاع بالحياة الدنيا ، كما قلت لكم من قبل ، رأى أنهم لا يفعلون عملاً ذا قيمة أو قل بصيرة ، لذلك انفصل عنهم ، وهام على وجهه في الحياة الدنيا ، حتى وصل إلى مدينة تسمى كوكوكي ، وكان اسم هذا الرجل جائرو ، ولكن عندما هجر مدينة ، قال إن اسمه " كل واحد تكفيه حيلته " ، وكان الناس ينادونه هكذا ، ولكن اختصاراً للاسم الطويل ، كانوا ينادونه " كوا " فقط ربما يكون هذا الأمر يدعو للغرابة ، كيف فسق هذا الفلاني مرة واحدة ، بمخالطته للناس ، لقد قلت لكم من قبل أنهم جعلوا كل شيء بدعة ، ولكن بمجرد أن اختلط كواً بالناس ، فاقهم في الحياة ، رويدا رويدا حتى صار معروفاً ، وإذا قلت جائرو يشار إليه بالبنان ، فإذا قصده تـعود إلى منزلك وقد قضيت حاجتك ، لعلك تعرف أن الفلانا سريعو الغضب ، ولكن إذا سببت أم كوا ، تراه لا يهتم ولا ينظر إليك ، ولكن يضحك ، وصار الكذب يجري على لسان كوا ، حتى وصل إلى السوق ، وبدأ في كوكوكي بالحاشية ، ففي شهر واحد ، أطلق الأكاذيب حتى أن أمير المدينة أبعد أربعه حكام عن السلطة ، كانت عينه معلقة بالنساء كالكلب - أي محب للفحشاء - حتى أصابع يده صارت تسعه فقد قطع العاشر عندما طورد عندما أريد قطع رقبة بالسيف فلم يصب السيف سوى إصبعه ، والأمر الذي أكد سوء خلقه ، إذا أعطته أمه أمانة خانها .

وعندما تعب أمير كوكولي من كثرة الشكاوى التي تأتيه من الناس الذين خان كوا أماناتهم ، أمر بأن يعلن على الناس أن كل من أعطى كوا شيئاً ، لا يلوم إلا نفسه ، فلا يشكوه إذا خان أمانته ، أما من حيث السحر فهو كأمر السحرة ، كأن دنكو ملك الجان رهن إشارته ، يأتيه الناس ليعمل لهم الأسحار ، ويدعى أن دنكو يتحدث إليه ، ويتفاخر بنفسه ويدعى أنه جاتو حفيد كسرى ا ، وفي كل مكان يضايق الناس ويغضبهم بالتسول والبخل ، حتى الرضيع لا ينجو من مضايقاته ، شخص لا يسمع شيئاً ولا يرى شيئاً ، ولكن إذا طلبته في شهادة يقول أنه رأى وسمع ، ويقسم الأيمان الكاذبة ، ويشهد الزور ، وإذا أعطيته ثلاثين شلناً ، ليشهد لك شهادة الصدق ، لا يفعل ذلك ، والأفضل أن تتركه

يستمر فى أكاذيبه ، من يشهد عليهم شهادة الزور وكان سببا فى قتلهم كثيرون ، أما عن التفرقة بين محب وحبيبه ، فقد صار هذا العمل حرفة له ، حتى أن اليوم الذى لا يحدث فيه أية خصومة لا يكون مطمئنا ، فهو يدخل بين الابن وأبيه ويفسد ما بينهما ، ويفرق بين المرأة وزوجها ، إذا جلس يكون كإبليس ، ولا يحدث بين الناس سوى النفاق والوشاية والنميمة ، وكثيرا ما تراه بين اللصوص ، يذهب للسرقة أو قطع الطريق أو القتل - نصرك الله - حتى صار يستأجره الناس لقتل الآخرين ، ويدفعون له أجر ذلك ، فروح الإنسان والذباب عنده سواء ، فى كل مكان ترتكب فيه الرذائل تجده فى مقدمه هذا المكان ، لو توقفت لأصف لك أخلاق كروا ، تظن أنك فى عصر قديم قبل بعث النبى ، لو وجد مثله أربعة فى مدينة خسفها الله لكثرة ذنوبهم .

واستمر على هذه الحال ، فلما ضايق أهل المدينة ، أجمعوا أمرهم ، ومنعوا عنه كل شيء حتى ماء الشرب ، فلما أدرك هذا الظالم ذلك ، أخذ يذهب إلى السوق ويسرق الناس حتى ضايقهم ، ولما سمع الأمير هذه الأخبار ، أمر الشرطة أن يسألوه عن الباب الذى يفضل أن يخرج منه ، ورافقوه حتى أخرجوه وترك مدينتهم .

لما طردوه دخل الغابة ، وقال " بدلا من أن أذهب إلى أية مدينة ، أعود إلى بلدى لأعلمهم أمور الدنيا ؟ " ، ثم انحرف وقصد مدينة سماجنتى .

بعد أن ارتكب هذا الذنب العظيم بانفصاله عن دين سماجنتى ، وذهاب بعض إخوته إلى مدينة كوكوكى ، بل بعض الناس من مدينته شاهدوا ذلك بأعينهم ، لقد كانوا يظنون أن ما يسمعون عن أعماله أخبار غير صادقة ، لذلك عندما عاد إلى مدينتهم ، رفض إخوته أن يعيش معهم ، واستعدوا لطرده ، وذات يوم أصابته الملاريا فضايقهم هذا الأمر فحملوه ووضعوه فى كوخ خارج المنزل ، وكان فى بداية الأمر يستطيع الحركة ، ولكن بعد ذلك صار كالحجر لا يتحرك .

كل هذه الأمور ضايقت أخوة جائرو ، وصار لهم مثل القذى فى العين ، لا يستطيعون تركه يموت ، فيقول الناس أنهم قتلوا أخاهم ، ولا يجب أن يجلسوا معه ليمرضوا هذا الكافر ، وهذا ذنب عظيم فى معتقداتهم ، فلما ضايق الأمر جميع إخوته ، اجتمعوا خلف الكوخ الذى يرقد فيه جائرو ، يتشاورون فيما يفعلون معه ، وليس فيهم شخص واحد مقرب يهتم بأمره ، لأن أباه وأمه قد ماتا ، وليس له أخ أكبر ولا أصغر ، وليس له ابن ولا حفيد ، سوى الأهل والأعمام من الرجال والنساء ، عندما بدأوا

يتشاورون قال بعضهم " الآن إذا حملناه إلى الغابة، سيكون أمراً مخجلاً لنا لأنه أخونا ، وإذا سمع الناس ذلك ، وقعنا فى مشكلة ، وإذا تركناه يموت سيزداد حزننا ، لأنه لن يأتى أحد جنازته ، فلا بد أن نحفر حفرة وندفنه فيها ، لأن الإمام إذا رفض الصلاة عليه من له القدرة أن يصلى عليه ، فيموت عبثاً ؟ الله يلعنك فاسداً "

لقد كان كل ما قالوه على مسمع من جائرو ، كان يرقد ويسمع ما يقولون ، رد عليهم قائلاً " لقد سمعت كل ما تقولون ، وأعرف أنكم على حق ، ولكن بالله عليكم لا تثيروا أعصابكم عبثاً بسبب هذا ، الآن ما أريده منكم ، أن تذهبوا وتأتونى لى بالإمام ، ليأتى وأقول له ما فعلت من ذنوب منذ ولدت حتى الآن ، إذا رأى أن أصحاب الذنوب مثلى يصلى عليهم ، فيصلى على ، وإذا رأى أنهم ليسوا مثلى ، يقول لكم ما تفعلونه بى ، وبذلك تتجنبون من لوم الناس .

عندما سمع إخوة جائرو هذا الكلام ابتسموا وقالوا " بدلاً من أن نكشف سر أنفسنا اليس الأفضل أن نتركك ، إذا توفيت حيثنذ نبحث لك عن حيلة ؟ ، وإذا أخطأنا وتركنا الإمام يسمع عن سوء خلقك ، دعك من الأعمال ، حتى نحن أقاربك سوف نكره كراهة شديدة ، فلن نستطيع أن نشرب شربة فى المدينة .

ألح عليهم جائرو ليطلبوا له الإمام ، حتى وافقوا ، وعندما رأى أن الرجال أنصتوا لسماع كلامه ، قال لإحدى خالاته أن تذهب لا استدعاء الإمام .

عند حضور الإمام قام أخوة جائرو واختبأوا خلف كوخ ، ليسمعوا ما سيقوله جائرو، جلس الإمام عند رأس السرير الذى ينام عليه جائرو ، وحياء ، وسأله عما أوصله إلى هذه الحالة .

رد جائرو وقال له كل ما يقوله أخوته ، وما يريد أن يفعله الإمام معه ، قال الإمام " وهو كذلك ، أولاً لماذا انفصلت عن والديك ، وهجرت المعتقدات التى ورثتها عن آبائك وأجدادك ؟ ، وطالما أنك فعلت هذا الأمر السيء ، فكل ما يقوله إخوتك حق " ، نظر جائرو إلى الإمام بطرف عنيه ، وقال " لاشك أننى أخطأت ، ياسيدنا ، ولكن غرنى الشباب والهروب من العار فيما بعد ، هما اللذان جعلانى أرفض الكشف عن سبب هجرى لمنزلى ، ولكن أقسم بعظمة احترامك لهذه المعتقدات ، وعظمة محاولتك هذه ، ولو انفصلت عن معتقدات سماجتى ، إذا حان وقت الطيران فى أى عام ، سأذهب إلى

الغابة وانتظر أسفل إحدى الأشجار وأفكر فيما تفعلونه فى هذا الوقت . وما جعلنى أنفصل عنكم ، هو أننى سبق أن حاولت الاختلاط بالمسلمين ، وأرى ما هم فيه من ضلال ، وأتى لأقول لكم ، حتى نستعد للذهاب للجهاد ضدهم ، لأنه لا ينبغي لمثلك أن يعيش فى هذه الحياه ، وفيها كثير من الناس على ضلال ، ولا تتشاور فى أمرهم .

مسح الإمام على رأس جاثرو وقال " هذه النية التى نويتها هى ما نريدها فى معتقداتنا، القله هى التى جعلتنا لا نتحرك ، رحلتك هذه لمناك عليها عمدا ، أجرك مساو لمن أدى فريضة الحج ، بعد ذلك أريد أن أعرف ، ألم تقتل أبدا ؟ "

انتظر لتسمع فساد هذا الضال الذى كان يُستأجر للقتل مقابل المال ، ثم قال " لم أقل أننى لم أفعل ذلك أبدا ، لأنه فى أحد الأيام قطع أحد اللصوص الطريق على أحد التجار ، وهجم على التاجر وكسره ، واستل سكينا وهم بقتله وسلب متاعه ، ثم شاء الله ، أن أوجد فى هذا المكان ، وأظهرت له شجاعتى ففر هاربا ، وبينما كان يلتفت خلفه سقط فى حفرة وأنا أطارده ، فلما رأيت أنه لم يقم ، ذهبت لأرى ما حدث ، لعله جرح ، فوجدت أن سقطته هذه كسرت عنقه ، فأخذته ، حتى مات وسبقنا إلى الدار الآخرة ، وهكذا تسببت فى قتل هذا الرجل . "

قال الإمام " هذا لا ذنب لك فيه ، ولكن ذنبه قضى عليه ، هذا ليس ذنبا ، ثم أريد أن أعرف ألم تكذب أبدا ؟ "

قال جاثرو " لا مرة واحدة ولا مرتين ، إلا أن يغفر الله لى ، لأنه فى يوم من الأيام لما رأى رفيقى فى السفر أننى لا اتبع الدين الإسلامى وشى بى عند الأمير ، حتى يجعلنى أسلم ، وللنجاة من هذا قلت للأمير أننى مسلم ، هذه هى الكذبة التى كذبتها ، وذات يوم شهدت زورا على أحد جيرانى ، وكان السبب فى ذلك أننى كنت كل يوم فى المساء أسمع يضرِب زوجته ضربا شديدا ولا أعرف السبب ، وذات يوم سكر ، وانهاال عليها ضربا وكاد يقتلها ، لذلك عندما رأيت أن هذا الأمر فاق الحد ، قلت لحاكم حينئذ ليزجرهم ، قلت أنها صاحبة الحق، وليس هو ، رغم أننى لم أعرف حقيقة الأمر "

عندما سمع الإمام ذلك تعجب ، وقال " إن أخلاقك هذه لا يوجد مثلها فى الدنيا، وهذه ليست ذنوبا " وربت على كتفه وقال " وهو كذلك وماذا عن النساء والسكر ؟ "

لفت جائرو رأسه وقال " أشعر بالخجل من قولى لك شيئاً بشأنهم " قال الإمام :
" لا شيء يدعو للخجل بينى وبينك ، مهما كان قبح الذنوب التى فعلتها ، إذا سألتنا
عنها نجدها حسنات "

قال جائرو " كل طريق أسير فيه أشعر بذلك ، كل شيء حدث لى ، إذا ذكرت
اسمك ، أراه قد أثار لى الطريق "

ابتسم الإمام ، وأدار جائرو الذى ليس لديه مشروب سوى الخمر - رأسه وأخرج
لسانه ، وقال " عندما حان موعد الطيران فى العام الماضى ، أخذت أعبد ليلاً ونهاراً ،
وأدعو أن يسعدك الحظ ونظير معاً ، ولم أتناول طعاماً ، ولم أشعر بالجوع ، وفى مغرب
اليوم العشرين ، أحضروا لى سمكاً صدقة ، فأكلت منه قليلاً فوقفت شوكة فى حلقى ،
فلما رأى أهل البيت أننى سأهلك ، أعطونى خمرأ فشربتها ، وقالوا لى أنها دواء ، ولم
أكن أعرف أنها خمر ، إلا بعد أن شفيت ، فقالوا لى ، فغضبت غضباً شديداً ، وهذا ما
يمنعنى من القسم بأننى لم أشرب الخمر أبداً " ، نظر إليه الإمام وهز رأسه ، فقال جائرو
" أما عن النساء فلن أقول أننى لم انفرد بواحدة منهن أبداً ، لأنه أثناء تجوالى ، نزلت فى
إحدى المدن ، ورأى أهل المدينة أننى رجل طيب ، لا الهو ولا اعمل شيئاً يخالف
معتقداتنا ، فأخذوا يظنون أننى متكبر ، ثم أخذوا يقولون أننى مثل الأولياء الذين لا
يعرفونهم ، لذلك أخذوا يعظمونى ، إذا أكلت طعاماً أخذوا يتخطفونه تبركاً بى ، وكل
من أصابه شيء جاءنى لأرقيه ، وإذا رقيته يشفى ، ولما رأيت أنهم سيدفعوننى للغرور ،
ويمنعوننى من العبادة عند ذلك اتفقت مع امرأة أن تأتينى حجرتى ، حتى إذا رآها الناس
يظنون أنى زان ، فيتفرقوا عنى لاتفترغ لعبادتى ، رأيت ، بعد أن فعلت ذلك صرت
عابداً ، هياك الله للطيران فى هذا العام ، رأيت ما تمنعنى من القسم . "

عندما سمع الإمام ذلك تساقط الدمع من عينيه شفقة ، وقام واحتضنه وقال " هؤلاء
الناس لم يكذبوا ، اللهم الحقنا بك ، لاشيء يمكن أن ألومك عليه " قال جائرو " لا ،
اسأل ما تريد " وغافل عينيه وأخرج لسانه ، وقال " هناك ذنبان لم أقل لك عليهما
نحجلاً منك "

قال الإمام " ويحك ، من مثل هذه الذنوب لا تخجل ، نحن الذين يشهد لنا
بالطهر ، إذا وجدنا أخلاقاً مثل أخلاقك نشكر الله ، قل لنسمع "

لقد قلت لك من قبل أن جائرو يخون الأمانة ، حتى أمه التي ولدته لو أعطته أمانة يخونها ، ثم قال " أولا ، لقد خنت الأمانة مرة واحدة ، وهذا لسبب ، فى وقت الطيران فى العام قبل الماضى ، وجدت ثلثنا ، فذهبت إلى السوق لأصرفها ، وأنصدق بجزء ، اسأل الله أن يهين لك فرصة الطيران ، لأننى أرى أن الحياة الدنيا قد فسدت ، وكثرت قذارتها ، وعندما عدت النقود التى صرفتها وجدت فيها مليما رائدا ، فعدت إلى السوق وأخذت أبحث عن الرجل الذى صرف لى المال ، فلم أجده ، أخذت أبحث عنه لمدة عام ، فلما أدركت أننى لن أجده ، تصدقت بهذا المليم ، هذه هى خيانة الأمانة التى فعلتها فى حياتى "

" الثانية ، لقد وشيت مرة واحدة ، فذات يوم نزلت فى أحد المنازل ، وكان منزل لصوص ، وفى منتصف الليل سمعتهم يتشاورون ويقولون ، إذا انتصف الليل ، سيقصدون منزل إمام المدينة ويسرقونه ، ويقتلونه ، وينهبون المنزل تماما ، فلما سمعت ذلك أخذتني الشفقة ، وفكرت فيما سيحدث لك ، وأنهم سيقتلون أخاك ، رغم أنه يجر أهله إلى طريق الضلال ، وليس مثلك ومع ذلك قمت عندما طلع الفجر وأخبرت أمير المدينة ، فبعث الشرطة سرا ، ودخلوا منزل الإمام ، فجاءوا عندما شاء الله أن أخرج من المنزل ، فقبضوا عليهم وسجنوهم ، أسمعت الذنوب التى ارتكبتها ، وأخجل أن أقولها لك "

فأهذه الإمام احتضنه ، وهو يقول " لاشك أنك ولى ، اسأل الله أن يهبنا بركتك ، ويجعلنا على طريقك " .

فغافل جائرو عيني ، وأظهر الاستخفاف به وقال فى نفسه " لو كانت طيباً لا رددتم فساداً ، وقل من قتلت من الناس ، فقد قتلت على الأقل مائة ، أما الوشاية فلا تفارقنى حتى العجوز التى تفخر لو قيل لها أفسدى ما بين أهل البيت وصلى أهل السوق أفوقها فساداً " .

وربت الإمام على كتف جائرو وقال " لقد نسيت أن أسالك عن أمر كبير ، ألم تعمل السحر أبداً ؟ "

بصق جائرو وقال " إذا قيل مثلى يعمل السحر ، من خرج ليجاهد هذا أمر مخيف ، اللهم احفظ أبناء سماجتى من هذا " ، ومط شفتيه للإمام ، وقال فى نفسه " سحر يفوق

ما تفعلون؟، فى أى كتاب وجدتم هذه المعتقدات؟ ، أفى معتقدات سماجتي ؟ إلا فى كتب الشيطان ، والذين يبحثون عن الضلال ، أنا وأنتم سواء "

قال الإمام " الحمد لله ، طالما لم تعمل السحر ، فكل ما تعمل طيبا " لقد كان كل ما يعانى منه جائرو هو المغص والحمى ، ولعلك تعرف المغص يجعل المريض يتلوى ، وأثناء إنهاء هذا الحديث شعر بالمغص ، فأخذ يتلوى ويتنفس بصعوبة ويصرخ من شدة الألم ، فلما رأى الإمام ذلك ، تضايق وقال " سيدى هل أنت مريض ؟ "

دعك من هذا واسمع عمل هذا الجائرو ، كل هذا العذاب الذى كان يعانى منه ، ومع ذلك يدعى أنه تذكر ذنبا عظيما عمله ، وهو الذى دفعه للبكاء .

قال الإمام " عجيبا ، ليس فيما فعلته أى ذنب ، مع كل هذه الأعمال التى عملتها فأنت رجل صالح ، كما ولدتك أمك ، إذا شعرت بهذا الألم لا نعرف الآن بماذا نسليك ، ولكن قل لنسمع ما تتذكره . "

ولكن هذا الكافر الذى تعرفه العرسة لشهرته فى السرقة ، وأنه سجن خمس مرات ، قال " كل ما حدث فى حياتى ، والذى دفعنى للسرقة ، أنه فى يوم من الأيام خرجت فى المغرب أتتزه ، كما أفعل دائما إذا تعبت من الورد الذى أقرأه ، وجدت حية تتسلل وتأكل طعام بعض التجار الذى حفظوه ، ودخلوا المزرعة ليحضروا لحميرهم عيدان الذرة ، فلما رأيت ذلك غضبت ، وأخذت أتلفت حولى لعلى أراهم ، فأقول لهم ألا يأكلوا هذا الطعام ، ولكن لم أراهم ، لذلك عندما انصرفت هذه الحية ، ذهبت وسرقت هذا الطعام ، ودائما أحتقر نفسى إذا تذكرت هذا العمل ، فينغص على حياتى ويدفعنى للبكاء . "

لم يجد الإمام ما يقوله ، فعانقه وأخذ يقبله ، ويقول " بالله عليك ادع الله أن يهيأنى للطيران فى هذا العام ، فأمثالكم دعاؤهم مستجاب . "

هز هذا الخبيث رأسه ، وقال فى نفسه " إذا كنت تعتمد على دعائى ، دعك من كثرة الرجاء ، رأسك سوف يسقط على الأرض هذا العام . "

ثم خرج الإمام وذهب حيث يجتمع أهل المنزل ، وطلب منهم أن يأتوا ويحملوا

جائرو ويعيدوه إلى المنزل ، وقال لهم أنه ولى ، وأن يهتموا به ، لعلهم ينالون البركة ،
وفى الحال نفذوا ما طلبه منهم الإمام .

لقد ذكرت لكم أن كل ما يقوله كان على مسمع منهم ، لأنهم كانوا مسختبين
يسمعون ما يقول ، لذلك تعجبوا من كلام هذا الجائرو ، ويقولون " بالله عليك انظر
كيف استطاع هذا الكذاب أن يخدع الإمام بهذا الكلام ، حتى يأمرنا بإعادته إلى منزلنا ،
والآن إذا ذهبنا إليه وقلنا له أنه يكذب ، سيقول أننا نحسده ، ولذلك الأفضل أن نكتم
هذا السر ونتركه . "

لقد قلت لكم أن المغص يلازمه ، فلم يكد النهار يطلع حتى توفى ، اللهم احفظنا
من أعمال الجهلاء ، فى الحال استدعوا الإمام فحضر ، فأمر أن يعلن فى المدينة أن كل
من أراد أن ينال البركة ، يأتى لتشيع جنازة الولى ، ولما اجتمع عدد كبير وقاموا بما يقوم
به الجهلاء ، دفنوه . وأمر الإمام أن تبنى قبة كبيرة حول قبره ، وأحضروا رمالا بيضاء من
النهر وفرشوها .

وما يحدث بعد ذلك من أمور تعرفونها ، بدأ الشيطان يقودهم لزيارة هذا الجائر ،
وتحمل إليه الصدقات ، ويأتى الناس للتسول ، أرايتم ما صار إليه أمر هذا الشيطان الذى
كانت كل أعماله سيئة ، بعد أن مات صار وليا كبيرا فى بلدهم .

نسأل الله أن يحفظنا من أخلاق هذا الجائر ، انظر بالله عليك ، عندما وصل الناس
أخذوا يطلبون الهداية من الله ، وينطقون بكلمتى الشهادة ، فيأتى فجاء هذا الجائر
ويحدث ما يحول بينهم وبين ذلك ، وقانا الله من أخلاق هذا الجائر .

عندما انتهى البيغاء من رواية هذه القصة ، وأعجبهم هذا ، أعجب بنفسه على
الحكمة ، ثم مال وهز رأسه ، ونهياً يكمل قصته بالشعر ، ولم يعرف أنه مهما قدم من
الحكم فى رواية القصص ، أن صوته سىء الإنشاد ، ولما بدأ هربت الطيور ودجاج المنزل ،
ظنوا أنهم يطردونهم ، هز صاحبك رأسه وتصور أن صوته جميل وأخذ ينشد .

انفجر أمير سيركا فى الضحك ، وقال " عجباً أتستطيع الغناء ، إن صوتك لا مثيل
له فى الجمال " .

ظن الوزير البيغاء أنه يمدحه حقيقة فقفز قائلاً ، نظمت هذا وأنا متعجل لو كنت
أعرف أن شعري يعجبكم لختمت كل قصة بالشعر ، قال أمير سيركا « قصة هؤلاء الناس
أكثر غرابة من كل شىء » .

قال الوزير الببغاء " لم أذكر لك قصة المهرجين الذين تقابلوا مع هؤلاء الفولاني
عندما اجتمعوا في مسجدهم ، عندما قلت لكم أن جثه جائرو أحضرت للدفن " .
قال أمير سيركا " لما تجاوزت هذه القصة؟ ، بالله عليك استمر في القصة " .
قال الوزير الببغاء " لنتنظر إلى الغد - نصرك الله - فلتذهب لأداء الفريضة " .
قال أمير سيركا " صدقت ، ولكن غدا يأذن الله سنبدأ بها " ، وتفرق الناس
متعجبين .

وفي اليوم التالي ، عندما حان وقت الظهر ، جاء أمير سيركا أولا ، ثم بعث للأمير
عبد الرحمن ، فخرج ، وبعد ذلك جاء الأمراء الصغار فملأوا باب القصر .
نظر أمير سيركا إلى الوزير الببغاء وقال " ابدأ ، وأكمل لنا قصة سماجتى " .
قال الوزير " نصرك الله " وتهيأ وبدأ في القصص .

قصة بعض المهرجين وأبناء سماء جنتي

لقد قلت لك أن هؤلاء الفولانيين تجمعوا في مصلاهم عندما حملت جثته جاثرو لتدفن ، وقد حاول كل واحد أن يلمسها لينال البركة ، كما أعلن الإمام أن يفعلوا ، العميان والعرج والمرضى أخذوا يقدون ليلمسوا جثته ، لعل بركته تكون سببا في شفائهم .

وبينما كان أهل المدينة مشغولين في هذا العمل ، وصل إلى هذه المدينة ثلاثة من المهرجين ، أحدهم يسمى كربي ، والثاني أنجو والثالث أمشي ، فلما رأوا المدينة كأنها في حفل كبير ، وأن الناس يتجمعون في المصلى ، يقدون ويروحون ، قابلوا صبيا فسألوه ، فأخبرهم بما يجري ، فانتحوا جانبا يتشاورون فيما يفعلونه ليروا هذه الجثة ، حتى إذا هادوا يجدوا ما يقصونه للناس ، فعجزوا أولا عما يفعلون ، لأن الناس حولها كثيرون ، عند ذلك قال لهم كربي أن لديه حيلة ، فمارض وادعى أنه مريض ، ثم انحسر بين الناس ، فلما اقتربوا وقف كربي ، وتأبطه أنجو وأمشي ، كأنه مريض جدا ، وذهبوا به وهما يسنداناه ، ويقولان للناس " بالله عليكم أفسحوا لنا "

فلما رأى الناس أن كربي مريض جدا ، أشفقوا عليه ، وأفسحوا له الطريق ، وساعدوه بأن طلبوا عن أمامهم أن يفسحوا الطريق ، حتى يدخل عبد الله المريض ، وتوغلوا به وهو بين أيديهم حتى وصلوا إلى حيث يرقد جاثرو ، وأجلسا كربي بالقرب منه ، وكأنه لا يستطيع القيام ، ومد يده بصعوبة كأنه لا يقدر ، ومس جسد جاثرو بها ، ثم مد يده التي لمست جاثرو مدعيا أنها شفيت ، ثم مد يده الأخرى بصعوبة ولمس جسد جاثرو ، وادعى أن هذه الأخرى قد شفيت ، الفولانيون ينظرون ما يفعل ، الأمر الذي أدهشهم وجعلهم يظنون أن جاثرو ولي حقيقة ، فها هو كربي قد لمسه فاستطاع أن يمد يديه ، ثم انحنى كربي وأخذ يحتضن الجثة ، ثم هب بعد ذلك قائما يسير ، مدعيا أنه شفى تماما ، فلما رأى الفولانيون ذلك صاحوا جميعا ، واطلقوا الزغاريد قائلين أن جاثرو صار وليا حقيقة .

وتصادف أنه يوجد من بين المشاهدين رجل من الطوارق من مدينة كنو ، يعرف المهرج كربي ، لأنهم في المدينة يخافون شرورهم ، لم يعرف المهرج عندما دخلوا في

بداية الأمر ، لأنه كان يمارض ويدعى أن الجن أصابه بالشلل ، ولكنه عندما ادعى الشفاء وهب واقفا عرفه ، مما أثار استغرابه ودفعه للضحك ، فقال « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وقال " يا ابن الحرام ، " كرى المهرج ، كل من يراه عندما دخل هنا يقسم بالله أنه مريض حقيقة "

وكان أحد الفلّاتا قريبا منه ، فلما سمع هذا الكلام نظر إلى الطوارقى وقال " لا ، ألم يكن مريضا عندما جاء إلى هنا الآن ؟ "

قال الطوارقى " بأى مرض ، إنه سليم ، كأي شخص هنا ، أنتم هنا لا تعرفونه ، كل شخص في مدينة كنو يعرف أنه مهرج ، اسمه كرى ، واللذان أتيا به أحدهما يسمى أنجو والثاني أمشى ، هكذا يفعلون دائما في سوق كنو ، إذا سمعوا أحدا ينادى زميلهم ليعطيه شيئا ، إذا قال أمشى أو كرى أو أنجو فمن يسمع اسمه منهم ، يسرع بمد يده ويخرج يقول " ها أنا ذا " فمن يسمعك تذكر اسمه لا يتركك حتى تعطيه قرشا أو نصف قرش " فلما سمع الفلّاتى هذا الكلام ، صرخ وقال للناس ما يعمل كرى ، فلما سمعوا ذلك ، أدركوا أنه يسخر من وليهم ، فانهالوا عليه ضربا كأنهم يريدون القضاء عليه ، فأخذ يصرخ ويقول " تبت إلى الله ، واتبعتمكم ، إذا كنتم تحبون الله ارحموني " ، ولكن دون جدوى حتى جاء بعض الناس لنجدته بالعصى .

عندما رأى أنجو وأمشى ذلك عجزا عما يفعلانه ، وليس لدهما فرصة ليخرجا لمساعدته فيضمانه إليهما ، وأن يفعلا ما يهلكهما أفضل من أن يفرا ويتركا ما يجلب لهما العار ، فأسرع أمشى إلى إمام المدينة وحاكمها وأخذ يبكى بكاء كاذبا ، ويقول " نصرك الله ، انتقذنى ، إنهم هناك يضربون لصا ، سرق منى الآن من جيبي خمسة جنيهاات جئت بها لأشتري أبقارا " .

عندما سمع الإمام ذلك قال " أين المؤذن ، اذهب وفرق هؤلاء الناس ، وأحضرنى باللس " ، وأسرع المؤذن إلى هناك ، فلما رآه الناس تفرقوا وجاء بكرى .

فلما سمع الفولانيون أن كرى لص ، أدركوا أنه لا فائدة من الضرب ، وأن المؤذن فرقهم ، فاتبعه بعض الناس ، وقال أحدهم أنه سرق منه جنيهين أمس ، وقال آخر سرق منى عشرة شلنات ، وأخذوا يذكرون الأكاذيب بقصد إيجاد السبب لسجن كرى .

عندما سمع الإمام ذلك وجه الكلام قائلا " هل سمعت هذا الكلام " ، قال " إن هذا لم يحدث إنه لم يسرق أبدا " عندما رأى المؤذن والإمام أنه مصر على قوله أنه لم يسرق

متاع أحد ، فأخذوا يحرضون الإمام ، فأمر بعض الشباب باستجوابه ، وقدما قالوا لا يوجد حاكم سيىء إلا إذا ساءت حاشيته ، وافق الإمام على اقتراحهم ، وأمر بعض الشباب باستجوابه ، فأشبعوه ضربا حتى أخذ يصرخ ويتأوه .

فلما أدرك أمشى أن حيلته لم تثمر وأنه كما يقولون خرج من حفرة وقع فى منحدر ، وأن الأمور قد تأزمت وضافت الدنيا فى نظره ، وليس هناك ما يؤكد أنه كان يكذب ، طلب الإمام أن يعاقب حتى يقضى عليه ، وأنه لو تركه سيأمر الإمام بسجنه .

ومن ناحيه أخرى وقع أنجو فى حيرة شفقته عليه ، فخطرت على فكره حيلة ، وهى أن يذهب مسرعا إلى بيت حاكم المدينة وهو يسمح دموعا كاذبة ، لأنه سبق أن جاء وحضر جنازه جاثرو ، فحياه ، وقال " نصرك الله ، هناك لص اسمه كرى ، قابلنى أول أمس فى الغابة وأنا قادم إلى هذه المدينة مع أخى الأصغر ، فقتل أخى وسلب المتاع الذى جئنا به لبيعه فى المدينة ، وهرب ، فاتبعته ، فلما وصلت اليوم ، وجدته يسرق ، وهو الآن فى عمر منزل الإمام يحاكم بهذه التهمة " .

فلما سمع الحاكم ذلك ، أرسل فى الحال شخصا إلى منزل الإمام ليخبره بكل ما فعل كرى ، فتعجب الإمام ، فأمر الشرطة أن يذهبوا ويحضروه ، هو والمدعين الذين سرق منهم المال بما فيهم أمشى ، فحضر الجميع واتبعوه إلى منزل الحاكم .

عندما وصلوا ، لم يلتفت الحاكم إلى أصحاب الدعوى الذين سرق منهم المال ، والتفت إلى أنجو ، وطلب أن يذكر مرة أخرى ما حدث بينه وبين كرى ، فأصلح جلسته وكرر ما سبق أن قاله للحاكم الأول .

فلما سمع الناس الذين اتبعوه ذلك قالوا " أصلحك الله ، ولا شك أن هذا هو داؤ تاجر الليل " ، قال آخر " إذا كان هو داؤ ، رفع الله قدرك ، فهو الذى قتل أختى الصغرى " ، وأخذ كل منهم يتذكر الأشياء التى حدثت له ، والذين سبق أن قتلهم اللصوص من إخوانهم ، حتى يجدوا العذر لقتل كرى ، حتى أن بعضهم أخذ يذكر التلف الذى أحدثه اللصوص أثناء حركة الجهاد ، كما سمعوا من آبائهم ، كل هذه التهم نسبوها لكرى .

عندما سمع هذا الحاكم ذلك قال " لقد سمعت كل ما ذكرتموه كلكم ، ولكن الأفضل الآن أن يذكر كل واحد على حدة ، لنعرف الأشياء التى سرقت منه ، والأرواح

التي أهلكها ، كل هذا سنسمعه ، ويقوم الكاتب بحصرهم جميعا ، ثم نقوم ببحث هذه الحالات ونرى ما فيها، ونترك الذين شكواهم بسبب المال ، والذين يطلبون دية إخوانهم نبعث بهم إلى الأمير في المدينة ، ويرتاح الجميع ، هل الذي قتل نفسا يجد جزاء سوى القتل ؟ ، ونظر إلى أنجو وأمشى وقال " أتما اللذان بدأتما بدأتم برفع الشكوى ، ابدأ احسبا لى الأشياء التي سلبها منكم عندما قتل أخوكم ، ثم نعود إلى أبناء المدينة .

سكتوا ، ولم يجدوا ما يقولانه ليخلصا أخاهم ، وها هو أنجو نجا من جحر عقرب ليقع فى جحر ثعبان ، فأخذ أنجو يعد الأشياء ويقول " أصلحك الله ، عندما قطع على الطريق ، أنا وأخى ، بعد أن قتله كما ذكرت لكم ، سرق منى حقيبة كانت فى جيبي ، وأقسم لك بالعهد الذي بين الشريد واللبن ، فيها مائة قرش ، وخمس وعشرون علبة سجاثر وخمسون قميصاً ، وتسعة سراويل وقبعة واحدة لطربوش العمة ، هذا كل ما سرقه منى ، وقانا الله شر الدجاج ."

عندما سمع الحاكم هذا الكلام الذى لا معنى له ، نظر إلى أنجو وقال " كل هذه الأشياء كانت فى جيبيك ؟"

قال أنجو " كانت فى جيبي الصغير ، يلعب الإنسان حيث لا يضره اللعب " ، نظر الحاكم إلى الكاتب وقال " نعم ، كتبت كل هذا ، نصرك الله " ، التفت الحاكم إلى أمشى وقال " وأنت ماذا سرق من جيبيك ؟ " ، قال أمشى " وقاك الله من شر الطعام ، كان فى جيبي حقيقه صغيرة ، ومائه شلن وملابس وجبة ، وفأر وكلب وخمس قطط ، وباخرة ، ومدرسة ابتدائى ، وثلاثة تلاميذ ، ومكتب ، وطلحة ماشى ، وإذا سألتهم سيقولون لك أن كل ما قلته حقيقة "

وأجاب أنجو قائلا " حفظك الله من شر أكل الفول بدون ماء ، وسرق منى حقيبتين ، واحده تعودت أن أضعها فى جيب قميصي الكبير ، كل أهل المدينة يعرفوننى به ، ليس فيه متاع كثير ، إلا بعض الكتب ، وبعض الجنود يتحاربون فيه ، وبعض الوحوش ، وقوس قزح ، وغيط حصى ، ورجاجة ياسمين ، وجبلا دلا وجورو ، ونهر كوارا ، ومكتب للتأليف ، والموظف الكبير بالمكتب ، الذى أعطانى ألف سكين لأقطع أذن الذى يكذبنى فيما أقول ."

تعجب الحاكم وكل رجاله ، وبعد أن تحير الحاكم ، نظر إلى أنجو وقال " من أى نوع هؤلاء الناس ؟ ، أنتم عاقلون أم مجانين ؟"

فهب الثلاثة مرة واحدة ، وأمسكوا أطول المهرجين الصغيرة وأخذوا يطبلون وكربى
ينشد والآخرون يرددان الإنشاد .

ثم هبوا وانحنوا جميعا مرة واحدة وهم يصرخون قائلين " يا إلهى ، مرض الجوع ،
أصابنا بالجوع ، ولا علاج لنا إلا شيئا مكورا ، الذى يباع فى السوق ، يسمى الفول
الصغير ، يا حاكم البلد أنقذنا ، حتى لا نموت على بابك " .

عندما سمع الحاكم ورجاله ذلك انفجروا فى الضحك ، وأمسك كل منهم صدره وهم
يقولون " لعنهم الله ، إنهم كلهم مهرجون ، أتعبنا أنفسنا معهم عبثا " ، وأمر الحاكم أن
يحضروا لهم ثريدا ليشربوه ، وسألهم ، فقصوا عليه كيف حدث هذا الأمر كله ، حتى
ضرب أهل المدينة كربى ، فأحضر مالا وقدمه إليهم ، وسمح لهم بالإنصراف .

وهم على وشك الإنصراف قال كربى للناس " ادعوا لحاكم مدينتنا ، بالسعادة ثم
ننصرف " ثم أخذ يدعو أدعيتهم ويقول " اللهم احفظنا من شر النساء ، اللاتي يسبقن
أرواجهن إلى اللحم ، اللهم لا تجمعنا مع الرجل الذى لا ينجل من لعق الإناء ، اللهم
لنجنا من سماع ورؤية الأمر السيئ ، السماع السيئ أن تجلس فى المر وتسمعهم يقولون
أن الدجاجة أراقت ثريدك ، والرؤية السيئة أن يوضع لك الثريد ويقلب فينكسر الإناء ،
اللهم اجعلنا نموت ونحن أحياء ، الذى يأكل كثيرا فى الفرح حتى يكون الأكل سببا فى
وفاته ، هذا الذى يموت وهو حى ، ولكن الذى يقتله الجوع ، وهو الذى يموت وهو
ميت ، اللهم احفظنا من أمثال هذا الموت ، الفاتحة آمين .

أخذ الناس يصفقون من شدة السرور ، وأخذ أمير سيركا خمسين جنيها وقدمها إلى
الوزير الببغاء لروعة وجمال هذه القصة التى قدمها ، وكان كلما نظر إليه تذكر هذه
القصة ، فينفجر ضاحكا هو وحده .

وبعد ذلك نظر الأمير عبد الرحمن إلى حاذق وقال " وأنت أيضا قدم لنا ما عندك
لنستمع . "

أصلح حاذق من صوته وبدأ يقول " قصة أمير فارس والرجل الهندى " ، ابتسم
الببغاء الوزير وقال " الهندى صاحب الحصان الخشبى ؟ "

قال حاذق " هل علمت أننى لا أحب أن يبدأ الإنسان فى تقديم قصته وأقاطعه ، إذا
كنت تعرفها هل باقى الناس الجالسين هنا يعرفونها ؟ "

قال الأمير عبد الرحمن " نعم ، صدقت "

قال البيغاء الوزير " وهو كذلك ، كل القصص التى يقدمها أعرفها ، وما يمنعنى من الكلام هو ذلك " .

لم يقل حاذق شيئاً ، وهم بالاستمرار فى قصته فقال الوزير البيغاء " انتظر ، أسمع صوتاً كأنه سيارة أمير سيركا " ، فسكت الجميع وأخذوا ينصتون ، فلم يسمع أحد أى صوت .

فقال الأمير عبد الرحمن " استمر يا حاذق ، لقد سمع الوزير صوت الهواء ، أنت تعرف أنه بدأ يشيخ "

قال الوزير " الآن ألا تسمعون صوت السيارة ؟ ، إن هذا الصوت ليس صوت الهواء ، انتظروا واسمعوا ، فأنصتوا ، ، وبعد قليل سمعوا الصوت ، قال الوزير " وبحكم ، لقد قلت لكم "

وبعد قليل وصلت ، ونزل السائق ودخل وحياهم وقال الأمير سيركا ، " نصر لك الله ، أقسم بعمامتك ، أمر هذا الأمير صادق ، بمجرد وصولى إلى المنزل وبعد غروب الشمس جمعت أشخاصاً ضخاماً ، وجعلنا سندا ابن رئيس الحرس أمامهم ، وأخذ يتجول ونحن نسير خلفه كالمعتوهين ، أحيانا يسير فى الطريق ونحن نتبعه ، وأحيانا أخرى يرى أطفالاً يلعبون فيقف يتفرج عليهم ونحن نتبعه ، وأخذنا نسير خلفه كل الوقت من العصر حتى قرب غروب الشمس ، حتى وصلنا إلى حى مارينا ، وعند باب أحد المنازل توقف ، وأخذ يركب كثيراً يريد أن يحمله أحد لأنه تعب ، عند ذلك أمرت أن يحاصروا المنزل ، ودخله بعض الجنود ، وظللنا نحن بالخارج ، فسمعنا من يقول بالداخل " هل أحضرتم لنا النجدة " ، فدخل بعض رجالنا ، لا اختصر لك الخبر ، أخذنا اثنى عشر رجلاً ضخماً من هذا المنزل مجتمعين يلعبون الميسر ، كانوا اثنى عشر رجلاً ، عندما رأى أحدهم أننا أحطنا بهم تسلل ، واتجه نحو دورة المياه وتسلق وسقط ، فقبض عليه أفراد الشرطة المحيطون بالدار فأخذوه وربطوهم والآن الإثنا عشر هناك فى السجن ، والمال الذى وجدناه فى حقيبة الأمير ، أحصيناه مائة وسبعة وخمسين ، كانوا قد صبوه فى بئر قديمة وغمره بالتراب ، وسألناهم عما أخذوه ، قالوا أنهم لم يأخذوا سوى اثنى عشر شلناً .

قال الأمير عبد الرحمن " الحمد لله ، هؤلاء الناس من بلدنا ؟ "

رد الوزير البغاء قائلا " لا ، لقد بعث بهم الأمير سرى ليفعلوا ذلك ، نظر الناس إلى الوزير ، وقال سائق السيارة " صدقت والله ، عندما أمر الوكيل بضربهم قالوا لنا ذلك "

نظر الناس إلى البغاء الوزير ، وصفقوا جميعا وقالوا " يحيا وزير الوزراء " ، أخذ أمير سيركا الوزير البغاء ، ووضعته على رجله ، وعجز عما يقوله من فرط السرور والتعجب .

نظر الأمير عبد الرحمن إلى أمير سيركا ، وقال " هل رأيت ما يفعله وزيرنا ؟ ، هذا قليل من أموره ، عليك أن تستعد الآن للعودة إلى بلدك ، حتى يعرفوا ما يفعلونه مع هؤلاء حتى تهدأ النفوس "

قال أمير سيركا " النفس هدأت منذ قبضوا عليهم ، ورأوا المال ، أترك حاذق ليشي من قصته التي بدأها ، ثم نبحث بعد ذلك ما نحن فيه "

قال الأمير عبد الرحمن " وهو كذلك ، يا حاذق ، استمر في قصة أمير فارس التي بدأتها "

قال حاذق " وهو كذلك "

قصة أمير فارس والرجل الهندي

ذات يوم خرج أمير فارس للتزفة في حديقته ، فجاء إليه رجل هندي وهو يحمل حصانا من الخشب صنعه بيده ، وانحنى وحياء ، فقال الجنود " الأمير يحييك " قال الهندي " أطل الله حياتك ، جئت إليك من الهند وأحضرت إليك هذا الحصان لتشتريه . "

قال الأمير " لقد أتعبت نفسك بهذا المتاع عبثا ، وأنا لا أريده ، لأن النجارين في بلدي يستطيعون أن يصنعوا لي أحسن من هذا الحصان ، إذا احتجت إليه ، وطالما أنك أتعبت نفسك ، انتظر حتى نعود إلى المنزل لأعطيك ثمنه . "

ركع الرجل الهندي مرة أخرى وقال " رفع الله مقامك ، شبيه الشيء ليس هو الشيء نفسه ، صدقت فيما قلت ، نجارو هذا البلد يستطيعون صنع أفضل من هذا الحصان الخشبي في الشكل ، ولكن مع ذلك ، يسمح لي الأمير أن أقول أن هذا الحصان مسحور ، الآن إذا ركبته ، كل بلد أريد أن أذهب إليها يحملني ، ويطير مثل الطائر ويذهب بي إليها . "

نظر الأمير إلى الوزير وقال " عند سماع ما يمكن ، يمكن تصديقه ، أيها الوزير هل يدخل هذا في رأسك ، هذا الأمر الذي قاله . "

قال الوزير " في بداية الأمر نصرك الله ، أما طالما الأمر كذلك ، ليجرب لنرى ، نظر الأمير للهندي وقال " بسم الله نبداً " ، فركب الهندي الحصان ، وبمجرد أن لمس شيئا ، إذ به يطير ، مثل الطائرة ، ولكن لا يضايق الناس بالصوت وعندما تعب من التجول هبط .

قال الأمير " نعم ، إن ما قلت ليس خيالا ، ولكن بكم سوف تبيعه لي؟ "

قال الهندي " رفع الله قدرك ، إذا كنت تريده حقيقه ، لن أبيعته من أجل المال ، مهما كان الثمن . "

قال الأمير " طالما أن الأمر كذلك ، وأنه ليس للبيع لماذا أتعبت نفسك وقطعت هذه المسافات الطويلة . "

قال الهندي " إنه للبيع ، لم أحضره لك من قبل للبيع ، لو أننى لا أريد بيعه هل كنت أحضره لك ؟ ولكن ليس بالمال ، إذا كنت تريده روجنى ابتك بدلا منه . "

نهر ابن الأمير الهندي ، وقال " اليوم أرى رجلا عابثا ، هل يزوجك ابنة الأمير بهذه الخشبة ؟ " .

قال الهندي " يادؤد ، أنت لا تعرف جمال هذا الحصان ، اركبه وجربه إذا كنت تريده " .

قال ابن الأمير " وهو كذلك " ، والأمير ينظر إليه ، كأن فمه قد أغلق ، ركب الغلام الحصان ، ولمس المفتاح الذى جعله يطير ، فطار الحصان به ، وظلوا ينظرون إليه حتى اختفى ، وبعد قليل فكر ابن الأمير فى العودة ، فلمس مفتاحا ، فرأى أن الحصان يرتفع إلى أعلى وبسرعة شديدة ، فخاف ، ولمس مفتاحا آخر ، فطار الحصان كالريح ، فقال ابن الأمير " لاحول ولا قوة إلا بالله " ، فقد نسى أن يسأل الهندي عن المفتاح الذى إذا لمسه يهبط الحصان ، وأخذ الحصان يطير وابن الأمير يجرب كل المفاتيح المختلفة ، حتى وفقه الله ، فرأى الحصان يخفف من سرعته ، ويهبط شيئا فشيئا ، فشكر الله الذى نجاه .

هاهو الآن فى الليل ، ولم يعرف أين سيهبط ، هل فى بحر أو فى غابة أو أشواك ، ومع ذلك لم يهتم بهذا الأمر ، لم يكن له أى أمل سوى أن يهبط على الأرض ، وأثناء الهبوط شعر أنه هبط فوق شيء مثل سقف المنزل ، فلم يكن هذا خيالا ، ولكنه هبط فوق سقف منزل أمير البنغول ، وبحث عن مكان يتزل منه فلم يجد ، فنام فى نفس المكان .

عندما طلع النهار ، رأى الأمير شخصا فوق سقف منزله ، وليس وهما فى المنزل ، ظن الأمير أنه مجنون ، فرأى أنه حتى لو كان مجنونا لا يوجد مكان ليصعد منه ، فأمر الخدم يسألونه من هو ، فسألوه ، فقال لهم انتظروا حتى أنزل ، فركب حصانه ، وطار كالطائر حتى هبط على الأرض ، فقد عرف ماذا يفعل ليطير وماذا يفعل ليهبط ، طلب أولا الطعام ، فقدم له فاكل ، ثم قص كل قصته للأمير ، فتعجب ، ومكث فى المدينة

حوالى سبعة أيام ، فقالت ابنة الأمير أنها لن تتزوج أحدا عدا ابن هذا الأمير ، وأقسمت أنه إذا رفضوا أن يزوجوها له فلن تتزوج أحدا غيره أبدا ، هذه هى قصة ابن الأمير والحصان الخشبى .

أما أمير فارس ، فلما رأى ابنة ذهب ولم يعد ، أمر بسجن الهنذى ، فذهبوا به إلى السجن ، وأخذ يعانى المشاكل .

قال الأمير " إذا لم يعد ابنى بعد شهر واحد ، سأمر بقتلك ، إذا تتبععت حقيقته الأمر ، تجد أنهم اجتمعوا بك لتأتى لتفرق بينى وبين ابنى . "

وعلى هذه الحال ، بعد حوالى سبعة أيام - كما قلت لكم - صممت الفتاة على أن تتزوجه ، فقال لها الأمير " وهو كذلك ، أوافق ، ولكن بعد أن أمر كبار الخدم أن يتبعوه ويروا ما إذا كان صادقا ، وأنه ابن أمير فارس ، ثم يعودون ويتشاورون معى ومع والده ليتم الزواج .

نادى خادما آخر ، وطلب منه أن يراقب كل أحوال هذا الأمير ، ويذهب بسيف ، فإذا رأى أنه يكذب ، وأنه يحبها فقط ، يسرق زهيرة ، ويقتله ويعود له بابتته ، ويستأذنون من الأمير ، ويركبون الحصان الخشبى ، لمس ابن الأمير المفتاح ، والخادم يراقبه ، فبدأ الحصان يطير ، وظل بهم حتى انتصف النهار ، وشاء الله أن يصلوا إلى بلاد فارس ، وقصد ابن الأمير الحديقة التى ركب منها ، ونزل فيها ، وفرش لابنة الأمير سجادة فى حجرة فى هذه الحديقة ، فجلست فوقها ، وقال لهم أنه سيذهب ليخبر الأمير ويحضر الناس ليأتوا لاستقبالها فى موكب .

لقد كان فى هذه الحديقة بعض الحراس يعملون ، وكان فيهم هذا الهنذى ، يراقب ما يفعله ابن الأمير ، أما الباقون فقد كانوا وسط الأشجار ، ولم يعرفوا أنه وصل ، فلما رأى الهنذى أنه مضى ، تسلل وابتعد عن الجنود ، وهم هناك غافلون ، لا يشعرون بشيء ، فوجد قميصا أبيض لأحد الجنود ، فسرقه وارقداه ، وجاء حيث تجلس زهيرة ، تنتظر أن يأتوا ليذهبوا بها . فركع وقال " نصرك الله " والخادم واقف عند رأسها بالسيف لم يسمح لشئ حتى الذباية أن تمسها وقال " ابنه أمير الدنيا تحييك "

قال الهنذى " قالوا - إذا سمحت - أن أتى لأدخل بك المدينة . "

قال هذا الخادم " هل عجزوا أن يجدوا فى كل هذه المدينة رجلاً طيباً يرسلونه ليذهب

بها، إلا أنت الصغير بدون سروال ولا قبعة ؟، أمكذا تكون مملكتكم التى تقصون أخبارها؟، لعن الله أمثال هذه المملكة"

قال الهندى "اناس هناك يملأون بوابة القصر، حيث ستزلين ، أما أنا فمجرد خادم، ما شأنى بالزينة، أنهم بعثونى ، لأنى أنا فقط الذى يعرف كيف يقود هذا الحصان الخشبى، وقال الأمير ، أن آتى لأخذك فوقه لأنه أجمل من الجمل فى الركوب وأسرع".

امتعض الخادم بشفتيه ، وقامت زهيرة وركبت فوقه، وقبل أن يلف هذا الخادم السجادة التى كانت تجلس عليها، ليأتى ويركب معهم، فرأى الحصان يرتفع فى الهواء، ويطير ، فقال الخادم "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، وتحير وقال "لعنه الله على هذا الاختيار وما كلفنى به الأمير، ها هو قد خدعنى ، وأنا الآن سأعود إلى بنجول فماذا أقول للأمير؟ أنى أعرف أنه مهما قلت له لا يوجد ما يمنعه من قتلى" ، وأخذ يرمى الحصان بالحجارة دون فائدة ، ويصرخ كالمجنون ، وإذا بالناس يتجمعون قادمين ليأخذوا العروس.

فلما رأوا ما حدث ، عادوا ، وكان أحباء الأمير فى غاية الحزن ، وأعداؤه يضحكون، وأمر الأمير بحبس هؤلاء الجنود، الذين كان غباؤهم سبباً فى هروب الهندى، قال ابن الأمير وهذا العبد سيجدونها حيثما ذهبت فى أى مكان فى هذه الدنيا، حتى لو ماتوا فى سبيل هذا المطلب واستعدوا وذهبوا ، رأينا بذلك نهاية هؤلاء.

أما الرجل الهندى فقد أطلق للحصان العنان ، وأخذ يطير ويطير ، يترك هذه المدينة، ويعبر هذا النهر، ويتجاوز ذلك الجبل منذ الصباح حتى العصر ، فلما حان العصر، وصل إلى مدينة كمشير ، فهبط خارج المدينة ، ودخل واشترى لهم طعاماً ، وزهيرة جالسه فوق الحصان،

وإذا بحوالى عشرين فارساً يخرجون للترهة ، فلما رأتهم قالت "يا عباد الله ، من أجل الله ومن أجل النبى ساعدونى ، الرجل الذى جاء بى إلى هنا سرقنى، وأنا ابنه أمير بنغول".

ومن حسن حظها ، أن أصحاب هذه الخيل أمير وحاشيته ، خرجوا للترهة فلما سمع ذلك، قال لها "تغاضى" ، ونزل هو أيضاً وجلس، وبعد قليل عاد الهندى ، ببعض اللحم المجفف والكعك والثريد، فلما وصل قال له الأمير "أين التقيت بهذه الفتاة؟"

قال الهندي " أين التقيت بها؟ ، رجل وزوجته يسأل رجل مثل هذا السؤال؟ " .
قالت زهيرة " والله ليس هو زوجي ، لقد سرقني " ، وقصت كل قصتها ، فأرأوا
الرجل الهندي يقفز ليركب الحصان ، فقالت زهيرة " سيطير " سيطير ، ساعدوني " .

نظر الأمير إلى الجنود وقال " اقبضوا عليه " ، وقبل أن يصل إلى الحصان ويركب
عليه ، إذ برأسه على الأرض ، وأسنانه تعض الأرض ، فأمر الأمير أن يذهبوا بزهرية إلى
قصره ، وأن يحملوا الحصان الخشبي على رأسهم ، ويذهبوا به إلى المدينة ، ولم يعرف أحد
فائدته ، ووضعوه في المخزن وأغلقوا عليه .

وبعد قليل أمر أن يعلن على الناس أنه سيتزوج زهيرة ابنة أمير البنغال ، فلما سمعت
الفتاة ذلك أخذت تبكي ، وتقول في نفسها ، " لقد كنت أظن أن أمير كشمير رجل طيب
سيعيدني إلى بلدي ، ولكن اتضح غير ذلك ، والآن لو قلت له أنني لا أحبه ، لابد أنه
سيقتلني ، والأفضل أن أقول له أنني موافقة ، ولكني مريضة الآن ، فيؤجل الفرح حتى
أشفي " ، لذلك استدعت الأمير وقالت له أنها تشعر كأنها مريضة - تشفى اليوم أو غدا الله
أعلم ، ولكن المرض يزداد يوما بعد يوم . فبعث الأمير في كل المدن ليجتلب لها عن
علاج ، فذهبوا وأحضروا بعض جذور النباتات وأوراق الأشجار ونبات اللبلاب ، ولكن
دون فائدة ، هذه هي أخبار هؤلاء .

أما ابن أمير فارس ، فقد ذهب رجاله يسألون عن الأخبار ، ولكن لم يصلوا إلى
شيء ، وذات يوم سمعوا بعض التجار يقولون " الشهر الماضي أحضروا حصاناً خشبياً إلى
كشمير ولكنه عجيب ، وكانت تركبه ابنة أمير . "

فاقترب منهم الأمير وقال " أين رأيتموهم ، هل هم من الجن؟ "

قال أحد التجار " كيف من الجن ؟ ، إنها ابنة أمير البنغال سرقها رجل هندي ساحر ،
وأخذها فوق الحصان ، والحصان يطير مثل الطائر " .

قال ابن الأمير " ليس حصاناً من الخشب ، بل قل حصان من الجن ، وهو كذلك ،
أين الهندي؟ "

قال التاجر " منذ وصلوا أمر الأمير بقتله ، وسيتزوج ابنة الأمير ولكنها مريضة
وعندما تشفى سيتم الزواج . "

قال ابن الأمير " ما اسم ابنة الأمير؟ "

قال التاجر " لقد جمعنى الله اليوم برجل كثير التساؤل، إنك كثير الإلحاح إذا كنت تريد أن تكذبنى ، اذهب فإننى أكذب عليك " .

فلما سمع ابن الأمير والخدم ذلك ، فرحوا جداً، ودخل الاستراحة ثم قصدوا كشمير ، وجرور الأيام وصلوا إليها ، فبحث ابن الأمير عن سلة وملاها بأوراق الشجر والبلالاب وجذور النباتات ، وأعطاهما للخدام ليحملها ووصلوا إلى الأمير ، وبعد أن أدوا التحية ، قال أنه كاهن ، وسمع خبراً بأنك تبحث عن الأطباء، لذلك حضر.

قال الأمير "إننا نبحث عن أمثالكم" ، وأمر أن يأخذوه حيث زهرة تدعى المرض ، فلما رآته كادت تقول له كيف وصلت من شدة الدهشة والسرور، ولكنها أخفت ذلك حتى لا يُعرف أمرها، طلب ابن الأمير بعض الجذور وقدمها إليها لتشربها ، ثم هبت قائمة ووقفت، فذهبوا وأخبروا الأمير أن زهرة قد شفيت ، طلب ابن الأمير بعض أوراق الشجر ، لم يعرف هو نفسه فائدتها ، وأمر أن تبخر بها.

عندما جاء الأمير ووجد أن زهرة قد شفيت، كاد يعانق ابن الأمير من شدة السرور، وسأله عن المدينة التي جاء منها ، ادعى ابن الأمير كذباً أنه جاء من بلاد السودان ، وقال أنه كبير كهنة بلاد السودان ، وأن الجن طلبوا منه أن يأتى لمساعدته حتى لا تهلك فأعطوه منزلاً نزل فيه .

وعندما طلع النهار قال ابن الأمير " سيدتى التى قدمت لها العلاج ، قالت لى كيف أصابها هذا المرض، وكيف أحضرها الرجل الهندي إلى هنا ، فلما أخبرنى عرفت أن الأمر يسير، إنها بعض الأوراح ، لم تفارقها حتى الآن، ستظل تتردد عليها شهراً بعد شهر، إلا إذا عولجت مرة أخرى ، والأفضل أن آخذها هى والحصان الخشبى من هنا إلى هناك . حيث وجدتهما ، وأبخرهما معاً، وأبخر المكان كذلك ، وإن لم أفعل ذلك فلن يفصل الجن عنها ، أما إذا كان من رأيك أن تترك وتصاب بالمرض شهرياً ، لا بأس فأكون بذلك قد استرحت " .

قال الأمير " كيف يكون ذلك؟ ، الأفضل أن تقوموا بكل شئ يمكن عمله للعلاج وأنتم هنا، كيف يمكن أن تترك وتنتقل من هنا وهناك طلباً للعلاج " ، وأمر الأمير أن يحمل الحصان الخشبى إلى هناك فأتوا يحمل ليحمل زهرة بعد أن جمعت كل متاعها

والأشياء التى تملكها ، ووضعها فوق الجمل ، وأخذوها إلى المكان الفسيح الذى أعدوه .

وطلب ابن الأمير أن ينتظروا بعيدا وأمر أن يحمل الحصان الخشبي وأن يوضع على بعد حوالى عشرين ياردة من الناس ، كما أمر بإشعال النار قريبا من الحصان ، طلب من زهيرة أن تركب الحصان، فركبت وأخذ السلة التى بها العلاج وألقاها فى النار ، والناس يراقبونه ، ثم قام بسرعة وركب الحصان ، وأردف خلفه الخادم، ولمس مفتاح الطيران ، فطار الحصان .

نظر الأمير إلى رجاله ، وزجرهم وقال " لا تجعلوه يفر " ، فأخذ الناس الحجارة وأخذوا يقذفونها عليه، فلم تصل إليهم ولا قريبا منهم؟، فالمتخلف ازداد تخلفا والبعيد ازداد بعدا

فقاطعه الوزير البيغاء قائلا " إلى أين؟ القصة انتهت "

قال حاذق " هكذا سمعت، لم تنته بعد ، سألين كيف تم الزواج " .

قال الناس " حقا حاذق ، كيف تقول ان القصة انتهت هكذا " .

قال الوزير البيغاء لحاذق " إنك تقدم قصصا فقط وليس تاريخا، فماذا يضايقنا من قول ما يجب أن يحدث ؟، الناس لا يعرفون أين يجب أن تنتهى القصة فيسردونها ، ويقفون حيث يشتهي الناس استكمالها لسماع قصة لذيدة ، النهاية سخيفة ، والآن إذا ردت كلمة واحدة مكان هذا الخبر أفسدت جماله " .

قال القضاة " هل تقصد أن النهاية التى يختم بها هنا ، هى التى تظن أنها ستجعل القصة جميلة؟ "

قال الوزير البيغاء " نعم ، إذا ترك هذه القصة حيث قلت أن يقف ، إذا نظرت إلى قصة ألتى والجنى ، كل ما فى القصص التى قدمها لا يوجد واحدة تفوق هذه جمالا " .

امتعض هؤلاء القضاة ، وقالوا " لقد أوقفته دون فائدة . طالما أننا نسمع قصصا حتى لو كانت مثل قصة العنكبوت وقوى لن نسمع شيئا مثل هذه أبدا، وإذا ترك هنا ، فهى ليست جميلة " ، وتفرق الناس وهم يضحكون .

عندما تفرق الناس أخذ أمير سيركا البيغاء الوزير وعائقه ، وطلب منه المغفرة على ما سبق أن أظهر من احتقار له فى بداية الأمر ، انحنى الوزير البيغاء وقال هو الآخر يغفر

له ، ونظر أمير سيركا مرة أخرى إلى الببغاء واجماً ونظر للأمير عبد الرحمن وقال "وزيرك هذا ، لو لم يكن لك ابن ومت عين مكانك ، وكل من يعارضه يجب أن يقتل ثم نظر مرة أخرى إلى الوزير الببغاء وقال "وهو كذلك ، والآن ماذا ترى أن نفعل مع هؤلاء اللصوص".

قال الوزير " يجب أن تتركهم هنا في السجن ، ثم تعود ، وتفعل معهم ما تراه مناسباً".

قال أمير سيركا "وما العمل مع الولد الطويل ، الذي يتكلمون عنه؟"

قال الوزير "أى كلام؟ ، ألم تطرده هو الآخر؟ وهو كذلك ، إذا عاد سائق هذه السيارة ، يؤتى بالولد الطويل مقيداً ، ليعرف ما فى الأمر والذي جعلنى أقول لك لا تأمن له" ، وأذن للسائق بالعودة.

وعاد كل أمير إلى منزله ، وتعجب أهل سيركا من أمر الببغاء الوزير ، وكان أهل بلد الأمير عبد الرحمن إذا سمعوا الثناء على الوزير الببغاء يقولون "ويحكم ماذا تعرفون من أمر هذا الوزير؟ ، نحن نعرف أنه إذا كان من أجل المشورة يعين الوزير وليس ليؤم الناس فى الصلاة ، كل ما نقول عن وزيرنا ، لا يعيرنا أحد به ، لأن كل هذه الحدود لا نشك فى تجربتها ، عند سماع القصص تعرف أنه ليس بجاهل" ، وأخذ أهل سيركا يقولون "كل ما تروونه مناسباً قولوه ، أخبار وزيركم هنا أرتنا العجب صراحة".

وبعد أن طلع الفجر تجمعوا مرة أخرى عند بوابة الأمير عبد الرحمن ، فقال أمير سيركا للوزير "إن عدم المعرفة هو الذى جعلنا نقول أننا سنأتى للمحاورة ، أما الآن فنحن قد اعترفنا ، والآن نجعل القصص لمجرد التسلية ، إذا قدمت قصة ، يقدم حاذق قصة وبعد ثلاثة أو أربعة أيام نرحل".

قال الوزير "وهو كذلك ، الحمد لله" ، ونظر إلى حاذق وقال "هيا ابدأ كما تعودنا أن نفعل".

قال حاذق "وهو كذلك وبدأ".

قصة الشبان الثلاثة

ذات يوم كان ثلاثة شبان يتجولون، فتقابلوا مع قافلة للحجاج متجهة إلى مكة، وكان كل من هؤلاء الشبان يحمل شيئاً في يده، لذلك عندما رأوا هذه القافلة أعجبهم الأمر، فعرضوا على قائد القافلة أن يحملهم معه إذا وافق لينهبوا إلى مكة.

قال قائد القافلة "ماذا يمنع، أمثالكم الذين ينوون هذه النية كثيرون، إذا كان لديكم الزاد الكافي نذهب"، عاد الشبان إلى منازلهم، واستعدوا. وبعد يومين تقابلوا، وودعوا أهلهم، والتحقوا بالقافلة، وساروا معها.

ومرت الأيام حتى توغلوا في الصحراء، فجمع القائد الناس وقال لهم "لا يحاول أحد منكم أن يفصل عن القافلة طالما أننا وصلنا إلى هنا، ومن يخطئ ويتخلف ولو قليلاً، لا بد سيهلك".

قال الناس "وهو كذلك ربنا يسهل"، وواصلوا السير، وذات يوم تعب هؤلاء الشبان الثلاثة الذين التحقوا بالقافلة في الأيام الأخيرة، فتوقفوا وحدهم وجلسوا ليستريحوا قليلاً، ثم يسرعوا ويلحقوا بالقافلة، وما كادوا يجلسون حتى غلبهم النعاس، وسيطر عليهم النوم. وبعد قليل استيقظوا، فلم يروا القافلة ولا أثرها، فنظروا لعلمهم يعرفون الطريق الذي يسلكونه، إلا أن الرياح جعلت الرمال تخفى معالمه، فقالوا لا حول ولا قوة إلا بالله، وتوجهوا إلى الجهة التي سلكتها القافلة، وأخذوا يسيرون، وبعد قليل رأوا من بعيد شيئاً يتحرك، فظنوا أنه حيوان مفترس، فالتجھوا إليه فلما اقتربوا منه وجدوه رجلاً يركب جملًا، فلما التقوا به وجدوه يسحب سيفًا، فتملكهم الخوف، فانحنوا وقالوا له "صباح الخير يا سيدي"، فلم يرد عليهم، ثم توجه إلى رأس اثنين منهما وقطعهما بالسيف، ونزل ووضع السيف في غمده، وتوجه إلى جيوب هذين الشابين وسلب نقودهما.

عندما رأى الشاب الثالث ذلك، أدرك أنه لا بد هالك، فتحايل وأخذ سيفه دون أن يراه قاطع الطريق، وبادر بقطع راسه، وأسترد المال الذي سلبه منهم، وأخذ الجمل

وركبه ، واستولى على السيف المعلق فى كتفه ، وهب الجمل واقفاً ، وهو فوقه دون أن يعرف الطريق الذى سيسلكه ، وبعدت القافلة ، وقد أرهاقه الجوع والعطش ، فاتجه جهة الشرق وقال " يا سفيان ماذا سأفعل الآن؟ ، ياليتنى تركته يقتلنى فأستريح " ثم فكر وقال " أنا لا أعرف الطريق ، وهذا الجمل يعرف منزله فلأدعه يسير بى إليه وليكن ما يكون " ، وأرخى الزمام للجمل وضربه فانطلق يعدو ، ولم يتوقف إلا فى حى صغير خرج منه اللص .

عندما رأى أهل الحى جمل أخيهام وسفيان فوقه ، هجموا عليه كأنهم سيأكلونه نيثاً ، وهم يقولون " ها هو شخص غريب فوق جمل فارس ، كيف وجدت هذا الجمل؟ وأين صاحبه؟ "

فقال سفيان " أعطونى ماء لأشرب أولاً ، ثم أخبركم بخبر أخيكم " ، فدخلوا وأحضروا له ماء فشرب ، وقدموا له تمراً فأكل وشبع ، وهو ما زال على ظهر الجمل لم ينزل .

وعندما هدأت نفسه قال " أخوكم هناك لدى قافلتنا حجزناه ، لأنه هجم علينا وحده ، ونحن حوالى مائة وستين ، كلنا تجار ، وقد عاث فينا كثيراً ، فلما رأينا أننا لو تفرقنا سيقتلنا تجمعنا وأحطنا به جميعاً ، وقبضنا عليه ، وحجزناه ، وقال بعضنا أن نقتله انتقاماً منه ، ولكن قائدنا أمر بأن نتركه طالما أبدى هذه الشجاعة ، على أن يدفع دية ما قتل منا ، وحسبنا ما عليه فوجدناه ثمانين جنيهاً ، وقال قائدنا إن لم يستطع دفع الدية نقتله ، فقال إنه يستطيع ، على أن يأتى أحد إلى هنا ليأخذها ، ويحثوا عمن يأتى إلى هنا فلم يجدوا ، خاف كل شخص أن يأتى إلى هنا فتقتلوه ، عندما لم يجدوا أحداً ليأتى إليكم ليأخذها ، أخذ القائد السيف وهم بقطع عنقه ، فأخذتنى الشفقة ، فقلت سأضحى بنفسى وآتى ، وقلت لهم إذا مضى ثلاثة أيام ولم أعد ، يفعلون ما يشاءون بفارس . فإذا قتلتمونى ، تتبادل القتل ، والآن عليكم أن تفكروا فى الأفضل لكم ، هل تقتلونى ويقتل فارس ، أم تعطونى الدية لأوصلها ويحرر أخوكم .

عندما سمعوا ذلك اجتمعوا يتشاورون وقالوا " لابد أن كلام هذا الرجل صدق ، لأن الكثرة تغلب الشجاعة ، ولا يمكن أن نظن أن هذا الرجل الضعيف قد قتله " .

فقال رجل عجوز منهم " اسألوا هذا الشاب ، لماذا جاء بالجمل ، وأخذ السيف ولا تقولوا أنه من المحتمل أن يكون هو الذى قتل فارس " .

فالتفتوا إلى سفيان وقالوا "إذا كنت صادقاً فيما تقول ، لماذا جئت بجمله وأخذت سيفه؟ ، ولم تركب أى جمل آخر؟"

قال سفيان "إذا ركبت جملاً آخر غير جمله ، مهما أقول لكم تقولون أنى كذاب ، فركبت جمله وحملت سيفه ليكونا لى شاهدين ، وما كنت لأعرف الطريق لولا هذا الجمل ، فهو الذى يدلنى على الطريق ، ويكون أكبر شاهد لى على ما أقول" .

فلما سمعوا ذلك وافقوا على كل ما يقوله سفيان ، وأخذوا ثمانين جنيهاً وقدموها له ، ليذهب ، ولكن هذا الرجل العجوز قال " لا ، أكون ذلك؟ ، لا بد أن يذهب معه تسعة أو عشرة رجال" .

فقالوا " صدقت ، يا سفيان تقدمنا ، ونحن نحمل المال بأنفسنا ، لنشكر القائد على هذا المعروف الذى قدمه إلينا ، بأن أشار برأى مثل هذا ، فعلينا أن نذهب ونشكره" .

قال سفيان "أنا الآن فى حيرة ولا أعرف الطريق ، فلا بد أن يتقدم أحدكم ليدلنا على الطريق المتجه إلى مكة" .

تقدم أحدهم وأخذوا يتوغلون فى الطريق ، حيث شاء الله أن يحسن إلى سفيان ، حتى لحقوا بالقافلة ، فقال سفيان "انتظروا هنا حتى أذهب إلى قائد القافلة وأخبره أنكم أنتم ، حتى لا يظن أنكم بعض المجرمين" .

قالوا " صدقت " ، وانتظروا واندفع حتى وصل إلى قائد القافلة ، وقص له كل ما حدث منذ البداية حتى النهاية ، وقفت القافلة ، وقال قائد القافلة الإخوة فارس أنهم جاءوا فلما جاءوا أمر أن يقبضوا عليهم جميعاً ، وقال " فارس قتل منا رجلين ، إذا كنا ستركه ، لا نرى أن النفس بالنفس ، لذلك قتلناه ، أين المال الذى أحضرتموه؟ أتونى به إنه دية الرجل الآخر الذى قتله ، وعليكم أن تقسموا ألا تقطعوا الطريق بعد اليوم وإلا قتلناكم واحداً واحداً" .

رأى هؤلاء الرجال ألا مخرج ، فأقسموا ألا يقطعوا الطريق بعد اليوم ، وقالوا " طالما أنكم قتلتم فائساً نقسم ، انتهى الأمر " فتركوهم وذهبوا .

قال سفيان " هذا الجمل أجرى لن أعطيه لهم " واستعرت القافلة إلى مكة ، وعندما عادوا قدم لوالدى المقتولين ثمانين جنيهاً دية ابنيهما ، وتعجب الجميع من ذكاء سفيان .

نظر الوزير البيغاء إلى حاذق وضحك فقال " لعلك نسيت اسمه وسميته سفيان؟ ،
أنهم يسمونه فى النص الأصلي رفرنسو وليس سفيان " .

ابتسم الأمير عبد الرحمن وقال " أيها الوزير إذا قال سفيان أو رفرنسو كلاهما واحد
طالما صحت القصة " .

قال الوزير " نصرك الله ليس كلاهما واحداً ، لو عرفت القصة التى تقدمها ، فلا بد
أن تقدمها كما يعرفها الناس ، حتى لا يقال أنك لم تعرفها جيداً ، وإن لم تعرفها ،
اخترتها كالقصص التى تقدمها ، حيثنذ كل ما تراه مناسباً ، فلا يستطيع أحد أن يجادلك
فيه " .

قال أمير سيركا " والله صدقت ، وأنت أيها الوزير قص علينا واحدة لنستمع " .
قال الوزير " الآن " وبدأ .

شكل الشخص ليس هو نفسه

فى بلاد نيسو كان يعيش أمير عظيم يسمى ناصرو ، كان أهل البلاد لا يرون أحداً مثله ، فهو جميل الوجه ، والأسنان منسقة ويفوق الجميع فى الذكاء والعقل ، وفى ساحة التزال يفوق الجميع كأنه عترة ، وأن عترة يعرف شجاعته .

و ذات يوم استعد هو ورجاله وركب وخرجوا للصيد ، فلما وصلوا إلى الغابة رأوا غزالة ، فقال الأمير لرجاله " لا تدعوها تهرب " نحن وكلنا بها وسوف نفعل ما أمرنا به ، أطلقوا عنان الخيل وطاردها ، الأمير فى المقدمة وهم يتبعونه ، وكانت الغزالة تتسلق المرتفعات ، وتترك خلفها الغبار ، وأخيراً عجز عبيد الأمير أن يتبعوها ، فتركوا حصان الأمير وحده يطاردها . ولكن رغم سرعة جرى هذا الحصان نجحت الغزالة من المطاردة ، وبعد غروب الشمس ينس الأمير ، فتوقف وعزم على العودة ، وأخذ يتعرف الطريق فعجز ، وها الشمس قد غربت ، وقد تعب هو وحصانه .

فوجد شاطئ أحد الأنهار فرقد ، وترك حصانه يرعى ، ونام ولم يستيقظ من النوم إلا بعد طلوع الفجر ، فلما طلعت الشمس تنبه ، وقام فوجد نفسه قد تحير وازداد نسياناً ، ولم يعرف الشرق ولا الغرب ، فأمسك حصانه وركبه ، وأخذ يتجول حتى وصل إلى جبل ، فقال فى نفسه " ربما لو حاولت ، أن أصعد هذا الجبل أرى معالم المدينة " . ثم تسلق الجبل بعد أن ربط حصانه وتركه يرعى ، وأثناء تسلق الجبل أدخل رأسه فرأى كهفاً واسعاً ، فتناول حصوة صغيرة ورماها بداخله ليعرف مداه ، دون أن يعرف ما بداخله ، فرأى شخصاً يخرج منه ويحتضنه ، ويدخل به ، فقد القى الحصاة فى كهف ملك الجن فلما دخل به وجد الملك يجلس على كرسي ويهون له ، فنظر إليه ملك الجن وقال " من أنت؟ ومن أين جئت؟ "

انحنى الأمير وقال " أنا ناصرو أمير نيسو ، خرجت للصيد ظهر أمس ، وتتبع غزالاً ، وشاء القدر أن انفصل عن رجالي حتى أتى إلى هنا " .

قال ملك الجن " حتى أنت يا أمير جئت هنا لترمينى بالحجارة ؟ ، هل تتعالى بعظمتك اليوم ، ستقول لهم أن النار شديدة الحرارة " .

فأخذ الأمير ناصرو يرجوه ليعفو عنه ، ويقول " أنه لم يعرف ، وأن الجهل أشد من الليل ظلمة " .

قال أحد خدم ملك الجن له " إن كنت لا تعرف ، ألا ترى ؟ ، أم أنت أعمى ؟ "

قال الأمير " لو كنت أرى ماذا يحملنى على رميكم بالحجارة ؟ "

قال ملك الجن " سأعفو عنك ، إذا وافقت على شيء واحد ، منذ خلقت لم أعش أبدا بين الإنس ، ففى الجن ولدت ، وبينها كبرت حتى ورثت أجدادى ، والآن ما أريده أن تعيرنى ثيابك لأرتديها ، وأعود إلى نيسو اليوم فقط لأرى أسلوب حكمكم للناس ، وأنت تقيم هنا فى منزلى حتى يطلع فجر الله ، وأعود غدا ، وماذا يجعلنى انتظر حتى الليل ؟ ، عندما يحين المغرب تترانى اليوم ، لأننى لا أستطيع أن أكل طعامكم . "

قال أمير نيسو " وهو كذلك " ، وخلع ملابسه كلها وقدمها لملك الجن ، وأخذ بعضها ولبسها ، وأخذ العمامة وقدمها للجنى ولفها له ، ونزل وركب الحصان وقصد المدينة .

فلما دخل ملك الجن المدينة ، لم يعرف الطريق الذى يسلكه ليدخل منزل الأمير ، فأخذ يتجول فى شوارع المدينة ، والناس يتحنون تحية لأميرهم ، فرأى شابا فقال له " أيها الشاب سر أمامى لنذهب إلى منزلى " فسار الشاب أمامه حتى القصر .

فلما رأى الحراس الأمير قادما ، أقبلوا عليه ، وأمسكوا الحصان لينزل ، وتبعه الجنود يقولون له " خطوات السلامة يا أمير . . أمير المسلمين " وأوصلوه إلى المجلس وجلس ، وأخذ الناس يفدون عليه يباركون وصوله ، وهو يقول كلمة استحسان ولم يعرف أحدا منهم ، ولم يناد أحدا باسمه .

عندما انتهوا من استقباله ، جلس الوزير يرعى الأمير ، فرأى أن دخوله كدخول أميرهم ، ولكن طبيعته وصوته كأنه ليس هو ، وحاول أن يرى وجهه فلم يستطع ، لأنه مغطى ، وهو يعرف أن صوت الأمير رفيع قليلا ، واليوم يسمعه مبحوحا ، لذلك لم يستطع سماعه ، قال " تصرك الله ، أين نمت أمس ؟ ، أسمع صوتك مبحوحا ، كمن أصابه البرد " .

قال ملك الجن " ويحك ، اترك هذا الكلام ، لقد تعبت أمس ، أترى عندما خرجنا للصيد أمس ، وأنتم تتبعوننى . . . "

قال الوزير "نصرك الله ، أنا لم أخرج معكم ، ألم تقل لى أن انتظر لأحرس المدينة؟"

قال الأمير "نعم ، أنت الذى تركت ليحرس المدينة، ذهبنا مع العمدة؟"

قال الوزير "عمدة المدينة هو الذى كلفته بالذهاب إلى أمير الشمال ليساعده فى جباية الخراج أما الذى خرج معك فهو ولى العهد ورئيس الحرس".

قال الأمير "هكذا ، نادهم لنسمع منهم ماذا فعلوا بعد أن تفرقنا.

قال الوزير "ها هم أمامك"

قال الأمير "لقد ارتبكت ، لم استطع الرؤية جيداً" ، ونظر إليهم وقال "ماذا فعلتم بعد ما تفرقنا؟ ، أمس اختبرنى الله بغزاه تجرى ، ورغم سرعة حصانى فقد هربت منى"

فقال خادم الأمير "عندما رأينا الغبار عجزنا فعدنا إلى المنزل ، لقد عرفنا أنك ستعود إلينا ، إلا إذا كتب عليك الموت. ولكن سمعناك تقول أنها غزاة كبيرة هل اتبعت بعد ذلك غزاة أخرى؟ ، لأن الغزاة التى وجدناها معك فى البداية ، غزاة صغيرة".

قال الأمير "أين؟ ، ابنة صغيرة جعلتها تجرى، أنتم تعرفون أننى كنت فى المقدمة وأقرب منكم إليها، وكانت كبيرة ، عندما تركتها هربت منى ، وهممت بالعودة إلى المنزل، فلم أجد فرصة ، فقد أقبل الليل وصرت أنا وحصانى كالبقرة العجوز تنام هى ورضيعها، فبحثت عن ماء، وسقيت حصانى ، وكنت مكاناً وثمت ، وأخذ الحصان يرعى قليلاً حتى الصباح، وعندما طلع النهار اليوم حضرت".

قال الناس "مشكلة الخراج التى حدثت عندها أمس ، لم تقل شيئاً عنها ، وخرجتم للصيد".

قال الأمير "هل انتهيت ،ودفعوا جميعاً؟"

ابتسم الوزير وقال "دفعوا وانتهى الأمر؟ ، نصرك الله ، كل ما حددته الشهر الماضى دفع الآن؟ ، اليوم أنت تشعر بكل النشاط، كل من فينا من الناس كأنك لا تعرف أحداً منهم ، وحتى الآن لم تناد أحدا منهم باسمه، وكل من حياك تقول له سيدى".

قال الأمير "حيرتى هذه بلغت حداً كبيراً ، ومشكلة الخراج التى تتكلم عنها؟"

قال الوزير "أمير الغرب قال أن رجاله هاجروا ، بعث عندما أمرت أن نأخذ حيواناتهم ، ونبيعها رغماً عنه " .

قال الأمير " وهو كذلك لتشاور فيما يجب أن يكون "

وجاء كاتب القاضى ، وهو ابن الأمير ناصر الكبير ، وأدى التحية ، وقال " جئت بشأن مشكلة حسن جولومبى ، الذى لم يؤد الدين الذى فرض عليه وقدره ثلاثة شلنات ونصف ، حتى الآن لم يدفعها " .

قال ملك الجن " يجب أن يسجن سبعين عاماً " .

ضحك الكاتب وقال " سبعون عاماً ، نصر ك الله " .

قال الأمير " هل هذا قليل ؟ رد عليها عشرة "

فلم يجد الكاتب ما يقوله ، فقال الأمير " تكلم ، لماذا عيّنك قاضياً ، إن لم يكن لذلك "

ضحك الوزير وقال " ليس هو القاضى إنه الكاتب " .

قال الأمير " لقد تحيرت بسبب هذه الليلة التى نمتها فى الغابة " انقل تحيتى للقاضى وأخبره أننى عدت ، لماذا لم يأت ؟ "

وكان القاضى أمامه ، فقال " نصر ك الله ، إنى هنا منذ فترة ، أنا والوزير "

نظر إليه الأمير وقال " لم انتبه للجميع ، إن العقل هو الذى يرى وليس العين ، أين الوزير الذى جئت معه ؟ "

قال الوزير " نصر ك الله ، منذ فترة أتكلم معك "

قال الأمير " علمت ، ظننت أنه يقصد الوزير المساعد ، ألسنا نتكلم فى مشكلة الخراج من فترة ؟ " .

قال الوزير " نصر ك الله ، لا يوجد وزير مساعد فى هذه المدينة ، أم أنك عيّنت وزيراً ولم تعرف ؟ "

قال الأمير " اليوم التبس على الأمر كله ، لعلى أرى الناس غير واضحين " .

قال الوزير " يبدو رفعك الله ، أنه ينبغي أن نتركك ، حتى إذا هدأت نفسك ، نستمر غداً فى بحث شأن الملك ، نتركك بالسلامة " وانصرفوا .

قام الأمير وقصد المنزل وهو لا يعرف الطريق ، حتى دلوه عليه ، فذهب ووجد الخدم والنساء ، فأخذ يتكلم معهم كلاما فارغا كما حدث فى المجلس ، فتحيروا فى أمره ، فظنوا أنه أصيب بالجنون ، عندما نام فى الغابة .

وعندما حان المغرب ذهب إلى دورة المياه ثم اختفى ، وذهب أمير الجن فوجد الأمير ناصرو ، فقال "لقد سمعت اليوم ثمرات كثيرة ، ثمرتكم أيها البشر ليس أصعب منها ، طول النهار لا يغلق الناس أفواههم ، جاء الوزير بمشكلة الخراج ، وجاء الكاتب بمشكلة القضاء ، وجاءت الجارية لتحدث عن الطعام ، ويحكم ألا تتركون الإنسان يستريح ؟"

عقد الأمير ناصرو صداقة مع ملك الجن ، وأمر الجن أن يحملوه ويعيدوه إلى منزله قبل أن يغمض عينيه ، وأعطاه مالا كثيرا .

عندما طلع النهار خرج الأمير إلى الحاشية ، وتجمع الناس ، وحياء الجميع ، وأخذ ينادى كلا منهم باسمه ، ويسأله عن الأخبار كما تعود تماما ، وليس كما حدث بالأمس .

قال الوزير "نصرك الله ، ما نوع الدواء الذى شفاك من الزكام هكذا؟ ، لقد جئت بالأمس وصوتك مبحوح تماما ، واليوم عدت كما كنت من قبل ، أمس لم تكن تعرف أحدا ، نصرك الله كنت فى حيرة . لم تستطع رؤية الكاتب ، ولا أى أحد ، ظننا أنك أصبت بالجنون ، حتى أننا حزنا ، عندما أنكر حسن جولومبى ثلاثة شلنات ونصف دينا ولم يؤده ، قلت يسجن سبعين عاما ، هل قتل نفسا؟"

انفجر الأمير فى الضحك وقص لهم كل ما حدث بينه وبين ملك الجن ، فلم يتمالكوا أنفسهم من الضحك ، وقال الوزير "ويحك ، نصرك الله ، والله لقد أدركت ذلك ، ولكن الخوف منعنى من الكلام ، كل من يتدخل ويتعد عما أمره الله به يضع نفسه فى مكان آخر ، يجلب لنفسه الكلام " ، هنا أخذ ملأحو الأمير يمدحونه قائلين .

ها هو شخص أتى شبيه ناصرو

التشبه بالملك يكون صعبا

فى الوجه كاد أن يكون هو

ها هى الهيئة فى الجسم والجمال

لبس العباءة والصدىرى

ولكن حاله مختلف

نظر حاذق إلى الوزير الببغاء وقال "من أى نوع هذا الشعر القصير، والذي يشبه الكلام العادى، وليس كلاماً مثل الشعر، لم أعرف أين ينشد هذا الشعر"

ابتسم الوزير وقال "الصغير طول عمره صغير، هل ينشد شعر هكذا؟"

ألم تسمع أننى سأبدا أقول فخراً؟ مثل فخر هذا البلد، وليس كشعركم الذى ينشد منذ الآباء والأجداد.

وفى اليوم التالى، عندما اجتمعوا، طلبوا من حاذق أن يبدأ، فصمت وأخذ يفكر، وبعد قليل قال، قصة قمرالزمان بن الأمير شهر الزمان"

عندما سمع الوزير الببغاء عنوان القصة، انفجر فى الضحك، وقال أمير سيركا « لماذا هذا الضحك أيها الوزير؟ »

قال الوزير "ظننت أن قصص حاذق قد انتهت، فسمعت أنه بدأ يأخذ من ألف ليلة وليلة الجزء الثالث صفحة ١٧٧٧، ويتذكر ما حفظه".

نظر أمير سيركا إلى حاذق، وقال "أحقاً ستقدم لنا من كتاب ألف ليلة وليلة؟"

قال حاذق "نعم، إنها جميلة"

قال أمير سيركا "طالما أن الكل هنا يعرفها، قدم لنا قصة أخرى"

قال حاذق "نصرك الله، أقول لك الحقيقة، لا أخفى عليك أن قصصى كلها انتهت".

عندما سمع الناس ذلك انفجروا فى الضحك، فقد فاز وزيرهم، وأخذوا يصفقون جميعاً.

قال الأمير عبد الرحمن لحاذق "إذا قص علينا القصة التى بدأتها، وطالما أنك بدأت فلا بد أن نتركك حتى تنتهى، فمن أراد أن يسمع فليسمع، ومن لم يرد ينصرف فى هذا الجمع، فيما عدا الوزير لا يستطيع أحد تقديم ما قدمت.

قال حاذق "وهو كذلك"، ثم استمر فى روايته.

قصة قمر الزمان بن الأمير شهر الزمان

فى قديم الزمان كان يعيش فى بلاد الشرق أمير يسمى شهر الزمان، كان ثراؤه يفوق الحديث ، ثراء لا يمكن وصفه، وقد تأكد عدم وجود مثيل له فى زمانه ، وكان مما يشير شفقتك أن تسمع أن مع كل ما جمعه هذا الأمير لا وريث له، سوى الإخوة من الأب.

وكان كل ما يحزنه . أنه لا يملك إلا التفكير كلما جلس ، وذات يوم وهو على هذه الحال جاء إليه رجل عجوز ، وقال "أفضل ما أراه فى هذا الأمر ، أن تأمر بجمع كل كبار علماء هذا البلد ويدعون الله لك" .

قال الأمير " صدقت يا سيدى " ثم بعث فى كل البلاد فجمع له كل كبار العلماء التى فيها، فاجتمعوا وقال لهم الأمير حاجته ، وأخذ كل منهم يدعو الله دون نوم لمدة أربعين يوماً.

الله سميع لدعاء عبيده، لم تتم الأربعون يوماً حتى حملت إحدى نسائه ، وبعد حوالى ثلاثة أشهر ظهر الحمل ، فقرحت كل المدينة بهذا.

وعندما بلغ الحمل تسعة أشهر أنجبت هذه المرأة مولوداً ذكراً ، عندما ولد همس الناس قائلين لشدة جماله أن هذا ليس بشراً بل جنى، وعندما أتم سبعة أيام أطلق عليه اسم قمر الزمان، لا يستطيع أحد أن يصف مدى سرور الأمير بهذا .

وكبر الولد بسرعة ، حتى بلغ سنه اثنى عشر عاماً، فلما رأى والده أنه كبر هكذا ، قال أنه سيزوجه ، وأنه سيستقبل ويعين الابن طالما هو حى.

قال قمر الزمان "إنه سيتولى السلطة ولكن لا يريد الزواج أبداً، تجاهل الأب هذا الكلام، وبعد مضى حوالى عام واحد ، واجه الابن بمشكلة الزواج ، قال الابن "نصرك الله ، لقد قلت لك أننى لا أرغب الزواج أبداً" .

فلما رأى الأمير إصرار الولد على ذلك ، استدعى وزيره وقال له ما حدث من أمر الولد، وشاوره فى حيلة يفعلانها ليتغلب عليه.

قال الوزير " لا شئ نستطيع فعله إلا إذا اجتمع حكام وأمراء وقضاة هذا البلد كلهم وقت الصيد، ويستدعى وسط هذا الجمع وأسأله ، وأعرف أنه فى وجود هؤلاء لن يجادلنا " .

قال الأمير "وهو كذلك ، يجب أن نبحث الأمر" ، وفى يوم العيد اجتمع الأمراء، وذهبوا لتحية الأمير ، فنادى الأمير قمر الزمان ، وواجهه بهذا الأمر .

حتى قمر الزمان رأسه وقال "نصرك الله ، منذ العام قبل الماضى ، سألتنى هذا الأمر، فقلت لك ، لن أتزوج حتى أموت " .

غضب الأمير لأن الولد أخرج وسط الجميع ، فأمر الشرطة أن تقبض عليه ويحملوه إلى منزل قديم بعيد قرب النهر ويحبسوه ، وعندما إنصرف الناس نظر الأمير إلى الوزير وقال "عجور فاسد، أشار على برأى فاسد ، جعل ابنى يخرجنى وسط الجمع ، وهو كذلك لابد أن تقول أفضل ما ترى أن نفعله له ، لنسمع " .

قال الوزير " هدا الله من روعك ، يجب أن نتركه هناك عند شاطئ النهر لنرى ، لعله يخاف ويعمل بمشورتنا " .

قال الأمير " وهو كذلك " ، وتركوا الولد هناك أياماً وأياماً ، لا أحد يذهب إليه، ولا يسمح له أن يذهب إلى أحد، وبعد سبعة أيام ، يذهب إليه الأمير ومعه الوزير ، ويسألانه هل وافق على أن يتزوج ؟ ، فإذا قال أنه لن يتزوج إلى الآن، خرجوا هذه هى قصة قمر الزمان.

وهو كذلك ، وفى بلاد الصين كانت توجد فتاة ابنه أمير كبير هو جايورا ، حاولوا معها هى الأخرى أن تتزوج ، فكانت ترفض ، وكان اسم هذه الفتاة ابنه الأمير بدور وكان لم يخلق فى مثل جمالها أحد وهذا ما جعلها ترفض الزواج ، وكان لها عذرها ، ففى أحد الأيام كانت تستنشق الهواء، فرأت شركا يصطاد قنبرة ذكرا، ورأت زوجته جاءت وحاولت أن تخلصه من الشرك بفمها، فوقفت بدور تتأمله، وقد أخذتها الشفقة عليه، وأمرت أن يفك العصفور ويطلق صراحه .

وذاث يوم وكأنه أمر مقدر، خرجت تتجول، فرأت شركا اصطاد قنبرة أنثى ، ولكن عندما رآها زوجها ، أخذ يبكى ، ثم هرب ، ولم يتوقف ليخلصها ، فلما رأت بدور هذا الأمر أمرت أن يطلق صراح العصفورة وقالت "أهكذا يكون حال الرجال، لن أتزوج إلى الأبد" ، هذا سبب رفضها للزواج.

عندما سمع والدها الأمير جايورا هذا ، أخذ يسترضى الفتاة ، ولكنها رفضت الزواج ، فأمر أن تنقل إلى منزل خارج المدينة ، وفرض عليها الحراسة ، لعلها تشعر بالخوف ، فتوافق ، بين مدينة الأمير شهر الزمان ومدينة الأمير جايورا مسافة كبيرة وبعيدة ، لا يعرف أحدهما ما يجرى فى مدينة الآخر . هذه قصة بدور .

و ذات يوم كان قمر الزمان ينام بالليل ، وإذا بابنه ملك الجن التى تسمى ميمونه تطير ، فشمت رائحة مسك يخرج من المنزل المحبوس فيه قمر الزمان ، وكانت تعرف أن هذا المنزل لا يسكنه أحد ، فتزلت ودخلت الحجرة التى ينام فيها قمر الزمان ونظرت إليه ، فقالت « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وقالت " تأكدت أن الله يخلق ما يشاء حتى بين الناس يولد الجان ؟ ، دعك من الإنس حتى فى الجن لا يكاد يوجد مثل هذا الجمال " . ثم طارت وأخذت تتجول .

وأثناء تجوالها تقابلت مع أحد خدم والدها من الجان يسمى دنهاشى ، وكان أثناء تجواله فى بلاد الصين قد رأى بدور تنام ، فتعجب من جمالها ، لذلك عندما تقابل مع ميمونه حياها ، وقال لها " نصرك الله ، أنت لم تسألينى عن أية أخبار ، عندى خبر لا أستطيع إخفاءه " .

قالت ميمونه " أى خبر تريد أن تقوله ، أنا كذلك لدى خبر أريد أن أقوله ، ويبحث عن أقوله له فلم أجد ، حتى أتى الله بك إلى ، ولكن قل لى خبرك أولا لأسمعه " .

قال دنهاشى " رفعك الله ، لقد رأيت اليوم فتاة ابنة أمير تنام ، أقسم لك بعظمتك ، لو حاولت أن تبحثى عن يشبهها فى هذه الدنيا كلها لن تجدى مثلها بين الإنس والجان ، لشدة جمالها " .

نظرت إليه ميمونه وقالت " أغبياء كذايون تبالغون ، لا تعرفون حيثما جعل الله نعمته ، ابن الأمير الذى رأيته اليوم ، منذ خلقك الله هل رأيت مثله فى الجمال حتى يبين الجان ؟ ، وهو الخبر الذى كنت أريد أن أقوله لك " .

ثم قامت بينهما خلافات ، كل منهما يظن أن من رآه أجمل ، ثم طارا معا وذهبا حيث قصر قمر الزمان ، ونظرا إليه جيذا وهو نائم ، قال دنهاشى " نعم ، إن هذا لا عيب فيه ، ولكن من رأيها تفوقه جمالا " .

غضبت ميمونه وزجرته ، وطلبت أن يذهبا إلى بلاد الصين ليريا بدور ، وفى الحال

وصلا بسرعة ، نظرت ميمونة إلى بدور وقالت " نعم صدقت إلى حد ما ، ولكن إذا تكلمنا عن الولد السابق لا يمكن أن نقول شيئا ، إذا استثنينا ، لن نجد مثيلا له في الدنيا "

قال دنهاشي "رفعك الله ، إذا كنت تقصدين استثناء هذه ، فلا يوجد مثله في هذه الدنيا" ، فغضبت ميمونة وضربت الأرض برجلها ، فرأت جنيا اسمه كشكش يشق الأرض ويخرج وينحنى أمامها ويحييها ، فأمرته هو ودنهاش أن يحملها بدور إلى قمر الزمان ليعرف أيهما أجمل .

نفذ الجن أمر ميمونة ، وحملها ووضعها على سرير واحد وهما نائمان ، نظرت ميمونة إلى كشكش وقالت " ترى من منهما أجمل؟ ، انظر جيدا تر " .

قال كشكش " لا أحد يفوق الآخر جمالا " .

قالت ميمونة " رجل عابث لا يعرف الجمال ، أيقظهما واحدا واحدا لنرى من يميل إلى أخيه أكثر ، يكون هو الأجمل " .

أيقظا قمر الزمان ، فلما استيقظ شعر بإنسان خلفه ، ونظر فرأى فتاة لا مثيل لها في الحياة الدنيا ، فقال في نفسه " لو روجت هذه لوافقت " ، وهم بايقاظها ، فخشى أن يكون قد جاءوا بها لتسلب عقله ، لذلك صمت وأخفى حبه ، ثم جعله الجن ينام ، وهما ينظران إليه وهو لا يراهما .

عندما نام ، أيقظا بدور ليعرفا ماذا ستفعل ، وبمجرد استيقاظها رأت قمر الزمان ، فقالت " لا لا لا " ، إذا كان بابا يريد أن يزوجني ، فأنا موافقة " ، وحدقت فيه بعينها ، لم تغمضهما ، ثم خلعت الخاتم من أصبعها ووضعت في إصبعه ، وخلعت الخاتم من أصبعه ووضعت في إصبعها ، ثم جعلها الجن تنام ، وحملها وأعادها إلى بلاد الصين . وقالا لميمونة " قمر الزمان أجمل ، حتى لا تغضب ، هذا ما انتهيا إليه " .

وعندما طلع النهار قال قمر الزمان للحارس الذي يحرسه " إذا كانت الفتاة التي أمر الأمير أن تأتي إلى هنا أمس ابنة أمير ، إذا كانت هي التي يريدون تزويجها لي فأنا موافق على الزواج منها؟ "

قال الخادم " نصرك الله ، لم يأتوا بأحد هنا مساء أمس "

قال قمر الزمان " لا تقل كلاماً فارغاً ، هل أمزح معك؟ ، اذهب وأخبر الأمير أنني أحبها " .

وقف الخادم صامتا ، فهو لم ير أية فتاة ، ولما غضب قمر الزمان ، أمسك لحيه الخادم وأخذ يضربه ، ليقول له الحقيقة ، فلما شعر الخادم أنه سيهلكه قال "عرفت المشكلة، لقد جاءوا بها ليروا لعلك تحبها" .

قال قمر الزمان "لولا أنى أمرتك أن تقول بالتي هى أحسن ما قلت ، فعندما ارغمتك تكلمت" ، فلما رأى الخادم أنه نجا .

عندما سمع الأمير ذلك انفجر ضاحكا ، وظن أنه كاد أن يهتدى ، فبعث إلى الوزير ليذهب إليه، فلما وصل الوزير قال له قمر الزمان "إذا كنتم تريدون أن أتزوج الفتاة التى جئتمونى بها مساء أمس سأتزوجها ، ولكن إذا كان غيرها ، فلن أتزوج .

ومن المعروف أن هذا الأمر لا يعلم به أحد سواهما . لذلك قال الوزير أنه لا يعلم شيئا بخصوص هذا الأمر ، فأخذ قمر الزمان يلح عليه ، ولكن الوزير أخذ يقسم أنه لم يحضر أية فتاة ، فانهال عليه قمر الزمان ضرباً ، فنجا منه الوزير بصعوبة ، وذهب إلى الأمير وقص له كل ما حدث وقال "لابد أن الجن قد مسه أمس" .

نظر إليه الأمير وقال "أنت رجل عجوز ، أنت تعرف أننى سجنته هناك ، وتأكد أنه إذا أصابه مكروه، فلا تلوم إلا نفسك" ، قام وذهب إلى مكان الحجز بنفسه والوزير يتبعه، فلما وصلا ، قام الابن وحيا والده بلسان طيب ، فرد عليه الأمير التحية ، ثم نظر إليه وقال "أية فتاة رأيتها ، والتى سمعت أنك تحبها؟"

طأطأ قمر الزمان رأسه خجلا وقال "التى جئتم بها إلى أمس ، والتى بدلت خاتمها بخاتمى ، ها هو ، ولا أريد كلاما ، فاطلبوها لى لأتزوجها" .

قال الأمير "والله لم نحضر لك أحدا ، ولعل الجن قد مسك ؟ ، هيا نبحث الأمر ما هو اليوم؟"

قال قمر الزمان "اليوم الأحد وغدا الاثنين ، ثم الثلاثاء والأربعاء والخميس والجمعة والسبت ، أم ليس كذلك؟"

قال "هو كذلك ، إن عندك بقية من عقل ، ولكن لم نحضر أحدا هنا"

قال قمر الزمان "لقد قلت أننى سأتزوجها ، فلماذا يرفضون الرد على؟ ، كيف تقولون أنكم لم تحضروا أحدا؟ ، ها هو الخاتم ، كل واحد يعرف أنه ليس خاتمى ، هل رأيتم رجلا يحلم أنه يقاتل ثم يستيقظ فيجد السيف فى يده؟"

غضب الأمير عندما رأى الولد فى حيرة ، وأمر العلماء والكهان أن يأتوا ليبحثوا عن علاج للجن، ولكن دون فائدة ، وكان الأمير يرى دائما أن هذا خطأ الوزير ، ويقول أنه هو الذى أشار عليه بذلك .

شيئا فشيئا صار الأمر بالنسبة لقمر الزمان كالمرض ، وامتنع عن الأكل والشرب أياما وأياما ، وبصعوبة قدموا إليه ثريدا ، لعلك تعرف أن الحب شيء عظيم، هذا هو ما حدث لقمر الزمان.

ولكن ما حدث لبدور، يشير العجب إذا سمعته ، وهو نفس ما حدث للولد ، فقد قضت اليوم لاطعام ولا شراب ، وبحثوا عن العلماء والكهنة، فأعطوها علاجاً لمس الجن.

لقد قلت لك إن قمر الزمان حجز بالقرب من نهر ، منذ أن تحير الولد بهذه الصورة نقل مقر الحاشية إلى عمر المنزل، وذات يوم كانوا جالسين رأوا من بعيد رجلا غارقا فى النهر، فقاموا وأخرجوه ، وضغطوا على بطنه فخرج الماء ، ومرضوه حتى شفى بعد ثلاثة أيام.

لقد كان هذا الرجل تاجرا ، لا يوجد مكان إلا وطاف فيه ، حتى بلاد الصين ذهب إليها ، وقد جاء الآن من هذه البلاد، وقد ترك بدور ابنة أمير الصين ، تعاني من حب ولد رآته فى الليل حتى بدلت خاتمها بخاتمها، لعله جاء إلى هنا ليعرف ما عليه قمر الزمان، وعرف أن الأحداث التى وقعت له هى نفس ما وقع لبدور، فقال فى نفسه "ربما أن الجن قد جمعوا هذا الولد بها، وربما هذا الولد هو الذى تحبه ، ولكن هيا أرى ، إذا رأيت جماله يماثل جمالها، تكون قد أحبته ، فأكون سعدت بتجارتى"

فأوصلوه إلى قمر الزمان ، فلما رآه قال " لا شك إنه هو" ، ونظر إلى الأمير وقال إنه لديه العلاج، ولكن عليهم أن ينصرفوا ويتركوهما وحدهما.

قال الأمير "إذا كنت ستشفيه ، سأقدم لك هدية ستكفيك فى الحياة الدنيا أنت وأولادك".

قال التاجر "وهو كذلك ، الحمد لله" ، ودخل الحجرة فوجد قمر الزمان ، فقال "بشراك" ، قال قمر الزمان "ثمار الكولا".

قال التاجر " لقد قضيت حاجتك " ، وقال له كل أخبار بدور ووصفها لقمر الزمان ، فلما سمع قمر الزمان أنه يذكر صفاتها تماما ، وكما رآها فى الليل ، هب قائماً وعانق التاجر وقال " ماذا نفعل لنقابل أمير الصين؟ "

قال التاجر " نصرك الله ، من هنا إلى بلاد الصين سفر طويل ، والأفضل الآن أن تقول أنك شفيت ، ولكن لا تقل لأحد ما بيننا ، وإذا مكثنا حوالى شهر ، تقول أننا سنخرج للترهة ، وتأخذ حوالى مائة أو خمسمائة جنيه وتضعها فى مكان ما ، وتخفيها فيه كمصروف ومن حيث خرجنا للترهة نسافر ، أنت تعرف إذا لم نفعل ذلك لن يتركنا الأمير نرحل . "

قال قمر الزمان " وهو كذلك "

نادى التاجر الأمير وقال " لقد شفى قمر الزمان ، لقد مسه الجن ، ودعوت له . " السرور الذى عم الناس فى هذا اليوم لا يمكن وصفه ، فقد دقت الطبول ، وهدأت نفس كل إنسان ، ولا سيما الوزير الذى كاد يسجن ، والخير الذى ناله هذا التاجر لا يمكن وصفه وهم على هذه الحال ، وبعد مضى شهر ، فعل قمر الزمان ما أشار به التاجر فخرجوا ، وعندما توغلوا فى الغابة اشتريا معيز بعض الفولانى ، وذبحوها ، ونثروا الدم فى كل مكان ، وألقى قمر الزمان ثيابه فى الدماء ، وهكذا فعل التاجر ، وكانت هذه الحطة لتهدى نفوسهم ، ويصبروا إذا جاءوا يبحثون عنهم ورأوا ذلك . وركبا الخيل وواصلوا السفر ، وكان التاجر صديقا وخادماً ، هذا هو ما حدث لقمر الزمان .

أما شهر الزمان ، فلما حان العصر ولم يعودا ركبا الخيل وتبعوهما ، وبحثوا عنهما حتى الليل ، فلم يجدوهما ، فعادوا ، وفى الصباح أمر الأمير أن يواصلوا ، ولا يعد أحد إلا بعد أن يعرفوا أين قمر الزمان ، وإذا لم يروه يقتفوا أثره جميعا حتى لو ماتوا فى سبيل البحث . انتشر الناس يبحثون فى كل مكان ، وبعد ذلك وجد البعض ثياب قمر الزمان ، ملطخة بالدماء فى كل مكان ، فأسرعوا باكين ، وأخبروا الأمير ، فركب وذهب ليرى بعينه ، ومنذ هذا اليوم عم الحزن المدينة ومنزل شهر الزمان ، ثم أتركك إذا كنت تستطيع أن تتخيل آخر القصة بنفسك ، وهكذا انتهت القصة . ولنعد بك الآن إلى قمر الزمان ، وبينما هما يسيران ، بمرور الأيام وصلا إلى بلاد الصين ، وقبل أن يصلا باعا خيولهما ، ووصلا إلى البلد ، وبمجرد وصولهما وجدا أن أمير الصين قد تعب من الناس الذين يقولون كذبا أن لديهم العلاج ، حتى أنه وعد أن كل من ير بدور ويعطيها دواء ولا تشفى يقتله ، وإذا شفيت ستكون زوجة له ، سواء رضيت أم لم ترض ، وقد قتل رجالا كثيرين حاولوا علاجها وفشلوا .

عند وصول قمر الزمان ، ذهب إلى الحاشية ، وقال إن لديه العلاج ، نظر إليه الأمير وقال "عجبا، هذا الغلام من الإنس أم الجن؟ ، الأفضل أن تكتم سرّك ، وأن تصبر على هذه الهبة التي خصّك الله بها" .

قال قمر الزمان "إذا كنت قلت أن كل من يراها ولم يشفها ، ستقتله، إن دوائى ليس برؤيتها ، ولكن أن توصلنى إلى حجرتها ، واقف خارج الحجرة لأحاول ، إذا عجزت أعرف إذا كنت تعاقبنى . عاقبنى" .

ابتسم الأمير وأمر أن يوصل إلى باب حجرتها ، وطلب أن يحضروا له قلما ومحبرة ووصف لها نفسه وكيف تقابلا ، وأخذ خاتمتها الذى استبدلت به خاتمه ، ولفه فى الرسالة وبعثه إليها ، وهو على باب الحجرة، فلما أخذت الرسالة وفتحتها ورأت خاتمتها ، خفق قلبها، ولما قرأت الرسالة، هبت قائمة وفتحت الباب وأطلت ، فرأت قمر الزمان فعانقته .

وفى الحال ذهبوا إلى الأمير وأخبروه أن ابنته قد شفيت ، فدخل بسرعة ليرى فأخذت خاتمتها القديم وقدمته إلى والدها، فقال الأمير "عندما رأيته عرفت، أنه لا يناسب أى فتاة فى الدنيا سواك" ، وسألوا قمر الزمان عن كل شيء ، فقال احسبوا الأيام، حسبوا الأيام ، رأوا أنه نفس اليوم والصباح الذى قامت فيه بدور من النوم مجنونة بحبه، فتعجبوا وقالوا إن الجن جمعهما. لأنهم رأوا أنه لا يوجد من هو فى جمالهما فى الدنيا .

قال الأمير " طالما أن الله أراد ذلك ، الأفضل أن تزوجهما ، فالأمور كلها متوافقه ، فهو ابن أمير وهى ابنة أمير ، وجمعوا الناس وأخبروهم ، وعم السرور الناس، وأصبح الأمير سعيدا.

ولما مضى حوالى خمسة عشر شهرا فى هذه الأفراح ، وبدأت أمور العرس ، وأقيم فرح لم يسمع خبر عن مثله أبدا.

وبينما هم يستمتعون بحياتهم فى الصين مع صديقهم التاجر، رأى قمر الزمان فى الليل رؤيا عن أبيه، فلما طلع النهار ذهب وأخبر الأمير أنه يريد أن يسافر إلى بلده ليرى والده إذا وافق، حتى تهدأ نفسه ويعرف أنه لم يمت .

قال الأمير "هذا هو العقل، عليك أن تأخذ زوجتك وتستعدا للرحيل، ولكن لا تغيبا، وعودا مسرعين" .

استعد قمر الزمان وأخذ من الجمال والمتاع والخدم والمال، مالا يمكن وصفه، وجعل زوجته بدور في المقدمة، وقصدوا بلاد شهر الزمان.

وهم على هذه الحال يسرون ليلا ونهارا، وذات يوم في المغرب وصلا إلى مكان فيه ماء".

فقال قمر الزمان هيا ننزل لنقدم للإبل، فترلوا وقدموا لها الماء، وتركوها تستريح، وترعى قليلا قبل الصباح، وبعد منتصف الليل نام الجميع، وأخذ قمر الزمان إناء الماء وانحرف عن الطريق ليقضى حاجته، وجلس أسفل شجرة تمر هندي، فسمع من يقول له "بهذوء حتى لا تكسر لى الأوانى، التى أجففها".

نظر قمر الزمان فلم ير أحدا، فخاف والتفت خلفه، وبمجرد أن رفع قدمه سمع من يقول "هل تطأها بتمردك، هل تتباهى بجمالك؟، أنت تعرف أن العناد لا فائدة منه"، فشعر وكأن إنساناً يطير به إلى السماء، وأخذ يطير به دون أن يرى من يطير به، حتى وصلوا إلى حديقة بعيدة في جزيرة وأنزلوه، ولم يعرف مكانه في الدنيا.

استمر راقدا حتى طلع النهار، فقام وأخذ يطوف حول الحديقة، فوجد رجلا عجورا، كان هذا العجور هو صاحب الحديقة، قص قمر الزمان لهذا العجور كل ما حدث، فقال العجور "لقد وطأت متاع الجن، ولكن لا بأس، طالما أنهم لم يهلكوك، تأتى إلى هنا بعض المراكب، ولكن من سنة إلى أخرى، وها أنت سعيد الحظ، فقد بقى شهر وتأتى إحداها، إذا جاءوا سأجعل واحدة تحملك وتوصلك إلى بلدك"، فرح قمر الزمان وأقام مع صاحب الحديقة، ينظف له مجرى المياه إذا هم يرى الحديقة، هذا ما حدث لقمر الزمان.

أما بدور فقد قامت في الصباح الباكر، تبحث عن زوجها فلم تجده، فخطر على فكرها أمر الجن، لأنها تذكرت ما حدث لهما في بداية الأمر، فقامت وطافت حول المكان، حتى وصلت إلى أسفل شجرة التمر هندي، فرأت الإناء ملقى على الأرض، فعادت وتأكدت أن الجن قد خطفه، وعجزت عما تفعله، هل تعود وتتركه، أم تواصل رحلتها، وماذا تقول؟، ثم عادت وفكرت في حيلة، لعلك تذكر أنهما متشابهان، فلبست ثيابا تشبهه، وركبت جملة، وأمرت أحد الخدم أن يرتدى ثيابها، وغطى وجهه كما كانت تفعل، وركبت جملة، ووصلوا السير، ولم يعرف هذا الأمر أحد سواهما،

وبحيلة بدور وصلوا إلى مدينة إيونى ، حيث تعودوا أن يروا قمر الزمان ، مختفيا حتى تسمع أخباره .

عندما نزلت بدور فى المدينة ، وجدت أن أمير المدينة ، ليس له إلا فتاه واحدة تسمى حياة النفوس ، ليس له ابن ولا حفيد ، إلا هذه الفتاه فقط ، وفى هذه المدينة كلها لم تجد من هو فى جمالها .

لقد سبق أن قلت أن بدور ارتدت ثياب الرجال ، حتى العمامة لفتها وأرسلتها على صدرها ، عندما أحضر خدم إيونى الطعام ، رأوا جمالها ، وذهبوا وأخبروا حياة النفوس فتسللت امرأة عجوز معها لترى جمال بدور . فقالت البنت إنها لا تحب أحد سوى هذا الضيف ابن الأمير تقصد بدور ، ولم يعرفوا أنها امرأة .

عندما سأل الأمير أحد الخدم عن اسم رب أسرتهم ، قال " قمر الزمان بن الأمير شهر الزمان وزوجته التى لم توافق على أن يروا وجهها خجلا ، ابنة أمير بلاد الصين " .

وطلبوا من بدور أن تتزوج حياة النفوس ، ولم تجد فرصة للرفض ، فوافقت ، وتم الزواج ، وأقيمت الأفراح الكثيرة ، ولم يعرفوا أن امرأة تتزوج امرأة .

وبعد قليل ، رأت بدور أن حياة النفوس امرأة طيبة ، فقالت لها " أتقسمين الآن إذا قلت لك قصتى كلها تساعدننى ، ولا تكشفين سرى " .

أقسمت حياة النفوس ، فقصت لها كل قصتها ، فلما سمعتها الفتاة انفجرت فى البكاء شفقة عليها ، وقالت " إن شاء الله لن يسمع أحد هذا ، إن شاء الله وعاد ، أو عرفت أخباره ، إذا أراد أن يتزوجنى نذهب معا ، لأننى لا أستطيع الآن الانفصال عنك ، لأننا ألفنا بعضنا ومهما كان قبج زوجك سأتزوجه من أجلك . وكما السر وعاشا معا ، وأخذت بدور تذهب إلى المجلس وتجلس كالرجل ، ولما رأى أمير إيونى ذكاء بدور أطمأن على ابنته ، واستقال ، وتولت بدور السلطة ، امرأة وامرأتان ، وهى تتولى السلطة ، ولكن لم يعرفوا أنها امرأة ، هذه هى قصة بدور .

أما قمر الزمان فقد ظل يعمل كثيراً فى الحديقة ، حتى يجز الشادوف ، وبعد حوالى شهرين ، جاءت مركب ، فأحضر صاحب الحديقة سلة ، وملاها لقمر الزمان بالفواكه كالتين وثمار الدوم وأنواع الفواكه الأخرى ، وأخذ قمر الزمان خاتم بدور الذى بدله الجن ، ووضع فى أسفل السلة ، ووضع هذه الفواكه ، وقد خلع هذا الخاتم من إصبع يده ،

لأنه صار هزيلا جدا، بسبب المشاكل وفراق الحبيب ، حتى صار الخاتم لا يستقر فى إصبعه ويفلت ويسقط . وخوفا من أن يضيع ويحزن عليه ، خلعه ووضعته فى أسفل السلة .

عندما ذهب صاحب الحديقة لقمر الزمان استأجر ما ستحملة إلى مدينة إيبونى لأن هناك موقف البواخر، أى حيث تولت السلطة بدور زوجته، ودفع صاحب الحديقة أجر سفر قمر الزمان ، ووضع متاعه داخل المراكب ، وعاد ليودع صاحب الحديقة ، فضاق صدر صاحب المركب من طول الانتظار ، فلما رآه تأخر فى العودة ، تحرك ومعه متاع قمر الزمان داخل المركب ، وبعد ثلاثة أيام وصل إلى مدينة إيبونى . هذا كل ما حدث .

وعندما انتهى قمر الزمان من توديع الرجل العجوز ، اصطحبه إلى المركب وهو يبكى، فرأيا المركب تدخل البحر ، فأخذا يناديان بصوت مرتفع ، فلم يسمعهما ، وترك قمر الزمان حزينا وفى حالة لا يمكن وصفها، وأكثر ما جعله حزينا ، هو انفصاله عن خاتم بدور الذى كان كلما رآه تذكرها ، فيهدأ قلبه ، هذا فعل القدر .

عندما وصل صاحب المركب إلى إيبونى ، وإذا بخدم بعثت بهم الأمير بدور ليحضروا لها بعض الفاكهة ، فقد كان كل من يريد شراء فاكهة يذهب إلى هذه المركب القادمة من الجزيرة .

عندما سألوا أصحاب المراكب قالوا باعوا كل الفواكه وبقيت سلة واحدة ، وضعها شخص ، ولكنه تأخر فتركناه ، اشترى الخدم السلة، وحملوها إلى بدور .

وعندما ذهبوا ووضعوها ، وإذا بخاتمها يلمع ويأخذ بالابصار ، فخفق قلبها وقامت وأخذته ، ونظرت إليه ، وصرفت الخدم ، وأرته لزوجتها حياة النفوس وقالت "بشراك" .

فقال حياة النفوس "ثمار الكولا"

قالت بدور "هل رأيت هذا الخاتم ، إنه خاتم زوجى" .

وفى الحال بعثت الجنود فجاءوا بصاحب المركب، وسألته الأميرة بدور، عن صاحب هذا المتاع الذى اشتريته .

قال صاحب المركب كل ما حدث حتى تركه فى الجزيرة ، فأمرت أن يعود الآن ويأتى به، قام صاحب المركب وجسمه يرتعش ، وقاد المركب حتى وصل إلى الجزيرة

فوجد صاحب الحديقة ، فقال له "الولد الجميل ، جماله لا يفيد، إنه لص ، أروني أن أعود به الآن."

وفي الحال استأذن قمر الزمان من صاحب الحديقة ، وأعطاه مرة أخرى بعض الفواكه ، وقادوا المراكب ولم تتوقف إلا في مدينة إيسوني ، ولم يعرف قمر الزمان سبب ذلك ، وظن أن بدور عادت إلى مدينتهم.

وبمجرد وصولهم ، ذهبوا بقمر الزمان إلى الأميرة بدور ، فنظرت فرأت قمر الزمان أما هو فلم يعرفها ، لأنها لفت العمامة ، وارتدت الثياب والسروال المزركش ، وملابس الأمراء ، وجلس فوق كرسى الحكم وسط الحاشية ، وتصرفت كأنها لم تعرفه ، وأمرت رئيس الحرس أن يعطيه حجرة ليضع متاعه.

ولما حان الليل استدعته ، وأخذته إلى حياة النفوس وجذبت العمامة ، فلما رآها عرفها ، فتعانقا وهما يبكيان من شدة السرور ، ولم تكن حياة النفوس تعرفه ؛ شفقة بهما أخذت تبكي معهما.

وعندما جففوا دموعهم ، قالت بدور كل ما حدث منذ افترقا ، ونظر قمر الزمان لحياة النفوس وقال "بارك الله فيك ، أنت إنسانه وفيه ، ونشكر على هذا السر الذي صنته" ، وقال لهم كل أخباره ، فأنفجروا مرة أخرى في البكاء شفقة وسرورا .

وفي هذه الليلة ذهب الثلاثة إلى والد حياة النفوس ، وشرحوا له كل ما حدث من البداية حتى النهاية ، وقال لهم قمر الزمان ما حدث حتى تزوج بدور ، وكيف افترقا فتعجب الأمير من هذا الأمر.

ولما طلع النهار جمع أهل المدينة ، وقص لهم كل ما حدث ، فتعجبوا من هذا الأمر . وطلب قمر الزمان الزواج من حياة النفوس ، فوافق الأمير ، فأقاموا أفراحا لا يمكن وصفها في هذا الوقت الوجيز ، وتولى قمر الزمان السلطة بدلا من بدور ، وعاشوا حياتهم.

قال الوزير البيغاء "وهو كذلك ، ولنذهب الآن ، لنقص قصة أسد وأمجد".

قال حاذق "من هما أسد وأمجد؟ ، أنا لم أعرفهما".

انفجر الوزير في الضحك وقال "إن حديثك بلا فائدة إذا توقفت هنا ، ما معنى هذه

القصّة؟، إذا سألت الحاضرين يقولون أنهم سمعوا قصّة طويلة فقط، ولكن لم ينتهوا إلى شيء، لينتج أكملت قصّة أولاده أمجد وأسد لكان أمتع، وإذا كنت لا تعرف بقية هذه القصّة كان يمكن أن تحفظ قصّة حسن صاحب الحبل أو قصّة أمينة ميا، أو الأحذب، هذه القصص قصيرة وجميلة، لقد عجزت أن تتناول واحدة وتحفظها، فقصصت هذه التي لم تستطع إكمالها؟، ولو لم تبدأ القصّة لكان أفضل، لأن عدم القيام للرقص أفضل من الرقص السيئ، دعني أكمل لكم أيها الناس حتى لا نفترق، فنكون قضينا اليوم بلا فائدة منا، ثم بدأ يقول... .

قصة أمجد وأسد

عاش قمر الزمان فى إيونى يستمتع بحياته ، حتى شاء الله أن تحمل بدور وتلد ذكرا وسمى أمجد ولم يمض شهر واحد على وضع بدور لطفلها، حتى ولدت حياة النفوس ولدا ذكرا، وسمى أسدا وشبا معا كتوءمين، إذا رأيتهما كأنك ترى الأب، إذا تذكرتم كيف وصف جمال أبيهم من قبل، فليس من الضروري أن أصف لك جمال هذين الولدين.

عندما بلغ الطفلان من العمر اثنى عشر عام، بدأ قمر الزمان يعلمهما شئون الملك، وإذا طاف فى البلاد يتركهما فى المنزل يتوليان السلطة، وأن يقتسماها معا، إذا اعتلى العرش أحدهما هذا اليوم يعتليه الآخر غدا، وأى شيء يعملانه يستمر.

و ذات يوم كان أمجد يتولى السلطة، فكتبت إحدى جوارى والده الماكرات رسالة، قالت له ينبغى أن تتبّه، لأن حياة النفوس تبحث عن دواء لتقتله به، وتقتل بدور ليتولى ابنها السلطة، وقالت "علينا أن نحترس، ونسبّهم، وسأبحث عن سم وأقدمه لك، لتضعه فى طعام أسد ووالدته، فإذا أكلاه ماتا واسترحنا منهما. وإذا توليت السلطة تجعلنى الجارية المقربة، ولعلك تعرف المثل القائل اقتل عدوك قبل أن يقتلك، وإذا كنت لا تستطيع ذلك، اعطنى إذنا أفعل كل شيء".

عندما قرأ الولد هذه الرسالة أخذ يكيى ، وأمر بقتل العجوز التى أحضرتها ، وبحث عن سبب فلم يجد، ولم يخبر أمه بشيء. وأخذ الرسالة ووضعها فى جيبه، وعندما طلع النهار اعتلى أسد كرسى السلطة ، وإذا برسالة من إحدى الجوارى تصل إلى أسد ففتحها، وقرأها ، فوجدها نفس الرسالة بالضبط التى أرسلت إلى أمجد، فتعقل أسد كما تعقل أمجد، أنهم يدبرون لأمه، سيقتلونه هو وحياة النفوس.

وعندما قرأ هو الآخر الرسالة فعل كل ما فعله أخوه الأكبر أمجد ، ولم يقلوا ما حدث لأحد ، السبب الذى جعل هؤلاء الجوارى يفعلن ذلك، هو الحقد والحسد لأنهن رأين أنفسهن بلا أولاد، ولا يهتم الأمير بهما كما يهتم بدور وحياة النفوس ، فهما ليستا

أمين ولكن يعاملهما كالإماء ، لأنه لا يستجاب لكلامهما في القصر كبدور وحياة النفوس ، فاتفقا على أن يبعثا هذه الرسائل ، حتى يهاجم كل أخ أخاه ، فتشتعل الفتنة دون أن تعرف الأمهات ذلك ، حتى يقتل كل أخ أخاه فتصير الخطوة لهما .

فلما رأيا ما فعل هذان الغلامان ، ظنا أنهما سيريان هاتين الرسالتين لقمر الزمان عندما يعود ، ورأيا أن الأمير إذا رأى هاتين الرسالتين لا شيء يمنعه من القضاء عليهما ، لذلك اجتمعا ، وأخذتا يتشاوران فيما سيقولان للأمير عندما يعود ، ليسبقا هذين الولدين ، لعل الله يسعهما بالنجاة ، وظلا يفكران حتى توصلا إلى حيلة .

وبعد مدة عاد الأمير من رحلته ، ولما نزل لم يتركاه يخرج حتى قابلاه ، وقالتا إن لديهما مشكلة ، فانفرد بهما ، فأخذتا تقصان له الأكاذيب ، وقصتا مشكلة الرسالتين اللتين بعثتا بهما ، وقالتا إن الولدين بعثا لهما ليساعدهما ، وقالتا إن كل واحد منهما لم يعرف بما فعل أخوه ، وقالت إن هؤلاء العبيد الذين سمع أنهم قتلوا هم الذين بعثهم ، حتى لا يشكوه فيأمر بقتلهما . فكّر النساء يعرفه الجميع ، حتى ما لا يمكن قوله ، وقالت هاتان المرأتان أن الولدين فعلاه ، عندما كان الأمير غائبا ، وقالتا أنهما أخبرتا ، حتى لا يتحير في الأمر مستقبلا ، دون أن يعرف السبب " وإذا كنت تظن أننا نكذب ، فاستدعهما واحدا واحدا ، واسألتهما لعلهما يقولان لك السبب الذي جعل أخاه يقتل الخادمة ، لعلك تعرف لو كانا يعيشان في أمان ، كان كل ما يفعله أحدهما يعرفه الآخر ، ستسمع أن كلا منهما يقول « لا أعرف » ، وأن أخاه لم يخبره " .

عندما سمع الأمير ذلك استدعى الولدين وسألتهما واحد واحد ، فلم يستطيعا قول أى شيء ، لأنهما لم يقولوا لبعضهما ، سألتهما على انفراد كذلك عن سبب قتل الخادمة ، فلم يقولوا كلا ما يعتمد عليه ، لأن كل منهما لا يريد أن يكشف السر تماما حتى لا يأمر الأمير بقتل هاتين المرأتين ، ويريان أنهما لو فعلا ذلك لقليل لأنهما ليستا أميهما .

عندما رأى الأمير أنهما لم يقولوا قولاً طيباً ، غضب ، وابتضت عيناه ، وقام وهو لا يرى ما أمامه ، وأمر بأن ينادى الرجل العجور ، والد حياة النفوس ، وقال له كل ما في الأمر ، غضب الأمير العجور وقال " لقد حدث هذا ونحن على قيد الحياة ؟ ، فماذا يحدث لو متنا ولم يتوقف قمر الزمان عن طلب المشورة ، ثم استدعى السياف بالليل ، وأمره أن يذهب بولديه هذين إلى الغابة ، ويقطع رقبتهما .

وقف السياف مترددا فزجره الأمير وقال "لماذا وضعتك فى هذا العمل ، ألم تعدنى بأنك لا تخالفنى فيما أمرتك به ، مهما كان حبك لهما ، أحبهما أكثر منك ، طالما سمعتنى أقول لك اقتلهما ، لا تخالف ، إن ما يجعل الفأر يهرب ويقفز فى النار ، يكون أشد من النار حرارة".

أخذ السياف السياف وعلقه على كتفه ، وخرج للتنفيذ ، وأيقظ الولدين معا فى منتصف الليل ، دون أن يعرف أحدا ما فى الأمر ، سوى السياف والأمير ، وخرج ودخلوا الغابة ، وواصلوا السير حتى طلع الفجر ، وقال لهما السياف ، "قمر الزمان أمر أن أقتلكما ، ولكنى لا أعرف السبب ، وعلى أن أنفذ الوعد ولا أخالف أمر الأمير ، ولو قال قمر الزمان أن أقتل أباه شهر الزمان لقتلته".

قال الولدان "أطال الله حياة أبينا ، إذا رفضت تنفيذ أمره ، ما فائدة توليك هذا العمل؟"

كل واحد من الولدين يعرف أن ذنبه هو قتل هذه الخادمة التى بعثها جارية أبيهم ، ولكن حتى الآن لم يقل أحدهما لأخيه ، لماذا هو قتل الخادمة يوم تولى السلطة.

قال السياف "وهو كذلك ، ابتعدا عن بعضكما بمن سأبدأ؟"

قال أمجد "أبدأ بى ألسأ أنا الأكبر؟"

قال أسد "لا ، إذا بدأ برأسك ربما شعرت بالخوف فأتحرك ، إذا جاء الدور على رأسى ، فليبدأ برأسى حتى لا أشعر بالخوف".

قال أمجد "لا أستطيع أن أرى رأسك تقطع ، قبل أن يأتى لقطع رأسى ، فسيقتلنى الحزن".

وقع الخلاف بينهما ، كل يطلب أن يبدأ به ، فقال السياف "إذا لم تقولوا لى بمن سأبدأ بقطع رأسه ، قفا وضما ظهريكما وأنتما واقفان ، وأربطكما بحبل معا من أيديكم أعتافكم ، حتى لا يفلت أحدكم ، وأضرب بالسياف مرتين ، وأكون بذلك قد وفيت بأمر الأمير إذ عدته أنه مهما تكن ضخامة الإنسان أقطع رقبتة مرة واحدة .

قال الأطفال "نعم ، هكذا يجب أن يكون". وربطهما السياف بالحبل جيدا ، قال أمجد "عليك أن تقوم من أمامنا ، وتبدأ القتل ، حتى لا يرى أسد عندما تقتل فيغضب".

والتفت السيف أمامهما وهم بالقتل ، فخاف حصانه ، مما رآه فاندفع فى الغابة جريا ، يعلم الله وحده ، رمى السيف السيف ، وتبع الحصان حتى لا يضل ، وترك الولدين واقفين ، منذ الصباح حتى الظهيرة ، ولم يتحركا .

فلما رأيا أنه لم يعد قالا " يجب أن نريح أنفسنا إذا استطعنا ، ونأخذ السيف ونقتفى أثره ليقتلنا ونستريح ، ها الجوع والعطش يتعبنا بلا فائدة " ، وحاولا حتى يريحا نفسيهما ، وأخذ كل منهما يقول لأخيه سبب قتل الخادمة ، فعلما أن السبب واحد ، وأخرج كل منهما الرسالة التى بعثتها له جارية الأمير . فقرأها ، وأدركا المؤامرة التى عقدتها هاتان المرأتان لخداع الأمير ، وتركوا الأمر ولم يقولوا شيئا ، حتى وصل الأمر إلى ما هو عليه .

عندما وجداه كان بهذه الغابة لبؤة ذات أولاد صغار ، جعل الحصان السيف يطا هؤلاء الصغار دون أن يعرف ، انقضت اللبؤة عليه وكادت تقتله ، وإذ بالولدين يصلان ، فقتل أمجد اللبؤة ، ونجا السيف وقلبه يخفق .

قال أسد لأمجد " إعطه السيف بسرعة ليقتلنا ، لنرتاح نحن كذلك ، إننى أشعر بالجوع . " نظر إليهما السيف وجسده يرتعش ، ها هى اللبؤة راقدة مقتولة ، والدماء تلوث المكان ، فقال " اكتما السر ، كيف أقتلكما ؟ ، لولاكما لكنت خيرا يسمع ، عليكما أن تذهبا حيث تريدان ، وسأقول للأمير أننى قتلتكما . "

قال أمجد " لا ، يجب أن تقتلنا لنرتاح ، أين سنذهب ؟ ، لماذا ولاك الأمير ؟ "

قال السيف " دعوا هذا الكلام ، منذ اليوم تبت عن قتل الناس ، اتركاني ، إننى أعرف ماذا سأفعل ، اذهبا ، وإذا كان لكما بقية من الحياة ، إن لم يكن ، فلا يكون هذا الأمر بسببى . "

حاول الولدان اقناعه ولكن رفض قتلهما ، فأخرجتا رسالتى الجاريتين وقدماهما إليه ، وقال " إذا وصلت قدم لأينا هاتين الرسالتين ، وقل له أنك لم تقتلنا ، وقلنا لك أن تقول له " إن كل من يأخذ بكلام النساء على أنه صدق ، يشعر فيما بعد بالندم ، ولكننا نطلب أن يغفر لنا . "

أخذ السيف ثيابهما وغسها فى دماء اللبؤة ، وركب حصانه ، وذهب إلى المدينة بالقمصان الملوثة بالدماء ، كشاهد بأنه نفذ أمر الأمير .

عندما رأى الأمير ذلك فرح ، ولكن بعد أن قدم له السياف الرسالتين ، وقراهما واحدة واحدة وقال له الرسالة التي حملها له ، وقع الأمير قمر الزمان من فوق الكرسي مغشياً عليه ، فثثروا على وجهه الماء حتى أفاق .

وأخذ هاتين الرسالتين وقدمهما إلى حماه ، فقرأهما وقدمها إلى والدتى الولدين فقرأتاهما ، وأحضر المراتين ووضعهما فى الأغلال ، وطافوا بهما فى المدينة ، . ليلعنهما الجميع ، وأمر الأمير بقطع رقبتيهما ، وتركهما معلقتين ويفتحان فمهما حتى ماتا ، ولم يقل السياف أنه أطلق سراح الوالدين ، حتى يتبعوهما ، ولكن حزن الأمير قمر الزمان وحبيه والوالدتين ، إذا ذكر لك مدى حزنهما ، أنت نفسك لن تشعر بجمال القصة ، بسبب الحزن ، والأفضل أن نسكت ، هذه هى قصة قمر الزمان وولديه .

أما الولدان ، فعندما رأيا السياف قد ذهب ، سارا فى الغابة ، لا يعرفان لهما وجهة ، ليس لهما طعام إلا ثمار الأشجار ، إذا أقبل عليهما الليل يبحثان عن شجرة وتسلقا عليها وناما فوقها ، وفى الصباح يقومان ويواصلان السير ، واستمرا على ذلك خمسة عشر يوما ، دون أن يصلا إلى أية مدينة .

وذات يوم أثناء سيرهما وجدا غزالا ميتة ، لم يعرفا ما قتلها ، ففرحا وأخذاهما فحصلا على لحم مشوى فى الشمس ، فأخذا يقطعان هذه الغزالة شرائح وجففاها ، فلما جف اللحم أخذا ياكلانه ، ويجمعان ثمار الأشجار ، وواصلوا السير أسابيع ، حتى وصلا إلى مدينة كبيرة ، فقال أمجد لأسد " يجب أن تنتظر هنا ، وأدخل المدينة لأتسول وإذا رأيت أن أهل المدينة طيبون ، آتى وأناديك ، وندخل ونبحث عن منزل نخدم فيه " .

قال أسد " لا ، لا بد أن أذهب معك لا أستطيع البقاء وحدى فى الغابة . " ، تركه أمجد ودخل المدينة .

فلما دخل ، وصل أول الأمر إلى منزل رجل ، فوقف على باب المنزل يقول " يا أهل المنزل ساعدونى بصدقة ، بحق حبيبك للنبي سيد الخلق ، يا أهل المنزل ارحمونى كما يرحمكم الله " .

وأثناء التسول ، خرج رجل عجوز ، وقال له " ايها الشاب يبدو عليك غريباً؟ "

قال أسد " نعم ، ودخلت الآن فقط ، أخى هنا خلف المدينة وجئت لأبحث عن طعام " ، أبدى العجوز أنه يشفق عليه ، وأمسك يده وقال " ادخل لأحضر لك ما تأكله ،

هل سمعت؟" ، قال أسد "وهو كذلك" وتبعه وهو يقول "الله يتقبل ، ويشكركم النبي ، اللهم يجعلنا في شفاعته" وأنصت فلم يسمع العجوز يقول آمين ، حتى دخلا وسارا حتى آخر المنزل ، وأدخله حجرة وأغلق الباب ، وكلف فتاة برعايته كما يراعى الخروف ، وطلب منهما أن تقدم له الطعام كل يوم مرتين ، في الصباح والمساء والماء كذلك مرتين كل يوم.

لقد كان هذا الرجل مجوسياً ، كان يسمى كبير السحرة ، وكان يفعل ذلك كل عام ، فيقبض على مسلم للتضحية به إذا أقبل شهر صعود السحرة على جبلهم ، فيذبحون المسلم ويقدمون دمه قربانا للأصنام ، وبعض الوثنيين يقدمون خرافا ، والبعض الآخر يقدم أبقارا ، والفقير يقدم دجاجة ، أما هو كبير السحرة فلا بد أن يقدم إنسانا كل عام ، والآن شهر الصعود على الجبل لتقديم الضحية للأصنام قد اقترب ، ولذلك أخذه وسجنه ليقدمه قربانا . هذه هي قصة أسد.

أما أمجد فقد انتظر حتى قرب غروب الشمس ، فلم يعد أخوه ، فتبعه ليبحث عنه ولما دخل المدينة تقابل مع رجل مسلم ، فسأله هل رأى أخاه خرج من هنا وأعطاه أوصافه.

قال الرجل "لا لم يره" ، وقال "لعلك غريب" .

قال أمجد "نعم"

قال هذا الرجل "ألا تعرفون ما في هذه المدينة ، يوجد بعض المجوس يعبدون النار والأصنام ، إذا وقع في يد واحد منهم ، لا يراه أحد إلا بمشيئة الله ، والأفضل أن تنجو بنفسك طالما أن المغرب اقترب ، وينبغي أن تتبعني حتى نذهب إلى منزلي ، لتعيش معي ، وتدخل المدينة كل يوم لتبحث عن أخيك ، وإذا شاء الله وكان لكما نصيب تلتقيان .

قال أمجد "وهو كذلك" ، واتبعه وذهب إلى منزله ، وكان هذا الرجل يعمل إسكافيا ، عاش معه أمجد يتعلم حرفة الإسكافي ، وفي النهار يذهب إلى المدينة ليبحث عن أسد وكان ينادي دائما ، وأسد هو الآخر مسجون كذلك دائما ، ولا يعرف أحدهما أين أخوه .

وذات يوم كان أمجد يتجول ، فتقابل مع مومس ، فلما رآته طلبت أن يتزوجها ، فرفض ، لأنه صبي ، صغير أين هو والزواج من مومس ؟ ، فهو لم يتزوج من قبل ،

فتبعته المرأة ، وقالت "حيثما يدخل ستتبعه حتى ترى منزله ، وأنها لا تريد أحدا سواه ، ولا بد أن يتزوجها" ، وعجز أمجد عما يفعله مع هذه المومس ، فحيثما يضع قدمه يجدها خلفه ، ولا يستطيع أن يعرفها منزله خجلا ، ولذلك أخذ يتجول فى المدينة ، يدخل حارة ويخرج منها إلى أخرى ، وكان يعتقد أنها إذا تعبت من التجول انصرفت عنه ، فيذهب إلى منزل ، إذا سأله أين المنزل يقول لها "اقتربنا منه" ، ولعلك تعرف الأمر بالنسبة للغريب وأثناء السير سلك طريقا ضيقا ، وكان فى آخره منزل ، فوجد الباب مغلقا .

قالت المومس . "هذا منزلك ؟ ، إنه جميل ، هل كل خدمك خرجوا يتجولون؟ ، أرى المنزل مغلقا" .

عجز أمجد عما يقوله ، وليس هناك فرصة لأن يقول أن هذا ليس منزله طالم-أ أن الطريق جاء بهما إلى هنا ، وهل ينسى الإنسان طريق منزله ؟ ، ولا يريد أن يقول أنه غريب ، لأنه لا يعرف سلطة من سيدخل ، لذلك قال "نعم ، أنا بعثهم" .

قالت المومس "إذا لم يعودوا نكسر قفل الباب لأرى منزلك ، حتى أعود يوما ، إنى إذا لم أتزوجك لن تهدأ نفسى" .

قال أمجد "وهو كذلك ، ننتظر حتى يعودوا" .

انتظرت المومس فلم يأت أحد ، فأخذت حجرا وكسرت الباب ، وقالت "أنا لم آت للانتظار لأرى منزلك فقط للمستقبل" ثم دخلت ، وخيل لأمجد أن يهرب ويتركها ، ولكنه دخل رغم أنه لا يعرف صاحب المنزل .

فلما دخلا وجدا المنزل مفروشا ، والطعام ألوانا ، وضع فوق المائدة وكرسيان معدان ، فجلست المومس على إحداهما وفتحت إناء الطعام وأخذت تأكل ، وهى تقول "خدمك هؤلاء ممتازون ، هل هم الذين طهوا؟"

قال أمجد "نعم" ، وطلبت منه أن يجلس ويأكل ، وقلبه يخفق ، فهو لم يعرف صاحب هذا المنزل الذى دخله ، فلما رآته المومس صامتا ، تحدثت إليه وسأله «هل أنت مريض؟»

قال "صحتى جيدة ، لقد أضاع الخدم بعض مالى" .

وهما على هذه الحال سمعا شخصا قادمًا ، فقام أمجد وقابله ، لقد كان رئيس حاشية المدينة ، وهذا منزله ، أمر أن يبنى له ليستريح فيه ، والطعام الذى قلت لك أنهما أحضره له من منزله الكبي ؛ لأنه سيأتى اليوم هنا ليستريح .

عندما رآه أمجد قص له كل قصته ، وقال إذا كنت ستقتلنى ، فاقتلنى ، فهو لا يبالي بالموت بعد أن فقد أسداً .

قال له رئيس الحاشية " لن أقتلك ، طالما أنك قلت أنه متروك ، فإذا دخلت فعاملنى كخادمك . وعاتبنى على سبب خروجى ، وأمرنى بعمل بعض الأعمال " .
قال أمجد " وهو كذلك " .

وعندما عاد تبعه رئيس الحاشية ، فأخذ يعاتبه ، لماذا خرج يتجول ، وقد طلب منه أن يكنس المنزل ، وأن يهويه .

انحنى رئيس الحاشية يعلن توبته ، فقالت المومس " الأفضل أن تضربه " .

قال أمجد " أنت على حق ، ولكن إذا كرر ذلك " ، وأكلا الطعام معا ، وأحضر رئيس الحاشية لهما الماء ليغسلا أيديهما ، واتخذ جانبا ، حتى غلبه النوم .

فلما غلبه النوم ، قالت المومس لأمجد أن يقتله ، لأنها تكرهه ، وطالما هو فى المنزل فلن تتزوج ، وادعت أنه قبيح المنظر ، ومثل أمجد لا يحب أن يكون خادم منزله بهذه القباحة .

قال أمجد إنه لن يقتله ، فقالت المومس « إنه لم يقتله ستقتله هى » ، وقامت وأخذت السيف وهمت بقطع عنقه ، فأخذ منها السيف ، وطلب أن تتركه ليقتله بنفسه ، فأعطته السيف ، فقطع رأسها ، وأنقذ رئيس الحاشية ، وأخبره بكل ما حدث ، فتعجب وقال يجب أن يلفاها فى حصيرة ، وطالما أنه من أهل المدينة يحملها فى هذه الليلة إلى البحر ، ويلقيه . قال أمجد " وهو كذلك " ، فقام وساعده ولف المومس فى حصيرة ، وسلمها لرئيس الحاشية ، وعاد هو إلى منزل الاسكافى الذى يعيش فيه .

وعندما جاء الليل أخذ رئيس الحاشية المومس وقصد البحر ، وتصادف وجود قاضى المدينة هناك يتنسم الهواء بالليل ، فلما رأى رئيس الحاشية ، قال " أين ستذهب يا رئيس الحاشية بهذا المتاع بالليل ؟ " .

عجز رئيس الحاشية عما يقول ، فاقترب منه القاضى ، وقال لابد أن يرى ما يحمل ، فلما رأى امرأة ميتة ، قال " لا ، لا ، هل بدأت تقتل الناس وتسلب أموالهم ؟ ، لقد كنت أعرف أن أموالك ليست حلالا ، وعندما انصرف لم يتوقف إلا فى منزل الأمير ،

وقص له كل خبر رئيس الحاشية ، فلما سمع الأمير ذلك بعث من يستدعى رئيس الحاشية ، وسأله ، لم استطع أن ينكر لأنه لا توجد فرصة للإنكار .

عندما طلع النهار أمر الأمير الشرطة أن يطلبوا رئيس الحاشية ، ويذهبوا به إلى السوق حيث تقطع رأسه ، ومر المعلن في المدينة حارة حارة ، ليعلن على الناس ما فعل رئيس الحاشية ، وكيف وجدوه ، والحكم الذي أصدره الأمير عليه ، ويقول «لا يتخلف أحد عن الخروج إلى السوق ليراه ، ليكون عبرة لمن يراه» .

وكان أمجد بالمتزل يخيط حذاء ، فسمع الإعلان ، فعرف ما حدث ، فترك أدوات الخياطة ، وأسرع إلى السوق ، فوجد الأمير قد خرج ، وأحاطوا برئيس الحاشية ليقتلوه ، فتقدم أمجد ووصل إلى الأمير وقال له " إن رئيس الحاشية ليس مذنباً لأنه لم يقتلها ، أنا المذنب ، أنا الذي قتلتها "

سأله الأمير عن قصته ، فقصها له حتى أخذه إلى حيث التقى بهذه المرأة ، وكيف قتلها ، عندما سمع الأمير ذلك أمر أن يطلق صراح رئيس الحاشية ، وأمر الناس بالإنصراف ، وتعجب من أمر أمجد ، وهذا الوعد الذي وفي به ، وقال له " إنه ليسمع عن قصة الأمير قمر الزمان منذ مدة طويلة ، والسفر من هنا إلى مدينته يستغرق شهرين ، دون التوقف في الاستراحة ، ومن أجل هذه الشجاعة التي أبدأها ، وقصته التي بعثت الشفقة ، ولأنه ابن أمير ، عينه وزير المدينة .

وزاد احترام الناس لرئيس الحاشية ، للحرية التي نالها ، وعاشوا معا هو والأمير والوزير .

وأمر الأمير الناس أن يتفقدوا المدينة لعلهم يرون أسداً ، فلم يره أحد لأنه مسجون في منزل كبير السحرة ، في حجرة الماعز ، لا يذهب إلى هذا المكان سوى الساحر وابنته ، التي تحرس الولد ، هذه هي قصة أمجد .

أما أسد فكان كلما مر عليه هذا المجوسى يجلدّه خمسين جلدة ، واستمر على هذه الحال مدة ثلاثة أشهر ، حتى حان وقت الذهاب إلى مكان تجمع السحرة ، فوضع أسداً في صندوق وأغلق عليه ، وحمله إلى شاطئ البحر ، ووضع في المركب ، واستعدوا للرحيل وإذا برسل الوزير أمجد ، جاءوا ليلحقوا لعلهم يجدون أسداً حتى تهدأ نفسه ، ومع ذلك كان لا يكف دائماً عن البكاء ، وإرسال الرسل في كل مكان لعلهم يعثرون

على أخيه، ففحصوا الناس جميعا لعلهم يجدون أسدا ، فعادوا ، وسارت السفينة ،
وأثناء السفر في البحر بعد أن قضوا ثلاثة أيام هبت الرياح ، وهاجت أمواج البحر ،
وغيرت المركب طريقها ، وذهبت بهم إلى جزيرة كبيرة لم تكن هدفهم ، فوجدوا أميرة
مسلمة تملكها اسمها ميجيانتو .

وكان هؤلاء الوثنيون يعرفون أن هذه الأميرة مسلمة ، لذلك عندما سألتهم عن
وجهتهم قالوا ألهم تجار للعبيد ، وياعوا كل ما جمعوا ، إلا عبدا واحدا ، وأخرجوا
أسدا ، وعرضوه عليها ، وقالوا " أما هذا فلن يبيعه " .

نظرت الأميرة إلى أسد ، فرأت نور الإسلام يضيء جبينه ، ورأت أنه ليس شخصا
عاديا ، لذلك حاولت كثيرا أن يبيعه لها ، فرفضوا ، فنظرت إلى أسد وقالت " هل
تعرف الكتابة ؟ "

قال أسد " نعم نصرك الله " .

فأمرت أن يأتوا لها بقلم ومحبرة وكتب لها قصته كلها ، وعندما قرأتها فاضت
عينها من الدمع ، ونظرت إلى هؤلاء الوثنيين وقالت " لقد طلبت منكم بيع هذا الغلام
لى فرفضتم فاذهبوا لقد استوليت عليه منكم " ، ذهب أصحاب المركب إلى منزله ، وهم
في حزن لسلب أسد منهم ، ولم يعرفوا ما يفعلون ، هل يعودون أم يواصلون الرحلة .

وقدمت له الأميرة طعاما عاديا فأكل وشبع ، وجلسا وأخذ يقص عليها قصته كلها ،
وعندما حان المغرب دلته الأميرة على الحجرة التي ينام فيها ، ليرتاح قبل أن تعيده إلى
مدينتهم ، فدخل ونام ، وأثناء النوم شعر أن كل جسمه يؤله ، لعلك تعرف من ظل ستة
أشهر سجيناً في حجرة ، وثلاثة أيام موضوعاً في صندوق لا يريد شيئاً سوى أن يمد
رجليه ، لذلك قام وقصد باب المنزل ، ومد رجليه فرأى بئرا صغيراً فجلس بجوارها
ليتنسم الهواء ، ما أدراك ما التعب، أخذه النوم ، وأثناء النوم على حافة البئر ، خرج
كبير السحرة من منزله يتجول ، وهو في غاية الحزن يسبح ، لعل الله يرزقه ولو بطفل
رضيع يسرقونه ويهربون به .

وإذا بهم يعثرون على طفل نائم لم يعرف من هو ، فنادى إخوته وحملوه بهدوء ،
ووضعوه في الصندوق الذي أخرجوا أسد منه ، وأغلقوه ، وركبوا مركبهم ، وهربوا في
الليل .

فلما استيقظ أسد وجد نفسه داخل صندوق ، فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ، ولما رأى كبير السحرة أسداً تنهد مسرورا ، وقال هو الكافر ابن الكافر حفيد الكافر ، لقد تزوجته النار وهو تزوجها ، ونظر إلى إخوته ، وأراهم أنه أعاد أسدا ، حيثما يذهب سيعود مرة أخرى ، وقال أنه طالما نرى أن يقدم للأصنام دماء أسد فحيثما ذهب سيعود ، وقال أن سحره لا يعلى عليه ، فإني قد ورثته ، وركبوا مركبهم وهربوا في الليل .

وعندما طلع النهار بحثت الأميرة عن أسد فلم تجده ، فسألت عن أصحاب المراكب فقالوا أنهم رحلوا منذ الليل ، فحزنت وعرفت أنهم سرقوه منذ وقت قصير ، فقالت لا حول ولا قوة إلا بالله ، واستعدت للحرب لتتبعهم ، ولما كانت مركبها أسرع من مركبهم ، رأوا قرب العصر مركبها تقدم عليهم ، وعادوا إلى المكان الذي خرجوا منه ، قرب المدينة التي تولى أمجد الوزرة فيها لأنهم اتخذوا الطريق الذي يعرفونه ، فلما رأوها قادمة شعروا بالخوف ، لأنها إذا رأت أسدا معهم ستهلكهم ، لذلك أخذوا أسدا وألقوه في البحر ، حتى إذا جاءت وفحصت المركب ولم تجده لا تهلكهم .

وألقوا الصندوق وما فيه بيد ترتعش من الخوف ، وشاء الله أن يسعد أسد ، أمسك في الصندوق ودفعته الرياح بسرعة ، وعند المغرب لم يعرف كيف حدث هذا الأمر ، وإذا به عند المدينة التي يتولى أخوه أمجد الوزرة فيها ، ولم يعرف ما حدث لأخيه فيسأل عن منزل .

فلما رأى أن المغرب قد خيم على المدينة ، خشى أن يدخل المدينة في هذا الوقت فيقع في يد رجل سيئ فتحير ولم يعرف أية مدينة هي ، وأثناء هذا التفكير رأى من الأفضل أن يدخل أحد القبور القريبة منه وينام فيها ، وإذا طلع النهار يدخل المدينة ، وما قدر الله ، قدرته تفوق كل شيء ودخل ونام ، هذا ما حدث لأسد .

أما مجيانتو عندما تقابلت مع هؤلاء الوثنيين سألتهم عن أسد فقالوا "نصرك الله ، لم نره منذ سلبته منا ، وكنا على وشك تتبعه لنراه ، فدخلت به في منزلك ، فأمرت أن يفحص كل المتاع فلم يروا احدا ، لذلك عادت إلى منزلها ، وأخذت تستعد ، وتقول لو خطفه الجن أو سرقه الناس ، طالما فيه نفس يصعد وحيثما كان في هذه الدنيا ، حتى لو وهنت قوتي من البحث لا بد أن أصل إليه ، وأخذت تبحث في كل مكان ، وطافت بنفسها الدنيا مع رجالها ، هذا ما حدث لهذه الأميرة .

أما أسد فلما طلع النهار خرج من القبر ، وإذا بأحد الشرطة عائداً من حراسة الميناء لأن الوزير أمجد أمر بأن يحرسه ، وكل سفينه تدخل يفحصها جيداً ، لعلهم يجدون أسداً.

فلما رأى الشرطي أسداً ، غريباً ، وشكله تغير عما وصفه الوزير ، ظنه لصاً فزجره وسأله من أين جاء ، فاستولى عليه الخوف ، ولم يستطع الرد ، فلم ينتظر الشرطي ، فوضع القيد في يديه ، وأخذه مع الصندوق الذى خرج به من البحر ، يظن أنه سرقة ، ودفعه أمامه حتى منزل الوزير ، وتبعه أولاد المدينة يهملون .

عندما خرج الأمير وعرض عليه الشرطي أسداً ، فقال له اذهب به إلى مكتب الوزير ، وكتب اسمه ، وبعث به إلى القاضي ، بتهمة ، وليعرف أين وجد الصندوق ، وما جعله ينام في المقابر بنفسه .

وعندما دخلوا به عند الوزير ، واقتربا من بعضهما سقط كل منهما مغشياً عليه ولم يعرف الناس ما حدث ، فثروا على وجهيهما الماء ، حتى أفاقا ، فلما رأى الشرطي ذلك ، أسرع وفك القيد .

والآن ماذا تظن مدى السرور الذى شعر به أمجد وأسد؟ إذا تركتك ، وما تتخيله بنفسك عن مدى السرور الذى حدث ، عليك أن تتخيل أقصى ما يكون من السرور ، ولشدة السرور ، لم يفعل أى شئ معهما سوى أن أمر بالعفو عن المسجونين في المدينة ، وأطلق سراحهم ، وأنعم على الشرطي الذى عثر عليه بالخير الكثير ، شئ لا يستطيع الإنسان وصفه .

وأثناء هذا السرور كانت تدق الطبول ، وأوا الغبار يعلو ويسد عنان السماء ، فقال الأمير للوزير أمجد أن يذهب ويرى ما في الأمر ، إن كانت حرباً فاستعد لها ، فلما وصل أوصلوه إلى الأمير ، فوجد القائد ليس أميراً ولكن أميرة ، كانت مجيئاتو التى خلصت أسد من كبير السحرة .

ولما سألتها الوزير عما جاء بها ، قالت أنها جاءت تبحث عن شاب ، شكله كذا وكذا ويسمى أسد إذا كان هنا يقدمه لها لتعود ، إذا رفضتم ، فلن الآخرة الذ لكم من الحياة الدنيا .

سألها الوزير عن سبب البحث عنه ، فقالت له القصة التى قصها لها عندما خلصته

من الساحر ، وقالت أنها تريد أن تعيده إلى مدينتهم ، ونظرت إلى الوزير وقالت " عجباً ، أنتما متشابهان ، لولا أنك أكبر منه سنة ، لقلت أنك هو " .

ابتسم الوزير وقال " نعم أنا أخوه الكبير الذي أخبرك عنى ، وهو هنا في المدينة وصل اليوم ، ثم مضى أمامها ويتبعها رجالها المحاربون ، حتى المدينة حيث الأمير ، وقالوا له ما جاء بها ، وجاء أسد فعانقا بعضهما فى سرور ، وعاد الأمر جميلاً .

وبينما هم فى غاية السرور ، عند منتصف النهار رأوا على البعد غباراً كثيفاً يأتى من جهة الغرب ، فدقت الطبول ، وأمر الأمير أن يذهب الوزير أمجد ويرى ما فى الأمر ، قالت مجيئاً " يرى ماذا به ، دعوا أى أمير يأتى ، أيا كان القادم سيرى نده " .

قال الأمير " لا أذهب وانظر : عاد الوزير بهمه ، فلما وصل قادوه إلى الأمير فأنحنى وأدى له التحية ، كانت الخيول بلا حد ، كأنها الجراد ، عندما سأل هذا الأمير عما جاء به ، قال الأمير " أنا أمير بلاد الصين ، جئت أبحث عن ابنتى التى تسمى بدور ، تزوجت قمر الزمان ابن الأمير شهر الزمان ، إذا كانت هنا قدموها إلى لأستريح ، وإذا رفضتم ، كل هذه المدينة وما فيها سيتحول الآن إلى تراب ، اليوم مضى على سنوات طويلة وأنا أبحث عنها ولم أرها " .

عندما سمع الوزير ذلك انفجر فى البكاء لعلك تعرف أنه جده ، وقال له أنه حفيده ، وقال له كل أخباره ، وتعجبوا كثيراً ، قال الأمير ، ظننت ذلك لأننى عندما رأيتك أدركت أنك تشبه قمر الزمان ، ودخلوا المدينة وعندما سمع الناس أخبار أمير الصين ، أى سرور نستطيع أن نصفه ؟ لا يمكن .

وعلى هذه الحال امتلأت المدينة بخيول أمير الصين ، حتى ربطوها خارج المدينة ، ثم رأوا غباراً من جهة الشمال ، فقال الأمير للوزير " اذهب أسأل الله أن يجعل هذا اليوم يوماً سعيداً " ذهب الوزير ، وقدموه للأمير ، فعندما اقتربا ، لم يستطع الاثنان الكلام ، فقد كان أبوه قمر الزمان والعجوز أمير أبونى ، أى والد حياة النفوس والددة أسد ، عندما قال لهم السياف أنه لم يقتلها ، خرجوا يبحثون عنهما ، قام الوزير وأراه قمر الزمان الجمل الذى تركبه والدتهما بدور وحياة النفوس ، ورأى أمير بلاد الصين ابنته ، لا يمكن وصف السرور فى هذا المكان ، فسار فى المقدمة ، ووصلوا المدينة ، رأى أسد قمر الزمان ، ورأى حياة النفوس وأمه وبدور ، وأمير بلاد الصين رأى ابنته بدور ، يا الهى لقد كان السرور فى هذا اليوم يفوق الوصف .

وعلى هذه الحال عم الفرخ أنحاء المدينة من طبل وغناء ، ومزمار ، شيء لم يسمع عنه أحد ، ثم رأوا من بعيد غبارا يرتفع في السماء ، حتى حجب عين الشمس ، فأرسل الوزير أمجد لينظر ما في الأمر ، فرأى الأمير شهر الزمان جدهم ، والد قمر الزمان ، وسمع أخبارا بأنه لم يمت ، تركوا قميصه في الدم حتى يستمروا في البحث عنه ، هو الذي جعلهم يواصلون البحث عنه في الدنيا.

عندما رأى أمجد قال "أيها الشاب ، من أين جئت ، أنت من هنا ، هذا دمي"

شرح الوزير أمجد من هو ، فأغمى على العجوز من شدة السرور ، ووصلوا المدينة فرأى قمر الزمان والده شهر الزمان ، بدور وحياة النفوس رأيا حماهما ، أمجد وأسد رأيا جدهما ، إن الأمر أكبر مما يوصف ، ولم يستطع الإنسان سوى الدهول ، المدينة التي اجتمع فيها خمسة أمراء ، يكون الجمع جمع فرح وسرور ، والمكان الذي يقول الإنسان أنه سيوضح أمرا فيه لعلك تعرف السمك في البئر ، هو الذي لم يعرف ما هي الدنيا. ثم يقول أنه سيكذب الإنسان عبثا ، والافضل أن نترك السر مكتوما.

عندما مضي سبعة أيام ، لا نوم في المدينة ، حتى لو أردت النوم لا تجد الفرصة لكثرة الطبل والغناء والزمير ، كل من رأى هذا يظن نهاية السرور في العالم ، ولا يوجد مخلوق واحد خارج هذا المكان ، فهنا تجمع البشر.

ولما دارت الأيام أي بعد سبعة أيام ، كما قلت الآن وتجمعوا قص لهم شهر الزمان الصعاب التي عاناها في البحث عن قمر الزمان ، وقص لهم أمير مدينة الصين ما عاناها في البحث عن بدور ، وقمر الزمان وحموه أمير إيبوني ، والد حياة النفوس ، قصا أخبار معاناتهما في البحث عن أمجد وأسد ، وقصت لهم الأميرة مجيانتو الصعوبة التي واجهتها أثناء البحث عن أسد ، وما فعلوا مع المومس ، حتى تولى السلطة وقد تألم كل واحد منهم لما عاناها الآخرون ، ولما بدأ أسد يقص ما عاناها أثناء العقوبة منذ أن انفصل عن أمجد حتى اليوم الذي تقابلا فيه مرة أخرى الأسبوع الماضي ، انفجر كل الخمسة في البكاء شفقة عليه.

أمر أمير المدينة الشرطة بالقبض على كبير السحرة ، وعند قطع رقبة نطق الشهادتين وقال أنه أسلم ، وفي الحال أحرقوا أدوات السحر وتركوه ، واتبع طريق أفضل الخلق ، ولما قضا سبعة أيام يقصون الأخبار ، ولما انتهت الأخبار واستراح بعضهم سبعة أيام ، أي أحد وعشرين يوما ، قصد هؤلاء الأمراء الخمسة المدينة التي تملكها الأميرة مجيانتو ، وجمعوا أمراء البلاد واقاموا الفرخ ، وتزوجت أسدا ، وأمرت وكيل المدينة ، واتبعته ،

وذهبوا مرة أخرى إلى بلد شهر الزمان ، وعين قمر الزمان أميرا مكان والده الذي كبر سنه ، وعاشوا مع بدور وحياة النفوس .

وذهبوا إلى بلاد الصين وعين أمجد أميرا لأنه ابن بدور ، أى حفيد أمير بلاد الصين ، وعادوا إلى إيسونى وعين أسد أميرا ، لأنه هو أيضا ابن حياة النفوس ، أى ابنة أمير البلاد ، وعاش معه هو وزوجته الأميرة مجيانتو ، ولما مضى ثلاثة أشهر هنا ، ذهب إلى هناك ليقضيا ثلاثة أشهر ، أما الأمير الذي ولى أمجد الوزارة روجه ابنته ، وعاشا هنا وصارت الدنيا بين أيديهما ، إذا أراد أحدهما الاستمتاع والراحة ذهب إلى مدينة الآخ .

الله أكبر ، حيثما تكون في هذه الدنيا من يرد أن يستمتع بها يجدها كأنها في قبضة اليد ، يا الله ، من أجل نبيك الطاهر ، اجعلنا من الذين لا يموتون حتى يستمتعوا بالحياة الدنيا ، ونترك التابعين الأخيار .

نظر الوزير إلى أمير سيركا وقال " نصرك الله ، هل سمعت قصة أمجد وأسد الكبار أصحاب الدنيا ، والأمراء الذين يفعلون ما يشاءون ، استمدوا ملكهم منك ، وقد وصلت في الدنيا إلى كل غايتك "

صفق الناس وقالوا " طالما أنك تقص الأخبار ، لم تقدم أبدا مثل هذه القصة ، في كل هذه الدنيا لم يسمع أحد قصة جميلة مثل هذه ، توجد قصة جميلة سننصرف دون أن نسمعها "

قال أمير سيركا " ها قصة بعد قصة ، ولكن يريد أن يبقى واحدة ، ولكن جمعت في خمسة أمراء في مدينة واحدة ، وقلت أنهم طلبوا وغنوا ، وها قمر الزمان ورث منازلهم ، أمجد تولى السلطة وكذلك أسد ، ولكن كل ذلك ولم أسمع شعرا ولا لأمير واحد منهم ، أين هي فصاحة هذه البلاد ، أنت تعيننا ولكن بالتورية تقول لنا سمكا في بثر؟ ، لقد قلت لك أنه لا يتمتعنى لا أن تنتهى القصة بالشعر لجمال صوتك "

هز الوزير البيغاء جناحيه وقال " الآن تسمع ، سأنشد لك شعر أمجد وأسد فقط ، إذا قلت سأنشد شعرا آخر ، لن يكون الشعر جميلا ، هذا ما يريده أمير سيركا لأنه يعرف أن صوت الوزير البيغاء ليس جميلا لا يستمتع به أحد ، يريد أن يجره للغناء حتى يضحك .

أصلح الوزير البيغاء من صوته وقال " شعر أمجد أمير بلاد الصين ، سأبدأ وبعد ذلك استمر في شعر أسد أخيه الأصغر " ، وأمال رأسه وأخذ يقول

" نصرك الله ، لقد سمعت إحدى القصائد مما قيل في أمجد أمير بلاد الصين ، فتح أذنك لتسمع ما قيل في أسد أمير إيبوني " .

قال أمير سيركا " سأجلس ، ولكن أقسم بعمامة الأمير عبد الرحمن بن الحاج منذ خلقت ، لم تنشده شعرا جميلا مثل هذا الشعر ها الصوت الجميل يفوق صوتنا جميعا " سمع الوزير البيغاء لسانا معسولا ، يمدحه ، فهز رأسه وبدأ ينشد شعرا في أسد وقد طارت الطيور ظنا منها أنهم يطردونها .

نظر الوزير البيغاء إلى أمير سيركا وقال " نصرك الله ، أسمع شعره أيضا " قال الأمراء " إنها جميلة ، ولكن من هو الذي نغمه ، الا تذكر اسمه لنعرفه " . قال الوزير البيغاء " أحد كبار المدينة ، يريد أن توليه السلطة ، التي تركتها للوكيل عندما ذهب الناس للبحث عن الأولاد "

قال أمير سيركا " هذا الخبر فاق كل شيء جمالا ، ولكن ما يشير دهشتي كيف اجتمع هؤلاء الأمراء الخمسة كلهم في مدينة واحدة ، وفي يوم واحد ، دون أن يتفقوا على هذا اللقاء " ، قال الوزير البيغاء " ألم تبدأ؟ ، اطال الله حياتك ، الإنسان دائما يقدم قصته ، ثم تبحث عما ستقوله لتتقد شيئا فيها ، إني أقدم لك قصة وليس تاريخا ، فلا تقل أنني أقدم حقائق فيها ، من أين قصصى؟ ، لقد قلت لكم منذ البداية أنها من قصص ألف ليلة وليلة ، وحاذق هو الذي بدأها "

قال الأمير عبد الرحمن " هدا الله من روعك ، بيغاء مجذوم "

قال البيغاء " نصرك الله ، لا أحب أن يقال ببيغاء مجذوم هذه ، كيف يكون الإنسان صحته جيدة ، وتناديه بالمريض؟ ، أنظر لإصبعي ، أنا متأكد لا يوجد الآن في الناس من يملك إصبعًا جميلا مثل إصبعي ، إلا بعد بحث كثير الصغر عندما جمال تشعر بالسعادة إذا رأيتنا ، لا نجد فينا شيئا مذموما ، نشكر الله ، حتى حاذق عندما خلقنا جمال ، تبارك الله ، بسم الله " انفجر الناس في الضحك ، وتفرقوا .

في اليوم الثاني ، عندما اجتمعوا ، نظر الوزير إلى حاذق وقال " بسم الله قال حاذق " لقد قلت لكم منذ أمس أن قصصى انتهت ، لماذا مضايقتي؟ "

قال الوزير البيغاء " صبرك الله وهو كذلك ، اسمع لتستفيد " ، ثم استمر :

اترك الخاقد في حاله بعد قليل يكشفه الزمان

يوجد رجلان في الشمال يعيشان في قرية واحدة أحدهما يسمى سيدى ،والآخر يسمى تنكو ، ومع أنهما يعيشان متجاورين إلا أن طباعهما مختلفة ، لأن سيدى خلقه الله صبورا كالصخر ومحسناً وشفوقاً ، بصورة لا يمكن وصفها ، أما تنكو فحيثما يكون الظالمون تجده يفوقهم في القسوة، كأنه رجل شرطة بخيل يضرب به المثل.

كانا يعيشان معا على كل حال ، ولا يعرف ذلك إلا القريب منهما، لا توجد مضايقات في الحياة إلا وفعلها لجاره ، ومع ذلك لا يهتم سيدى بذلك "إذا ضايقه أمرينتهد ويقول "الصبر ثراء"

وكان سيدى يمتلك حصانا أسود فحلاً لا يوجد مثله في كل المدينة ، أما تنكو فلا يملك إلا حمارة عرجاء تملكها زوجته ، أما هو فمعدم ، ولا شئ يؤذى عين تنكو إلا أن يرى سيدى يركب حصانه ويخرج به للنزهة ، حتى أن تنكو أخذ يفكر فيما يفعله ليسرق حصانه ويبيعه للفرنسيين.

وهما على هذه الحال ، رأى تنكو ذات يوم سيدى يركب حصانه ، ويذهب إلى قرية صغيرة ليزور خالته المريضة ، فاستعد ليسيير خلفه ، وفكر أن يقتله ويأخذ الحصان ويهرب به ، فرأى ربما يراه أحد ، وربما لا يراه أحد، وإذا جرب قوته وما يأكل من ثريد فلن يستطيع أن يتصر على سيدى، لذلك غير الحيلة وأتى بخرقة بالية ولبسها ، ودهن وجهه بالنيلة ، وربط رجله بخرقة كأنه مريض ، وخطف قبعة من الخوص وعصا طويلة ووضعها ، وجمع ملابسه الجيدة وأخفاها في مكان بعيد على أن يعود لها بعد ذلك ، وأخذ يتوكأ على العصا ، كأنه لا يستطيع المشى بسهولة .

وبعد قليل عاد سيدى ، فلما رآه تنكو ، كلمه بطريقة مأكرة ، وقال " يا عبد الله ارحمنى وأردفنى على حصانك ، إنى أعانى من المرض ، خرجت من الصلاة يوم الخميس، ولكن حتى الآن لم أصل إلى المدينة ، بحثت عن مكان أتسول فيه الطعام فلم أجد ، ومنذ مغرب أمس لم أضع شيئاً فى فمى "

عندما سمع سيدى ذلك أشفق عليه ، ونزل ، ووضع يده فى جيبه وأخذ قرشا وقال
" ها صدقة لوجه الله ، إذا وصلنا إلى المدينة اشترى بها طعاما " ، وجذبه ليركبه على
الحصان ، وهم هو الآخر أن يركب ، ولكن تنكو ضرب الحصان بالمغماز واندفع فى
الجرى ، ولما رأى أنه بعد عن سيدى ، ولا سبيل للإمساك به ، جذب مقود الحصان
والتفت وقال له " أنا لص ، وصحتى جيدة ، وأريد أن أسرق حصانك ، وانتصرت
عليك ، وها أنا أرحل "

قال سيدى " بالله انتظر اسمع كلمة واحدة ، إذا وصلت لا تخبر الناس بهذه الحيلة
التي فعلتها وأخذت الحصان "

قال تنكو " ماذا يمنعنى أن أخبر إخوتى ، سيشكرونى على هذا الذكاء الذى
أظهرته "

قال سيدى " إنى لا أخاف من شىء ، إلا أنك إذا قلت ، وسمع الناس ، إذا رأوا
مريضا صادقا بعد ذلك فى الطريق ، وطلب مساعدتهم ، لن يساعده ، لأنهم سيظنون
كل الناس مثلك ، أرايت أن فعلتك هذه ستسد الطريق على العاجزين ، حتى يتركهم
الناس يهلكون بسبب الخوف "

قال تنكو " كلام فارغ ، ما شأنك بهذا ؟ " ، واندفع فى الجرى ، وجمع ملابسه
الجيدة ، ورمى الخرق البالية ، وقبل حلول المغرب تخطى الحدود ، ولما كانت المدينة قريبة
من الحدود ، باع الحصان واشترى إحدى عشرة بقرة وساقها ، وبعد خمسة أيام وصل إلى
المنزل ، وربط الأبقار ، وتركها ترعى ، وتعجب الناس كيف صار ثريا بسرعة هكذا ، أما
سيدى ، فمئذ أن سرق منه الحصان عرف صوته ، فلما عاد إلى المنزل سأل عنه فلم
يجده ، فتأكد ، ومع ذلك لم يقل لأى إنسان .

و ذات يوم اشترى خال سيدى عشر بقرات ، وطلب من سيدى أن يرعاها ، قبل أن
يعود من فرح دعى إليه ، فربط سيدى الأبقار عند منزله .

فلما رأى تنكو الأبقار عند سيدى ، بدأ يشعر بالحقد ، فذهب إلى بيته وقال له "
لأنك رأيتنى أرعى الأبقار ، لتقلدنى ذهبت واشتريت ، وهو كذلك ، ولكن احذر لا
تخطئ وتترك واحدة منها تدخل مزرعتى ، وتأكل ورقه واحدة من العشب الجاف الذى
تركته لتأكله أبقارى مستقبلا ، واعلم تمام العلم ، إذا رأيت ثورك فى مزرعتى ، لابد أن
أقتله "

قال سيدى " سمعت ، الله يصلح " ، ومرت الأيام ، لعلك تعرف أنه لا يعلم الغيب إلا الله ، ذات يوم خرجت بقرة من أبقار سيدى بالليل ودخلت إلى مزرعة تنكو خطأ ، وأخذت تأكل العشب الجاف ، فلما سمعت زوجة تنكو حركة فى المزرعة قامت ونظرت ، فوجدت من بعيد ثورا ، فجاءت وأيقظت زوجها وقالت " أتعرف أن سيدى يحتقرك ، إن ما حذرتك منه قد حدث ، لقد قلت له ألا يترك أبقاره تأكل عشبنا الجاف ، هاهى هناك لقد أطلق واحدة عمدا فأكلت العشب كله . "

عندما سمع تنكو ذلك ، قام غاضبا ، وأخذ القوس والجراب وذهب إلى المزرعة ، ونظر إلى الثور وأطلق عليه سهما فسقط ميتا ، وفى الصباح ذهب بلا حياء ولا خوف وقال لسيدى ما فعله .

قال سيدى " ياخسارة اللهم احفظنا " ، وسحب الثور وذهب به إلى الغابه والقاء ، تضايق الناس وتضايقت زوجته ، وقالوا لابد أن يرفع شكوى ، فقال أنه لن يفعل ذلك ، الصبر نعمة "

غضبت امرأته وقالت " أنت تركته أما أنا فأعرف ماذا أفعل لأنتقم ، إذا كنت تتباهى بالصبر فانا لا أستطيع أن أصبر ، ماذا نقول نحن النساء ، أيقال أننا تركناه خوفا منه " وصبرت زوجة سيدى حتى مر حوالى عشرة أيام ، حتى نسى الجميع هذه الحادثة ، وقامت ذات يوم بالليل وتسلل ، وذهبت إلى حظيرة تنكو ، وأطلقت سراح كل الأبقار وطردتها من الحظيرة إلى مزرعته ، فأخذت تأكل العشب الجاف الذى يتكلم عنه ، فلما سمعت زوجته قامت تنظر ، فرأت من بعيد أبقارا بيضاء فى المزرعة تأكل العشب الجاف ، فظنت أنها أبقار سيدى ، فأيقظت زوجها وقالت له " واخسارناه ، غدا نستعد للمشاكل "

فقال لها تنكو " أى مشاكل ؟ ، خيرا ؟ وأى مشاكل ؟ "

قالت الزوجة " لأنك قتلت لسيدى عجلا صغيرا منذ أيام يغضب اليوم ، ويطلق كل الأبقار وتأكل كل العشب الجاف ، فليفعل كل ما يريد ، أنت تعرف كل هذا الاحتقار الذى بينك وبين سيدى ، لا نهاية له "

عندما سمع الزوج ذلك ، غضب ، وأخذ القوس والجراب ودخل المزرعة ، وأطلقها على كل الأبقار فماتت ، وعاد إلى المنزل وقال لزوجته " قتلتهم جميعا ، وغدا يكن ما يكون وأعرف أنه لن يقتلنى لأنى قتلت ثورا واحدا . "

قالت الزوجة " دحك من مشكلة القتل ، لن يستطيع أن يحرق فيك بعينه ، ألم تحذر من البداية " .

وعندما طلع النهار ذهب تنكو إلى سيدى ، وقال " قتلت كل أبقارك التى تركتها تدخل مزرعتى ، أى مكان تأخذنى إليه ، اذهب وخذنى " .

قال سيدى " أما كل أبقارى هنا مربوطة ، خرجت الآن من عندها ، ربما تكون لأحد آخر ، أهل هذا الزمان لا يسمعون الكلام " .

عاد تنكو إلى المنزل ، وذهب إلى الحظيرة ، فلم يجد ثورا واحدا ، فأمسك رأسه بين يديه وأخذ يقول « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، خرجت زوجة سيدى وقالت " أنا الذى أطلقتهم ، اذهب أنت أيضا حيث تريد أن تشكو " .

عجز تنكو عما يمكن أن يقوله ، ثم انهال على زوجته لوما ، يقول هى التى جعلته يقتلهم ، وانهال عليها ضربا ، حتى كاد يقضى عليها ، ووقف على قلبها ، فسقطت ميتة ، فقبضت عليه الشرطة وقادوه إلى منزل الأمير ، فسأله ، فذكر السبب الذى جعله يقتل زوجته ، وقال كل شيء .

قال الوزير " من أى حى هو ؟ " ونظر إليه ، وقال " إنى أعرف أنك لا تملك دجاجة ، من أين حصلت على عشر بقرات ؟ "

قال تنكو " نعم ، غفر الله لك ياسيدى ، الله رزقنى بها " .

عندما أدرك الأمير أنه غير صادق ، جعل الشرطة تستجوبه ، فأخذوه ، وانهالوا عليه بالسياط كالمنظر ، حتى قال الحقيقة ، وكيف سرق الحصان من سيدى ، وما قاله له سيدى قبل أن يتركه .

أمر الأمير أن يستدعى سيدى ، وسأله عما فعل بحصانه ، فقال كل شيء للأمير ، فوجد أن كل ما قاله مطابق تماما لما قال تنكو ، فدعى له الأمير بالبركة ، وفى الحال عينه أمينا على بيت مال المدينة ، بدلا من الذى مات ، حيث بحثوا عن شخص لا يخون الأمانة فلم يجدوا .

وأخذوا تنكو إلى السجن ، وبدأوا فى مراسم توليه السلطة ، ولما انتهوا قرب الظهر أمر الأمير أن يأتوا بتنكو ، وقام الأمير بنفسه ، وأخذته إلى السوق مع أمين الخزانة سيدى ، وأعلن الناس بالاجتماع ، وقال الأمير لتنكو أن يقول كل ما فعل مع سيدى منذ

البداية حتى النهاية ، وعندما انتهى ، قال كل الناس الحاضرين فى السوق " الله يلعنك يا تنكو " .

أمر الأمير أن يطعن ، فلما نظروا إلى سيدى وجدوا دموعه تتساقط من عينيه ، وانحنى للأمير وقال أنه يرجو الأمير أن يعفو عن تنكو ، إذا كان القتل بسببه .

قال الأمير " لا فرصة للعفو ، كل من قتل شخصا لابد أن يقتل ، وإذا وافقت هل يوافق والداها ، ليس هذا هو أول ذنب يرتكبه لك ، سأقتله لأنه قتل زوجته ، ولكن طالما سألت الصلح معه ، وافقت على طلبك ، فبدلا من طعنه سأمر أن تقطع رقبته ، ونظر إلى السيف وقال " اقطع رقبة هذا الظالم " .

وفى لمح البصر ، كان السيف قد قطع رأسه وسقطت على الأرض ، وفمه بعض التراب ، اللهم احفظنا من خيانة الأمانة ، والحد ، والظلم ، آمين .

والتف الأطفال حول أحد الأبناء الذين أنجبهم تنكو وأخذوا يعيرونه ، إذا تكلم يقولون له " حتى أنت لا تخجل من الكلام؟ " ، الظالمون الذين خلقهم الله فى الحياة الدنيا اثنان أبوك والذئب ، وقد رأينا نهاية أهلك ، ولا ننتظر الآن إلا أن نرى نهاية الذئب " .

تعجب الناس من صبر سيدى ، وكادوا ينصرفون ، وإذا ببعض جنود سيركا يأتون بالولد الطويل . فلما تبادلوا التحية معهم ، وقدموا لهم الطعام وأكلوا ، التفت أمير سيركا إلى الولد الطويل وأمره أن يقول حقيقة ما جاء به إلى سيركا واسمه الأصلى ، والمدينة التى جاء منها .

نظر الولد الطويل إلى الأمير وقال " لقد قلت لك أن أسمى الولد الطويل وقلت لك اسم مدينتى تسا وهى هنا فى الشرق ، ومنذ أن خرجت من مدينتنا لم أسرق أحدا ، إذا تعبت من بقائى ، ألا تدعنى انصرف ، ثم تبعث لأوضع فى القيد ،

لقد جئت للزيارة وأنال بركتكم ، ولم أئلفها ، ولكن نلت السجن " .

نظر إليه الوزير البيغاء وقال " نحن لا نريد الثروة ، قل لنا الحقيقة ، عندما خرجت من سرى ، وعدك أمير سرى بخمسمائة جنيه ، فما هو الأمر الذى طلب منك أن تفى به؟ " .

نظر الناس إلى البيغاء الوزير ، ولم يعرفوا ماذا يقصد ، ورأوا الولد الطويل يغير من جلسته ، ويقول " نعم ، نصرك الله ، والله يكذب " .

قال الوزير الببغاء " كل سرّك مكشوف ، قل الحقيقة ، إذا كنت تبقى على حياتك "

قال الولد الطويل " والله تالله كذب "

نظر الوزير الببغاء إلى السياف وقال " أخرج به ، وقدم لنا رأسه ، طالما أنه يرفض قول الحقيقة " ، أسرع السياف ورفعته إلى أعلى .

فلما رأى الولد الطويل أن الشجعان ذهبوا ، قال " انتظروا ، والله سأقول الحقيقة ، طالما أنك قلت إذا قتلها سانجو ، أمرنى أمير سرى أن أتى وأحاول قتل أمير سيركا ، وسيعطينى خمسمائة جنيه "

قال الوزير الببغاء " أكمل ، لست وحدك ، أنت والحارس الشخصى لسيركا ، ومن أيضا ضمه إليكم ، والحارس الشخصى يجلس هنا أمام أمير سيركا ، فلما سمع اسمه يذكر ، قام واقفا ويقول " ما شأنى ، ما شأنى ؟ ، أنت أيها الببغاء الصغير ، هكذا تثير الخصومة "

قال الولد الطويل " أى نوع من الخصومة بينى وبينك ؟ ، والكاتب العجوز ، ورئيس الحرس المقال وحاكم باسو "

قال الوزير الببغاء " لقد عرفنا ذلك من قبل ، كيف عزمت على أن تقتلوه عند قنطرة نهر كتنجا ؟ " . وجم الناس جميعا وحدقوا فيه .

نظر الولد الطويل إلى الببغاء وقال " هؤلاء الناس ، وضعناهم عند شاطئ القنطرة ، وعندما نسمع أن الأمير عائد بعد غد ، وفى نيتهم أن يكسروا دعائم القنطرة ، ويدعوها تنهار ، حتى إذا جاء بالسيارة تهدم ، وإذا رأوه مات فى هذا الوقت يتم كل شيء ، فيذهبون ويأخذون هذه المئات من أمير سرى ، وإذا رأوا أنه لم يمت ، يندفعون كأنهم يريدون مساعدته ، ويقتلونه ، هذا الأمر الذى ذكرته ، وقدموا لى القرآن للقسم عليه ألا أخالفه ، هذه حقيقة " .

قام الحارس الشخصى وأخذ يكرر القسم أن هذا كذب ، وأنه لا شأن له ، وفى الحال ضربه الشرطة ، وقيدوه ، فخرج وهو يكرر القسم ، ويعثوا بالشرطة بسرعة ليحضروا الكاتب العجوز ورئيس الحرس الذى خرج وحاكم باساوا .

وقبل أن يخرجوا ، قال الوزير للشرطة " إذا وصلتكم بالقرب من قنطرة فى كتنجا ،

أطفئوا النار ، وتسلكوا فى الغابة إلى الغرب من الطريق واقبضوا على كل من ترونه ، وانطلقت السيارة بينما وجم الناس ، ينظرون إلى الوزير البغاء ، وعجز أمير سيركا عما يقوله للوزير ، وكان يحدق فيه فقط ، وبعد قليل قام الجميع وذهبوا إلى المنزل ، أما أهل سيركا الذين أخذوا يتعجبون من أمر البغاء صمتوا.

وعندما طلع النهار ، اجتمعوا مرة أخرى فى مجلس الأمير عبد الرحمن ، فقال أمير سيركا للوزير البغاء « بعد غد ، سأذهب إلى بلدى لأبحث ما فى الأمر ، ولكن لن أمكث أكثر من ثلاثة أشهر وسأعود إلى بلدكم هذا »

قال الوزير البغاء « إن شاء الله ، ولكن دعنى أقول لك بعض القصص القصيرة ، التى تسرك ، قبل أن يعود هؤلاء الناس " إنى أراك غاضبا »

قال أمير سيركا " إنى غاضب ، بالله عليك قص ، لعلنى أكون مسرورا "

قال الوزير البغاء " وهو كذلك ، وربنا يصلح " .

إذا كان الساحر غاضباً فسد سحره

فى إحدى المدن فى كنو ، كان يعيش رجلان ، أحدهما يسمى جاتو، والثانى يسمى طنسندا ، ليس لهما أية صناعة إلا أن يذهبا إلى الغابة لقطع الأخشاب وبيعها ، ولما كانت صناعتهما واحدة ، تصادقا مع بعضهما ، الليل فقط يفصلهما عن بعضهما ، لعلك تعرف أن الإنسان ليس له حديث إلا عن صناعته ، ولذلك كان حديثهما دائما ، أين سيذهبان ليحدا خشبا جيدا .

وهما على هذه الحال، قالت روجة طنسندا له ألا ينتظر جاتو اليوم، ويذهب وحده لقطع الأخشاب ، لأنه دائما إذا ذهب مع جاتو لا يجدان خشبا كثيرا ، وإذا وجداه لا يبيعانه بسرعة ، وقالت له جاتو سئ الحظ، لذلك رأت أن تبعده عن زوجها حتى لا ينحسه .

عندما جاء وقت الخروج ذهب جاتو إلى منزل طنسندا ليذهبا معا، فقالت زوجته "سبقك وخرج" ، فتعجب مما جعله يسبقه ويخرج ، ولم يجد سببا ، وذهب إلى مكانه، وسار حتى وصل إلى الغابة ، ثم توغل فيها فوجد صندوقا فى أحد كهوف الأشجار، فجذبه وفتحه، وإذا بمال كثير ، سرقة اللصوص وأخفوه، فوقف يشكر الله ، فأخذه وغطى فرع الشجرة ، وعاد إلى المنزل .

ولما وصل المدينة قصد منزل صديقه طنسندا ، فوجده قد عاد منذ قليل، فأعطاه هذا الصندوق أمانة ، لأن منزله لا يوجد فيه مكان أمين ، أخذ طنسندا الصندوق ، وأثناء الليل قالت له زوجته "لا بد أن نفتحه لنرى هذا الشيء الثقيل الذى بداخله" .

وفتحا الصندوق فوجدا المال الكثير ، فلما رأت ذلك قالت لزوجها "إذا سألك قل أنه لم يعطك شيئا ، وأنه يكذب ، ويذهب حيثما يريد ، ومهما أذاقوك من عذاب لا تكشف السر ثم لعلك تعرف أن الراحة تكون بعد التعب ، رجل مثلك لا يضعف أمام الصعاب" .

فقال "ربنا يسهل ، هل مثلى يجبن . تعرفين أننا لو حصلنا على هذا نسعد"

قالت "أمسك لسانك أنت" وأخفيا الصندوق .

وبعد حوالى ثلاثة أيام ، جاء جاتو وقال " طنسندا أريد الصندوق "

قال طنسندا " أى صندوق لك؟ ، أنت لم تعطينى شيئا "

قال جاتو " ألا تكف عن المزاح ، بالله عليك أعطينى إنى متعجل "

قال طنسندا " والله ليس على لك شئ عندي "

قال جاتو " حتى تقسم بالله "

قال طنسندا " الله ، أنا لا أعب معك ، كيف ذلك؟ ، رويدا رويدا ، وصل الأمر إلى القاضى "

بعد أن كرر الكلام ، بحث القاضى الأمر بقدر ما يستطيع ، فرأى أنه لا يوجد سند يعتمد عليه ، وتركهم حتى الغد .

عندما طلع النهار ، عاد إلى منزل القاضى ، حاول القاضى كثيرا ، رفض طنسندا قول الحقيقة ، وهم أن يحلفه ، فقال جاتو " أتركه حسبى الله " .

عند عودة جاتو إلى المنزل ، فكر كثيرا ، وعمل شبه إنسان من الخطب ، وصنع له رأسا صغيرا ، وأيد صغيرة .

ولما انتهى حمله ووضعها فى كوخه ، وكان يوجد ثوب قديم لطنسندا عنده ، لأن حاجتهم واحدة ، ثم أخذه وألبسه لخيال المآة ، وذهب إلى القرية وأحضر كلبين صغيرين ، وجاء بهما إلى الكوخ وغطاهما ، وكان كلما أحضر الطعام وضعه على كُم قميص خيال المآة ، حتى تعودا على شم رائحته ، ولا يلعبون إلا فوقه .

ومرت الأيام ، وذات يوم جاء أبناء طنسندا لتحية صديق أبيهم ، وهذان الولدان لم يبلغا الخامسة ، فلما رآهما جاتو ، أمسكهما وأخذهما إلى قرية صغيرة ، وطلب أن يحرسوهما ، ويقدمون لهما السكر إذا بكيا ، وعاد وأخذ الجروين ، وذهب إلى منزل طنسندا ، وهو يبكى .

سأله طنسندا وقال «سلامتك؟»

قال جاتو " أين هى السلامة ، جاء ولدك لتحييتى ، فصارا كلبين "

دق طنسندا وزوجته صدريهما ، وقالا " غير ممكن ، إنه يكذب ، كيف يحدث ذلك ، تقول أن الإنسان تحول كلبا؟ "

وعندما قام طنسندا لم يتوقف إلا فى منزل القاضى ، وقال له كل ما حدث ، وفى البداية عارض القاضى ، وفى الحال بعث من يستدعى جاتو ، فسأله فكرر الكلام .
قال القاضى " قل لنا الحقيقة " .

قال جاتو " مغفرة يا سيدى ، هل هذا أمر عجيب فى خلق الله ، الذى له القدرة على كل شيء ، يحيى من مات ، ويميت الحى ، رازق الفقير ، ومفقر الغنى " .
عندما سمع القاضى ذلك قال " هكذا يفعل الله " .

قال جاتو " وهو كذلك إذا كنتم تظنون أننى أكذب دعنى استدعى هؤلاء الأولاد الكلاب ، وأحضرهم هنا " .

وفى الحال أسرع وأحضر هذين الكلبين وتركهم وسط الناس ولعلك تعرف الكلاب والقدرة على تمييز الرائحة ، ما كاد يضعهما وشما رائحة طنسندا توجهها إليه وأخذ يشمان رائحة خيال المائة ، الذى صب لهما الطعام فوق قميصه ، لقد كانا يشعران بالجوع فهجما على طنسندا يشمان ، لعلهما يجدان الطعام الذى تعودا على أكله .

عندما رأى الجالسون ذلك ، قالوا « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، وأخذ كل يقول " عرفا أباهما ، أن بين الابن وأبيه أمر عظيم " .

نظر القاضى إلى طنسندا وقال " عليك أن تذهب وتطلب من العلماء أن يدعوا لك ، لعل الله يعيدهما آدميين ، وأستاذنوا من القاضى ، وأخذ طنسندا الكلاب فى كم قميصه وخرج .

عندما وصل المنزل قال لزوجته كل ما حدث ، فأخذت تبكى ، لا تأكل ولا تشرب ، قال الزوج " لعل قول جاتو حسبى الله أخذت تصيينا ، أنت التى قلت لا نعطيه ماله ، هذا ما أصابنا بسببه ، لعن الله الظالمة ، كنت مع صديقى ، جعلتنى أخون أمانته ، إن لم نذهب ، ونعيد له ماله ، ونتوب ، لا بد أن نتحول نحن أيضا إلى كلاب .

وقاما وحملوا مال جاتو كله وذهبا إلى منزله ، وانحنيا أمامه وأعلنا توبتهما فأخذ ماله ، وذهب وأحضر لهما ابنيهما ، وقال " ها ولدكما ، إناس عابثون يخونون الأمانة ، لولا الحيلة التى فعلتها ما أخذت مالى ، لعنكم الله ، فقاما وقد غطى الخجل وجهيهما ، وضحكا كثيرا من ذكاء جاتو ، والخبر الذى نشره فى المدينة ، وأخذ الجميع يضحك عليهما ، حتى جمعا متاعهما وغادرا المدينة .

قال الناس " قد استسلمنا فى كل أمور الدنيا مهما كان الإنسان ، لابد أن يوجد من هو أفضل منه ، كل إنسان يوجد من هو أفضل منه " .

ما كاد الوزير ينتهى من هذه القصة وإذا بسيارة سيركا تعود بالناس الذين قيل أنهم وجدوهم ، حتى الستة الكبار من رجال سرى .

عندما سألوهم أصروا على الإنكار فى بداية الأمر ، وعندما رأوا أن أمير سيركا خرج لهم من خلف البيت ، سيأمر بقتلهم ، كشف واحد منهم كل ما حدث ، وجاءوا بالولد الطويل والحاجب ، وتأكدوا من أن كل ما قاله الولد الطويل صحيح . أمر أمير سيركا أن يعاد حبسهم مرة أخرى ، وطلب أن يعادوا إلى سيركا ، حتى يعود ويعرف ماذا سيفعل معهم هم واللصوص ، وذهبوا بهم .

نظر الناس إلى الوزير البيغاء وذهبوا ، فأنجنوا جميعا وحيوه ، نظر أمير سيركا إلى الأمير عبد الرحمن وقال " مهما أفعل الآن لهذا الوزير فى هذه الدنيا ، خلاف الشكر لن أوفيه حقه ، هذا الأمر فاق الشكر " .

وأخذت قصة الوزير البيغاء تنتشر فى البلاد ، وبدأ الأمراء يستعدون للعودة إلى منازلهم ، قال أمير سيركا " بعد غد ، إن شاء الله ، كما قلت لكم آنفا سأرحل بعد غد لأعرف ما حدث ، وفى اليوم التالى ، عندما عادوا قال أمير سيركا للوزير البيغاء ، لقد قلت أنك ستقص علينا قصة سارة ، وبدأت قصة جميلة أمس ، بالله استمر اليوم أيضا بأخرى جميلة مثل أمس

قال الوزير البيغاء " حتى أجمل منها إذا شئت أن تسمع " ، ثم بدأ .

القدرة على الرؤية كالقدرة على الترك

ذات يوم كان أحد الصيادين يتجول فوجد ثعبانا وقعت صخرة عليه ، وحاول أن يتخلص منها ، ولكنه عجز ، فلما رأى الثعبان الصياد، نظر إليه وقال " لو كنت تحب أن ترى رسول الله ، أيها الإنسان انقذنى من الهلاك ، يجزيك الله خيرا " .

قال الصياد " لن أنقذك، إنى أخاف ، أشعر بالخوف من حالكم مع أبناء الدنيا ، يعمل لكم المعروف فتردونه بالإساءة " .

أمال الثعبان رأسه وقال " سبحان الله ، يا عبد الله كيف تقول ذلك ؟ ، ويحك لا شاء الله ذلك " .

قال الصياد " طالما أنك وعدت ألا تضرنى ، دعنى أساعدك ، كل له يوم ، لم أعرف أين شاء الله أن تتقم منى " ، ومد يده ورفع الصخرة ، وما كاد يرفع الحجر حتى هجم عليه الثعبان ليلدغه ، فوضع خرقة عليه ونجا منه ، ولدغ الخرقة ، قال الصياد " أحقا ما تفعل أم هو مزاح؟ ، إذا كنت تمزح معى بالله عليك اتركنى ، مثل هذا المزاح لا أمان له " .

قال الثعبان " لا أين المزاح؟ ، دعنى وانظر إذا كنت أمزح ، هل العداوة بيننا وبينكم يا بنى آدم ، خفية ؟ ، عينى على الإنسان حتى ألدغه " وحاول مرة أخرى لدغه فحجزه بالخرقة .

قال الصياد " رغم ما فعلناه ، وعدت ألا تؤذينى ، أهكذا حال أبناء هذا الزمان الآن؟ " .

قال الثعبان " ومع ذلك وعدتك هذا الوعد، أنت تعرف لو أن شخصا عاقلا سمع هذا الكلام منى ، يعرف أننى لا أقول الحق ، هل فى كتبكم أنتم البشر أن الإنسان إذا قابله ما يؤذيه يقتله قبل أن يضره ، أتعرف أن بيننا وبينكم ما بين النار والقطن ، إذا كان فيه أمانة " .

قال الصياد " كل ما قلت صحيح ، ولكن اسألك أمرا واحدا " .

قال الثعبان " ماذا ؟ قل بسرعة لأسمع إذا كنت أستطيع "

قال الصياد " كما حلفتني بالله ، حتى وافقت أن أنقذك ، أنا أيضا أريد أن استحلفك أنت أيضا بالله أن توافق أن ندخل الغابة ، ونبحث عن ثلاثة قضاة يحكمون بيننا ، إذا قالوا أن الشريعة تقضى بأن تقتلني ، اقتلني ، وإذا قالوا بأن الشريعة لا تقضى بقتلي اتركني " .

قال الثعبان " أنه موافق " ، وسارا ، وسار في المقدمة وتبعه الصياد ، كل هذا والصياد ليس معه عصا ولا رمح ، فقد وضعها كلها في كوخ في مزرعته ، وليست لديه فرصة ليكسر خشبا ، حتى لا يدرك الثعبان ما ينوي فعله فيسبقه .

وأثناء السير تقابلا مع حصان عجوز ، شرح له الصياد ما حدث بينه وبين الثعبان ، وسأله عما يرى في هذا الأمر .

قال الحصان " لا شيء فيما رأيت إلا أن يلتهمك ، فأنتم أيها الناس من يعمل لكم خيرا الآن تقابلوه بالنكران . فأنا عندما كنت في غاية قوتي كنت عند رجل أوربي ، كنت أدخل السباق ، وفي هذا الوقت كان يكسب من عدوى خمسين جنيها ، ثم يكسب مائة ، وإذا ذهبنا ميدان السباق ، إذا نظرت إلى مكان بعيد ، وأحاول أن أرفض الجري ، فأشعر بعذاب السوط والمهمار ، لعلك تعرف أن ميدان السباق مهما كان الإنسان قويا ، إذا صرخ ، لا يسمعه من في الطرف الآخر ، ومع ذلك ، أصبر وأجري ، وتكاد روحي تخرج ، والأوربي فوق ظهري ، يدفعني ، ويطعني وينخسني كعبده ، لأجري حتى أسبق الآخرين .

وفي هذا الوقت لم يكن يحب أن يمسنى أحد ولو قليلا ، ولو رأى قذى صغيرا تعلق في شعري ، يلتقطها لي ، وإذا علقت بي قذارة يشتري صابونا ، ويكلف رجلا أسود قاسيا ، يذهب بي إلى النهر ، ويغسل جسمي ، ويخرج بي ويركبنني ، ويذهب بي إلى الغابة ويعدو بي كثيرا بدون فائدة ، يريد بذلك أن ينال جزاء تعبته ، لأن الأوربي لا يدفع له أجر عمله كاملا ، وبعد أن يتعب يغسلني لأخرج نظيفا . أما الغذاء فيقدم إلى الطعام الذي أحبه ، ولتعلم أن كل هذا المال الذي يكسبه من عدوى لم يكفه ، فيجعلني أعمل الأعمال التي لا فائدة منها ، فيركبوننا ، يأخذون عصا ويلعبون الكرة ، ويضربون بعضهم ، إذا جاءت هذه الكرة في رجلك ، فتصير كمن يصرخ من شدة الألم ، وكثيرا ما

يضربك أحدهم بالعصا أثناء اللعب ، وانظر الآن لأنه رآني كبرت ، وضربني كثيرا على ساقى استبعدني تماما ، حتى أنني لا أستطيع الكسب فى ميدان السباق ، فيحاول أن يقتلنى . بقصد أن أستريح ، وهل أستريح بالموت؟ ، وعندما رأيت ذات يوم أنه أحضر بندقية ، هربت ، أسمعت عدم وفاء بنى آدم .

قال الثعبان للرجل " رأيت هذا القاضى ، هل هو من طرفنا ، هيا نستمر ، ونسمع الاثنين الباقيين " .

وهما على وشك المسير ، قال الحصان للثعبان " ماذا تنتظر معه؟ ، ألا تعرف حال هذا الوغد ، انتظر قليلا لأقول لك تاريخهم ، أنت تعرف أن الأذن أكبر سنا من الجد " ، وقف الثعبان .

قال الحصان " عندما كان الناس قديما لا يعرفون طريقة بناء المدينة ، وبناء المنازل والمباني ليدخلوا فيها ، كانوا يعيشون فى الغابة معا مع أجدادنا ، وكانوا يأكلون ما تأكل الحيوانات ، وذات يوم كان اختلاطهم بالناس ، ووجد أحدهم الحجارة الكبيرة ليرمى كبير الغابة ، حتى كسر عينه فلما رأى كبير الغابة ذلك أمر حيوانات الغابة أن تنتشر ، وحيثما يره يقتله ، فلما سمع أجدادنا ذلك بحثوا عنه ونموا له ليختفى إذا كان سيختفى ، ولعلك تعرف أنه لا يوجد أجبن من الإنسان ، عندما رأى عملا سيئا ، حيره هذا الكلام ، انحنى كأنه يطلب الصلح ، وسأل أجدادنا أن يخفوه ، ووعدهم أن يعمل لهم كل ما يريدون ، فحملوه إلى المنزل وأخفوه وهم على هذه الحال ، عندما بدا أنهم يفهمونه ، طلب منهم أن يفروا ويعودوا إلى مكان ما ، فوافقوا وقاموا ، فأخذوا متاعهم البسيط ، وعادوا إلى الغابة ، ووجدوا مكانا فسيحا فبحث عن بعض الأعشاب وصنعوا منها أكواخا ووقف هو وبعض أقاربه فى الخارج يحرسونهم ، رأيت الآن نكران بنى آدم للمعروف ، عندما رأوا أنهم صاروا أقوىاء ، وأنهم يفوقون أجدادنا قوة ، طردوهم من الأكواخ ، واحتلوا مكانهم ، ويحبون التدخل فى الأمور ، عادوا وقالوا لكبير الغابة أنهم صبروا على قضاء الله ، وتقدم المتأخر على المتقدم ، انظر بالله عليك الآن لولا جحود بنى آدم ، عسبدا الذى ورثناه يقول أنه سيكشف سرنا هكذا ، حتى يأخذ بندقية ليطلقها على ؟ ، أتعرف الآن إذا كان على حكم الشريعة لدينا السلطة أن نبيع بنى آدم ونأكله كله . "

واتخذ الثعبان طريقه وكاد يمضى ، التفت له الحصان وقال " ألم تعرف شيئا مؤلما أيضا ؟ "

قال الثعبان "ماذا؟"

قال الحصان "رغم أننا تركناهم ، يتبعوننا ، يظنون ذلك خوفا منا ، ولم يعرفوا أننا تركناهم لأننا نتفجع من ورائهم ، ترى الآن أن السماء إذا أمطرت يخرجون رغما عنهم ويحضرون لنا العشب ، ويزرعون ويعطوننا الحبوب لنأكل ، وإذا رفضوا نمسكهم واحدا واحدا ونبيعه ، حلالا" ، ونظر إلى هذا الرجل وقال "بالله عليك انظر إليه جيدا كأنه مؤمن ولكن جحوده غالب عليه ، والتفت وسار فى طريقه وهو يقول " لا دخل لى ، قلت لك الحقيقة فرفضت ، تدعى أنك تحب حكم القضاء" .

وسار الثعبان والرجل يتبعه ، حتى وجدا قردا فوق شجرة ، فلما رآياه ناداه الثعبان ، فلما جاء قص له كل ما حدث بينه وبين الصياد .

قال القرد "أمن أجل هذا نتوقف ونطلب قاضيا ؟ ، ألا تعرف الإنسان ، انظر إليه جيدا تعرفه ، أفى كل هذه الدنيا يوجد أكثر من الإنسان جحودا ؟ ، إخواننا خلقوا بأربعة أرجل مثلنا ، ولشدة مخالفته ، ترى كيف يرفع رجليه الأماميتين ، ويمشى دائما على الخلفيتين، إذا نظرت إلى وجهه ، ونظرت إلى وجهنا ، تلاحظ وجود قرابة بيننا ، فى كل الحيوانات لا يوجد من له رأس مثلنا إلا الإنسان ، انظر إلى أنفنا ويدنا وانظر إلى أنفه ويديه ومع ذلك ليس بيننا وبينه الآن شيء حتى التحية ، لو كبير الغابة وافق على أن ندخل مع الإنسان فى معركة

لأهلكناهم ، ودخلنا بيوتهم ، واستمتعنا بحياتنا"

ونظر القرد إلى الرجل مرة ثانية ، وقال " لعنك الله يا فاسد ، بالله انظر كيف احرق شعرك هكذا؟ ، أين ذيلك ؟ يوجد فى هذا تداخل ، انظر ، اسماؤنا كلها واحدة ... قرد ، ولكن تراه دائما يسمونه اسماء مختلفة ويقولون أنه إنسان" ، ونهر الرجل وقال "ابن حرام الكلب ، الأجرب لا يقبل أن يعضبك ، لا أعطلكم ، إذا كنت تريد أن تقتله ، فاقتله إنهم يقولون اقتل عدوك قبل أن يقتلك " وأخذ يأكل ثمار الأشجار الدانية .
نظر الثعبان إلى الرجل وقال "وهو كذلك ، سمعنا الآن إلى قاضيين ، وبقي واحد ، فنسمع حكمه" .

امتلات عينا الرجل بالدموع وقال " نعم ، لنذهب ، ربنا يسهل وسارا ، والرجل يتخيل ما يمكن أن يفعله الثعبان فلم يستطع ، وسار طويلا ثم قابلا كلبا ، فلما رآه الصياد

قال "أيها الكلب بالله عليك أقبل واستمع إلى هذا الأمر ، كنت أتجول فرأيت هذا الثعبان وقد سقطت فوقه صخرة ، وحاول أن يخرج فلم يستطع ، استحلقتني بالله أن أنقذه ، فأنحنيت وحركت الحجر وخرج ، فلما خرج قال، لن يلدغك أحد غيري ، هل ترى أنه محق في ذلك؟ "

عندما سمع الكلب ذلك قال " إذا كنتم تريدان أن أحكم بينكما ، فلنعد ونر كيف وجدته لأن القاضي لا ينبغي أن يحكم إلا على ما رآه جيدا ، أو يجد العدول الذين يشهدون ، قال الرجل " صدقت " ، وسار الثلاثة إلى مكان الحجر .

فلما وصلوا ، قال الكلب للثعبان " أرقد كما وجدك " ، رقد الثعبان ، ونظر إلى الرجل وقال " وأنت ضع الصخرة فوق الثعبان كما وجدتها " ، أخذ الصياد الصخرة ووضعها فوق الثعبان ، نظر الكلب إلى الثعبان وقال " هكذا وجدك؟ "

قال الثعبان " نعم "

قال الكلب " وهو كذلك ، امكث حتى يشاء الله أن يأتيك بشخص كثر عنده الفضول حتى يخرجك " .

وانصرفا وتركاه تحت الصخرة يموت ، وفرح الصياد بهذا الحكم الذي أصدره الكلب ، لذلك حتى الآن لم ير الصياد حيوانا مثل الكلب ، وأن تضرب ابنه أرحم من أن تضرب كلبه .

عندما انتهى الوزير من هذه القصة ، ولشدة جمالها أخذ أمير سيركا مائة جنية ، وقدمها له ، فلما رأى حاذق ذلك ، قال " إن ما جعله يتفوق على ، هو أننا لم نتعرض للألغاز " .

قال الوزير " هل تقدر عليها ؟ "

قال حاذق " نعم "

نظر الوزير إلى هؤلاء الأمراء " غدا بإذن الله سنكمل قصصنا ، نصركم الله ، يا أمير سيركا ، وإذا كنت تريد قصصا ، اذهب إلى المنزل واسترح ، ابعث لى أتى إليك فى مدينتك ، إذا انتهينا من أمر الخراج ، أقص لك قصصا حتى تتعب ، لعلك ترى أن الله لم يحرمنى المخ الذى يتذكرها "

تفرق الناس ، وهم يقولون " اللهم احينا إلى الغد "
عندما عاد إلى المنزل ، قال حاذق لأمير سيركا ، " غدا نصرك الله ، ستري أين
يسقط الماهر فى الرقص "
قال أمير سيركا " حاذق ، بالله عليك أبعد نفسك عن الصعاب "
قال حاذق " إذا كنت تقصد السخرية ، يحينا الله إلى الغد ، ترى بعينيك "
قال أمير سيركا " وهو كذلك ، آمين "

اليوم الأخير

وفى اليوم التالى اجتمع كل الناس على باب قصر الأمير وهم فى شوق إلى أن يأتى الظهر ليعرفوا ماذا سيحدث فى هذا اليوم الأخير ، تجمعوا منذ منتصف النهار ، وعندما حان وقت الظهر جاء الأمراء ، وجلسوا فوق كراسيهم ، يهون لهم .

وعندما استعد الجميع ، نظر أمير سيركا إلى الوزير البيغاء وقال " بسم الله " نظر الوزير البيغاء إلى حاذق وقال " هل تعرف الألغار التى تريد أن تقولها ، ابدأ لنسمع

قال حاذق " وهو كذلك ، استمع : فوق حى ، وأسفل حى ، والوسط حيلة ، ما هى ؟ "

قال الناس مرة واحدة " عرفنا هذه منذ كنا أطفالا ، الحصان والسرّج . "

أجاب الوزير البيغاء قائلا " وصاحب الحصان ؟ "

قال حاذق " لقد بدأت بهذه لأختبر مقدرتكم ، ولكن ها أخرى ، شىء حى ، ولكن لا يأكل طعاما بدونه ، لا يرى الناس شيئا ، وإذا كثر يكرهونه ، وفى مكان القتال ييذل أقصى ما فى وسعه لمساعدة الناس ، ولكن هم لا يحبونه ، ودائما يطلبونه لقتله . "

صمت الناس الآخرون ، وعجزوا عن الإجابة ، فهب الوزير البيغاء وقال " الله أكبر ، المعرفة الناقصة جهل ، إنها الظفر ، هل تظن أنها لا تأكل طعاما ؟ "

هب حاذق قائلا " هل بدأت بكلامك هذا ؟ ، وهو كذلك ، أين رأيت الظفر يأكل طعاما ؟ "

قال البيغاء " إذا قلت أنها لا تأكل طعاما ، وهو كذلك ، لماذا إذا مات الإنسان لا تستمر ؟ ، دم الإنسان هو طعامها . "

قال حاذق " هل بدأت ، هل رأيت مرة ميتا مكشوبا ، أو رأيت ظفره ؟ "

وهم الوزير البيغاء إعطاءة الكثير من الأمثلة ، ولكن تذكر أنهم يقولون عندما يكتر الجهل لا يعترف بقيمة العلماء لذلك قال " صدقت ، لقد كان سهوا منى ولكن قلت لعلى أرد على سؤالك ؟ "

قال حاذق " نعم ، وأما عن السؤال فقد أجبت عنه "

قال الوزير " وهو كذلك ، الحمد لله ، استمر لنسمع "

قال حاذق " ها هي أخرى ، يوجد رجل يسمى مينالنجيا ، ذهب إلى أحد العلماء وقال " غفر الله لك ياسيدى ، أقيم فى هذه المدينة ، ولكن كل واحد يكرهنى ، بسبب سوء خلقي ، وعجزت عما أفعله ، لا أستريح ، لذلك أريد أن تختار لى شيئا الأفضل أن أتركه لأننى لا أستطيع أن أترك أمرين "

قال العالم " اذكرها لنسمعها "

قال مينالنجيا للعالم " أولا ، شره ، حتى الرضيع لا يفوق بخلا ، يسرق ، وإذا طلب شخص ماهر فى إيقاع الخصومة بين الناس ، تجده فتستريح ، قال فى المكر لا يفوقه أحد حتى النساء ، مكروه ، بالاضافة إلى ذلك ، يقال أنه يجيد كل شيء حتى السحر ، أى صفة فى هذه الصفات يشير عليه العالم بتركها ؟ "

قال وزير سيركا ، " المكر " قال العمدة " السرقة " أمير سيركا والأمير عبد الرحمن والقاضى قالوا " السحر "

الوزير البيغاء ابتسم وقال " حاولوا أكثر من ذلك " ، فتوقفوا ، وقال كل شخص أنه صادق ، وأخذوا يقيمون الأدلة

نظر حاذق إلى الوزير البيغاء وهو يهز رأسه ، وكأنه قال شيئا طيبا ، فقال الوزير البيغاء " أعجب من هذه الأسئلة التى تسألها الآن والتى لا فائدة منها ، وأرى أنك خرجت عن الألفاظ ، وعدت للحديث ، ولم تقل لنا حديثا ، حتى نقدم لك صدقة " ، فانفجر الناس ضاحكين ، قال حاذق " اذهب ، هل قلت حديثا ، أجب عما قلنا "

ابتسم الوزير البيغاء وقال " هل هذا يجعل الإنسان يتوقف ليفكر ؟ ، الذين سمعتهم أخطأوا فى إعطائك الاجابة ، لانهم لم يظنوا أنك عدت إلى الكلام ، أقصى ما فى علمنا ليس أفضل من أن يقال أن يترك الكذب ، لأنه إن لم يترك الكذب ، كل هذا الأمور التى قالها غير ممكنه . "

صمت حاذق ، قال الأمير عبد الرحمن ' أين المثال ، وقفت عند قولك غير ممكن ، غير ممكن أى لا يوجد مثال '

قال الوزير البيغاء ' قال ، قال أنه بخيل ؟ ، وهو كذلك ، إذا طلب منه شيء ، قال عنده ، هل تظنون أنه سيتمتع عن البذل بعد ذلك ؟ '

قال الناس ' لا ، ليس كثيرا ، نادرا ما يمنع ' .

قال الوزير البيغاء ' هل ترون ترك الكذب يجعله يترك البخل ، وإذا ذهب للسرقة ، وعند وصوله سيقول حقيقة ما جاء به ، هل تظنون أنه سترك ليسرق '

قال الناس ' لا ، صدقت ' ، لو كان السحرة صادقين ، هل الإنسان يتجول فقط فى الغابة ، وإذا رأى شجرة جافة وربط بها قماشا ، وكس تحتها ونثر الرمال يقول أنه سيعبدها؟ ، حتى إذا رأيت يوما أنه جاء إلى هذه الشجرة تقول للناس أن الشجرة قالت افعل كذا وكذا ، هل هذا صدق ؟ '

قال الناس ' والله لا يكون '

نظر الوزير البيغاء إلى حاذق وقال ' هل أنا أخطأت ؟ '

قال حاذق ' صدقت '

قال الوزير البيغاء ' وهو كذلك ، اسأل سؤالا آخر . '

قال حاذق ' والله هذه هى أصعب ما عندي ، طالما أنك عرفتها فستعرف الباقي ، اسأل أنت لنسمع ' ، انفجر الناس فى الضحك .

أصلح الوزير البيغاء من جناحيه ، وقال ' وهو كذلك ، الحمد لله ، هاهى واحدة ، كان يوجد أمير ظالم ، كل من يذنب فى حقه وأراد أن يقتله يكلفه بعمل لا يمكن عمله ، ويطلب منه عمله ، فإذا عجز وجد الحجة لقتله ، وذات يوم ، اخطأ وزير خطأ غير مقصود ، وادعى مالا يمكن عمله ، فجاءوا وأخبروا الأمير ، وكان هذا الأمير لم يعبه أبدا ، فنادى الرجل الذى أذنب وقال له ' عفوت عنك ، اذهب ولا تكرر هذا الذنب ' ، ولم ينجه ، وكان دائما يتسرع فى الحكم . '

قال حاذق ' ما تقوله هذا ليس لغزا ؟ لقد بدأت تقول قصصا ، لا أساس لها ' ، نهر الشرطة حاذق ، وقالوا له ' تأدب ، أنت لا تتكلم مع نذل لك ، أنت تتكلم مع وزير '

قال الوزير البيغاء " اتركوه ، إنه يمزح " ونظر إليه وقال " عدم الصبر الذى يجعل الإنسان يسأل الفلاح ماذا تزرع - ولو صبر يعرف "

قال الأمير عبد الرحمن " لا ، صدق حاذق ، إن لم يقل لك ذلك ستظل كذلك حتى العصر ، ولا تقول ما تريد قوله ، أنت لا تتركنا نقوم برحلتنا ، بالله عليك قل ما تريد أن تقوله ، إن كنت ستقول قصة ، قل لنعرف ما فيها . "

قال الوزير البيغاء " قيل لهذا الأمير ما قاله وزيره ، فأمر باستدعائه وأخبره أنه سمع بما قاله ، وقال له غدا إذا خرجت للمجلس ، يريد أن يجد الوزير ، واقفا ، جالسا باكيا ضاحكا ، باصقا ، عريان ، فى وقت واحد ، وقال أنه إذا وجدته فى حالة غير التى قالها سيقتله ، وهو كذلك ، من يستطيع أن يقول لى ، ماذا سيفعل هذا الوزير لينجو من الهلاك ؟ "

قال حاذق " أيها الوزير ، حتى الدجال لا يستطيع أن ينقذه من الهلاك ، إذا فعل كل هذا سينجو ، ولا يوجد من يستطيع كل هذا ، فعليه أن يصبر وأمره إلى الله ، ما يفعله بعبد هو الأفضل "

قال الناس " والله صدقت يا حاذق ، لاسبيل للخلاص أفضل من ذلك " أصلح الوزير البيغاء شعره ، وقال " ما قلتم ، لاشك حق ، ولكن اسمحوا لى واسمعوا . "

قال أمير سيركا " سمعنا "

قال الوزير البيغاء " ما يفعله لينجو ، يصنع قميصا شفافا ، ويرتديه وحده ، ويأتى ببصل شديد الرائحة ، ويقلب الهاون ويجلس عليه ، ويأكل البصل ، ويضحك "

قال حاذق " وهو كذلك ، ماذا يحدث ؟ ، لم أر وسيلة للخلاص بهذه الحيلة "

قال قاضى سيركا " ألم تفهموا ؟ ترون أنه إذا جلس فوق الهاون ، الجميع يراه ، سيظن أنه واقف ،

قال حاذق " نعم ، صدقت فى هذا ، وما فائدة أكل البصل ؟ لم يقل الأمير أنه يريد أن يشم رائحة فمه ؟ "

قال قاضى سيركا " ألم تلاحظ أنه إذا أكل البصل ذا الرائحة لا بد أن تدمع عيناه ، فإذا أخرج الدموع ، تنتهى مشكلة البكاء ، كيف البكاء إذا لم يكن هناك دموع ؟ "

هب حاذق قائلا " والقماش الشفاف ، لا يستطيع الإنسان أن يصنع ثوبا منه ويذهب به وحده إلى السوق ؟ " بدون سروال أو سترة ، لعلك تعرف أن الإنسان إذا ارتداه وحده يكون عريان "

ضحك الناس وقالوا " دون أن تقل هذا كل الناس تعرفه "

نظر الوزير البغاء إلى حاذق وقال " وإليك واحدة أخرى : ذات يوم كان ثلاث نساء يردن الماء ، فجاءت امرأة عجوز إلى شاطئ النهر ، ووقفت تطلب منهن بعض الماء لتشرب فأبين إعطاءها ، فرجتهن فأبين ، تضايق اثنتان منهن من كثرة السؤال ، فأخذن يؤنبنها ، قالت واحدة " اتركن تأنيبها ، لن نعطيها ماء ، إذا كانت ستموت تموت بعيدا عنا " .

وكانت هذه المرأة تتحول ، فنظرت إلى هؤلاء النسوة وقالت " كلكن تتحولن إلى نبات تبغ ، " ولم تغلق فمها حتى تحولن الثلاثة ، وصرن نبات تبغ ، متشابهات مرتبه وتهيات العجوز للسير ، وتذكرت أن إحداهن منعهن من سبها ، ولذلك التفتت وقالت لهذه النبتة ، " أنت امرأة طيبة منعهن من سبي ، انصحك نصيحة واحدة ، عندما يأتى المغرب ستصيرين إنسانا فاذهبى إلى منزلك ونامى ، وإذا نودى على الصلاة لن تعرفى كيف تكون الصلاة ، سترين أنك تحولت إلى نبات ، فعودى إلى شاطئ النهر ، مع إخوتك " وانصرفت العفريتة .

عندما جاء المغرب رأت هذه المرأة أنها عادت إنسانا ، فقامت وقصدت المنزل ، وقالت لزوجها كل ما حدث ، حزن زوجها جدا ، وظلوا على ذلك ، فى الليل تصير امرأة ، وعند صلاة الفجر تصير نباتا ، وهكذا أياما وأياما .

وهم على هذه الحال ، ذات يوم رأت رؤية قيل لها " إذا كنت تريدن أن تصيرى امرأه دائما ، قولى لزوجك ، عند طلوع فجر الغد ، الأول من رجب ، يذهب إلى شاطئ النهر ، وينزع النبات الذى تحولت إليه ، وإذا أخطأ فى هذا اليوم ، حاولى العام القادم " ، عندما انتهت هذه الرؤيا ، أيقظت زوجها وقالت له الرؤيا "

ولما جاء وقت الصلاة صارت وردة وعادت ، ولما رأى الزوج أن الشمس طلعت ذهب إلى شاطئ النهر ، حيث قالت له أن ينام ، فوجد ثلاثة نباتات تبغ كما قالت له وكلها متشابهة ، ماذا يفعل ليعرف زوجته ؟ "

قال أمير سيركا " زوجته منذ أخطأ هذه ، ثم صبر ، حتى العام القادم "

قال حاذق " هذا الكلام واضح "

انفجر الوزير فى الضحك ، وقال " وهو كذلك ، اسمحوا لى إذا عجزتم . "

قال الأمير عبد الرحمن " سمحنا لك "

قال الوزير " يمسح النبات ، ليعرف من لم يصبها الندى ، فتكون هى زوجته فينزعها " ، انفجر حاذق فى الضحك وقال " ما المقصود بقولك يمسح ليحس الندى ؟ "

قال الوزير " أليس الآن منذ الصلاة انفصل عن زوجته ؟ فلما عادت نباتا ، لم ينزل عليها الندى ، لأنها عادت بعد نزول الندى "

قال الناس جميعا فى وقت واحد " صدقت وزير الوزراء "

نظر إليهم الوزير الببغاء وقال " وهو كذلك اسمعوا الثانية ما هى الدابة الحية ، ولكن لا تتحرك ؟ "

قال الأمير عبد الرحمن ، " أقصى ما فى علمنا أن هذه الدابة ليست فى الدنيا ، نحن عاجزون عن الإجابة فقل لنسمع "

قال الوزير الببغاء " البيضة التى كادت تفقس "

قال حاذق " نعم ، هكذا ، لأنك إذا كسرتها ، سترى كتكوتا حيا ؟ ، ولكن مع ذلك ، لم ير أبدا البيضة تتحرك " ، فعجز الناس عما يقولون ، قال الوزير الببغاء " اسمعوا الثالثة ، ذات يوم كره الأمير أهل قرية صغيرة ، فناداهم يريد أن يقتلهم ، ولكن لم يجد سببا لذلك ، لذلك قال لهم ، قبل شهر واحد يبنون له منزلا فى الهواء ، دون أن يجعلوا شيئا يرفعه ، يريد أن يتدلى مثل الطائر ، وإذا عجزوا سيقتلهم جميعا ، أيها الناس من منكم يعرف طريق الخلاص من هذا الهلاك ؟ "

قال أمير سيركا " أية طريقة تبحث عنها لنجاتهم أيها الوزير ؟ ، إنهم هالكون ، طالما أنه طلب منهم هذا "

قال الوزير الببغاء " وهو كذلك ، هل عجزتم وتسمحون لى أن أقول لكم "

قال الأمير عبد الرحمن " أعطيناك "

قال الوزير " يجب أن يطلبوا منه أن يريهم ، ليروا كيف سيضعون الأساس ، ونرى إذا استطاع ذلك "

انفجر الناس في الضحك ، وقالوا " والله ، لا علاج لهذا الأمير إلا هذا إذا استطاع الرسم فهم سيئون "

قال الوزير " انتهينا من أربع وهاكم الخامس ، وعندما بدأوا من الرقم الأول عملوا الثاني والثالث والرابع والخامس عملوا السادس ، وبعد ذلك ماذا فعلوا ؟ "

هب حاذق قائل " ثم عملوا السابقة "

انفجر الوزير البيغاء في الضحك ، حتى دمعت عيناه لإجابة حاذق .

قال أمير سيركا " وهو كذلك ، سمحنا لك "

قال الوزير البيغاء " نصرك الله اغفر لى ، هذه جعلتها محالة ، من الآن حتى نهاية حياتى ، كل من فهم إجابة هذا السؤال يأتى به إلى ، وإذا رأيتة صحيحا سأعطيه مائه جنيه " ، انصرف الناس جميعا ، وهم يرفعون للبيغاء القبعه تعظيما ، قال أمير سيركا " والآن نكتفى بذلك ، ولنذهب لنستعد للسفر غدا مبكرا " ، وجاء بخمسمائه جنيه وقدمها للوزير البيغاء ، وأخذ الوزير مائة منها وقدمها إلى حاذق ، وأخذ مائة وطلب أن توزع على مساكين المدينة صدقة .

وهم على وشك الانصراف ، أراد أمير سيركا أن يضحك ، فقال للوزير ، هذه القصص التى قدمتها ، لو أنهيتها لى بالشعر لكان أجمل ، أنى أريد أن أسمع صوتك الجميل .

قال الوزير البيغاء " اليوم أنا مصاب بالزكام ، ومع ذلك ، الآن تسمع " ، وهز رأسه ، وبدأ ينشد الشعر .

الكلام رأسمال

فى الكتاب الثانى ذكرنا لكم أنه تم اختبار الوزير البىفاء وحاذق ، وقد فار الوزير البىفاء فى هذا الاختبار وازداد تعظيما ، فى هذا الاختبار ، وبعد أن عاد أمير سيركا إلى بلده ، ومضت عدة أشهر ، كان الوزير البىفاء يتنزه ، فطار وأخذ يتنقل فى المدينة ، وأثناء الطيران . وصل إلى إحدى أشجار التمر هندی بالقرب من مصبغة ، فهبط ليستريح ، لأنه ظل فترة طويلة لم يطر بجناحيه ، وأثناء وقوفه على شجرة التمر هندی ، رأى رجلا عجوزا صباغاً ، يتجه إلى مكان ابنه الصغير الذى يعلمه الصباغة ، فوجده قد صبغ قطعة قماش فصارت غير جيدة ، فأمسك يده وأخذ يعلمه كيف تكون الصباغة ، إذا أمسك الولد قطعة من القماش بطريقة خاطئة رأى الرجل العجوز ينهره ، ويقول له " ليس هكذا تمسك ، تمسك هكذا " .

بعد أن انتهى الوزير من مراقبته ، ولا أحد يراه ، طار وقصد حى هايبى ، وهناك رأى عالما يضرب ابنه ضربا مبرحا ، لأنه اخطأ فى القراءة ، ولم يكن هذا الخطأ جسيما ، ولكنه بدلا من أن يقول حاء وفتح ح قال حاء وفتح ح ولكن الأب أخذ يضمه كأنه لا يريد أن يتركه حيا ، ثم طار الوزير وقصد منزله ، وهو يفكر ، وقبل أن يصل ، وجد حلاقا يسب ابنه لأنه جرح صبيا كان يقص له شعره .

عندما رأى الوزير ذلك قال " أهكذا يفعل كل إنسان مع ابنه ، ليرثه؟ " ، وسكت ثم قال " أنا ليس لى صناعة إلا الكلام ، وهى التى سأعلمها لابنى ، والكلام رأسمال ، وهى رأسمال كبير الذى أخرج طيراً من عشه ، وجعله يتولى وزارة الناس ، هل توجد صناعة تفوقها ربحاً؟ " .

فلما وصل إلى المنزل نادى ابنه الذى تحدثنا عن ولادته فى نهاية الجزء الأول ، والذى أطلق عليه اسم " فصيح " وقال له " تعال أعلمك القراءة ، بدلا من أن تتبع اليمامات فى الطيران بلا فائدة . ها الطعام ألوانا ، ولكن أنت تفضل سرقة مزارع الناس ، وعندما تتقابل مع النسر لا تستطيع أن تفعل شيئا فياكلك . " .

قال فصيح "بابا ، إني أتعلم القراءة منذ مدة ، وإذا كنت تريد أن تعلمنى شيئا علمنى" .

ابتسم الوزير وقال "أى قراءة تتعلمها منذ مدة ؟ ، كذب لا فائدة منه" .

قال فصيح "اقسم بعظمة الأمير عبد الرحمن ، أستطيع ، تعلمت هنا عند المعلم إيرو ، إذا سمعته يعلم التلاميذ ، اختبئ وأتعلم معهم ، وبقي قليل وأدخل نفسى المدرسة مع هؤلاء الأولاد الذين يعلمهم ، إلا أنني رأيت ذات يوم يشتري صوتا ، وهو ما جعلنى أرفض الذهاب" .

انفجر الوزير فى الضحك ، فقال فصيح "الله ، لا يوجد ما يضحك ، إنى أقول لك الحق ، انتظر لأقرأ وتسمع ، صعوبة القراءة أنها ليست واحدة ، إذا جلسوا كل له قراءته ، ولكنى أستطيع قراءة الجميع ، لأننى لا أستطيع سماع ما يقوله الأولاد الصغار ، لم أحفظ قراءتهم ، حتى وأنا متأكد أن المعلم نفسه لا يستطيع لأنهم يقرأون معا فى وقت واحد ، أما سندا الأخ الأكبر لجمعه ، ينظر فى اللوح ، أما أنا رغم أنه ليس لدى لوح أفوقه فى القراءة ، وأراه دائما يعانى من القراءة فيه ، أحيانا يقول بفتحته تحت تكون بـ ، وسكون فوقها سين لا يستطيع قراءتها ، وأحيانا أريد أن أقول له ، لأننى اختبئ عادة فوق الشجرة التى يجلسون تحتها ، ولكن إذا تذكرت غضب هذا المعلم ، أمسكت خشية أن يرمينى إذا قلت ذلك ، وأسمع دائما كبيرهم يقول "باب" فيقول المعلم "تقديره هذا باب" ، أما تتكو عندما كنا تلعب معا دائما له . .

غضب الوزير وقال "كف عن هذه الثثرة ، قراءتهم مختلفة ، أريد أن أعلمك شيئا مختلفا" .

قال فصيح "وهو كذلك ، لقد قلت أنك ستعلمنى شيئا ، ولكن غير القراءة ، قرأت القرآن كله ، لأنك لم تنتظر حتى أنهيه كله لك" .

ابتسم الوزير وقال "لقد اجتهدت طالما أنك حفظت ، وهو كذلك ، يجب عليك أن تهتم بما سأقوله لك ، هذه القراءة التى سمعتم يقرأونها ثمارها آجلة ، وهم يحاولون أن يغفر الله لهم حتى لا يكونوا وقودا للنار ، اللهم احفظنا - أما أنت طالما انتهى من حسابك فتصير ترابا"

قال فصيح "ترابا يا أبى؟"

قال الوزير " ما سأقوله لك هو أن تحاول أن تكون بليغ اللسان "

قال فصيح " بابا ، أستطيع الكلام الآن ، حتى أننى أستطيع أن اتغلب على موسى ومحمود إذا بدأنا ، انتظر لتسمع : أنت طائر صغير قف معتدلا ، إذا دارت معركة بين دجاج كسينا ودجاج كنو عند بئر الصباغة من الذى سيهزم الآخر ؟ هل صدام القادم من دجاج " .

نظر إليه الوزير وقد اندفع فى الثرثرة فانفجر فى الضحك وقال " إنك تستطيع الكلام ولكن دعنى أريك تعليما ، إذا قال الإنسان أنه الآن سيعيش عيشة المؤمنين فى هذه الدنيا مهما كانت معرفته أترى الناس يحاولون أن يكسروا البيض الفاسد فوق رأسه ، ويلعنوه ، أو قول : الأمراء الآن لا يحبون أحدا إلا المثقفين البلغاء مثلك ؟ "

قال فصيح " نعم " .

قال الوزير " وهو كذلك ، سأزودك بعشرين نصيحة ، ضفها إلى ما بدأت تتعلمه ، حتى بعد موتى إذا توليت الوزارة لا شيء سيحيرك طالما ترعاها " .

قال فصيح " وهو كذلك " .

قال الوزير " الأولى : اعتمد على الله ونيه فى كل ما تفعله ، وطالما اعتمدت عليه ، لا تخف مكر أى مخلوق " .

" الثانية : إذا ساعدك الله ، لا ينبغي أن تشكر الله بكبرياء ، وما تفعله هو أن تنظر لمن هو دونك وتساعدته " .

" الثالثة : كل ما ترى فرصة لفعله أفعله ولكن بدون تكبر فهو ينقص رزق الإنسان دون أن يعرف " .

" الرابعة : لا تحتقر الناس ، الغنى والفقير ، المسلم والكافر ، الأمير والمواطن كل من تره عظمه بقدر الإمكان ، ولكن دون أن تحقر نفسك ، دون أن تحتقر ، تذكر أن الرجل الأول فى هذه المدينة هو الأمير ثم ، أنا الذى أنجيتك " .

" الخامسة : ما جعلنى أقول لك أن تعظم الناس لأن هبة الله ، ليست حيث لا يضعها ، فأحيانا ترى إنسانا عظيما ، فتعظمه ولكن إذا تبيت خلقه ، ترى أنه لا يستحق التعظيم ، وكثيرا ما ترى إنسانا شايبا ، فتحقره ، ولكن إذا تبيت خلقه تراه وليا ، أو عالما كبيرا " .

"السادسة : افعل الخير فى الجميع وجزاؤك عند الله " .

"السابعة : أسوأ خلق فى الإنسان أن يكون منافقا ، أى شيء تفعله ابحث عن الحق ، وإذا أراد أن يقتلك فليقتلك كل هذه المتزلة التى ترى أن الله وهبنا إياها لعدم نفاقنا " .

"الثامنة : إذا أصابتك مصيبة ، لا تخطئ وتذل نفسك طمعا فيما فى يد الناس " .

"التاسعة : إذا جلست بين الناس ، وتوليت رئاستهم كحالى الآن يجب أن ترعاهم ، فإذا رأيت طلبهم تغير فأسرع وغير طريقة رقصك ، فلا يتفاهم مع إنسان هذا الزمان إلا إنسان هذا الزمان ، العاشرة وإذا عاملك الإنسان بأسلوب ظالم ، فأظهر له أنك أكثر منه ظلما ، وإذا سلك لك طريق القبح ، فأظهر له أنك أقبح منه " .

"الحادية عشرة : ولكن مع قولى لك ألا تفعل الشر ، كل من مسك ، لا تتركه ، لأن الناس قالوا ، "ابن الحلال مثل الباوياء لا يصبر على الدفع بالقوة" .

"الثانية عشرة : كل مصيبة تصيبك لا تتضايق ، كثيرا ما يريد الإنسان شيئا فإذا جاءه يكون شرا له ، وكثيرا ما يرفض الإنسان شيئا فإذا جاء يصير خيرا له ، وهاك مثال صغير ، أنت تعرف أننى فقت فى كهف ، وفصلونى عن إخوتى وأنا أبكى وهم يبكون ، ولكن انظر اليوم المبنى الذى أقيم فيه " .

"الثالثة عشرة : كل عمل تقوم به ، اسأل الله التوفيق فالخط قبل رأس المال " .

"الرابعة عشرة : أى نوع من الرزق ترى الله قد وهبه لعبده ، إن لم تستطع أن تقول اللهم رده ، لا تقل اللهم انقصه ، ولا تعمل ما يزيل هذا الرزق " .

"الخامسة عشرة : كل ما عزمتم فى نفسك أن تفعله ، افعله ، لا تخش شيئا عمله وعدم عمله كله بأمر الله " .

"السادسة عشرة : على الرغم من أننى قلت لك لا تخش شيئا ، ومع ذلك إذا رأيت الهلاك واضحا ، لا تلق نفسك فيه ، تتباهى بأقتحام الصعاب ، ولقد رأى الناس قبر الضعيف ولم يشاهدوا قبر الجبان ، الله يساعد من ساعد نفسه " .

"السابعة عشر : أنت ترى أننا طيور ، والقدر جاء بنا إلى هنا لنعيش بين الناس ، لا تخطئ يوما من الأيام وتحتقر هذه الخلقة التى خلقنا الله عليها ، عندما ترى خلقة بنى آدم ، اصبر على النعمة التى وهبك الله إياها ، والسعى للرزق الذى كلفك الله به ، واشكر الله دائما على ذلك " .

"الثامنة عشر : إذا شاء الله أن أنجب كثيراً مستقبلاً ، طالما أنك الأكبر ، يجب أن تحاول إصلاح ما بينكم من محبة ، حتى لو كان فيكم من ليس من أم واحدة ، ولا تدع أحدا يعرف ما بينكم هذه آخر النصائح " .

قال فصيح " لا ليس هذا آخرها ، بقى اثنان ، لأنك قلت عشرين ، الآن أعد ما قلت ، أرى أنك وصلت إلى الثامنة عشرة وقلت انتهت "

قال الوزير " بقى اثنان لن أقولهما لك ، حتى تكبر " .

قال فصيح " وهو كذلك "

قال الوزير " طالما أنك تستطيع الكلام ، هكذا ، ينبغي أن تحفظ هذه الأشياء التي قلتها لك كلها ، وقبل الغد تأتى أبدا أعطيك أمثلة لها . "

قال فصيح " وهو كذلك ، طار الوزير ، وقصد الحاشية حيث موسى .

عندما طلع النهار ، وأقبل الظهر ، جاء فصيح إلى الوزير وقال " ها أنا ذا "

قال الوزير " هل حفظت الأشياء التي قلتها لك ، وهى سبعة عشرة ؟ "

قال فصيح " ثمانية عشرة ، عدا اثنتين قلت ستقولها لى عندما أكبر ، حفظتها كلها "

قال الوزير " لقد قلت سبعة عشرة ، لأعرف ما إذا كنت حفظت عددها أم لا ، طالما أنك قلت أنك حفظتها ، اقرأ لسمع " .

حفظها فصيح كلها ، ولكن نسى التاسعة ، قال الوزير " وهو كذلك ، التاسعة التي نسيها ؟ "

قال فصيح " هذه طويلة جداً ، ولذلك تركتها ، أرى أن سبعة عشرة تكفينى مساوى للأسبوعية فى الدنيا " .

غضب الوزير من كلام فصيح وقام وزجره ، كما رأى هؤلاء الناس يفعلون مع أبنائهم ، فانفجر فصيح فى البكاء ، وقال " قبل العصر يكون حفظها "

قال الوزير " وهو كذلك ، سمعت ، قل الأولى مرة أخرى لأسمعها " قال فصيح ، فقال الوزير " إن لم تفهمها هاك مثالها . "

كل من يعتمد على الله لا يخاف حاسداً ولا حقوداً

كان يعيش فى بلاد السودان أمير ، لم يكن له مثيل فى الشراء فى كل البلاد ، وقد خلق الله لهذا الأمير قلباً يختلف عن باقى الأثرياء ، لأن كل الأثرياء يكتزون أموالهم لا يأكلون ولا يشربون ما عدا هذا الأمير ، كان كل يوم يجمع العميان والمساكين ، ويتصدق عليهم وإذا جاء أحد الأغراب ، لا سيما إذا كان ذا علم ، فيصدق عليه الهدايا حتى يعجز عن شكره لشدة السرور.

وذات يوم جاءه رجل عالم يسمى عبده أجو ، وحياه ، فرحب به الأمير وسأله عن البلد الذى جاء منها ، وما صناعته ، وما أخبار بلاده ، قال عبده أجو أنه رجل من الغرب ، وهو على علم ، فلما سمع الأمير ذلك سر به ، وبدأ يختبره ، فوجده عالماً ككل العلماء ، فلما رأى ذلك رفع منزلته ، ولم يكن هذا الأمير فى حاجة إلى شيء كحاجته للعلماء المشهورين . وكان كلما احتاج إلى مشورة سأل هذا العالم.

وكان فى هذه المدينة وزير لا يضايقه شيء كالحير الذى ينفقه هذا الأمير على العجزة. فإذا رآه قدم لأحد خيراً ، يغضب كأنه أخذ من ماله الخاص ، وكان غضبه قبل ذلك كالمزاح ولكن منذ أن رأى الأمير يعظم العالم عبده أنجو أخذ غضبه يزداد . وأخذ يصب عليه جام غضبه ، وعندما رأى أنه بالرغم من كل هذا الحسد يزداد رفعة فى نظر الأمير ، يكاد يقتل نفسه من شدة الغيظ ، وذات يوم بلغ به الحقد مداه ، حتى لم يستطع على ذلك صبراً ، فذهب إلى الأمير وقال إن لديه كلاماً يريد قوله ، فتفرق كل الناس وتركوا له المكان ، فانحنى وقال للأمير "أطال الله حياتك ، أريد أن أتكلم معك منذ مدة طويلة ، ويمنعنى الخوف".

قال الأمير "إذا كنت تخشى الآن أن تقول لى كلاماً ، فمن إذن يستطيع ؟ ، لقد جعلتك وزيراً لأنى أراك قادراً."

قال الوزير "حقيقة - نصرك الله - أن أمرنا مع أفراد الشعب أرى أنه قد تجاوز الحد وأرى أنه إذا زاد ، سيسبب لنا الضعف فى السيطرة على شئون الملك".

نظر إليه الأمير بعين غير راضية وازدراء ، وقال " أهكذا؟ "

أدرك الوزير أن الكلام لم يعجب الأمير ، فغير من جلسته وقال " نعم ، أطل الله حياتك ، تسامحك مع أفراد الشعب أمر تجاوز الحد ، أنت الآن أمير بن أمير حفيد أمير ، لا ينبغي لمثلك أن يكون ليس له أصدقاء مقربين سوى ، من لا أصل لهم ، الذين لا ييغون إلا الشهرة ، إذا حضر الآن بعض الأمراء ، ووجدوا أن الحاشية مملوءة بالمغمورين سنشعر حينئذ بالحجل ، ولكن أقول لك الحقيقة ، نصرك الله إذا كان هذا الكلام آلمك اغفر لى " ، وحنى الوزير رأسه .

هز الأمير رأسه ، وحرك قدمه ، وقال " ماذا تقول ؟ لأننا نساعد العجزة من عباد الله ، سيضعف هذا من شأن الملك ، قل لى ما هو الأمر الذى ضعفنا فيه ، من أمور الملك وإلا يكون كلامك هذا كلاما فارغا؟ "

حنى الوزير رأسه وقال " هذا الله من روعك ، تبت ، تبت "

قال الأمير " وهو كذلك ، لقد قلت أن مثلى لا ينبغي أن أبث الأمر مع الأشرار الذين لا أصل لهم ، وهو كذلك ، أنا من ؟ ، بأى شيء أفوقهم ؟ ، إذا كرهت الناس هل أمارس الملك على الأشجار؟ ، كلام فارغ ، كل ما تقوله حسد من أجل الخير القليل الذى أقدمه ليتامى الله والعجزة ، هل إذا مت يوجد الوريث لثروتى الذى يضايقه ما أفعل ؟ ، قم واترك هذا المكان ، ودع هذا الكلام الفارغ " .

قام الوزير ، وانحنى وقال " هذا الله من روعك ، اعف عنى ، تبت ، تبت " .

قال الأمير " وهو كذلك ، لا بأس ، اذهب ، ولكن عليك أن تعرف الكلام الذى تقوله لى " .

قام الوزير خجلا ، وذهب إلى بيته ، وكأن الحزن سيقتله ، وقال فى نفسه ، " طالما أخرجنى هكذا ، من أجل هذا الحقير الفاسد الذى يسمى عبده أنجو إن شاء الله ، سارى آخرته ، إذا لم أواجهه بشدة سيكون سببا فى فضح الأمير لى فى هذه المدينة .

وبعد حوالى شهر هدأت نفس الأمير من هذا الغضب الذى سببه الوزير ، ثم دخل عليه بعد ذلك وهو يضم فى نفسه أمرا لعبده أجو ، وذات يوم هداه تفكير إلى حيلة ، كان عبده أجو إذا ذهب إلى القصر مع الوزير يجعله أمامه احتراما ، ويسير خلفه .

و ذات يوم ، قبل أن يذهب يصطحبه ليذهبا إلى القصر ، أتى الوزير ببصل شديد الرائحة ، وكسره ووضع في العسل والتوابل ، وغطاه وعندما جاء الظهر ، جاء عبده أجو ليذهبا معا إلى القصر ، ودخل لتحية الوزير ، فرد الوزير قائلا " يا شيخ عبده هل حضرت؟ "

قال عبده أجو " نعم ، أ طال الله حياتك " .

قال الوزير " عندما جئت أمس شعرت أن الزكام يكاد يصيبك ، لذلك أمرت أن يعد لك دواء ، مثل الدواء الذي أتناوله إذا شعرت أنه سيصيبني " .

قال عبده أجو " والله أشكرك ، أ طال الله حياتك ، لم تغمض لى عين أمس ، الزكام ليس مريحا ، رويدا رويدا يجعل الإنسان يرقد " .

قال الوزير " الزكام ، أخبر الزكام أنا أعلم بها ، احضروا له هذا البصل " فأحضروا لعبده أجو البصل في العسل ، فجلس وأخذ يأكل منه ، وعيونه تدمع ، والمخاط ينزل من أنفه لشدة التوابل .

وعندما انتهى من الأكل ، قال للوزير " أ طال الله حياتك ، انتهيت ، ينبغي أن نذهب إلى القصر ، حتى لا يسبقنا الأمير .

قال الوزير " صدقت " واستعد للقيام ، ثم عاد وجلس ، وقال " لقد نسينا ، ليتك تركت أكل البصل ، حتى نعود من القصر ، لأن الأمير لا يكره شيئا مثل رائحة البصل ، عندما يشمه لا يكف عن القئ .

قال عبده أجو " وهو كذلك ما العمل؟ "

قال الوزير " الأفضل أن ننتظر الجارية حتى تأتى لك بالصابون لتغسل يديك وتمضمض فمك جيدا ، ربما تقل الرائحة " .

قال عبده أجو " وهو كذلك أ طال الله حياتك " .

وارتدى الوزير الحذاء وهم بالخروج ، ثم انتظر وقال " الأمر المؤكد لرائحة البصل ، مهما غسلت فمك لا تخرج الرائحة ، والأفضل ، عندما تتكلم مع الأمير اليوم ، تلتفت برأسك دائما ، وتغطي فمك بكم قميصك ، وذلك أفضل من أن تجعل الأمير يتقيأ وسط الحاشية " .

قال عبده أجو "أطال الله حياتك ، والله هذه حيلة مفيدة"
قال الوزير "ومع ذلك يجب أن تنتظر قليلا ، لتجرب الغسيل ، حتى إذا لم تنقطع
الرائحة كلها ، تقل ، وسأسبقك ، ، وتلحقني هناك"
قال عبده أجو "وهو كذلك بلغه التحية" .

ذهب الوزير ، فوجد القصر قد امتلأ ، وبعد قليل سمعوا أقدام الأمير قادما ، فقام
الوزير وقابله ، وحياء وكانت العادة إذا أقبل الأمير ، قبل أن يصل إلى مكان الناس ،
ينادى عبده أجو ليستقبله ، ويتبادلا التحية .

عندما رأى الأمير الوزير وحده ، قال "أين هذا الضيف اليوم؟ ، لم أركما اليوم معا؟
هل هو مريض؟"

قال الوزير "لا ، صحته جيدة ، فى منزلى منذ الصباح تركته هناك يصلى ، ثم
يصل"

قال الأمير "هل وصل به التجول حتى منزلك؟"

قال الوزير "لا يفصلنا عن بعض سوى الليل فقط ، يقص على أخبار مدينتهم ،
قال أنه مل الإقامة هنا ، ويريد أن تعطيه ما ستعطيه ليرحل ، إنه أضحكنى عندما قال
أنك حتى الآن لم تعطه شيئا طيبا ، سوى الوليمة التى تقيمها له دائما، كأن الجوع
يطارده ."

قال الأمير "بالله يقول هذا يا وزير؟"

قال الوزير "هل هذا الأمر البسيط يجعلك تغضب عليه ، رغم ما بينكما من علاقة ؟ ،
لو سمعت الكلام الذى يقوله كله لطرده الآن" .

قال الأمير "بالله عليك ردني بكل الكلام الذى سمعته يقوله ، لأعرف كيف أتعامل
معه"

قال الوزير "أطال الله حياتك ، لعلك تعرف مدى علاقتى بك ، والعاقلة لا يقبل أن
يسئ إليك أمامنا ، ولكن سمعته يوما يخطئ فى حقك خطأ غير مقصود ، قال أنه لا يكره
شيئا ككرهه أن تتكلم معه ورائحة فمك كريهة ، يقول أنك إذا دعوته لتشاوره فى أمر ما ،
يشعر كأنه سيتقيأ من رائحة فمك ، ويقول أنه وجد حيلة لذلك ، وهى أن يغطى أنفه

بكم قميصه إذا تكلم معك ، حتى لا يضيق صدره ، ويتقيا ، حتى أنه يتعجب كيف أتحدث معك وجها لوجه هكذا ، وقد قلت له أنني لم أشعر أبدا برائحة قمك الكريهة ، والله - أطال الله حياتك - لو قال شخص آخر هذا الكلام أمامه لسجته قبل أن تسمع ذلك ، ولكن عبده أجو طالما أنت راض عنه ، إذا فعلت شيئا له مستقول أنني أحسده ، وهذا ما أخشاه ، عندما جئت لاتشاور معك منذ أيام مضت ، أخذت تلومنى ، والآن أقسم بعمامتك ، كل المدينة تتحدث عنه ، وإذا كنت حتى الآن تظن أنني كاذب ، فإنهم يقولون حبك الشئ يعنى عن رؤية العيب ، اتركه وعندما يأتى استدعه كأنك ستتكلّم معه فى أمر سرا ، سترى ما يفعل ."

عندما وصل الوزير إلى هذا الحد ، طلب من فصيح أن يقول ما حفظ ، ويكرر ما قاله دون أن يترك شيئا حتى يستمر الوزير فى الكلام .

وصل الأمير إلى المجلس ، وتربع والناس جميعا يحيطون به ، وبعد قليل دخل عبده أجو ، فانحنى وأدى التحية ، فرد الشرطة ، فنظر إليه الأمير وقال "عبده أجو قرب هنا لنسمع" .

قال عبده أجو "أطال الله زمانك ، ها أنا" وذهب أمام الأمير وجلس القرفصاء فجذبه الأمير فى الحديث ليعرف ما إذا كان يريد العودة إلى بلدهم ، فأخفى فمه بكم قميصه وطأ رأسه ، حسب الخطة التى قالها له الوزير ، حتى لا يشم الأمير رائحة البصل ، وقال

"نصرك الله ، هل لى أمنية الآن أن أذهب إلى أى بلد وأعيش فيه سعيداً إلا ببلدكم؟

عندما لاحظ الأمير كيف يتكلم عبده معه وفمه مغطى بكم قميصه ، غضب وبعد وتركه ، واجتمعت الحاشية وتفرقت ، وأخذ الأمير يفكر فى طريقة يقتل بها أجو ، فلم يجد ، إذا أمر أن تقطع رقبتة فى السوق ، سيلومه الناس ، لأنه رضى به حتى جعله من المقربين ، وبعد قليل فكر الأمير فى أفضل طريقة وهى أن يعطيه مظروفا مغلقا ، ويكتب فيه أن يقتل حامله .

وبعد حوالى ثلاثة أيام ، كتب الأمير رسالة إلى كبير السيفين ، يطلب فيها قتل من يحمل الرسالة ، وختمها ، ووضعها فى المظروف وأغلقه ، ونادى عبده أجو وسلمها له ، وقال "حتى الآن لم أقدم لأحد خيرا عظيما ، منذ أتيت ، خذ هذه واحملها إلى الأمير

قرايا ، وتأخذ ما يعطيك ، وإذا عدت تستعد للعودة إلى بلدك ، لتأتى بأولادك ، حتى تهدأ نفسنا" ، ولم يقل الأمير لأحد ما يقصده.

انحنى عبده أجو وشكره ، وخرج بالرسالة مسرورا ، دون أن يعرف ما فيها ، وعند خروجه ، رآه الوزير بالرسالة فقال له أن يذهب إلى منزله ويتظره حتى يأتى ، وبمجرد أن تفرق المجلس ، توجه الوزير إلى منزله بسرعة ، ما بالك بالحسود ظن أن الرسالة التى نادى الأمير عبده أجو وسلمها له ، سينال بها شيئا عظيما ذا قيمة ، لذلك عندما رأى عبده أجو متشوقا للذهاب ، فكر أن يذهب ويمكر به.

عندما وصل الوزير إلى المنزل وجد عبده أجو يجلس ينتظره ، فتبادلا التحية ، وقال الوزير وهو يتسم "لعل الأمير سمح لك بالسفر بهذه الرسالة الكبيرة؟"

قال عبده أجو ، نعم ، طلب أن أسلمها إلى أمير قرايا ، سيعطينى بعض الأشياء ، وعندما أعود أرحل إلى بلدنا ، لأتى بأولادى إلى هنا" .

عندما سمع الوزير ذلك ، ظن أن المؤامرة التى دبرها له منذ أيام فشلت فبدلا من أن يطرده قدم له مكافأة ، لأنه سيذهب ويأتى بأولاده ، وبدأ يفكر كيف يمكر به ويأخذ الرسالة ، ويحملها هو ، فإذا أعطاه مكافأة يسرق نصفها ، ويعطى عبده أجو النصف الآخر ، لذلك قال له "إن هذا الطريق ليس سالما ، يوجد بعض اللصوص فى الغابة الصغيرة التى بين بنا وبوجابرى ، وأنت لا تعرف الطريق جيدا ، ففيه تفرعات كثيرة ، وأرى أن الأفضل لنا ، أن تعطينى الرسالة ، إذا ركبت الآن وذهبت بها ، أصل قبل العشاء وإذا سلمنى الأمير شيئا استريح قليلا ، واركب الحصان فى الصباح الباكر وأعود ، وأصل قبل أن ينادى للصلاة" .

قال عبده أجو "لا ، من أنا حتى أرسلك ؟ ، أذهب أنا أفضل من أن يقال أننى بعثك ، طالما أننى اعتمد على الله ورسوله إن شاء الله لن يصيبنى شيء"

قال الوزير "طالما أننا نعرف ذلك ، ما بيننا من ود لا يعلمه إلا الله وحده" ، وألح عليه ، حتى يأخذ الرسالة ، وأمر أن يعد له الحصان ليركب ، كمن سيذهب إلى نزهة ، وذهب بها ، وذهب عبده أجو إلى المنزل ليستريح ، ولم يخرج حتى لا يراه الأمير ، فيقول لماذا أرسله ، فرفض الذهاب.

عند وصول الوزير فى الليل سلم أمير قرايا الرسالة فقراها ، ورأى خط الأمير ،

وخاتمته ، فلم ينتظر قليلا وأمر بقطع رقبة الوزير ، وكتب أنه نفذ أمر الأمير ، وأمر أحد خدمه أن يركب حصان الوزير ، حتى يصل قبل أن يخرج الأمير فى الصباح .
وعندما خرج الأمير سلمه الرسالة ، فقرأها وقال " الحمد لله " ، ونظر إلى الحصان ، وقال " هذا حصان الوزير ، من أين جئت به ؟ "

قال الخادم " هذا الحصان كان يركبه الذى بعثت به "

غضب الأمير وطلب أن ينادى الوزير ، ليسأله عن السبب الذى جعله يعير عبده أجو حصانه ، فأسرع رئيس الحرس إلى منزل الوزير ، فقالت الجارية " لم تر الوزير منذ أمس عندما خرج للترهة عصرا ، ونحن مشغولون لعله خير "

عاد رئيس الحرس وقال للأمير ، قال الأمير " كيف حدث هذا ؟ ، اذهب إلى منزل ميتساميا ، حيث ينزل عبده أجو وانظر هل هو موجود "

عندما ذهب وجدته قد انتهى من صلاة الضحى ، ويقرا الورد ، فقال له " يا شيخ عبده ، أقبل مسرعا الأمير بناديك " .

فقطع الورد ، واتبع الحرس ، وقلبه يخفق ، لأن الأمير بعثه فأخذ الوزير الرسالة وذهب بها ، ويخشى أن يظن الأمير أنه رفض الذهاب عند وصولهما ، انحنى عبده أجو ، وحياء ، فنظر إليه الأمير غاضبا ، وقال " أين الرسالة التى سلمتها لم لم تحملها إلى أمير قرايا ؟ "

انحنى عبده أجو وجسمه يرتعش ، وقص للأمير كل ماحدث بينه وبين الوزير ، حتى أعطاه الرسالة ، عندما سمع الأمير ذلك ، أدرك ما حدث وتعجب وقال " الله أكبر " ، إذا بحثنا هذا الأمر الذى بين الوزير وعبده أجو سنجد فيه كيدا ، والتفت إلى عبده أجو وقال " بالله عليك ، أتذكر أنك تكلمت مع الوزير وقلت له أن فمى رائحته كريهة ؟ "

قال عبده أجو " والله والله ، لم أقل هذا " ، وسكت ويعد قليل قال " والله لم أقل هذا أبدا " ، وصمت ، ويعد قليل قال " لعلك أطال الله حياتك تقصد الكلام الذى حدث بيننا بأنك لا تحب رائحة البصل ؟ "

تعجب الأمير وقال " متى قلت أننى لا أحب رائحة البصل ؟ "

قال عبده أجو "حتى أنه منذ أيام عندما ذهبت إلى منزل الوزير قدم إلى البصل لأكله كعلاج للبرد ، وقال " إذا جئت لأتحدث معك أن أخفى أنفى بكم قميصي ، حتى لا تشم الرائحة ، فتقياً ؟ أطال الله حياتك ، ولعلك تتذكر أنه عندما سبقني الوزير في المجئ إلى القصر ، وجئت فناديتني لتسألني ، هل أريد العودة إلى بلدي ، تلاحظ أنني عندما كنت أتكلم معك في هذا اليوم كنت ألفت رأسي ، وأعطى فمي بكم قميصي ، وقد سبقني الوزير في الحضور إلى هنا ، لأنني انتظرت في منزله أغسل فمي بالصابون وأمضمض فمي ، لعل الرائحة تنقص ، فلا تشم الرائحة إذا جئت إليك ، ولكن كل ما فعلته بلا فائدة " .

عندما سمع الأمير ذلك ، قال " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، ولم يشعر إلا والدموع قد تساقطت من عينيه شفقة وقال " هذه القصة صارت تحذيراً للرؤساء ، ولكل رئيس يحاول أن يكرر بيني آدم ، ويشي به سيندم ، والأفضل للرؤساء كل من يأتي لهم بوشاية ، أن ينتظر حتى يتحقق ، فإن بعض الظن إثم " .

وفي الحال أمر الأمير بجمع الناس ، ولم يعرف عبده أجو أي شيء مما حدث ، وقص لهم الأمير كل ما حدث بين الوزير وعبده أجو ، منذ البداية حتى النهاية .

قال الناس " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، وتعجبوا ، وأترك لكم تخيل ما فعله عبده أجو عندما علم بهذا الأمر ، وعندما علم أهل الوزير أنه مات بكوا كالعادة ، ونظر الناس إلى الأمير وقالوا " نصرك الله ، طالما أن الله قدر أن يحدث هذا الأمر ، لم يبق الآن إلا أن يعين عبده أجو وزيراً ، لقد أعطاه الله ، وليس لنا أن نحسده على ما قدر الله " .

قال الأمير " هذا ما كنا نريد " ، وعين ، وعندما دخل منزل الوزير أقيمت الأفراح الكثيرة ، وأخذ الطبالون يمدحونه .

واتبعه كل أهل المدينة ، يستمتعون بحياتهم مع أميرهم ، وإذا أراد الأمير أن يمزح ، وأغلق مظهره ووضع عليه خاتمه ، وجاء الوزير ليسلمه له ، قال خذ به سرعة واحمله إلى أمير قرايا " ، فيضحكون ، ويقول الوزير " أطال الله حياتك ، لن أحمل ظرفاً مغلقاً أبداً " .

قال فصيح " هذا المثال تحذير جميل ، ردني بالمثل التحذيري الثاني أستطيع أن أحفظهما " .

قال الوزير " أحفظ هذه ، وغدا أقص عليك أخرى ، الآن الأمير ينتظرنني في

الحاشية" ودخل المنزل ، ولبس النظارة وجلس على الكرسي ، وحملوه إلى القصر.

وفي اليوم التالي ، قبل أن تتوسط الشمس السماء ، جاء فصيح إلى مقر الوزير وكاد يدخل فقالت أمه زوجة الوزير ، " لا تدخل ، إنه نائم ، أنت تعرف أنه إذا نام لا يجب أن يدخل أحد عليه ، أو يسمع حركة توقظه ، طالما أن وقت يقظته لم يحزن عليك أن تنتظر في الممر ، حتى يستيقظ ويكلمك " .

عاد فصيح إلى الممر ، وقرب الظهر استيقظ الوزير ، وقبل أن يحمل إليه الماء ليغتسل ، طلب أن ينادي فصيحاً ، وعندما جاء سأله ليقول التحذير الأول الذي ذكره أمس ، فقال له تماماً ولم يخطئ.

قال الوزير هاك التحذير الثاني:

إذا ساعدك الله فساعد من دونك

كان رجل يملك بغلا وحماراً ، وذات يوم خرج للتجارة ، فأحضر بضاعة كثيرة ووضعها على ظهر دابتيه ، وساقهما وسار حتى بقي قليل على وقت الظهيرة ، ولم يتزل هذه البضاعة ، وكان الطريق غير بعيد ، كثير الصعود والهبوط ، ولعلك تعرف أن قوة الحمار ليست كقوة البغل ، والبضاعة التي وضعت على ظهره كانت فوق طاقته ، وظل يتحمل حتى خارت قواه فأخذ يئن ، وفي نهاية المطاف قال للبغل .

" بالله عليك يا أخي ، خفف عني هذا العبء ، أنت تعرف أن الله خلق لك ركبتين قويتين "

قال البغل " لماذا أخفف عنك؟ "

قال الحمار " للتي هي أحسن أنهم يقولون أن الحسنة تجعل الإنسان يسحب الثور

بخيط رفيع "

قال البغل " إذا كنت ستسير ، سر ، وإلا تكن كالنسر الذي يطمع في أكل حطام السيارة "

قال الحمار " بالله عليك ساعدني ، لقد خارت قواي "

قال الحمار " يا إلهي ، يا أخي ساعدني ، لقد خارت قواي "

قال البغل " كيف أكون أنا أخوك؟ ، لا يوجد ما يجمعني بك ، إن أخي هو

الحصان، إن الصبي إذا رأى المدينة يعرف أنها أفضل من قريتهم. "

قال الحمار " لا ينبغي أن تفرح الدجاجة إذا رأت أنهم يذبحون أختها "

قال البغل وهو يقهقه ذاكرة المثل القائل " قال الموت عندما رأى العمامة ملفوفة على

رأس المؤذن ما هذا التصرف الأحمق؟ " ، يقولون " إذا تجاوز الحجر رأسك فلا بد أن يسقط

على رأس غيرك "

لقد خارت قوي الحمار ، وأخذ يسير وهو لا يكاد يري ، وهو يئن من الجوع

والعبء الثقيل وضرب صاحبهما ، وأثناء السير سقطت رجله في حفرة لم يرها ، فوقع

ممدداً على الأرض ، وسقط المتاع عليه ، فتنهد وقال " اليوم انتهى عمري "

قال البغل " لا أبالي "

أسرع التاجر ورفع المتاع من فوق الحمار وهو راقد ، ووضعته جانبا ، وأمسك ذيل الحمار وأخذ يشده ، فلم يستطع القيام ، وأخذ يئن ويتنفس بصعوبة .

والبغل ينظر إليه ويقول " بعض الأشياء لا يقدر عليها إلا القوي "

فذهب التاجر وقطع فرع شجرة وأخذ يضرب الحمار ، ويقول " قم قم " ، فلم يتحرك الحمار ولما اشتد التعب مات ، فلما رأى التاجر ذلك ، أخذ يعض على شفتيه ، ويقلب كفيه ، وأمسك البغل ، وجمع أحمال الحمار كلها ، ووضعها على ظهر البغل ، ونظر إلى حماره الميت وهو يقول " لقد منع الأوريون ترك الجيفة على الطريق ، فلأحملها قبل أن يراني أحد ، وإذا وصلت بها إلى المدينة أعطي أحد العمال نقودا ليحفر لها حفرة ويدفنها ، ويغطيها ، قبل أن يراها مفتش الصحة فأدفع غرامة "

وأخذ الحمار ووضعته على ظهر البغل ، وقطع فرعا جديدا وأخذ يضرب البغل به إذا رآه يسير ببطء ، وذاق البغل الضرب وها العبد قد راد ، ومنذ الصباح حتى بعد العصر لم يأكل شيئا ، وبمشقة وصل المدينة ، ولم يعرف ما في الأمر فلما أنزلوا المتاع من فوق ظهره ، وقدموا له الماء فشرب ، واستراح قال " اليوم حذرت تحذيرا ، إن من يساعده الله ، ويرفض مساعدة من دونه يستحق ما يعينه "

عندما سمع فصيح أن الوزير وصل إلى نهاية القصة قال " هذه قصيرة ولكن الأمثال التي بها جعلتها صعبة ، لقد سمعت القصة ولكن لم أفهم الأحداث الجارية بها "

قال الوزير " هل تستطيع الكلام " ، وشرح له معاني الأمثال كلها ثم صرفه .

عندما طلع النهار ، جاء فصيح إلى والده الوزير وقال " إنه حفظ ما قيل له أمس " ، وقالها كلها تماما

قال الوزير " التحذير الثالث ، عن أي شيء قلته لك ؟ "

قال فصيح عن الكبير

قال الوزير " وهو كذلك "

الفقر ملازم للمتكبر

كان يعيش رجل عالم كبير في بلاد برنو إلى الشرق منا، وكان يسمى الشيخ سيدي إبراهيم ، وهبه الله من العلم والورع ما لا يستطيع الإنسان أن يتحدث عنه ، حتى اعتقد الناس أنه ولي ، فقد بلغ هذا الشيخ مبلغ شيوخ العلماء ، ولكن ابنه تجاوز مبلغ الفاسدين ، وكان اسم هذا الولد وووو ، ومنذ كان صغيراً لم يترك والده أسلوباً من أساليب العقاب إلا لجأ إليه حتى يقيده ، ليقرأ ، ولكن تعذر الأمر عليه فيئس وصبر .

واستمر الحال حتى وصل الولد سن الخامسة عشر ، ولكنه كان يزداد فساداً إلى درجة لا يمكن وصفها ، عندما تلتقي به تشعر كأنه مجنون ، وكان دائماً يغسل ثيابه ويكويها ، ويرتدي حذاء جميلاً ، ويضع على رأسه القبعة ويغطي بها حاجبه ، ويرتدي السروال وينزله أسفل صرته ، ويرفع أحد أكمام قميصه على كتفه ، ويأخذ آتة الموسيقى ويدخل المدينة متكبراً مختالاً ، وإذا حصل على المال ذهب حيث يساع الخمر فيشرب كثيراً ، ثم يخرج وهو يترنح ، ويهذي بما يخرج من فمه ، عندما يراه الناس وقد سكر ، يسخرون منه ويقولون وووو بن العالم يرفض أخلاق العالم، وأصبح كالخروف الذي له ذيل كلب، ابن العالم ، مصلى الذئب كلها عظام ، الشيخ سيدي ، العالم ملازم للمصلي ، وأنت ملازم لمنزل الساحر ، فإذا سمع ذلك يتجشأ ويقول " أنا أبحث عن الخير أيها الصبي "

وأخذ البعض يقول له " ولد يرى براز الخفاش ساقطاً ملفوفاً " فيقول خواتم " ثور في بطنه الشيء الكثير ، هاك القولون النازل ، والرئة ، وأجزاء من المعدة والكبد " ، فلا يقول شيئاً سوى " أحبيكم أيها الشباب ، نبحث عن الخير أيها الولد "

وأثناء هذا الاستهتار والشقاوة ، ذات يوم رقد الأب في مرض الموت ، فلما رأى أنه لن يقوم من هذا المرض ، طلب من هؤلاء العلماء الذين يعاودونه لتمريرهم والتبرك به ، أن ينادوا له ابنه ليقول له وصيته ، فذهبوا ونادوا وووو، فجاء ووقف أمام أبيه .

كشف الأب عن وجهه ، ونظر إليه وقال " أنت وووو؟ "

قال وووو " أنا يا أبتى "

قال الأب "لقد حاولت أن أعلمك ، فرفضت فصرت شريرا بين الكذب والحقيقة ، ما أريد أن أقوله لك ، كل ما تفعله الآن هو الوقوف مع أندادك ، أما القراءة فممن أنجبتك وأنت ترفضها ، اذهب واسرح ، إذا استقمت الخير الذي تناله في الحياة الدنيا كثيرا ، لا يمكن التحدث عنه ، فما بالك بالآخرة ، وإن كنت لم تتعلم وأصلحت قلبك ، اطمأنت ولم تكفر ، والله كما تراني اشتهرت هنا في هذا البلد ، ستصير أنت كذلك ، ثم غطي وجهه بملاءة ، كمن غلبة النوم ، وبعد ذلك مات.

عندما تأكدوا من ذلك ، ذهبوا وأخبروا الأمير ، وكل الناس ، فاجتمعوا حيث تشيع الجنازة ، وتم تشيعها ، وتفرقوا بعد ذلك.

وانتهي الناس من الدعاء وهموا بالانصراف ، إذا بأحد العلماء الذين قال لهم سيدي إبراهيم أن ينتظروا حتى يقول وصيته لابنه ، أقرب وقال للأمير المدينة "عندما أحس الشيخ بالوفاة ، قال لوو وصية ، لماذا لا تسأله ، لتسمع ما قاله؟"

ظن الأمير أن وصيته كلام ، رأى هذا العالم ، أنه يجب أن يقولها للناس ، لذلك نظر لووو وقال "ماذا قال العالم في وصيته؟"

رأى الولد أنه لا شيء يعني هؤلاء العلماء ، مما قاله له أبوه ، حتى يقولوا أن الأمير يسأله ليبين للناس ما قاله أبوه ، لذلك نظر للأمير وقال "نصرك الله، ما قاله لي لا ينبغي أن أئنه للناس ، حتى لا يفزع الناس الذين شيعوه"

قال الأمير " ما هو الأمر الذي تحشى قوله إلى هذا الحد؟ ، الأفضل أن نقوله هنا أمام الناس ، ليعرف الجميع ما في الأمر"

قال وووو "الأفضل أن نترك السر مستورا"

قال الأمير " طالما أنني أسألك ، فيجب أن تقول ، إذا قال لك أنه ستقع مجاعة ، فقل لنا نستعد بالقمح ، وإذا قال لك أن وباء سيصيبنا ، الأفضل أن توضح لنا ، ونطلب النجاة من خالقنا .

قال وووو "لم يقل شيئا من هذا كله"

قال العالم الذي جذب هذا الحديث "إن الأمير يتحدث معك ، قل له ماذا قال أبوك ، تقف أمامه تتهرب من الكلام"

نظر وورو إلى الأمير وقال "نصرك الله ، لست أتهرب من الكلام عبثاً ، لقد قال لي بعد أن تنتهي الجنائز ، كل من يبدأ في القيام برأسه بعدها ، سيلحق به بعد سبعة أيام ، قال لي هذا الكلام حتى لا أبدا برفع رأسي"

عندما سمع الناس ذلك ، أخذ كل منهم ينظر إلى الآخر ، وأخذ الأمير ينظر إلى الإمام ، ويقول "أيها الإمام هيا قم لتتصرف"

قال الإمام " لا ، أقوم ، أنت الكبير ، ابدا بالقيام أنت ، ثم تقوم من بعدك"

عندما رأى الأطفال أن الكبار يجلسون ، ولم يجدوا من يبدأ بالقيام ، وكل ينظر إلى الآخر أخذوا يزحفون وقصدوا منازلهم وهم يقولون "ظلوا يقولون لا نقوم ، وهو كذلك لم يقوموا"

عندما رأى الأمير والناس الأطفال زحفوا ووصلوا إلى منازلهم ، وارتاحوا ، فشمروا كل منهم سرواله ، وسار الأمير أمامهم زحفاً ، وباقي الناس يتبعونه ، حتى وصلوه إلى منزله .

ثم أخذ كل واحد يزحف إلى منزله ، وباقي الأطفال الذين لم يذهبوا ، أخذوا يضحكون على الكبار.

وبعد سبعة أيام ، جاءوا ليقسموا الميراث الذي تركه الشيخ ، وقد تم الأمر بسهولة ، لأنه لم يترك أحدا يرثه ، سوي ابنه وورو وزوجته أم الولد ، فلما أخرجوا الثروة التي تركها قسمت ثمانية أجزاء ، وأخذ جزءاً واحداً وسلمه للزوجة ، والباقي سلم لوروو ، لأن الشريعة تقضى بذلك.

عندما قالوا لحاكم المدينة مقدار ما تركه سيدي إبراهيم ، تعجب جدا ، كيف قل إلى هذا القدر ، لأن الناس كانوا يظنون أنه على الأقل أكثر مما وجدوه خمس مرات ، وكانوا على حق ، فعندما رأي سيدي إبراهيم أنه هرم ، أحضر صندوقاً من حديد ، وبني حفرة في مكان ما ، وجمع المال الذي لديه جميعاً ، وأخفاه ووضعها في هذا المكان وغطاه فلما رأي أنه رقد رقد الموت ، نادي أحد تلاميذه المخلصين وكان يسمى طشتا ودله على المكان ، وقال له "هذه أمانة الله ورسوله ، احفظها عندك لأن الحياة حق والموت حق إذا شاء الله وسبقتك في الموت ، أريد أن تقدمها لوروو ، ولكن لا تقل لأحد هذا الأمر ، حتى الولد نفسه ، ولا تلمح له بوجودها ، إلا إذا رأيته قد استقام"

أنت تعلم أنه إذا علم بهذا الآن وهو على حاله ، ينفقها كلها في سبعة أيام يصير مفلسا ، ويعود لسؤال الناس ، فيعيرونه بذلك .

قال طنتنا "لقد تحملت أمانتك يا شيخ ، وصار النبي قاضياً بيننا ، إذا حدثت خيانة بيننا بخصوص هذه الأمانة ، هذا الأمر لم يعرف به أحد سواهما فقط عندما اتفقا على هذا الأمر حتى حدثت وفاة سيدي إبراهيم" .

بعد أن مات ظل الشيخ طنتنا يرعى وووو بعينه من بعيد ، لعله يراه قد تحلل من سوء حاله ، ليريه ماله ، ويريح نفسه ، ولكن هذا لم يحدث ، وبدلاً من أن يقلل من سوء خلقه أخذ يزداد يوماً بعد يوم ، ومنذ أن ناداه إمام المدينة وكلمه ، أخذ ينصحه حتى تعب ، فتركه .

وذاث يوم بعد وفاة سيدي إبراهيم بخمس سنوات رقد الشيخ طنتنا في مرض الموت وظل مريضاً أياماً وأياماً ، لا يستطيع الحركة ، وذاث يوم عندما رأى أنه لن ينجو من هذا المرض ، قال في نفسه ، يجب أن أعطي وووو ماله ، قبل أن أموت فيخسره ، وبدلاً من أن يحدث هذا الأفضل أن أعطيه ماله ، يفعل فيه ما يشاء ، ويبعث من يناديه .

عندما ذهب الرسول وجده في منزل الأشرار ، يعزف على الكمان ، فقال له إن الشيخ طنتنا يناديك ، فأقبل مسرعاً ، فنظر إلى الرسول نظرة ازدراء ، ووضع السيجار الذي كان في يده في فمه وأخذ يسحب الهواء ثم ينفث الدخان فيخرج من أنفه وفمه ويقول "أيها الشاب ، اذهب وقل له ، لم أضرب ابن أحد ، ولم اسب ابن أحد ، ولا أرى ما يجمعني به حتى يبعث من يناديني له بسرعة هكذا" .

قال الرسول "إنه هنا بين الحياة والموت ، الأفضل أن تذهب إليه ، ربما سيقول لك أمراً" نهره وووو ، ثم وضع السيجار في فمه مرة أخرى ، وأخذ يجذب الهواء إلى صدره ، ويقول "بالله عليك اذهب وأبعدني عن هذه المشاكل ، فليذهب ويمت ، ما هو الأمر الذي يريد أن يقوله لي ولم يقله أبي؟" .

عاد الرسول مرة أخرى ، وقال للشيخ طنتنا "إنه حاول كثيراً ، فرفض وووو الحضور ، وطلب ألا يضايقه ، وقال أن أباه الذي أنجبه ، تركه يفعل ما يشاء ، فما بالك بالآخرين .

عندما سمع الشيخ طنتنا ذلك ، قال "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، وسقطت الدموع

من عينيه ، وقال "عد مسرعا ، وقل له أن مال أبيه سيدي إبراهيم ، التي رأي أنها ليست كثيرة ، تبلغ حوالي ألفي جنيه ، دفنها في حفرة وأراها لي وحدي ، وتركها لدي أمانة أقدمها له إذا اهتدي ، ومازال حتى الآن علي حاله ، وأري أن هذا المرض لن أشفي منه لذلك اردت أن يأتي لأدله على مكان ماله ، لا أطلبه لأمر سوى ذلك ، حاول أن تسترضيه لعل الله يهديه ويأتي ، حتى لا أموت وهذه الأمانة في عنقي ، وقل له إنه يعرف مدي أهمية هذا الأمر طالما أنه متعلق بالمال لا ينبغي أن أريه لأحد ، وأقول له إذا رآه يدلّه عليه أفضل من أن أراه وجها لوجه ، لا أريد أن يدخل بيتنا أحد ، حتى لا ارتكب إثمين" ذهب الرسول مسرعا ، فوجد وووو ما زال يرفض مغادرة هذا المنزل ، فناداه خارج المنزل ، ليقول له في السر ما جاء من أجله ، فرفض الولد الخروج ، وطلب أن يدخل ويقول له ما يريد ، وإذا كانت هذه الرسالة لاتهمه ، فليعد إلى حيث أتى.

عندما سمع الرسول ذلك دخل ، ووقف أمامه ، وقال له كل ما قاله الشيخ طنتنا ، فلما سمع الولد ذلك قال "أشعر بذلك في نفسي ، كما أعرف أنني سأموت ، عرفت أن أبي ترك أكثر مما ورثت عشر مرات" ، ثم قام وأخذ يجري ، وقصد منزل الشيخ طنتنا ، ليسمع نداء الثروة ، ووصلا فوجد الرجل قد مات.

وضع وووو رأسه بين يديه أسفا ، وأخذ يبكي بكاء شديدا ، حتى كاد يجن ليس حزنا على وفاة طنتنا ولكن لأنه لم يعيش ، حتى يقول له أين وضع الثروة التي تركها ، فأخذ الناس يواسونه بالصبر ، ظن الناس في البداية أن هذه الخسارة ستجعله يخفف من انحرافات ، ولكنه سرعان ما عاد لحاله ، وصار أسوأ مما كان.

واستمر على هذه الحال وذات يوم بعد أن مضى حوالي ثلاثة أشهر من وفاة الشيخ طنتنا ، أخذ وووو آتته الموسيقية الصغيرة ، وقصد منزل اللهو والمجون ، وأشعل سيجارة ، وأخذ يسير وهو ينفث الدخان ، وقد أنزل القلنسوة حتى وصلت حاجبيه ، وسار مغترا بشبابه ، وإذا قابله الناس ينحرفون ويتركون له الطريق ، حتى لا يصطدمون به ، ويقولون "لا حول ولا قوة إلا بالله" ، ويقولون "لا بأس هذا هو حال الدنيا ثراء وفقر"

وأثناء سير وووو دخل منزل اللهو فتقابل مع شيخ عجوز غريب ، يحمل حقيته ، ويسير محنيا وكان يظن أن وووو لكونه صغيراً سينحرف ويفسح له الطريق ، ولم يعرف سوء خلقه ، فلما رأى الولد أن الرجل العجوز لم يفسح له الطريق ، سار في طريقه وصدمه ، ولم ينحرف له ، وضربه بكتفه حتى أخذ العجوز يترنح ، وكاد يسقط ولكنه اعتدل ، والتفت ونظر إلى الصبي وقال "أيها الصبي ألا تراني؟ ، تصدمني هكذا"

نفث الولد دخان سيجارة ونظر إلى الشيخ العجوز ، وقال "ماذا تريد؟، اذهب قد
جعل هذا الطريق لعامة الناس وليس للأمراء"

نظر العجوز إلى الولد ، والدموع تتساقط من عينيه وقال "وهو كذلك اذهب
سترى، لن تسب أحدا بعد ذلك"

التفت إليه الولد غاضبا ، ووضع المنديل على فمه ، وأخذ يسعل كما يفعل المثقفون
ويقول "كل نفسك، إننا لم نأكل ونشرب من أجلكم ، لن أرى إلا الخير افعل ما تشاء
واشرب من الماء القذر ، رجل عجوز قذر " ، فمضي العجوز وهو يبكي من شدة
الحزن، ولم ينتظر لشراء الطعام الذي جاء من أجله وانصرف.

الله أكبر ، لو عرفت أن الكبر والشر سيثان مكروهان، لم يمضي شهر واحد على
هذا الولد منذ لقائه بهذا الشيخ العجوز ، إلا وأصيب بالجنون ، لم يعرف الناس كيف بدأ
هذا الأمر ، وفي ضحى يوم من الأيام ، خرج من منزله عريان - اللهم احفظنا من ذلك -
يحمل فأسه على كتفه ، وسار يهذى بكل ما يخرج من فمه ، وأخذ الناس يقولون
"اللهم رده إننا نعرف أن هذا سيصيبه"

ومنذ هذا اليوم أصيب الولد بالجنون وأخذ يسير في المدينة ولا يجد مكانا ينام فيه
سوى السوق ، ومن وقت لآخر تحمل له أمه الطعام ، وإذا قابل أحدا أثناء تجوله في
المدينة يقول له "أرني أين وضع أبي لي الثروة ، فإذا قلت له أنك لا تعرف ، يظل
يضربك حتى تتخلص منه"

وكان بعض الناس إذا سألهم يأخذونه إلى مكان كثير العشب ، أو خلف منزلهم أو
مزرعتهم ويقول له "هنا دفن سيدي إبراهيم الثروة ، مائة جنيه تماما ، إذا كنت تريد
احفر هذا المكان جيدا ، وابحث جيدا ، فستجدها ، وبالله عليك إذا وجدتها أعطني
قرشا"

فيقول الولد "وهو كذلك، سأعطيك نصف قرش يكفيك" ، فيحفر المكان جيدا ،
وإذا لم يجد شيئا ينغص فأسه ، وليستقل إلى مكان آخر ، قائلا "هذا لم يعرف المكان
الذي أخفى فيه أبى الثروة ، يكذب على، لن أعطيه نصف القرش الذي وعدته به" ،
وهكذا ظل الناس يستغلونه حتى تغيب الشمس وربما ما زال حتى الآن هناك ، يبحث عن
الثروة ، الله أكبر، الكبر عمامة الفقر.

قال فصيح "أنا أحيانا أتكبر على الطيور ، لأتي ابنك ، حتى إذا تكلموا معي من بعيد ، لا أرد عليهم ، وطالما أن هذا غاية التكبر فسأتوب من اليوم.

وفي اليوم التالي عندما رأى فصيح أنه الخميس امتنع عن الذهاب إلى الوزير وطار وأخذ يتجول ، وبعد ذلك سأله الوزير ، لماذا لم يأت للقراءة؟.

قال فصيح "لأنه يوم الخميس ، ولا قراءة في يوم الخميس ، فهذا اليوم عطلة عند كل أولاد المدرسة"

قال الوزير "قلت لك ، قراءتك من نوع مختلف ، لا تعرف يوم جمعة ولا خميس، أجلس الآن لتقرأ ، التحذير رقم كم اليوم.

قال فصيح "الرابع ، الذي قلت أن الإنسان لا يحتقر أي مخلوق"

قال الوزير "وهو كذلك"

كل من يحتقر مخلوقاً يَرِ نهايته

كان يعيش أحد الأمراء في بلاد الشرق وكان له ابنة تسمى ماما ، كانت فتاة جميلة جدا ولكن الكبر والتفاخر والغباء أفسدها ، كلما جاء ابن أمير يطلبها تنظر إليه بازدراء وتقول أنها لا تريده ، وقد ضايق هذا الأمر أباه ، ها هي الفتاة قد بلغت سن الزواج ، ولكن الاستهتار منعها من أن توافق على أحد ، عندما تعب الأب جمع أبناء أمراء البلد كلهم لتختار من تريده ، وتزين ابن كل أمير بأجمل زينة ، وتجمعوا كثيرا في بلاد الشرق ، دعك من أبناء الأمير ، لقد اجتمع كل الأثرياء في قصر الأمير ، كل هؤلاء من أجل واحدة ، وهي ماما ، حتى أخذ الناس يمدحونها ، الإبرة في بحر عميق من ينالها إلا صاحب الحظ السعيد .

عندما رأى الأمير أنهم اجتمعوا ، أخرج الكراسي وأعد لها لهم وغطيت بالفرش وجلس ابن كل أمير وتاجر على واحدة منها ، ثم استدعيت ماما لتأتي ولتختار واحدا ، فخرجت تختال ، وكأنها لا تأكل كما يأكلون ، وبمجرد رؤية ماما تشعر أنك رأيت فتاة غاية في الجمال ، من كانت تحمل صفاتها كان لها الحق أن تختال بها ، ولكن اختيالها تجاوز الدين الإسلامي .

عندما وصلت أخذت تطوف حولهم وتنظر إليهم واحدا واحدا ، وتمشى ناظرة إليهم بازدراء معجبة بجمالها ، ونظرت إلى ابن الأمير الأول ، وقالت " هذا ازداد وزنه ، وصار كالقربة " ، ونظرت إلى الثاني وقالت " وهذا ليس له رقبة ، انظر عبد الله هذا ، إنه ولد جميل ولكنه قصير كأنه حمل سلة فخفته ، ولد قصير ، لو كان هذا الطويل القريب منك أعطاك شيئا من طوله لصرت فتى غاية في الجمال " ، ثم التفتت إلى آخر جالسا وقالت " وأنت ألا تضحك ، وتقلب شفتيك ، كأنك جمل ؟ " ، لا أطيل عليك ، لم تجد ماما من تختاره ، وبدلا من أن تركهم ينصرفون دون إساءة أخذت تتبعهم بالكلام السيئ واحدا واحدا ، ولما انتهت من طوافها نظرت إليهم جميعا ، وبصقت وقالت ، إذا كان الرجال قباح المنظر هكذا ، لن أتزوج حتى أموت "

وانصرف أبناء الأمراء ، كل يعرض نواجذه ، هل جمعتهم لتسخر منهم ، وكاد أمير بلاد الشرق يقتل نفسه من الحجل ، ونادي ماما ولامها .

قالت ماما " يا أبتى اغفر لي ، طالما أنك قلت أتزوج ، فسأتزوج ، ولكن لم أجد من أحبه في هذه الدنيا لجماله والأفضل أن أجرب حكمتهم ، ومن وجدته يفوق الآخرين سأتزوجه ، مهما كان "

قال الأمير " أية حكمة ستجربينها ، هذا الكلام الفارغ؟ ، وأية حكمة لديك أنت ، حتى تجربي آخرين؟ "

قالت ماما " انتظر وسترى ، يا أبتى ، السؤال الذي سأسأله كل من يجب عنه سأتزوجه "

قال الأمير " أي سؤال ستسألين؟ قولي لنسمع غباءك؟ "

قالت ماما " سأسألهم ، أين الفصل الجاف أثناء العام ، وأين يكون الفصل المطير؟ "

نهرها الأمير ، وقطب جبينه ، وقال " ماذا تقصدين بهذا الغباء؟ "

قالت ماما " ألم تفهم إذا جاء الفصل الجاف ، أين يذهب الفصل المطير ويتنظر قبل أن يمضي؟ ، وإذا جاء الفصل المطير أين يذهب فصل الجفاف ليتنظر حتي يمضي وقته؟ لأننا لا نري الفصل الجاف والمطير يأتيان معا ، أين يذهب الأول ويتنظر الآخر؟ "

غضب الأمير عندما سمع هذا السؤال الغبي ، ونظر إليها ، وقال لها عبارات " يذهبون إلى بيتكم أيتها الفاسدة "

انحنى ماما ، وسألت أباهما المغفرة ، ولعلك تعرف البنت وأباهما ، غفر لها في الحال ، وطلبت من الأمير أن يكتب هذا السؤال ، ليبعث به إلى كل البلاد شرقا وغربا ، جنوبا وشمالا ، لعله يوجد من يجيب عنه ، فيتزوج ماما ، ويطمئن قلب أبيها "

كان من بين أبناء هؤلاء الأمراء الذين أخجلتهم ماما أمير قصير ، الذي قالت له كأنه خسف بالسلة ، كان أكثرهم غضبا مما قالت ، منذ أن ذهب إلى المنزل وهو يفكر فيما يفعله مع هذه الفتاة ، ليتقم منها ، ولم يجد وسيلة ، وهو في هذه الحال سمع عن هذا السؤال ، وسمع خبرا يقول أنه يوجد عفريت ، ولكنه رأس فقط بلا جسم في إحدى الغابات البعيدة ، فعزم ابن هذا الأمير على أن يذهب إلى هذه الغابة التي فيها هذا

العفريت ، ومرت الأيام حتى شاء الله أن يصل إليه ، فلما وصل إلى الجبل ألقى السلام ،
فرأى رأسا كبيرا يتدحرج من الكهف ونظر إلى ابن الأمير وقال " حظ سعيد ، اليوم هبط
علينا طائر مشوي من السماء "

انحنى ابن الأمير ليحيى الرأس ، فقالت له الرأس " أنا خادم العفريت أمير الرؤوس ،
ولست الأمير ، دعني أذهب إليه وأقول له أن شخصا يستأذن " ، وتدحرج ودخل ،
ومضت فترة ولم يرد ، ثم خرج وقال " لقد سمح أن تدخل "

قال ابن الأمير في نفسه " اليوم أتيت بنفسي إلى الهلاك ، ولا مفر من ذلك وأعرف
حال العفريت ، وأن فرارى لن يتقذني ، ثم انحنى وزحف ، ودخل فوجد الأمير على
كرسى ، والرؤوس مبعثرة حوله ، فركع وحياها .

قالت باقي الرؤوس " قرنجو أمير الرؤوس يحييك "

ثم تدحرجت رأس ذات أسنان بارزة ، ورفع عينيه إلى أعلى ، ونظر إلى الأمير
وقال " قرنجو أنجو أمير الانتصار ، لا تنس أنى أريد العيون "

قال الأمير " أنت تطلب العيون ، وأنا الأمير ماذا أكل ، من يشرب ماء عين الإنسان
يأكل الذئب "

فأخذت بطن ابن الأمير تمفص ، فانحنى وقال للأمير " أبتى أمير الانتصار ، إذا
كنت ستقتلني ، دعني أقول لك ما أتى بي إلى هنا "

قال أحد أفراد الحاشية يتحى جانبا " قل بسرعة لنسمع ، إن رؤيتك أثارت شهوتنا
جميعا إلى الأكل ، وصار لعابنا يتساقط من أفواهنا "

قال ابن الأمير قصة ماما كلها للعفريت ، وقال " كل ما دفعنى إلى أن أضحي
بنفسي وأتى إليك ، هو أنني أرى أنها لا تناسب أحدا سواك "

قال الأمير " ماذا سأفعل بها ، أنا الآن عندى سبعون امرأة ، وكان عندى بالأمس
عروسة أكملت السبعين "

قال ابن الأمير " ومع ذلك ، قرنجو أمير الانتصار ، كل واحدة لها يومها ، ترى
الآن كل الأعمال التى تعملونها ، تعملونها بأفواهكم ، وما أنت قد وصلت حيث يصل
كل أمير ، ولكن لا أظن أن عندك ما تركبه ، ترى أنك لو تزوجتها ، حيثما تريد

الذهاب، تحملك فى سلة على رأسها ، فتستريح من الشمس ، والتدحرج فوق الأشواك " .

قال الأمير " نعم ، صدقت ، ولكن ما يفسد الأمر ، الوصول إلى إجابة هذا السؤال الصعب ، ولكن دعنى أنادى جدى ، لنسمع لعل الشيوخ يعرفون " ، ونادى رأسا وطلب منه أن يذهب مسرعا ويناديه ، ونظر الأمير إلى باقى الرؤوس وقال " إذا كنت ستتناول هذه الفتاة ، بلغت المراد ، رغم أنها لا تأكل رؤوس الناس ، ولكنها تأكل ما يأكلونه من طعام ، وتصنع لنا الطعام الذى نأكله . "

قالت الرؤوس الأخرى " ستكون الحياة حلوة ، ولكن الأمر الصعب هو معرفة الإجابة عن السؤال الذى تسأله: أين يكون فصل الجفاف والمطر طول العام " .

وأثناء جلوسهم يتحدثون إذ برأس تدخل شديدة البياض ، ذات شعر رمادى ، ولحية وعارضين ، ووجه كله مجعد ، ويمجرد وصوله أفسحت الرؤوس له الطريق ، ونزل الأمير من فوق الكرسي ، وصعده هذا العجوز ، إنه جدهم ، ونظرت إليه كل الرؤوس ، وقالت " كيف أصبحت ؟ "

قال العجوز " صحة تامة " .

وقام ابن الأمير واقفا وانحنى ، وحيا جد الأمير ، فرد عليه بلسان عذب ، وقال الأمير كل القصة التى جاء من أجلها ، تعجب الرجل العجوز وقال " كل من أجاب الفتاة عن هذا السؤال يعتبر حكيما حقا " ، ونظر العجوز إلى باقى الرؤوس وقال " انتظرونا حتى نجتمع ، وأقول له الإجابة عن السؤال سرا ، حتى لا يذهب أحد ويسبقنا ويجب عن السؤال " ، قامت الرؤوس الأخرى كلها مع ابن الأمير ، ونظر العجوز إلى حفيده ، وقال " شجرة الجاوو ، هى الإجابة عن سؤال هذه الفتاة . "

قال الأمير " شجرة الجاوو ، أهكذا تكون الإجابة عن هذا السؤال ؟ "

قال الجدد " ألم تفهم ، الصغير دائما صغير ، فى الفصل المطير عندما تورق كل الأشجار وتكبر ، عندئذ شجرة الجاوو تجف ، الذى يجعلها تجف ، لأن الجفاف يغطيها ، ينتظر انتهاء الفصل المطير ، حتى ينزل هو الآخر ، وفى فصل الجفاف عندما تجف الأشجار لعدم وجود الببل ، فى هذا الوقت تورق شجرة الجاوو ، بسبب الببل الذى يصيبها فى فصل الأمطار ، وتنتظر نهاية فصل الجفاف لتترك ، وهى التى تجعله يورق " .

قال الأمير " نعم ، إن هذا السؤال لا يستطيع الإجابة عنه إلا مثلك ، وسأذهب غدا في الصباح ، وسأذهب وحدي "

وقال له الجد الحيلة التي سيفعلها ، وكل الأشياء الأخرى التي سيفعلها قبل الإجابة عن السؤال ، ولما انتهوا من الاتفاق ، نادوا ابن الأمير ، وقالوا " غدا يأخذ الرأس ، ويختصر له الطريق ، ويحتويه ويوصله إلى مدينة الفتاة ، ويضعه على باب المدينة "

قال ابن الأمير " وهو كذلك ، يحيينا الله إلى الغد "

قال الأمير " آمين " ، وتدحرج حتى وصل إلى جحر ، وأخذ يخرج قمصانا وأقمشة بفمه ويقدمها لابن الأمير ، وأخذ حقيبة واحدة مملوءة بالمال وقدمها إليه ، ثم طلب منه أن يأتي كلما احتاج لأية مساعدة سيأتي إلى هنا ويستأذن ، يجد ما يريد ، ولا يخاف منهم أحد فقد صار أخا لهم .

قال فصيح " لدى سؤال يا أبتى ، هل تسمح لى أن أسأل ؟ "

قال الوزير " اسأل ، السائل لا يفضل أبدا "

قال فصيح " لقد قلت أنهم بلا أيدي ، ولا أرجل ، كيف جمعوا هذا المتاع ؟ "

قال الوزير " لك حق أن تسأل هذا السؤال ، إنهم يسرقون ، إذا اجتمعوا على تاجر واحد ، واحد يعرض عرقوبه والبعض الآخر يقفز ويمسك أنفه ويلتصقون به ، والبعض يمسك البطن ، والبعض يغرس أسنانه ويمتص عينيه ، والبعض يقفز إلى أعلى وينطحه ، وهكذا حتى يموت ، فيجمعون المتاع ، ويأخذونه بأسنانهم ، كما تأخذ النملة الخشرة ، ويجرونه إلى المنزل ويأكلونه .

قال فصيح " ألا يقتلهم التجار ؟ "

قال الوزير " تعودوا على الصعاب ، حتى لو ضربتهم بعضا غليظة ، لا يشعرون ، بسبب التعود ، والعلاج الذي يتناولونه ضد العصي ، والحديد ، كل هذا تعودوا عليه ، ومهما كان طول الإنسان لا يتجاوز قدرتهم على القفز ونطحه ، لأنهم إذا وقعوا على الأرض ، وقفزوا لا يشعرون بالألم ، ولا يتأثرون بالشوك ولا حرارة الشمس ، ولا يهتمون بها . وأنت تعرف أنهم ليسوا آدميين ، إنهم عفاريت ، ولا يبالون بكل ما يصيب الإنسان من مضايقات "

تعجب فصيح وقال " ها أنت تقول أنه ليس لهم جسم ، وقلت أنهم لا يأكلون الطعام ، ألا يتبرزون ، ولا يتبولون ؟ "

صمت الوزير ، وأخذ يفكر فى الإجابة عن هذا السؤال ، وبعد قليل قال " اسكت واستمع لما أقوله لك الآن ، عندما تكبر أين لك كل ما تسأل عنه الآن . "

قال فصيح " وهو كذلك " ، استمر الوزير قائلاً : قدم لابن الأمير حصيرة ، فنام ، وعندما طلع النهار ، أخذ الرأس وقصد به مدينة الشرق ، ومرت الأيام ، ولم يدع لأحد فرصة أن يطلع على ما يحمل ، حتى وصلوا بالقرب من مدينة الشرق ، ووضعوه ، وقال " ها هى المدينة " ، واستأذنا ، وعاد ابن الأمير إلى مدينتهم .

لقد تفرقا عن بعضهما عند الفجر ، لأنهما لا يسيران إلا بالليل ، وبدأ الرأس يتدحرج ، وقصد المدينة ، والتفت خلفه فرأى امرأة عجوزاً قادمة ، وكانت العجوز مسرعة لتصل إلى المدينة مبكرة ، ولم تتبه إلا وهى تصطدم برأس ، فلما اصطدمت بها قالت " يا شيخ ابن فوديو " ، ونظرت لترى ما تعثرت فيه ، وفجأة رأت رأساً بلا جسد ، فتراجعت إلى الوراء من شدة الخوف ، وانحرفت لتمضى فسمعت الرأس تقول " خذيني واحمليني إلى منزلك "

فلما شعرت العجوز بذلك قالت " هل أنا مجنونة ، من الذى يأخذ رأساً مقطوعة بلا جسد ، هكذا ويحملها إلى منزله " ، وقصدت المنزل وهى تجرى ، وهى لم تعرف أن هذه الرأس تتبعها ، تتدحرج وتقفز ، فلما وصلت قالت لحفيديها اللذين تركتهما " ألا تعلمون ، اليوم نجوت بحياتى ، عندما وصلت إلى ساحة الطويلة ، إذا برأس بلا جسد تطلب منى أن أحملها إلى منزلى "

وهنا قالت الرأس " كيف لحجوت ؟ ، حتى الآن لم نفرق عن بعضنا ، لقد اطمأنت أنى لن أضرك ، ولكن إذا ظننت أنك ستفرين منى ، لو خالفت ما أقوله ، فكل ما أفعله معك ستكونين السبب ، وطلب منها أن تحضر حصيرة بالقرب من النار ، لأن الجو كان بارداً فى هذا الوقت .

وأخذوا ينظرون إلى الرأس أثناء جلوسهم ، ويسبونونها فى سرهم ، وكانت المرأة العجوز تعد العرض لتحمله إلى السوق ، فإذا باعته تشتري طعاماً ، ولكن هذه الرأس

منعتها اليوم من الذهاب ، لذلك أخذوا يتضورون جوعا حتى الظهر ، فلا يوجد أى طعام بالمنزل ، إلا بعض الفواكه ، والثمار فأخذ الأولاد يأكلونها ، فلما رأت الرأس قدوم المغرب ، وليس فى نية ربة البيت أن تعد طعاما ، فقال العجوز " يا جدتي ، أنتم هنا ألا تأكلون طعاما ؟ ، منذ جئت إلى هذا المنزل لم أر أحدا منكم يضع شيئا من الطعام فى فمه "

قالت العجوز " هل توجد فرصة نضع شيئا فى فمنا ؟ "

قالت الرأس " لماذا ؟ "

قالت العجوز " لأنه ليس لدينا مليم واحد نشترى به "

قالت الرأس " هل هذه هى عادتكم دائما ، لا تأكلون الطعام ؟ "

قالت العجوز " لا ، كل يوم أحمل الدخن إلى السوق وأبيعه لأشترى طعاما ، وها أنت اليوم منعتنى من الذهاب إلى السوق ، وليس علينا إلا الصبر . "

قالت الرأس " معنى هذا أنكم تلعنوننى اليوم لأننى سبب فى الجوع الذى تشعرون به ؟ "

قالت العجوز " لا أخفى عليك ، والله أنت السبب "

قالت الرأس " إذا كان على الأكل ، جففوا دموعكم ، واستريحوا من مشاكل البحث عن الطعام ، لقد قالوا قديما : معرفة الرجال ثروة ، انتهى لما سأقوله لك ، إذا انتصف الليل ، قومى واقصدى القنطرة حيث التقيت بك ، ولا تخافى شيئا ، ونادى بصوت مرتفع وقولى " زريقان " ثلاث مرات ، ستجدين أحد الجن قد خرج ، فقولى له أن سيدك الأمير قرنجو يقول لك أن تفتح الخزانة الصغيرة ، ويعطيك حقيبة المال الزرقاء والتى فيها ، "

قالت العجوز " وهو كذلك " ، انتصف الليل ، فقامت وقصدت القنطرة ، ووقفت وقالت " زريقان ، زريقان ، زريقان " ، وإذا بأحد الجن يخرج ، ولكن فى صفة الإنسان ، وقال " من ؟ "

قالت العجوز وهى ترتعش خوفا ، " سيدك الأمير يقول لك افتح الخزانة الصغيرة ، وأعطني حقيبة المال الصغيرة ، التى فيها لأوصلها له "

ركع الجن وقال " أطال الله حياة الأمير " ، ونظر إلى العجوز وقال " انتظرينى حتى "

أخرج " ، ثم رأت الأرض تنشق ، وغطس ، وبعد قليل خرج بالحقيبة ، وسلمها لهما فأخذتها وهي مسرورة ، وأحضرتها إليها ، وركعت وقالت " هاهى " .

قالت الرأس " اتركي الركوع لى ، إنك كوالدتى ، خذوها ، وهبتها لكم ، ولكن إذا صنعتهم طعاما ، دائما تذكرونى ولا تقولوا أن مثلك لا يستطيع الأكل " .

أخذت العجوز المال ، ورقصوا فرحا ، وفى الحال طلع النهار ، اشترت نوعا من القماش ، وأحضرتة لحفيداتها ، واشترت حليا حديثة ، وأعطتها لحفيدتها ، واشترت لنفسها نوعا من القماش للكبار ، وأمرت بهدم سور المنزل ، وبنى آخر جديد ، وهدمت الحجرات ، وصنع لها قش جديد ، وطلّى جيدا ، وجمعوا أواني الطهى القديمة ورموها وابتسمت فى وجوههم الحياة ، وقال الناس الذين لا يعرفون ما فى الأمر ، لابد أن يبيع التوابل اكسبهم مالا كثيرا " .

إن من لا يعرف قيمة الشيء ، لا يحافظ عليه ، فأخذوا يسرفون ، ولم يتنبهوا إلا بعد أن فقد المال كله ، ولم يتبق معهم شئ وصاروا مفلسين .

عندما رأت الرأس أنهم عادوا يشربون الخساء بلا لحم ، وتركوا الشربة باللحم ، ولاحظت أن العجوز لم تعد فرحة كما كانت من قبل ، فقال " يا أمى لعل المال قد نفد " .

قالت العجوز " انتهت من مدة ، يابنى ، حال التصارى لا بركة فيه " .

قالت الرأس " وهو كذلك لماذا لم تقولى ؟ ، عودى اليوم فى الليل ، ولكن إذا ذهبت ، لا تنادى على زريقان ، لأنه غير موجود ، نادى على دندمو ، وقولى له كما قلت لزريقان ، ولكن اليوم سيعطيك الحقيبة الحمراء ، وليست الزرقاء " .

قالت العجوز " وهو كذلك " ، وانصاف الليل ، فقامت وقصدت القنطرة ، ووقفت حيث وقفت المرة السابقة ، وقالت " دندمو ، دندمو ، دندمو " .

خرج الجن ، فقالت له ، فانحنى وقال " قرنجو أمير الانتصار ، الكبير " ، وذهب وأخذه ، وأعطها لها ، وأحضرتها إلى الرأس ، وأمر أن يذهبوا لينفقوها .

قالت العجوز فى سرها " إن هذا المال لا ينوى أن ينتهى ، هيا نعمل حائطا بالسلح ، قبل أن ينتهى بلا فائدة ، وفى الحال بنى لها حائط بالسلح ، وصب له السقف ، وتركت حائط القش .

و ذات يوم كانت تجلس ، فقال لها الرأس " يا أمى ، اليوم تذهين إلى المدينة ،
وتسألين عن أمير مدينة الشرق ، أريد أن أتزوج ابته .

دقت العجوز على صدرها وقالت " ماذا ؟ ، بالله عليك كف عن هذا الكلام ، لا
تجعل الأمير يقتلني فى الحال ، ها أنت رأس يلا جسد ، تأتى وتقول أنك تريد الزواج من
ابنة الأمير ؟ ، وإلى أين تأخذها ، إن لم يكن هذا جلباً للمشاكل ؟ .

قالت الرأس " تتذكرين منذ البداية قلت لك ، إذا كنت تريدان أن نعيش فى سلام ،
فلا تجادلينى فيما أقول ؟ ، قومى واذهبي ، بالتى هى أحسن "

تزينت العجوز ، وخرجت وهى تقول " اليوم وقعت فى مشكلة ، فأمامى ثمر
وخلفى ذئب "

وصلت إلى الحاشية ، وطلبت أن ترى الأمير ، فأوصلوها ، فقالت له ما كلفتها به
الرأس ، ولكن لم تكشف عن صفته ، نهرها الأمير ، وقال رجال الحاشية ، " هل أنت
مجنونة ؟ ، طالما أن ماما قالت أنها لن تتزوج إلا من يجيب عن سؤالها ، تقومين
بشيخوختك ، وتقولين أنك تطليينها للزواج بابنك ؟ "

قالت العجوز " نصر ك الله ، الذى يخطب ابتك هذه ليس ممن يقهرونه فى هذه
الحياة الدنيا "

قال رجال الحاشية " وهو كذلك ، بماذا تباهين ؟ ، ألا تعرفين السؤال الذى طلبت
ماما الإجابة عنه ؟ ، فليات ويجيب عن سؤال لنسمعه "

قالت العجوز " وهو كذلك " ، وخرجت ، وقالت الرأس ما قاله الأمير ، وقالت لقد
سبق إن قلت لك أن هذه الفتاة لن تتزوج ، قبل أن تصل حارل كثير من الناس من لهم
أجساد ولكنهم فشلوا ، فقالت أنهم غير مناسبين ، بعضهم قال أن فصل المطر والجفاف
يعيشان معا ، لا يذهب أحدهما فى أى مكان ، يقولون أنه عندما تمطر يكون هنا الفصل
المطير ، وإذا انقطع يكون الفصل الجاف ، فقالت: كل هذا غير صحيح ، وقد وعد الأمير
أن من يحاول ويقشل ، يسجن ، أو يدفع غرامة مائة جنيه ، ها نحن نعيش حياتنا فى
سلام ، لا ينقصنا شئ ، ستجلب لنفسك المصائب ، حتى يمسننا هذا البلاء ، وها قد
سمح لك أن تذهب وتكلم ، ولا فرصة لذلك ، وأخجلتنى ، وأخجلت نفسك ، إنها
لا تريد مالا ، فلا تحتاج أن تربها للمال ، إنها تبحث عن الذكاء ، وهذا هبة من الله .

انفجرت الرأس فى الضحك وقالت " لا تفضى يا أمى ، إن شاء الله لن أخجلك ، غدا فى الظهر عندما يجتمع رجال الحاشية ، حيثئذ إذهبى وقولى أن ابنك أرسلك واجمعى الناس شهودا ، وعندما تخرج ماما ، قولى لها ، كل من يجب عن سؤالك ستزوجه ، مهما كان قبح منظره ؟ ، وكررى السؤال ثلاث مرات ، فإذا سمعتها تقول " نعم " ، فقولى ابنك يقول أن أقول لك شجرة الجاو ، واسمعى ماذا ستقول "

نظرت العجوز إلى الرأس وقالت " ماهى شجرة الجاو؟ ، ألا تتعب من الكلام الفارغ ، رجل لا يعقل ، أتعرف أمر الحاشية ؟ ، إن أمراءنا ليسوا كأمرائكم من الجن " قالت الرأس " يا أمى ، للمرة الثانية أقول لك ، لا تجادلينى أكثر من ذلك ، ولا تجعلينى أحذرك التحذير الثالث يعد ذلك ، ما شأنك بما سيصينى ؟ "

قامت العجوز فى هدوء ، وذهبت إلى الحاشية ، وعملت كل ما قالت لها الرأس أن تفعله ، بمجرد أن سمعت ماما الإجابة عن سؤالها ، هبت قائمة ، وعانقت العجوز ونظرت إلى أبيها وقالت " يا أبتي ، وجدت الرجل الذى أتزوجه ، مارالت فى الدنيا بقية من الحكماء . "

طلب الأمير شرحا لهذه الإجابة ، قالت له ماما الإجابة كاملة ، وكما قالت من قبل ، الرأس العجوز لهذا الحفيد قرنجو .

تعجب الأمير ورجاله كيف وصلت هذه الفتاة لهذا السؤال ، وكيف وصل ابن هذه المرأة العجوز إلى الإجابة عنه ، وأخذوا يقولون " نريد أن نرى هذا الولد ، هل هو قصير ؟ "

قالت العجوز " اسكتي "

قال الأمير " وهو كذلك ، قولى له أننى وافقت ، وعليه أن يأتى بلوازم الخطبة غدا ، وإذا كانت لديه فرصة نعقد مرة واحدة ، ونضع الحناء ونزفها ، ونستريح من كلام الناس "

قالت العجوز " هذا أمر سهل بالنسبة له ، كم مائة تكفى لهذا كله ، لأرسله مرة واحدة وأرتاح من هذا التردد ؟ "

قال الأمير " هل يستطيع أن يدفع خمسمائة جنيه صداقاً ؟ ، ثم يتظرها وليس مطلوبا منه شئ بعد ذلك ؟ "

قالت العجور " إن خمسمائة جنيه مثل خمسمائة قرش لديه ، غدا آتيك بها " وهمت بالقيام ،

قال الأمير " متى تكون لديه فرصة ليأتى لنراه ؟ "

قالت العجور " هذا أمر صعب ، لا بد أن أشاوره فى الأمر ، لأن الملك الذى لديه لا يطأه أحد بقدمه ولكن آخذه إلى حيث يريد ، ولكن إذا انتهى العرس ألح عليه أن يأتى . "

قال الأمير " إنهم الحكام ، أحسنت إذ فعلت ذلك ، ويلغيه نحياتنا ، حتى نلتقى " ، ودعت المرأة العجور الأمير ، وذهبت ، وحملت البشرى للرأس بكل ما حدث ، فسر سرورا بالغاً .

وعندما انتصف الليل ، طلبت الرأس أن تذهب إلى القنطرة ، وتنادى اسم دكدك ثلاث مرات ، فإذا خرج تقول له ، يبحث فى المخزن الصغير ، ويأخذ ستمائة جنيه ، بيضاء ويأتى بها معه ، لأنها لا تستطيع أن تحملها وحدها فقط .

ذهبت العجور وفعلت كل ما قاله لها ، وفى الحال أعطاها الجنى ستمائة جنيه ، فى اليد ، وركع أمام الرأس حياء ، وقدمها وعاد .

وعندما طلع النهار ، أعطى الرأس للعجور خمسمائة جنيه ، لتوصلها إلى الأمير ، ومائه طلب منها أن تحفظها لديها ، ربما يحدث أمر عاجل فقامت بتوصيله بسرعة .

عندما فتح الأمير عينيه ، ورأى المال كله نقداً ، نظـر إلى الفتاة وقال « يا ماما ، لقد كنا نغضب معك عمداً : عندما كنت ترفضين السرعة فى اختيار الزوج ، لقد صدق الناس عندما قالوا ، فى السرعة التأخر ، على الرغم من أننا لم نر الزوج ، ولكن أنت سعيدة »

قال الوزير " أترى أننا أسرعنا عبثاً ، إنهم يقولون أن الذهب المبكر أفضل من المال "

قال الأمير " يجب أن نسكت ، لقد وفقت ماما ، ووافقت ، نسأل الله أن يوفق أخواتها الصغيرات هكذا "

قال رئيس الحاشية " آمين ، ولكن وجود فتاة سعيدة الحظ مثل ماما شئ قليل "

إن ماما تبحث عن اللذة ، وستزوج ثريا ، وقالت للأم " لقد سبق أن قلت لكم لم أتمهل فى اختيار الزوج عبثاً ، إنني أعرف ما اشترط فيه ، أبناء أمراء هذا البلد ، ليس

لديهم سوى التكبر الكاذب ، وعند عقد الزواج سألوا العجوز عن اسم الزوج وأبيه ، فلم تعرف ، ولكن حتى لا يضحكونا عليها ، ويقولوا أنها لا تعرف اسم ابنها ، فاخترعت اسما وقالت اسمه ناكروا ، واسم أبيه أبو الرؤوس ، فتعجبوا من هذين الاسمين ، لأنهم لم يتعودوا على مثل هذه الأسماء ، ولكنها تشبه الأسماء العربية ، ولم يهتم الأمير ، وفي الحال أمر بجمع الناس ، وأعلنت الخطبة وعقد القران معا .

قال الأمير للعجوز " عليك أن تذهبي وتخبري العريس أننا نريد أن نراه "

ذهبت العجوز وأخبرت الرأس ، أن كل شيء قد تم ، ولكن الأمير يريد أن يراه ، وقالت " وهنا سيفسد الأمر ، إذا رأوك "

قالت الرأس " لا بأس ، ضعيني في إناء ، واحمليني "

وضعت العجوز في الطاسة ، أخذتها ووضعتها ، أمام الأمير وجسمها يرتعش ، وقالت " نصرك الله ، هاهو ابني "

تراجع الأمير بالكرسي إلى الورا ، وتراجع كل أفراد الحاشية إلى الورا وقال الأمير " ما هذا الذي أراه ؟ ، لن أزوج ابنتي ماما لهذا العفريت أبدا ، نادوا ماما ، لترى ما جلب علينا طمعها "

وعندما خرجت الفتاة ورأت الرأس ، قالت لن تتزوجه أبدا

قال الرأس " ، لقد تم زواجنا ، وطلبتني أن أجيب عن سؤالك وقد أجبت عنه " ، فماذا بقي ؟ ، وقد تم عقد القران "

استدعى رجال الحاشية الأمير واتخذوا جانبا ، وقالوا " نصرك الله ، لم يبق شيء إلا الدخلة ، إذا رفضنا تزويجه ، سنهلك جميعا ، لأنه من الجن ، ولكن طالما أنه يحبها ، فلن يضرها . "

عجز الأمير والفتاة عما يفعلانه ، فتم الفرح في بكاء ، لا طبل ولا رغايد ، وعندما تم كل شيء قالوا للعجوز قريية الزوج أن تأتي ، لتأخذ العروسة ، قالت العجوز للرأس ، فأرسل للجن فجمعوا حوالي مائة رأس من الكهف ، وجاءوا إلى بيت العجوز وهم يتدحرجون ، منهم ذو اللحية ومنهم الجرودي ، ومنهم الجميل والقبيح ، حتى قصر الأمير ، وامتلا بهم باب القصر تماما .

لا يمكن وصف مقدار حزن الأمير ووالدى الفتاة ، ووضعت على جمل ، وذهبوا
بها ، وذهبت الرؤوس تقفز ، وترقص وتقول '
قرننجو أمير الرؤوس ** ابن زلزلو من يعلو عليك ؟
الكبير ذو السلطة على الرؤوس ** الانتصار سيأتى إليك
من يحتقر كل الناس ، ير نهايته ' .
قال فصيح " هذه القصة عجيبة جدا ، وسمح له الوزير بالانصراف .
وفى اليوم التالى عندما طلع النهار ، الجمعة ، انتظر فصيح ، حتى يذهب الجميع
إلى الصلاة ، فجاء إلى الوزير ، وبدأ يذكر له التحذير الخامس .

ما تستهين به من قذى يطرف عينيك

ذات يوم حمل أحد الوثنيين ثورة ، وساقه أمامه وذهب به إلى السوق ، حيث تباع السلعة بسعر مرتفع ، فإذا وصل بحمولة ثورة إلى السوق باعها إما بثلاثين شلنا أو خمسة وثلاثين شلنا .

وذات يوم كان يسير بثوره محملا ، فرآه أحد القضاة ، جاءوا لشراء بعض الأبقار ولكن منذ الصباح لم يروا ثورا واحدا ، فلما رأوه قادما من بعيد قال أحدهما لأخيه ، ' هل هذا القادم بثور هوساوى ؟ أم ماذا ؟ '

ونظروا ، فقال أحدهم ' كيف؟ ، هو هوساوى ، ألا تعرفون الوثنى ، انظروا إلى نوع بضاعته ، ومع ذلك فإنه يتكلم بطلاقة مثل الكنوى '

وهنا قال أحدهم وكان يسمى أنونو ' ويحك أى ذكاء لدى هذا الوثنى ؟ ، إننا نجاملهم فقط ' .

قال أحدهم ' إذا كان على الذكاء فهم أذكىاء ، ألم تسمع أن أحدهم أنجب طفلا ذات يوم فمات وأنجب آخر فمات ، وثالثاً فمات ، فقابل أحد الهوساوين وقال له ' حدث لى كذا وكذا ، وأسألك وأرجو أن تقول لى الحقيقة ، هل من يميت الناس هكذا عنده أولاد ؟ '

قال الهوساوى ' الله أكبر من ذلك ، لم يلد ولم يولد '

قال الوثنى ' ليس له أحد ؟ '

قال الهوساوى ' ليس له ابن وليس له حفيد ، سلطته لا تحتاج وزيرا ، ولا وكيلًا وكل ما عنده عبيد فقط ، ونحن جميعا عبيده '

قال الوثنى ، ' وهو كذلك ، فى كل هؤلاء العبيد ، من الذى يحبه أكثر ؟ '

قال الهوساوى ' نحن جميعا لا نعرف من يحبه أكثر ، لأنه لا مثيل له ، يفعل ما يريد ، لا يسأله أحد ، إذا رأى أمرا ، يعز الفقير ويذل الأمير ، وإذا شاء أذل

الثرى ورفع الفقير ، ولكن من غبائنا نقول أنه يحب العلماء أكثر ، لأننا نراهم يعبدونه أكثر منا .

قال الوثنى " فقط ، إننى أبحث عن أمثالهم ، ماذا أفعل لأرى أحد هؤلاء العلماء ، إذا ذهبت إلى المدينة ؟ "

قال الهوساوى " إذا دخلت المدينة ووجدت شخصا بعمامة يجلس ويحيط به الأولاد ويتكلمون كلاما ولا تفهم ما يقولون ، هذا الرجل هو العالم "

قال الوثنى " الحمد لله ، هذا الرجل انتهى عمره " ، ثم ذهب إلى المنزل وأخذ القوس والحراب ، وقصد المدينة ، فلما دخل من بوابة المدينة وجد عالما ، والأولاد يحيطون به ، يعلمهم القراءة ، فلم يقل له الوثنى شيئا ، وصوب عليه الحربة وهم بإطلاقها .

هب العالم قائما ، وقال " انتظر ، انتظر ، ماذا دهاك ؟ "

قال الوثنى " أين هى السلامة ؟ " ، وقص كل ما حدث للعالم ، وقال " هذا هو السبب الذى أبحث من أجله على عبد من عباد الله ، لأقتله وأنتقم ؟ "

فلما سمع العالم ذلك ، قال " الله أكبر ، إذا فعلت ذلك تكون قد أذنبت بقتلى وقد حررتنى الله من قبل (يقول فى سره) من دخول النار ، طالما أن قلبى ممن يحبون النبى " .

لم يسمع الوثنى كل ما قاله العالم ، فقام وقال " حظك سعيد ، لو لم تقل أنه حررك ، لطعنتك الآن " ، ووضع السهم فى الجراب ، وعاد إلى المنزل .

قال أنونو " أمن أجل هذه القصة تقول أن الوثنيين أذكىاء ؟ ، لا أرى فى هذه القصة إلا الغباء ، ماذا فعل هذا الوثنى ؟ ، دعك من هذا الكلام لترى ما سيفعله أبناء المدينة ، بمجرد وصول الوثنى ، قال له أنونو " كل هذا الثور بكم تبيعه لى ؟ ، مع أن الجوع متفشيا ، ومع ذلك ، فثمن البقر بخس ، لأن مرض البقر منتشر .

رأى الوثنى أنهم جاءوا ليتسوقوا ، وظن أنه سيبيع لهم بسعر مرتفع ، ثم يذهب ويشتري ثورا آخر ، فرد قائلا " كم ستدفع ؟ ، كل ما عندنا للبيع . "

قال أنونو " أريد أن أشتري كله ، لا أريد أن تنقص منه شيئا "

لم يفهم الوثني ماذا يعنى ، وقال " طبعا كله للبيع ، هل بيع الثور مرة ، واستثنى شئ منه ؟ "

وكان يظن فى هذا الوقت أن ثمن الثور لا يتجاوز ثلاثة عشر شلنات إذا اشتدت الحاجة إليه ، فسمع أنونو يقول " هل توافق بخمسة عشرة شلنا ؟ "

قال الوثنى " لا أوافق "

قال أنونو " بعت لك على أن يدفع المشتري الهبة "

قال الوثنى " لا أوافق "

قال أنونو " أظن أنه للبيع مهما كان ؟ "

قال الوثنى ، " حتى القرن " كأنه يقول حكمة ،

قال أنونو " وهو كذلك ، اشتريت بثمانية عشر خالية من الهبة "

قال الوثنى " لم تصل إلى الثمن الذى أريده ، وإذا قبلت تكون الهبة خارج هذا الثمن .

قال أنونو " لماذا تمدح نفسك ، اشتريت بالمبلغ الذى ذكرته ، ثمانية عشر خالية من الهبة . "

قال الوثنى " موافق " ، وفرح بأنه حقق ربحا ، وأخذ أنونو جنيها وأعطى الوثنى ثمانية عشر شلنا ، وأعطى أخاه شلنين هبة ، وقال الوثنى ، وهو كذلك " ، هيا نذهب إلى الوردان ، لآنزل الحبوب ، وأسلمك الثور "

قال أنونو " أى حبوب لك ؟ ، لقد قلت أننى اشتريت الثور كله ، لا يؤخذ منه شئ ، وقلت أنك بعت لى ، ماذا لك فيه ؟ "

قال الوثنى " لا ، بعت لك الثور فقط ، ولم أعرف أنك تقصد الثور وما فوقه ، ها هو مالك ، كيف أوافق ، إن حبوبى التى فوقه تزيد عن ثلاثين شلنا "

قال أنونو " ويحك ، طالما أننى قلت اشتريت ، ونطقت كلمة بعت ، لا يمكن لأحد أن ينقص هذا الاتفاق ، إلا إذا ذهبنا إلى الأمير ، هيا نذهب " ، وذهبا ، فرأى الوثنى أنهم غيروا الطريق وذهبوا إلى السوق .

قال الوثنى " هل أنت ذاهب إلى السوق ؟ ، ألم تقل نذهب إلى منزل الأمير ؟ "

قال أنونو " نعم ، تعال ، هو فى السوق الآن "
تعجب الوثنى مما يأتى بالأمير إلى السوق ، واتبعه ، حتى وصلوا إلى الجزر ،
حيث أمير القضاين .

قال الوثنى " قلت أننا نذهب إلى الأمير ، فكيف وصلنا إلى أمير القضاين ؟ "
قال أنونو " هذا هو الأمير الذى تحدثت عنه ، هل عندنا من هو أفضل منه ؟ تعال
ليقضى بيننا " .

جلس الوثنى ، وكرر أنونو الحديث كله كما حدث ، سأل أمير القضاين الوثنى وقال
" أمكذا ؟ " ، شرح له الوثنى ما كان يظن قصد أنونو عندما قال له موافق .
قال أمير السوق " شريعتنا نحن أبناء السوق إذا سمعنا كلمة اشترت وبعث لك ،
انتهى الأمر " .

فلم يجد الوثنى ما يقوله ، وفكر فى أن يشكوهم إلى القاضى أو إلى الأمير ، ورأى
أنه لن يستفيد شيئاً من ذلك ، فتردد ، ولقد قال الحكماء ، معاملته السفه بالمثل واجبة ،
وقام ونفض ثيابه وسار وهو يتمتم بكلام لا يفهم .

وعندما انصرف نظر القضاين الآخرون للأمير القضاين وإلى أنونو وقالوا " ابن حرام
إنك يا أنونو ، قد اثبتت أنك قصاب متحضر . " .

قال أنونو " ويحك ، إذا سمعت الناس يقولون فلاناً شجاعاً ، فلأنه لم ير شيئاً
مخيفاً ، نحن نشأنا فى المدينة ، ثم يقال أن شخصاً وثياً يأتى يفوقنا ذكاء ؟ ، ويحك من
هو الوثنى ؟ ، إذا رأيت الكلب يلعب فلاناً وقع فى أيدى أهل العلم وعندما يقع فى يد
وثنى يصير لحماً " .

قال أمير القضاين " لقد نلت ثروة " .

قال أنونو " اثنى سعيد ، واستمتع بكل شيء " ، قال الذئب " قتل كبير الخصية
أكل هنا ، واشرب هناك " .

قال له أحد الجزارين " ألا تخشى أن يرفع شكوى ضدك ؟ ، قد يكون أخذ درسا
عما حدث " .

قال أنونو " يشكونى ، أليس لى فم ؟ ، إنى أعرف أمام من سيذهب ، وسأنتصر عليه " ، وحمل الحبوب إلى المنزل ، وذبح الثور وأخذ يبيعه .

عندما وصل الوزير إلى هنا ، سمع فصيح أذان الصلاة الثانى فى المسجد الكبير ، فلما سمع ذلك قال الوزير " صعد الإمام المنبر ، فسكت ، ولم يتكلم مرة أخرى .

نهره الوزير وقال " وما شأنك ، هل أنت تصلى ؟ "

قال فصيح " الأستاذ إيرو الذى قلت لك أننى كنت أختبئ وأسمعه وهو يعلم تلاميذ المدرسة القراءة ، سمعته وهو يقول لولد كبير ، إذا صعد الإمام المنبر ، يتوقف عن عمل أى شىء ، حتى ولو لم تذهب إلى المسجد ، حتى التجارة تتوقف فى هذا الوقت ، وسمعت أنها تبطل ، لذلك أذكرك بهذا لتتظر حتى ينزل "

ضربه الوزير على رأسه ، وقال " هذا فيه مغالطة ، عندما قال يمنع الناس من أى عمل فى هذا الوقت ، هل سمعته يقول تمنع الطيور من الغناء ؟ "

وتظاهر الوثنى بأنه ترك الأمر ، ومضى حوالى عشرين يوما حتى نسى الموضوع ، وذات يوم ارتدى ملابس بيضاء كالتى يلبسها الهوساويون ، وأحضر عمامة وأعطاهما لشخص لفها له ، وأحضر مسبحة وأمسكها فى يده ، وأخذ يسبح بها ، رغم أنه لم يعرف ما يقال فى مثل هذه الحالة ، وعندما انتهى المصلون من الصلاة تبعهم ، وكأنه خرج من المصلى ، وقصد السوق ، ولم يتوقف إلا عند القصابين ، وتصادف فى هذا الوقت وصول أنونو ولكنه لم يعرف الوثنى ، لأنه عندما حضر السوق من قبل كان يلف ملاءة على جسمه واليوم يحضر بعمامة .

ذهب الوثنى إلى أنونو ، فوجده يبيع رأس معزة وضعها أمامه ، وكان معروفا ببيع هذا وكان يوم جمعه وقد اشترى كل أهل القرية ما عدا هذه الرأس ، وعند وصوله ضغط على رأس أنونو ونظر إلى رأس العتزة وقال " بكم هذه الرأس ؟ "

رفع أنونو عينيه ونظر إليه وقال " لماذا تضغط على رأسى هكذا ؟ ، إنكم أيها العلماء تحقروننا ، هاهى ، قل ، كم ستدفع "

قال الوثنى " قل لى كم تبيع ، إذا سمعت وكنت قادرا سادفع "

قال أنونو " بالله عليك اترك رأسى ، ياسيدى " ، ونظر إلى رأس العتزة وقال " إذا كنت ستدفع قرشا ونصف ، ادفع ، هكذا بعت أختها "

هز الوثني رأس أنونو ، وقال " هذه الرأس تقول بقرش ونصف ؟ ، بقرش إذا وافقت هذا هو الثمن " .

رفع أنونو ونظره إلى الوثني وقال " لولا أنك عالم ، لقلت لك اضربني وخذها " قال الوثني " صبرك بالله ، لم آت لقتالك ، اشتريها بقرش ومليمين " .

قال أنونو " منذ خلقتني الله لم أر أبدا أحدا يحب المال ، مثل العلماء ، مهما تعطيهم صدقة يقولوا إعطنا لوجه الله ، ولا يعطون لأجل النبي ، إذا دفعت قرشا ومليمين أوافق " .

قال الوثني " اشتريت " ، وأحضر قرشا ومليمين ، وسحب سكيناً من وسطه ووضعها على عنق أنونو ، وحز ، فصرخ أنونو وهب واقفا ، وقام وأخذ يجرى ، والدم يسيل من حيث بدأ الوثني يقطع بالسكين ، فتبعه الوثني بالسكين مسلولا ليقطع رأسه التي اشتراها بقرش ومليمين ، وأخذ الوثني يصيح " بالله عليكم امسكوه لي ، لقد اشتريت وباع لي ، حتى دفعت الهبة ، وها هو يجرى مني بما اشتريت " .

وأخذ أنونو يصيح ويقول " أيها الناس أنقذوني ، سيذبحني المجنون " .

عندما سمع الشرطة ذلك اتبعوه وأمسكوهما معا ، وأخذوا السكين من يد الوثني ، وقادوهما إلى منزل الأمير ، قال الوثني " ما شأن الأمير بشريعة القضاة ، خذونا إلى أمير القضاة ، لأنه الأمير المسئول عن أمور السوق " .

قال أنونو " لا ، خذونا إلى الأمير " ، ولكن الوثني رفض تماما ، وأصر على أخذه إلى أمير القضاة ، وحتى هذه اللحظة لم يعرف أنونو الوثني " .

عندما وصلوا ، سأل أمير القضاة أنونو ، ما بينه وبين هذا العالم ، لأنهم لم يعرفوا أن هذا الوثني هو الذي خدعوه وأخذوا منه الثور والحبوب ، وقال أنونو كل شيء .

نظر أمير القضاة إلى الوثني وقال " أنت اشتريت رأس العنزة بقرش ومليمين ، وتقول أنك ستأخذ رأسه ؟ ، إننا نراك كالعالم ، هل انت مجنون ؟ " .

قال الوثني " أنا لم أشتري رأس العنزة ، لقد اشتريت رأسه ، والجميع ينظرون إلينا وقد ضغط عليها ، وأننى اشتريتها ، وهو باع لي ، فلا بد أن أقطعها " .

قال أمير القضاة " الجنون أنواع مختلفة ، رأسه اشتريتها بقرش ومليمين ؟ " .

قال الوثني " نعم " وباعها لى "

تظاهر أمير القصايين بالغضب ، وغمز للوثني بعينه وقال " اتركوه لنرى ، كيف يذبحه ويأخذ الرأس ؟ "

قام الوثني ، وهجم على أنونو ، وأوقعه على الأرض ، فصرخ أنونو وقال " ياخلى الله أنقذونى ، والله هذا مجنون ، إذا تركتموه سيقتلنى ، ها هو قد بدأ يذبحنى " ، قام الجنود ، وأخذوا الوثني بالقوة من فوق أنونو ، وهموا بوضع يديه فى القيد الحديدى ، فقال " لماذا تضعون لى القيد ؟ ، إنى سليم تماما ، أنتم لم تسألونى لتعرفوا حجتى ؟ "

قال أمير القصايين " وما حجتك ؟ ، قل لنسمعها " ، خلع الوثني عمامته ، وقص كل ما حدث بينه وبين أنونو وأمير القصايين ، للجنود ..

نظر القصابون المحيطيون بهم إلى الوثني وقالوا " الوثني السابق مرة أخرى ، صادق فيما قاله ، هكذا حدث منذ أيام "

قال الوثني " وأمير القصايين هو الذى حكم " ، ضحك الجنود وطأطأ الأمير رأسه . قال الجنود " قوموا جميعا لنذهب إلى أمير المدينة ، وذهبوا به إلى منزل الأمير ، عندما كرروا الكلام أمام أمير المدينة " ، كاد يغص من الضحك ، ونظر إلى أنونو وقال " هذا الحكم الذى قضى به أمير القصايين ، وقال إن هذا هو حكم أبناء السوق ، عندما يسمعون قولهم اشتريت وبعث لك ، انتهى الأمر ، أيها الوثني خذ سكينك وأتمم قطع الرقبة ، أو أعط أنونو ليقطع لك رقبتك ، حتى لا يقول أنك قطعت الرقبة حتى العنق "

أخذ الوثني سكينه ، من يد الجنود ، وتوجه بها إلى أنونو ، هب أنونو واقفا وذهب إلى مقعد الأمير ، وهو يصرخ ، ويقول " نصرك الله ، إذا تركتموه سيذبحنى ، انظروا كيف بدأ "

نظر الأمير إلى الوثني وقال " انتظر ، استسمحك مرة واحدة أتبيع له ؟ "

قال الوثني " إننى أفضل الرأس عن أى شىء لأحملها إلى ضحى ، ليشرب دمها ولكن طالما أنك قلت أبيع له ، سأبيع له ، إذا رأيت السعر مناسباً "

قال أنونو " نصرك الله ، اشتريت وسأريحه على ما اشترى القرش عشر مرات "

نظر الأمير إلى الوثني وقال " وافقت هكذا ؟ ، أى بشلن تماما "

قال الوثنى " كما اشتريت رأسه هذه ، إن لم يربحنى كل مليم بجنيه واحد ، لن أبيع له " ، انفجر الأمير فى الضحك وقال الوثنى " أحبيك "

قال أنونو " نصرك الله أرجوك ، اجعله يخفض لى ، موافق على أن أعطيه ماله وثمان الغلال كلها "

قال الوثنى " لولا أن الأمير تدخل ، حتى لو كنت أمهر السحرة ، لقطعت هذه العنق وأخذت رأسى "

قال أنونو " نصرك الله ، لقد وافقت على أن أدفع اثنى عشر جنيها ، ولكن يؤجل لى عدة أشهر "

نظر الأمير إلى الوثنى وقال " هل سمعت ، تستطيع ؟ "

قال الوثنى " نصرك الله ، إن لم يدفع قبل أن يقوم من هنا قطعت رأسه طالما أن هذا هو حكم شريعة أبناء السوق "

انفجر الأمير فى الضحك وقال " أحبيك يا رجل " ، ونظر إلى أمير السوق وقال يا أمير السوق طالما أنك الذى قضيت بالحكم الأول ، يجب عليك الآن أن تذهب وتحضر الاثنى عشر جنيها الآن وتقدمها للوثنى ، وتكون ديننا على أنونو يرده لك ، وإذا لم توافقوا يقطع الوثنى رأسه "

قال أمير القضاة " لا أوافق على ما قاله أنونو ، دعهم ، ما يريدون فعله ، يفعلونه بعيدا عنا "

قال أنونو " لا تتركه يقطع رأسى ؟ ، أنت الذى قضيت بهذا الحكم أولا ، فكل ما يحدث هو مسؤوليتك " ، وشب النزاع بينهما ، فلما رأى الأمير ، أن أمير القضاة أخذ يتهرب أصر الأمير أن يذهب ويحضر مائتين وأربعين شلنا ، وأعطيت للوثنى ، فقام وشكر الأمير ، وذهب ، وانصرفوا مع أمير القضاة .

عندما وصلوا إلى السوق ، وسمع باقى القضاة ما حدث وأخذوا يسخرون من أنونو ، ويقولون " أنونو قصاب المدينة ، انتصر عليه الوثنى وضايقه ، فأخذ يسبهم ، وكلما رادهم مضايقة ، يقولون له " الأرنب لا يغضب ممن سلخه ويغضب ممن أمسكه "

ولما انتهى الوزير من رواية هذه القصة ، دخل المنزل ، وترك فصيحاً يبكي ، لأنه ضربه على رأسه .

وعندما جاء فصيح في اليوم التالي عصراً ، قال الوزير " اليوم سأعطيك مثالا من قصص الكتاب العربي الذي يسمى ألف ليلة وليلة "

قال فصيح " لا ، لقد سمعت مرة قصة من كتاب ، اسمه مثل هذا الاسم الذي قلته ، إلا أن الاسم الذي سمعته أطول من هذا قليلا "

قال الوزير " أى كتاب سمعته مثل هذا ، إن لم يكن كذبا ؟ "

قال فصيح " أقسم بعظمتك ، ليس كذبا ، الذي سمعته يسمى ألف ليلة وليلة "

انفجر الوزير في الضحك ، وقال " عند من سمعت هذه القصة ؟ "

قال فصيح " ذات يوم في ليلة الأحد سمعت ضوضاء في عمر الأستاذ إيرو ، فذهبت ، واختبأت في النافذة ، لأسمع ما يضحكون عليه ، فوجدت أهل الحى كلهم مجتمعين ، منهم الأستاذ إيرو ، والأستاذ عثمان ، والأستاذ حسن ، والأستاذ محمود ، ومعهم الأستاذ موسى الذين كانوا في حى هابى ، جلسوا وكان الأستاذ إيرو في الوسط ، ويقص عليهم القصة من الكتاب . "

قال الوزير " هل تعرف هؤلاء العلماء كلهم ؟ "

قال فصيح " كل العلماء الكبار في هذه المدينة أعرفهم ، لأثنى اللعب مع أولادهم ، الأستاذ موسى ابنه تكرر ، وابنه بلا كنو ، عرفانى بمنزلهما ، والأستاذ احمد ابنه متقى ، وابنه ميتركى ، عرفانى منزلهما ، والأستاذ إيرو ، ميكويومى كطى ، الأستاذ محمد مأندى ، ... "

قال الوزير " انتظر ، كف عن هذه الثثرة ، أى قصة سمعتها من الأستاذ إيرو ، يقصها للعلماء الذين تقول أنهم اجتمعوا عنده ؟ "

قال فصيح :

الخير لا يقع على الأرض عبثاً

كان يوجد رجل ثرى ، له ابن واحد يسمى حسن ، مات بعد أن زوج ابنه لفتاة تسمى رقية ، وورث حسن ثروة كثيرة جداً ، ولعلك تعرف حال الصبى إذا ورث ثروة ، أخذ يجمع حوله الأولاد ، وينفقون الثروة فى الملذات فيشتري لهذا قميصاً ، ولهذا سروالاً ، ويعطى هذا مالا ، ويزوج البعض الآخر ، ولعلك تعرف طبيعة المال ، وإذا كان البخيل قد ينفد ماله فى وقت ما فما بالك بالمبذر ، لم يمض وقت قصير حتى نفذ ماله وتفرق كل أصدقائه ، وحيثما يذهب ، يرههم يتجهمون فى وجهه .

وبدا حسن يفتقر ، وذات يوم حضر بعض عبيد والده ، الذين كان أبوه قد بعث بهم للتجارة فى الإبل قبل وفاته ، ولم يعودوا من هذه التجارة إلا اليوم ، فلما وجدوه قد مات ، أعطوا لحسن البضاعة ، فلما شعر أصدقاء حسن أنه استرد ثرائه ، تلقوه بلسان معسول ففرق عليهم هذا المال لأن الله خلقه محباً لفعل الخير ، وجمع متاعه ونساءه وهجر هذه المدينة ، وقصد مدينة كبيرة تسمى بغداد حيث يعيش الخليفة هارون الرشيد وعاش فيها ، وكانت زوجته تصنع له كل يوم ألواناً من الطعام فيخرج إلى طريق التجار ويبتظر ، فلما رأى التجار يدخلون المدينة ، دعاهم وأخذهم إلى منزله ، ويأتى بهذا الطعام ويقدمه إليهم ، فيأكلون ويقصون عليه أخبار الدنيا فيستمعون فإذا شبعوا قام حسن وأخذ أيديهم واحد واحدا وغسلها لهم ، وأحضر ثمار الكولا وقدمها إليهم فينصرفون وهم يدعون له بالبركة .

وكان من عادة الخليفة هارون الرشيد أن يخرج هو ووزيره يتعسان بالليل ، وبينما كانا يتجولان فى المدينة ، ليعرفا ما يحدث بين الرعية ، ذات يوم بعد مضى شهرين على هذه العادة ، دعا الخليفة ووزيره دون أن يعرفهما ، وكانا يرتديان ثياباً كقادة القوافل ، فجلسا يأكلان معه الطعام ، ف جذب الخليفة الحديث ليعرف ما يضايقه فى هذه الحياة ، ودون أن يعرفهما حسن أو ما يقصدانه قال " يا أخى ، والله لا يضايقنى فى هذه الحياة إلا جارى هذا السيئ الذى يسمى باليه ، لو ملكت السلطة يوماً ، لأمرت أن يجلد مائة جلده " ، انفجر الخليفة فى الضحك ، وقال " لماذا كل هذا؟ "

قال حسن " ويحك ، ضيقى وكراهيتى له ، لأئنى دائما أدعو الناس لضيفتى رياء وليس لوجه الله ، علاوة على ذلك ، ها هو يدعى أئنى منعهم من النوم بسبب سمر الناس الطويل بلا فائدة "

عندما سمع الخليفة ذلك ، تركه ، ولما انتهى من تناول الطعام ، غافلا عين حسن ، ووضعها له مخدراً فى الماء الذى أحضر ليشربه ، وقدماء إليه ليشرب ، فلما رفع الإناء إلى فمه ، وشم المخدر ، سقط مغشياً عليه ، كالميت ، فأمر أن يحمل إلى منزل الخليفة ، ووضعوه على سريره ، وأمر الخليفة الحاشية وكل الناس وأولاده أن يعاملوه على أنه الخليفة ، ويفعلوا معه كل ما يفعلونه مع الخليفة ، لم يعرف حسن ما حدث ، وعندما أفاق من المخدر ، تغطى وعطس ثلاث مرات ، وحمد الله ، وظن أنه فوق سريره القديم ، ولكنه أحس أنه يغوص فى الفراش ، فنظر فوجد جارية تهوى له ، من اليمين ، ونظر شماله فوجد أخرى تهوى له من اليسار ونظر عند قدميه فوجد الثالثه كذلك أصابعه ، عندما رأى ذلك أغمض عينيه ، وقال لعله فى حلم ، ثم فتحهما فرآهن ، فنظر إلى الحجرة والسرير ، فرأى أنهما ليسا فراشه ، فتجراً وقال لهم " أين أنا ؟ "

فقالوا " فوق سريرك ، يا أمير المؤمنين "

قال حسن " من أمير المؤمنين ؟ " ، فقالوا " أنت أطال الله حياتك " ، عندما سمع ذلك ، قال لإحدهما " أنت عضى أذننى ، لعلنى أستيقظ ، فأمسكت أذنه وعضتها بأسنانها حتى صرخ ، وتحير فيما يفعل بنفسه ، ثم تذكر وقال " لابد أن الناس الذين استضيفتهم أمس ليسوا إنسا ، ربما هم من الجن وقد فعلوا معى ذلك ، حسبى الله ، وسأل الجوارى الثلاث عن أسمائهن ، ليرى ما إذا كانت أسماؤهن مثل أسماء بنى آدم ، فقالت الكبيرة أن أسمها رقية ، والثانية رليتنو ، والثالثة ، ابنة ياقوت ، فسمع أن أسماءهن ليست كأسماء الجن ، وظل كذلك حتى طلع النهار ، فأحضروا له ماء دافئاً ، ليغتسل ، فقال لن يستحم بماء الجن أبداً ، فألحوا عليه حتى اغترف غرفة بيده ، فأحضروا له الطعام ألوانا ، فتردد فى الأكل ، فشعر أنه إذا لم يأكل سيهلكه الجوع عبثاً ، فقال " لابد أن الموت سيدركنى ، طالما أئنى وقعت فى يد الجن ، ولا مخرج ، وإذا كان الأمر كذلك ، بدلا من أن أموت من الجوع أكل وأشبع " ، فجلس وأكل الطعام .

وعندما انتهى من تناول الطعام ، وإذا ببعض الجوارى يأتين لأداء تحية الصباح ، إذ قالوا " أطال الله حياتك ، نوم العافيه يا أمير المؤمنين " ، فيقول لهم " أنتم تقلن أيضا أمير المؤمنين ، أنا اسمى حسن ، روج رقية " ، فلا يهتمون بذلك .

ولما انتهوا من تحيته ، دخلت جارية الأمير ، وقالت لحسن ' عليك أن تستعد لتخرج إلى الحاشية ، الوزير والقاضى والجميع اجتمعوا ويبتظرون وصولك ' .

قال حسن ' بصفتى من !؟ '

قالت الجارية ' أنت أمير الأمراء '

قال حسن ' أنت التى أمير الأمراء ، أنا حسن ' ، فهدأوا من روعه ، وأعطوه ثيابا مثل ثياب الأمراء ليرتديها ، وأجبروه ، فخرج يتفقد المنزل ويحقق بعينه ، كأنه قروى دخل قصرا ، ودلته الجارية على طريق الحاشية .

عندما خرج رأى الإصطبل ، فوقف ينظر إلى الخيل الكثيرة ، فقالوا له أن كلها ملكه ، والشرطة التى تمسكها ، يقولون ' خيرا أمير المؤمنين ، خطوات السلامة يا أمير الأمراء ' ، وكاد يندفع ليعود إلى المنزل مسرعا ، ولكن الحرس دفعوه ، فدخل المر ، فوجد بعض الناس وقد لف كل واحد منهم عمامته جيدا ، فلما رآوه دخل ، قاموا وانحنوا ، وقالوا ' رفع الله ملك الدنيا ' فوقف حسن ينظر إليهم فى ذهول ، وقد عجز عن الكلام ، وهم بالجلوس على الأرض ولكن الشرطة أسرعت وأوقفته ، واجلسوه على الكرسي ، وبمجرد جلوسه غاص به الكرسي ، فجلس يحقق بعينه فى المكان ، ويتعجب من قدرة الله ، وإذا تحرك قليلا سمع الشرطة الذين يقفون خلفه يقولون ' حركة العافية ، أمير المسلمين ' .

وفى هذه الأثناء تذكر جاره بالية فقال ' لو كنت الأمير حقا وليس كذبا لذهبوا وضربوا بالية مائة جلدة واجعلوه مفلسا ، وأعطوا رقية زوجة حسن مائة جنيه ' ، فسمع الشرطة يقولون ' سمعا ، أطل الله حياتك '

وبعد قليل عادوا وقالوا أنهم نفذوا أمر الأمير كله ، فنظر إليهم حسن ومص شفثيه ، وقال ' اذهبوا بكذبكم . . ' ، وهكذا عانى كثيرا من هؤلاء الناس ، وأخذ يحقق فيهم بعينه ولا يقول شيئا حتى حان وقت المغرب ، فطلبوا منه أن يدخل المنزل ، فكاد يرفض الدخول ، فدفعوه ، وقدمت الجوارى له الطعام فأكل ، وأوصلوه إلى السرير فنام ، وما كاد يضع جنبه على السرير حتى غلبه النعاس ، لأنه شعر أن السرير ليس كسريره .

حدث كل هذا والأمير مسختىء يراقبه ، فلما رآه استغرق فى النوم ، أمر أن يشمم المخدر ، وينقل إلى سريره فى منزله ، وكانت زوجته قد بحثت عنه بالنهار ، فلم تجده ،

فلما استيقظ بالليل ورأى نفسه فى الظلام، تحسس السرير فلم يجد شيئاً حتى الوسائد ، وإذا تحرك يسمع صوت السرير ولا يغوص فيه ، فلما رأى ذلك نادى بصوت مرتفع ، قائلاً " مرجانة ، ألا تسمعين ؟ ، أين روليتو ؟ ، لم أسمع أحداً يرد "

عندما سمعت زوجته ذلك خرجت وذهبت إلى حجرتها وقالت " ماذا أصابك اليوم ياسيدى ؟ ، أين ذهبت منذ مغرب أمس ؟ "

سبها حسن وقال " من السيد ؟ ترين أمير المسلمين وتقولين له سيدى ؟ " ، ثم نام ، فإذا تحرك يقول لنفسه " العافية ، أمير المسلمين ، حركة العافية أمير الأمراء " ، وظل على هذه الحال حتى الصباح فقالت الزوجة " إنى متأكدة أن الجن خطفته فى ليله أمس " ، ثم قامت على أنها ابنه العلماء الذين يعالجون مس الجن ، جاءت وزحفت عند رأسه وأخذت ترقيه ، فلما سمع تلفظها بالرقية ، الأولى وهمت بالثانية قام وانهاه عليها ضرباً ، وهو يقول " هل تحتقرين أمير المسلمين وتبصقين عليه ؟ ، حقاً لا يوجد من يحتقر الناس مثل النساء " ، عندما سمع الجيران صراخها أسرعوا وخلصوها من يده بصعوبة وأمسكوه وقيده فى المنزل ، فنظر إليهم وقال " لعنكم الله ، طالما أنكم تقيدون أمير المسلمين "

عندما ربطوه سمعته رقية يهذى ، فجاءت وقالت " هدىء من روعك ، أمس عندما كنت غائبا عن المنزل ، بعث الأمير من جلدوا بلية مائة جلدة ونهبت داره وبعث إلينا صدقة مائة جنيه ، ها هى ، ولا أدري كيف سمع عن الخير الذى نقدمه للناس " .

فلما سمع حسن ذلك قال " أى أمير ؟ ، أنا الذى بعثهم ليفعلوا ذلك " ، وارداد حيرة ، وظل مقيدا ، وبعد خمسة أيام ، رأى أنه لا فائدة من ذلك ، فشفى ، وأطلقوا صراحه ، فعاد إلى حاله ، يأكل مع الناس ، ولم ينس ، حتى بعث له الأمير مائة جنيه صدقة لهذا الخلق .

عندما وصل فصيح فى القصة إلى هنا ، قال الوزير " هل هذه التى قصها الشيخ إيرو؟ ، أم كان يقرؤها من كتاب ألف ليلة و يترجمها ؟ "

قال فصيح " كان يقرؤها ويترجمها "

ابتسم الوزير وقال " لقد أخطأ فى الترجمة ، لقد أخطأ كثيرا ولم أكن أعرف أنه لا يعرف العربية جيدا ، هذا الوزير كان يسمى جعفر ، ومع ذلك لا بأس ، استمر لنسمع كيف ترجمها " ، فاستمر فصيح قائلاً :

و ذات يوم وهم على هذه الحال ، استضاف هذا الأمير ووزيره ، دون أن يعرفهم ،
لأنهما غيرا الملابس ، واستضافهم كالمرّة السابقة ، وفعلا معه كما فعلا فى المرّة السابقة ،
فلما استيقظ كالمرّة السابقة ، وجد الجوارى يحيطون به ، يهوين له ، ويدلكن رجله ،
فقال " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، وقال " هؤلاء الذين ضايقونى ، إذا كنتم تحبون الله
ونبيه ، أعيدونى إلى المنزل هكذا ، لقد كنت سببا فى سجنى من قبل أن أسجن ،
وأوضع فى القيد لمدة خمسة أيام " .

عندما سمع الأمير كلامه ، خرج من حيث يختبئ ، لسمعه ، وشرح له كيف
حدث هذا الأمر ، وذكر له السبب الذى جعله يفعل ذلك ليفعل ما تمنى أن يفعله مع جاره
بالية ، انحنى حسن وشكره ، وأخذوا يضحكون مع الأمير ، وقام بنفسه واصططحبه حتى
المنزل ، وأيقظ زوجته وأخبرها بالأمر كله ، حتى لا يخطر أمر يبالها بشأن زوجها ،
فتعجبوا وصار الأمر كالتسلية .

وفى الصباح أرسل الأمير يستدعى حسن ، وعينه مهرج الأمير ، وكان كل يوم يأتى
ليضحكهم ، فيحسنون إليه ، ونال الخطوة فى القصر ، ومرت الأيام على هذه الحال ،
حتى نالت رقية الخطوة عند ربة بيت الأمير ، وكان ما يقوله حسن عند حاشية الأمير ،
تقوله رقية عند ربة بيت الأمير ، وبهذا نالا الثروة الكثيرة ، وذات يوم خطرت على بال
حسن حيلة تجعل الأمير يضحك ، فقال لزوجته ما سيفعلانه ، فلما طلع النهار قال
لزوجته أن تذهب وتخبر ربة بيت الأمير أن مغصا أصابه ، فمات ، فذهبت وقالت لها ،
فحزنت حزنا شديدا ، وقدمت إليها لوازم الكفن ، فعادت إلى المنزل ونامت ، وخرج
حسن يبكى ، وقال للأمير أن زوجته أصابها مغص وماتت ، فحزن الأمير حزنا شديدا ،
وأعطاه لوازم الكفن ، وعاد حسن ، وجلس مع رقية يراقبان الطريق إلى منزل الأمير .

عندما دخل الأمير قال لربة البيت أن مغصا أصاب روجة المهرج وماتت ، وقالت ربة
البيت " لا ، ليست الزوجة ، المهرج هو الذى مات ، الآن جاءت زوجته وقالت لى أن
زوجها مات ، وأعطيتها لوازم الكفن " ، قال الأمير " بدأت فى الجدل الذى تعودت
عليه " .

قالت ربة البيت " ليس جدالا "

قال الأمير " أنتن أيتها النسوة جدالكن يفوقكن ، لقد جاء المهرج الآن وأعطيته لوازم
الكفن لزوجته ، الحق واضح لدى وها أنتن تجادليننى كذبا "

غضبت ربة البيت وقالت " نحن اللاتى نحاول نجادل أم أنتم ؟ ، هاهى الحقيقة واضحة ، وترفضونها "

وهنا أمر الأمير أمير المنزل أن يذهب ليعرف من الذى مات ، أسرع أمير المنزل وذهب إلى منزل حسن ، فلما رآه حسن قادما قال فى نفسه ، " لابد أن الخلاف نشب بين الأمير وربة البيت ، لذلك بعث الأمير هذا الرجل ليعرف من الذى مات منا " ، لذلك قال لرقية أن ترقد كالميتة .

ولما جاء رب المنزل رأى حسن يجلس حزينا وحيدا ، فقال " هكذا لست أنت الذى مت ، لقد نشب الخلاف بين الأمير وربة البيت ، فهى تقول أنت الذى مت ، والأمير يقول زوجتك التى ماتت ، لأنك ذهبت الآن وأخذت ثمن الكفن "

قال حسن " نعم ، لقد سبقتنا رقية إلى دار الحق ، هكذا ذهبت وأخبرت الأمير ، وهاهى الآن لا تحرك ساكنا "

عاد أمير المنزل وقال للأمير أن رقية هى التى ماتت ، وليس الزوج ، نظر الأمير إلى ربة البيت وقال " هاهى الحقيقة ، إنكم لا تعرفون الأمر وتجادلون فيه "

قالت ربة البيت " أين هو الجدل ، إن أمير البيت يكذب ، لأنه منك " ، لذلك بعثت جارية من طرفها لتعرف الحقيقة .

رآها حسن قادمة ، فقال لرقية " لابد أن ربة البيت بعثتها ، لأنها لا توافق على كلام أمير المنزل ، لذلك رقد كالميت ، ووضعت رقية بجواره الكفن ، وعادت وانتحت جانبها ، وجلست حزينة تبكى ، فلما وصلت الجارية ، قالت لها رقية ، " أترين ، لقد مات زوجى ، والآن أنا وحيدة ماذا سأفعل وحدى ؟ ، ها أنا فى المدينة بلا أم ، ولا أب ، إلا رب البيت " ، ثم انفجرت فى البكاء الكاذب .

قالت الجارية " الله أكبر ، اصبرى ، كل حى سيموت ، ولكن أنت لا تعرفين ، الرجال منافقون ، لقد ذهب الآن أمير المنزل وقال أنك مت ، وليس زوجك الذى مات ، وهاهى كذبه مستدفع الخلاف بين الأمير وربة البيت "

قالت رقية " لا بد أنه كذب ، هاهو راقد ، حتى الآن لا يتحرك ، افتحى وانظرى ، أصابه مغص الموت منذ مساء أمس "

فلما فتحت الجارية لتتظر ، قالت لا حول ولا قوة إلا بالله ، واندفعت تجري ، وقالت لربة البيت ، فالتبس الأمر على الأمير وربة البيت ، حتى وصل إلى الخلاف والغضب ، حيثئذ قال الأمير ' لنجعل مبلغا من المال للصادق '

قالت ربة البيت ' لا مانع ' ، فخصصوا مائة جنيه ، ثم قاموا هم الأربعة ، وقصدوا منزل حسن ، ليعرفوا من مات منهم حسن أم رقية .

قال الأمير ' إذا كانت الجارية تكذب لابد أن أقطع رأسها ، '

فلما رأهم حسن قادمين ، قال لرقية أن يناما معا ، كأنهما الاثنين قد ماتا ، فلما وصل الأمير ، ورأوهما هكذا ، قالوا لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقالوا ' مات الإثنين ، هذا هو سبب الجدل ' .

قالت ربة البيت ' ومع ذلك ، المهرج الذي مات أولا '

وقال الأمير ' كذب ، زوجته التي ماتت أولا ' ، واشتد الخلاف بينهما ، وهنا قال الأمير '

والله لو قال أحدهما من الذي مات فيهما أولا ، سأعطي خمسين جنيها ، لنفص الخلاف ويستريح الجميع . '

عندما سمع حسن ذلك هب قائما وقال ' والله أنا الذي مات أولا ' ،

فلما سمعوا ذلك نظروا إلى بعضهم ، وانفجروا في الضحك ، وقال الأمير لحسن ' لقد بلغت الغاية في الإضحاك '

وذهب الأمير إلى المنزل وأعطى حسن خمسين جنيها ، لأنه قال أنه هو الذي مات أولا ، وهبت رقية هي الأخرى واقفة وانحنت وحيث ربة البيت ، فكافأتهما وقدرتهما ، وكافأ الأمير حسن مرة أخرى . وعاشا حياتهما وكل طلباتهما مجابة .

قال الوزير ' لقد اجتهدت في حفظ هذه القصة الطويلة ، وإن كانت ليست كما كتبت في كتاب الف ليلة ليلة ، يكفي هذا لأقدم لك مثالا للتحذير السادس ، الذي أقدمه لك ، اذهب إلى الغد ' ، فطار فصيح وذهب .

وفي ظهر اليوم التالي جاء فصيح وجلس في الممر ينتظر أن يستيقظ الوزير ، وبعد

قليل سمع صوت جرس وأحضروا له الماء ، فاغتسل ثم دخلت الجارية وقالت " ها هو
فصيح في الممر، هل يدخل ؟"

قال الوزير " يتظر قليلا ، حتى أنتهى من وردى "

وبعد قليل دق الجرس مرة أخرى ، فجاءت الجارية ، فقال " يدخل فصيح " ، فلما
وصل قال الوزير " اليوم التحذير رقم كم ، سنبدأ فيه ؟"

قال فصيح " السابع "

قال الوزير " وهو كذلك "

النفاق عفريت يأكل صاحبه

كان يعيش فى مجندا أمير عظيم يسمى ثابتاً ، كان له ثلاثة أولاد كلهم ذكور ، الكبير يسمى الأول ، والذي يليه يسمى سانى ، والابن الصغير ثالث ، ولكن أكثرهم شجاعة وشهرة أصغرهم وهو الذى تذاع أخباره إذا ذهب إلى ميدان القتال فقد فعل فعلا عجيبا ، فعندما كان عمره عشر سنوات ذهبوا بهم إلى ميدان القتال ، ليس للقتال ، ولكن ليجعلوهم قريبا من القتال فيتعودوا على رؤية الناس وهم يقتلون بعضهم بعضا أمامهم حتى إذا كبروا لا يخافون الحرب ، وبينما هم جالسون فى مكان واحد ، عندما نشبت الحرب ، تسلل ثالث دون أن يشعروا ، وأخذ سيفه ، وطلب أن يضعوه على ظهر الحصان ، وانطلق ، ودخل وسط الفرسان وقصد حيث الأمير المعادى ، فظنوا أنه جاء بأمر ، فلما رأوه صبيا صغيرا ، لم ينتظر وهجم على الأمير وحاول قطع رأسه .

فلما التفت الأمير ورآه أثار ضحكته ، فقال ' بالله عليك يا غلام ، اذهب وابحث عن مكان آخر وأجلس فيه ، فهنا ملتقى الكبار ' .

نظر ثالث إلى الأمير ، وحدث فيه باستعلاء وقال ' من هو الغلام ؟ ، انظر إلى جيدا ، الغلام يلعب خلف أمه ' ، ثم طعنه مرة أخرى ، فانفجر الأمير فى الضحك ، وأمر بالقبض عليه وأعادوه إلى معسكر أبيه ، وأمر أن يحرسوه ، ولا يتركوه يخرج مرة أخرى .

فربما يلتقى بمن لا يرحم ، وقال ' إذا أطال الله حياة هذا الغلام ، سيرون فيه فارسا لم ير مثله ' .

وذات يوم خرج الأمير وأبناؤه للنزهة ، وقصدوا إحدى مزارع الأمير التى تبعد مسافة قصيرة من المدينة ، وأثناء السير تقابلوا مع رجل ، يرتدى خرقا بالية ، كالمجنون ، وعند رؤيته ، ظن الأول أنه مريض ، لذلك جذب زمام حصانه ووقف ، وقال للأول ' ماذا أصابه ؟ '

قال الأول ' نصرك الله ، إنه يقول أنه عبد لفولانى ، يتشاءمون منه ، فغادروا وتركوه يكاد الجوع يقتله ، وسألته عن اسمه فقال ميسنجو . '

قال الأمير " وهو كذلك ، قل له إذا وصل بوابة المدينة ، ينتظر ، قبل أن أعود " ، فقال الأول لميسنجو ، فركع وشكر الأمير مع أنه لم يعرف أنه الأمير ، أو تجرى فى عروقه دماء السلطة فقط .

بعد أن وصل الأمير إلى المزرعة ، وطاف حولها ورأى العمال عاد ، فلما وصل إلى بوابة المدينة ، وكاد الأمير ينسى مشكلة ميسنجو ، وهم بالدخول فرأى الأول ميسنجو جالسا القرفصاء ، فأسرع وذكر الأمير بقصته ، فقال الأمير ، فليسر أمامنا .

فلما وصلوا إلى المنزل ذكر الأول الأمير ، فأحضروا لميسنجو ثيابا وألحق بالعبيد واستمر الحال على ذلك ، ويعد يومين شبع ، وبدأ يظهر نفسه بين العبيد ، وأخذ يتوسل لدى الأول حتى يجعله فى خدم الإصطبل ، وأثناء وجوده بين خدم الإصطبل أخذ يناق كعادة عبيد الفولانى حتى وصل إلى الأمير ، وساعده الأول على ذلك ، حتى صار من حراسه ، حيثما يذهب الأمير يسير معهم ويكون فى المقدمة .

وكان الأمير لا يحب الأول كثيرا ، لأنه كان يكره السلطة ، مع أنه ولد فى الإمارة وأمير أصيل ، ولكنه يهرب منها ، ولم يتعلق قلبه إلا بالعلم ، ويتمنى أن يصير من كبار العلماء ، لذلك كان إذا جمعهم الأمير ليخرجوا للترهة أو بحث شئون الملك ، كان ينتظر فى المنزل يدرس العلوم التى تلقاها ويحفظها .

وإذا تحدثوا أو نشب خلاف ، إذا قال أخوته هذا هو الأفضل ، ورأى أن هذا الرأى لا يتفق مع الحق ، يقول " الشريعة لا تقول ذلك ، إلا إذا تركتم الحكم الشرعى واتبعتم ما تميل إليه السلطة " ، لذلك كان الجميع يستعدون عنه ، حتى والدهم لم يكن يهتم به ، إلا فى بعض الأمور التى كانت الأبوة تحتم عليه أن يفعلها له .

وكان الأمير لا يحب إلا سانى وثالث ، كان يحب سانى لأنه يحب السلطة ، أما ثالث فكان يحبه لأنه الصغير ، وشجاع ، كان عتر بن شداد قد ألجبه ، وكان لشجاعته يطلق عليه الناس اسم " البقرة الوحشية التى تنظر لكل نظرة ارداء للأول " .

لم يكن لميسنجو ولى أمر سوى الأول ، ولكن رأى أنه ليس له فى السلطة ، لذلك أخذ يبتعد عنه ، ويميل إلى جانب سانى ، وبدأ يناققه ، فيذهب إلى بيت الأول للسمر ، ولا يقول له الأول شيئا ، فيذهب ويقول لسانى أن الأول قال كذا وكذا ، كذبا .

واستمر الحال على هذا ، وذات يوم رأى ميسنجو رجلا ساحرا ، فذهب إلى سانى وقال له " هاك أحد السحرة ، دعنى أمره أن يدخل اليوم عند اجتماع الحاشية لتحية

الأمير ، ونجعله يصف له الأول ، وأقول له بعد تبادل التحية مع الأمير ينظر إليه ويقول له ، أن الأول لن يتولى السلطة بعد أن يموت الأمير ، فإذا سمع ذلك وسط هذا الجمع مع الناس ، والحاشية ، سيدأون في التحول إليك من الآن ، حتى الأول نفسه "

قال ساني " وهو كذلك ، استدعه ، وأخبره أنني سأعطيه أجره ، إذا قال ذلك . نادى ميسنجو الساحر ، وقال له ، وعندما رأى الساحر الحاشية قد اجتمعت ، وذهبوا جميعا بما فيهم الأول لتحية الأمير ، ذهب وطلب الوصول إلى الأمير ، فخرج ميسنجو وأحضره أمام الأمير ، فركع وحياه ، فقال ميسنجو " الأمير يحييك أيها الساحر " ، فانحنى الساحر جانبا وجلس .

وبعد أن توقف الجميع عن الحديث ، نظر الساحر إلى أبناء الأمير وقال " نصرك الله ، كل هؤلاء أولادك ؟! "

قال ميسنجو " وماذا يهمك في هذا السؤال ؟ ، نعم هم أبنائه ، إنه عدم حيائكم أيها الكهان ، لماذا تسأل هذا السؤال عند رؤيتهم ؟ ، إذا كنت تريد أن تسأل ألا تسألنا نحن بدلا من أن تسأل الأمير ؟ ، كاهن سيء عديم الحياء . "

نظر الأمير إلى ميسنجو وقال " دع لومه ، ربما لديه أمر ، يريد أن يقوله ، لا تسرع " ، ونظر للساحر وقال " ماذا ترى ؟ "

نظر الكاهن إلى الأول ، وقال " نصرك الله ، أرى أن هذا لن يرثك ، وإذا تولى السلطة في البلاد بعدك ستفسد الأمور ، ولكن اغفر لي " ، لقد قلت لكم أن الأول ليس مقربا إلى الأمير ، لذلك لم يهتم بهذا الكلام ، وأخذ الناس ينظرون إلى بعضهم ، وعندما انفض الناس ، أعطى ساني الساحر أجره ، أما الأول فلم يهتم بهذا الكلام .

بعد أن أعطى ساني الساحر أجره ، قال ميسنجو أنه يريد أن يعرف المكافأة التي ستقدم له لأنه هو الذي رسم الخطة ، فسأله ساني ماذا يريد ، فقال إنه لا يريد شيئا سوى أن يعين رئيس الساسة ، ورسم لساني الخطة التي يقوم بها ليحدث هذا الأمر ، وتفلدوا الخطة وأبعد رئيس الحرس السابق وتولى مكانه ميسنجو .

عندما رأى ميسنجو أنه نال الخطوة عند ساني ، تقرب إليه ، وكان دائما معه في جلسات السمر ، وكان من طباعه المكر والدهاء - كما سبق أن أشرت- ، وكان دائما في ازدياد ، .

و ذات يوم بينما كان نائما ، بدأ يتخيل السلطة التى يحلم بها إذا تولى سانى السلطة ، ويتخيل الأمور التى سيفعلها كلها ، ويراهما فى نفسه كأنها ستقع فى الغد القريب ، ولكن عندما يتذكر هذا الأمير العجوز القوى ، الذى يزداد قوة يوما بعد يوم ، يمتعض لأنه يتذكر أن موعد المناصب التى يحلم بها لا يعرف أحد موعد حدوثها ، وهو على هذه الحال فى حزن ، خطرت على خاطره حيلة ، ومنذ هذا اليوم بدأ يستميل شابا يستأمنه الأمير ، يسمى سليمان فحيثما ذهب الأمير يصطحبه معه فهو الذى يحضر الطعام للأمير ، ويضعه فى الحجرة التى لا يتناول الأمير طعاما فيها إلا من يد سليمان خوفا من أن يضع أحد سماً فيه .

عندما رأى ميسنجو أن سليمان ألفه ، دأب يأخذه للسمر فى منزل سانى ، وهمس فى أذن سانى ليقدّم لسليمان هدية ، كلما جاء ، ونفذ سانى مشورة ميسنجو .

ولما رأى ميسنجو أن قلب سليمان اطمأن لسانى لكثرة ما يقدم له من هدايا ، أخذ يستدرجه فى الكلام إذا اختلى به قبل أن يخرج سانى ، ويقول له " أنت تعرف الله وتعرف أن سانى يكن لك من الحب ما ليس له حدود ، وتعرف أنني أفخر بأننى مقرب إليه ، أقسم لك بعمامة الأمير أنك تفوقنى فى ذلك "

قال سليمان " أنا أعرف ذلك ، وأعرف أن الأمير لا يحبنى بقدر ما يحبنى سانى " قال ميسنجو " عجباً ، لاحظت ذلك ، انتظر أقل لك الحقيقة ، تعرف أنه لو مات سانى ، عرف أنه لن يتركك وسط العبيد ، كما أنت الآن .

قال سليمان " والله صدقت ، طالما أن الإنسان لم يتجاوز كونه خادماً ، تناديه المرأة وتبعته إلى أى مكان ، لا تكون الحياة سعيدة "

والآن لم يمض ثلاثون يوماً إلا واستمال سليمان فتاة ، وقالت أنها لا تحب أحداً إلا هو ، وطلب أهلها أن يدفع عشرين جنيها للخطيب السابق ، فقال للأمير ، فرفض أن يدفع له ، وظلت الفتاة تلمح عليه كل يوم على هذا الموضوع ، وليس لديه ما يرد به عليها وكان يعيش فى حزن بسبب هذا الأمر .

وكان ميسنجو يعرف ذلك ، فقال له " هاك مثال بسيط ، لو كان لديك شيء ثمينة ، لكان أمر هذه الفتاة التى لم ترض بأحد سواك قد انتهى ، والأمر الذى يثير دهشتى هو كيف تكون مع الأمير هكذا ، ويمنع عنك مبلغ عشرين جنيها ولكن الأمر لا يستدعى

الدهشة ، فهو رجل قد شاخ الآن ، وصار كالطفل الصغير ، لا يرمى الشخص كما ينبغي ، والأمر الأكيد ، أن الأمير لو كان صبياً صغيراً لنت منه ما نتمنى ، فماذا تكون العشرون جنيهاً بالنسبة له ؟

قال سليمان " هذا الأمر يجب ألا يعرفه أحد ، وكفاني ما توجهه إلى الفتاة من عقاب " ، ولكن ميسنجو شجعه على الكلام فى مثل هذا الأمر .

وذاث يوم كان على موعد للذهاب إلى سانى ، فتأدى سليمان ليذهبها معا كما تعودا ، وبعد أن تبادلوا التحية مع سانى ، تطرق الحديث إلى مشكلة السلطة ، فقال " حفظك الله ، إذا توليت السلطة ، ماذا ستفعل لنا ؟ ، حتى نعرف مبكراً "

ضحك سانى ، وقال " إذا توليت السلطة غدا ، كل واحد منكما أعينه حيث يريد " ، صرخ ميسنجو ونظر إلى سليمان وقال " هذا العجوز لا يريد أن يموت ، ويترك للناس المكان ، ليعرف كل إنسان منصبه ، ويأخذ نصيبه ، ويعيش كما يعيش الناس ، وابتسموا ، ونظر ميسنجو مرة أخرى إلى سليمان وقال " ألا تعرف ، فى بلدنا حدث أمر مثل هذا الأمر الذى نتحدث عنه الآن ، كان أحد الأمراء له ولد واحد ، وعاش هذا الأمير حوالى أربعين عاماً ، وهو يتولى الحكم ، ولم يشعر مرة بالمرض حتى ولو كان صداعاً ، ولم يتوقع أحد يوم وفاته ، فنال نصيبه من السلطة واستولى على نصيب ابنه بطول حياته ، وظل الولد ينتظر السلطة بوفاء والده ، ولكنه رأى أن والده سيلتهم نصيبه فى السلطة بطول عمره ، لذلك اتفق مع الجارية التى يثق فيها أبوه ، فأحضرت سما ووضعته فى طعام الأمير ، فلما أكله ، لم يمر عليه اليوم إلا ميتاً وارتاح الجميع ، ولم يعرف أحد سبب وفاته ، وعين الابن ، وعاش حياة سعيدة .

قال سانى " لقد أساء هذا الابن إلى والده "

قال سليمان لميسنجو " وهو كذلك ، وماذا فعل لهذه الجارية مكافأة لها عما فعلت ؟ "

قال ميسنجو " جعلها جاريته المفضلة ، وأحضر خمسين جنيهاً وقدمها لها ، وسلم لها أمور المنزل كله . "

قال سانى " لقد وفّى بالوعد ، ولكن لا يوجد ما يحمى عليه فى هذا الأمر . "

قال ميسنجو " نعم ، هكذا ، ولكن مع ذلك لا يوجد فى كل هذه المدينة من

يجرؤ على أن يفعل ذلك ، ولم يهتم الناس إلا أن ينالوا الخير فقط " ، وهنا صمت سليمان وأخذ يستمع إليهم .

وهنا قال ساني " وأنا أعد كل من يساعدني في تولي السلطة وأكون أميراً ، أي منصب يختاره ساعينه فيه ، وأي شيء يحتاجه ساقضيه له . "

قال ميسنجو " وهذا الشاب ، وفقك الله " ، واستأذن وانصرف ، لم يمض وقت طويل على هذا الحديث ، حتى رأوا أن الأمير بعد أن انتهى من تناول الطعام أخذ يتلوى من شدة المغص ، ففتحت محلات الأدوية للأطباء والكهنة ، ولكن دون جدوى ، فقد كان المرض يشتد عليه ، ولما رأى ميسنجو ذلك ، ذهب إلى ساني ، وقال له " لو ساعدتك في تولي الحكم ، ماذا ستقدم لي ؟ ، لأعرف مبكراً ، لأشعر بالقوة وأضحى بنفسى . "

قال ساني " لقد قلت لك ، أيه سلطة تريدها أوليكها ، حتى لو كانت أميراً للحرس . "

قال ميسنجو " ويحك ، أطل الله حياتك ، ما هي أهمية أمير الحرس ؟ ، أريد أن تعينني حاكماً ، إذا وافقت ، سأضحى بنفسى ، وأخطط لك حتى تستطيع تولي السلطة . "

قال ساني " موافق ، مكان أي حاكم تريده ساعينك فيه ، وعندما أكون أميراً ستري ذلك " وهم على هذه الحال والأطباء يمرضون الأمير ، أخذ ميسنجو يمارس مكره ويتظاهر بتمهيد الطريق ليتولى ساني السلطة إذا مات هذا الأمير العجوز ، رويدا رويدا أخذت حيله تؤثر في كبار رجال المدينة ، وأخذوا يهمسون أن الأمير إذا مات خير من يتولى بعده هو ساني ، وبعد أيام قلائل توفي الأمير ، فبكى الناس عليه ثم انفضت الأحزان ، وأخفى ميسنجو سروره ، لنجاح خطته ، وذات يوم أخذ يدبر خطته الجديدة ، ويأخذ المال من ساني ويقدمها إلى كبار المدينة في صورة هدايا من ساني .

وعندما انتهوا من اختيار ساني وتنصيبه أميراً للبلاد ، بعد أن قالوا " إذا ولي الأول ستفسد أمور البلاد ، ونحكم على أنفسنا بالهلاك ، فما هي فائدة اختياره ؟ "

فلما سمع الأول ذلك قال " أنتم ونفاقكم ، أنا لم أقل لكم أنني أريد السلطة ، طالما أنني حفظت القرآن كله ، فقد قضى الله حاجتي . "

أخذ الناس يغتابون الأول ويقولون " اسمعتم أنه يقول لا أريد السلطة ، وكيف يكره الإنسان أصله ، والسبب في وجوده ؟ ، أنه كالأعمى الذى يقولون له هاك عينان ثم يقول رائحتها كريهة . " ثم يضحكون عليه .

بعد أن انتهت مشاكل ولاية السلطة ، انتظر ميسنجو أن يعين حاكما اليوم ، أو يعين غدا ، ولكن لم يظهر فى الأمر شيء ، حتى منصب رئيس الحرس لم يعين فيه ، وذات يوم نفذ صبره ، فوجد الأمير سانى وحده ، فركع وحياه وذكره بالأمر .

نهره سانى وقال له " هل أنت غبى ، كيف أعينك حاكما ؟ ، ولم ترثه ، اصبر بما قسم الله لك ، مادمت على قيد الحياة ، سوف لا تحرم أنت وأولادك من شيء " .

قام ميسنجو غاضبا وقال فى نفسه " ألسنت أنا الذى عيته ؟ ، فطالما أنه رفض أن يفى بالوعد الذى وعدنى به ، فلا بد أن ينتهى أمره ، فاتجه بمكره إلى ثالث ، لأنه عرف أنه حاول مع الأول فأخفق ، وإذا نظرت إليه وهو واقف أمام الأمير سانى رأيتَه يتمم بشفتيه ، يجلس ويقوم وينفذ كل ما تقتضيه ، فيقسم من يراه أنه أخلص الناس للسلطان ، ولكن السلطان لا يعرف أنه رأس المنافقين .

وبعد قضاء الأمير حوالى عامين فى السلطة ، مات أمير الحرس الذى عين فى عهد والده ، فعين سانى ميسنجو أميرا للحرس ، دون أن يعرف ما يدبره مع ثالث .

ولما تولى ميسنجو السلطة ، ذهب إلى ثالث ، وقال " بالله هل علمت أننى وصلت إلى أن أكون حارسا ، بعد أن وعدنى أن يعيننى حاكما ، هل لأننى شكرته يفعل هذا بى ، وهو كذلك ، باستثناء الشكر ، هل كل هذه المتاعب التى واجهتها لا تساوى إلا أن أكون حارسا ؟ " ، ثم انفجر فى الضحك مع ثالث .

قام ميسنجو واقفا ليبحث عن سحر ، فخرج من عند هذا العراف ، وذهب إلى هذا العالم ، حتى استطاع أن يحصل على حجاب جناح اليمامة ، - وهو حجاب يعلق فى جناح اليمامة حينما تطير المعمول له يسير وراءها ، وأحضره إلى ثالث ، وقال " يقال أن هذا مفعوله أكيد ، فإذا أمسكت اليمامة وربطت لها الحجاب ، وأخذت إلى منزله واطلقت منه ، وأى جهة تطير إليها ، يقوم هو الآخر ويتبعها ، حتى لو كان الطريق غير مهاد يخرق الغابات ، ولا يحب العودة إلى وطنه إذا سمع اسمه ولا يفكر فى العودة ، حتى تنتهى حياته ويموت ، هذا هو ما يسمى " اليمامة " .

قال ثالث " وهو كذلك ، الحمد لله ، ولكن كما يقولون ، ليس صيد الفيل صعبا ، ولكن الصعوبة فى إيقاعه على الأرض ، ماذا نفعل حتى نصطاد يمامة ، ونربط الحجاب بها ، ونوصلها إلى باب قصر الأمير ونطلقها ، دون أن يراها أحد ؟ "

قال ميسنجو " ويحك ، الذين اسمعتهم يقولون ذلك ، كذابون ، كيف يقولون أن اصطياد الفيل أسهل من إيقاعها على الأرض وسلخها ؟ ومسترى ، فقد قلت لك أنك ستكون ملكا على هذه البلاد ، حتى إذا ، استدعى الأمر أن يصنع السحر بأمعاء الانسان للوصول إلى هذا الهدف سوف نفعله لتكون سلطانا . "

ابتسم ثالث وقال " وهو كذلك ، الحمد لله ، اللهم وفقنا ، آمين "

لم يتوقع الأمير أن يحدث كل هذا الأمر ، لذلك أمر ميسنجو أولاده فى هذا اليوم أن ينصبوا شركا ، ووقفوا فى اصطياد يمامة ، ثم أخذ هذا الحجاب وربطه فيها ، وقرب المغرب أخذها ، وخبأها ، وذهب إلى قصر ثالث ، وعرضها عليه ، ولما انتهى أذان المغرب ذهب إلى قصر الأمير ، متسللا باليمامة ، فلما دخل القصر أطلقها ، فطارت قاصدة جهة الجنوب ، وجاء وأخبر ثالث أن كل شيء تم على أحسن وجه .

عندما طارت اليمامة ، شعر الأمير كأنه يطعن فى المدينة ، ولا يحب الإقامة ولا دخول قصره ، ولا رؤية أولاده ، ولم يأت الليل إلا وقد جمع كل ما يريده ، وهام على وجهه فى الدنيا ، هذا هو سحر اليمامة .

وبعد قليل جاء موعد عودة الأمير إلى القصر ، وأخذ النساء والعبيد يحدقون بعيونهم ليعرفوا من أين سيخرج عليهم الأمير ، فلم يعرفوا ، وبعد منتصف الليل جاءت الجارية وأمرت العبيد أن يتشروا فى المدينة ، ليستعرفوا أين ذهب الأمير بعد المغرب ، ولم يعد حتى الآن ، فبحثوا عنه فى كل مكان فلم يعثروا عليه .

وفى هذه الليلة ركب الفرسان خيولهم واتبعوا كل الطرق ، فلم يسمع أحد شيئا عنه حتى طلوع الفجر .

وعندما طلع الفجر ولم يره أحد انتشر الناس فى كل مكان فلم يجدوا أحدا سمع عنه أو رآه ، وظلوا يبحثون عنه فى كل مكان لمدة سبعة أيام ، حتى تعبوا فصبروا ، فقال ميسنجو " منذ أن عدنا من المزرعة ، وسبقنا الأسير وجرى بحصانه وجاء أسفل شجرة التمر هندی التى يسكنها الجن ، ونزل وصلى ، فلما جئت ورأيت فى هذا المكان انقبض

قلبي ، وأردت أن أكلمة ولكنني خشيت من غضبه ، حتى لو حاولت كانت محاولتي ستذهب سدى ، وأقسم بقبر الأمير أنه منذ هذا اليوم الذي ذهب فيه أسفل شجرة التمر هندی ، وقد اختل عقله "

قال الناس " لابد أن الجن قد مسه " ، وأخذوا يتشاورون فيمن سيخلفه ، وأضيفت ثروة ساني إلى بيت المال ، وانتظروا لسماع خبر عنه من أي مكان ، لبيعثوا من يأتي به ، ويؤخذ من ماله لعلاج .

عندما انتهوا من مشكلة ثروة ساني ، عادوا إلى مشكلة الحكم ، قال البعض أنهم يفضلون الأول على الثالث ، فبدأ ميسنجو يمارس خبثه ، ويطعن في الأول ، ويقول ، لا يجب أن يولى من قبل أن البلد ستفسد إذا تولى السلطة ، وهو كذلك ، أما الناس الذين خجلوا أن يتركوا الأول ورشحوا ثالث يخشون أن يرشحوا الأول لأنهم يعرفون أن ثالث فارس ماهر ، والآن وهم على هذه الحال يعرفون أن ثالث يغلب مائة فارس .

ولما انتظر الأول لسمع تعيين ثالث اميرا ولم يسمع ذلك ، قام وذهب إلى كبار المدينة وقال " لماذا لم تعينوا حتى الآن لنا أميراً ، هذا الزمان الذي يثور فيه الناس كيف نعيش هكذا بلا أمير ؟ "

نظر إليه الناس وابتسموا ، وقالوا " هذا أمركم ونتبع ماتقولون "

قال الأول " إذا كان على السلطة من أجلى أبيعها في السوق ، كل من ترشحونه أوافق عليه طالما كان قادرا على حمل أمانة أبنائنا " ، فسيطر الخجل على الناس وابتسموا . وعندما اجتمع الناس مرة أخرى ، قالوا " طالما أن الأول رشح ثالث للسلطة ، نعينه " ، فعين وأقيمت الأفراح وانتهى الأمر .

وانتظر ميسنجو أن يعين حاكما ، ولكن لم يحدث ، حتى أتم ثالث ثلاث سنوات ، في السلطة ، ومع أن ثالث لم يعينه حاكما ، فقد كان كل ما يقوله ميسنجو في القصر ينفذ .

وذات يوم ، ذهب ميسنجو وقابل الأمير ثالث وذكره ، لقد سبق أن قلت لكم أن ثالث شجاع ، ولذلك كان كل من يطاء له قدما ، يغضب منه ، فلما جذب ميسنجو بهذا الكلام بدأ يسبه ، حتى يكف عن الكلام ، وقد كان قبل ذلك ابن القصر ولكن منذ هذا اليوم بدأت أموره تضطرب .

ومضى على ذلك الحال عندما رأى ميسنجو أن الأمير ثالث يحاول تحقيره ، قال فى نفسه ، " لا ، كيف أعين رجلا ، ويستمر فى الإساءة إلى هكذا ، فيعدنى بأن يعيننى حاكما ، ولا يفى بوعدده ، ولماذا يكرهنى ؟ ، إن هذا كذب ولا بد أن أقضى عليه ، ولا أدعه يقضى على " .

ثم قام وقصد منزل الأول ، وركع أمامه ، وقال " نصرك الله " .
قال الأول " لو قلت حفظك الله تكفينى ، أما نصرك الله هذه ، فهى لكم ، إن لم تكن قد جئت لتمكر بى " .

قال ميسنجو " لماذا تقول ذلك ؟ ، نصرك الله ؟ "
قال الأول " إذا كنت تريد أن نتكلم ، لا تقل لى هذه العبارة مرة أخرى ، نصرك الله فانا لست أميرا ، ولا وزيرا ، ولن أكون أميرا ولا وزيرا ، فلماذا تقول لى ، نصرك الله ، إن لم يكن نفاقا لتنتقل كلامى إلى غيرى " .

قال ميسنجو ليغريه بالكلام ، ويظهر له أن له السلطة فقال " إن شاء الله غدا فى مثل هذا اليوم ، يقولون لك " نصرك الله " فكما أعتلى غيرك السلطة ، يجب أن تعتليها أنت كذلك " .

قال الأول " عجبا ، بالله عليك اذهب من هنا ، واترك الناس ، أنت الذى تعيننى غدا أميرا ؟ ، قلت لك أننى لا أريدها ، فتقول لى كلاما معسولا ، لا تملك تنفيذه " .

قال ميسنجو " والله طالما أننى قلت ، على أى حال سأحقق قولى " .

قال الأول " هل أنت تعرف الله ؟ ، بالله عليك اذهب واترك المكان " .

ذهب ميسنجو وهو يقول فى نفسه " لا بد أن أحاول مع هذا الغبى ليتولى السلطة ، لأرتاح لأننى أعرف أن الأمور كلها ستكون فى يدي ، فهذا لا يهمه إلا أن يملأ بطنه ويقرا كأنه الهدهد ، وأتدخل أنا فى شئون الحكم ، ويصبح لى السلطان على كل شيء " .

لذلك ، عندما انتصف الليل خرج ميسنجو وأحضر رمادا وطينا وخلطه ودهن به كل جسمه ، ويحث عن فأس ووضعها على كتفه ، وذهب إلى منزل أحد المقربين إلى الأمير فى المدينة واستأذن .

قال " أنا ميسنجو ، اذهبى استأذننى من جلایما بالدخول " .

قالت الجارية "هل أنت بخير حتى تأتى الآن فى هذا الوقت من الليل؟"

قال ميسنجو "اذهبى أنت".

ذهبت الجارية وأخبرت جلاديا ، فقال "هل عضنى الكلب ، حتى يأتى عبد عند الأمير ويستأذن فى ثلثى الليل هكذا لأخرج ؟ ، هل بعثه الأمير ليقتلنى ؟ ، اذهبى واسأليه لماذا جاء؟"

عندما عادت الجارية وقالت لميسنجو هذا ، أعادها لتقول له أن يخرج إذا أراد أن يحدثه من ثقب الباب ، خرج جلاديا وأطل عليه من الباب فرآه مغبرا فقال "أنت ميسنجو ، لماذا أراك هكذا ؟ خيرا؟".

قال ميسنجو "أين هو الخير ، الأمير ثالث جعلنا نحفر بشرا فى منزله ، ليرمى فيه غدا كل كبار هذه المدينة ، وقال أنكم منعموه من الحكم المطلق عندما واثته الفرصة ، وهذا سر أقوله لحبى لك ، وهو ما جعلنى آتى بنفسى فى هذا الوقت من الليل. إذا كشفت هذا الأمر وعلم الأمير بذلك لعلك تعرف أنه سيهلكنى والأفضل أن تفعل ما ينجيك".

قال جلاديا "وهو كذلك ، عليك أن تذهب وتخبر قورا ، لعلك تعرف علاقتى به ، فلا يفرق بينى وبينه سوى الليل ، وأخبره بكل الكلام الذى قلته لى".

ذهب ميسنجو إلى منزل قورا واستأذن فخرج ، فقال له كل ما قال لجلاديا.

سأله قورا كم عدد الذين يريد قتلهم ، فعد له ميسنجو ستة رجال من كبار رجال المدينة ، وفى الحال تبعه وقالوا للجميع كل ما فى الأمر ، وفى هذه الليلة أيقظ الرجال ، وذهبوا إلى القرى وجمعوا المحاربين ، وقبل الصلاة كان فناء القصر قد امتلأ بالفرسان ، وكلهم يصيحون قائلين نحن الكلاب الذين يقبضون على الصيد ، من الذى خدعه علماءه فيذهب إلى المنزل ويدعى أننا جبناء.

عندما استيقظ الأمير وسمع ذلك قال "لا حول ولا قوة إلا بالله ، لم أضرب ابن أحد ولم أسب ابن أحد فما سبب هذا التمرد ، هل كل أهل الأرض الذين خلقهم الله لا يقدر عليهم ، ولكن دعونى أخرج لأعرف ما فى الأمر" ، وخرج إلى أول الممر ووقف ، فلما رفع الفرسان عيونهم ورأوه ، انهالوا عليه رميا بالحراش ، ولكن لم تصبه واحدة منها ، فالتفت وعاد إلى القصر ، وعلم ألا معين له سوى الله ورسوله.

وأمسك حصانه وربط السرج وأخذ الجراب والدرع ولبس ثياب الحرب والأحجية ودخل ، واستل سيفه الذى يفخر به والذى يطلق عليه عبارة "قل للدماء أنى قريب" ، وركب حصانه وخرج ، ونظر شرقا وغربا فلم ير نهاية الجمهور ، فقال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقال "ها أنا أمامكم، وثنيون عابثون، أنا فارس مجند يا ذئاب الوثنيين حتى الصبى الرضيع يدف الذباب" ، وهجم عليهم ، وأخذ يقتل فيهم ، سبحان الله لم ير فارس مثله ، منظر غير سار، إذا قضى على هؤلاء ، تبعهم آخرون فيلتفت إليهم ، حتى صاروا وجها لوجه ، فأخذ كل يدفع الآخر ويقولون "نحن الرجال الأقوياء ، وأخذ يمدح نفسه ويقول "لا أحد يقضى عليكم سوى ، فأنا الديك الخطير الذى يموت صاحب المنزل إذا ذبحه ، وإذا تركه فسد بيته" .

لأختصر لك الخبر أقول ، عندما رأى أهل المدينة أن الأمير سيقضى عليهم وحده ، تشاوروا واجتمعوا جميعا ، وهجموا عليه مرة واحدة ، وأظهروا له أن الكثرة تغلب الشجاعة، ولم يتظروا لبحث الأمر ، فقالوا يجب أن نقتله ، فقال أخوه الأكبر الأول "لا ، لا نقتله ، نخرجه من المدينة ، وننقله إلى قرية جنزو ، ليعمل بالزراعة هناك" ، وتم إخراجه .

ولما انتهوا من الأمر وانتهت المشكلة ، بدأوا يتشاورون من سيولونه الأمر بعد ذلك ليكون أميرا، قال ميسنجو "لا ، هل هذا الأمر يحتاج إلى المشاورة؟، كان الأول من قبل لا يتكلم، حيثئذ انتظرنا وأخذنا نتشاور" .
قال الناس "صدقت يا ميسنجو" .

سمع الأول الكلام وأدرك أن ميسنجو مدبر المؤامرة ، حتى دفعهم إلى التمرد على ثالث، لذلك عندما فاتحوه فى أمر الحكم، وافق فى الحال ، فتعجب الناس من موافقته بهذه السرعة ، فقال ميسنجو "كان لا يوافق قبل ذلك لأنه لا يستطيع أن يتولى السلطة أما الآن فهو يريدنا ، لمن تكون السلطة فى بيته ويقول أنه لا يريدنا، فهو كاذب" .

عين الأول ، وأقيمت الأفراح الكثيرة ، وصارت الحاشية فى يد ميسنجو ، ولم يقل الأول شيئا ، وينفذ كل ما يقوله ميسنجو ، وكان الأول أمير فقط، وأخذ يتفاخر ميسنجو بأنه انتصر ، وكان هذا هو هدفه منذ البداية فى تولية الأول للسلطة ، وهو أن كل من يعتل السلطة يحتقره ، لابد أن يرى نهايته ، حتى يخاف الأول من أن يقضى عليه ،

وأصبح الناس لا يخافون إلا من ميسنجو وليس الأول ، وأخذ الناس ينظرون إليه على أنه أمير غبي ، ولا يعرفون ماذا ينوي فى نفسه إلا فيما بعد حتى وجد رجالا مخلصين فبعثهم يبحثون فى كل مكان عن سانى .

ومرت الأيام وتقابل أحد الرجال الذين بعثهم مع أحد التجار فسأله ، فقال أنه يعرف مكانه ، وقال أن المسافة تبعد عن مجندا مسيرة عشرين يوما دون توقف فى أية استراحة وقال أنه هناك فى صحة جيدة ، يخيط الثياب ويبيعها .

جاء هؤلاء الناس بالتاجر إلى الأمير ، وقال له ، سر الأمير بهذا الخبر غاية السرور وأتى بكثير من الهدايا وقدمها إليه ، وأعاده مع هؤلاء الرجال إلى المدينة التى يعيش فيها سانى ، وحاولوا أن يعود معهم ولكنه رفض ، فسأل أحد العلماء عن موضوع سانى ، فقال " الله الملك لقد سحره باليمامة ، ولن تجدى أية محاولة لعودته إلى مجندا إن لم يفسد هذا السحر " .

فقدموا إليه المال ، ليفسد لهم هذا السحر ، وبعد ذلك وافق سانى على العودة معهم ، وقصدوا مجندا .

عندما علم الأول أن سانى ومن معه اقتربوا بعث لهم بالآ يدخلوا المدينة إلا بالليل ، حتى لا يشعر بهم أحد ، فلما وصلوا ، بعث الأول من يثق فيه من الخدم إلى جتزو ، ليعودوا بثالث سرا ، وسعد الأول باجتماعهم ، وأنزلهم فى حجرة فى قصره وطلب منهم ألا يخرج أحد منهم حتى لا يراه أحد .

وبعد ذلك ذهب حيث أخويه وبعد أن انتهوا من تبادل التحية ، سأل سانى فقال له الحقيقة ، وما فعل حتى يتولى السلطة ، وذكر كل الحيل التى فعلها مع ميسنجو والكاهن ، ثم سأل ثالث ، فقال له هو الآخر كل ما فعله ، وكيف عمل ميسنجو سحر اليمامة ، والحيل التى قام بها حتى يتولى السلطة ، فتعجب الأول ، وما فعله ميسنجو حتى تمرد الناس على ثالث وطلب الأول أن يغفروا لبعضهم ، فتبادلوا المغفرة وهم يكون .

وبعد أن جفت دموعهم أمر الأول أن يجمع له كبار رجال المدينة عند باب القصر وفى مقدمتهم ميسنجو ، وكبار الخدم أصحاب الكلمة المسموعة وخرج الأمير الأول ، وجلس وجذب الناس إلى الحديث فى مشكلة الخراج وأخذوا يتشاورون كيف يجمعونها مبكرا ، وأخذ ميسنجو ينفث سموه ، فكلما رأى الأمير رأيا ، ينقضه ، ويقول رأيه ، ليظهر الأول بأنه لا يهتم بشئون الملك .

ولما انتهوا من حديث الخراج ، نظر الأول إلى الناس وقال "وهو كذلك ، بالله عليكم كل أمر تعلمونه راعوا فيه العدل ، وقد أمرنا بذلك النبي في كل أحاديثه"

ولما هموا بالقيام قال لهم الأول "انتظروا لأختبركم وأرى مدى عدالة كل منكم ، ذات يوم خرج أحد التجار للتجارة ، فوجد رجلا على حافة الطريق ، ضربه اللصوص ، وسلبوا متاعه ، وتركوه مضرجاً في الدماء تكاد روحه تصعد إلى بارئها ، فأشفق عليه وحمله إلى منزله ، وأخذ يمرضه حتى شفى ، فلما علم أنه غريب وليس له أقارب أنزله في منزله ، وأحضر له الثياب ، وزوجه ، ولم يتركه يحتاج شيئاً من الخيرات ، وجعله كابنه ، وذهب إلى تجارته وتركه مع أولاده ، وقال لهم عاملوه بما تعاملون به أنفسكم"

فلما رأى هذا الرجل رب البيت قد سافر أخذ يدبر المؤامرات حتى يستولى على كل ما في هذا المنزل ويضعه تحت يده ، ثم أخذ يتدخل في شئون الأولاد ، وأخذ يدفعهم إلى طريق السوء وأخذ يضمّر لهم الشر ويجمعهم بالأمراء ويوقع بينهم فينقل كلام هذا إلى ذاك ، حتى يفسد ما بينهم ، حتى يرث المنزل وكل ما فيه .

فلما رأى أن هؤلاء الإخوة قد تفرقوا ووضع أمراء البلاد في يديه ، أظهر حقه صراحة ، وهجم على هؤلاء الأولاد مباشرة ، واليوم يكر ويحاول أن يجعل الأمير يطرد هذا اليوم ، ويسجن هذا غداً حتى يتفرق كل أهل البيت ، ويرث المنزل كله ، ويستولى على السلطة ، ويسعد في حياته ويحتقر الناس .

فلما عاد هذا التاجر ، فوجد هذا الرجل الذي قدم إليه كل خير ، يرد له الخير شراً فبماذا تحكمون عليه إذا كنتم أنتم القضاة؟

وأخذ يقول له كل فرد "إذا كنت أنا الحاكم أسجنه ، ويذبح كما يذبح الخروف" وآخر يقول "لا ، الأفضل أن نقطع رأسه" وقال ميسنجو "كلكم لا تعرفون ما يجب ، لو كان لى السلطة ، لأمرت أن تبرى العصا ، وأطعنه في السوق وأتركه كذلك حتى يموت"

نظر الأمير الأول إلى ميسنجو وقال "أهكذا تفعل يا ميسنجو؟"

قال ميسنجو "والله أفعل ذلك ، أطال الله حياتك ، إن لم أفعل ذلك لا أشفى غليلي"

قال الأمير الأول "وهو كذلك ، الحمد لله" ، وفتح المر فخرج ساني وثالث فتعجب كل الناس لرؤية ساني ، وكيف اجتمعوا هنا .

قال الأمير الأول لسانى أن يقص كل ما فعله هو وميسنجو حتى ينال السلطة، فقص كل شيء ، فنظر الأول إلى ميسنجو وقال " أليس هذا ما حدث ؟ "

ظن ميسنجو أن الأمر مزاح ، ورأى أنه سيطر عليهم فقال " هذا ما حدث "

فنظر الأمير إلى ثالث وطلب منه أن يشرح للناس الحيلة التى فعلها مع ميسنجو ضد أخيه سانى ، حتى يتولى السلطة ، فقص كل شيء للناس .

نظر الأمير إلى ميسنجو وقال " أليس هذا ما حدث ؟ "

قال ميسنجو " هذا ما حدث ، نصرك الله "

قال الأمير " وهو كذلك ، الحمد لله أسمعتم أيها الناس " ، وذكر كيف التقط ميسنجو ، وكيف رفعه ، وكل المؤامرات التى دبرها ضد ثالث مع كبار رجال المدينة حتى تمردوا عليه وسأل ميسنجو " أليس كذلك ؟ "

قال ميسنجو " وهو كذلك أيها الأمير، منذ أن مات الأمير ، لا يتم شيء فى القصر إلا بمشورتى ، وكل من نال السلطة نالها بالاتفاق معى ، وهذا عمل الشيطان ، أراد الله حتى يحدث هكذا " .

قال الأمير " كلام فارغ، هل خلقتك الله ، وقال أن تأتى إلى هذه الدنيا لتكون منافقا ؟ ، نشعر بالرحمة ، وقدر الله ، وهو كذلك، وأنت كذلك كل ما يصيبك قدره الله ، ولا مفر منه ، لقد قدر الله أنه يصيبك " .

نظر الناس إلى ميسنجو وتعجبوا ، وقالوا " لا حول ولا قوة إلا بالله ، وبعد قليل نظر الأمير إلى الناس وقال " لم أتول السلطة من أجل نفسى ولكن لأجمع إخوتى ، عندما رأيت أن الحظ السيئ فى هذه الحياة الدنيا فرقههم ، والآن قد تحقق هدفى وأشكر الله " .

ونظر إلى سانى وقال للناس " هل عرفتم أن هذا هو التالى لى ؟ لذلك أعطيته السلطة ثم نظر إلى ثالث وقال للناس " عرفتم أن هذا هو أصغرنا ، لذلك عيّنّه جلاديما " وقال " أما أنا فساكون إمام المدينة " ونظر إلى الناس وقال " هل توافقون ؟ "

قال الناس " هذه هى الأخوة ، ماذا يشير الغضب فى هذا ؟ ، كنا نريد ذلك ولكن لم يحدث ، والله هذا ما نريده ، هذا ما نريده " .

ونزل الأول من فوق كرسي الإمارة ، وأمر بحمل ساني وإجلاسه وجلس هو على الأرض ، وقال "الآن في يدك السلطة ، كل ما تريد أن تفعله ميسنجو لا يوجد من يعترض عليه" .

ابتسم ساني وشكر الله ، ونظر إلى الشرطة ، وأشار إلى ميسنجو وقال "اقطعوا رقبة" .

وفي غمضة عين نفذ الشرطة الأمر ، وهكذا انتهت حياته ، النفاق عفريت يقضي على صاحبه .

وبعد قليل ، بعد حوالي ستة أشهر ، بعث الأمير ساني من يأتون له بهذا العالم الذي أفسد له سحر اليمامة، وكافأه كثيرا ، وأذن له بالانصراف ، وعاشوا حياتهم في طمأنينة ، كل منهم يطيع من هو أكبر منه ، وتفرغ الأول لأمور الدين ، حتى وصل إلى درجة لا مثيل لها في البلاد ، وتحقق هدفه ، وحفظ القرآن .

عندما وصل الوزير إلى هنا ، نظر فوجد أن فصيح نائم ، ولم يسمع ما قال الوزير، ولم يعرف شيئا عما قيل ، لذلك رفع صوته وسأل "ماذا قلت الآن؟"

فزع فصيح وفتح عينيه وقال "سمعت كل شيء ، قلت أن ساني قال أنه موافق على المنصب الذي يريد أن يوليه إياه ، طالما ساعده في تولي السلطة"

نهزه الوزير وقال "كل هذا كنت نائما، ما قلته الآن تركناه منذ عشرين دقيقة ، لقد تكلمت كثيرا حتى تعب لساني ، غدا في الصباح سأقصه عليك مرة أخرى ، وعليك أن تأخذ ورقة وتكتبه عشر مرات ، وتحضره لي ظهرا" .

وعندما حان ظهر هذا اليوم ، جاء فصيح بالعمل الذي كلف بعمله في الصباح ، وقال للوزير "يا أبتى ، أليس اليوم هو يوم العطلة ؟ ، لأنني أحسب موعده" .

قال الوزير " نعم ، يوم توليت الوزارة لا شك أنك تستريح في هذا اليوم ، هذا اليوم هو الخميس" .

قال فصيح "وهو كذلك ، الحمد لله ، أي يوم هذا؟"

قال الوزير "الثلاثاء" .

قال فصيح " لا ، لقد كدت أنسى فى الأيام القليلة الماضية أن التحذير الثانى كان يوم الثلاثاء ، وقد أخذت مثاله " .

قال الوزير " وهو كذلك ، أنصت ، ستستريح مستقبلا إذا دار هذا اليوم " .

قال فصيح " الحمد لله ، غدا لأنه هو الاثنين " .

قال الوزير " نعم ، استمع إلى المثال التحذيرى الثامن " .

الطمع مفتاح الصعاب ، ولولا الطمع ما كان الازدراء

كان يعيش فى إنداكى رجل يسمى طندمو ، كان الناس يسمونه دولو لشدة غبائه ولسوء حالة رفع عنه الأمير ضريبة الخراج .

وظل أعواما لا يدفعها ، وذات يوم اختلف مع رئيس حاشية المدينة ، وكان رئيس حيهم ، فقيدا اسمه ضمن من يدفعون الخراج فى هذا العام ، وحدد له مبلغ ثمانية شلنات وقال أن غباء دولو يفيد له لو كان غباءه حقيقة ما وجد ما يعيش به ، ويعول زوجته ، ويستر نفسه؟

واستعد دولو للخروج للبحث عن المال ، وأخذ يبحث حتى وصل إلى تنجر داود وذهب إلى أحد النجارين فى هذه المدينة ، وأخذ يصنع له أيدى الفئوس ، ويدفع له التجار أجرا ، ولأنه كان يعرف حاله ، وما أخرجه من بلده ، لم يعطه أجره مرة واحدة ، بل كان يدخر له جزءاً . فلما وجد مدخراته بلغت ثمانية شلنات سلمها له ، ليذهب ويدفع الخراج ، وإن شاء عاد إليه ليكسب ما ينفقه على أسرته إذا رجع إلى مدينته .

ولما اقترب من المنزل سمع نقيق الضفادع فى أحد المستنقعات ، وما أدراك ما الأبله ، ظن أن الضفادع تحدثه ، لذلك نظر إلى المستنقع وقال "حتى هؤلاء الأغبياء يعرفون كم شلنا معي ، أنهم يذكرون المبلغ حتى سمع الناس إنهم يكذبون ، إنها تسعة شلنات وليست ثمانية " ، واتخذ طريقه ومضى ، ولم تهتم الضفادع بما تقول واستمرت فى النقيق وظلت تقول كوس كوس كوس - وهو يظنها تقول تكوس تكوس رأى ثمانية بلغة الهوسا - فغضب وقال "اليوم التقيت بالأغبياء ، إننى قلت لكم أنها تسعة شلنات ، ثم تقولون مرة أخرى أنها ثمانية ، ألا تعرفون سوى المخالفة . "

وهم بالمضى ، فاستمرت الضفادع فى النقيق تكوس تكوس تكوس ، فقال "إن لم توافقوا على العدد دعونى أعدها أمامكم لتروا بأنفسكم ، انظروا إلى هذه الحشرات إنها تريد أن تكذب جميع الناس " . وفك كيس النقود وعدها تسعة شلنات تماما ونظر 'لى المستنقع وقال "هل رأيتم ، لا أقبل أن أكذب عليكم " ، ولم تدرك الضفادع ما يقول وما يفعل واستمرت فى النقيق .

عندما سمع دولو ذلك غضب وقال " شاء الله اليوم أن ألتقى بالأغبياء ، إذا كنتم تظنون أنكم تعدون أفضل منى ، ها هو المال عدوه أنتم بأنفسكم ، لتروا " ، وجمع المال كله والقاء فى المستنقع ، وانتظر حتى يعدوه ويردوه إليه ، ولكنه رأى أنهم يستمرون فى النقيق . ولم يردوا إليه ماله ، فقام وأخذ يسبها ويقول " إن لم تنتهوا فقولوا لى انتظر ودعونى أذهب لأن البرد كاد يقتلنى ، ها هو المغرب قد اقترب ، وانتم مختلفون ، ألا تستطيعون عد تسعة شلنات ، هل تعذر عليكم هذا العد وتسليمها إلى بعد عدها ، إذا كنتم لا تقدررون ردوا إلى مالى ، لأذهب حيث أريد " ، ثم جلس مرة أخرى ينتظر .

فلما رأى أن المغرب قد أقبل ولم يردوا إليه ماله ، قصد منزله وهو يقول " من حسن حظكم أن الأمير غير موجود ، لشكوتكم إليه ، ولكنه أوشك على العودة ، ويقطع أيدى السارقين وأن هنا بعض اللصوص الذين لا يعرف الأمير شيئا عنهم " .

عندما وصل المنزل وجد الأمير قد بعث الشرطة لأخذ مال الخراج ، فقال دولو " إننى أبحث عنها " ، وعندما مضى اليوم جاءت زوجته وانحنت أمامه ، وقالت " سيدى ، ليس لدينا شيء نأكله " .

فقام صاحبنا وأمسك خروفا له وهم بأخذه إلى السوق ، ثم فكر فى ذبحه ، وسلخه وأخذ لحمه وبيعه لكبير القصابين ، بعد خصم قيمة الخراج وشراء ما يحتاجه أهله من الطعام ، ثم يعود لبيع الجلد .

وأثناء السير وجد بعض الكلاب مجتمعه عند بوابة المدينة متتبعين كلبه ، فشمت الكلاب رائحة اللحم ، فنظرت إلى دولو وأخذت تنبح عليه ، فقال " حتى لو كنتم أكثر من الذباب لن أعطيكم شيئا ، إنه للبيع ، وليس للإهداء " ، واستمر لشأنه ، وكان من بين هذه الكلاب كلب ضخم أسود قمحى لكبير القصابين ، قد تتبع دولو ، وكاد يوقعه ويخطف منه اللحم بالقوة ، فلما التفت دولو ورآه وعرف أنه كلب أمير القصابين دائما يلازمه لذلك قال " هل أنت؟ لو لم أكن رأيتك لذهبت إلى منزلكم لتوصيل هذا اللحم ، أما الآن إذا كنت تريد أن تريحنى فسوف أعطيك فلا فرق بينكما فأنت وأمير القصابين واحد ولكن الكلاب الأخرى لن أعطيها لأننى لا أعرفها ، إلا إذا ضمنتها " ، فأخذ الكلب ينبح فظن دولو أنه يقول أنه موافق ، فأنزل الخروف إلى الأرض ، وقال " وهو كذلك ، ها هى ، ولكن بعد ثلاثة أيام ، أى يوم الجمعة ، تجمع لى المال ، وتحضره لى فى الصباح ، أنت تعرف أن المنزل هنا فى شمال مصلى الجمعة " ، واستمر فى السير ، وترك اللحم تلتهمه الكلاب .

وفى يوم الجمعة قال لزوجته أن تغسل الأواني منذ الصباح ، واليوم سيدفع له ثمن الخروف الذى باعه ، وخرج وجلس على باب المنزل ، ينتظر كلب أمير القضاين الأسود القمحي ، فلم يره حتى الظهر ، فقال " لقد انتشر الكذب فى هذه الأيام ، إذا أهمل الإنسان حقه ضاع عليه ، لنصبر ونرى " ، ثم قام وذهب إلى أمير القضاين فى السوق ، وقال " كيف يحدث هذا يا كبير القضاين؟ ، لقد أخذت الكلاب لحم الخروف وضمنهم كلبك ، ووزعه عليهم ، وحتى الآن لم يجمع منهم الثمن ، أهكذا يفعل معي؟ " ظن كبير القضاين أنه يمزح ، فنظر إليه وابتسم ، وقال " ها هو الكلب اسأله يعطيك المال " .

نظر دولو إلى الكلب وقال " أين المال الذى قلت إنك ستأتيه به اليوم؟ ، فلم يرفع الكلب رأسه ، فأخذ دولو يكلمه ، ولكن الكلب لم يرد عليه ولم يرفع رأسه ، وأخذ الناس يضحكون عليه .

نظر دولو إلى كلب القضاين وقال " الله أكبر ، لقد أصيب بالصمم بعد أن تركته يجب أن تدفع أنت . "

أخذ كبير القضاين عصا وضرب دولو ، وقال " بالله عليك اغرب عن وجهي ، إذا لم يكن لديك عمل تعمله ، فنحن مشغولون ، وهاك الكلب امسكه واسأله يعطيك " .

نهر دولو أمير القضاين وقال " لا ، لا تقل هذا ، الشهر الماضى ، عندما ارتكب

نانا بن جيا جناية شكاه حتى دفع الدية ، وأنت قلت أنه ليس لك ابن ولا حفيد سواء ، ولأنه لم يف اليوم بالدين تقول لن تدفع ؟ ، وطالما أن المدينة بها أمير ، لن يضيع حقى " ، ثم قصد الأمير ، وسمح له بالدخول ، فدخل فانحنى وحياء .

وكان الأمير يجلس وابنته تجلس بجواره ، ولا أحد بالحجرة سواهما ، يهدىء من روعها بسبب غضبها الشديد ، بعد أن أدى التحية قال للأمير " أطال الله حياتك ، أشكو إليك ضفادع مستنقع ميو ، وكلب أمير القضاين الأسود ، أنت تمنع الظلم ، ولكن الناس لا يمتنعون حتى الآن ، عندما ذهبت إلى أمير القضاين أشكو كلبه الأسود إليه ، بدلا من مساعدتى فى الحصول على حقى ، ضربنى بالعصا على رأسى " ، وقال له كل ما حدث بينه وبين الضفادع ، وبينه وبين كلب القضاين .

عندما سمعت ابنة الأمير ذلك انفجرت فى الضحك ، وكاد الأمير يقع من فوق الكرسي من شدة الضحك ، ونظر إلى دولو وقال " بما أنك رميتها لهم ، سأعطيك ابنتى زوجة عوضا عما ضاع منك ، لم تضحك منذ ماتت أمها منذ خمس سنوات ، أن أزوجها لمن يضحكها لأول مرة ، وأنت الذى أضحككتها فقد وهبك الله إياها . "

قال دولو " أطلال الله حياتك ، أنا لى زوجة بالمنزل وهى تكفينى ، إذا أضفت لها أخرى سيصير كل ركن فى المنزل أنظر إليه لا أرى إلا نساء . "

فلما رأى الأمير دولو يرفض الزواج من ابنته ، غضب وقال " إذا كنت لا تريدها ، تأتى غدا فأعطيك مائة على جسمك لما أحدثت لى من خسارة "

قال دولو " وهو كذلك " وشكره ، وقام وبعد خروجه قابله رئيس الحاشية ، فسأله عما أعطاه الأمير عندما سمع أنه أضحك ابنته . "

قال دولو " لم يعطنى شيئا ، ولكن أمر أن آتى غدا ليعد لى مائة فأخذها . "

ظن رئيس الحاشية أنه سيعطيه مائة شلن ، لأنه يعرف أن من يضحك ابنته لن يتركه يخرج خالى اليدين ، ولعلك تعرف أن دولو غبى ، لذلك أطلق عليه هذا الاسم فأضمر رئيس الحاشية أن يكرر به ، ونظر إليه وقال " سيعطيك مائة شلن ، ولكن ماذا ستفعل بهذه الشلنات ، التى إذا حاولت أن تغيرها سيصعب عليك ؟ "

تعال معى نذهب إلى منزلى أعطيك ملاليم بدلا من المائة شلن ، وعندما يعطيك الأمير غدا تردها إلى . "

قال دولو " وهو كذلك " ، وسار خلفه .

ملأ رئيس الحاشية إناء بالملاليم ، بمقدار عشرين شلنا ، وقدمها إلى دولو ، فأخذها وقصد منزله وهو مسرور .

وفى الصباح الباكر ، ذهب رئيس الحاشية إلى منزل دولو واستأذن ، وعندما خرج قال له " استعد بسرعة لنذهب إلى قصر الأمير ، حتى يسلمك المال قبل أن يجتمع الناس "

قال دولو " وهو كذلك " ، ودخل واستعد وخرج وسار رئيس الحاشية أمامه حتى وصلا إلى القصر ، وانتظر ، وفتح القصر ، ودخلا الممر الكبير ، وجلسا ، يتعجلون المائة .

وعند الضحى خرج الأمير إلى الممر الصغير ، وفي الحال دخل رئيس الحاشية وقال له أن دولو يستأذن للدخول ، فأمر الأمير أن يدخل وخرج رئيس الحاشية . وعاد إلى الممر الكبير ، فقال الأمير "لقد أردت بك خيرا ، ولكن يؤسك حال دون ذلك" ، ونادى على رئيس الشرطه وأمر أن يجلد دولو مائة جلده ، "لقد سبق أن قلت له أن يأتي لأخذها" . وهم رئيس الشرطه أن يجرده من ثيابه ، فقال "انتظر ، نصرك الله ، إذا كنت ستعطيني مائة جلده ، فقد استبدلها رئيس الحاشية" ، وقص كل ما حدث بينه وبين رئيس الحاشية.

وفي الحال جاءوا برئيس الحاشية ، وطلب الأمير من دولو أن يردد القول الذي حدث بينهما كله ، وسأل الأمير رئيس الحاشية أحداث ذلك ، فقال "نعم" ، نظر إليه الأمير وضحك وقال "الطماع لا يشعر بالسعادة ، لقد كنت أنوى إعطاءه مائة جلده ، طالما أنك استبدلتها ، فعليك أن ترقد وتأخذها" .

أخذ رئيس الحاشية يقول "تبت ، تبت" ، فزجر الأمير الشرطه ، وقبل أن يغلق فمه كانوا قد جردوه من ملابسه ، وانهالوا عليه بالسوط ، وهو يصرخ حتى أتموا المائة .

نظر الأمير إلى دولو وقال "لقد جعلك الله سعيد الحظ ، تهرب من الرزق فيتبعك اذهب إلى الخزانة ، وخذ ما تشاء من الشلنات ، واذهب ، أقدمها لك بدلا من التي أخذتها الكلاب والضفادع" .

ذهب دولو وقدم له الصراف سلة مملوئة بالمال ، فقال دولو "لا أقدر على هذا العبث ، وأحمل المتاع الذي لا أستطيع حمله" ، ومد يده وملا جيبه ، وفرش كم قميصه وملأه ، واحتضن ما تبقى .

وقبل أن ينصرف أمره الصراف أن يذهب ويشكر الأمير ، فذهب وشكره وخرج وجلس في الممر الكبير يعده ويتمتم ويقول "لم يف الأمير بوعده ، طالما أنه حرمنى من حقى الذى استحقه ، وأعطانى حق شخص آخر ربما لو اتبع حكم الشرع تماما لأعطانى حقى الذى يكون ضعف هذا" .

لقد كان رئيس الحاشية مختبئا يسمع كل ما يقول فقال "أذهب وأمشى به ربما أخذ الأمير المال الذى قدمه له وأعطاه لى" ، وأسرع إلى الأمير وانحنى أمامه وقال كلاماً كثيراً شيئا ونسبه إلى دولو ، وادعى أنه يقول هذا بالخارج" .

عندما سمع الأمير ذلك ، ظن ذلك حسدا ، ولكنه قال لرئيس الحاشية أن يناديه ،
وتصادف أن سمع شقيق دولو الأصغر كل ما قال رئيس الحاشية للأمير ، عندما أسرع
ووشى بأخيه ، لذلك قبل أن يستدعيه ، قال لأخيه الأكبر ما يقوله أمام الأمير ، وما
يفعله إذا استدعاه الأمير .

وما كاد أن ينتهى من الكلام معه حتى جاء رئيس الحاشية يستدعيه ، قائلا " أنت يا
دولو لا تفرح ، تعال ، الأمير يطلبك ، ابن حرام ، اليوم ستعلم أن كتمان السر مفيد " .
وقف دولو ونظر إلى جيبه المملوء بالمال وأخذ يسير بتعقل ، لذلك قال لرئيس
الحاشية " لا أستطيع أن أذهب إلى الأمير بهذه الثياب الرثة ، لا بد أن أذهب وأستعير
ثوبا " .

وكان رئيس الحاشية متعجلا ولا يريد أن يتركه يذهب إلى أى مكان ولو لوقت قصير
ليستعير ثوبا ، فتهدا ثورة الأمير ، لذلك خلع ثوبه وقدمه إليه وقال " ها قميص أعيره
لك ، البسه بسرعة لتذهب ، أنت تعلم أنك صرت صديقى الآن " ، أخذه دولو وارتماه ،
ووصلا إلى الأمير .

وعند وصولهما تلقى الأمير دولو باللوم والسب بسبب ما قاله رئيس الحاشية له ،
فقال دولو " أطال الله حياتك ، أقسم بعمامتك أنه يكذب ، إنه يحسدنى على الخير الذى
نلته منك ، نحن نعرف أخلاق رئيس الحاشية ، أنت وحدك فى المدينة الذى تستطيع
مجالسته ، والآن يمكن أن ينظر إلى هذا القميص ويدعى أنه قميصه " .

نظر رئيس الحاشية إلى دولو وقال " ماذا تقول ؟ ، أليس هذا قميصاً ؟ ألم أعرك إياه
الآن حتى تدخل على الأمير فى مظهر جميل ؟ "

قال دولو " أطال الله حياتك ، أسمعت ماذا يقول ؟ ، إن هذه هى أخلاقه ، لقد
قلت لك ذلك " .

تعجب رئيس الحاشية من ذلك ، وأخذ يقلب كفيه ، فزجره الأمير وقال " دعك من
هذا الكلام الكاذب ، عليك أن تدفع قيمة مائة جلدة بسبب هذا القذف ، وإلا جلدتك
الآن وردت على ذلك " .

دفع أمير الحاشية قيمة مائة جلدة مكرها وأعطى دولو نصيبه ، فبنى منزلا ومنذ هذا

اليوم سقطت منزلة رئيس الحاشية فى نظر الأمير ، وأصبح لا يوافق على أى شيء يقوله ، واحتفظ به فقط لأنه ألفه .

حمل دولو ماله إلى منزله ، وأخذ أخوه الأصغر وحفظه لديه ، وأخذ يتاجر له فيه ، ولما كان يصرف بحكمه ، زاد هذا المال ، واختفى اسم دولو ، وصار الناس يقولون له حيثما ذهب: يا سيدى قدوم مبارك .

وكلما رأى رئيس الحاشية دولو ، يعرض على شفتيه ، وينظر إليه ويقول " بالله انظر ، إنه يتباهى بما سرق من مال ، الذى كان يعجز عن شراء الثوب ، مدعى الغنى ينفث الدخان ويتعالى على الناس ، كأننا لا نعرف أصله " .

عندما سمع فصيح آخر هذه القصة أخذ يضحك حتى دمعت عيناه ، وقال " هذه أجمل من القصة التى قصصتها أمس ، والى اللقاء بعد غد ، لأن غدا يوم راحة . "

قال الوزير " نعم " ، طار فصيح وذهب .

وعندما طلع فجر يوم الثلاثاء ، دخل فصيح المدينة منذ الصباح وأخذ يلعب مع الأولاد ، كل من فى المدينة يعرفه من الصغار حتى الكبار ، وفى منتصف النهار عندما تعب عاد وتناول الطعام وقبل أن يستيقظ الوزير عاد خارج المدينة فوجد أصدقاءه من الحمام وقد وقفوا فى مكان ظليل ، وأخذوا يلعبون بالأرقام ، وإخوته يتفرجون عليه وبعد قليل وهم على وشك الانصراف جاء الهدهد وسألهم مسألتين ، فعجزوا عن الإجابة ، فطلب فصيح أن يعطوه مهلة حتى الغد ، ليسأل الوزير .

وقرب المغرب عاد إلى المنزل ، فاستقبله الوزير باللوم قائلا " أين كنت اليوم منذ الصباح ؟ ، لأنى قلت لم لا قراءة اليوم تقضى اليوم خارج المنزل؟

قال فصيح " لقد كنت مع بعض أصدقائى من الحمام فى بجويرى ، لم نقض الوقت عبثا ، كنا نتعلم الحساب ، حتى أن الهدهد هو ذكر لنا مسألتين فعجزنا عن حلها ، فقلت ندعهما حتى آتى إليك وأسالك " .

قال الوزير " اذكرهما أعطك الإجابة عنهما ، دون أن انتظر للتفكير فيهما ، وتذهب الآن وتذكر له الإجابة ، لأن الناس يطلقون عليه معلم الطيور، يظن أنه لا يوجد من هو أعلم منه؟ "

قال فصيح "المسألة الأولى ، ذات يوم ذهبت فتاة لترد الماء فوجدت بعض البقرات قد ذهبت لتشرب من النهر ، فنظرت إليها الفتاة ، وقالت "مرحبا بالمئة" ، فقالت لها البقرات "لم نكمل المئة ، حتى إذا جئت بمثلنا ، ونصف مثلنا ، وأضيفتها إلينا ، حيثنذ نكمل المئ" ، فكم بقرة جاءت؟"

صمت الوزير ، وأخذ يضرب برأسه ، ثم قال "ما هو السؤال الثانى؟"

قال فصيح "اليس لهذه المسألة إجابة"

"لديه الإجابة ، جاءت ثلاثون بقرة"

قال فصيح "يا أبى ، هذا الحساب صعب علينا ، دعنا نحسب ، اجمع ثلاثين على ثلاثين يكون الناتج ستين ، وأصف إلى الناتج نصف الثلاثين أى خمسة عشر سيكون الناتج خمسا وسبعين" ، نظر إلى الوزير وقال "كيف ذلك ؟ ، لا يصل للناتج إلى مائة" .

قال الوزير "لقد أخطأ الهدهد ، قل المسألة الثانية لأسمعها" .

قال فصيح "ذات يوم ، كانت الفتاة تجدل شعرها ، فسمعت الجادلة صوتا يطير فوق رأسها ، فرفعت رأسها ، فرأت حماما ، فنظرت إليه ، وقالت "مرحبا بكم يا مائة" ، فقالت الفتاة التى تجدل شعرها ، لم تكمل المائة حتى تأتى بمثل نصفهم وتضيفها إليهم ، وأضيف إليهم الحمامة التى أرهاها لدى ، حيثنذ يكتمل عددها مائة"

صمت الوزير وأخذ يفكر طويلا ، وبعد قليل قال "اذهب وأرحنى من هذه الحسابات الخالية من الفصاحة ، ولكن أجلس لأقول لك واحدة إذا ذهبت ألحقها عليهم ، لنعرف هل يستطيع أحد منهم معرفتها ، وقل لمن يعرفها أننى سأعطيه جوالا من الغلال" .

أيها الغلام ابذل جهداً عظيماً لتشتهر

في إحدى بلاد الشرق البعيد عن هنا ، كان يعيش رجل يسمى عبد الله ، كان ثرياً وعالمًا كبيراً ، وكان من بين ثروته سبع عشرة جملاً مختارين من بين الإبل كلها نوق متساوية في الحجم فلا تزيد واحدة عن الأخرى .

عندما شعر هذا العالم أنه على وشك الوفاة ، نادى أولاده الستة ، وقال لهم إذا مت لا تضموا هذه الإبل إلى الميراث الذي ستورعونه ، لم أنو أن أجمعها لنفسي ، في نيتي إذا كبرت ، أعطى ابني الأكبر النصف ، والذي يليه الثلث ، والابن الأصغر التسع ، إن عددهم ليس كبيراً ، ولكن مع ذلك يجب أن توزع على هذا النحو ، ولا تدعوا أي عالم يغير في هذه القسمة التي قسمتها ، وأن يقول هذا ليس بالحلال ، إنني أعلم بما نويته في نفسي .

احتضن الأولاد أباهم وهم يبكون ، وبعد قليل شعروا بالبرودة تسرى في جسمه ، فأخذوا ينظرون إليه حتى أسلم الروح ، دون أن يعرف أحد ، فاجتمع الناس وشيعت الجنازة ، وانتهى الأمر .

وبعد سبعة أيام بعث القاضي بالساعي ليحضر بهم لتوزيع الميراث ، فقال له الشهود ما قال عبد الله بالنسبة لتوزيع الإبل التي تركها ، فعندما هم بالقسمة ، جنب هذه الإبل في مكان ، ووزع باقي الثروة ، وعند توزيعها قال الأولاد " يجب أن توزعها حسب الوصية التي تركها أبونا ، حتى ننتهي من القسمة نهائياً " .

" ما يسمى النصف هو $\frac{2}{1}$ وما يسمى الثلث هو $\frac{3}{1}$ أي يقسم الواحد ثلاثة أجزاء ويؤخذ جزء واحد ، وما يسمى التسع هو $\frac{9}{1}$ أي يقسم الواحد تسعة أجزاء ويؤخذ جزء واحد " ، صمت الساعي ، وأخذ يحسب الإبل ، فوجد أنه لا يمكن تقسيمها كما أراد هذا الأب ، فقال لهم " هذه الإبل لا يمكن تقسيمها كما أراد أبوكم ، إلا إذا ذبح بعضها ووزع لحمها عليكم ، أو يصبر أحدكم ويرضى بنصيبه ، ويأخذ أحدكم أكثر من نصيبه ، فكروا ، وقرروا ، نصف السبعة عشر ، ثمانية ونصف ، فكيف نجد نصف جمل ، إن لم

يذبح ويقسم ، أو يباع ويقسم ثمنه ؟ ، أو توافقون أن يأخذ كبيركم أكثر من النصف فيحصل على تسعة " .

قال الأخوان " لا ، لم يوص أبونا بذلك ، لم يرد أبونا أن ينال أحدهما أكثر من الآخر " قال الساعة " وهو كذلك ، لعله يوافق على النصف لكم ويأخذ ثمانية " .
فأجاب هو الآخر قائلا " لا أوافق أن يزيدوا عني ، قال أبى لا يختلف نصيب عن الآخر ، ..

صعب الأمر عليهم وتخير الساعى فى الأمر ، فأخذهم وأخذ الإبل معهم وذهبوا جميعا إلى القاضى ، وعرضوا الأمر كله عليه .

فلما سمع القاضى القصة ، صمت وبعد قليل قال " وهو كذلك ، هيا نخرج لرؤية الإبل " ، وخرجوا ورأوها ، وعدّها ، وهز رأسه وقال " هذا أمر يسير "

قال الشاب " غفر الله لك يا سيدى ، لا ينبغي أن يأخذ أحد أكثر من حقه ، ولا تنقص من حق أحد " .

قال القاضى " أتقولون لى هذا الكلام ، هل أنتم أول من أقسم لهم الميراث ، انحنى الشاب وقالوا إنهم آسفون ، فعفا عنهم القاضى ، ثم نادى أحد خدمه ، وقال " اذهب واحضر ناقتى التى أركبها ، وفى الحال جاء الخادم بها ، فقال القاضى " ضمها إلى نوق هؤلاء الشاب ، وافعل ما أقوله لك ، ففتح كل فمه تعجبا ، ونظر لما سيفعل .

والتفت القاضى إلى الابن الأكبر وقال " كم عدد هذه الإبل ؟ "

قال الابن الأكبر " ثمانية ، غفر الله لك يا سيدى "

قال القاضى " حسنا كما من الإبل أوصى لك أبوك ؟ "

قال الشاب " النصف ، أحسن الله إليك يا سيدى "

قال القاضى " الحمد لله ، ما هو نصف سبع عشرة ناقة ؟ "

قال الشاب " ثمانية جمال ونصف وجمل ، غفر الله لك يا سيدى "

قال القاضى " وهو كذلك ، كم نصف الثمانية عشر ناقة ؟ "

قال الشاب " تسعة "

قال القاضى "إذا حصلت على تسع نوق ، وأنت تريد ثمان ونصف ، ألا يكفيك هذا؟"

قال الشاب "غفر الله لك يا سيدى ، هذا فاق الحد ، لقد ردت بهذا نصفاً؟"

قال القاضى "وهو كذلك ، سق الناقة ولكن لا تضيفها إلى ناقتى ، أعرف أننى وإن لم أمنعك من ذلك ، سوف لاتفعل ، لأنها أصغر من الباقى" .

بدت السعادة على وجه الشاب وابتسم ، وساق النوق التسع ، وذهب إلى منزله مسرعاً ، خشية أن تنقص القسمة ، ويطلب منه إعادة واحدة.

نظر الأخوة الباقون الأصغر منه إلى القاضى فى غضب يظنون أنه طالما راد نصيب أخيهما الأكبر أن نصيبهم سينقص.

نظر القاضى إلى الآخر الذى يلى الكبير وقال "وأنت كم عدد الإبل التى أوصى بها لك أبوك؟"

قال الصبى "قال أن تقسم ثلاثة أجزاء وأنال جزءاً واحداً ، غفر الله لك يا سيدى" .

قال القاضى "إذا قسمت الثمانى عشرة ناقة إلى ثلاثة أجزاء كم جزءاً سيكون نصيبك؟"

قال الصبى "أحسن الله عملك يا سيدى ، سيكون كل جزء ستة ستة ستة"

قال القاضى "إذا أخذت ستة أجزاء ألا ينقص هذا من نصيبك؟"

قال الصبى "أين هو النقص؟ ، إذا لم تعطنا ناقتك ، يكون خمسة إبل وثلثين من الإبل أنا لها" ، فأخذها ومضى.

لعلك تذكر أن إبلهم كانت سبعة عشر ، وأمر القاضى أن تضاف إليهم ناقتة فصارت ثمانى عشرة ، الكبير أخذ تسعة ، والأصغر منه أخذ ستة ، وهو كذلك تسعة وستة ، إذا جمعناها يكون الناتج خمسة عشر ، وإذا انقصنا من الثمانية عشر واحدة ، يتبقى ثلاثة إبل.

نظر القاضى إلى الابن الأصغر وقال "وأنت كم ناقة قال أبوك أنها نصيبك؟"

قال الابن الأصغر "قال إذا قسمت هذه الإبل السبعة عشر ، تسعة أجزاء يكون نصيبى جزءاً واحداً أى سيكون نصيبى جملاً واحداً ، وثمانية أضعاف"

قال القاضى "أنت تريد جملاً واحداً ، وثمانية أوسع جمل فما بالك لو حصلت على جملين" .

قال الابن الأصغر "إذا حصلت على جملين ، أحسن الله عملك يا سيدى كل ما تفعله طيب"

قال القاضى "وهو كذلك ، سقى جملين ، ولكن اترك جملى"

ساقهما الابن الأصغر ومضى مسروراً .

ثم نظر القاضى إلى خادمه وقال "خذ ناقتى التى أحضرتها ، وارجعها إلى أخواتها" ، فأخذها وذهب ، وتعجب الناس من مهارة هذا القاضى .

قال فصيح "لم أر فى هذا الرد المطلوب على السؤال الذى سألته"

قال الوزير "تريد أن تعرف السبب الذى جعل كل واحد منهم يعتقد أنه نال أكثر مما كان يظن أنه نصيبه كما أن ناقة القاضى عادت إليه دون أن يخسرها" .

قال فصيح "هذا الحساب صعب جداً ، ما هى إجابته ؟ ، حتى لا أذهب وأطرح هذه المسألة دون أن أعرف حلها" .

صمت الوزير وبعد قليل قال "إذا ذهبت وقلت لهم ، نسمع لنعرف هل فيهم أحد يفهم أنى أعرف الإجابة ، ولكن لن أقول لك الآن ، حتى تكبر" .

قال فصيح "وهو كذلك" ، وخرج يتجول .

وعندما طلع النهار ، ذهب فصيح إلى بوجابرى ، حيث الحمامات اللاتى قضى يوم أمس معها ، فلما رآوه قالوا "هل قال لك الوزير الإجابة عن هذه المسائل" .

قال فصيح "لا ، قال إن من قال هذه المسألة خطأ فى الإجابة عن واحدة ، يجب أن يكون ثلاثين" .

قال الهدهد "أين الخطأ ؟ ، لقد قلتها كما هى تماماً ، والإجابة هى أربعون ، والثانى ستة وستون ، أحسبها تر ذلك ، الأولى أربعون طائراً ، أضف مثلها فتصير ثمانين ، وأضف نصف مثلهم ، أى عشرين ، فتصير بذلك مائة فأين الخطأ هنا؟"

"الثانية ، ستة وستون طائراً ، ضف إليهم نصف مثلهم ، أى ثلاثة وثلاثين فتصير تسعين ، ضف إليها حمامتها التى ترعاها ، فيصير عدد الحمام مائة أم ليس كذلك؟"

قالت الطيور فى وقت واحد "هكذا هكذا" ، وأخذت تضحك على فصيح.

عندما رأى ذلك غضب ، وقال "وأنا أيضا سمعت واحدة وسأقولها لكم حتى
خصص الوزير جوالا من الغلال لمن يعرفها ، ويجيب عنها" ، فقالوا قل لنسمعها فقص
عليهم القصة التى سمعها بالأمس ، فلما رأوا أنهم لا يستطيعون الإجابة عنها ، قالوا
إنهم عجزوا ، وطلبوا منه ذكر حلها ليسمعوه.

قال فصيح "أنا أيضا لم أعرف ، سألت فقال الوزير عندما أكبر سيقول لى الحل
فانفجروا فى الضحك ، وطاروا جميعا، وتركوا فصيحاً يعود إلى منزله ، يعرض جناحيه
، وقص للوزير ما حدث.

قال الوزير "لابد أنك تجهمت فى وجههم ، حتى جعلتهم يحتقرونك ، إن لم تكن
أنت ابن وزير هذه البلاد كلها ، يقف ويجادل الحمامات حتى يجذوا الفرصة للإساءة إليك
؟ ، دع الكلام عن الطيور ، لو أساء إليك أحد من الناس لا تتردد فى رد الإساءة ولا تدع
هذه الإساءة يوما واحدا ، وهذا ما يتفق مع المثال الذى أستعد لقوله لك فى التحذير
التاسع ، إذا كنت تعيش بين الناس ورأيت دقائق طبولهم تغيرت ، فغير رقصك.

لكل زمان ما يناسبه

فى إحدى المدن وكانت تسمى رنداجى كان يعيش اثنان من الأثرياء أحدهما من الإبرو يسمى نوانكو ، والثانى من الهوسا يسمى بلا وكان الأخير يعمل بائعاً جائلاً ، بينما كان نوانكو يعمل بائعاً جائلاً ومرايياً ، يقرض الشلن بشلن وربيع ، ولعلك تعرف أن الهوسا يالفهم الناس ، ومع ثراء بلا لم يكن فى ثراء نوانكو ولكن لحلاوة لسانه ومعرفة حال أهل البلد ، فاق نوانكو فى التجارة ، حيثما يسمع أن نوانكو كسب نصف قرش يذهب ويسد عليه طريق الكسب ، إذا باع نوانكو مقطعاً من القماش بمبلغ خمسة شلنات ، يذهب بلا ويخفض ثمن المقطع نصف شلن ، ولعلك تعرف أن الناس يميلون إلى من يبيع بسعر أرخص ، لذلك كان الكل يقبل على بلا ويتركون نوانكو ، حتى أصبح يقضى عشرين يوماً لا يربح فيها شلناً واحداً ، فبحث عن حيلة ليتقم من بلا فلم يجد .

ومضت الأيام وهما على هذه الحال وإذا زاد تساهل المرء مع الناس كثر ندمه ، ولكن تساهل معهم بلا حتى خسر ، وأصبح لا يملك ولا مليماً ، وليكن ما يكون ، حتى ضاقت الدنيا فى وجهه ، ولم يعرف ما يفعل ، ففكر أن يذهب ويطلب قرضاً من نوانكو ولكنه كان يخشى أن يريق ماء وجهه دون أن ينال ما يطلبه ، لذلك ذهب إلى أحد العلماء وسأله أن يعمل له تيمة تفتح له قلب المدين ، ثم ذهب وسأل نوانكو قرضاً قيمته عشرين جنيهاً ، ليتاجر بها ، على أن يقتسما ما ينال من الربح .

عندما رأى نوانكو ذلك فرح ، لأنه وجد السبيل ليشفى غليله من بلا ، وأحضر له المبلغ المطلوب نقداً ، شلناً ينطح شلناً ، وقدمه له ، فشكره ، وقال " سأتيك بعد أربعة عشر يوماً لنسوى حساباتنا ، ونقتسم ما نلته من ربح ، ثم أعود للتجارة "

فلما سمع نوانكو ذلك قال " لا أحتاج أن نقتسم الربح ، إذا وافقت على شرط واحد " .

ففر بلا فاه وانفجر فى الضحك ، وقال " أى شرط؟ "

قال نوانكو " إذا وافقت بعد شهرين إن لم ترد عشرين جنيهاً قيمة الدين اقتطع جزءاً من لحمك " .

عندما سمع بلا ذلك ، ضحك وقال " إذا كان هذا هو الشرط ، والله موافق " ، جمع نوانكو العلماء وشهدوا على ذلك ، وعاد بلا إلى منزله مسرورا ، وأعطى زوجته عشرة جنيهاً لتدخرها ، وأخذ عشرة جنيهاً وذهب إلى القماش واشترى مقطعا من القماش ، وحمله إلى القرى لبيعه ، وصار الأمر فى البداية طيبا ، ولم تعرف الزوجة العهد الذى قطعه على نفسه ، وأخذت تبذر فى المال ، فلا تطهى طعاما إلا إذا كان السمن يغطى وجد الإناء ، وعندما يعود الزوج من تجواله تذبح له دجاجة وتقدم له ما لذ وطاب ، وتثر عليها التوابل ، فلم يهتم بما وراء هذا الأمر ، ولا ترتدى إلا أفخر الثياب وباختصار ، قبل مضى الأربعين يوما ، لم يتبق من العشرة جنيهاً سوى خمسين شلنا ، ولم يهتم صاحبنا بهذا الأمر ولا يعرف كم من المال تبقى ، فهو غارق فى الملذات ، ولم يكن يحب أن يثير أمرا يغضب زوجته ، وها هو قد أنفق فى الأربعين يوما العشرة جنيهاً التى أخذها ، وربحت حوالى خمسة عشر جنيها .

وبعد أن بقى خمسة أيام ويذهب بلا لتسوية حساباته ، بعث نوانكو بعض اللصوص إلى القرية التى ينزل فيها بلا فسرّقه ليلًا ، ولم يتركوا له سوى بعض القروش التى وضعها فى جيبه الذى ينام عليه ، فاستيقظ فى الصباح كالمجنون ، وصبر ، وعاد إلى منزله وقص على زوجته ما حدث ، وقال " أعطنى ما معك من المال لأذهب قبل مضى الخمسة أيام لأسوى حساباتى ، إن شاء الله ، حتى إذا لم أربح أستطيع تسديد الدين ، ثم أحصل على دين آخر " .

قامت الزوجة وأحضرت قليلا من المال ووضعت أمام زوجها ، فقال الزوج " أحضرى كل المال ، إنى متعجل الآن ، أريد أن أذهب إلى السوق لأشترى بعض السلع " ، فقالت الزوجة " هذا كل ما تبقى " .

قطب بلا جبينه وقال " ماذا تقولين ، هذا كل ما تبقى؟ " ، وعده فوجده خمسة وأربعين شلنا فقط ، فنظر إلى زوجته ونهرها ، وانهال عليها ضربا ، وخلصها الجيران من يديه بصعوبة .

جلس بلا فى ذهول ، وهو يشعر باليأس ، وبعد قليل قال " لماذا أضايق نفسى هكذا ، فليكن ما يكون ، حتى لو انطبقت السماء على الأرض ، فلن يستطيع أن يقطع من جسمى قطعة واحدة ، إلا إذا فارقت الحياة " ، وجمع الخمسة وأربعين شلنا الباقية وأنفقها .

ولما اكتملت الخمسة أيام ، بعث نوانكو يطلبه ، فلما ذهب إليه ، وجده يمسك سكيناً كبيراً في يده اليمنى ، وحقيبة المال في يده اليسرى ، وبعد أن تبادلوا التحية ، مد نوانكو الحقيبة لبلا وقال "حان وقت السداد، عد المال" قال بلا "ليس لدى مال ، ولا أثر له" ، وقص له كل ما حدث من اللصوص وزوجته المبلرة.

هز نوانكو رأسه وقال "لم اتفق معك على هذا ، أرني الجزء الذى لا تحبه فى جسمك لأقطع منه قطعة اللحم التى اتفقنا عليها" .

جلس بلا فى جانب ، وقال "لا يمكن هذا ، لو اجتمعت كل الدنيا فى هذا المكان، لن يستطيع أحد أن يقطع قطعة من لحمى ، وأنا أحس وأرى" .

وحاول نوانكو كثيراً ، فلما رآه يصر على الرفض ، تقدم بشكوى إلى قاضى راندجى ، أمر القاضى باستدعاء الشهود ، وسألهم ، فقالوا "نعم ، هكذا تم الإتفاق ، غفر الله لك يا سيدى ، تم هذا على أعيتنا" .

قال القاضى "وهو كذلك ، هل سمعت يا بلا ، عليك أن تصبر حتى يقطع ، هذا أمر بسيط ، أ يخاف رجل مثلك ؟ ، لو كنا فى زمن الحرب ما فعلت شيئاً"

انحنى بلا وقال "غفر الله لك يا سيدى ، حتى لو كان عتسر لن يسمح بأن يقطع قطعة من جسمه ، وهو يحس ويرى ، عليك أن تقيم الصلح بيننا"

قال القاضى "وهو كذلك ، إذا وافقت يا نوانكو ، سأخذ منه وعدا ، إن لم يحضر المال ، سأسجنه" .

قال نوانكو "غفر الله لك يا سيدى ، لا أقبل التأجيل ، لقد وعدنى أنه يستطيع ، إن الفم هو الذى يقطع العنق ، لقد نصحته نصيحة واحدة ، حيث أننى الذى اخترتك لتقضى بيننا ، وقضيت ولم يقبل حكمك ، فليذهب ويحكم القاضى الذى يرتضى حكمه، لنذهب إليه ليقضى بيننا ، وإذا وافقت ، نذهب إليه حتى لو انطبقت السماء على الأرض سأقطع القطعة"

قال بلا "إنه موافق على هذا رأى ، لنذهب إلى العالم ، قاضى دواكى ، ونسمع ما سيقول" ، وكان هذا العالم قد اشتهر بالذكاء والعلم والفصاحة ، وخرجوا من رنداجى قاصدين دواكى ، وأثناء السير رأوا بغل أحد التجار أوقع متاعه وجرى ودخل الغابة ،

فطلب التاجر أن يحيطوا به ويمسكوه ، فأحاطوا به ، فرفض البغل التوقف ، ولسوء الحظ أمسك بلا حجرا صغيرا وقذف به البغل حتى لا يجرى ، ويعود إلى الوراء ، فأصاب عين البغل تماما ، وفقا للحجر عينه ، فطلب صاحب البغل من بلا ألا يتحرك حتى يدفع ثمن البغل الذى فقأ عينه ، طالما أنه عابه هكذا .

عندما رأى نوانكو أن هذا التاجر سيعوقهم قال له " إذا كنت ستشكوه سنذهب إلى دواكى فأت معنا ، فنحن سنشكوه هناك ، أما الآن فليس معه مليم واحد يدفعه لك " ، فانضم إليهم صاحب البغل .

لما أدرك بلا أن أمره اليوم تجاوز حدود الحزن ، أخذ يصرخ ، ويدق الأرض بقدميه ويقول " ليكن ما يكون ، أنا مستعد لكل المشاكل " ، ونظر إلى نوانكو وقال " ليتنى تركته ، إذا كان يريد قتلى ، لنرى آخر الشقاء " ، فتركوه وأخذوا يدفعونه إلى دواكى .

وواصلوا السير ، فوجدوا رجلا انغمس حماره فى الطين ، وحاول صاحبه أن يخرجهم فلم يستطع ، فلما رآهم مع بلا استحلفهم بالله أن يساعده ، فأمسكوه ، وأمسك بلا الحمار من ذيله ، وحاولوا رفع الحمار ، فانخلع الذيل الذى يمسكه بلا ، أمسك صاحب الحمار قميص بلا ، وقال " لا تتحرك حتى تدفع لى ثمن الحمار طالما أنك أعبته هكذا " .

فلما رأى نوانكو أن صاحب الحمار سيؤخرهم ، قال له " نحن أيضا سنشكوه لدى قاضى دواكى ، إذا كنت تريد أن تشكوه أقبل معنا " ، فتبعهم وأخذوا يدفعون بلا أمامهم .

وبعد قليل وصلوا إلى دواكى فى الليل ، فوجدوا المدينة كلها قد نامت ، ولم يجدوا منزلا يأوون إليه ، فقال صاحب البغل وصاحب الحمار " الأفضل أن يذهبوا إلى السوق ويناموا حتى الصباح " ، فقالوا إنهم دائما يفعلون ذلك .

فلما وصلوا وجدوا بعض التجار يتسامرون فى العريش فاستأذنوهم فى أن يدخلوا ويناموا ، وبعد قليل قال بلا أن البعوض يضايقه ، لا يستطيع أن ينام داخل العريش وأنه سيصعد فوق العريش ، وقد تعود على هذا فى المنزل .

فلما سمع مرافقوه من الناس ذلك ، ظنوا أنه يستعد للهرب ، فقالوا إنهم سيصعدون معه ، فصعدوا وناموا ، وبعد قليل شعر أحد التجار الذين ينامون فى العريش أن البعوض يضايقه ، فأخذ حصيرة ، ونام فى الخارج لعله يشعر ببعض الراحة ، وبينما

هم نائمون ، وفى الصباح جاء أحد اللصوص ودخل المكان الذى ينام فيه التجار داخل العريش ، فصرخوا ونزل الناس النائمون مع بلا فوق العريش ، ولكن القدر شاء أن يتزل بلا فوق الرجل الذى ضايقه البعوض فنام بالخارج ، وكانت هذه الرقعة آخر أيامه ، وقبل الصلاة كان هذا الرجل قد مات .

وكان التجار الذين ينامون فى العريش أخوة كلهم أغراب عن المكان ، وكان اثنان منهم ابنين للقتيل ، واثنان شقيقان له ، ولما كان بلا قد نزل فوق أخيهم وقتله ، قالوا أنهم سيقطعون رقبتة فى الليل ، وإذا أراد قاضى دواكى أن يقتلهم غدا فليقتلهم .

فلما سمع نوانكو وصاحب الحمار وصاحب البغل ذلك ، قالوا " هذا لا يمكن إلا إذا دفعتم عشرين شلنا ثمن الحمار ، وثلاثة جنيهات ثمن البغل ، وعشرين جنيها التى اقترضها من نوانكو ، لقد سمعتم المال المطلوب منه ، لذلك جئنا معا لنشكوه ، إذا كنتم تستطيعون الدفع لنا ، أحضروا معنا ، عندما يطلع النهار نذهب إلى منزل القاضى " .

فقالوا " ليس معنا الآن أربعة وعشرين جنيها ، والأفضل أن نذهب إلى منزل القاضى غدا عندما يطلع النهار " .

وعندما طلع النهار ذهبوا إلى منزل القاضى وكان بلا فى المقدمة وهم يسرون خلفه فالتفت فرآهم ، فأضحكه الأمر ، وأخذ يقهقه ، ويسير وينفض حذاءه ، ويقول " أنا الجمل كثير الأحمال ، عشر مشاكل فطور صباحى " .

قال إخوة المقتول " ويحك ، اليوم علمت أن فطور الصباح عشر مشاكل " ، ومضوا حتى منزل القاضى .

وبعد أن جلسوا قليلا خرج القاضى فقاموا وحيوه ، فنظر إلى بلا ، فوجد الجميع ممسكا به ، فقال " ماذا جمعكم بعبد الله هذا؟ " .

فقالوا فى وقت واحد " نحن قتل أخانا ، وأنا رمى بغلى بحجر فقفا عينه ، وأنا جذب حمارى من ذيله فقطعه ، وأنا ضيع لى عشرين جنيها " .

وكان قاضى دواكى صديقا لبلا ، لذلك قال أنه لا يريد أحدا يحاكمه إلا هو ، فلما رأى القاضى أن الضوضاء قد زادت ، قال " انتظروا ، انصتوا جميعا ، تكلموا واحد واحدا ، هنا ليس سوقا " ، فسكتوا جميعا .

وهنا أسرع صاحب البغل فقال "غفر الله لك يا سيدى ، عندما كنت أسير بالبغل ، ألقى الحمل وجرى ، فطلبت أن يحيطوا به لأمسكه ، فأخذ هذا حجراً ورماه به فانفقات عينه ، لذلك شكوته ليدفع لى ثمنه " .

فلما سمع القاضى ذلك ، التفت إلى بلا وقال "هل أحدث هذا ؟"

قال بلا "غفر الله لك يا سيدى ، حدث هذا ، لقد طلب أن نحيط به ، فرأيت سيهرب إلى الغابة ، فأخذت حجراً صغيراً وقذفته به ، ليعود إلى الطريق ، ولسوء حظى انحرف الحجر ، وجاء فى عينه " .

قال القاضى لصاحب البغل "إنك على حق ، ولكن بالله عليك بكم اشتريته عندما كان سليماً؟"

قال صاحب البغل "والله ، بثلاثة جنيهاً ، غفر الله لك يا سيدى " .

قال القاضى "وهو كذلك طالما أنه عابه هكذا ، الأفضل ، هاك السيف ، خذه واقطع البغل نصفين ، وأعطه النصف الذى فيه العين التى قذفها ، ويدفع لك ثلاثين شلناً " .

فلما سمع صاحب البغل ذلك صمت ، ورأى أن البغل الآن يساوى خمسين شلناً فقال "غفر الله لك يا سيدى ، إذا كان الأمر كذلك عفوت عنه " .

قال القاضى " لا ، ليس الأمر كذلك ، تأخذ الرجل من مدينة إلى مدينة للحكم عليه ، وعندما أحكم عليكم ، فتقول أنك عفوت عنه ؟ ، إذا كان الأمر كذلك تدفع له عشرة شلنات ، أجر المشقة التى تكبدها من رنداجى إلى هنا ، إلى جانب أنك لم ترض بالحكم الذى قضيت به " .

دفع صاحب البغل عشرة شلنات ، واتخذ جانباً وجلس ، ليعرف ما سيحدث للآخرين .

وهنا دفع التجار الذين قتل أخاهم نوانكو ، وتقدموا وقالوا "غفر الله لك يا سيدى ، كنا ننام فى السوق أمس ، فرفض أن ينام داخل العريش كما ننام ، وقال أن البعوض كثير ، وصعد فوق سقف العريش ، وفى الليل شعرنا بلص ، فصرخنا ، وبسبب سرعته سقط فوق أحنينا الذى كان ينام خارج العريش ، فكسر عنقه ومات " .

سأل القاضى بلا وقال 'هل حدث هذا؟'.

قال بلا 'حدث هذا ، أحسن الله عملك يا سيدى ، سمعتهم يصرخون ، فترلت لأنقذهم لأنهم يقولون إنما المسلمون إخوة ، فقدر الله أن يحدث هذا' .

قال القاضى ' طالما أن الأمر كذلك ، هذا أمر يسير' ، وطلب منهم جميعا أن يصعدوا فوق سطح منزله ، وطلب من بلا أن يتام تحته ، فقام ، فقال القاضى 'من فيكم يطالب بدم أخيه ، ويقفز فوق عنقه ، ليموت فنستريح' .

فنظروا إلى الأرض وقالوا 'غفر الله لك يا سيدى ، من يقفز من فوق هذا المكان سيموت هو الآخر ، لا نستطيع ، إذا كان الأمر كذلك ، نرضى بحكمك' .

قال القاضى ' لا ، اتسبعون الرجل من السوق حتى هنا ، ثم ترفضون الحكم الذى أقضى به عليكم؟ ، عليكم أن تدفعوا له عشرة شلنات ، تعويضا لسبكم له طول الليل وحبسه ، ومنعه من النوم ، بالإضافة إلى اتهامكم له' ، فدفعوا عشرة شلنات واتخذوا جانبا وجلسوا ، ليعرفوا ما سيحدث للآخرين ،

ونظر القاضى إلى الآخرين ، وهم نوانكو بالكلام ، ولكن سبقه صاحب الحمار ، فقال 'غفر الله لك يا سيدى ، عندما انغرس حمارى طلبت أن يساعدونى فى إخراجهم من الطين ، فأمسك ذيله عمدا وخلعه' .

نظر القاضى إلى بلا وقال 'أنت يا عبد الله ، هل ما قاله حق؟'

قال بلا 'رحم الله الشيخ ، لم يكذب ، لقد خرجت اليوم فى يوم نحس ، عندما أمسكت لأساعده ، رأيت ذيل الحمار ينخلع بسهولة ، وكأنه لم يكن ملصقا'

قال القاضى 'لا بد أن هذا الحمار ليس كحميرنا فى هذا البلد ذات ذيول' .

ونظر إلى صاحب الحمار وقال 'حمارك هذا لا أظن أن له ذيلا' .

قال صاحب الحمار 'والله له ذيل ، هل رأيت مرة حمارا بدون ذيل؟'

أمر القاضى أن يأتوا بحمار من منزله ، وطلب من صاحب الحمار أن يمسك ذيل هذا الحمار ويشده ، فأمسكه وأخذ يشد ويشد ، فلم يحدث شيء ، إلا أن الحمار رفع رجله وأخذ يرفسه ، فتوقف وقال للقاضى 'رضيت بحكمك ، لا أستطيع خلعه' .

قال القاضى " لا ، إنك قلت أنه خلعه ، فلا بد أن تخلعه " ، قام صاحب الحمار وأخذ يشد ويشد ، والحمار يرفسه برجليه ، حتى أدماهما ، وحاول ، وحاول حتى يأذن له القاضى أن يترك ذيل الحمار ، فرفض القاضى وأصر على أن يخلع ذيل الحمار ، فلما رأى أن الحمار سيكسر رجليه دون فائدة ، تركه وقال " أحسن الله عمل القاضى ، لقد كنت أمزح معه ، إن حمارى لم يكن له فى الأصل ذيل " .

فنهزه القاضى وقال " طالما أنك تعرف أن حمارك فى الأصل لم يكن له ذيل ، لماذا تأخذ هذا المخلوق من رنداجى حتى هنا ، فى موضوع تعرف أنه ليس له أساس ؟ ، هل تظن أن هنا مكانا للهو ؟ ، عليك أن تدفع له عشرة شلنات تعويضا للمشقة التى تحملها " .

أحضر صاحب الحمار عشرة شلنات ودفعها ، واتخذ جانبا ، ليعرف ماذا سيحدث لنوانكو ، الذى كان سببا فى كل هذه المشاكل .

اقترب نوانكو وحتى رأسه ، وقال " رحم الله القاضى ، أعطيته عشرين جنيها بشرط أن يدفع المال دفعه واحدة ، بعد شهرين ، وإذا خلف الوعد أقطع قطعة واحدة من جسمه ، وما هو قد أخلف الوعد ، وقال أن كل المال قد ضاع ، لذلك أريد أن تأذن لى لأقطع . هذا الأمر لا زورا ولا قذفا ، وشهودى سبعة ها هم ، وكلهم علماء ، وقد أمر قاضى رنداجى أن أقطع ، ولكن بلا قال أنه لا يقبل حكم أحد سواك .

قال القاضى " انتظر لم أسألك عن كل هذا ، هذا الأمر حتى إذا لم تأت بشهود حكمه يسير ، وأمر بإحضار سكين ، فأحضروا سكيننا ، فقال القاضى " سنها " ، فبدأوا فى سنها ، نظر بلا إلى السكين وهى تلمع ، ونظر إلى جسمه ، ونظر إلى القاضى ، ثم غير من جلسته ، وعيونه تحديق فى جلده ، ولم يرد الهرب خوفا من الفضيحة والاثام بالجبن ولكنه ضغط على نفسه وجلس ليرى قدرة الله ، فلما تم سن السكين أخذها القاضى وقدمها إلى نوانكو وقال لبلا " أره أين تريد أن يقطع " ، وكاد بلا يرفض ولكن أحد الشرطة رجره ، رفع بلا رأسه وحدقوا جميعهم فى القاضى ، وبدأ عليه الخجل ، فمد لنوانكو كعبه .

وضع نوانكو السكين وهم بالقطع ، فقال القاضى " لا بد أن تتريث حتى لا تخرج قطرة من الدم ، لأن الوعد الذى اتفقت عليه لم يتضمن الدم ، أم أنكم اتفقتم على اللحم والدم . "

قال بلا " لا ، والله لم نتفق على الدم ، قطعة لحم فقط " .

تجمد نوانكو بالسكين فوق كعب بلا ، ولم يعرف ماذا يقول ، قال القاضي " اقطع بسرعة ، وحاول ألا تدع قطرة من الدم تقطر ، إذا تركت الدم يخرج وقعت فى مشكلة كبيرة " .

عندما رأى نوانكو ألا مفر من هذا الشرك الذى نصبه القاضي ، سحب السكين وانحنى للقاضى وقال " غفر الله لك يا سيدى ، تركت له المال كله ، إنه صديق التجارة منذ زمن ، هل من أجل عشرين جنيها نفترق " .

قال القاضي " كلام فارغ ، علمت أن عشرين جنيها لا تفرقكم ، تأتى به من رنداجى حتى هنا ؟ ، دعك من هذا التراجع ، عليك أن تدفع له جنيها ، تعويضا عن مشقة السفر ، كما تدفع له جنيها تعويضا عن التعب الذى تكبده هؤلاء الناس ، لأنك أنت الذى جلبت هذه المشاكل لهم " .

دفع نوانكو جنيهين ، وتفرق الجميع .

عندما سمع الناس عن مهارة هذا القاضى ، قالوا " إنه لا يستطيع التعامل مع أبناء هذا الزمان إلا أبناؤه ، لو أن رجلا من أهل زمان حكم فى هذه القضية ما حكم هكذا .

عندما انتهى الوزير من تقديم هذا التحذير ، طلب من فصيح أن يعيد ما سمع ، فلما رد قال دعنى أقص عليك المثال العاشر ، لأنى أرى أن مثال اليوم يسير ، ثم بدأ يقول

إذا كنت تحفر حفرة للشرف فلا تعمقها

كان يعيش فى إحدى المدن شاب قصير وأبيض اللون ، وكان يسمى منصوراً وكان يصطاد الطيور ، وذات يوم اصطاد عصفور كنارى ، وصنع له قفصا ، وأخذه وعلقه على باب منزله .

وذات يوم كان رئيس حاشية المدينة يمشى فسمع هذا الكنارى يغرد ، فوقف وسأل هذا الشاب هل يبيعه ، فرد عليه أنه ليس للبيع ، إلا أن رئيس الحاشية أحب هذا الكنارى ، فقال إذا وافق منصور سيعطيه خمسة شلنات ويأخذ هذا الكنارى .

عندما سمع منصور أنه سيعطيه خمسة شلنات وافق ، فطلب منه رئيس الحاشية أن يحمله ويأتى ليأخذ ثمنه ، مشى منصور وأمامه رئيس الحاشية ، فلما وصلا إلى عمر المنزل ، أخذ رئيس الحاشية الطائر ودخل المنزل ، كأنه سيحضر المال ويقدمه إلى منصور ، فلما دخل المنزل علق القفص ، وانصرف لشأنه وكأن شيئا لم يكن ، وكأنه لم يترك أحدا على الباب . وبعد وقت مل منصور الانتظار ، فقام وأخذ يقرع الباب ، ويستأذن قائلا "السلام عليكم ، السلام عليكم" ، وبعد قليل سمعه أحد الخدم ، فأسرع إلى الباب ، فوجد منصور فقال له "خيرا ، لماذا تقرع الباب هكذا؟"

قال منصور "أين هو الخير ، رب بيتك اشترى عصفورى ودخل وتركنى هنا ، ولم يرجع العصفور ولا ثمنه ؟ ، أدخل وقل له أن يعطينى مالى ، وإذا كان لن يشتري ، يرد لى العصفور ، لم أقل له أنى أريد بيعه ، حتى يتكبر على"

فقال هذا الخادم "استر على نفسك ، اذهب بالتى هى أحسن ، وإلا والله ، إن لم تنصرف ، وواجهته فسوف تندم"

غضب منصور وقال "رب منزلكم هذا ، ليس إلا رئيسا للحاشية؟"

قال الخادم "أست من هذه المدينة حتى لا تعرف برؤ ، الذى من ظلمه يسميه الناس "ابن الشيطان" ؟ ، حتى نسى الناس الآن اسم برو وأصبح يعرف باسم ابن الشيطان ، وإذا ناداه الناس بهذا الاسم لا يغضب ، ولكنه يرد عليهم ، بل صار يفضل هذا الاسم" .

نظر منصور إلى هذا الخادم وقال "قل له إذا كان هو أبو الشيطان وليس ابن الشيطان يدفع مالى ، قل له ذلك ، وقل إن كان لا يريد أن يدفع ، يرد إلى عصفورى ، فقد نقضت البيع ، وإذا كان يفخر فليقله لى ."

قال الخادم "إذا سمعت مشورتى ، اذهب لحالك وأنت مبتسم ، قبل أن يصيبك الضرر ، يبدو أنك لم تعرف ابن الشيطان ، لا يوجد فى كل هذه المدينة من لم يخفه ، كثير من الناس فى هذه المدينة يحبون الآن أن يطأوا ذيل الثعبان ولا يغضبون ابن الشيطان ."

قال منصور "ما شأنك أنت حتى تتدخل فى هذا الأمر ؟ ، بلغ أنت الرسالة وادخل وقل له ، أنتى أرسلتك ، إذا كان يتباهى بأنه شيطان فسأفعل ما بدا لى ، إذا كانوا يسمونه شيطانا وأنا أقول له إذا كان للشيطان أب ، فأنا أبوه ."

عندما رأى الخادم أن منصوراً لا يبدو عليه الخوف ، قال "وهو كذلك ، دعنى أدخل وأقوله له من كان له نصيب فى الضرب لا يستمع إلى النصيح" ودخل ، فدخل منصور يتسلل خلفه ، انحنى الخادم وقال لابن الشيطان ما قاله منصور .

فلما سمع ذلك عض شفتيه ، وضرب الأرض بقدميه ، ونهر الخادم وزجره وقال "أين هذا الولد؟ ، بسرعة استدعه ."

عندما سمع منصور ذلك اندفع ودخل ، ووقف أمام ابن الشيطان وجهها لوجه ، يضرب الأرض بقدميه ، وينظر إليه نظرة ارداء ، وقال "ها أنا ، ادفع لى ثمن عصفورى ، أو رده لى ، كى أعرف ما سأفعله"

غضب ابن الشيطان من شجاعة منصور ، و بعد قليل تنهد وقال "أيها للشاب ، اذهب لشأنك ، لقد رأيتنى دخلت المنزل ، إذا انتظرت حتى أخرج وأجذك ، أقسم بعمامة الأمير ، الآخرة أفضل لك من الدنيا" ، وقام ونفض حذاءه ودخل .

وقف منصور وكأنه يريد أن يخرج ليعرف ماذا سيفعل له ، وإذا أراد أن يدمره فليفعل ، ثم تذكر أن الناس يقولون التراجع يوم الحرب جبن ، لذلك خرج وهو يتمتم كما يفعل أبناء هذا الزمان .

خلف منزل ابن الشيطان كان يوجد بئر حيث تملأ نساء المدينة منه الماء ، ولأن ابن الشيطان يجب أن يتطلع عليهن منه ، أمر بعمل نافذة تطل على البئر من الدور العلوى .

وكان كل يوم يصعد ويطل على نساء الناس ، فلما عرف منصور ذلك ذهب ذات يوم بعد أن انتصف النهار ، وارتدى ثيابا جميلة من ثياب النساء ، وتزين ، حتى إذا رأته تقسم بالله أنه امرأة جميلة . وأخذ إناء جميلا وذهب إلى هذا البئر ، وجلس على فوهتها ، وأخذ يلعب بالإناء .

وكان ابن الشيطان كلما عاد من القصر يمر بهذا البئر ، حتى ولو لم يكن في طريقه ، وجلس منصور قليلا ، حتى يرى من بعيد ابن الشيطان عائدا من القصر مسرعا ، فلما رأى أنه اقترب منه ، ترك الإناء يسقط في البئر وأخذ يقلب كفيه ، ويتحسر ويقول "والآن ماذا أفعل حتى أخرج هذا الإناء؟"

فلما رأى ابن الشيطان ذلك ، وهو يحب النساء ، وقف يساعدها ، لقد قلت لك أنه لا يحب شيئا كحبه للنساء ، فلما نظر شرقا وغربا ، فلم ير أحدا أخذ حبلا صغيرا كان في مدخل البئر وربطه بعمامته ، وربط خشبة ذات شعبتين ، وانحنى ومد يده في البئر ، حتى يصل الحبل ، عندما رأى منصور أن كل قوته تركزت في البئر ، تسلل من الخلف ، وأمسك قدميه ، وقال "أنا منصور الذى استوليت على عصفوره" ، ثم دفعه داخل البئر ، وجرى ، دون أن يراه أحد ، وذهب إلى المنزل معتقدا أنه مات .

أراد الله أن يكون لابن الشيطان نصيب في شربة ماء ، فقد جرح فقط ، ولكن لم يمت ، ولم يكن في البئر ماء غزير ، لذلك لم يغرق ولكنه أخذ يصرخ ، ولكن دون جدوى . فلم يسمعه أحد ، وبعد قليل سمع بعض النسوة جئن ليغترفن الماء ، ففرح وقال "بالله ساعدونى" ، وهو يضرب الماء بيديه .

عندما سمعت النساء كلا ما داخل البئر ، خفن وتراجعن للخلف بسرعة ، يظنون أنه جنى ، فرفع ابن الشيطان صوته مرة أخرى ، وتكلم معهن ، وهنا جاءت إحداهن مسرعة ، ووقفت وتقدمت قليلا وقالت "إنسان أم شيطان؟"

وهنا اندفع ابن الشيطان قائلا "أنا ابن الشيطان ، بالله عليكم مدوا إلى حبلأ ، لأخرج" ، ظن أنه عندما ينطق الاسم الذى يطلق عليه ، ستعرفه النساء .

فلما سمعت اسمه تراجعن إلى الخلف ، وقالت "أخرجك؟" ، اللهم احفظنى ، الشياطين فى الحياة الدنيا أرهقونا ، من يعرف عددكم ، حتى أخرجك وأريد المصائب مصيبة؟ ، طالما أن الله شاء أن يقدفك إلى هنا ، فامكث هنا حتى يوم القيامة . وسأذهب

وأقول للناس ، ألا يأتى أحد ويفترف الماء هنا منذ اليوم ، طالما أنك فى البشر ، اللهم فرق بيننا وبينك " .

وعندما همت بالانصراف بدأ يرجوها ، ويقول لها ، أنه ليس شيطاناً حقيقياً ، إنه رئيس الحاشية ، فأخذت هذه المرأة حجراً ، وقذفته فى البشر ، وهى تقول " اللهم فرق بيننا وبين ذريتهم " ، وجرت وهى تتلفت خلفها .

عندما ذهبت النسوة وأذعن الخبر فى المدينة ، جاء بعض الناس للتأكد من الحقيقة ، فلما عرفوا أنه لم يقصد شيطاناً حقيقياً ، ولكنه يقصد ابن الشيطان رئيس الحاشية ، أحضروا حبلاً وأخرجوه ، وحملوه إلى منزله كالميت ، فأخذوا يمرضونه حتى كان يتقيأ دماً ، وعملوا له كمادات من الرمال ، وظل ينازع ولا يستطيع النوم ، ولكن كل ما كان يهمله هو ماذا يفعل ليقتحم من منصور حتى يشفى غليله قبل أن يشفى .

عندما سمع منصور الأخبار لم ينم ، وقال " إن المشكلة لم تنته بعد ، إذا تركت هذا التاجر يفيق ، لأبد أنه سيقتلنى " ، وتحير فى هذا الأمر .

وذات يوم كان يتجول ، فخطرت على فكره حيلة ، فذهب إلى السوق واشترى سكيناً ، من نوع معين ، وارتدى ثياب أطباء الأعشاب ، وغطى رأسه ووجهه بقبعة من ريش النسور ، وملأ جسمه بالتمائم ، وذهب إلى الغابة ، وأخذ يحضر ويستخرج جذور النباتات ، واشترى سلة وملأها بالجذور والنباتات الطفيلية ، وعلقها فى عنقه وأحضر عصاً قوية وأمسكها ، وقصد منزل ابن الشيطان ، وقال إنه طيب ، لديه جميع الأدوية .

عندما سمع أحد الخدم ذلك ، أخذه إلى ابن الشيطان لعله يستطيع مساعدته ، وبعد أن تبادلوا التحية ، قال ابن الشيطان يريد أن يركب له علاجاً لإخراج الدم الفاسد ، سأل منصور عما أصابه ، فقال له كل شيء ، فلما سمع منصور ذلك ، نظر إلى الخدم الموجودين ، وأرسلهم ، وقال « هذا يذهب بسرعة ويأتى بلحاء شجر الكوكا ، وهذا يذهب ويحضر لحاء شجر كذا ، وهذا يذهب ويحضر جذور كذا » .

عندما وزعهم منصور كلهم ، وصارا وحدهما فقط فى الحجرة ، قام وقصد سرير ابن الشيطان ، وقال " يا ابن الشيطان لدى علاجان ، يجب أن تبدأ بشربهما لاكتساب القوة ، ولكنهما شديدا المرارة ، هل تستطيع أن تشربهما؟ " .

قال ابن الشيطان " لا ، هل أنا صبي صغير ؟ ، مهما كانت مرارتهما أستطيع شربهما ، الصحة تفوق كل شيء . " .

قال منصور "قل لى الآن ، منصور هو أكبر عدو لك فى هذه الدنيا" .

قال ابن الشيطان "هذا الكلام لا قذفا ولا زورا" .

قال منصور "ومع ذلك ها أنت الآن بين الحياة والموت ، ليس فى نفسك سوى أن تنال العافية ، وتتقمم مما فعله فيك ، أليس كذلك؟"

قال ابن الشيطان "لقد كنت أريد أن انتقم منه ، فأقتله ، وأقتل أمه ، وأباه إذا كانا على قيد الحياة ، وإذا لم يكن له أبوان ، أقتل إخوته ، حيثنأ أشفى غليلى" .

قال منصور "سمعت ، ولكن أنت تعرف إذا نوى الإنسان شرا فى حياته ، لا يفيد الدواء معه ، ما أريده منك أن تغفر لمنصور ، حتى يفيد معك الدواء . فقل غفرت له ، حتى يفيد علاجنا ، هذا الغفران هو الدواء الأول ، لقد قلت أنك تستطيع شربه ، مهما كانت مرارته ، اشرب ، حتى تشفى ، وقل غفرت له" .

قال ابن الشيطان "أغفر له ؟ ، ماذا تقصد بهذا الكلام أيها الساحر؟ ، لن أغفر له مطلقا ، أكبر شيء يرغبنى فى الشفاء هو الانتقام منه ، لن أغفر له إلى الأبد ، من الآن بدأنا العداوة حتى يوم القيامة ، قدم لى دواءك إذا كنت تستطيع ، وإلا اخرج واتركنى" .

عندما سمع منصور ذلك ، قام وجلس فوق بطنه وخنقه وكشف عن وجهه وقال "كافر ، كلب ، ظالم ، ابن حرام ، لو قلت أنك غفرت لى ، ما فعلت لك شيئا ، ولكن طالما قلت أنك لن تغفر لى حتى لو هلك ، حتى والذى اللذان لم يفعلا بك شرا ، ها هو الدواء الأول الذى قلت سأقدمه لك ولكنه مر" ، وأحضر سكيناً حاداً وطعنه فى قلبه وتركه ، ميتاً ، واتخذ طريقه وتسلسل قبل أن يراه أحد .

عندما انتهى الوزير من هذه القصة ، سمع أذان الظهر ، لذلك دخل المنزل واستعد للذهاب إلى القصر .

وفى اليوم التالى عندما جاء فصيح ، قال له الوزير "هل فهمت ما قصصته عليك أمس ، أهل هذا الزمان الآن لا يناسبهم إلا الظالم ، إذا لم يحب الإنسان يحقد عليه ، ومع ذلك يقولون "اقتل المؤذى قبل أن يقتلك" .

قال فصيح "أى لغة هذه التى تتكلم بها الآن ؟ ، هل هى فلاتا أم بربرية ، لم أفهم" .

ابتسم الوزير وقال "الله أكبر ، ألم تسمع اللغة العربية ؟ ، ما أعنى بذلك اقتل عدوك قبل أن يضرك " .

قال فصيح " وهو كذلك ، ولكن يا أبتى ، مع أنى لا أعرف اللغة العربية ، أعرف اللغة الانجليزية ، الأستاذ إيرو جاو ، الذى يعلمنى ، انتظر لتسمع ما تعلمته " .

قال الوزير " وهو كذلك ، لقد تعلمت ثلاث كلمات باللغة الانجليزية ، ثم تقول أنك تعرف اللغة الانجليزية ؟ ، أنا الآن أعرف على الأقل ثلاثين كلمة باللغة العربية ، وغير اللغة العربية ، أعرف الفلاتا ، ولغة نوفى ، وباقى لغات بلاد السودان ، لا توجد لغة لا أعرفها ، حتى لغة اليونان ، خلف البحر المالح ، فى كل هذه اللغات التى حدثتك ، لا أستطيع أن أقول لك عشر كلمات الآن .

قال فصيح " لا أريد أن أتعلمها ، ها هى المحبرة والورقة ، اذكر لى عشر كلمات ، عشر كلمات من هذه اللغات التى قلتها لأ تعلمها ، وغدا ردى عشرأ عشرأ ، لقد وجدت ما يجعلنى أكف عن اللعب " ، وأخذ القلم والورقة .

وبدا الوزير "باللغة الفولانية ، إذا سمعتهم يقولون "إنأ" معناها أم .

قال فصيح "هذه هوسا" ، غضب الوزير وأمسك الورقة ومزقها ، وقال "نحن نتعلم القراءة ، وليس اللغات ، اسمع " .

الانتقام من المؤذى عبادة

فى إحدى المدن كان يوجد رجلان يشتريان القمح من الريف ويبيعهانه فى المدينة ، وكان اسمهما تيلو ، كان أحدهما أسود والثانى أبيض ، وكان لدى تيلو الأسود ثلاثة حمير ينقل عليها القمح ، أما تيلو الأبيض فكان يملك حمارا واحدا ، لذلك كان كل يوم يناديه . ف يأخذ الحمير الثلاثة إلى جانب حميره ويحملان عليها الغلال إلى السوق ، لكن يوم الأحد فله أن يأخذ الحمير كلها ويحمل عليها قمحه.

واستمر على هذه الحال ، وذات يوم تقابل تيلو الأسود مع تيلو الأبيض فى الغابة وهو يحمل الغلال إلى السوق ، وكان يغنى أثناء سيره ، ويقول " هيا بنا يا حميرى " ، فلما سمع تيلو الأسود ذلك تملكه الغضب ، وقال " لا أحب أن أسمعك مرة أخرى يقول "يا حميرى" ، ليس لك فيها إلا حمار واحد ، فكيف تقول "حميرى"؟ ، هذا هو الذى يجعل من يسمعك يظن أن هذا حقيقة ، إذا كنت تريد أن تسلى نفسك ، قل "أسرع يا حمارى ، حتى يعرف الناس أن لك حمارا واحدا فيها" .

واستمر على هذه الحال ، وبعد عدة أيام نسى تيلو الأبيض هذا التحذير ، فقابله تيلو الأسود فى الغابة ، وسمعه يكرر هذا القول ويقول " هيا أسرعوا يا حميرى " .

فلما سمع تيلو الأسود ذلك ، خرج مسرعا من حيث كان يختبئ ، وقال "بعد أن قلت لك لا تقل هذا مرة أخرى ، تكرره؟ ، إذا كنت لا تشعر بالخجل ، إذا سمعتك تنطق بهذا الكلام مرة أخرى سأقتل حمارك ليرتاح الجميع" .

قال تيلو الأبيض "خطأ بالفم ، إن شاء الله لن أكرره مرة أخرى" .

واستمر على هذه الحال ، وبعد أسبوعين أخذ تيلو الأسود يتتبع تيلو الأبيض فى الغابة ويخترقه ويراقبه أثناء سيره فى الغابة ، وذات يوم سمعه يقول "هيا نذهب يا حميرى" .

عندما سمع ذلك خرج تيلو الأسود فجأة من الغابة ، وقصد حمار تيلو الأبيض وضربه بالرمح فسقط الحمار ميتا ، وأخذ تيلو الأسود حميره ، وترك تيلو الأبيض يبكى

حماره ، وعندما تعب من البكاء ، جلس يسلخ جلد حماره ويجففه ، ولما جف حمله على كتفه وقصد المدينة لعله يبيعه .

وأثناء السير هبت عاصفة ممطرة ، وقد غربت الشمس ، وقد كان ينتظر حتى يجف الجلد ، لذلك توجه إلى منزل في الغابة على حافة الطريق ، واستأذن ، فخرجت امرأة ، فقال لها تيلو الأبيض أنه يريد مكانا ينام فيه ، وفي الصباح يمضى لشأنه .

قالت المرأة "إن زوجي غير موجود ، ولا أستطيع أن أنزل شخصا كبيرا في منزله عليك أن تواصل السير" ، ثم أغلقت الباب جيدا ، ودخلت .

تخبر تيلو الأبيض ولم يعرف أين يذهب ، فنظر فرأى كوخا متهدما حيث يجمعون بعض النبات فدخل فيه ، ويسط جلد حماره ونام فوق سيقان البنات ، ولأن العشب الذي ينام عليه مرتفع ، كان يستطيع أن يرى ما يدور في حجرة هذه المرأة ، لأن النافذة كانت مفتوحة ، وأن المصباح المشتعل أضواء الحجرة كالنهار .

فلما رأى تيلو الأبيض ذلك ، ونظر إلى هذه الحجرة من بعيد فرأى أنها أحضرت الطعام ألوانا ، وباختصار ، رأى هذه المرأة تجلس على كرسي ، مع رجل يجلس على حصيرة ، ويأكلان الطعام ، فلما حدق في هذا الرجل ، أدرك أنه كبير قصابي مدينتهم ، فقال تيلو الأبيض لو كان لي هذا الطعام ، لأكلت وشبعت حتى أعجز عن القيام أو الحركة .

وأثناء وجوده في الكوخ ، ينظر إلى الحجرة ولعابه يسيل ، سمع رب البيت يعود ، يسير ويسوق حماره أمامه ،

فلما سمعوه قادما ، تملكهم الخوف ، لأن الجميع يعرفون أنه لا وفاق بين رب البيت ورئيس قصابي المدينة ، مما جعل هذه المرأة تنادية لأن زوجها غائب عن المنزل .

قالت الزوجة "سبحان الله ، لقد عاد زوجي"

قال أمير قصابي المدينة "وهو كذلك ، ما العمل ؟ ، أنت تعرفين أنه ليس أمامه سوى القتل" .

قالت الزوجة "ادخل بسرعة في هذا الصندوق ، ولا تحاول أن تتحرك"

فأسرع ودخل الصندوق ، وجسمه يتصيب عرقا ، وأحضرت غطاء وغطته .

وقامت وجمعت الطعام كله ، وصبته فى إناء قديم ، وغطته ، وحملت الباقي خلف حجرتها ، وأخفته ، ونقلت المتاع ، وكأنه مضى عليها وقت طويل ولم يؤكل شيء ، كل هذا حدث على عيني تيلو الأبيض ، ويراها من النافذة الخارجية .

وكان رب هذا البيت رجلا طيبا ، فلما وصل قال له تيلو الأبيض " مساء الخير " ، نظر إليه رب البيت بين الأعشاب ، وقال " من؟ "

فقال له تيلو الأبيض " ضيف ، حبسنى المطر ها هنا " .

قال رب البيت " لما لم تدخل المنزل ، وتنتظر هنا بالخارج يملك المطر؟ ، لماذا إذا بنينا منزلا على الطريق ، أليس لهذا الغرض؟ "

قال تيلو الأبيض " كيف أدخل المنزل؟ ، لقد أستأذنت ، فقبل لى أنك خارج المنزل ، والشرع لم يسمح لى بالدخول فى هذه الحالة " .

قال رب المنزل " لا بأس ، يجب أن تدخل ، ما عدا كبير القصايين ، كل من يسلك هذا الطريق يعرف أننى لا أمنع أحدا من الدخول " ، وأخذ يد تيلو الأبيض ودخلا حيث تجلس المرأة ، فلما رأتهم قامت وجسمها يرتعش ، وأشعلت النار لزوجها وجلسوا يستمتعون بالدفء " .

عندما شعروا بالدفء قال رب البيت " ألم تصنعى لنا طعاما ، ألم تعلمى أننى عائد اليوم؟ "

قالت الزوجة " كدت أقوم لأعد ، ولكن المطر عاقنى ، ولكن يوجد بقية من الثريد أبقيتها لك " ، وقامت وأخذت إناء رب البيت ووضعت فيه مشروبيا وأحضرته أمامه وانحنى ووضعت له ، وأحضرت الماء ووضعت أمامه ، وانحنى ووضعت له وصبت الماء فى الإناء وأحضرت له إليه .

نظر رب البيت إلى تيلو الأبيض وقال " بسم الله " ، وبدأ يشربان ، ويملا رب البيت المغرفة ، لأنه كان فى غاية الجوع ، أما تيلو الأبيض ، فكان يأخذ القليل من الشراب ، كأنه يطعم طفلا رضيعا . فقد كانت روحه متعلقة بالمقليات التى كان يراها نم بعيدا عندما أخفتها المرأة فى السلة .

عندما نشر تيلو الأبيض جلد حماره بالنهار ، بحث عن جوال ليضع الغلال فيه ، حتى يسهل حمله إلى المدينة ويبيعه ، فلما دخل حجرة رب البيت كان الجوال على كتفه ، فوضعه تحت السرير ، وجلس أمام السرير .

فلما أحضرت لهما الثريد جلسا يشربان ، فإذا أخذ رب البيت الثريد ومد يده ليقدمه إلى تيلو الأبيض ، مد تيلو قدمه إلى الوراء ، فبطاً غرارته التي وضع فيها جلد حماره فيحدث صوتاً ، فلما شعر تيلو الأبيض أنه يتحرك كثيراً ، قال له " أنت تحب الحركة كثيراً " ، واستمر في شرب الثريد ، ولم يقل رب البيت شيئاً ، وبعد قليل مد تيلو الأبيض قدمه مرة أخرى فحرك الجوال ، فتحرك جلد الحمار وأحدث صوتاً ، فقال تيلو " ويحك ، أنت أيها القصير ألا تستطيع أن تستقر في مكانك " .

فلما سمع رب البيت ذلك ، قال " ماذا لديك ، تحمله في الغرارة هكذا؟ " قال تيلو " لا أحمل هذه الغرارة عبثاً ، إن فيها عفريتاً ، يقول أنه لا يشرب الثريد في هذا البرد ، وانظر في الإناء القديم الموضوع هناك ، ففيه أنواع مختلفة من الطعام ، لنأكله أحضره الجن " .

قام رب البيت ، وفتح الإناء وبده ترتعش ، فأخرج أنواعاً مختلفة من الطعام ، فاستولت عليه الدهشة ، ها هو طعام حقيقى ، ولم تستطع الزوجة الكلام ، وجلسا يأكلان في سرور وشبعا ، وبعد قليل ، حرك تيلو الغرارة مرة أخرى ، فلما تحركت سألته رب البيت " ماذا قال لك الآن؟ " .

قال تيلو " قال لى إذا كنا نريد المزيد ، يوجد طعام آخر خلف هذه الحجرة " . قام رب البيت ، يبحث ، ونظر خلف الحجرة ، فرأى بعض الأواني المملوءة بالطعام فأخذها ، وأكلا ما لذ من الطعام .

وعندما شبعا ، وغسلا أيديهما وجلسا يتسامران وسأل رب البيت تيلو عن حماره فأخذ يقول له الأكاذيب ، وبعد قليل وخز جلد حماره فتحرك ، فقال رب البيت " ماذا يقول الآن؟ " .

قال تيلو " إنه يسألنى ، أنت قدمت إلى خيرا ، إذا كنت ثريداً ، لا تخف ، سيريك الجن ، لأنه عرف أنك سمعت أخبارهم ، ولم ترهم أبداً " .

قال رب البيت " قل له ، إذا لم يضرنى ، يسمح لى بالنظر إليه " .

والتفت إلى الزوجة وقال " ألا تريدان أن تنظري إليه؟ " .

ضاعت الدنيا في وجه الزوجة لأنها تعرف ما يعد تيلو لها ، لذلك أخذت ترجو زوجها كى لا يظهره لهم ، فهي تخاف ، فقال الزوج ، أنه يريد أن يراه " .

قال تيلو " طالما أنك لا تريدین رؤيته ، لن أخرجه " ، ثم وخز الجوال فتحرك ، ونظر إلى رب البيت وقال " العفريت يقول إذا كنت تريد أن ترى الجن افتح ذلك الصندوق ، ولكن لا تخف من قبح وجهه " ، وأشار له على الصندوق ، ذلك الصندوق الذى يختبئ فيه كبير القضاين .

قام رب المنزل ورفع غطاء الصندوق قليلا وأطل ، فرأى عینی كبير القضاين تلمع فأسرع بغلقه ، ونظر إلى زوجته وقال " الا تعرفین أن الجن يشبه الإنسان تماما ، إلا أنه قبيح الشكل ، كأنه كبير القضاين إذا نظرت إلى رأسه ، وقد حلقها حديثا ، ولكنه جرودى " ، وأخذنا يسمران وقد أخذت الدهشة رب البيت .

وبعد قليل قال رب البيت لتيلو " بسم الحب بيننا ، يا أخى ألا تبع لى هذا العفريت؟ "

قال تيلو " لا ، لا يمكن هذا ، ألا ترى الأشياء التى استفدتها بسببه؟ "

قال رب البيت " أعرف ذلك ، ولكن استحلقتك بالله أن تبيعه لى ، بأى مبلغ تريده ، أقترض هذا المبلغ من زوجتى لأعطيه لك ، لأن لديها مالا كثيرا ورثته الشهر الماضى ، نظرا لما بيننا من أخوة " .

قال تيلو " وهو كذلك ، دعنى أسأله ، لأعرف ما إذا كان موافقا أم لا؟ "

وحرك الجوال وقال " يقول أنه موافق على أن يبيعه ، ولكنه يقول طالما أنك قدمت لنا خيرا ، لا تدفع شيئا ، يريد أن تدفع زوجتك عشرة جنيهات وتشترى لك ، لأن زوجتى هى التى اشتريته لى ، العفريت لا يقبل أن يشتريه رجل مثله ، ويقول إن حدث هذا يدل على الاحتقار ، ولكنه يقول إذا اشتريته لك ، لا ترد الثمن لها ، ولو أخطأت يوما ودفعت لها الثمن ستموت حتما .

فرح رب البيت ، وأعطته الزوجه المال ، وقامت ، وأخذت عشرة جنيهات من الإناء مرغمة وقدمتها إلى تيلو ، وهى تعلم أنه ينصب عليه ، ولكن ليس لديها الفرصة لتقول ذلك فيعرف الزوج أن كبير القضاين فى الصندوق وليس لديها الفرصة لتقول ذلك حتى لا ينكشف أمرها .

وعندما دخلوا للنوم ، صعد تيلو فوق الصندوق الذى فيه كبير القضاين ونام ، وكان يسمعه وهو يتألم طوال الليل ، ولكنه تركه ، وعندما طلع النهار ، استعد تيلو للرحيل ،

وقال لرب البيت ، " العفريت الذى رأيت داخل الصندوق أمس من الجن الأسود ، لم يخرج حتى الآن ، الأفضل أن تضع الصندوق على رأسى لأخرج به ، فقد تعودت عليه ، وأسترضيه ليخرج حتى لا أتركه هنا فيؤذيكم . "

قال رب البيت " صدقت " ، فصنع تيلو حواية ، ورفع الصندوق هو وزوجته ووضعاه على رأس تيلو ، واتخذ طريقة وخرج ، والمرأة فى غاية الحزن ، فقد أخذ منها عشرة جنيهاً ، كذباً ، وليس لديها فرصة لتقول الحقيقة ، كما ذهب تيلو بكبير القصابين دون أن تعرف ماذا سيحدث له عندما يدخل به تيلو الغابة .

وبمجرد أن حمل تيلو الصندوق على رأسه ، وسار حتى دخل الغابة ، ووصل إلى إحدى القناطر ، ولشدة الأمطار التى هطلت أمس فاض النهر ، ووصل تيلو إلى وسط القنطرة بصعوبة ، فألقى الصندوق من فوق رأسه ، وفيه كبير القصابين فتألم من شدة الرمي .

وتظاهر تيلو بأنه لم يسمع شيئاً ، وقال " حمل ثقيل بلا فائدة ، هيا ألقه فى النهر وأستريح من هذا العذاب " ، وأخذ الصندوق وتظاهر بإلقائه فقال كبير القصابين " بالله عليك ، لأجل النبى ، أنقذنى ، لست جنياً ، أنا أنس ، أخوك " .

تراجع تيلو إلى الخلف ، متظاهراً بالخوف وقال " إنسان ، لا ، كيف دخل الإنسان فى الصندوق ؟ ، وماذا فعلت حتى تدخل المنزل ؟ ، هل تريد أن أفتح لك فتؤذنى ، لن أفعل " ، ثم أمسك الصندوق وتظاهر بالرغبة فى إلقائه فى النهر .

قال كبير القصابين " يا إلهى ، تبت واتبعتك ، أنقذنى ، لقد ذهبت أحتفى فى هذا المنزل من المطر ، وعندما سمعت رب البيت قادماً ، خفت فدخلت فى الصندوق ، أما قولك أنى عفريت ليس حقيقة ، أنا لست عفريتاً ، افتح أخرج ، والله سأعطيك عشرة جنيهاً . "

قال تيلو " وهو كذلك ، وإذا رفضت أن تعطينى ، سأذهب وأخبر رب هذا البيت أنك كنت فى منزله " ، وفتح الصندوق ، وأخرج كبير القصابين وقد انحنى ظهره وتقوس ، وأخذ يمد رقبتة ويقول " لقد حفظنى الله اليوم " ، وسار ، وسار خلفه تيلو حتى منزله ، وأحضر عشرة جنيهاً وقدمها إلى تيلو ، حتى لا يكشف سره ، وبذلك حصل تيلو على عشرين جنيهاً وعاد إلى منزله .

وبعد عودته ذهب إلى السوق ، واشترى قميصا وسروالا مزركشا ، وعمامة وقبعة ،
 وخمسة حمير ، وعاد إلى المنزل ، وأخذ يشتري الغلال من القرية ويبيعها في المدينة
 كعادته .

وفى يوم الجمعة تزين وقصد المسجد ، وسار متكبرا ، فلما رأى تيلو الأسود ذلك ،
 قال فى نفسه " لا ، كيف وجد هذا البائس هذا المال الكثير هكذا ؟ ، الذى قتلت له حماره
 الوحيد أمس ، اليوم يشتري خمسة حمير ؟ ، هل بدأ يحترف السرقة ؟ ، لابد أن أعرف
 ما فى الأمر ، إذا كان قد بدأ يمارس السرقة لابد أن أخبر الأمير ليسجنه . "

ثم ذهب إلى تيلو الأبيض وكأنه يحييه ، فتبادلا التحية ، وبعد ذلك قال له " بالله
 عليك أيه حرفة احترفتها مربحة هكذا ؟ ، حتى صار المال يكثر فى يدك هكذا ، وتركتنا
 هنا نعانى من شدة البرد ، وبصعوبة نحصل على القرش . "

قال تيلو الأبيض " لم يعرف أحد منا قبل ذلك ، أمبورون ، لا يحبون شيئا مثل
 جلد الحمير ، عندما قتلت حمارى أمس أخذت جلده وذهبت إلى محلهم ، هذا الجلد
 الصغير اشتروه منى بثلاثين شلنا ، فلما رأيت ذلك عدت إلى السوق واشترت ثلاثة حمير
 وذبحتها وسلختها ، وأخذتها لهم فاشتروها ، ودفعوا ثمانية وعشرين شلنا قيمة كل واحد
 منها ، والآن سأخذ هذه الحمير الخمسة وأبيعها لهم ، ولكن بالله عليك لا تخبر أحدا
 بذلك ، حتى لا يفسدوا علينا السوق فى هذا البلد . "

قال تيلو الأسود " والله لن تسمع هذا الكلام يخرج من فمى لأحد ولو خطأ ، ويحك
 أنا لست من هذا الصنف من الناس ، ولكنى أعجب ماذا يصنعون بجلود هذه الحمير . "

قال تيلو الأبيض " عجبا ، حتى الآن لا تعرف حال هؤلاء الأوربيين ، الأحذية التى
 يلبسونها وتسمعها تصدر أصواتا هى من جلد الحمير ، وهم يعرفون كيف يصنعونها ،
 هؤلاء الناس لهم أفكار لا تخطر على بال أحد . "

فلما سمع تيلو الأسود ذلك ، أسرع إلى المنزل ، وقتل حميره الأربعة وسلخ
 جلدها ، فلما جفت حملها وذهب إلى محل أمبورون وعرضها للبيع ، قائلا ، جلود ، جلود
 الحمير الجيدة . "

فلما رأى عمال أمبورون الجلود ، ظنوا أنه يبيع شيئا جيدا ، فأقبلوا عليه ، ولكنهم
 عندما فتحوا ووجدوا البضاعة عبارة عن جلود الحمير ، ثار غضبهم ، وقالوا لصاحب

المحل الأوربي أن رجلا شريرا أحضر لنا جلود الحمير لبيعها ، فلما سمع الأوربي ذلك ، أمرهم بضربه ، وقال أنه لم يأت هنا ليلعب مع هؤلاء الناس السود ."

هذا ما كان يرجوه هؤلاء العمال الذين يظلمون الناس بلا ذنب ، فما بالك عندما يجدون عذرا؟ ، فقد أشبعوا تيلو الأسود ضربا ، فلما لم يجد متقذا له سوى الله ، ذهب إلى المنزل ولم يرجع لتجارة الجلود أبدا ، ولجأ وهو مصاب بجرح فى جبهته ، وقال فى نفسه " هكذا يفعل معى تيلو الأبيض؟ ، وهو كذلك ، لا بأس هو يعرف أنه فعل ذلك بابن المدينة وليس بغريب عنها " .

فى اليوم الذى حدثت فيه هذ الواقعة توفيت جدة تيلو فى العشاء ، وحتى لا يتعب الناس فى الليل ، حملها ووضعها فوق سريرها ، ونام على الأرض ، انتظارا لطلوع النهار فيدفنها .

وظل تيلو الأسود ساهرا يسمر حتى ينام تيلو الأبيض فيأتى ليقتله ليشفى غليله ، مما فعله معه ، وأحضر فأسا وحملها على كتفه ، وتسلل فلما وصل إلى منزل تيلو الأبيض ، دخل الحجرة ، وقصد سريرها ، فوجد شخصا يرقد فوقه ، وكان ذلك فى الليل فظن أن النائم هو تيلو الأبيض ، فرفع الفأس وهوى بها على رأس المرحومة ، وخرج وهو يقول " اليوم عرفت أن الاستعباط لا فائدة منه " .

وكان تيلو الأبيض نائما ، وقد هرب الدم من عروقه ، فلما رأى ما حدث قال " الله أكبر ، لو كنت أنا النائم ، لكنت الآن ضيفا فى الآخرة " ، لذلك قام وقابل أخاه الأصغر تيلو الصغير ، وقص له كل ما حدث ، وأخبره بكل ما ينوى عمله مع تيلو الأسود ليقتله ، طالما أنه لم يتصر عليهم .

وعندما طلع النهار ، وقبل أن يخرج الناس ، بحث تيلو الأبيض عن مكان واختبأ فيه ، وذهب أخوه الصغير إلى تيلو الأسود ، وكأنه لم يعرف شدة الخلاف بينه وبين أخيه الأكبر ، وقال " كيف جئت بالليل إليك لأخبرك أن اللصوص جاءوا وقتلوا صديقك مساء أمس ، وعندما كان حيا ، أوصانى ، إذا مات ألا أدعهم يدفنوه ، وطلب أن أبحث عن شخص وناخذه ونلقيه فى نهر جوراجى خلف المدينة ، وحاولت أن أعرف سبب ذلك ، فرفض الكلام ، وكثيرا ما رأيته يغافل الناس ويذهب إلى هناك ويتزل النهر ، وكنت أظن أنه يستحم ، ولكنه لم يكن يستحم فقد كان هناك سر يخفيه عنى فى هذا النهر ، لأنه

كان كلما ذهب ليستحم وعاد ، أراه يعود بحقيبة مملوءة بالمال ، وما أريده الآن هو أن تساعدنى فى حمله إلى هناك لرميه فى النهر ، لأفى بالوصية التى وصانى بها ، طالما أن المنية وافته ، لا يوجد من أبوح له بهذا السر سواك . لأنه منذ فتحت عينائى فى هذه الدنيا رايتكما صديقين " .

وانتظر لتسمع المناق ، لما سمع تيلو الأسود ذلك ، قال " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، وأخذ يبكى ويدك عينيه كاذبا ، لأن صاحبه قد مات ، ولما سمع أن تيلو كلما ذهب ليستحم عاد بحقيبة مملوءة بالمال ، تعجل الذهاب لعله يجد وسيلة توصله إلى معرفة السر ، فنظر إلى تيلو الصغير وقال " هل نذهب؟ "

قال تيلو الصغير " وهو كذلك "

أحضرا سريرا من الخطب ، وذهبا فوجدا تيلو الأبيض أحضر ثيابا ولف فيها جدته ، وخاطه ، واختفى ، فلما وصلا وجداها فوق السرير ، فحملاها ووضعاهما فوق السرير وحملاها ومازال تيلو الأسود يظن أنها جثة تيلو الأبيض .

وعندما وصلا إلى شاطئ النهر ، وضعوا السرير ورفعوا الجثة واسقطاها فى النهر فجرفها التيار وهما ينظران إليها حتى غاصت فى النهر ، فعاد ، وكان تيلو الصغير حزينا لوفاة جدته ، أما تيلو الأسود ، فكان يفكر فى حيلة يقوم بها ليحتال على تيلو الصغير ويسلب منه المال الذى تركه تيلو الأبيض .

وفى الفجر خرج تيلو الأبيض من حيث يختبئ ، واشترى ملابس جديدة مزركشة ، ومشى يختال فيها حتى وصل إلى مدخل منزل تيلو الأسود ، فوجده جالسا فوق حصيرة صغيرة مستديرة ، يلعب بصفارة فلما رفع عينيه ورأى تيلو الأبيض خفق قلبه ، ونظر إليه فقال " من هذا الذى يشبه تيلو الأبيض؟ "

قال تيلو الأبيض " هو أنا ، ولست شبيها له "

قال تيلو الأسود " ألم يقتلك اللصوص ، وذهبنا وألقيناك أمسن فى نهر جواراجى؟ "

قال تيلو الأبيض " نعم أنا "

قال تيلو الأسود " إذا كنت أنت ، ماذا حدث حتى عادت لك الحياة؟ " وهل يعود الميت مرة أخرى؟ "

قال تيلو الأبيض "انتظر لتسمع القصة ، إن الأمر عجيب ، لقد كنت أنام على سريري مساء أول أمس ، وكنت مستغرقا في النوم ، فرأيت من يضربني بالفأس على رأسي وشاء الله ألا تصيبني هذه الضربة في مقتل ، وبعد ذلك توقفت عن التنفس ، ولم أعرف كيف حدث ذلك ، إلا أنني رأيت نفسي في حجرة جميلة في منزل أمير مياه نهر جوارجي ، حيث كنت أذهب كل يوم " .

قال تيلو الأسود "أمير أبناء الماء صديقك؟"

قال تيلو الأبيض "لست وحدي، إنه مسلم ، ولا يحب أحدا كما يحب المسلمين ، كل هذا الررق الذي نلته كله ، أظن أنه من التجارة ؟ ، كل ما تراه لدى من عنده ، لقد كنت أغافل عيون الناس ، وأذهب وأغوص حتى أصل إلى منزله ، وليس هذا الذي كنا نشعر به فقط ، سأقص عليك ما كنا نفعل مع أمير أبناء الماء ، عندما استيقظت شعرت أنني لا أستطيع الحركة ، وكان رقبتى انفصلت عن جسدي ، وما أدرك ما أبناء الملك أخذوني في الحال ، وأعطوني دواء لأشربه فأخذت أتقيا قطعا من الدم ، ولما انتهيت ، أحضروا شيئا ومسحوا به على الجرح الذي أصبت به ، وما كادوا يمسخون حتى شعرت وكأنني لم أمرض أبدا في هذه الحياة الدنيا ، وأخذت مرآة ونظرت فيها ، فلم أجد أثرا للجرح ، وعندما أعطوني طعاما وأكلت ، عاد إلى هدوئي ، ونظرت فرأيت نفسي وسط الماء فسألتهم ماذا فعلوا حتى جئت إلى هنا ، بينما كنت نائما على سريري؟

قال أبناء الماء أنهم لا يعرفون ما حدث ، سوى أنهم وجدوني مغمى على ، وكانوا يظنون أنني مت ، فلما فحصوني جيدا رأوا أنني أتنفس ، عرفوا أنني لم أمت ، فأخذوا يثرون على وجهي ماء باردا ، ويهوون على ، حتى أفقت وأنا نفسي كنت أتعجب كيف حدث هذه ، وصرفني أمير الماء وقدم إلى مالا ، أنا شخصيا لا أعرف مقداره ، وأعطاني هذا الثياب التي تراني أرتديها ، وقال كلما أردت رؤيته ، أو احتجت شيئا ، أذهب إليه ، وأنه لا يمل رؤية آل النبي ، وأمرهم بإخراجي إلى شاطئ النهر ، فأخرجوني ووضعوني في المكان الذي تعودت أن أكون فيه .

قال تيلو الأسود "ويحك ، أعرف أن ثروتك التي تتفاخر بها وراءها أمر آخر ، لعلك تعرف أحوال الدنيا، أنا أسالك عما فعلت حتى نلت هذه الثروة ، فقلت أنك بعت جلد حمارك الذي قتلته ، وجعلني أقتل حميري بلا فائدة ، وأخذتها وذهبت بها إلى محل أمبرون ، فظنوا أنني أسخر منهم ، فجعل الأوربي عماله ينهالون على ضربا ،

كذئب المتسول ، وتركنتى فى حزن ، شديد لخسارة حميرى وتورم جسدى ، ولولا أننى صبرت ، وتذكرت كيف كنا أصدقاء ونحن صغار ما صبرت وسلمت أمرى إلى الله ، وأنت الآن تفوقنى حزنا .

قال تيلو الأبيض "لقد غضبت عندما قتلت حمارى ، وهو الذى جعلنى أنتقم منك ، والسؤال الذى سألتنى لا أستطيع أن أجيبك عنه ، حتى لا يعرف الناس خبر أمير أبناء النهر ، فيأتوا إليه أفواجا ، وأريد كل هذه الثروة التى لديه عبارة عن خزائن رويدا تصير كلها ملكى . واليوم ما جعلنى افتح لك قلبى ، هكذا ، هو أمر واحد ، لا ثان له ، عندما تركت أبناء الماء اليوم فى الصباح ، جئت إلى المنزل فوجدت أخى تيلو الصغير ينظر إلى ويتعجب فسألته عن سبب هذا التعجب ، وقصة استيقاظى فى نهر جوارجى ، وكل ما أعرفه هو أننى نمت فوق سريرى ، وقال ما حدث بينى وبين كل اللصوص وكيف ناداك ، وكيف دار الجدال حتى تفى بالوصية التى أوصيت بها ، وقال لى أشفقت عليك من التعب الذى كابدته من أجلى ، لذلك جئت لأقول لك أغمى على ولم أمت ولا أشرح لك ما حدث لى ، حتى تهدأ نفسك إذا رأيتنى .

تعجب تيلو الأسود وقال "لابد أنك سعيد الحظ ، لذلك يجب أن يحذر الأمير اللصوص لأنهم قد أصيبوا بالجنون .

قال تيلو الأبيض "لقد كثروا ، وقد أحسن الله إلى إذ لم يسرقوا منى ولو إبرة .

قال تيلو الأسود "الحمد لله" ، وقام وأخذ تيلو الأبيض حتى المنزل وأثناء السير حاول أن يجذب تيلو الأبيض بالكلام الطيب ، كأنه مسرور لأن صديقه لم يمت ، وتصافحا وانصرفا .

ولما حان المغرب ، إذا بتيلو الأسود يأتى إلى منزل تيلو الأبيض ، ويستأذن ويدخل ، ويعد أن تبادل التحية ، قال "جئت أتوسل إليك ، وأشعر بالخجل من إهدار كرامتى بدون أن تقضى حاجتى .

قال تيلو الأبيض "هل يوجد بيننا ما يمنعنى من اعطائك ما تريد ، اذكره لنسمع .

قال تيلو الأسود "بسبب الصداقة والمحبة التى بينى وبينك أريد أن أتعرف على أمير أبناء الماء كما تعرفت أنت عليه ، وأن تذهب بى إليه اليوم أو غدا لعله يالفنى ، وأن تدلنى على ما أقوله له ، وما أفعل له ، وأن تعطينى رسالة ، لأذهب إليه وأحييه ، حتى يالفنى مستقبلا .

صمت تيلو الأبيض وأخذ ينسج الأرض ، ويردد فى نفسه أن الطائر الذكى يقع فى الشرك لحبه للحب .

قال " وهو كذلك ، سأقدمك إليه ، ولكن على شرط ، لا أحب أن أسمع أن أحدا عرف هذا السر ، أنت تعرف ما بينى وبينك ، لن أذهب إليه الآن ، حتى لا أبدو كالطماع ، وغدا سأعطيك رسالة لتوصلها له ، ولكن انتبه ، إذا كنت ستذهب عليك أن تحضر جوالا لأضعك فيه وأغلق فمك جيدا ، وأرميك ، لأنه إذا لم أفعل ذلك أخشى أن يحملك تيار الماء ، ويمر على المكان الكائن فيه ، ولا تدخل حيث أعدائه الكفار ، فيهلكوك . "

فرح تيلو الأسود ، وقام ، وعاد إلى منزله وهو يقول " إذا عقدت صداقة مع أمير أبناء النهر ، ما قيمة تيلو الأبيض بعد ذلك ، وبعد ذلك أقتله وأصبح وحدى صاحب الخطوة لدى أمير أبناء النهر ، وأقيم الأفراح فى هذه المدينة . "

عندما طلع النهار ، جاء تيلو الأسود بجوال كبير ، ليصل فيه إلى أمير أبناء النهر ، وأحضر تيلو الأبيض رسالة وكتب فيها :

من تيلو الأبيض إلى ابن جميدا ، أمير الأمراء ، تحية كثيرة وحب وتوفيق وتعظيم ، أما بعد لقد عدت إلى المنزل بسلام ، ووجدت كل إخوتى فى سلام ، ولم يسرق اللصوص شيئا من متاعى ، حامل هذه الرسالة أخى ، يسمى تيلو الأسود ، إذا ذكرت قصة الخير والحب الذى تكنه لجماعة النبى ، يدعو لك دائما بالعافية ، واليوم قال أنه يريد أن أحاول بعثه لزيارتك ، لينال البركة منك ، وهو ليس أجنبيا ، إنه أخى حقيقة ، أدام الله ملكك والسلام . "

ولما انتهى من كتابة الرسالة قدمها إلى تيلو الأسود ليقرأها ، ومن شدة السرور قام وعانق تيلو الأبيض ، وشعر بلذة المزاح معه ، وقصد النهر بالجوال فى يده ، وعند وصولهما ، دخل تيلو الأسود فى الجوال ومعه الرسالة وأحضر تيلو الأبيض خيطا من الكتان وخاط الجوال جيدا ، وألقاه فى النهر، وقال " الحمد لله ، الانتقام من المؤذى عبادة . "

قال فصيح " لقد بلغ تيلو الأسود الغاية فى الغباء " ، وانحنى واستأذن من الوزير ، وخرج .

وعندما حان الظهر جاء فصيح ، ودخلت الجارية على الوزير ، وخرجت بعد قليل وقالت " انتظر قليلا حتى ينتهى من شرب الشاى " .
ولما انتهى ، دخل فصيح ، فسأله الوزير " كم رقم التحذير الذى منبداً به اليوم ، قال فصيح " الثانى عشر " قال الوزير .

سعيد الحظ يبيع الماء على نهر كوارا

فى مدينة أزبى إحدى بلاد الطوارق - كان يعيش رجل وزوجته ، ولم يكن هذا الرجل ثريا ، وقد وهبه الله ابنا أبيض وغاية فى الجمال اسمه باوا . كما وهبه الله خفة فى الروح ، حتى كان كل أهل المدينة يحبونه ، وكان يجذب قلوب الناس وهو ابن سبع سنين ، ومع ذلك كان رحيما وعطوفا ، ومطيعا لوالديه وكان مثيرا للعجب ، ولشجاعة يفوق أترابه إذا حاولوا مباراته ، وإذا هم بعمل لا يتركه خوفا من أحد ، ولم يحدث أن أفعل ذلك أبدا . وكان لا يهاب الثعالب ولا العقرب ، فقد كان يمسكها بيديه كأنه يشرب دواء ضد السم ، لذلك حيثما يذهب يناديه الناس ، ويكافئونه على شجاعته .

ولم تكن لأم هذا الغلام حرفة سوى طهى الطعام وبيعه فى السوق ، وذات يوم كانت هذه المرأة تجلس مع ابنها باوا فى السوق ، فجاءت إليهم امرأة ذات أتب ، كانت نحيلة العنق ، ولكن رأسها كانت كبيرة كالزير ، وعيناها كبيرتان ومستديرتان ، وشفتاها كأنهما روج من الأحذية ، ولها أنف طويل ، وأسنان بارزة ، ولا ترتدى سوى بعض الخرق البالية ، عندما جاءت إلى المرأة وضعت يدها فى الطعام وقالت " بكم القطعة؟ " قالت المرأة " كل قطعة بقرش "

رفع باوا رأسه ونظر إليها وضحك ، فنهزته العجوز وقالت " أتسخر منى ؟ " قالت الأم " بالله عليك اتركى الولد ، إذا كنت ستشتري ، اشترى " ، ثم أخذت العجوز قطعة من الطعام ، ورفعتها إلى أنفها وأخذت تشمها ، وقالت " هذا الطعام غير جيد ، لعله طهى أمس ، وأشعر أنه لاذع "

أغضب باوا كلام هذه العجوز ، لأنه لا يحب أحدا يحتقر الحرفة التى من الله بها عليهم ، لأنها مقدسة لديهم ، لذلك قال للعجوز " بالله عليك اذهبى واتركينا إذا لم تشتري ، لماذا تشمين هذا الطعام الذى نبيعه بأنفك القذر ؟ ، إذا رآك الناس لن يشتروا "

عندما سمعت المرأة ذلك غضبت ، ونظرت للصبي وقالت " أتسخر منى هكذا؟ ، ألا تعرف أننى مثل جدتك ؟ ، لا بأس ، إن شاء الله سترى ، كما تسخر منى سيسخر الناس منك "

عندما سمعت أم الصبي ذلك غضبت ، وقالت " ماذا سيري ؟ ، لن يرى إلا كل خير ، كلى نفسك واشربى من البحر "

وعندما سمعت العجوز ذلك ، قالت " أواه ياأختى إذا كان ما قلت قد أغضبك اغفرى لى ، واعطنى بنصف قرش لأذهب ، ولكن بالله عليك أجعلنى هذا الغلام الصغير يحملها لى ويذهب بها معى ، أنت تعرفين أننى الآن لا أقدر على حمل شىء ، ولا أستطيع السير بنفسى لولا اعتمادى على هذه العصا . "

عندما سمع باوا ذلك هب قائلاً " والله يا أمى ، إذا لم تشتتر تترك ، نحن لم نعد هذا الطعام من أجلها فقط . ولن أذهب معها ، كل هذه الرأس الكبيرة وتقول أنها لا تستطيع حمل طعام بنصف قشر ، فما فائدتها؟ "

نظرت الأم إلى العجوز وأدركت أنها غضبت من هذا الكلام ، فألحت على ابنها ليذهب معها ، ولما كان الولد لا يريد أن يفعل أمرا يغضب والدته ، ذهب معها ، وسار أمامها ، والعجوز خلفه ، وأخذت تسير خطوة خطوة كأنهما يدخلان المنزل .

بعد أن سارا حوالى ساعة وصلا إلى منزل عبارة عن مكان خرب ، فى آخر المدينة ، ووجدا المنزل مغلقا ، فأخذت العجوز مفتاحا من جيبتها وفتحت الباب ، فلما دخلا لاحظ باوا أن هذا المنزل من الخارج قبيح المنظر ، ولكن من الداخل كأنه قصر أحد الأمراء ، ولا شىء فيه سوى السجاد والقطيفة ، والأسرة الحديدية ، وتناولت العجوز بوقا ونفخت فيه ، فخرجت فى الحال مجموعة من الفئران الكبار ، فأمرتها أن تذهب وتعد الطعام لهذا الغلام فذهبت ، وقد سيطرت الدهشة على باوا ، وأخذ يتعجب من قدرة الله ، وأخذت الفئران تقوم بعمل شاق لإعداد الطعام له ، فهذا يحضر الماء ، والآخر يشعل النار ، ثم قامت المرأة العجوز ، ونفخت نفسها ، وفى الحال تحولت إلى امرأة سوية تماما ، واختفى الأتب ، وصار أنفها ورأسها ككل الناس ، وقد أدهش هذا التحول الغلام وتعجب ولم يعرف ما يقول ، لم تكن هذه العجوز من الإنس ، ولكنها كانت من الجن ، وتحولت فى الهيئة السابقة لتخرج إلى السوق لتتجول .

والتفت فرأى هؤلاء الفئران قد انتهت من إعداد الطعام ، وقدموه إليه ، وطلبت منه العجوز أن يأكل ، ثم يعود إلى منزله ، فرفض وحاولت كثيرا وقالت أن هذا أجر مالقيه من تعب معها ، ولكنه رفض ، وقامت وكأنها ستأكله نيئا ، فمد يده وقطع لقمة واحدة

ووضعها فى فمه ، وما كاد يبتلعها حتى سمع من يقول " ها ، منذ أن خرجنا ، لم نخرج
أى إنسان ، واليوم سيموت هذا ، والباقي بعده " .

وفى الحال شعر أن الكسل سيطر عليه ، ونعس ليرتاح قليلا ، ثم يقوم بعد ذلك ،
ثم غلبه النوم ، وبعد ذلك استيقظ ، فوجد نفسه راقداً فى الشمس واختفى المنزل الجميل
تماما ، وشعر برأسه وقد ثقلت ، وأنفه طال ، وصار له آتب ، من الأمام والخلف ، أى
أن الخلقة التى كانت عليها المرأة العجور عندما أحضرته تحول إليها هو نفسه ، بسبب
سخريته منها عندما قالت له سوف ترى .

وذهب إلى السوق حيث تباع أمه الطعام ، فلما رآه الأطفال ساروا خلفه ويقولون
يوقولن " ها هو ذو الآتب ، ها هو ذو الآتب ، انظروا إلى أنفه " ، وعجز عما يفعله .

ووجد أمه جالسة ، فقال " يا أمى ، لقد عدت "

فالتفت وقالت " من هى أمك ؟ اذهب واتركنا "

فنظر إليها وانفجر باكيا ، وقال " تذكرى انا أبلك ، الذى أرسلته مع المرأة العجور
لأحمل لها الطعام ، هى التى حولتنى هكذا ، لقد قلت لك لا أريد أن أذهب ، ولكنك
الححت على " .

فلما رأت هذه المرأة أنه ضايقها ، نادى زوجها ، ولما حضر ورآه باوا اذهب إليه
وعانقه ، وهو يقول " يا أبتى ، أنا ابلك باوا " .

فلما سمع الزوج ذلك ، أخذ عصا ، وأخذ يضرب الغلام ، حتى جرى وهو يقول
" ألم تبعثى باوا الآن مع المرأة العجور ليحمل لها الطعام إلى المنزل؟ ، ربما توقف فى الطريق
لي لعب كما يفعل الأطفال ، ولولا ذلك لعاد الآن ، فىأتى ولد ويضايق الناس هكذا ؟ ،
لعنة الله على أعمالكم .

عندما جرى باوا تبعه الأطفال يرمونه بالتراب ويصيحون ، فلما بعد عنهم اتخذ
طريقا دون أن يعرف إلى أين ينتهى ، وبعد قليل أقبل عليه الليل فرأى نارا وسط الغابة
المظلمة ، فقصد مكانها ، وقال " هيا ، أذهب مهما يكن الأمر ، فربما هلكت وارتحت من
هذا الحزن " .

وعندما وصل ، خرجت امرأة عجور وسألته عما جاء به ، فقص عليها كل أخباره
من البداية حتى النهاية .

فلما سمعت ذلك تنهدت وقالت "أعرف الجنية التى فعلت معك هذا ، إسمها إنأ ، ما فعلته بك أمر بسيط ، طالما أنك تستطيع السير ، بعض الناس إذا أصابهم الشلل لا يستطيعون السير ، فيجرون جسمهم على الأرض"

نظر إليها باوا وقال "يا جدتى أنت وحدك فى هذا المنزل؟"

ابتسمت العجوز وقالت "هل رأيت أن العزلة طالت على وحدى؟"

قال باوا "نعم ، أخشى عليك من الحيوانات المفترسة"

عادت الابتسامة إلى العجوز وقالت "من أجل هذا لا تخف على ، كل الأعمال السحرية التى يقوم بها الجن لا يخفى على شيء منها ، إلا دواء إنأ حتى الآن لم يرد الله أن أعرفه ، ولكن سأرسلك إلى من يستطيع أن يخلصك من سحرها ، هل علمت ذلك؟"

انحنى باوا وشكرها ، فأخذت يده ودخلا المنزل ، وقضى يومين معها ، حتى استراح ، ثم أحضرت حذاء من الحديد وقدمته إليه ، وقالت "عندما ترتدى هذا الحذاء تجد نفسك تجرى مسرعا ، حتى لو ظلمت تجرى عشرة أيام ، فلن تتعب أبدا" ، ودلته على المدن التى يسأل عنها حتى يصل إلى الغابة التى يجد فيها أيانا كبير السحرة ، وقالت أخبره ما جرى بينك وبين الجنية وأره هذا الحذاء وسوف يساعدك ويردك إلى شكلك الأول.

انحنى لها باوا أخرى وشكرها ، وأحضرت تيممة صغيرة تقيه من شر المصابب وقدمتها إليه ، وهو على وشك الرحيل سألها عن اسمها فقالت "اسمى أوانى" ، فانحنى مرة أخرى وحيها ثم رحل.

عندما غاب عن المرأة العجوز ارتدى حذاءه ، وبدأ فى الجرى منذ الصباح حتى العصر دون أن يتعب ، حتى وصل إلى مدينة اسمها ليلى ، فلما وصل إلى بوابة المدينة توقف ، وخلع حذاءه ودخل وقصد القصر ، وكان كل من يره من الأطفال يتبعه وهم يقولون "ها القزم ، ها القزم" ، أى أنه ذو أنف طويل .

عندما رأى أحد رجال الشرطة أن الأطفال سيخرجونه ، أخذ يده وسار به حتى وصل إلى منزل الأمير ، انحنى باوا وحياء ، فنظر إليه الأمير وانفجر ضاحكا ، وقال "من أين جئت يا طويل؟"

قال باوا "أطال الله حياتك ، ها أنا خرجت أهيم على وجهى فى الدنيا ، جئت من الغرب" ، فأعطاه حجرة فى الإصطبل فنزل فيها ، وأحضر له الطعام فأكل .

وعندما طلع النهار ، جاء لتحية الأمير ، فسأله هل يحب أن يبقى معه .
قال باوا "إذا وجدت فرصة للبقاء ، رفعك الله ، ماذا يمنعني؟"
قال الأمير "وهو كذلك ، أى عمل تريد أن يسند إليك ؟ ، أم تريد أن نتركك
لتستريح ، ويأتى الناس يرونك ليشهدوا قدرة الله؟"
قال باوا " لا ، أريد أن أكون ساعيك"
انفجر ضاحكا وقال "ما شأنك بهذا أين أنت ومهمة الساعى؟"
أصر باوا على هذا العمل فقال الوزير "يُكلف بالعمل الذى يريده".
قال الأمير "وهو كذلك" ، وقام باوا بعمل الساعى ، كنوع من المزاح ، وعندما طلع
النهار أعطى رسالة ليوصلها إلى إحدى المدن ، إذا قام الإنسان منذ الصباح مهما كانت
سرعته يحين المغرب قبل أن يصل إليها.
عندما خرج باوا ارتدى حذاءه ، وجرى ، وجرى كما يجرى الكلب ، وقبل أن يحن
الظهر إذ به يعود بالرد على الرسالة ، تعجب الناس ، وقالوا "إن هذا الرجل أمره
عجيب ، إذا تَبَعْتَه تجده يسخر الجن ، إن خلقته هذه ليست هباء".
وجعل الأمير باوا كبير السعاة مرغما ، ورفعاه رفعة كبيرة ، حتى صار كل ما يقوله
فى القصر ينفذ ، فلما رأى شأنه ارتفع هكذا ، غرته طفولته وأخذ يقدم الهدايا والعطايا
لحاشية الملك وعبيده ، حتى يحبوه.
ولم يعرف أن الحب الحقيقى لا يوجد لدى الناس بسبب الهدايا إلا بالأخلاق الحميدة.
قال فصيح " لا ، إنهم يقولون باليد الكريمة يعرف العلماء ، كيف أعطى الناس شيئا
ثم يرفضون حبيبى".
قال الوزير "إنهم يحبونك ، حتى لو كان حبا غير صادق ، لو تكلمت ترى كل
إنسان أسرع ينفذ أمرك ، والبعض تشعر أنهم يتملقونك ويقولون لا يوجد مثيل لك فى
كل هذه المدينة ، ولكن إذا افتقرت تعرف حبيبك من عدوك ، انتظر لتسمع ، الجزء الذى
نال به باوا".
على الرغم من أن باوا كان يعطى أهل المدينة المال ليحبوه ، كان الحب الذى يبدونه

له من طرف اللسان فقط ، ولا يحبونه من قلوبهم ، لأنهم كانوا يشعرون بالحقد لأنه سلب مركزهم في القصر ، وكان أكبر عدو لباوا في مدينة ليلي هو الوزير ، إلا أن باوا لم يكن يدرك ذلك ، ولم يكن هذا الوزير يكره باوا فقط ولكنه يكره كل من يتعامل مع الأمير ، ولم يكن يخفى حقه وشبهه ، فقد كان يحتقر كبار المدينة ، وكان الأمير لا يرد له طلبا كأنه قد سحره ، فلو وضع في سبيله عقبة وطلب منه ألا يتجاوزها ما خالف أمره .

وذات يوم طلب من الأمير أن يخرج بالليل يتعسسون على الناس ، بعد أن ينام الجميع ، ليسمعوا من يلعنهم ، ولكن الأمير لم يكن يحب هذا الأمر ، ولكنه وافق حتى لا يغضب الوزير ، وظلا يخرجان للعسس وذات يوم كانا يمران أمام أحد المنازل فسمعا بعض الناس يغتابون الأمير والوزير ، وفي الصباح ألح الوزير على الأمير ليأتي بهم ، فقبضوا عليهم ووجه لهم الأمير لوما شديدا ، وقال لهم إن الأمير أمر بجلدهم ، فضايق هذا الأمر كل أهل المدينة كما ضايق الأمير نفسه ، ولكن الأمير لم يكن له أية حيلة فيما يفعله الوزير .

وذات يوم اتفق الوزير مع جارية الأمير العجوز أن تسرق عقد ربة بيت الأمير المرجان، وأخذه وأخفاه أسفل سرير باوا ، فلما طلع النهار بحثوا عن العقد في كل مكان، فلم يجدوه ، وقالت الجارية، نبحت عنه في كل مكان في القصر ، حتى حجرات الخدم ، فعملوا بمشورتها وبحثوا في كل الحجرات فلما دخل رئيس الحرس حجرة باوا ، ونظر تحت السرير وجد العقد المرجان فصاح ، فتجمع الناس ، ودلوا الأمير على مكان العقد ، فتعجب كل خدام الأمير وأخذوا يغتابون باوا ، على ما فعله وما لم يفعله، وأخذ يقسم ويجادلهم ولكن أمير الشرطة نهره ، وتركه .

استدعى الأمير الوزير وقال له "هل سمعت عما فعله باوا ، لقد اتضح أنه لص" .

قال الوزير "لقد سبق أن حذرتك من هذا" .

نظر الأمير إلى الوزير وقال "صدقت وما هو عقابه على ذلك؟"

قال الوزير "هل يوجد عقاب أفضل من قتله ، ليرتاح الجميع؟"

قال الأمير "طلما أننى أعطيته الأمان ، فلن أقتله ، ولكن ابعته مع الشرطة ليخرجوه من هذا البلد الآن" .

نظر باوا إلى الأمير وانفجر في البكاء وقال "حسبى الله".

أمر الأمير الشرطة أن يأخذوه ، ولكن الوزير قابلهم خارج القصر وأمر أن يتركوه ، وأمر أطفال المدينة أن يحيطوا به وهم يهللون قائلين "حرامى حرامى" ، ولولا حذاؤه الذى يساعده على الجرى السريع لقتله الأطفال رميا بالحجارة.

وكان باوا يخشى أن يأمر الوزير الفرسان أن يطاردوه بالخيل ، فلما رأى أنه بعد عن الأطفال ، شق طريقه فى الغابة وأخذ يسير فيها جريا منذ الصباح حتى الظهر ، دون أن يعرف له وجهة ، حتى حان وقت الظهر دون أن يرى منزلا واحدا ، فقال فى نفسه "طالما أننى لا أشعر بالتعب فماذا يضايقنى؟" ، وأخذ يسير فى الغابة لا يسمع أحدا ولا يرى شيئا.

وقرب غروب الشمس ، وصل إلى سفح أحد الجبال ، فنظر إلى أعلى فرأى منزلا ، فشم عن ساقيه وأخذ يصعد الجبل حتى وصل إلى باب المنزل ، فوجد شابا على المدخل يدق بعض الجذور ، فسلم عليه باوا فرد الشاب التحية ، وسأله من أين جئت؟

قال "من الشمال ، خرجت أبحث عن منزل كبير السحرة أيانا ، فضلت الطريق ووصلت إلى هنا ، إذا سمحت أن أقضى الليل هنا ، وغدا تدلنى على الطريق الذى أسلكه لأدخل الشارع ، وإن شاء الله وسمعت عن أيانا تدلنى على المنزل".

عندما قال ذلك سمع هذا الشاب ينفجر ضاحكا ، ويقول "كف عن البحث عن الطريق ، لقد وفقتك الله ، هنا منزل أيانا ، وأنا ابنه الأكبر ، دعنى أدخل وأخبره" ، وقام ودخل المنزل.

جلس باوا واجما ، يتعجب ، ونظر جهة الشرق ودعا الله الذى كتب له التوفيق فى مسعاه.

وبعد قليل خرج الشاب وقال "أنه يسمح لك بالدخول" ، فقام باوا ودخل.

فلما دخل رأى رجلا عجوزا نحيفا صغير الجسم ، يجلس على فروة من جلد الذئب ، فلما رآه باوا أخذ قلبه يخفق ، ظن أنه من الجن ، لأنه أشبه بالجن منه ببنى آدم ، فانحنى وحياه فى أدب.

قال العجوز "لقد سمعت أنك خرجت تبحث عن منزل أيانا؟ ، قال باوا "نعم".

قال أيانا "وهو كذلك ، أنا أيانا ، بماذا جئت؟"

حنى باوا رأسه ، وهم بالكلام ، فقال أيانا "وهو كذلك ، استرح من الكلام ، لقد سبق أن علمت بحضورك ، وبكل ما جئت من أجله منذ أخبروني بحضورك ، لولا شقاوة الأطفال التى جعلتك تتوقف فى الطريق ، والطمع الذى جعلك تعمل ساعيا ، لثم كل شيء الآن وشفيت ، أين أوانى ؟ أرجو أن تكون بخير؟"

حنى باوا رأسه وقال "إنها بصحة طيبة ، وتحيك".

نظرا أيانا للولد وقال "حظك طيب ، مع إننا التى لم تشل لك رجلا ويدا ، لكنك لا تستطيع المشى ولا الحضور إلى هنا".

ثم قام ودخل المنزل ، وجاء ببعض الماء كعلاج وخرج ، ووقف على رأس باوا يقول:

إننا أيتها الأم سوف نقدم لبنا

المشى ليس لك تبحثين عن الحذاء

أيتها المرأة التى تتدخل فيما لا يعنها

نانا ذات القوة التى تغتصب ملك غيرها

العفريته التى تمتص الدم وتترك الجلد

السحر حق لدى صاحبه

كل من يترك البيت يتركه البيت

لقد تزوجتك أيتها العفريته وتزوجتنى.

ليس بيننا طلب يرفض

ثم نثر الماء على باوا ، وفى الحال عاد إلى هيئته الأولى ، ولد جميل الأنف والفم ، فأنحنى الولد وشكره.

طلب منه أيانا أن يكف عن الشكر ، فلا بأس ، وطلب أن تقدم له حصيرة لينام يومين حتى يستريح ، ثم يدلّه على الطريق ليعود إلى مدينتهم.

وأقام باوا مع أيانا يساعد أبنائه فى ربط الغلال التى يحصدونها ، وبعد أن مضى عشرة أيام ، قال إذا لم يكن هناك عمل آخر يريد أن ينصرف .

قال أيانا " طالما أن هذا الشهر كاد ينتهى ، انتظر حتى يظهر الهلال ، فإنى أرى أن الرحيل فى هذا اليوم أفضل " ، لذلك انتظر باوا خمسة أيام أخرى وعندما حان الرحيل أحضر أيانا تميمة وقال " هاك ، علاج الجن يفيدك مستقبلا " .

شكره باوا وقال " وهو كذلك ، ليس معى شئ لأقدمه لك أجرا فما العمل ؟ "

قال أيانا " أنا لم أساعدك من أجل المال ، ولكن لما رأيته فيك من الأدب ، ولكن عندما تصل إلى منزلك ، عليك أن تتصدق بديك أحمر "

قال باوا " وهو كذلك ، الحمد لله " ، واستعد ، ودلوه على الطريق ، فسافر ولما اختفى عن هذا الجبل ، ارتدى حذاءه ، واندفع فى الجرى ، حتى مدينة لالى ، المدينة التى أمر الوزير الأطفال أن يطاردوه منها من قبل .

لقد سبق أن قلت لك أن وزير هذه المدينة رجل ظالم ، وقلت لك أنه جعل الأمير يتجسس على الناس فى الليل ، حتى يسمع من يغتابونه .

وذات يوم أثناء تجوالهما ، انتظر الأمير والوزير فى المسجد ، وخلع الأمير خاتمة الذهبى ، ووضعها أمامه ، حتى يتيمم ويصلى صلاة القيام ، ولما انتهيا من الصلاة ، خرجا وسارا فى المدينة ، وما كادا يسيران مسافة قصيرة حتى تذكر الأمير أنه نسى خاتمه فى المسجد ، فعادا مسرعين وكان أحد الفئران الكبيرة قد رأى الخاتم يلمع ، فظنه شيئا طيبا وجذبه إلى جحره ، فلما عادا وجدا رجلين كانا يصليان فى المسجد وخرجا ، فدخل الأمير وبحث فلم يجد الخاتم ، فخرج مسرعا واتبع هذين الرجلين وأخذا يناديان عليهما ليتوقفا .

فلما سمع الرجلان النداء خافا ، وظنا أنهما من المجانين ، لذلك اندفعا فى الجرى ، وكان الأمير والوزير شاينين قويين ، فاتبعوهما حتى قبضا على واحد منهما ، وسألاه وجدت خاتماً من الذهب فى المصلى ، فقال أنهما لم يريا شيئا ، وحاولا معه ، ولكنه أصر على قوله ، وأنه لم ير شيئا فتركه الأمير ، وراقب المنزل الذى دخله وذهبا .

عندما وصل الوزير إلى هنا سمع فصيح الأطفال يصيحون فى الخارج ، فأصغى فسمع طائرة تطير لذلك قال للوزير " اريد أن أبول " .

قال الوزير "وهو كذلك ، إذهب وعد مسرعا" ، خرج فصيح وأخذ يراقب الطائرات ، حتى اختفت عن الأنظار ، فعاد ، واستمر الوزير فى رواية القصة ، ولم يهتم بشيء .

وعندما طلع النهار ، بعث الأمير من يأتى بهذا الرجل ، وسأله عن اسمه ، فقال "أمنى" وفاتحه فى ضياع الخاتم ، فقال لم يره مطلقا ، فأمر الشرطة أن تستجوبه حتى يقول الحقيقة ، فلما أشبعوه ضربا ، وأدرك أنهم سيهلكونه دون ذنب قال "انتظروا ، انتظروا ، لقد وجدت الخاتم ، وهو الآن لدى نيتو ، الذى رأيتموه معى ، أعطيته له ليحفظه أمانه" .

وفى الحال بعث الأمير من يأتى بنيتو ، فلما حضر طلب الأمير أن يحضر الخاتم فقال أنه لا علم له بهذا الأمر ، فأمر الأمير الشرطة باستجوابه ، فلما أشبعوه ضربا قال "انتظروا ، انتظروا ، عندما أعطاه لى ، أعطيته لإنجا ليحفظه" .

قبضوا على إنجا ، فسأله الأمير ، ولكنه أنكر ، فأمرهم بضربه ، فلما شعر بالآلم قال إنه سلمه إلى عاشرو ، فأمر الأمير بإحضار عاشروسأله ، فقال أنه لم يعرف شيئا عن هذا الأمر ، وهم الأمير بالأمر بضربه ، قال القاضي "نصرك الله ، أرى أن الأفضل إرسالهم إلى السجن ، حتى نبحث أمرهم غدا ، ولتخويفهم قال إذا امتنعوا عن قول الحقيقة ، نقتلهم غدا جميعا" .

وافق الأمير على رأى القاضي ، وأرسلوهم إلى السجن ، فلما أخرجوا ، قال القاضي للأمير سيعمل حيلة ، ويكشف المشكلة قبل طلوع النهار ، فلما تفرقوا طلب أن يحمل صندوق كبير ويوضع فى حجرة الحجز ، وفى المغرب استدعى أحد خدمه صغيرا لجسم ، وأنزله فى هذا الصندوق وأغلقه عليه ، ونبه عليه أن يصغي جيدا لكل ما يقولون ، وذهب إلى السجن وقال لرئيس السجن "لماذا أحضروا هؤلاء المتهمين إلى السجن ، طالما أنهم لم يسرقوا شيئا؟ يجب وضعهم فى حجرة الحجز" ، وأخذوهم ووضعوهم فى الحجرة الكبيرة التى وضع فيها القاضي الصندوق الكبير الذى أدخل خادمه فيه .

فلما شعروا أن الجميع قد ناموا ، نظر عاشر إلى إنجا ، وقال له "انظر حالي ، لم أفعل شيئا ، ولم أسرق أحدا ، ومع ذلك وضعوني فى الحجز لمدة يومين ، بدون ذنب ، حسبي الله ونعم الوكيل" .

قال إنجنا " لماذا تتحسبن على ، التحسبن على نيتو ، أنت حظك سعيد ، لأنهم لم يضربوك ، لقد كنت في السوق عند القضاين ، ولم أفعل شيئا ، وفجأة رأيت الشرطة يقبضون على ويقودوننى إلى منزل الأمير ، وسألونى ، فقلت الحقيقة ، ولكنهم ظنوا أننى أكذب ، فأخذوا يضربوننى ، كما يضرب القرداتى القرد ، وخوفا من أن يقتلونى من الضرب بلا جريرة ، تذكرتك أنت ، لأن أسمك هو الذي خطر على بالى ، ونطق به لسانى ، فلا تلومنى ، يجب أن تلوم نيتو ، اللهم لا تجمعنا به إلى يوم القيامة "

قال نيتو " الله أكبر ، لقد قالوا في المثل " الأرنب لا يغضب ممن ذبحه ولكن يغضب ممن علقه ، اتق الله يا إنجنا؟ ، والله لم أكن في تمام عقلى ، قلت ذلك لما أصابنى من عذاب شديد ، فقلت كما اتهمنى أننى بدون ذنب شخص آخر سئ الحظ ، فشعرت أن اسمك خطر على قلبى ، فنطقته ، كل هذه المشاكل لم يجرنا إليها سوى أمنى ، وبحرمة النبى محمد ربنا يخلص ذنبنا منه ، لا نرضى عنه في الدنيا ولا الآخرة .

نظر إليهم أمنى ، وتساقط الدمع من عينيه وقال " لو عرفتم كيف بدأ هذا الأمر ما علقتم الذنب في عنقى ، مساء أمس من سوء حظى ، كنت أتوضأ وخرجت إلى المصلى عند باب المنزل ، وعندما انتهيت من الصلاة وخرجت سمعت صوتا كأنه من السماء يقول " انتظر " ، فالتفت فرأيت رجلين من بعيد فظننت أنهما من الجن ، وإذا لم يكونا من الجن من اللصوص أو المجانين ، لذلك لم أتوقف ، وأخذت أجرى مسرعا ، فلما رأيا ذلك أسرعوا وقصدانى ، فلما التفت ورأيتهما يتبعانى جريت ، وقبل أن أدخل المنزل ، لحقنى أحدهما وأمسك عنقى ، وقال " أين الخاتم الذي أخذته من المصلى الآن؟ " ، فاحترت وأخذ قلبى يخفق ، وقلت والله لم آخذ الخاتم ، فقالا أننى أكذب ، إننى أخذته ، ولما رأيا أننى مصر على قولى تركانى وانصرفا .

وعندما طلع النهار ، جاء رجال الشرطة وقبضوا على ، وذهبوا بى إلى القصر وقد علمت أن هذين الرجلين اللذين أمسكانى هما الأمير والوزير ، وسالانى عن الخاتم ، فقلت لهما أننى لم آخذه حقيقة ، فأمر الشرطة أن يستجوبونى ، ولعلك تعرف لإصرارهم على الاتهام أخذت أكذب وأقول من هول التعذيب أننى أعطيته لك ، حتى يتركانى لأستريح ، ولكن الحقيقة ، والله لا أعرف شيئا عن هذا الخاتم ، إنها مصيبة وقعت على رؤوسنا ، وعلينا أن نصبر ، وبعض القضايا لا يفصل فيها إلا يوم الحشر ، قال عاشر " غدا قبل أن أعذب سأقول أننى أعطيته لشخص إذا أراد أن يعرف المكان الذى يوجد به الخاتم بهذه الوسيلة سوف يسجن جميع أهل المدينة " .

قال إنجا " طالما أن هذا الأمر حدث في منتصف الليل لابد أن يبحثوا في هذا المصلي، حتى لو استدعى الأمر أن يرفعوا السقف ، يرفعونه ، ويتبعون جحور الفئران في المصلي ويحفرونها ، بالتعقل يمكن أن يجدوه ، طالما أنه لم يدخل أحد غيرك يا أمنى "

قال أمنى " حقيقة صدقت ، يا إنجا ، ودعك من الفئران الصغيرة ، هناك فئران كبيرة، في المصلي "

قال نيتو " صدقت، الفأر الذى أمسك زمام الجمل وقاده حتى وصل إلى جحره ، فما بالك بالخاتم . "

حقق هذا الأمير عندما يتحرك لا يستطيع أحد أن يمنعه ، إنه مسلم ولكن قلبه كقلب الكافر لعدم الإيمان "

قال عاشر " يذهب ويبحث، إنها الدنيا يوم معك ويوم عليك ، غدا تسمع أنها انقلبت عليه ، أمير تبوك قد ملك وفعل ما شاء في عصره ، ورأيتاه نهايته فما بالك بهذا الحقير "

قال أمنى " كل هذا الأمر لا دخل للأمير فيه ، إذا رأيت شرا يقع لا تجد أحدا وراء سوى الوزير ، فهو مصدر الشر . "

قال الباقون " هذا معروف ، كأنه سحر الأمير ، كل ما يقوله لا يستطيع مخالفته ، وقضوا الليلة يتبادلون الحديث حتى طلع الفجر ، وقد سمع الخادم داخل الصندوق كل هذا الكلام . "

وعندما طلع الفجر ، أخرجوهم ليكنسوا المكان، وخرج الخادم من داخل الصندوق، وذهب إلى القاضي ، وأخبره بكل ما سمع من حديث ، فقال القاضي " أعلم أن هذا سيحدث . "

وعندما خرج للمجلس ، قال القاضي للأمير على الحيلة التى قام بها ، وكل ما قاله له الخادم ونودى الخادم ، فقال الأمير ما حدث بنفسه ، أمر الأمير أن يذهبوا إلى المصلي ليحفروا جحور الفئران الكبيرة ويبحثوا فيها ، وقبل أن يبدأوا في إزالة السقف وقبل أن يتموا إزالته رأوا الخاتم يلمع ، فأخذوه وقدموه إلى الأمير ، وأخبروه بالمكان الذى وجدوا فيه الخاتم، فتعجب الناس من هذا الأمر ، فأمر الأمير بإطلاق صراح المتهمين من الحجز،

فقال الوزير طالما أنهم سبونني مساء أمس ، لا بد من معاقبتهم " ، وأمر أن يجلد كل واحد منهم اثنتي عشرة جلدة ، ثم إطلاق صراحهم .

وبعد إطلاق سراحهم بيومين وصل باوا إلى المدينة ، ولم يعرف ما حدث ، وذات يوم خرج يتسول في الليل وسمع الناس يتكلمون في المنزل الذي ذهب يتسول منه ، فتسلل ليسمع ما يقولون ، فسمع بعضهم يقولون ، أنه في منتصف الليل سيقطعون الطريق على الأمير والوزير في السوق ، ويقتلونهما طالما أنهما يظلمانهم بلا ذهب ، وكان هؤلاء الناس هم أمنى ونيو وإنجا ، جلسوا يتشاورون ، عندما سمع باوا ذلك تسلل ولم يتسول من هذا المنزل ولم يسمعه ، ويبحث عن منزل آخر .

ولما انتهى عاد إلى مسكنه ، وهو يردد هذا الكلام ، ويقول في نفسه " اليوم شبت من شيء اشتبهت آخر ، واليوم كما أحسن إلى هذا الأمير ، لا يجب أن أتركه ليقتلوه على مسمع مني ، وأكون بذلك قد خنت أمانته ، ورغم أنه طردني وأذاني ، فإنني أعلم أن هذا بسبب مرق الخاقدين ، فالأفضل الآن أن أتشجع وأخوض المخاطر إن شاء الله أساعد هذا الأمير كما ساعدني عندما تجهم لي كل الناس عنى حتى والدي ، اللذين المحباني حتى لو هلكت ، أحمد الله أنني مت وأنا أحاول مساعدة حبيبي "

لذلك ذهب إلى أحد رفاقه في السفر ، ورجاه أن يعيره سيفاً كبيراً ورجاه أن يعيده سيثاً كبير ليحتفظ به في مسكنه ، وقبل أن يتتصف الليل قصد السوق ، ويبحث عن مكان يختبئ فيه ، وأثناء اختبائه سمع همساً ، وتمتمه ، فلما أنصت أدرك أنهم مقبلون مع إنجا ، فلما وصلوا لجأوا إلى تعريشه بالقرب من مخبئه ، واختبأوا فيه ، وبعد أن مضى ثلث الليل ظهر الأمير والوزير يتجولان كما تعودا ، فلما رأوهما هجموا عليهما ، واشبعوهما ضرباً ، وامسكوا الأمير وألقوه أرضاً ، كانوا يهابونه من قبل وحده ، وركب أمنى وإنجا على بطنه ، وأخذ نيتو يرفع الوزير ويلقيه على الأرض ، وصعد فوق بطنه الكبير ، وملأوا فم الأمير بالرمال ، حتى لا يتأوه فيسمعه أحد ، واستلوا سكيناً ، وقالوا لهما أنهم هم الذين أمر الأمير أن يضربوا بدون ذنب . لذلك فسيذبحانهما الآن ، ليثأروا منهما بسبب الضرب الذي وقع عليهما .

حدث كل هذا وباوا ينظر إليهم ، وأخذ يفكر هل يتشجع ويخرج إليهم أم يكتم سره وينجو بنفسه ويهرب ، ولكنه عندما رآهم يسحبون السكينه ويحاولون قطع رقبة الأمير ، تسلل مسرعاً وقبل أن يتبهاوا قطع رأس أمنى وإنجا اللذين كانا فوق الأمير ، وهم نيتو

بالجرى ولكن تبعه باوا وقطع رأسه ، وجرى الأمير والوزير ظنا أنه سيعود عليهما ، فطلب منهما باوا أن ينتظرا فوقا فتقدم أمامهما وأدى تحية لهما ، وجسمهما يرتعش ، فسأله الأمير عن اسمه والحي الذين يسكنه ، وكيف عرفهما حتى يساعدهما هكذا ، وينقذهما من الهلاك ، فذكر باوا للأمير اسمه وقال إنه غريب ، جاء أمس إلى هذه المدينة ، وكان يتجول ، .

قال الأمير "أنت الغريب ، كيف أنك عرفتنا رغم حضورك أمس فقط؟ ، وكيف عرفت أن هذا الأمر سيحدث هكذا ، وكيف أعددت نفسك للحضور هنا؟"

قال لهم باوا كيف شاء الله أن يسترق السمع ، ويسمع ما يضمره هؤلاء الناس عندما ذهب يتسول ، فعانقه الأمير ووريه من شدة السرور ، وعجزا عما يقولانه في هذا الأمر الذي أراده الله ، وفاضت عيناهما بالدمع وسأله الأمير عن الحي الذي ينزل فيه ، فأخذهما باوا حتى المنزل الذي يسكن فيه ، فقال الأمير "والآن نحن في الليل والأفضل أن نصطحبك حتى المنزل لكافئك خيرا ، وفي الصباح تأتى إلى القصر لتقول للناس ، كيف حدث هذا الأمر" .

انحنى باوا وقال ، وهو كذلك ، أسأل الله أن يحينا إلى الغد" ، وخلع الأمير خاتمه الذهبى وقدمه إلى باوا ، وطلب منه أن يحفظه لديه ليعيده ليلة غد ، فأخذه باوا ، ووصلوا إلى القصر ، فدخل الأمير ، وأمر الوزير أن يسير معه حتى يوصله إلى منزله ، وأثناء السير هجم عليهما كلب خارج من أحد المنازل ، فظن الوزير أن إنجا أفاق وتبعهم ، ولما اندفع الوزير جاريا فزع الكلب وجرى وراءه .

فتبعه باوا وأخذ ينادى عليه ويقول له أن هذا كلب ، ولكن دون جدوى ، فلما وصل إلى عمر المنزل أغلق الباب ولم يجد الفرصة ليودع باوا ، وأسرع إلى داخل منزله .

وعندما طلع النهار وجد الناس ثلاث جثث ، فتعجبوا وظنوا أن اللصوص فتلوهم وأخذ إخوتهم ييكون ، فذهب رئيس الحي إلى الأمير وأخبره فأمر أن يدعى كبار رجال المدينة للاجتماع عند باب قصر الأمير في الضحى ، فلما حان وقت الضحى حضر الجميع ، وبعث الأمير من يستدعى هذا الكلام ، فلما حضر جلس في جانب الأمير ، وقص للناس كيف سلك أمنى مسلك اللصوص عندما فقد الأمير خاتمه في المصلى ، الأمر الذى جعله يهمهم ، فألقى التهمة على نيتو ، الذى اتهم بدوره إنجا وهذا بدوره اتهم عاشرو ، ونظر الأمير وقال "وهو كذلك ، فما هو الخطأ في هذا ؟ ، أليست الشريعة تحل اتهامهم"

قال الناس "نعم أطل الله حياتك ، صدقت في هذا ، ولكن لماذا أمرت بجلدهم؟ ،
أم أن هذا من سلطاتك؟"

قال الأمير " لا ، اسألوا الوزير ، أقسم بالله أن هذا ليس من شأني "

فقال رجل عجور " إذا كان هذا من شأن الوزير فلنستمر في موضوعنا ، هذا أمر
واحد بالنسبة لنا ، وليس لدينا إذن في الكلام فيه ، ولو بكلمة واحدة وإلا حق علينا
الموت الآن "

قال الأمير " كل ما قلت لكم هو غاية علمي في هذا الموضوع ، وعليكم أن تسألوا
هذا الغريب يخبركم بباقي القصة "

سألوا باوا ، فقال لهم كيف استرق السمع مساء أمس ، وسمع ما يقولون ، وكيف
استعار السيف وذهب إلى السوق واختبأ ، وأنه لم يعرف أن الذي هاجمونه هو الأمير ،
ووزيره ، إلا بعد أن أوقعوه .

قال الأمير " لا تخجل من القول ، قل لهم كل ما حدث ، فقص باوا القصة تماما ،
ولم ينقص منها شيئا .

قال الناس " لا حول ولا قوة إلا بالله " ، وتعجبوا ، وأخذوا يباركون للأمير على
السلامة ، وكان أهل المدينة يكتمون غيظهم من الوزير

ومع أنه كان يجلس بالقرب من الأمير إلا أن أحدا لم يهتم بسلامته .

نظر الأمير إلى الناس وقال " أيها الناس لدى ما أقوله لكم ، فصمت الناس ، ثم
نظر إليهم مرة أخرى وقال لدى ما أقوله لكم فأنصتوا .

حينئذ قال الوزير " الأمير يتكلم معكم وانتم لم تردوا عليه ، بنعم أو لا ، وأخذ كل
منكم يمسك لحيته كأنها لحية جدى "

فقال الرجل العجور " أيها الوزير ، الأمير يتكلم معنا بهدوء ، وأنت تسخر منا
بكلامك هذا؟ ، لم تأت هنا لتكلم وتسمع أنت ، لولا أننا جديرون بالحضور إلى الحديث
معنا ما دعانا ، احذر من التدخل في الحديث الذي لم يطلب منك الأمير التدخل فيه ،
إذا كنت قد سحرت الأمير ولا يستطيع إبداء رأيه وأنت حاضر هل سحرتنا كذلك؟ ،
فشب الخلاف بينهما وكاد يحدث مالا تحمد عقباه فمنعهما الأمير .

ما دفع هذا الرجل العجوز ألا يحترم الوزير أنه مكر بأبيه وهو صغير ، وجعل الأمير يقتله ، علاوة على ذلك فإن الوزير يحتقر جميع أهل المدينة ولا يحترم أحداً حتى الأمير ، وها هو قد ضايق الأمير ، والأمير يخشاه لخشية القطن من النار .

نظر الأمير إلى الناس وقال " أنا أسألكم هل لديكم كلام ، ولم أطلب منكم القتال " ، قال إمام المدينة " هل يوجد لديكم كلام "

قال الأمير " أى كلام لديكم؟ "

قال الإمام " ما تريد أن نقوله هو أننا لا نحب الوزير لا لشيء إلا لسوء خلقه ، كلنا نحن كبار المدينة ، حط من كرامتنا جميعا ، يطأ كرامتنا كما يطأ الأرض بقدميه ، أهكذا يكون التعايش بين الناس ؟ ، كان ينبغي الآن أن نكون قد بلغنا منزلة من يحترم حيثما ذهب " .

قال الناس في وقت واحد ، صدقت يا إمام ، إما أن نخرج الآن ، وأما أن نجتمع متاعنا ونغادر المدينة ، هذه الدنيا ملك لله ، طولا وعرضا ، طالما أننا سبقنا وقلنا هذا الكلام ، ليس لدينا فرصة للبقاء .

غير الوزير من جلسته ، ونظر الأمير إلى الناس ونظر مرة أخرى للوزير ، وصمت ثم قال " سمعت كلامكم ، ولكن إذا أخرجت الوزير ، من تريدون توليته بدلا منه " ، قال قاضي السوق " نصرك الله ، حتى لو عينت هذا الصبي الصغير باوا نتبعه "

نظر الإمام إلى قاضي السوق وقال " بالنسبة لهذا الأمر ، حتى لو عين هذا الصبي نرضى به ، فالله هو الذى أراد ذلك ، وليس أحد ، فهو الذى عينه حتى لو كان ابن كبير اللصوص ، وإذا كان في هذا الجمع من يعارض حكم الله نسمعه "

قال الناس " لا يوجد من يعارض ذلك ، فهو الذى عينه ، وعلى الوزير أن يجمع متاعه البسيط ، ويبحث عن مكان آخر ، وإذا كان له حظ في هذا البلد ، لن ينتهى النسيمة ، لقد بدلنا مشكلة بأخرى " .

وفي الحال أخرج الأمير الوزير وقد كان الأمير ينتظر الفرصة فأتته ، وعين باوا وزيرا ، وعاد الوزير إلى منزله ، وجمع متاعه القليل ومن يستطيع أن يتبعه من أولاده ، واختار المكان الذي يريد أن يتوجه إليه ، وأخرجته الشرطة من المدينة ، وبعد ثلاثة أيام أخرجوه

من الحدود ، هذا أقصى ما حدث للوزير ، وهذا هو الجزاء الذي جعله الله لكل من أصاب الناس بالشر .

وآل الأمر إلى الوزير باوا ، وأقيمت الأفراح لتولية السلطة ، وأخذ المداحون والمغنون والطبالون يطبلون ويغنون .

وبعد مضي شهر بعث الوزير باوا لأبيه وأمه ليأتيا ، فلما حضرا وعلما أنه لم يمّت ، فرحا فرحا عظيما ، وقد نسيه أبوه إلا أن أمه ما زالت تذكره ، ولم يغب عن ذاكرتها ، فقد مضى على غيابه سبع سنوات وشهران ، حتى يشوا من العثور عليه ، وابتسمت لهم الحياة ، وأخذوا يستمتعون بها .

وفرّح الأمير وأهل المدينة بالوزير الجديد فرحا عظيما ، والتحم الناس بالأمير وصار لا يفرق بينه وبين الناس إلا الليل فقط ، ورغم هذه السلطة والنفوذ الذي آل إليه لم ينس أيانا كبير السمر ، وأوانى العجوز التى منحته الخذاء السحري ، وأشارت عليه أن يبحث عن منزل أيانا فبعث للجميع ليأتوا لهذه المدينة ، وبنى لهم المنازل ، وأغدق عليهم بكل ما يريدون ، وصاروا مساعدين في شئون الحكم ، ومنذ تولى شأن الوزارة تصدق بالديك الأحمر الذي طلب أيانا أن يذبحه ، أما صديق الرحلة الذي أعاره السيف ، في الليلة السابقة لم ينسه ، حتى الشرطي الذي اصطحبه حتى منزل الأمير ، حينما كان الأطفال يضايقونه ، أمر بتعيينه رئيسا الشرطة ، عندما مات رئيس الشرطة السابق .

ولما اجتمع الوزير مع والديه ، أخذ يقص لهم المتاعب التي عاناها ، عندما جاء في هيئته أتب في المقدمة وآخر في المؤخرة ، فكانوا ينفجرون في البكاء .

و ذات يوم كانا يتحدثان مع الأمير ، فقال للوزير " والله إننى أعجب كيف غامرت بنفسك وخلصتنا ، دون وجود أي سبب لذلك " .

قال الوزير " لم أقل لك ، أنه يوجد سبب لذلك ، إذا تذكرت شخصا ذا أتب جاء إليك هنا ، وأحسنت إليه ، من قبل والذي اتهمه الوزير بالسرقة ، حتى جعلك تطرده ، إنه أنا " ، وقص له كل ما حدث له ، منذ فارق أمه حتى جاءوا إليه بعد أن تولى السلطة ، فقال " ومن أجل هذا الخير الذي أغرقته على ، شعرت بالهمة لإنقاذك ، ومن أجل هذا ساعدت الوزير " .

عندما سمع الأمير ذلك ، تعجب وصمت ، اغرورقت عيناه بالدمع شفقته عليه عندما رأى الوزير أنه تألم لذلك ، جذب الحديث إلى أمور المملكة وقال "أتذكر يوم أن أمرتهم بطردى ، وأخذت أجري ، في هذا اليوم لم أتوقف عن الجري إلا في المغرب " فانفجر الأمير في الضحك وعاد إليه هدوء .

وكلما رأى الوزير الأمير في ساعة مرح يقول له "أطال الله حياتك في مساء اليوم ربما تخرج للتزفة في المدينة؟"

فيقول الأمير "هل بدأت تعمل عمل الوزير؟ أنا الآن لا أخرج ليلا حتى للبول "

عندما سمع فصيح آخر هذه القصة ، انفجر ضاحكا .

قال الوزير "وهو كذلك ، قبل أن يأتى الغد تكون قد فكرت في قصة تخترعها وتقصها على ، لأرى مدى قدرتك على القصص"

قال فصيح "وهو كذلك ، وانحنى تحية له وانصرف"

وعندما دخل فصيح في اليوم التالى قال الوزير "فكر في القصة التى ستقصها على اليوم ، لأعرف ما إذا كانت لديك القدرة على أن ترثنى أم لا؟"

لم ينتظر فصيح ليفكر في شئ وقص قصة "واستعد الأمير للقيام وإذا بالوزير "

منعه الوزير البيغاء عن الكلام ، وقال أية قصة هذه التى ليس لها بداية ، أى أمير؟ ، وفي أية مدينة؟ :

قال فصيح "هذا ما ضايقتنى من قبل منذ أن قلت لى بالأمس أن أفكر في قصة اقصها عليك ، وأنا في حيرة منذ المغرب حتى وصلت إلى منزل الأمير ألورو فسمعت أحد العمال يقص عليهم القصة ، ووجدته قد بدأ وقد سمعت القصة من هنا ، فلم أسمع اسم المدينة ، ولكن سمعت اسم الأمير جاتو أمير مشهور من الوثنيين " .

قال الوزير " وهو كذلك ، فلنسم القصة بهذا الاسم "

قصة الأمير جاتو

في ظهر أحد الايام استعد الأمير جاتو للذهاب إلى مكان ما ، فجاء له وزيره بالأحكام التي أصدرها هذا الأسبوع ، ولما تقدم إليه الوزير بها ، بدا عليه الغضب إذ شعر أنه سيعطله عن الخروج ، فنظر إلى الوزير وقال له أن يقرأها ، فبدأ الوزير في القراءة ، فإذا توقف ليوضح له أمرا فعله ، فيقول له استمر ، فهمت كل هذا رغم أنه لم يفهم أي شيء ، فقد كان عقله منصرفا في أمر آخر.

فلما قرأ الوزير الأحكام ، قال الأمير "ضع الختم ، سمعت ووافقت" ، فيضع الوزير الخاتم ويبدأ في قراءة ورقة أخرى ، فيقول له الأمير "ضع الخاتم" فيبدأ في قراءة ورقة أخرى ويأمره بوضع الخاتم حتى قبل أن يتم قراءتها.

وبعد قليل قال الوزير "انتهينا" ، ولف الأوراق ووضعها في جيبه ، وأخذ خاتم الأمير وهم بوضعه في مكانه ، فقال الأمير ، "ها هي ورقة أخرى ، اكتب ، لقد أمرت بأن يقتل فلان ، ولكن اترك مكانا أضع فيه اسم شخص ما ، وإذا كتبت ضع الخاتم ، وبعد أن تنتهي من الكتابة اعطني هذه الورقة في يدي ، سأكتب بنفسى اسم هذا الشخص.

نظر الوزير إلى الأمير في ذعر ، وقال متلعثما "ستقتل شخصا؟"

قال الأمير "وهو كذلك ، ما شأنك أنت ، هل لديك السلطة بأن تمنعني عما أريد؟ ، إني أنا الأمير ، وأنت وزيري ، فالزم حدودك ، لا تضع نفسك حيث لا ينبغي أن تكون".

قال الوزير "دام النور على ملكك ، تبت" ، وأخذ الورقة وكتب فيها كل ما قاله الأمير ، وختمها بخاتم الأمير ، وقدمها إليه ، ووقع عليها ، وبعد أن وقعها أخذها ووضعها في جيبه ، وقال "على رأس سيء الحظ"

قال الوزير "نصر الأمير ضوء القمر"

لقد كان هذا الأمير ظالماً وفاسقاً ، يعرفه الجميع بذلك ، لا يشعر بالخجل مطلقاً ،

لذلك بعد أن ختم الوزير الورقة وقدمها إليه ، نظر إليه بلا خجل ولا خوف وقال " لقد طلبت منى امرأة أن أعد لها هذه الورقة ووعدتها بذلك ، أنت تعرف أن مثلى لا ينبغي أن يخلف وعده "

قال الوزير " هذا الأمر لا يمكن حدوثه ، إذا قتلت رجلا من ألف رجل ماذا يمكن أن يحدث؟ "

قال الأمير " وهو كذلك ، هل فهمت؟ ، سأرسل لها هذه الورقة وأي شخص تريده تكتب اسمه اقتله ، لعلك تعرف أنهم يقولون " رضا الأمير لمدة ساعة تفوق التجارة والزراعة " ، أكتب هذه الحكمة في الكتاب الذي يتضمن حكمي ، واكتب الحكمة التي قلتها أمس ، أم نسيته؟ "

قال الوزير " أضاء القمر قبرك لقد كتبتها "

قال الأمير " وهو كذلك ، اقراها لنسمع ، إذا كنت كتبتها جيدا أم لا "

فتح الوزير الكتاب وقال الأمير " إنسان طويل ، لا يستطيع الإنسان ركوبه ، وهو مرفوع الرأس ، وأنت تركب من تشاء وتجلس مستقيما كما تشاء " .

ابتسم الأمير ، وأصلح عمامته وقال " هل كتبه جيدا ، إنني أحبك لعدم النسيان " ، وقام وقصد حديقته خلف المنزل .

لقد كان هذا الأمير متشوقا للذهاب إلى الحديقة لأنه يريد أن يذهب ليرتكب الفحشاء في منزل أبوكى ابن وزير المدينة ، لأنه يحب زوجته حتى أنه أمر أن يبنى له منزل في هذه الحديقة ، وطلب من أبوكى أن يتقل إليه هو وأسرته عندما يريد أن يتنزه ، وأمر أن يقدم له هذا المنزل هدية ، لأنه أبدى شجاعة عظيمة في الحرب التي خاضها معه ، وينظر الناس إلى الأمير على أنه رجل محسن ، ولم يعرفوا السر وراء هذه الهدية ، وهي موقع زوجة أبوكى في قلب الأمير ، مما جعلها لا تحب زوجها ، لذلك أمر الأمير الوزير أن يكتب أمرا بقتل شخص وترك مكان اسمه شاغرا ، وختمه ووقع على الأمر ، وتركه لها لتكتب فيه اسم زوجها ، وأعطاه للشرطة ليقتلوه حتى يستريح الجميع ، وتركه لها لتفعل به ما تريد ودون أن يعرف الوزير أنه كتب الورقة وختمها بخاتم الأمير بعده ، وكان الأمير يعرف أنها ستضع اسم أبوكى ليقتل فيرتاح الجميع ، والأمر الذي جعله لم يكتب اسم أنه لا يستطيع الكتابة ، لا توجد فرصة تجعله يكتب بخط يده لأنه ابنه ، فجعل شخصا آخر

يكتبه حتى إذا اكتشف الأمر فلا يلام على ذلك ، فينظر إليه على أنه حاكم ظالم ، لأنه بنى له منزلا منذ أيام وشكره الناس لذلك .

عندما أطل الأمير برأسه من القصر ذاهبا إلى الحديقة أخذت ثيابه تخطف الأبصار ، لأنه كان يرتدى ثيابا من القماش الجيد وسروالا مزينا بالقصب ، وكانت قبعة محلاة بماء الفضة والذهب ، فلما رآه الناس أخذوا يتحنون احتراما له ، ويقولون " غمر الله ملكك بضوء القمر " ، وأخذ كل جندي يلوح بيده تحية له ويقول " أضاء القمر ملك الملك "

كان يظن أن ثيابه لا تبهر الناس فقط ولكنها تبهر الشمس والقمر والأشجار والأزهار . إذا سمع الطيور تغرد ، أو حفيف الشجر ، أو سقوط أوراق الأشجار يظن في نفسه أنها تحية ، لذلك كان يقول في نفسه " إن الناس عندما يقولون لي يا أمير الدنيا لم يكونوا كاذبين ، ودعك من قول الناس ها هي الحيوانات والأشجار بسطت ملكي عليها ، أنظر إلى الأرض ، وهي تكاد تنشق عندما أطؤها بقدمي ، وانظر إلى الشمس كيف تخفي نفسها حتى تبرد الدنيا لأشعر بلذة السير ، كان يظن أن له القدرة على تأويل صوت الرعد ، والناس والنباتات والحيوانات لعظمة ملكي هذا ، والهيئة التي خرجت فيها اليوم ، وعندما يسمعون الأشجار والأزهار تمدحني بنفسها والشمس تباركني في سمائها ، والأرض ترفع من شأني ، والطيور تقول سير السلامة يا أمير الدنيا ، ووقف الناس يتعجبون ما الذي جعل الأمير يسرع بهذه الصورة قاصدا الحديقة ، ويمنع الحراس من اتباعه؟ .

ولما دخل الأمير البستان أمر شرطيا أن يحرس البوابة حتى لا يدخل أحد ، حتى ولو كان الوزير ، عليه أن ينتظر بالخارج حتى يخرج ، ضرب الشرطي الأرض بقدميه تحية له ، وقال " سمعا كبير الدنيا " ، ودخل الأمير البستان .

وعند دخوله نظر الوزير إلى ابنه أبوكى الذي كان يجلس في الحاشية يكتب ، والذي أعطاه الأمير كتابا في الأحكام ليتصفح قبل أن يعود ، فلما نظر إليه قال " ألا تعلم أنه توجد صفحة في جيب الأمير أمرني أن أكتبها سيأمر فيها بقتل شخص ، ووضعت عليها الخاتم ، ولكن لم يجعلني أكتب اسم المقتول ولا أعرفه "

عندما سمع أبوكى ذلك ، خشي في نفسه أن يقع هذا الأمر عليه ، لأنه يعرف أن الأمير زيرنساه ويجري خلف زوجته ولا يحبان بعضهما ، ولم يعرف الناس ما في الأمر ،

لذلك ترك الكتابة ، وتتبع الأمير ، ووصل إلى باب الحديقة ، وطلب من الشرطي الذي يحرسه ، أن يفسح له ليدخل .

نظر إليه الشرطي ، وهز رأسه ، وقال "حفظك الله ، ليس لدي أمر ، لقد قال الأمير حتى لو جاء الوزير لا أدعه يدخل"

قال أبوكى "ألا تعلم أنه منزلي؟ ، كيف يمنع المرء من دخول منزله؟"

هز الشرطي رأسه وقال "لا ، حفظك الله ، طالما أن الأمير أمر بمنع الدخول لعلك تعرف أنه ليس لدى السلطة للسماح لك ، إذا أخطأت وعاد الأمير وعلم أنني خالفت أمره ، قبل أن يطلع الصباح أكون خيرا يروى"

نهره أبوكى وقال "رجل عايب ، غبي لن يقتلك الأمير إذا عاد ، إذا رفضت الآن سأقضي عليك ، وأدخل بالقوة"

أدرك الحارس أنه لا مفر ، وأن أبوكى سريع الغضب ، ففتح له الباب ليدخل ، دخل أبوكى وتسلل خلف الأمير حتى وصل إلى بوابة القصر الذي وهبه إياه في البستان ، فلما دخل أخذ صفارة من حقيبة ثوبه وصفر بها ، فخرجت زوجة أبوكى إلى مدخل القصر ، ووجهها يلمع كأنها بدر في يوم التمام ، وعند رؤيتها حبس العجور الصوت في صدره وقال "مرجانه"

قالت "نعم ، أضواء البدر ملكك ، لعلك اليوم أردت أن تتأخر"

قال الأمير "لقد عطلني الوزير اليوم بكلامه الفارغ ، لقد كلفت أبوكى بكتابة الأحكام الكثيرة التي حكمت بها هذا الشهر ، وأمرته ألا يتحرك حتى ينتهي منها ، وأنت ترين اليوم أمورنا هادئة ، لا شيء نخاف منه ، إذا رأيت الفرصة ، إذا خرج لن يعود ، لأنني جعلت أباه يكتب أمرا بقتله ويختمه بيده ، ولم يبق إلا أن يكتب اسمه ، وأبعث بالورقة إلى رئيس الشرطة .

قال مرجانه "أنت تعلم أن الناس يقولون أن الجهل يفوق الليل ظلاما ، هل كتبته الوزير ، ووضع الخاتم عليه بيده؟"

قال الأمير "كيف استطاع بنفسه؟" طالما أنني قلت يفعل ذلك فلا بد أن يفعل وإذا قلت يترك هذا ، فلا بد أن يترك ، ماذا تظنيني ، إن الأشجار والأرض نفسها تطيعني ، فما بالك بالإنسان؟ .

وكان أبوكى مختبئا يسمع كل شئ ، فقال في نفسه " هكذا كاد أبى يهلكني بيديه دون أن يعرف "

قالت مرجاته " نصرتك الشمس والقمر ، انتظرني هنا في الممر حتى أدخل المنزل لأحضر الثريد الذى كنت أطحنه لأضيف له الحساء وأغتسل وأستعد ثم أخرج إليك "

قال الأمير " لا إنك ستعطيتنى كثيرا ، لابد أن تسرعى ، وبدلا من ضياع الوقت عبثا فلأذهب إلى البحيرة حيث يسقى الزرع لأستحم ، لعلنى أخفف من حرارة الجو وشدة العرق اليوم " ، ثم قام وذهب إلى البحيرة ، وخلع ثيابه تماما ووضعها جانبا ، كان أبوكى قريبا منه مختبئا بين أشجار الحديقة يرقبه ، نظر الأمير شرقا ، وغربا ، فلم ير أحدا فدخل الماء وأخذ يستحم ، لم يهتم بثيابه التي وضعها على حافة البحيرة.

ولما رأى الشمس قد غابت وشعر ببرودة الجو ، وتوقع أن مرجانة لابد أن تكون قد انتهت من الأشياء التي يريدتها ، خرج من البحيرة مسرعا ، وقصد المكان الذي وضع فيه ثيابه ، فلم يجدها ، فظن أنه نسي المكان ، لذلك أخذ يبحث هنا وهناك ، فلم يجدها ، وكان الثياب قد استدعت خاطفها فأخذ قلبه يخفق ، ووقف واجما يقلب كفيه ، ويقول " أين ثيابي؟ من سرقها؟ لابد أن من سرقها ليس من البشر ، لأنني دخلت هنا وحدي ، من سيجرؤ ، لشدة ما سيري من هلاك ، إذا تبعني ، ولاسيما أنني أمرت الوزير أن ينتظر بالخارج حتى أخرج؟ ، وقد أمرت الشرطي بحراسة المكان ، ولا يترك أحدا يدخل ، حتى ولو كان وزيرنا "

ثم غضب ونظر إلى الأرض غاضبا وقال " أنا متأكد أن الذي أخذ ثيابي ليس من البشر ، أيتها الأرض تعقلي إذا كنت قد ابتلعت ثيابي ، فالفظيها ، قبل أن أغضب ، وإذا أبييت فسأمر بقطع كل الأشجار أو الأعشاب التي تغطيها ، وسأمر على كل المجاري والأنهار التي تغطي الأرض ، حتى تعرفني أن سلطانى فوق الجميع ، وأعيدك صحراء جرداء ، وسط هذا الصيف ، لا تجعليني أفعل هذا وأكشف سرك ، وتحرقك الشمس بحرارتها ، وتعرفين أنهم لم يطلقوا على لقب ملك الدنيا كلها عبثا " ، وقفز وضرب الأرض بقدميه ، وجذبهما وضربها مرة أخرى دون جدوى.

وهو على هذه الحال في حيرة ، ظل صامتا دون جدوى حتى أقبل الليل ، وغربت الشمس وبزغ القمر ، فلما رأى الأمير أن الظلام قد عم ، رفع رأسه ليرى القمر ، فقفز

وأشار إليه بيده قائلا " رد من ضوئك أريدك تضيئ أكثر من الشمس لعلى أرى ثيابي ، ولا تظل شيئا صغيرا هكذا ، أنت تعرف أنك إذا رفضت أن تظهر ضوءك كله حتى يفوق ضوء الشمس ، أقسم بعظمتي أن أجعلهم يكسرون الصنم الذي أقمته لك ، وأمنع الناس من عبادتك ، وتتحول إلى عبادة الشمس أو النجوم "

القمر لم يعرف ما في الأمر ، فبدلا من أن يزيد من ضوئه جاءت بعض السحب وحجبت ضوءه ، كل ما حدث زاده تعقيدا ، وأخذ الأمير يفكر فيما يقوله لو ذهب إلى منزل أبوكي ليستعير ثوبا ، لأنه يعرف أنه لا بد أن يكون قد عاد في هذا الوقت ، ثم أخذت السماء تهطل مطراً غزيراً ، فلم ينتظر لاستكمال التفكير ، وجري إلى بوابة أبوكي عريان ، فلم يجد أحدا في المنزل ، وقد أغلقت الأبواب كلها ، فأخذ ينادي ولكن ما من مجيب ، فطاف حول المنزل لعله يجد مكانا للتسلق ، ولكنه لم يجد ، حتى مدخل بوابة المنزل الذي كان يمكن أن يجده ويختبئ فيه قد امتلأ بالماء ، وأغلق وقد أثار دهشته أن يجد عمر الباب الخارجي مغلقا وليست فيه ، ولا يظن أنهم بالداخل وقد غلبهم النعاس .

ولما رأى أن كل ما حدث يثير خجله ، وتخيل ما يحدث لو عاد إلى منزله عريان هكذا وقد خلع ثيابه ، وإذا قصد منزله هكذا كما ولدته أمه ورآه أولاده وخدمه هكذا ، لابد أنهم سيعيرونه بذلك فيما بعد .

وبينما هو يفكر في هذا الأمر ، فكر في حيلة ، وقال " إذا استطعت أن أصل إلى المنزل هكذا عريان ، حتى ارتدي ثيابي ، أقتل كل من رأي عريان في صباح اليوم التالي ، حتى لا يشيعوا الخبر بين الناس "

وهو على هذه الحال ، دون أن يشعر طلع الصباح ، فقام مسرعا وخرج من البستان ، وقصد منزله ، ودخل من باب العبيد ، ومن حسن الحظ أن لم يره أحد ، فلم يخرج أحد في هذا الوقت غيره ، إلا متسول واحد فقط ، اسمه سامو كان يرقد في هذا المدخل ، فلما رآه تسلل ودخل وأيقظه وقال له " أعطنى قميصك لارتديه "

وهو ينظر إليه بازدراء فهو الأمير يأمر فيطاع ، استيقظ سامو مذعورا ولم ينتظر وسحب عصاه وأنهال بها على رأس الأمير ضربا قائلا " اذهب واركني وإلا أنهال عليك ضربا حتى تقطع النفس ، الناس نائمون فتأتي وتضايقهم ، حتى المجنون يعرف الضرب " .

فلما رأى الأمير أنه أخفق ولم يأخذ قميص سامو أو يوقعه على الأرض ويأخذه بالقوة، وأنه إذا انتظر سيتكشف سره عبثاً، تسلل وخرج، ووصل إلى بوابة المجلس فوجد الشرطي الذي يحرس المكان يغط في النوم، ويصدر شخير النائم فدفعه الأمير بقدميه، وقال "قم"

هب الشرطي قائماً، فرأى أمامه رجلاً عارياً دون سترة، فقال "من؟ ماذا أدخلك إلى هنا في هذا الليل؟"

قال الأمير "أعطني قميصك لأرتديه، وأدخل".

ظن الشرطي أنه مجنون، ثم أخذ يمزح معه، ونظر إليه بسخرية وقال "ماذا تريد سوى قميصي؟، ألا تصبر، لا يوجد دار للمجانين قريبة هنا لأوصلك إليها، أو طعام لأقدمه إليك، ارقد هنا حتى الصباح لأقدمك إلى رئيس الحرس".

غضب الأمير، إنه أمير يعطى الأوامر ولا يتلقاها، وقال "كلام فارغ، قلت إعطني ثوبك، تعطيني بهذه الثثرة السخيفة، هل تظنني رفيق صباك؟"

سحب الشرطي عصا غليظة وقال "لقد كنت أظن الأمر مزاحاً، فحاولت مساعدتك، ابعد من هنا وإلا جعلتك تصاب بالجنون"

نظر إليه الأمير وقال "ألا تعرف من أنا؟"

قال الشرطي "لا أعرف"

قال الأمير "أنا أميركم جاتو"

قال الشرطي "أنت؟، أعضاء القمر زمانك، أمير غبي، أقول لك الحقيقة، حتى لو كنت أمير هسكو وليس جاتو، اذهب واترك هذا المكان، حتى لا أقفز في بطنك هذه الآن، من حسن حظك أنني أشفق على المجانين لجعلتك الآن تفر من أمامي".

ولما رأى الأمير أنه إذا خرج مع هذا الشرطي إلى بوابة القصر لا يكون جميلاً، أخذ يلاطفه ويقول "أنك تهتم بعملك جيداً، غدا أعينك رئيساً للحرس أو في منصب كبير، ولكن استمع لما حدث حتى صرت عرياناً، أمس في المغرب، عندما كنت أتجول في حدائقى، خلعت ملابسى ووضعتها على حافة البحيرة، ونزلت فيها لأستحم فتسلل رجل كافر وسرق ثيابى وتركنى كما ترى الآن بدون ثياب ولا سترة، وأقسم بالشمس والقمر وسائر النجوم أنني أميركم جاتو"

فلما سمع هذا الشرطي ذلك نهره وابتسم ، ووضع يده في جعبته وأخرج علبة تبغ كبيرة ، ونظر إلى رأس الأمير التي حلقها حديثا وضربه ، طأطا الأمير رأسه ووضع التبغ في فمه ، وأغلق العلبة ، وأخرج لعابه وقال " بالتبغ يقاوم الإنسان النوم " ، ونظر إلى الأمير نظرة امتعاض وقال " الجنون فنون ، إن لم يكن غباؤكم جنونا فتأتي إلى عريان هكذا ، وتدعي أنك الأمير؟ ، قبل أن تغرب الشمس دخل الأمير المنزل عندما جاء من الحديقة ، أم أن لنا أميرين ، واحد للمجانين وآخر للعقلاء؟ السوق قصركم أنت الذي أبيت دخوله ، وهناك شرطتكم من الكلاب يحرسونكم حتى الصباح ، فدفعه الأمير من مؤخرة الرأس ، وتركه وعاد وهو يقول " إذا عدت ورأيتك سأضربك ولن يمنعني عنك سوى الأمير "

عاد الأمير وجلس أسفل أحد الأسوار ، وهو يرتعش من شدة البرد ، والمطر يسقط فوق رأسه ، وهو يفكر فيما يفعله ويقول " لو وجدت ثوبا يسترني لقتلت كل أهل هذا البلد عندما يطلع الصباح ، وأتى بأهل القرى إلى المدينة بسبب وقاحة أهلها إلى هذا الحد ، إنها بلدي ، يحتقرني في عبيدي إلى هذا الحد ، الآن الأمير خلع ثيابه يحتقر هكذا؟ ، لولا عدم الخجل ، هل الثياب هي التي تحكمهم ولست أنا؟ ، لابد أن هذا الأمر تم تدبيره لي "

وأثناء هذا التفكير وإذا سامو المتسول يخرج من المخبأ الذي كان به متجها إلى محل لبيع البيرة ووقف على المدخل ، ينتظر أن يفتح الحانوت فيدخل ليشرب ربع قدح قبل أن يتجمع الناس ، فرآه الأمير ، فقال " باسم حبك للشمس والقمر والنجوم أعطني ثوبك عيرة لأستر به جسمي "

فنظر إليه سامو باردراء ، وقال " لماذا ترهن ثيابك؟ ، لعله من أجل الشرب؟ ، لا أكثر من ذلك ، لو أن صانعي الجعة بدأوا يفضحون الناس هكذا ، يكونون قد ارتكبوا إلما ، ولو كنت أميرا وسمعت ذلك لقتلتهم جميعا "

قال الأمير " أقسم بضوء الشمس والقمر لأفعل ذلك ، أعزني ثوبك ستراهم الآن ينضمون إلى الكلاب الضالة . "

نهره سامو وقال " ماذا ستقتلهم؟ من أنت؟ "

قال الأمير " أنا الأمير " ، نظر إليه سامو وضحك ، فقال الأمير " أنظر إلى جيدا ستري أنني لا أكذب "

قال سامو "حتى لو نظرت إليك جيدا ، ماذا سأري؟ طالما أنني لم أقرب من الأمير أبدا ، العامة من أمثالي ، من أين يجدون هذه المقدرة؟ أراه فقط إذا ركب وهم بالخروج ، ليس كذلك ، وطالما أنك حلفتى بعظمة القمر سوف لا أمنعك ها هو ، ولكن عندما يطلع النهار وتصل إلى المنزل اخلعه وردة إلى ، فهو الوحيد الذي لدى ، عدا هذه الملابس الداخلية ، صبرت على ذلك وأعرتك إياه لأنك أقسمت على بالقمر ، ليس لدي القدرة أن أمنعك "

وما كاد الأمير يرتدي هذا الثوب حتى طلع النهار تماما ، وخرج كل الناس ، وها هم عبيده الذين طردوه يرونه في الصباح ، فقصد القصر يسير خطوة خطوة ، إنه الأمير بقميص بلا سروال ، يقرع الباب ويقول "أين رئيس الحاشية ، افتح ، أنا الأمير " .

فسمع كبير المنزل يقول " اغرب عن وجهي ، بالتى هى أحسن يا مجنون "

التفت الأمير إلى باقي الخدم في الإصطبل يغسلون عيونهم وقال ألا تعرفون من أنا؟ ، لماذا لا تأتون لتحيتى؟ ، أنا أميركم جاتو " صمت الجميع ، وبعد ذلك ضحكوا جميعا ، فقال "مبارك ، تذكر أنني حررتك في العام قبل الماضي ، فكيف أحدثك طويلا وتتركنى؟ ، وأنت يا ناسامو ، ألا تذكر أن والديك تركاك أثناء المجاعة ، وأمرت برعايتك حتى كبرت؟ ، والآن تتركنى وتفر منى؟ ، أما كل هؤلاء الخدم لم يعرف أحد فيهم الأمير فكانوا يظنون أنه مجنون سمع أخبارهم فهو يرددها .

وقد استيقظ كل واحد في المدينة ، والأمير جالس القرفصاء يقلب كفيه ويقول "وهكذا بنى آدم ، لا يفوقه أحد في كل هذه الدنيا في نكران المعروف ، إذا لم تعرفوني افتحوا لي الباب ، إذا وأتني زوجاتي سيتعرفنني أو نادوا لى مرجانة هنا ، فهي تعرفنى " ولم يته من كلامه حتى رأى رأس مرجانة على سن الرمح ، فقال للأمير "أنت مجنون ها هي مرجانة التي تتكلم عنها والتي قلت أنها ستعرفك ، وقد قتلت " .

الجميع يعرف أنها كانت فاسقة ، وكان الناس يسرون خلفها ، ويقولون "تستحق ، أن ما فعله الأمير هو الصواب "

رفع الأمير رأسه ونظر إلى أعلى الرمح ، فرأى رأس مرجانة ، فتعجب ، وقال "من له السلطة أن يفعل هذا الأمر في هذا البلد غيرى؟" ، فلم يستمع إلى كلامه أحد ، ولكنهم ظنوه مخبولا .

أثناء وقوفه يتعجب ممن أمر بأن تقتل ، أخرج رئيس الشرطة الورقة التي أمر الوزير فيها بقتل مرجانة وختمها بخاتمه أمس ، وتوقيعه الذي أمر وأذن بذلك ، لعلك تتذكر أنه أخذها بيده ليوصلها إلى مرجانة ، لتكتب فيها اسم زوجها أبوكى ، وتبعث بها إلى رئيس الشرطة لينفذ ما فيها ولكنها لم تبادر بأخذها ، وقالت للأمير أن ينتظرها حتى تنتهي من عملها ، ويذهب هو ليستحم والورقة في جعبة ثيابه .

والصق رئيس الشرطة هذه الورقة على الحائط ، ليرى الجميع خاتم الأمير وتوقيعه عليها ، وكيف أنه أعطي أمراً بقتل مرجانة .

نظر الأمير فرأى خاتمه وتوقيعه ، واسم مرجانة في الفراغ الذي تركه ليكتب فيه اسم أبوكى ، فقلب كفيه عجباً ، وقال "أست أنا الأمير جاتو ، أم أن الجن مسنى"

وبينما كان الأمير واقفاً ، توافد الناس لقراءة الأمر الذي أصدره الأمير بقتل مرجانة ، ويروها مقطوعة الرأس ، وها هم رجال الحاشية ، وخدمة يدفعونه ليتجمعوا في القصر ، وإذا رأى أحداً ممن يعرفهم يمر ، يمسك قميصه من الخلف ، لعله يلتفت فيراه ويعرفه ، ولكن كل من شعر أنه قد أمسك قميصه التفت غاضباً وضربه على يده ، وربما احتقره أحد فلطمه على وجهه .

فلما رأى سامو أن الأمير دخل وسط الناس ، يبحث عن يعرفه ، تبعه وجذبه ، وقال "أنت ، ارجع إلى الخلف ، إنك إلى حيث لا ينبغي الدخول ، تعال حتى لا تمزق قميصي بلا فائدة ، إذا رأيتهم يجرحون كرامتي في قميصي ، لن ترفع قدمك من هنا حتى تخيطه ، لا يكفيك ما رأيته هنا ، فتدخل وسط هذا الجمع من الناس الكبار؟" ، فتراجع الأمير إلى الوراء ، لأنه لا يملك أن يعارض سامو ، فيأخذ قميصه ويتركه عارياً .

وبينما كان واقفاً يتعجب ، رأى من بعيد الوزير مقبلاً ، والناس يتبعون خطاه قاصداً القصر ، فلما رآه يجري نحوه وهو مسرور ، وهو يرتعد من شدة البرد ، وأسنانه تصطك ، والمخاط ينزل من أنفه من شدة البرد الذي أصابه أمس ، ويكاد صوته لا يخرج وقال "يا وزير يا وزير ، انتظر لأنى معك ، من حسن حظى أننى وجدتك"

فلما رأى الوزير أنه يجري وراءه ، زاد من سرعة سيره ، يحسبه مخبولا ، ولم يلتفت إليه ، وهو يقول "كيف عرفنى المعتوه اليوم؟"

قال الأمير "لا ، عجباً أيها الوزير ، لم أكد أعرف أنك غيبى حتى أنت أيضاً تقول أنك لا تعرفنى ، أأست أنا الأمير جاتو؟"

ومضى الوزير وهو يضحك ، ويقول " حتى لو قلدت صوته ، لقد شابهته ، لولا أنك لا تخرج الكلام جيداً " ، وقبل أن يصل أحاط به الناس الذين كانوا يتبعونه ، ومنعوه من الوصول إليه ، فظل يعارضهم بعناد ، ذاكراً أنه الأمير ، فانهالوا عليه ضرباً ، فمنعهم الوزير ودخل إلى القصر وهو يقول "لولا الرحمة لضرب المجنون؟" ، إذا لم يضربه الناس لأسمعهم كلاماً فارغاً فيضحكون"

ولما وصل الوزير إلى الممر الكبير انحنى الخدم وأخذوا يحيونه ، وفتحوا له الباب ليمر فذهب إلى ممر آخر ، فحياه الخدم وتجاوز هذا الممر ، حتى وصل إلى مكان انعقاد المجلس .

بينما كان الوزير في انتظار دخول الأمير ، ويلهبان معاً إلى المجلس ، ظن أن حدثاً عجبياً وقع ، وعندما سمع وقع الأقدام ، هب قائماً ، ظن الأمير مقبلاً ، فرفع عينيه ، واقتربتا من ابنه أبوكى ، يرتدي ثياب الأمير كلها"

سأله الوزير "كيف حدث ذلك؟"

ركع أبوكى أمام والده ، وقص له كل ما حدث ، وقص له كيف تتبع الأمير ، في الحديقة واختبأ ، وسمع كل ما يدبره مع مرجانة ، وقص له كيف سرق ثياب الأمير وارتماها ، ودخل القصر عشاء ، والكل يحسبه الأمير ، وكيف كتب اسم مرجانة على الورقة التي وقعها الأمير ووضع عليها الخاتم ، حيث مستكتب مرجانة اسمه وتبعها إلى رئيس الحرس ليقتله ، أمسك الوزير لحيته وأخذ يتعجب من هذا الأمر .

نظر الوزير إلى فصيح وقال "سمعتك تسكت ، استمر وأكمل"

قال فصيح "فيما استمر ، والله هذا هو نهاية القصة التي سمعتها ، نصرك الله"

قال الوزير "أية قصة تنتهي هكذا؟ ، ماذا حدث للأمير جاتو؟ ، ومذا حدث لأبوكى؟ ، وما هي قصة قميص سامو؟ ، تظن أنك أنهيت هذه القصة وهي لم تنته ."

قال فصيح "لقد قلت أنني استرقت السمع من منزل الأمير الأرو ، وقد وصلوا بالقصة إلى هنا حيث توقفت ، ثم رأيتهم يغلقون الباب كأنهم سينامون ، أو ضايقهم البرد ، وهذا ما منعني من سماع باقي القصة ، كنت أظن أنك لو سمعت مني القصة إلى هذا الحد تكملها لي حتى آخرها"

قال الوزير " ليس لهذا مغزى مفيد يجعلني أكمل لك القصة ، الأفضل أن أقص لك التحذير الثالث عشر .

قال فصيح " وهو كذلك "

بدأ الوزير " ربما أنك لم تسمع قصة المدينة التي تسمى ، ليس هنا في الجنوب ، التي يفخر الناس باسمها قائلين " مدينة كل واحد أمير "

قال فصيح " لم أسمع شيئا عنها حتى اسمها إلا اليوم " .

قال الوزير " الله أكبر ، إنها مشهورة "

ساعة الحظ التي تفوق المتاع الكثير

كان يعيش في هذه المدينة رجل يسمى عبده يانا ، وكان له ابن يسمى سومالى ، كان ولدأ مؤدبأ ومطيعأ ومجتهدأ ، ومع ذلك ، لم يهبه الله ذرة من الذكاء ، لا يستطيع أن يفهم شيئا من نفسه ، إلا ما يقال له ، ولم يكن متكبرا ، ولا يرفض شيئا ، وكان كل أهل المدينة يدعون له بالبركة .

ولكن انتظر لتسمع أخبار غبائه ، ذات يوم بعثه أبوه إلى السوق ليشتري له ثمار الكولا ، فذهب ووضعها في فمه حتى لا تضيع ، ولما وصل إلى أبيه أخرجها وقدمها إليه ، فقال له الأب "أنت غبي ، لوئت لي الشئ بغبائك ، لما لا تضعها في جعبتك؟" قال سومالى "سأراعى ذلك مستقبلا"

وذات يوم بعد مرور عدة أيام ، بعثه أبوه ليحضر لأمه بعض النار ، وكانت قد صنعت له ثوبا جديدا ، فلما ذهب رمى الشقفة ووضع النار في جعبته ، وبعد قليل اشتعلت النار فيها ، فخلع الثوب والقاء على الأرض محترقا ، وعاد إلى المنزل خالي اليدين ، عدا ما يستر عورته .

ولما رآه الأب قال "أين النار التي بعثك لتحضرها؟"

قال سومالى "أحضرتها ووضعتها في جعبتي كما أمرتني أن أفعل دائما ، فاشتعلت وأحرقت الثوب تماما"

غضب الأب ، وقام وأمسك أذنه وعركها وقال "كان عليك أن تذهب الشقفة وتضعها فيها ، يا أكبر غبي"

قال سومالى "تبت يا أبتي ، لن أفعل بعد اليوم إلا ما يسرك"

وهو على هذه الحال بعثه أبوه ذات يوم إلى كبير القضاين ، وسلمه ثلاثة جنيهات كانت دينا عليه ، فأخذ شقفة صغيرة وقصد محل القصاب في السوق ، وقابل كبير القضاين ، وبلغه رسالة عبده ، أخذ كبير القضاين ثلاثة قروش من الجنيهاات الثلاثة ،

وقدمها له ، فأخذ يضعها على الشقفة ، فلم تأخذ أكثر من عشرة مليمات وامتلات وقام
وهم بالانصراف ، فقال كبير القصابين " وهذه؟ "

قال سوماى " قال أبى أن أضع الدين الذي عليك في الحائط ، وها هى قد أمتلات " .
قال كبير القصابين " خذ ، ضع الباقي في جعبتك " .

قال سوماى " لا ، لا أضعه في جعبتى ، ما أدراك ما حدث لى عندما قلت ذلك
أول أمس ، ثم جمع الباقي ووزعه صدقة على الناس ، وأخذ الباقي في الشقفة ، وقدمه
إلى والده ، وذكر له كل ما حدث ، ولم يخف شيئا ، فلما سمع الأب ذلك عجز عما
يقوله ، ووقف سوماى ينتظر أن يمدحه أبوه فقد أحسن اليوم عملا .

صمت الأب وأخذ يفكر فيما يفعله ليربيه فقد صار مثقفا ، ثم تنهد وقال والأفضل
أن تأخذ مشورة السيد رقيه بن محمد(*) "

انحنى سوماى وقال " إذا كنت تعرف مكانه يستطيع أن يقول لى الأشياء التي أفعلمها
لتدخل السرور على قلبك ، دلى على مكانه لأذهب إليه ، حتى لا أظل أفعل ما
يغضبك "

قال عبده يانا " لا أتمنى أن يزداد أمرك سوءاً حتى تضطر للذهاب بك إليه ، من
يعمل عمله هذا توفي من قبل عصر الجهاد؟ ، لذلك أريد أن تتبع هذه المشورة وأستطيع أن
أذكر لك تلك المشورة هنا ، ذات يوم جاءه فتى كسلان جبان وطلب منه أن يساعده بدواء
ليكون مجتهدا ، لأن جميع أقرانه يسخرون منه لأنه جبان ، قال له الأستاذ رقيه يوجد
العلاج لذلك ، وهو دواء فعال ، إذا تم خلطه بدقه ، في البداية قال له السبب في ذلك
هو فقدان بعض أعضاء جسم الولد ، قال إذا لم يؤت بها وتستكمل لن يكون شجاعا ،
طاطا الولد رأسه وقال للمعلم رقيه إنه يطلب المساعدة مهما كلفه الأمر من مال .

قال السيد رقيه " إن غاية علمنا أنه لا يوجد في حيوانات الغابة ما يفوق الذئب
شجاعة وعظمة .

قال الصبي " نعم ، غفر الله لك يا سيدي "

قال له السيد رقيه " ولعلك تعرف أن أقوى ما في الذئب أسنانه؟ "

قال له الغلام " نعم "

قال السيد زرقية "حسنا ، إذا وجدت ذئبة ميتة ، قبل أن تسلم ، حاول أن تترع أنيابها اليمنى ، وتطحنها أو تدقها ، وتخلطها بلحمها وتأكله ، وإذا مضت سبعة أيام على ذلك ، افعل هذا مرة أخرى ، لمدة سبعة أيام ، وبعد ذلك عد إلى سأرودك بما يمكن أن تفعله .

فرح الصبي ، وهم بالانصراف فقال له السيد زرقية ، انتبه ، لا أريد أسنانا عجوزة ، لا يمر عليها يوم واحد قبل طحنها ، هذا أول ما يخلع من جسدها بعد موتها ، ويؤكل .

شكره الصبي وانصرف ، وبمجرد خروجه لم يتوقف إلا في السوق عند العطارين وأخذ يسألهم عن أسنان الذئب اليمنى ، فأعطوه ما احتفظوا به من أسنان لمدة سنوات ، فقال أنه لا يريد عجوزة ، يريد ما قد قتلت الآن ، ظن العطار أنه يسخر منهم ، فسبه ، وقالوا له عليك أن تذهب إلى الغابة ويقتلها هناك إذا كنت تريد شيئاً حديثاً ، أم أنك لست شجاعاً ؟ طاف في السوق يسأل العطارين فكان يضحك عليه الناس ، أما سريعو الغضب فكانوا يضربونه .

ظل يطوف الأسواق ويسأل ، ولكن دون جدوى ، حتى تأكد أن هذا الطلب لا يمكن الحصول عليه بهذه الوسيلة ، ولشدة التعب الذي أصابه من جراء هذا والضرب الذي ناله من الناس ، جعله يتعود الصبر على الصعاب ، لذلك قال في نفسه " لا بد أن هذه الأسنان لا وجود لها في هذا السوق ، ولا بد أن أذهب وأقتل ذئباً بنفسى " ، لذلك ذهب إلى كبير الصيادين ، وطلب م نه أن يلازمه خادماً له ، وعلمه كبير الصيادين كيف يصطاد ، وأمه بتميمة تخفيه عن الأنظار ، وغير ذلك من المساعدات اللازمة للصيادين .

عندما رأى الصبي أنه مهر في الصيد ، خرج ذات يوم في منتصف الليل ، وتوغل في الغابة وحده ، وبحث عن شجرة صغيرة وتسلقها واختبأ فوقها ، وقلبه يخفق من شدة الخوف ، وبعد قليل رأى الذئب قادمة ، فثبت السهم في القوس وأطلقه على إحداها وجسمه يرتعش ، فتفرق الباقي أما هي فماتت ونزل وفتح فمها ، ووضع الفأس وخلع الأسنان التي طلبها السيد زرقية ، وجاء بها إلى المنزل ، وفي الليل دقها ، وأكلها كما ذكر له ، وعندما طلع النهار طلب من كبير الصيادين أن يقتفى أثره لأخذ الذئب التي اصطادها .

ولما رأى أنه انتصر في هذا اليوم ، جمع متاعه وعاد إلى الغابة وعزم على ألا يقيم في المدينة بعد ذلك ، وجمع ما طلبه منه السيد زرقية ، وعاش حياته هناك يصطاد

حيوانات الغابة ويشويها ويأكلها ، أو يبحث عن الشجيرات الصغيرة ، وعندما حان الليل أخذ يتجول في الغابة وكأنه ليس إنسانا ، ويصوب الحراب يصطاد كل ما يقابله .

وبعد أن مر سبعة أيام ، أخذ يبحث عن ذئب آخر ، ولم يأخذ معه في هذه المرة القوس ، فيما عدا الرمح يطعن به ما يقابله ، ويأكل الناب ويقضى حياته داخل الغابة في المكان الذي يخاف كبار الصيادين الاقتراب منه ، وأصبح هذا المكان المفضل للسمر عنده ، ولقد استبطأ مرور الأسبوع ليكتمل الأسبوع الثالث ، فلما كان أول يوم من الأسبوع الجديد لم ينتظر حلول الليل ، وفي الفجر خرج يبحث عن الذئب في كل مكان ولم يجدها ، لقد خافت كل الذئب منه ، وهربت ، وبينما كان يتجول في الغابة سمع صوت إحدي الذئاب التي ترعي أطفالها في أحد الكهوف ، فرمي القوس ، وأطل برأسه في الجحر ثم دخل ولم يكن معه حتى العصا ، فلما فتحت هذه الذئبة عينيها ورأته ، قالت " لم ألتق أمرا بمقاتلة أحد سواك "

وهجمت عليه ، فأمسك عنقها ولواه ، وضرب رأسها بالحجر ، وألقاها على الأرض ميتة ، وانتزع الأسنان التي يريدتها ، وطحنها وأكلها .

واستعد وذهب إلى السيد رقيه يأخذ معه جلود الذئاب التي قتلها ، فلما رآه قال له " أحبيك أيها الرجل ، عليك أن تعود إلى قريتك من اليوم لن تشعر بأن أحداً من أخوتك يحتقرك "

قال الصبي " قريتنا؟ ، ما شأني بالأولاد؟ ، يجب أن تطلب من الأمير أن يجعلني ضمن الفرسان . "

ولما أخبر السيد رقيه الأمير قصة هذا الولد ، تعجب من هذا الأمر ، وعينه أميراً للحرب ، وظل يذهب مع الفرسان إلى ميدان القتال ، ومنذ هذا اليوم ، إذا خرجوا إلى ميدان القتال ، وإذا صرخ هذا الغلام صرخة الحرب ، وهجم على الأعداء ، رأيت كل واحد منهم يولى الأدبار .

عندما رأى سوما إلى أن إياه انتهى من هذه القصة ، وكيف أن هذا الطفل الجبان صار شجاعاً جداً ، كل هذا ولم يدرك مغزى هذه القصة ، ولا السبب الذي جعل إياه يقصها عليه ، ونظر إلى أبيه وقال " لابد أن السيد رقيه هذا بلغ الغاية من العلم ، ولكن للأسف لا يوجد ذئب هنا في هذه المدينة ، حتى أقتض أثر هذا الغلام حتى أصل إلى سدة الحكم "

عندما أدرك عبده يانا أن مع كل ما قاله لم يدرك ابنه مغزى الحديث ، وأنه كان ليضرب له مثلاً فقط ، وليس ليتبع ما قاله تماماً ، قال له " صدقت ، لا يوجد ذئاب في هذا البلد ، وطالما الأمر كذلك سابعثك إلى الحي السوري في مدينة كنو ، حيث يوجد كثير من الذئاب ، وهناك تستطيع أن تجد من تعيش معه ، وتتعلم الأشياء التي إذا فعلتها تسرني " وجهزه ، وقال له أبوه " لا يوجد لدى وصايا أزودك بها أفضل من هذه الوصايا الثلاث التي علمتك إياها وأنت صغير ، التي تساعد الإنسان في الحياة الدنيا وعليك أن ترددها الآن لأعرف مدى حفظك لها "

قال سومالى " هذه الوصايا ، حتى لو كنت نائماً أستيقظ وأقولها ، الأولى حب الأمراء ، الثانية ، طاعة الوالدين ، الثالثة حب الرفاق . "

قال عبده يانا " إنها هي كما علمتك تماماً ، عليك أن تستعد للرحيل ، أعادك الله إلينا سالماً ، ويوفقنا بقدر نيتنا آمين "

وكان هدف عبده يانا ، أن يبعث هذا الغلام فيختلط بأبناء مدينة كنو ، الذين تتقنوا في الحياة الدنيا ، فيعلموه الذكاء .

قال فصيح للوزير " من هو السيد زرقية هذا ، الذى اشتهر هكذا؟ ، لم أسمع اسمه " .

قال الوزير " ماذا ، أنتعيش في هذه المدينة وتقول أنك لم تسمع قصة السيد زرقية ابن محمد؟ ، ألم تقرأ قصة الحاج أبو بكر إمام الذى حصل على الماء الشافي؟ "

قال فصيح " لا ، لم أقرأها من قبل "

قال الوزير " سبحان الله ، أنت هنا والناس يذهبون للاستمتاع بالحياة الدنيا ، ويتركونك وراءهم ، الأشياء في كل مكان رخيصة ، بالله عليك اشتر واحدأ وأقرأه لتعرف كل الأخبار التي لم تسمعها في الحياة الدنيا ، حتى الآن لم تسمع أبدا قصصا ممتعا سوى قصة السيد زرقية والحاج إمام في قصة الماء الشافي ، وطالما أنها تباع في السوق لا ينبغي أن تتوقف لأقول لك ذلك ، أو تستمر في قصة سومالى التي نحن بصدددها "

قال فصيح " فلنستمر ، إن شاء الله غدا ، أشتري هذا الكتاب ، حتى لا يجعل حب الماء الإنسان أجهل من السمك في الماء "

قال الوزير " صدقت فيما قلت "

استمر سوماى فى طريقه حتى وصل إلى الحى السورى فى مدينة كنو ، فلما وصل رأى منزلا جميلا ، ويجلس فى أحد المحلات رجل لبنانى ، فقال له سوماى إنه رجل غريب ويبحث عن مكان يعمل فيه خادما ، فسأله اللبنانى عن اسمه والبلد التى جاء منها ، فقال له سوماى على كل شئ ، فسأله اللبنانى هل يرغب أن يقيم معه ، فرد عليه سوماى بالإيجاب ، فأعطاه حجرة ونزل فيها .

وكان هذا اللبنانى يقدم لعب الأطفال ، لتباع له ، على سبيل المثال ، يقدم السيارات الصغيرة ، والسيارات التى تسير بالزمبلك ، أو الطائرات الصغيرة ، أو الجمال أو الطيور الصغيرة ، وغير ذلك ، وكانت هذه اللعب لها سوق مريح فى مدينة كانو ، لأن أطفال الأثرياء يشترونها ليلعبوا بها ، ولأنها كانت مطلوبة كان هذا الرجل الشامى يبحث عن الأطفال ليأخذوها ويمروا بها على الأسواق فى مدينة كانو لبيعوها .

وكان هذا اللبنانى يعانى كثيرا من الأطفال الذين يقدم لهم هذه اللعب لبيعوها لأن كثيرا منهم كان يعود ويقول له أن اللصوص سرقوه ، أو سرقوا المال الذى باع به ، والبعض الآخر كان يصرفها ، ويدعون أن نهر كذا فاض وجرفها ، ونجا بصعوبة وجرف التيار اللعب ، وكثيرا من هذه الأكاذيب كانوا يخترعونها دائما فكان يعانى منهم ، وبينما كان يبحث عن ولد أمين أرسل إليه الله سوماى إلى المنزل ، ومع ذلك لم يقل له الشامى أى شئ وتركه حتى يرتاح ، ويعرف المدينة وإذا اختبر عقله وأدرك أنه أمين ، بدأ يعطيه السلعة لبيعها فى السوق .

وبعد حوالى سبعة أيام ، جاء أحد خدم الشامى الذى لم يفارق سوماى ، وقال له منذ خلقه الله ، لم ير أحدا غيبا مثل هذا الشاب الضيف الذى يسمى سوماى ، فهو غيبى ومدلل مثل الابن الأول .

قال الشامى " كيف ، لعله يكذب ؟ وهل تراه سيئا ؟ "

قال هذا الخادم " يا سيدى حتى لو أراد الكذب لا يستطيع ذلك ، فهو من شدة غيبائه لا يعرف موضع الله ، فكيف يفكر فى الأمر السيئ ؟ ، إنه من النوع الذى يفضل الشوام ، لأنه لا يضرهم "

وطلع النهار واشتاق هذا الشامي أن يجد ولدا طيبا ، ثم نادي سوماالى ، وجمع له بعض اللعب في هيئة الديوك التي صنعها ، ووضعها في إناء كبير ، وأخذ يعلمه كيف يصبح كالديوك ، ولما رأى أنه أجاد الصباح ، طلب منه أن يذهب إلى السوق ، إذا جاء الأطفال للشراء يستمر في الصباح ، وإذا لم يكن عندهم وعى ، إذا سمعوا صياحة يظنون أنه صياح الديك .

قال سوماالى "وهو كذلك" ، وأخذها وتوجه إلى إحدى أسواق الريف ، وطلب الرجل الشامي ألا يعود حتى يبيعها كلها ، أو يعود بالباقي الذي لم يبعه .

وكان صاحبنا هذا يذهب كل سوق ، ويطوف فيه حارة حارة ، والإناء الذي به الديوك على رأسه وهو يصيح ، ولم يدرك أن الصباح عندما يأتى الأطفال للشراء فقط عند ذلك يبدأ الصباح خفية ، عندما رآه الأطفال يطوف الشوارع وهو يصيح ، أقبلوا عليه وساروا وراءه يضحكون ، ويقولون أنه يجيد الصباح ، إذا سمعته يخيل إليك أنك ديك ، من لديهم قليل من المكر من الأطفال كانوا يطلبون منه أن يستمر في الصباح بصوت مرتفع ، حتى يأتى غيرهم للشراء .

فكان صاحبنا هذا يستمر في الصباح منذ الصباح حتى العصر ، ولم يرفع طفل واحد رأسه ليرى الديوك التي في السلة ، ولكنهم كانوا يلهون مع سوماالى فقط ، ويرون كيف يحرف فمه ، ويصيح مثل الديك ، فيضحكون ، فلما رأى أنه طاف السوق ، ولم يحاول أي طفل الشراء ، يعود بها إلى المنزل حيث الرجل الشامي دون أن يبيع منها شيئا ويقص له كل ما حدث .

فلما سمع الرجل الشامي منه ذلك نهره وقال له "الله يعلنك يا سوماالى ، التى ولدتك ارتكبت إثما بولادتك ، طالما أنها لم تعلمك شيئا من أمور الحياة الدنيا"

ركع سوماالى وقال "ليس لأبى ذنب ، لأنه حفظني ثلاثة أشياء تساعدني في الحياة الدنيا ، وهي حب الرؤساء وطاعة الوالدين وصداقة الأخوة دائما تكون على لسانه " ونظر إلى الشامي وقال "وإذا تأملت ما فعلته لك ، إذا تأملتها ووجدت أنني خالفت واحدا منها ، عليك أن تلومنى ، فأكون قد أذنبت في حقك"

نظر إليه الشامي وقال "هذه الأمور الثلاثة التى تساعد الإنسان في الحياة الدنيا ، هل سمعت أنها تساعد التاجر الجائل في بيع بضاعته؟ ، إذا سمعتك تقول هذه الأمور الثلاثة

مرة أخرى ، سأضربك الآن " ، ولشدة غضبه رفض أن يقدم له شيئاً حتى الطعام ، ولا أجر المشقة التي لقيها أثناء الذهاب إلى القرى ، ثم أخذ بعض الطاسات وقدمها إلى سومالي ليتوجه إلى أحد الأسواق لبيعها ، وكان بعض هذه الطاسات مربعة ، والبعض الآخر مثلثة وبعضها مستدير ، ولما هم سومالي بالقيام حذره وقال له "وبالله عليك أن تجتهد ، ولا تعد دون أن تبيع واحدة ، هل سمعت" ، وظن سومالي أن الشامي يريد أن يعود دون أن يبيع واحدة ، لذلك قال "وهو كذلك" ، ولكن الشامي لم يسمع هذه الكلمة .

وسار سومالي حتى وصل إلى القرى التي طلب الشامي أن يصل إليها ، وعندما وصل إلى السوق ، ونثرها أمامه ، وجلس يحرسها ، بينما هو جالس أخذ الناس يقبلون عليه للشراء ، إذا أخذوها ليتفرجوا عليها ، عابوا أشياء فيها كعادة من يريدون شراء شيء حتى يأخذوها بثمن بخس ، وإذا نظر إليها أحدهم قال "هذه جميلة ولكنها عميقة" وآخر يقول "لولا أن هذه أكثر اتساعاً ، لكانت مثل التي أريد شراءها" ويقول آخر "لماذا صنعوا هذه مربعة؟" ، هذه الطاسة جميلة ولكن هذا الشيء أفسدها" ويقول آخر "هذه جميلة ، ولكنها لا تلمع ، انظر هذه جميلة جداً ولكنها ثقيلة"

فلما سمع صاحبنا هذا ، قال "إننى أوافق على ما تقولون ، وألا حظ ذلك أيضاً ، الأفضل أن أعود وأقول لصاحبها ذلك ، لعله يصلحها" ، ثم جمع الطاسات ، وعاد إلى المنزل .

وعند وصوله انحنى وحيا رب البيت ، وقال له كل ما عابه الناس في هذه الطاسات ، ولما رأى الغضب قد سيطر على الشامي ، صمت وظن أنه يفكر ، ثم قال "إذا أمعنت النظر تري أنهم محقون ، وأنا موافق على كلامهم ، يجب أن تصلح حتى تصبح جيدة ، فأعود لبيعها ، إذا أصلحت هذه الأشياء لا بد أن سعرها لا ينخفض ، لأنني كنت أرى كثيراً من الناس يحيطون بي"

لم يجد الشامي ما يرد به عليه ، ثم قام ينظر إلى جسم سومالي ، وفمه ، وخزّه بإبرة ليرى ما إذا كان يشعر أم لا ، أو أن صحته جيدة أم لها ، فلاحظ أنه بحالة جيدة ، فتعجب من أمر هذا الولد ، فلم يستطع أن ينطق كلمة واحدة ، ثم خطرت على باله فكرة وهي كيف يعلمه دون أن يسبب له حرجاً ، لذلك كظم غيظه ، ونظر إليه وقال "لا شك يا سومالي أنك متعب ، لم أر ولداً حكيماً مثلك ، وسأعمل على إصلاح هذه العيوب التي فيها ، والربح الذي ستأله من هذه الطاسات لا نهاية له"

شعر سومالى بالسروور عند سماع هذا الثناء ، وابتسم وقال " الآن ترى ما رأيته " قال الشامي " لا ، كل ذى عقل يري ذلك ، ولكن ما رأيته أكثر ، لقد مضى وقت لا فائدة من قبل أن نصلحها ، والأفضل أن أعطيك بعض السلع القيمة ، لتحملها لبيعها في أى بلد ، ولكن عليك أن ترعاها جيدا ، ولا آمن أن أعطيها لأحد يبيعها سواك ، سأعطيك بعض الحشرات ، إذا رأيتهما تظنها جرادا ، ولكنها ليست جرادا ، تأخذها وتبيعهما إلى القرب من هنا ، في بلدة أحد الأمراء اسمه همريا ، ولا شئ مريح في هذا البلد مثلها ، تباع الواحدة في السوق بشلن واحد وأحيانا تباع بشلن وثلاث مليمات .

قام الشامي وجعل الاطفال يمسون له الجراد ، وأحضر صندوقا ووضع فيه جرادا كثيرا وغطاه ، وقدمه إلى سومالى وودعه .

عندما شعر سومالى بذلك فرح وشعر أنه لقي القبول عند رب المنزل ، واستعد وأخذ الصندوق وذهب ، ولعلك تعرف أن الأمير همريا لا يضايقه شئ مثل الجراد ، لقد قتل كثيرا من هذا الجراد ولكنه كان يزداد ، وبسبب هذا الجراد يعاني الناس من المجاعة وكادوا يأكلون التراب ، وصاروا من شدة الجوع كالفرثان ، وأصبحوا لا يفعلون شيئا سوى الدعاء لله أن يخفف عنهم هذا البلاء؟

وكان الشامي يقصد من وراء ذلك أن يذهب سومالى بالجراد ، فيظن الناس أنه يسخر منهم فيطردونه ، وربما يحملها إلى السوق فيهلكه الاطفال ، فيرتاح منه .

وإثناء رحيل صاحبنا هذا ، تحدث في نفسه قائلا " لابد أن القصة التى قصها له أبوه عن الولد الذى نال السلطة بعد قتل الذئب ، تكاد تحدث له ، ولذلك قص له أبوه هذه القصة وليعرف أن هذا سيحدث له ، فبيع هذه الديوك الحديدية تمائل الذئب التى قتلها الولد في بداية الأمر ، وبيع الطاسات هي الذئب الثانية ، والإقامة في الريف هي هذه الرحلة الطويلة ، ولا شك أن بيع هذا الجراد هو بديل لقتل الذئب الثالث ، أى أن القدر الذى يتظره بعد بيع هذا الجراد هو السلطة " ، ثم صاح من شدة السروور ، ولما كان لا يستطيع الغناء أخذ يصيح ، لأن الصباح هو الشئ الوحيد الذى تعلمه ، ثم راد صياحة متمنيا أن يصل إلى المدينة حتى يحقق مراده .

وكان كلما أشدت حرارة الشمس ، يتوقف ويبحث عن أوراق خضراء وماء ويقدمها

إلى الجراد ، وإذا أراد أن يروح عن نفسه ، إما أن يؤذن كالديوك أو يسمع الأمور الثلاثة التي تجعل الإنسان يشعر بلذة الحياة الدنيا ، وذات يوم بينما كان يسير خطر على فكره أن يعلم سلعته هذه بعض الحركات التي تجعل الناس يقبلون على شرائها ويبيعها بثمن مرتفع ، وتعود كلما قدم لهذا الجراد لا يرميه لها مبعثرا ، ولكن يصبه لها على الأرض ، ويتنحى جانبا بأوراق النباتات ويقلبها ويصفى ، فتخرج إليه فلما تراه تجري وتتسابق ، وتحاول الوصول إلى الطعام رويدا رويدا كما تعودت على هذا ، حتى إذا لم يوجد طعام إذا رأت أنه وضعها على الأرض ، وصفى تسرع وتذهب إليه جريا ، وكانت لا تستطيع الطيران لأنه انتزع أجنحتها التي تطير بها

ولما رأى سومالى ، أنها تستطيع هذا ، أخذ يداوم على تعليمها ، فكلما سمعته يصفى تخرج كلها من الصندوق إذا فتحه لها ، وإذا سمعته يقول " شت " ، يسرع الكل بالعودة إلى الصندوق ، وأشياء أخرى صغيرة علمها لها ، ومن هنا ندرك أن لكل مخلوق عقلا إلا أن بعض التعليم يحتاج إلى صبر .

وذات يوم كان سومالى يجلس على شاطئ أحد الأنهار ، يعلم هذا الجراد كل ما يريده ، ويصنع ريشها باللون الأحمر ، ورفع رأسه فرأى رجلا أسود واقفا خلفه ، ينظر للأشياء التي يفعلها ، فتملكه الخوف فجمع الجراد ووضعها في الصندوق ، وهم بغلقه ، .

فقال له هذا الرجل " لا تخف ، يوجد رجل عظيم نحن نتبعه ، إذا تتبعته وأريته هذا الجراد ، وهذه الأمور التي علمته إياها وأنت غلام صغير هكذا ، ستنال المال الذي تشتري به الثريد أليس هذا أنفع لك؟ " .

قام سومالى وجمع الصناديق وتبع الرجل ، دون أن يعرف من هو ، ولا إلى من سيأخذه ، لقد كان رئيس قصر أمير هذه البلاد كلها ، لقد قضوا وقتا طويلا يطوفون في البلاد ، فلم يجدوا شيئا يسر في كل هذه البلاد ، وكان هذا الأمير رجلا يحب المرح ، لذلك كلف رئيس قصره أن يطوف البلاد لبحث عمن يدخل السرور إلى نفسه ، ولما لم يجد ظل قلب الأمير في حزن ، وقد ألم هذا الأمر رجال الحاشية ، وحاول كل رجال الحاشية والساسة أن يجدوا مخلوقا يدخل السرور على قلبه فلم يجدوا ، وعملوا له كل الأشياء التي تدخل السرور على قلبه حيثما يكون في القصر ولكن كلما رأى الأمير أنهم يقلدون الأشياء التي يعرفونها كان يزيده الأمر حزنا ، لأنهم لا يعرفون كيف يؤدونها جيدا .

وكان شئ واحد الذي يجيده أمير القصر ، كان يضحك الأمير به إذا ذهبوا إلى المدينة ، وهو أن يقفز إلى أعلى ، ويضرب الأرض بقدميه ، ويفعل كالضفدعة إذا أمسكها الثعبان ، واليوم عمل هذه الأشياء كلها حتى تعب ، ولم يضحك الأمير ، حتى قال له " ما هي هذه الحركات التي تفعلها اليوم ، كأنك مطعون بسكينه والأفضل أن تطعن فعلا بالسكين حتى يكون ذلك مبعثا للضحك "

فلما رأى رئيس الحاشية الأمير على هذه الحال فزع ، وخرج وهو يفكر فيما يفعله حتى وفقه الله وتقابل مع سومالي ، ولما وصلوا إلى معسكر الأمير ، نظر سومالي إلى الخيول والأكواخ ، ولاحظ أنها كثيرة ، فأثار هذا الأمر دهشته ، وبينما هو يفكر فيما سيفعله وماذا يقول إذا سأله ، رأى رئيس القصر يدخل به كوخا كبير ووجدوا شخصا يتربع على كرسي ، يشبه في جلسته حرف الكاف ، يبدو عليه الحزن وكل رجال القصر يحيطون به ، الشرطة على الأرض واقفين ينحنون ويؤدون له التحية .

نظر أمير القصر إلى سومالي وقال " ها هو الذي ستره ما وجدتك تفعله " ، جلس سومالي وفتح الصندوق ، وأحضر بعض الحجارة وعيدان القصب ونظم بينها الصناديق ، ولف الجراد ، وتراجع للوراء فجعلها تخرج ، فلما شعرت أنها خرجت ، أسرع الجراد وانتظم وصعدوا فوق هذا الحجر الصغير ، وتدحرجوا وصعدوا فوق عود القصب الصغير وتدحرجوا ، كل يحاول أن يسبق الآخر ليصل إلى سومالي ، ويذهبون ، فإذا مضت هذه تأتي الأخرى وتمضي ، فضحك الأمير كثيرا ، فقام سومالي وأمسك التي سبقت وقدمها إلى الأمير وأخذ الكل يصفق لها .

أدهش هذا الأمر ، رئيس القصر ، فهب قائما ، وقفز إلى أعلى كما تعود ، صرخ صرخة ضعيفة ، مما أدهش سومالي ، فرفع رأسه من خلفهم فرأى رئيس القصر حينما كان يقفز ، ولم يشعر هو أيضا حتى صاح بأذان الديك .

وكان رئيس القصر في مكان مرتفع ، لم ييادر بالتزول ، فسمع صياح الديك من خلفه ، فالتفت ليرى مصدر الصياح ، فسقط على ظهره ، فانفجر الأمير ورجاله في الضحك .

عندما انتهى سومالي من عرض كل الأشياء التي علمها للجراد أمام الأمير ، نظر الأمير إلى رئيس القصر وقال له " يا رئيس القصر في ذكاء مثل ذكائك أيهما أصعب : تعليم الجراد العلم أم تعليم بني آدم ؟ "

صمت رئيس القصر ، لأنه يعرف أن أميره ، لا يعرف حقيقته ، كثيرا ما يتكلم كأنه يسأل ، ولكن لا ينتظر الإجابة عن سؤاله ، حتى إذا أسرع أحد بالإجابة يسبه .

عندما رأى الأمير أن رئيس القصر لم يرد عليه ، وكان في نفسه يتمنى أن يرد على هذا ، فنظر إلى الوزير وقال " هل كنت كمن يختار شيئا في الظلام ؟ ، لقد اخترت جاهلا ورفعته حتى جعلته رئيسا للقصر "

والتفت إلى رئيس القصر وقال " قلت أنك لا تستطيع الإجابة عن هذا السؤال ، أليس كذلك ؟ "

قال رئيس القصر " أطال الله حياتك ، كنت أظن أنك لا تطلب ردا على سؤالك . "

قال الأمير " اغرب عن وجهي ، لست في حاجة إلى إجابتك ، هل سألتك ؟ بكل تأكيد كل ما يقال حقيقة ، إن أعين الأمراء قد غطيت ، إذا أريد اختيار المساعدين ، لا ينظرون إلى من يستحق هذا المكان فيأتوا بالجهلاء ويحاولوا وضعهم في المكان الذي لم يعد لهم الله له ، وهذا ما رأيته ، وطالما أن هذا الصبي وهبه الله القدرة على تعليم هذا الجراد شيئا حتى أجاده ، لا بد أن تعليم الناس لن يتعلم عليه ، لذلك لن يصلح أن يكون كبيرا للعلماء ، إلا هذا الغلام ، وطالما أنه ليس قرويا فإنه يعلم ما المطلوب في شئون السلطة "

ونظر إلى سوماى وقال " اقترب وأخبرنا ما تعرفه عن شئون الملك "

اقترب سوماى ، ولكن كل هذا الحديث ولم يعرف صاحبنا أن هذا الرجل هو الأمير ، ولم يدرك المراد منه ، ولماذا طلب منه هذا القول ، ولماذا قرب من الأمير فقال في نفسه ، ربما يكون المطلوب منه أن يردد هذه الأمور الثلاثة التي تساعد الرجل في الحياة الدنيا ، لذلك بعد أن اقترب أخذ يقول " أولا حب الأمراء . . . " وهم يقولون الأمرين الآخرين ، طلب منه الأمير أن يتوقف ، وصفق له من فرط الإعجاب ، وقال هذا الذي بدأ به القول تغنى عن كل ما يريد أن يعرفه الآن ، كل الأمور التي سيضيفها يغنى عنها ما قاله ، وفي الحال قام الأمير وأخذ العمامة والقلنسوة وعين سوماى كبيرا للعلماء ، وأقيمت الاحتفالات الكبيرة .

أرأيت كيف ساعد الله هذا الصبي على أن ينال الرزق بلا تعب ، ولا اجتهاد ولكن إذا جاء أهل مدينته ، وسأله عن السبب الذي رفعه إلى هذا المنصب مرة واحدة ، يقول لهم ليس بحكمته وذكائه فقط ، ولكن بفضل حفظه لهذه الأمور الثلاثة ، التي تعين الإنسان في الحياة الدنيا .

وبعد فترة بعث كبير العلماء ، لكل علماء البلد للاجتماع ، وجعلهم يحفظون هذه الأمور الثلاثة ، التي تساعدهم في الحياة الدنيا ، وأخبرهم بالعلاج الذي أعطاه السيد رقيه للطفل الجبان حتى صار شجاعا ، وطلب منهم أن يذهبوا ويعلم كل منهم تلاميذه ، لعلهم يجدون طفلا مجتهدا يقتفي أثره ، فينال السلطة .

ضحك فصيح ، فطلب منه الوزير أن يستعد للذهاب إلى القصر .

وفي اليوم التالي استعد فصيح للذهاب ، فسمع في أحد الأحياء في مدينة هبي تطبيلا ، فاستدار وقصد هذا الحي ، فوجد شجيرة صغيرة بالقرب من المكان الذي أختبأ فيه ، يطل على بعض الناس يحتفلون ، فاستهواه الأمر ، فطار وقصد المنزل ، وأخذ مالا وأخذ يقدمه للسائلين والطبالين ، فأخذوا يمدحونه ، ويقولون «فصيح بن الوزير الكبير ، تولى أبوك الوزارة في هذا البلد ، ونسأل الله أن تكون مثله .»

وأخذ المنشدون ينشدون .

وقرب المغرب عندما انتهوا ذهب إلى الوزير ، فلما لامه على ذلك ، قال "لقد هممت بالحضور فسمعت صوت الطبول ، ويرتفع في كل مكان في حي هبي ، فتوجهت إلى هناك لأرى ما يحدث ، فوجدتهم يحتفلون، فدخلت"

قال الوزير "وهو كذلك طالما أنك قلت لي الحقيقة"

قال فصيح "الرابع عشر"

قال الوزير "وهو ذلك طالما أن المغرب قد حان ، اجلس لأقول لك ، اجلس

لتسمع"

الحسد لصاحب النصيب كالسهماد لصاحب المزرعة

كان يعيش تاجر غريب في مدينة تسمى سامانا ، وكان كثير الثراء ، وله كلب يحبه حبا جما ، فاق طبيعة البشر ، وما دفعني إلى هذا القول أنه مهما كان حب الإنسان للكلب فإنه يدعه يرقد على الأرض ، ولكن هذا الكلب كان مرقده على سرير عليه أثني عشرة مرتبة ، وغاية علمنا أن الكلب يتبع صاحبه فحيثما سار يسير عدوا ، أما هذا الكلب فقد كان صاحبه يضعه في صندوق كبير وحيثما ذهب يحمل معه الصندوق ، فإذا ذهب به إلى أي مكان ينصب خيمة ويضعه تحتها حتى لا تضره الشمس ، وغاية القول أنه وضع خمسة خدام في خدمته لا يعملون شيئا سوى رعايته .

ولما رأى الناس ذلك ، أخذوا يلومونه على هذا الأمر ، وظن الجميع أن الصلاة التي يؤديها رياء ، وأن الكفر في قلبه ، وأنه يعبد هذا الكلب ، وأخذ الناس ينادونه بعبد الكلب ، وكان هذا التاجر يعرف ذلك ، ولكن لا يعيرهم اهتماما ، وإذا ضايقه الأمر يتنهد ويقول " الله وحده يعلم ما في قلب كل إنسان ، وأخذ يعبد الله ولا يهتم بكلام الناس "

وذات يوم ماتت ابنته الصغيرة ، فدعا العلماء لتشيع الجنازة ، فرفضوا جميعا ، وحدثوا أنفسهم " كيف نذهب ونصلي على ابنة الكافر؟ ، أتدفعنا بشدة الطبع إلى أن نأخذ أنفسنا ونلقى بها إلى الهلاك؟ ، وإذا سئلتها يوم القيامة ، بماذا نبرر ما دفعنا إلى ذلك؟ "

وحاول التاجر كثيرا ولكنهم رفضوا ، وقالوا حتى لو فاق قارون مالا لن نصلي على ابنته ، إذا كان سيبنى لها قبرا ويدفنها فيه فليفعل ، فليصلي عليها هو وخدمه .

ولما رأى أن الحزن كاد يقتله ، فها هي ابنته وقد عجز عن أن يجد واحدا يغسلها ويسترها ، فقام وسألهم عن السبب الذي جعلهم يكفرونه .

قال العلماء يوجد سبب ، فمنذ أن خلقنا الله لم نر أبدا في أي مكان من يفعل مع كلبه ما فعلت مع كلبك ، لذلك ظننا أنك تعبده "

قال الرجل الثري " هل سألتهموني عن السبب الذي جعلني أعتني بهذا الكلب ، وأفعل معه ذلك ، رفضت أن أقول لكم ، ولكم بعد سماع السبب أن تقولوا ما شئتم "

وتكونوا محقين ، أما الآن ، فأمكث بينكم وأنا برئ ، وترمووني بتهمة الكفر ، ولعلكم تعرفون أن بعض الظن إثم "

قال أمير سمانا " لقد سمعنا كلامك ، إذا وافقت قلنا السبب الذي جعلك تفعل مع هذا الكلب ما فعلت ، فإذا رأيناك على حق ، نقم الآن معك ونذهب ونصلي على ابنك ؟ " هز التاجر رأسه ، وقال " لولا أنكم أرغتموني اليوم ما قلت لأنني وعدت ألا أعلم إنسان القصة أبدا "

نظر إليه الأمير وقال " أنك ستقول من أجلى "

هز التاجر رأسه وتنهد وأخذ يقول :

" نصرك الله ، اسمي ليس تاجراً ، ولا عبد الكلب ، كل هذا أطلق على أخيرا ، اسمي الحقيقي منصور ، ولي أخوان كبيران ، وأمهما واحدة ، أما أنا فلي أم أخرى ، واسم الكبير ظالم ، والذي يليه أظلم ، ولما توفي أبونا ترك لنا ثروة كبيرة ، وورع الميراث ونال كل منا نصيبه ، وقد خلق الله الآخرين الآخرين مختلفين عني ، فأخذوا ييذران ميراثهما ، وكان لا عمل لهما إلا أن يجمعوا الموسيقيين والطبالين والمومسات ويأكلون ويشربون وينفقون الأموال ، ويشربون جهارا ، وكان كل منهم يسكر ويتشي ، ويجعلان الطبالين والزمارين يسبونني ، ويقولون " أموال الناس لا تجمع لتكثر بل تنفق في اللهو "

ورويدا رويدا انفض الناس من حولهما ، وانصرف كل الناس إلى أعمالهم ، وتركوهما لا يملكان شيئا ، وكانا حيثما ذهبا يسخر الناس منهما ، ويقولون ربما قد جنا ، وكلما قصد أحد الأصدقاء الذي كانا يعرفانه من قبل يقول لهما " بالله عليكم اذهبا واتركاني ، هل أنا الذي بددت مالكما ؟ ، فيتضايق بالسؤال ، يكفني الآن هموم منزلي "

ولما ضاق الأمر ، ولم يجدا مكانا يلجآن إليه ، ورأيا الخرق لا تكاد تسترهم ، لجآ إلى بكلام معسول ، لأعطى كلا منهما عشرة جنيهات ليذهبا حيث يباع الفول السوداني بثمان بخس ، ويشترى لى قبل أن يرتفع سعره ، فجمعت عشرين جنيها وأعطيتها لهما ، فذهبا إلى إحدى المدن وبددا المال فيها في لعب الميسر ، ولما لم يجد أظلم طعاما أخذ يكنس السوق ، أما ظالم فقد كان يغسل للمومسات الأواني ، مقابل ثريد يأكله .

وبعد مضي حوالي ثلاثة أشهر ولم أسمع خبرا عنهما ، بعثت إليهما من عادوا

وأخبروني حالهما ، فأرسلت من يذهب ويأيتني بهما ، فلما علمت أنهما قد وصلا إلى باب المدينة أعددت بعض الخيل والثياب وقابلتهما بها ، وعادوا بهما في صورة طيبة ، دون أن يعرف الناس ما هم فيه من حال ، أخذ يدعيان أنهما استقاما ، وها هما قد أخذتا المال وتاجرا فيه وعاد مستورين .

وسألتهما كيف أخذتا يسرفان المال ، قال أظلم «اللصوص هجموا عليه في الغابات وسلبوا المال منه ، وقال ظالم «لقد اشترى خمسة عشر كيسا من الفول السوداني ، وكان يشعل النار فالتهمتها ، فاحترقت كلها ، وأحترقت النار باقي المال ، وشعرا بالخجل لذلك لم يعودا ليخبراني بذلك ، وهذا ما جعلهما يفضلان الهيام في الدنيا ، يعاني كل منهما من الأحزان ، فأشفقت عليهما عندما أخبراني بذلك ، فسألتهما أيحدث كل هذا ولم يصب أحدكما بأى أذى؟ ، فقالوا لقد ستر الله

وبعد أن مكثا حوالي عشرين يوما معي ، نأكل الطعام معا ، طلبا مني بعض المال ليذهبا لشراء القطن حتى أخزنه ، وكأنني تحت تأثير السحر أعطيتهما ثلاثين جنيها . وانصرفا ، الطبع لا يفارق صاحبه ، بعد أن أخذتا المال أنفقاه في الشرب وعلى المومسات .

وبينما كنت أجلس في أمان الله ، علمت أنه بعد أن أنفقا هذا المال ، لجأ إلى السرقة فقبض عليهما وسجنا ، فلما علمت بذلك قمت بنفسى وذهبت إلى المدينة التي سجنا فيها ، وتوسطت لدى وزير هذا البلد ، وحاول مساعدتي فوافقوا على أن أدفع بعض المال ، حتى يطلق سراحهما ، فاشتريت بعض الثياب وقدمتها إليهما ، ورجعنا إلى المدينة مستورين ، ومنذ هذا اليوم عازمت على ألا أعطيتهما مالا مرة أخرى .

وبعد أن مكثا معي أربعين يوما ، دون خجل ، قدما إلى دون حياء وطلبا مني أن أمدهما بالمال مرة أخرى ليذهبا للتجارة ، وهما كالكلاب المسعورة ، فرفضت وقلت لا أوافق طالما أن الربح سيكون بأيديهما ، فلما أدركا أنني لم أوافقهما بالرغم من الإصرار ، سألاني أن نذهب معا ، وقدر الله أن أجمع كل مالي وأذهب معهما ، وركبنا السفينة ، وتركت الخدم جميعا ورائي في المنزل ولم آخذ معي إلا هذا الكلب الصغير الذي تلوموني عليه ، وتركاني حتى توغلنا في البحر الأبيض المتوسط ، وتحيط بنا الأمواج في كل مكان ، دفعاني في البحر ، دون أن يتببه الناس ، فلما رأى هذا الكلب ذلك قفز ورائي

واتبعني ، فأمسكت بذيله ، وأخذ يسبح بي حتي وصلت إلى مدينة كبيرة ، فشكرت الله الذي نجانني .

بدأت أخدم في منزل أحد النساجين ، وأتجول لبيع سلعته ، وكان هذا الكلب كلما وضعت قدمي في أي مكان تبعني ، وكل مكان يطرد فيه إذا كان معي لا أذهب إليه ، وهكذا ، وذات يوم كنت أتجول في السوق بالسلعة ، وفجأة رأيت أظلم ، مع ظالم ، وقد ارتديا ثيابا نظيفة ، وحرفا الطاقية ، يختالان في السوق فلما رأيتهما خفق قلبي « فقالا ، الفار عجباً لم يمت » ، ثم استدعيا شرطيا وطلبا منه أن يقبض على بحجة أنني لص .

قبض على الشرطي ، وذهب بي وقضيت هذه الليلة في السجن مع المجرمين ، في هذه الليلة ذهبوا بي إلى القاضي وقدموا إليه رشوة وطلبا منه أن يقتلني ، بتهمة أنني قتلت أخاهم في المدينة التي نقيم فيها ، ونحن نعيش في زمن لا يصدق فيه إلا صاحب المال وتحيرت ولم أجد مخرجاً ، ولم أستدع لأية جلسة وكل ما حدث أن أمروا الشرطة بالقبض على وذهبوا بي إلى حفرة سحيقة ، التي عرفوها جدا عن جد ، ويلقون فيها كل من يحكم عليه بالإعدام .

ولما وصلنا ، أخذني رجال الشرطة والقوني كالحجر وانصرفوا ، وهم متأكدون أن كل من يلقي في هذه الحفرة يموت قبل أن يصل إلى الأرض ، أما أنا فقد شاء الله ألا يصيبني أدنى أذى ، فلما وصلت الأرض سقطت على جثة ، وأخذته هكذا انتظر الموت ، كل هذا والكلب يتبعني حتى في المعتقل فلما رأى ما حدث لي سمعته وكأنه يبكي بكاء لم أسمعه من قبل ، فاشفقت عليه أكثر من شفقتي على نفسي ، حتى انفجرت في البكاء ، وأخذت أقول له « اصبر ، ما قضى الله لا راد لقضائه ، هيا الله لك سيدا طيبا »

وعندما رأى الشمس قد طلعت ذهب إلى السوق وسرق طعاما وجري ، فاتبعوه فهرب منهم ، حتى وصل إلى حافة الحفرة ، وأخذ ينبج ، وعندما سمع أنني أحته على الصبر ، وسمع صوتي ألقى إلى الطعام ، فسمعت شيئا يسقط فزحفت إليها فوجدتها طعاما ، فأخذته وأكلته ، وأخذتني الشفقة عليه .

بعد أن ألقى إلى هذا الطعام ، عاد يطلب لي الماء ، فذهب إلى امرأة عجوز تغترف الماء في قدر وتأتي به إلى المصلى لتسال الثواب ، فذهب إلى النهر فرآها والإناء مملوء

بالماء ، ولم يكن معها أحد ، فمد فمه وأخذ الإناء منها وهم بالجري ، فانكسر مقبض الإناء ، ووقع على الأرض وانكسر ، فأخذ إناء آخر ، فقالت المرأة أن وراء هذا الكلب أمراً ، فأخذت الإناء وسار الكلب أمامها وهي تتبعه حتى مدخل الحفرة ، وأخذ ينبح فسمعت شخصا يتكلم ، فنظرت شرقا وغربا فلما لم تجد أحدا ردت على ، وقالت أنها ستحضر لي الطعام مساء كل يوم ، حتى يقع ما قدر الله أن يقع لي ويبحث عن جبل ، وأنزلت لي الماء فوضعتة لأشرب منه ، حتى تتسلل وتحضر لي الطعام ، ولم يكن لديها فرصة لتأتي نهارا ، لأنهم إذا شاهدوها سيقتلونها .

ولما رأى الكلب ذلك ، كان يذهب إليها ويهز لها ذيله ، وتبعها حتى عرف منزلها ، فكانت تطعمني وتطعمه ، ومع ذلك كان هذا الكلب ينام على حافة الحفرة ، ولم يرض أن يدخل المدينة ويتركني .

ونحن على هذه الحال ، شعرت ذات يوم أنهم احضروا شخصا ليلقوه ، فبعدت وتركته يسقط ، حتى لا يسقط فوقى ، فلم يسقط إلا ميتا ، فلمسته لأعرف ما إذا كان حيا أم لا ، فشعرت أنه قد فارق الحياة ، وقد تكسرت عظامه ، فقلت يا خسارة لو كنت أنا لارتحت من هذا العذاب .

وذات يوم عندما انتصف الليل سمعت من يقول على حافة الجب " هل ما رلت حيا؟ "

فقلت " نعم "

ثم رأيت جبلا يتدلى فأمسكته وجذبوني ، فلما خرجت وجدت التي سحبتني فتاة ، فنظرت إلى عدة مرات ودقت صدرها وقالت " سبحان الله ، الله يلعنك ، فاسد لست أنت الذي جئت من أجله ، أنا جئت لأخذ بارف "

فقلت لها " الذي رمى أمس؟ "

قالت " نعم "

قلت لها " هذا لم يصل إلى الأرض حيا ، عندما أحسست جسمه لم أجد عضوا واحدا لم يجرح " ، فوجمت ، وانهمرت دموعها ، ونظرت إلى وقالت " وأنت بالله عليك لماذا ألقيت في هذا الجب ، وماذا حدث حتى أنك لم تمت حتى الآن؟ " ، فقصصت لها كل أخباري ، فانهمرت دموعها شفقة على وعلى هذا الكلب .

وكانت هي الأخرى ابنة أمير هذه المدينة ، و برو الذي جاءت لتنقذه هو الأخ الأصغر للأمير ، ولم يكن الأمير وأخوه على وفاق ، وبينهما ما بين النبي والكافر ، وبسبب هذه العداوة وجدا رجلا مقتولا وادعوا أن برو الذي قتله ، فأمر الأمير بقتله ، وأحضروه إلى هذا الجب ورموه ، وواسيتها في قتل برو ، فقالت لى " لن أتركك هنا الآن ، عليك أن تذهب معي الآن لأعد لك الزاد "

قلت ، وهو كذلك ، ولكن أخشى أن التقى بأخوتي "

قالت " لا بأس ، علينا أن نترك هذا الكلب أمامنا ، حتى يوصلنا إلى منزل هذه المرأة العجوز ، وتقسم فيه ، ولا تخرج " ، جعلنا الكلب يسير أمامنا ، حتى وصلنا إلى منزل العجوز ، ذهب الكلب حيث ترقد ، وأخذ ينبع ، فقامت ، وأخذ الكلب ينظر إليها ، وينظر إلى ، ويهز ذيله ، فقالت لها إننى الذي تحمل له الطعام وقصت لها كل أخباري ، وشكرتها ابنة الأمير ، وقالت " كلما أردت رؤيتها ابعث هذه العجوز "

ولما أرادت ابنة الأمير أن تنصرف ، كان الفجر قد ظهر ، فسألتها عن اسمها فقالت " لورتو " ، وخرجت وتركنتني في منزل العجوز ، وأخذت كل يوم ترسل لي بالطعام والثياب ، وتطور الأمر رويدا رويدا ، حتى تحول من شفقة إلى محبة بيننا ، وكانت كلما وجدت فرصة ، كانت تأتيني فتذهب إلى المرأة العجوز ولنسمر عندها ، وذات يوم أشارت على بأن نهرب معا ، ونذهب إلى أي مدينة ينعقد فيها قراننا ، فكنت كمن يتمنى أن يذهب إلى قصر الأمير ، فما بالك لو دعي إليه ، فقلت لها " وهو كذلك " ، فذهبت واختلست لى مائة جنيه ، واستعدت للرحيل ، وجاءت إلى فأخذت خمسة عشر جنيها وقدمتها إلى المرأة العجوز التى عانت فى احضار الطعام إلى الحفرة ، ولما رفضت أخذها قلت لها إنها صدقة ، وليست أجرا على مشقتها ، فأخذتها واستعدينا وهرينا ، وسرنا حتى وصلنا إلى مدينة تسمى مروجو ، فذهبنا إلى قاضي المدينة ، وعقد لنا الزواج ، ومكثنا فيها ، وأخذت أحترف التجارة ، وكما يقولون المرروق يبيع الماء على شاطئ النهر ، قبل أن تكمل العام ، أصبح يشار إلى في المدينة بالبنان ، ولا حديث للناس إلا عن ثرائى .

تمهل حتى تسمع المقدر نصرك الله . . وذات يوم ذهبت إلى السوق لأرى ما يفعل خدمى وكثير من الناس يسيرون خلفي ، كأنتي أحد الأمراء ، فلما وصلنا إلى السوق ، سمعت الإعلان عن شئ ، فذهب أحد الشباب المرافقين لى ليستطلع الأمر ، فعاد يقول " سيقام الحد على شاين "

فلما سمعت ذلك شعرت بقلبي يخفق ، فقلت له " ماذا سمعت عن جريمتكما؟"
قال " سمعت أنهم يقطعان الطريق على الناس ما بين مدينتي كومو وكسفا ، فيقتلان
الناس ويسلبان متاعهما ، أحدهما يسمى أظلم والآخر ظالم.

فلما سمعته يذكر اسمي أخوأي خفق قلبي، وذهبت لأري ، فلما وصلت واقتربت
من أظلم ، رأيته قد طأطأ رأسه والدمع ينهمر من عينيه ، والأطفال الذين لا يعلمون ما
فعل يصيحون حوله "حتى لو بكيت اليوم دما ، سيقطع السيف رأسك ، ألم تشعر
بالألم عندما كنت تقطع على الناس الطريق؟"

فلما رأيته ينظر إلى ويبكي ، رأيت الدمع ينهمر من عيني ، غافلت أعين الناس
ومسحت دموعي ، وأنا أراقب وأتذكر وأرى ، بدونهما لن يكون لي إخوة في هذه الدنيا،
لذلك أسرع إلى الأمير ، وكنت إذا تكلمت يستمع الجميع لرفعة مكائتي ، وهمست
إليه وشرحت له الوضع ، وأخبرته باستعدادي لدفع دية كل من قتلاهم ، وتعجب الأمير
كيف انحرف أخوأي هكذا ، وأخذ يلومني بحجة أنني لم أساعدهما ، فسكت ولم أقل
شيئا.

وبعد أن رشيت حكام المدينة ، بعثوا إلى السوق من يحضرونهما بسرعة وكانوا قد
صلبوهما استعدادا لتنفيذ حكم الأمير ، وأحصوا كل من قتلوهما فكانوا سبعة رجال
واحدي عشرة امرأة ، فحسبت ديتهم جميعا وفي الحال دفعتهما ، وورعت على إخوتهم
حسب حكم الشريعة.

وقمت بأخذ أخوأي ، وأنزلتهما في منزل ورفضت أخذهما إلى منزلي حتى لا
تراهما زوجتي ، فيثور بيننا خلاف ، وكنت كل يوم أذهب للسمر معهما ومع أنني دفعت
دية القتل إلا أنهما لم يجرأ على الخروج حتى لا يراهم الأطفال فيتجمعوا حولهما ،
ويقذفوهما بالحجارة.

ومكثت معهما فترة كانا كالبحر لا يخرجان إلا في الظلام ، ولما رأيت أن الأطفال
ضايقوهما ، تقدمت بشكوى إلى القاضي ، فبعث إلى السوق من يزجرهم ، بعد ذلك
استراحا.

سبحان الله اللهم قنا شر السوء ، وذات يوم ذهبت إليهما في المساء ، ولم أعلم ما
كانا يضمرانه لي ، ذات يوم ذهبت للسمر معهما ، وطال بنا السمر حتى انتصف الليل ،

وعند ذلك انهالا على ضربا بالأيدي وطعنا بالسكين ، فلما رأى الكلب ذلك ، هجم عليهما وعض كعبي أظلم ، وأوقع ظالم وأخذ يعضه ، فأخذ أظلم سكيناً وطعنه ، وتركاه راقداً .

عندما رأياني وكلبي لا نتحرك ، وغارقين في الدماء ، أخذنا ووضعنا في صندوق كبير ، كنت قد أحضرته لهما ليضعاه فيه متاعهما خشية اللصوص ، وشاء الله ألا يكون له غطاء ، ووضعنا خارج المدينة ، داخل الغابة ، وعادا وسلبا كل متاعي وهربا .

ولما بدأت رياح الصباح تهب علينا ، أفقنا ، ولعلك تعرف أن الكلب شديد التحمل ، وأكثر ضعفاً ، ولكن أشد صبراً مني ، تمدد ، وكنا غارقين في الدماء ، فأخذ يلحق جراحني وبعد ذلك أخذ يلحق جراحه ، ونحن الاثنين في صندوق واحد ، لا فائدة منا ولا نستطيع الخروج رغم أن الصندوق مفتوح ، هذه هي قصتنا ،

أما زوجتي ، ظلت تنتظرنا حتى انتصف الليل ، فلما رأت أنني لم أعد ، دخلت ونامت كعادتها ، لأنها تعلم أنني أطيل السمر .

ولما طلع النهار ، وأدركت زوجتي أنها لم ترني ، وعلمت أنني لم أبت الليلة في فراشي ، ونظرت إلى متاع المنزل فوجدت أن كل ماله قيمة قد سرق ، فخرجت وأخبرت الخدم ، سبحان الله ، لم يترك اللصوص لنا شيئاً ، أين قضيت الليل يا زوجي .؟ ، ولما أسرع الخدم إلى المنزل وجدوا الدم في حجرة الضيف وكأنك قد ذبحت ثورا ، فعادوا مسرعين ، وقالوا لسيدتهم ، فلم تنتظر أن ينتهوا من بحث الأمر ، دخلت الغابة وهي تصرخ وتقول « لا حول ولا قوة إلا بالله » ، مما جعلها تجن .

أسرع الخدم ، وقصوا للأمير كل ما حدث ، حزن الأمير ، وقال " الله أكبر ، لقد قدر الله أن يكون أجله على أيديهما ، لقد هممنا بقتلهما ليرتاح الجميع ، فجاء وألح علينا ، حتى وافقنا أن يدفع لهما الدية ، اذهبوا واطلبوا من زوجته أن تصبر .

وبعث الشرطة إلى كل مكان ، ولم يجدوا علامة تدل على مسلكهم ، حتى يشسوا ، وأخيراً ، وجدوني في صندوق مع الكلب ، لا يستطيع أحد منا الخروج ، فأخذونا إلى الأمير ، وأمر الأمير بتمريضنا حتى أتم الله الشفاء التام ، فقال الأمير « رأيت ما سببت لنفسك من مشاكل » ، فقلت قدر الله إذا وقع لا مؤخر لقضائه .

ولما رأيت أنني قويت استعددت للبحث عن زوجتي لورتنو في مدينتها ، قد وفقني

الله ، لقد علمت أنهم عثروا عليها في الغابة وأعادوها إلى مدينتها ، ولكنها قد أصيبت بالجنون ، ومكثت تبكي بلا طعام أو شراب ، وقد عجز أبوها الأمير عن إسعادها ، وبعث إلى كل أطباء الجنون ليأتوا لعلاجها ، ولكن دون جدوى حتى يش الأمير ، وقال كل من يعالجها ، سأعطيه كل ما يطلب في هذه الحياة الدنيا حتى ملكي .

عندما ذهبت وعلمت بهذه الأخبار ، دخل السرور إلى قلبي ، فبحثت عن ورقة وكتبت كل ما حدث لي من أحداث ، وذهبت إلى الأمير ، وأخبرته أنني طبيب ، وأريد أن أقدم إليها الدواء المعروف في بلدنا ، قال الأمير " وهو كذلك ، لا نمنعك ولكن أرح نفسك ، أن أفضل منك حاولوا وأخفقوا .

فقلت له " لا يعرف أحد أين تكون السعادة " ، وأخذت الورقة التي كتبتها ، ووضعتها في ذرات الخشب التي جمعتها من الطريق ، وطلبت منهم أن يأخذوها وتتبخر بها ، فلما أعطوها لها وفتحتها ورأت خط يدي ، هبت قائمة ، وقرأت كل ما كتبت فيها ، ثم طلبت ذرات الخشب ، وأدعت أنه بخور ، وقالت أنها شفيت ، تعجب الأمير وسر من هذا الأمر .

قال الأمير اطلب كل ما أريد ليعطيني إياه ، فقلت " كل ما أريده ستهبنيه " .

قال الأمير " كل ما تريد ما عدا ملكي .

قلت له " إذا كان الأمر كذلك ، التي شفيتها أريد أن أتزوجها "

أسك الأمير رأسه ، وقال " لا ، ما عدا هي ، اختر شيئاً آخر ، مهما كان سأعطيك "

قلت له " هي التي أريد ، وإذا كان العمل الذي قمت به لا يكفي أن يكون أجراً لي ؟ وإذا كان ليس لي حق فيه ، فعلي أن أصبر " .

صمت الأمير ، فقال رجال الحاشية " نصرك الله ، نحن الذين تسبينا في هذا ، إذا لم تستثنها من قبل وقلنا كل ما يريده عدا الملك ، وهذا ليس ملكا ، ولا مخرج إلا الاستجابة له ، حتى لا يكون لنا كلمتان "

دخل الأمير القصر ، وتشاور مع أم الفتاة ، فقالت " طالما أنك أخطأت بلسانك واتخذت هذا العهد أمام الناس ، لا مفر من أن تفي به "

وعقد قرانها مرة أخرى ، وأقيمت الأفراح ، وكانت فرحة الزواج ، وفرحة الشفاء لورتو ، وبعد قليل قال الأمير ، طالما أنك حدثت مهري ، لن أدعك تعيش هكذا دون سلطة ، وعيّنني وكيلا للمدينة وكانت مهمتي أن أطوف حول كل الأعمال في المدينة والسوق ، والشرطة تبعني ، وحيثما أجد الفساد ولو قليلا أو أجد خلافا في أي مكان إذا لم يستفحل الأمر ، أوفق بينهم ، وإذا كان هذا الأمر فوق طاقتي أرفعه إلى الأمير .

وذات يوم خرجت إلى المحطة لأتجول ، لأنني سمعت بوجود لصوص ، ماذا تظن؟ ، وإذا بظالم وأظلم كأنهما هبطا من السماء يحملان للناس المتاع ، لم أرهما بنفسني ، فقد رأهما الكلب قبلي ، حتى هجم على أظلم وكل ما معه من متاع ، وأنهال عليه عضا وخدشا .

فلما نظر ورأيت ، ضربته فقصد ظالم ، وقبل أن أنظر إليهما بدهشة أوقعهما وجن الكلب بين الكذب والحقيقة وصمم على قتلهما ، فأمسكته ، فقاما ملطخين بالدماء ، ولم يعرف الناس حقيقة الأمر ، وقلت أنني سأأخذهما إلى منزلي ، ولكن الكلب لم يوافق وحال دون ذلك ، ولما رأي أنني أمسكته ، وحاولت الذهاب بهما إلى المنزل هجم على وأخذ بعض يدي ، فلما شعرت بالألم تركته ، فهجم عليهما مرة أخرى وأوقع أظلم ، وفصلت بينهما بصعوبة ،

وكان الناس يتعجبون ، ويقولون لا بد أن في الأمر شيء ، لأنه ليس بينه وبين الناس إلا كل معروف ، فإنه يكره ظالم وأظلم فقط ، إنه يطاع في كل ما يقول بالمدينة ولا فرصة لضربة .

وحاول الناس كثيرا إبعاده فلم يستطيعوا إلا شيئا الأنفس ، فأمرت بأخذهما إلى أحد المنازل ، ومسحوا أجسامهما بعلاج للجروح التي أصابتهما من عض الكلب حتى شفيا ، وأخذت أبعث إليهما بالطعام والثياب ، وكلما أردت أن أذهب للسمر معهما منعني هذا الكلب ، إنه حيوان ولكن الله وهبه عقلا خاصا به ، عندما كان يعرف أخلاقهما منعني من الذهاب إليهما ، وحتى لا أتسلل وأذهب إليهما كنت إذا أردت أن أبول ذهب معي إلى دورة المياه ، حتى إذا انتهيت نعود معا .

ولم يكن لدي فرصة لربطه ، ومكثت معهما في المدينة ولم يستطيعا رؤيتي ، ولم تكن لدي الفرصة لرؤيتهما ، وإذا رأياني أقصد المكان الذي يقيمان فيه ، يقومان ويهربان خوفا من هذا الكلب .

ونحن على هذه الحال ، لم يكن يتقصهما شئ من الخير ، ولم يترك الناس سؤالا إلا وسألوني إياه عن السبب الذي جعل هذا الكلب يكره هذين الرجلين بهذه الصورة ، فرفضت أن أقول لهم أي شئ نصرك الله ، أقسم بعظمتك ، في مساء هذا اليوم سمعت في منتصف الليل باب الحجرة التي أنام فيها يفتح ، وكان خدمي يغطون في نوم عميق ، وإذا بهما ومع كل منهما سكين كبير ، ولولا أن شاء الله ، لولا التمرير الذي أجري لي من قبل عندما ساعدني أحد الفلانتا بأعطائي دواء ضد الحديد أنا وكلبي ، لكنا خيرا يروى ، فهجما على ، فتشجع كلبي ودفعه بصدرة فأوقعه ، وتركه وتوجه للآخر ، وأخذ يطعنان الكلب ولكنه كان قد أشبعهما عضا ، وصار الهجوم غير مجد ، صرخت ، فاستيقظ الخدم وأمسكوهما قبل أن يهربا ، أقسم بعمامتك ، منذ هذا اليوم لم يجرؤ أحد أن يقترب مني ، وقد تتبعهما هذا الكلب ، وأصابهما بالجراح في كل مكان وصار منظرهما مقززا .

وفي الصباح أرسلوا إلى الأمير ، وقال له الناس كل ما شاهدوه بينهم وبين كلبي ، وقالوا إن الأمير إذا سألني ، سيعرف ما حدث بيني وبينهما ، ليس من الممكن أن يصير هذا الكلب أن يعضهما دون سواهما .

وقد ألق على الأمير حتى يسمع هذه القصة مني ، كما تصر أن أقص عليك القصة الآن ، فلما سمع الأمير هذه القصة ، وقبل أن أنتهي ، أمر السياف أن يذهب لقتلهما ، ولما انتهيت من رواية القصة له ، لم يشعر الجميع متى سال الدمع من عيني ، وقال الأمير لي " أقبل لتري ، منذ اليوم سيهدأ بالك " ، فتبعته فوجدتهما راقدين ، وقد قطعت رأساهما ، فحزنت حزنا شديدا وبكيت لقتلهما .

نصرك الله ، أعلمت الأمر الذي بيني وبين هذا الكلب .

لم يجد أمير سماتا ما يقوله ، وقام وشيع المرحومة .

قال الوزير لفصيح " هل سمعت رعاية الله ، إذا أردت أن يحفظك الله من سوء لا تصب الناس بالسوء ، ولكن اجلس هنا حتى تحفظ هذه القصة ثم تنصرف " ، وتركه يرددها .

وعندما طلع النهار في هذا اليوم ، ومنذ الضحى ، قال موسى لفصيح " سنخرج اليوم في نزهة إذا كنت ستحضر لا نذهب بعيدا ، لنركب معا " قال فصيح " سأحضر " ثم طار فوجد الوزير وقال له .

قال الوزير "وهو كذلك ، طالما أن الأمر كذلك ، عليك أن تقرأ من الآن حتى لا تعطلهم في وقت الظهر"
قال فصيح "وهو كذلك"
وبدأ الوزير يقص عليه التحذير الخامس عشر.

الديك الذي أراد الله له أن يؤنن يؤنن حتى لو كان أمامه قط وخلفه صقر

كان يوجد رجل فقير يعيش في مدينة كونا ، بلغ سن الشيخوخة ، لم تحمل زوجته أو يسقط حملها من قبل ، وكلما جلس وحده كان يقول " اللهم ارزقني بمن يساعدني إذا هربت "

وهو على هذه الحال ، شاء الله أن تحمل زوجته ، ولما بلغ الحمل سبعة أشهر أخذت زوجته الإناث ذات يوم وذهبت لترد الماء من البئر ، وكانت النسوة تنتظر عند البئر ، فلما وصلت وجدت النسوة كثيرات هناك ، فانتحيت جانبا وجلست حتى يرد الماء من سبقنها ، ثم ترد بعدهن ، وبينما النسوة يردن الماء ، جاءت إليهن امرأة عجوز ، وقالت لهن " السلام عليكم " فلم يرد أحد عليها .

فقالت المرأة الحامل " ألم تسمعن من تلقي عليكم السلام؟ "

نظرت المرأة العجوز إلى المرأة الحامل وقالت " أريد قليلا من الماء لأشرب ، لقد اشتد الظما على "

قالت المرأة " ما المانع؟ ، حتى لو كان بالمتزل وطلبت الماء ، هل يمنعك أحد؟ فما بالك وأنت على البئر "

نظرت المرأة إلى من يردن الماء وقالت " بالله عليكن أعطيني قليلا أبل به الصدا ، لقد جف حلقي . . "

فقلن " أيتها المرأة إذا كنت ستذهبن إلى المدينة اذهبي ، نحن هنا نقاسي العذاب ، كيف نتظر لنعطيك الماء؟ "

وقالت أخرى " ويحك ، موتي إذا كنت ستموتين ، هذا هو حال العجائز ، يكبرون ولا ينتظرون ، كل هذه الشيخوخة وتفوقنا طمعا في الحياة ، ولا تنتظر ذات الثلاثين عاما ، ثم أطلقن الزغاريد وصفقن ، فنظرت إليهن المرأة الحامل ، وقالت " بالله عليكن اسقوها لتتصرف ، إنكن في عمر الشباب "

فنظرت إليها إحداهن وقالت "حتى لو قبل أحد أن يسقيها ، فمن الذي يقبل أن تضع فيها القدر على فم إنائها"

قالت المرأة الحامل "إذا كان على الإناء فيها كن إنائي ، بالله عليك أعطوها لتصرف."

فالتفتت امرأة وقالت "أنت تضايقينا ، من أنت؟ هل أنت أرحم منا؟ إذا كان على الرحمة ، هل منعها أحد ، اتركها حتى يأتي دورك وأسقيها"

نظرت المرأة الحامل إلى العجوز وقالت "يا جدتي ، انتظري قليلا حتى يأتي دوري فأعطيك لتشربي ، وبقي امرأتان وأرد الماء ، ها هي حوايتي اجلسي فوقها ، المكان مملوء بالحشرات الضارة."

أخذت العجوز الحواية وجلست فوقها دون حركة ترقب البئر ، وهي ترتعش ، وبعد قليل جاء الدور على المرأة ، فقامت واقتربت من البئر ، وبعد أول غرفة جاءت إلى المرأة العجوز وركعت وقدمت إليها الماء فأخذت الإناء وشربت ، ونظرت إلى المرأة وقالت "أشكرك ، أشكرك تلدين بالسلامة" ، ونظرت إليها مرة أخرى وقالت "ستلدين ما في بطنك ذكرا ، إن شاء الله ، سيكون ثريا وسيسمع الناس قصته في كل البلد ، وسيتزوج ابنة أمير هذه البلاد ، ويتولى السلطة فيها."

رغردت كل النسوة على البئر ، وأخذت النسوة تسخر وتقول "أفسحن لها ، ها هي أم الأمير مقبلة ، نوم العافية يا أمير البلاد"

قامت العجوز ، وانصرفت ، ومنذ هذا اليوم أخذن يسخرن من هذه المرأة ، حتى ضايقتها ، فوضعت القدر وأخذت حوايتها وشدت خصرها ، ونظرت إليهن وأخذت تسبهن ، وتقول :كل من لم تتكلم معي بالحسنى وتعرض على أمر الله ، نسوان فاسدات ، إذا تكلمت واحدة منكن سألقيها على الأرض وأطأها بقدمي"

وعندما نظرن إليها وأدركن أنها قوية البنية ، وأنهن لن يقدرن عليها سكتن جميعا ، ولجأن إلى استرضائها ، فاغترفت الماء وعادت إلى منزلها ، وقصت لزوجها كل أخبارها ، فابتسم وقال "لولا أن قدرة الله تفوق ذلك ، لقلت كيف يكون أناس فقراء مثلنا ينجبون أميرا ، الله وحده يعلم ما في الأمر"

وعندما عادت النسوة إلى منازلهن أخذن يغتبن المرأة الحامل ويرددن ما حدث بينهن وبين المرأة العجوز على حافة البئر ، رويدا رويدا وصلت القصة إلى الأمير ، فاستدعي الأمير الوزير وقص عليه الأمر ، وقال " ما العمل؟ ، إذا قتلت هذه المرأة الآن ، سيعلم كل الناس ، ويرمونني بالظلم، لعلك تعلم أن هذا لا يفيد ، فما رأيك؟"

قال الوزير " صدقت، نصرحك الله ، طالما أن الأمر وصل إلى هذا الحد، الأفضل أن نتركها حتى تضع حملها ، فإذا أنجبت ذكراً ، يكون هذا الكلام صدقاً ، عندئذ ندبر الأمر لسرقته وقتله دون أن يعلم أحد"

قال الأمير " هذا الرأي هو الذي ينجينا ، لرجاحة عقلك هذا أمرت أن تأتي لاستشيرك"

ومرت الأيام وأنجبت هذه المرأة مولوداً ذكراً ، وبصعوبة اشترى الأب خروفاً ، وسمي المولود عيسى ، وأخذت النسوة اللاتي سمعن ما قالته المرأة العجوز أن هذا المولود سيصير أميراً يسخرن ، حتى لقبن هذا المولود "صاحب الدولة ، وأخذ الكل في المدينة ينادين بهذا اللقب ، حتى اختفي أسم عيسى وبقي أسم "صاحب الدولة"

وعندما علم الأمير أن هذه المرأة قد ولدت وسمي مولودها ، استدعي الوزير وقال له " هل سمعت أن هذه المرأة قد أنجبت وماذا سنفعل؟"

قال الوزير " هدي من روعك ، واترك الأمر على " ، وقام وخرج ، وأمر أحد عبيده المخلصين أن يذهب إلى السوق ، ويأتي له بجرو صغير ، وأمره أن يأخذه ويذهب به إلى منزل هذه المرأة في منتصف الليل ، وإذا أدركهما الثبات تسلل ليسرق هذا المولود ، ويضع الجرو الصغير بجوار أم الولد ، ويغطيه ويأخذ الغلام إلى الأمير ، وفي منتصف الليل خرج الأمير والوزير ووضعوا المولود في صندوق وحمله الوزير وذهبا به وألقياه في نهر قريب من المدينة ليموت ، وقبل أن يأتي الصباح استيقظت المرأة لتعطيه ثديها ، فسمعت نباحاً فنظرت فرأت جرواً ، وفي الحال أيقظت زوجها ، وأرته الجرو ، فظنا أن طفلهما تحول جرواً ، فاحتضناه وأخذوا يكيان .

وبينما هي في هذه الحال ، وباب المنزل مغلق عليهما ، هبطت عليهما امرأة وكأنها من السماء وقالت " دعا البكاء، أتعرفيني، إنني المرأة التي سقيتني الماء إنني لست آدميه ، إنني جنية ، ابنكما حي لقد ألقوه في الماء ، ليموت حتى لا ينال الملك ، ولا يعرفون أن

القلم قد جف ، خذوا هذا الجرو واقتلوه وكفتموه ، واجمعوا الناس ، وأخبروهم أن صاحب الدولة قد مات ، لقد قتلت أعين الناس ، حيثئذ تستريحان من كلام الناس ، فشكرا هذه الجنية ، واختفت ، فقاما وفعلا كل ما قالته ، ولما طلع النهار جمعا العلماء وأخبروهم أن طفلها قد مات ، فصلوا عليه ودفنوه .

ولما سمع الأمير ذلك ، قال للوزير "أسمعت ما فعل والدا هذا الغلام؟ ، حتى لا يضحك عليهما الناس ، ويقولون أن ابنتهما تحول جروا ، أعلمت أيها الوزير أن الله هداهما إلى هذه الحيلة"

تعجب الوزير وقال "أهل هذا الزمان كلما خرجت عليهم بحيلة غلبوك"

وسار الصندوق الذي وضع فيه الغلام مع التيار حتى الصباح ، وفي الضحى وصل إلى قرية صغيرة ، حيث كان يعمل أحد المزارعين ، وتصادف أن وصل هذا الصندوق عندما كان أحد المزارعين يغتسل ، فلما رأى هذا الصندوق يطفو على وجه الماء ، ذكر الله ، وكان يظن أن شخصا أغرقه النهر ، ونظر خلف الصندوق لعله يجد شخصا طافيا على سطح الماء ، فلم ير أحدا ، فقام في الحال ، وقفز في الماء ، وأخرج الصندوق ، فلما هزه أدرك أنه ثقيل ، فقال "الحمد لله"

وأخذ فأسا وفتح الصندوق ، فتسرب الماء من الشقوب ، وبكى الغلام فرمي الفأس وهم بالفرار ، وتصادف أن جاءت زوجته لترد الماء ، فقالت "ما الذي أفزعك هكذا يا كبير المزارعين؟"

فقال الزوج "تعالى ، وانظري لترى ."

فجاءت ونظرت فوجدت طفلا راقدا يبكي ، فقالت لزوجها "أين وجدت هذا الغلام" ، اقترب وصلي على الرسول ، وقص لها كيف وجدته ، وقال لها "هل هو إنس أم جن ، الله وحده يعلم"

قالت "أهكذا يكون الجن في بلدكم ، انظر إليه جيدا لتعرف ، لقد رحمننا الله وبعث إلينا بهذا المولود ، لأنه لم يشأ أن ننجب ، الأفضل أن نحمله إلى المنزل لأشرب الردة حتى يدر ثديي لبنا ، وأرضعه حتى إذا شاء الله وكبر يرحمنا"

قال الزوج "والله صدقت إنه جزء مضاعف" ، وحمل الغلام إلى المنزل وشربت الزوجة الردة حتى سال لبنها ، وأخذت تحمل الطفل ، ولما بلغ سبعة أيام ، أحضرا خروفا

وذبحاه وأطلقا عليه اسم ناصرو ، وهكذا حتى بلغ الثانية عشر فختنوه وكان كلما سألهما أحد أين وجدتما هذا الغلام يقول الزوج "ابن أخ أمه يفظمه".

واستمر الحال على ذلك حتى بلغ الطفل الخامسة عشر ، وبرع في الزراعة جدا ، وفي الوقت الذي كان يفلح عشرة خطوط كان أبوه يفلح خطا واحدا ، وإذا خرج للصيد كان كأنه شرب دواء البراعة في الصيد ، وفي الشجاعة والصبر كأن عتتر قد أنجبه ، وإذا نظر الإنسان إلى صورته التي خلقه الله عليها يعرف أنه لم يخلق جبانا ، وفي الرحمة والأدب والفصاحة إن لم تتكلم معه وتسمع حديثه لا تقل أنه نشأ في القرية.

بين المدينة والمكان الذي فيه الغلام مسيرة يومين ، ولكنها تتبع بلاد الأمير ، وذات يوم خرج الأمير الذي ظن أنه قتله يتجول في هذه البلاد ، وقاده الطريق إلى منزل المزارع ، فلما سمع صوت حاشية الأمير ، نادي ابنه وطلب منه أن يخرج ليحييه ويرى أميرهم.

فلما ركعوا وأدوا التحية نظر الأمير إلى صاحب المزرعة وقال "أين وجد الأبن ، ألم تعب من تربيته ، كان عليك أن تقنع بما أعطاك الله ، ولكن فضولك تغلب عليك ، على كل حال ولدك هذا جميل جدا" ، وانفجر الجميع في الضحك ، وانحني المزارع وقال "نصرك الله ، ليس هذا فضولا ، أنتم الذين تقولون من يرحم شخصا يرحمه الله ، أليس كذلك؟ ، أطلال الله حياتك ، وإذا لم تساعد أمثال هؤلاء ، لا تحيوننا."

قال رجال الحاشية "نعم ، أيها المزارع"

قال الأمير "أي مساعدة؟ ، كي لا نقاطعك بسرعة"

قال المزارع "نعم أطلال الله حياتك ، لقد مضي خمسة عشر عاما وهذا الغلام يعيش معي ، والذي جمعني به أنني نزلت استحم مرة في النهر ، فرأيت صندوقا صغيراً يطفو على صفحة الماء ، ويسير مع التيار ، وكنت أظن أنه متاع جرفه التيار ، فنزلت والتقطته ، لأحمله إليك ، فشعرت أنه ثقيل جدا ، وبدلاً من أن أحمل شيئاً ثقيلاً ، فتحتة لأعرف ما بداخله ، فلما فتحتة وجدت طفلاً رضيعاً يبكي ، فناديت زوجتي وعرضته عليها ، وقد عزمنا على أن نحمله إليك في هذا الوقت ولكن رأينا الأفضل أن نربيته حتى يكبر ثم نحمله إليك ، وها قد أتى بك الله إلينا لتراه بنفسك"

لما سمع الأمير ذلك تنهد ونظر إلى الوزير ونظر إلى صاحب المزرعة ، وقال "الصندوق الذي أخرجتموه منه موجود لديكم؟"

قال صاحب المزرعة "نعم ، دعني أحضره " وأسرع وأحضر الصندوق ، فلما رأى الأمير والوزير الصندوق ، تعرفا عليه وتأكدوا أن هذا الطفل هو الذي ألقى في البحر .
نظر الغلام إلى صاحب المزرعة وقال " لا ، يا أبتى أنت الذي أنجبتني ولم تجدني لقيطاً "

ابتسم الأب وهمس وقال " لا تبكٍ إني أمزح معهم "
عندما سمع الأمير صاحب المزرعة قال الغلام " أحيك الله "
قال الأب " آمين ، أطل الله حياتك ، هل تسمح لي أن احتفظ به حتى يظهر أبوه ؟ "

قال الأمير "نعم ، دعني أبعثه إلى المدينة ، ليشتروا لك قميصاً صغيراً ، هذه المساعدة التي قدمتها أسعدتني " وركع صاحب المزرعة وابنه وشكراه ، فقال رجال الحاشية " أحييك يا صاحب المزرعة ، الأمير يشكرك ، بارك الله في هذا الغلام " ، فقال الأب وباقي الناس " آمين " ونزل الأمير ، ونزل كل الناس .

ونادى الأمير الوزير واتخذاً جانباً ، وقال " هل رأيت هذا الأمر العجيب ، والأفضل الآن أن أكتب رسالة وأعطيها له ليوصلها إلى الوكيل الذي تركته ، بأن يقتله عندما يصل إليه ، ثم أرسل إلى صاحب المزرعة رسالة أخبره أن الغلام وصل أصابه مغص شديد وقضي عليه .

قال الوزير " أطل الله حياتك ، هذا كلام سليم ، لأنك إذا قتله ، سيشعر الناس ، ويلوموننا ، ولن تكون لديك فرصة للتبرير "

قال الأمير " أترى ذلك " ، وكتب رسالة وأعطاهما للغلام لينصرف ، وركب الحصان وسار أمام رجاله .

وثناء سير الغلام ضل الطريق ، واتبع طريقاً آخر قصيراً ، وإذا به في أحد المنازل داخل الغابة ، ووجد امرأة عجوزاً وحيدة في المنزل ، فسلم عليها ، فقالت " أيها الشاب من أين جئت ؟ ، اذهب لشأنك ، هنا منزل لصوص ، إذا انتظرت حتى يعودوا ويروك سيقتلونك "
وهم الغلام بالعودة ، فقال في نفسه ، إذا خرجت في هذا الليل فإلى أين أذهب ؟ ، أفضل من أن أخرج للحيوانات تفرسني ، انتظر مع إخوتي البشر فيقتلونني .

ولم يقل لهذه العجوز شيئاً ، واستند على الحائط ، وبعد قليل غلبه النعاس بالرسالة التي في يده .

وبينما كان الطفل يغط في النوم ، عاد اللصوص ، فسألوا العجوز عن الغلام النائم ، فقالت لهم كل ما تعرف ، وكان من بينهم رجل يستطيع القراءة ، فلما حديق بعينه رأى ورقة صغيرة في يد الغلام أخذها وقرأها ، فعلم أن بها أمراً يقتل هذا الغلام ، فقال لرفاقه ، فقالوا " قتل هذا الغلام الجميل ، ماذا فعل ؟ "

قال هذا الرجل " إذا دقت في هذه الرسالة والله تجد أن هذا الغلام لم يفعل شيئاً ، ألا تعلمون طبيعة هذا الأمير ، لقد سمعتم كل أخباره ، ولكن دعوني أخبر ما في الرسالة وأقول أنه ابن أمير كبير وقد حمل أمانة ، وأقول إذا وصل يؤخذ من بيت المال مبلغ كذا ويرسل معه وأن يزوجه من ابنة الأمير ، التي منع حب المال أن يتزوجها أحد وأقول له أن يقام الحفل ويتم الزواج قبل أن يعود "

عندما سمع كبيرهم ذلك انفجر ضاحكا ، وقال " والله لقد أحسنت ، أو يعود ويزوجها ثيب ، وليست عذراء "

ثم قال أحدهم " بعد أن تتم العدة ثلاثة أشهر ، تعرف أن قدرها قد نقص ، بالله عليك اسرع واكتب هذه الرسالة ، قبل أن يستيقظ ، وفي الحال قام وكتبها ، كما قال الأخير ووضعها في يد الغلام .

وبعد قليل استيقظ الغلام ، وفتح عينيه ورأى هؤلاء اللصوص يأكلون الطعام ، فقام وركع أمامهم وحياتهم واحداً واحداً ، وسألوه عن وجهته ، فقال إن الأمير قد بعته برسالة ليوصلها إلى الوكيل ، وأعطى والده ثوبا سيأخذه .

ثم ابتسم كبيرهم وقال " لعل هذا الثوب أحمر مثل الدم ؟ "

قال الغلام " والله لم أعرف لونه ، يا رئيسنا ، ولكن أعطى ثوبا أحمر ، كأنه شرطي ؟ "

وهنا قال الرجل الذي كتب الرسالة " هذا الأمير ، كما سمعت الناس يقولون حيثما يكون العدل نجده ، وربما أغدق عليك خيراً كثيراً لأنك حملت له الرسالة "

قال الغلام " هذا يعلمه الله وحده " ، وقدموا له الطعام فأكل ، وأعطوه حجرة لينام فيها ، وفي الصباح الباكر استأذن منهم ، وقصد المدينة والرسالة في يده .

وبعد ثلاثة أيام وصل ، ولم يتوقف إلا في القصر ، وسلم الوكيل الرسالة ، ففتحها وقراها ، وجمع كبار رجال المدينة وتلاها عليهم ، فسمعوها ، ودخل المنزل واستدعي ابنته وأمها وأخبرهما كل ما في الرسالة ، ولما رأيا أن الغلام جميل ، فرحا بهذا الأمر ، وفي اليوم التالي تم الزفاف وأقيمت الأفراح ، وأعد لهما منزل كبير ، وأقاماً فيه قبل أن يعود الأمير ، وغمرت الفرحة الغلام ، وعجز عن الكلام مما هو فيه من شدة الدهشة ، وكان كل ما يرجوه أن يعود الأمير ، ليعث لأبيه وأمه ليأتيا إلى المدينة ، طالما أن الله أنعم عليه بهذه السلطة .

ولما ذاع الخبر في المدينة ، تعجب الناس ، وأدرك والدا الطفل الحقيقيان أنه ابنهما ، لأن الأمير ليس له ابن ، ولا حفيد ، إلا هذه الفتاة ، وإذا كان قول هذه الجنية حقيقة ، فلا بد أن يكون ابنهما ، لأنها قالت أنه سيتزوجها ، ثم قالت الأم للزوج ، إذا كان هو إذا رآته تستطيع أن تعرفه ، لأن يوم تسميته وقع ماء مغلي على وجنته اليسرى ، وأسفل حاجبه ، حتى تسلخا وصارت موشومة ، ونذكر أن مطحن كحلي سقط على إصبعه الخنصر الأيمن حتى تقوس ، وربما لم يستقم حتى الآن ، وسأحاول إذا ذهبت لبيع سلعتي أن أراقب هذه الأشياء "

قال الزوج "والله صدقت" ولما طلع النهار أخذت إناء وخرجت تبيع الثريد ، وذهبت إلى المنزل ودخلت ، فلما وصلت إلى الممر الثاني ، وجدته وقد أحاط به كل الناس ، يتحدثون ، وانحنى وحيته ، وأمعنت النظر في كل العلامات ، فرأتها كما تعرفها ، فعادت في الحال وأخبرت زوجها ، فصمتا وأخفيا الأمر .

ولعلك تعرف أن البلاد كثيرة جدا وواسعة ، لذلك لم يكمل جولته لكل البلاد ، لذلك وتأخر عن الموعد الذي حدده سبعة عشر يوما ، ثم عاد فجأة في اليوم السابع عشر ، فلما وصل إلى القصر ما كاد يدخل حتى سأل الوكيل "هل رأيت الغلام الذي بعثته بالرسالة؟ ، وهل فعلت كل ما أمرتك به؟"

قال الوكيل "نعم، أطل الله حياتك ، وانزلتهما في القصر الصغير قبل أن تعود"

قال الأمير "لماذا حفرت ودفنت الجثة في المنزل ، ألم تحمله إلى المقابر؟ من هو؟"

قال الوكيل "أطل الله حياتك؟ ، سلامتك ، كيف تطلب أن أزوج الغلام ابنتك ، ثم تطلق عليه كلمة جثة؟"

قال الأمير "أية ابنة لى"

ظن الوكيل أنه يمزح ، فابتسم وقال "سليمة"

فلما سمع الأمير ذلك طرد الوكيل ، ودفعه من قفاه ، ودخل القصر فوجد أم الفتاة فناداها وسألها ، فقالت له كل ما قرأوه في الرسالة ، وشرحت له كل ما فهموه من الرسالة ، وله كل ما فعلوه من البداية حتى النهاية"

قال الأمير "أين الرسالة؟" ، وشاء الله ألا يمزقوها ، فلذهبت وأحضرتها له ، فلما قرأها قال لا حول ولا قوة إلا بالله ، وعجز عن الكلام ، ولبس حذاءه وخرج إلى الممر ، فلما خرج وجد شيوخ المدينة اجتمعوا كلهم ، وجاءوا يشكرونه ، بكل سرور على ما أبداه من عدالة وحب ، وكان من بينهم هذا الغلام ، وقد ارتدى ثيابا مزركشة وجلس في جانب .

قبل أن يأتي الأمير ، قابله الوزير ، جلسا يتحدثان عما قلب الأمور هكذا ، حتى فعل الوكيل ما لا يريده الأمير ، ولا يمكن إصلاحه وتحير الأمير ، ولم يدرك ما يفعل من شدة الحزن ، فقال الوزير "الأفضل أن نقول أن الزواج صحيح ، ولكن لا تقبل هذا الصداق ، الذي حدده ، وأن تطلب صداقها أن يأتي لك بشعرة واحدة من شعر العفريت ، وإلا فسد الزواج ، لأنه لا يتم الزواج إلا بالصداق ."

قال الأمير "هكذا أيها الوزير"

وقام وقصد الممر الكبير ، فقام الحاضرون وأدوا له التحية ، حتى العريس ، وأخذوا يعبرون للأمير عن السرور والشكر ، فقال "لم تنته المسألة ، إن الصداق الذي حدد للفتاة لا أرضي به ، إذا كان يحب ابنتي ، يأتي لى بشعرة واحدة من شعر العفريت ، وإذا لم يستطع يفسخ عقد الزواج ، لأنه لا زواج إلا بصداق ."

صمت الناس جميعا ، وأخذ كل منهما ينظر للآخر ، والتفتوا جميعا ونظروا للولد ، فركع وقال "أطال الله حياة الأمير ، سمعا وطاعة ، إن شاء الله سأذهب غدا ، وإن كان لي أن أعيش معها ، سأعود إليك بما تطلب ، وإذا شاء الله وكانت حياتي معها أحمدته على ذلك واشكره وأسأله أن يرحمنا كما رحمتني"

وودع الحاضرين وعاد إلى القصر ونادي الفتاة ، وأخبرها بكل ما حدث ، فأخذت تبكي لأنها أحبته حبا جما ، واستدعت أمها فحضرت ، وأخبرتها بكل ما حدث ،

وشرحت الأم لابتها ، أن كل ما يحدث من أمر قدره الله ، وليس بإرادة الأمير ، وأخبرتها بنية الأمير ، والسبب الذي دفعه إلى هذا الأمر ، من أول الكلام الذي قالته المرأة العجور أثناء الحمل في هذا الولد حتى الآن ، ويعث في الليل من يستدعي والذي هذا الغلام الحقيقيين ، وشرحت لهما كل ما حدث ، فشكراها وعادا إلى منزلهما متعجبين ، ويقولان " من كتب له أن يعيش العام القادم ، يعيش حتى لو دقت رأسه "

وقالت أم الفتاة للصبي ، " لا تجعل أمراً يضايقك ، اذهب وعد ، طالما أنك وعدت بحكم هذه البلاد إن شاء الله مستحكما " ، وأستأذنت وعادت إلى منزلها .

وطلع النهار ، وذهب الغلام ليودع الأمير ويسأله المغفرة ، وعاد وودع زوجته ، واستعد واتخذ طريقه وسار وتركها تبكي ، وتوغل في الغابة .

وبعد ثلاثة أيام وصل إلى منزل العفريت ، داخل غابة مظلمة فوق ربوة عالية ، فوجد العفريت قد خرج يقتنص بعض البشر ، ولا يوجد سوي امرأة عجور أمسكها واختفظ بها لتطهى له الطعام ، فدخل وسلم عليها ، فقالت " أيها الشاب ماذا جاء بك إلى هنا؟ ما الذي أضلك حتى جئت إلى مهلكك ؟ ، ألا تعرف أن هذا المنزل منزل عفريت ؟ ، أقبل مسرعا لأدلك على الطريق ، واهرب قبل أن يأتي "

قال الغلام " كيف أهرب ، يا أمي ، لقد جئت إليك ، لتساعديني ، أو أموت لأرتاح " وقص لها كل أخباره ، من البداية حتى النهاية .

قالت العجور " طالما أن الأمر كذلك ، سأساعدك " ، وأدخلته في صندوق كبير وأغلقت عليه ، ووضعت أسفل سريرها وأخفته ، وأمرته ألا يكح ، وإذا كح هلك ، وأخفته ، وبعد قليل سمع العفريت قادما يغني ، ويقول " أكل الإنسان وأشرب دمه ، أنا العفريت بن العفريته ، " فلما دخل الحجرة وشم الهواء ، قال " أشم رائحة آدمي "

قالت المرأة العجور " ألسن آدمية؟ ، وهؤلاء الذين اقتنصتهم من أين؟ ، أليسوا آدميين؟ "

والقي الآدميين الذين كسر عظامهم على الأرض ، وأمر العجور بأن تشوي له ثلاثة منهم ليأكلهم ، والباقي يحتفظ بهم حتى الصباح ، ليفطر بهم قبل أن يخرج .

وعندما أقبل الليل صعد فوق السرير لينام ، فقالت المرأة العجور " أطال الله حياتك ،

اريد أن أبقى هنا بجوار سريرك ، وأنام هنا ، الليل كله ، لأنني أري بعض الأحلام التي تزعجني "

قال العفريت " وهو كذلك، اصعدي " فصعدت ونامت فوق السرير .

وبعد قليل أثناء النوم ، سمعته يغط في نوم عميق ، فأخذت شعرة من رأسه وجذبتها ، فحلق بعينه ، وقال " لماذا توقظيتني؟ "

قالت : " رأيت رجلا الآن في المنام يسألني ، إن لم أقل له ماذا يفعل الإنسان ليتخلص من شر الملوك ومكرهم سيقتلني "

قال العفريت " إذا رأيت المنام مرة أخرى فقل لي " لو وجد شعرة واحدة من رأسي ينجو سواء في السماء أو الأرض ، فما بالك لو أمسك سيفاً واحداً من السيوف الأحد عشر التي ورثتها "

قالت العجور " الأحد عشر أم العشرة؟ "

ثم رقد مرة أخرى وأخذ يغط في نوم عميق ، فلما أدركت أنه استغرق في النوم جذبت الشعرة الثانية ، فهب مستيقظاً وقال " إذا أيقظتني مرة أخرى سأكلك "

قالت العجور " يا ابن العفريته إذا قتلتني مع من تعيش؟ ، ولقد رأيت مناما آخر ، لا بد أن أقول له ماذا يفعل الإنسان إذا أصبح أميراً ، حتى يسيطر على مملكته ، ويلازموه كالسروال . "

قال العفريت " هذا أهون أمر ، إذا خلط براري مع برار أسد ، واستحم به حتى لو أراد أن يقتلني سيقتلني ، ولكن لا تخبري أحداً بذلك . "

فقالت " ويحك ، من الذي أراه حتى أخبره بذلك؟ "

فلما حصلت على هذه الشعرات الثلاث من رأسه وهو نائم ، تسللت وأخرجت الصندوق الذي بداخله الولد وفتحته ، فخرج وحياتها وشكرها ، فأعطته الشعرات الثلاث، وسرقت أحد سيوفه وقدمته إليه ، وأمدته بمزيد من المساعدات التي حصلت عليها من العفريت .

وأعطته برار العفريت ، وقالت له إن شاء الله ، ستتولى العرش ، فوعدها أن يأتي ويقتل العفريت وينقذها ، وودعها وخرج ، ولما أقبل الليل عليه ، صعد فوق شجرة ونام، وهكذا حتى وصل إلى المدينة .

وقصد القصر فوجد الحاشية مجتمعة فحياهم ، وسلم الأمير شعرة واحدة ، وأخفي الباقي ، فلما رأى الأمير الولد بالشعرة ، نظر إلى الوزير ، وتعجب كل رجال الحاشية ، وغضب الأمير غضبا شديدا ، وقام ودخل القصر غاضبا ، واستدعي الوزير ، وتشاجر معه وأخذ يقول له "ها هي نصيحتك الفاسدة ، لقد رأيت قتله في الحال ، فقلت نعطيه رسالة ، رجل منافق"

غضب الوزير وهب قائما وقال "أنت عجوز مخرف ، ولست أنا الظالم تريد معارضة حكم الله ، كافر"

قال الأمير "أنا تقول لى كافر؟" ، ثم قام وأمسك الوزير وألقاه على الأرض ، فقام الوزير وتلفت فرأى فأسا ، فأخذها وضرب الأمير على رأسه فشقتها ، فلما شعر الأمير بالألم جذب الفأس وضرب بها الوزير حتى شجعت رأسه ، وسقطا ميتين ، دون أن يشعر أحد ، وظن الناس أنهما يتشاوران.

وقرب العصر ، عندما شعروا أنهما تأخرا ، أطل أحد الخدم في الحجرة ، فرأهما ميتين ، فتراجع صارخا ، وأخبر الناس ، عم الصراخ القصر ، ولكن عم السرور المدينة ، لأنهم كانوا في ضيق منهما ، وقبل المغرب كان قد تم دفنهما ، وأخذ الناس يفكرون فيما حدث ، فشرحت لهم أم الفتاة كيف حدث الأمر من بداية الحمل في هذا الغلام حتى الآن ، واستدعى كبير المزرعة ، وسأله ، فقص لهم كيف وجد هذا الطفل ، وشهدت النسوة في المدينة بكل ما قلته على أمه على حافة البئر ، وشرح الخادم كيف سرق المولود وكيف وضع مكانه جروا صغيرا.

فلما رأى الناس أن الأمر تحقق قالوا "لا تجادل في حكم الله" ، وبعد شهر ولى الصبي السلطة فعين صاحب المزرعة وزيرا ، وبنى لوالديه قصرا كبيرا وأنزلهما فيه ، ولما علم أن هؤلاء اللصوص بدلوا الرسالة ، بعث من يستدعيهم ، وولاهم السلطة ، وطلب منهم ترك السرقة .

وعاشوا حياتهم يفعلون ما يريدون ، وبعد حوالى شهر خرج وحده فقط وقتل العفريت وعاد بالعجور إلى المدينة ، في دهشة من الجميع ، وأخذت الجنية التي قالت أنه سيكون أميراً تأتي إليه كل ليلة تساعد ، إذا أصابه مكروه ، وكان كلما دار الحديث يضحك الأمير مع الوزير لأن زوجة الوزير تقص له قصة زوجها عندما جري ، بعد أن

فتح الصندوق وسحبه من الماء ، وتقول أنها أرجعته بصعوبة ، وجعلته يحمل الأمير إلى المنزل.

عندما انتهى الوزير من هذه القصة ، قال فصيح "إن هذه القصة جميلة" ، دخل الوزير المنزل لينام ، ولما جاء فصيح ، قال له الوزير "أريد أن تفكر في القصة التي سنقولها غدا ، يبدو أنك سترثني" ، قال فصيح "أحيانا الله" قال الوزير "نستمر اليوم في تقديم التحذير الحادي عشر"

من قدر له أن يضرب لا ينفعه التحذير

ذات يوم كان سعيد أمير المسلمين جالسا بين حاشيته ، ويحيط به كل الناس ، يتحدثون في أخبار الدنيا ، فوصل وزيره وحياءه ، وأدرك ان الأمير يشعر بالمرح في هذا اليوم ، وعندما هم بالخروج رأى تاجرا جاثلا على باب القصر ، يبيع سلعته فلما حيا الأمير قال " ها تاجر جاثل على باب القصر ، لديه سلع مختلفة ، لعلنا نشترى شيئا للأطفال "

قال الأمير " ناده " ، فاستدعاه فدخل رجل قصير وسمين ، لا يرتدى شيئا سوى الخرق البالية ، ممسكا بطاسة في يده ، حيث سلعته سلعة الجاثل ، فأخرج للأمير السلع التي يبيعها ، ووضعها على الأرض ، فاشتري الأمير لأطفاله بنادق صغيرة للعب ، واشتري لأبناء الوزير أحذية صغيرة ، ثم رأى شيئا يلعب تبقى في السلة ، فقال له " وما هذا ؟ "

أخرج التاجر طاسة صغيرة حمراء من الحديد ، وقدمها للأمير ، وقال " لا أعرف ماهذه وما فيها ، توجد علبة صغيرة ، وبها شئ ناعم كالنشوق ، ومغلق بورقة ، أحضرها لى شخص من سوق مكة ، وقدمها إلى ، أحفظ بها لجمال الإناء فقط ، أطال الله حياتك ، إذا أردتها أبيعها لك بأى ثمن "

دفع الأمير ثمنها وطلب من التاجر أن يقرأ ما كتب عليها ، فقال " لا أعرف القراءة " فطلب الأمير من كاتبه فعجز هو الآخر عن فهم معنى الكتابة ، وكذلك عجز كل رجال الحاشية .

قال الوزير " أطال الله حياتك ، يوجد أحد العلماء هنا بالقرب من المسجد ، لاستعصى عليه أية لغة ، حتى أطلق عليه الناس أستاذ العلم ، هل نستدعيه لنعرف ؟ " ، قال الأمير " استدعه " .

فلما جاء قال " سمعت أنهم يطلقون عليك أستاذ العلم ، إن لم يكن ذلك كذبا اقرأ لى ما فى هذه الورقة ، إذا فهمت معناها سأعطيك كل ما تريد ، وإذا أخفقت سأجلدك اثنتى عشرة جلدة بالسوط "

أخذ العالم الورقة ، ونظر فيها ، وقال " إنها تقول ، كل من يجد هذا الدواء ، يشكر الله ، فكلما أراد الإنسان أن يحول نفسه حيوانا يشمه ويتجه إلى جهة الشرق " ويقول " موتابو " فيرى نفسه قد تحول إلى هذه الدابة ، وإذا أراد أن يعود إنسانا يتجه إلى جهة الشرق ، ويسجد ثلاث سجديات ، ويقول " موتابو " وفي الحال يعود كما كان ، ولكن عندما يتحول الإنسان إلى دابة عليه ألا يضحك ، فإذا ضحك فلن يعود إنسانا مرة أخرى إلى الأبد .

ضحك الأمير ، وقدم لهذا العالم هدايا كثيرة ، وكذلك التاجر ، وصرف الناس ، وبعد أن خرجا نادى الوزير وقال له " إذا كان هذا الأمر كذلك فنحن سعداء ، إنه أمر مسلي ، إذا كنا سنسمع كلام الحيوانات ، وأن نحول أنفسنا إلى دواب " .

قال الوزير " حقا ، ولكنى أخاف "

قال الأمير " ويحك ، ليس في الأمر شيء ، غدا في الصباح ، أحضر لنذهب إلى الغابة ونجرب "

قال الوزير " وهو كذلك "

وفي الصباح جاء الوزير ، وخرجنا خلصة ، والعلبة الصغيرة في جعبة الأمير ، ودخلا مزرعة الأمير ، وتوجها خارج المدينة ، فلم يعجبهم المكان ، إذا تحولوا ، فتوغلا في الغابة حتى وصلا إلى بحيرة ، حيث يتجمع كثير من الطيور ، فشاهدا البجعة تمشي ، تبحث عن الضفادع ، وتسير ببطء ، وكأنها رجل عجوز ، وهم على هذه الحال نزلت واحدة وقصدت مكان الأخرى ، وبدا كأنهما يتحدثان مع بعضهما .

فلما رأيا ذلك ، قال الوزير " انظر إلى هؤلاء ، إنهما يتحدثان مع بعضهما ، كيف لو صرنا مثلهما ، أنذهب لنعرف ما يقولان ؟ "

قال الأمير " وهو كذلك ، انتظر لنشم "

قال الوزير " لا ، علينا أن نتذكر كيف نعيد أنفسنا بشرا بعد ذلك حتى لا نندم "

قال الأمير " ويحك ، ألا نستطيع أن نقول " موتابو " فنعود إلى هياتنا ؟ ، ولكن بالله عليك لا تضحك . "

قال الوزير " أخشى أن تضحك أنت ، لأنك تضحك على كل شيء . "

قال الأمير " ويحك أيها الوزير ، هل أنت تفوقنى صرامة ؟ ، فلنشم ثم نرى "
وشم الأمير النشوق ، وسلمه للوزير ، فشم هو الآخر ، واتجها جهة الشرق ، وقال
" موباتو "

وفى الحال تحولت أقدامهما وصارت أيديهما أجنحة ، وصارت لحيتهما لغدا ،
وتحولت ثيابهم ريشا .

نظر الأمير إلى الوزير وقال " ألا ترى كم صرت جميلا ، والله إنك تفوقنى جمالا
فى هذه الهيئة ، كما هو الحال وأنت بشر "

نظر الأمير إلى الوزير مرة أخرى وقال " هيا نذهب إلى إخواننا هناك لنسمع حديثهما "

وعندما وصلا سمعا واحدة تقول للآخرى " صباح الخير يا طويلة الساقين "

فردت الأخرى عليها وقالت " صباح الخير يا طويلة العنق "

قالت الأولى " لقد تأخرت اليوم ، هاهي الضفادع الصغيرة التى تركتها ، هل
تبدئين بها ؟ "

فأجابتها قائلة " والله لقد شبعت ، لم آت من أجل الصيد ، لقد جئت لأجرب ،
هل سأستطيع الرقص جيدا ، لأنى مدعوة اليوم إلى عرس ، وقال أبى إننى سأرقص
لبعضهم ليرونى " ، ثم أخذت ترقص ، وتمايل وترفع قدما ، وتدور وترجع للخلف .

وعندما رآيا ذلك ، لم يعرف الأمير والوزير كيف انفجرا فى الضحك ، وقال الأمير
" هذا شئ مضحك ، ولكن يا خسارة لقد فرقهما ضحكنا ، ولولا ذلك ، لاستمرا فى
الرقص وربما سمعنا بعض غنائهم . "

وهنا تذكر الوزير أنه لا ينبغي الضحك ، فنظر إلى الأمير وقال " سبحان الله ،
أطال الله حياتك ، ألا تعرف أننا إذا ضحكنا لا نعود مرة أخرى بشرا ، ها نحن قد
ضحكنا ، فما العمل ؟ "

قال الأمير " ويحك ، هل الأمر أكثر من أن نتجه جهة الشرق ونقول " مو-مو-
مو " ويحك هل رأيت كيف تحير الإنسان هذه الكلمة البسيطة . مو-مو-مو ، أيها الوزير
أليس عندك عقل ، اسكت ، ألا تتذكر ، هاهو أنت لقد بدأت تضحك . "

قال الوزير " والله لست أنا الذى بدأ الضحك ، لقد سعلت فقط ، فانفجرت أنت ضاحكا "

قال الوزير " والله لست أنا الذى بدأ الضحك ، لقد سعلت فقط ، أنت الذى انفجرت فى الضحك "

والتفتا جهة الشرق وأخذا ينقران الأرض ويحاولان نطق الكلمة ، حتى تعبنا وجرحا منقارهما ، دون أن يتذكرا ، وظلا على هذه الحال ، دون أن يتذكرا ويجدا الفرصة للعودة بشرا ، ونسيا الكلمة ، ولا توجد فرصة للعودة إلى المدينة بهذه الصفة ، ويقولان أنهما الرؤساء ، وإذا عادا وقال أنهما الأمراء من سيصدق هذا ؟ ، ومن يستطيع أن يقول أن أمراءهم هى هذه الطيور ؟ ، وأخذا يتجولان داخل الغابة ، ويأكلان ثمار الأشجار ، وينامان داخل الكهوف .

وفى اليوم الثالث طارا وقصدا المدينة ، وصعدا فوق سطح قصر الأمير ، حتى يسمعا ما يدور ، فأدركا أن الكل حزين ، ويقولون " لقد خطف الجن الأمير "

وبعد عشرة أيام ، عادا مرة أخرى ، فشاهدا فرحا كبيرا لقد عين أمير جديد ، والجنود يتبعونه ويقولون له " فى خطواتك السلامة ، حمزة بن بوايه "

عندما سمع الأمير سعيد ذلك غضب وأدرك أن كبير السحرة ، عدوه اللدود ، قد بعث إليه فى الخفاء بسحر ، وزعم أنه دواء للتحول ، لأن ابنه هو الأمير الجديد الذى تولى الحكم ، فأخبر الوزير بذلك ، ثم قال لا بأس ، الأفضل أن نزرر قبر أفضل الخلق بالمدينة المنورة ، وندعو الله أن يعيدنا بشرا كما كنا ، وطارا قاصدين الرسول .

وبعد أن طارا حوالي ساعتين ، قال الوزير للأمير " لقد تعبنا ، لعلك تعرف أنني لم أنعود الطيران ، وقد طرنا لمدة يومين ، وقد دخل علينا الليل . "

فهبطا ، فرأيا خرابه لبيت كبير متهدم ، وسط الغابة وليس فيه بشر ، فدخلا لعلهما يجدان مخبأ فيه فيختبآن ، وأثناء تجولهما فى المنزل ، سمعا شيئا يتنفس ، فى إحدى الحارات ، فوقفا يسمعان ، فقال الوزير " هل سمعت هذا التنفس ، أطل الله حياتك ؟ ، أخشى ان يكون عفريتا "

قال الأمير " ويحك أيها الوزير العجور ، أمثلك يقول أنه خائف من العفريت ! ،

وماذا يفعل العفريت مع البجعة ؟ ، هيا ندخل ونرى ، وذهب الوزير إلى مصدر النفس ، ليرى ماهو ، فجذبه الوزير بمنقاره حتى اقتلع شعره ، ليمنعه من التضحية بنفسه ، فرفض الأمير التراجع ، ودخل ، وأطل من إحدى النوافذ المغلقة والتي يخرج منها الصوت ، فمد منقاره وفتح ، فإذا بإحدى البوم تجلس ، وأدرك أنها هي التي تصدر الصوت .

وهنا تبعه الوزير ، فلما رأتهاما بكى ، ونظرت إليهما ، وقالت " مرحبا أيتها البجعة ، ربما أنجو بمساعدتكما ، لأنه سبق أن نبث ، سأسعد بوجود البجعة "

تعجب الأمير عندما سمع كلام البومة ، ثم قال " يا خسارة ، إذا كان علينا لا تظنى أنك ستنجين ، لو علمت قصتنا ستعرفين أننا مثلك نبحث عن النجاة "

فطلبت البومة من الأمير أن يقص لها قصتهما ، فقص عليها كل ما حدث لهما ، حتى دخولهما هذا المنزل ، فلما سمعت قصتهما ، قالت " حقا إنكما فى حزن شديد ولكن إذا سمعتما قصتي ، لعرفتما أن حزنا متقارب ، إننى ابنة أمير الشرق ، اسمى نريلا ، كبير السحرة هذا الذى سحركما هو الذى سحرنى هكذا والسبب فى ذلك أنه جاء يوما إلى أبى ، وطلبنى زوجة لابنه حمزة ، فرفض أبى ، ولشدة غضبه أمر الشرطة تطرده طرد الكلاب ، فلما رأى أن أبى احتقره هكذا ، تحول ذات يوم إلى قطة ، ودخل قصر الأمير ، ووصل إلى حجرتي ، فوجدني نائمة ، فمسح على بدواء ، فتحولت هكذا ، وأخذني بفيه حتى جاء بى إلى هنا ، وقبل أن يمضى قال " أبقى هنا ، ابنة فاسدة ، كما احتقرني أبوك ستبقين هنا للأبد شيئا حقيرا ، مع الحيوانات ولن تجدي وسيلة للخلاص ، إلا إذا جاء رجل وراك فى هذه الصفة وطلبك للزواج . "

نظر الأمير للوزير وقال " هكذا اتضح الأمر ، وأمرنا سواء ، وربما طريق نجاتنا واحد ، الله وحده يعلم . "

نظرت إليهما البومة وقالت " محتمل أن يكون واحدا ، لأننى اعرف الطريق الذى ربما يساعدنا "

قال الأمير " أى طريق ؟ "

قالت " أعرف المكان الذى يسمر فيه السحرة مع إخوتهم كل يوم ، ويتحدثون عن كل الأعمال السيئة التى فعلوها ، فإذا دلتكما على الممر تسللا واختبأ ، فربما تسمعانهما فى الحديث ينطقون الكلمة التى تنسونها "

فلما قالت ذلك ، قال الأمير " بالله عليك ، لأجل النبی ، قولى لنا الوقت الذى يجتمعون فيه " ، سكنت البومة ، وبعد قليل قالت " سأقول لكما ، على أن تعداني بأمر واحد " فهب الأمير قائلاً " قولى ، والله مهما تقولين سأفعل . " قالت " يعدني واحد منكما أن يتزوجني ، لأنجو أنا كذلك " فجذب الأمير الوزير ، واتخذها جانباً ، يتشاوران ، ثم قال الأمير " أزوجكها " قال الوزير " كيف أتزوج ابنة أمير ، إنى لا أقوى على ذلك وأنت موجود " قال الأمير " لا شئ ، لابد أن تتزوجها " قال الوزير " لا ، إنى عجز ، ماذا سأفعل مع فتاة جميلة كهذه ؟ ، لا تناسب أحد سواك ، وأنت شاب صغير مثلها . " قال الأمير " هذا ما كنت أشك فيه ، من الذى يعرف الأمر الخفى ، إلا أن يقوم بالمغامرة ، وعليك أن تفعل ذلك ، لأنك لا تعبأ بشيء الآن " قال الوزير " أنا لا أهرب من قبورها ، لأننى متزوج ابنتك ، وإذا جمعتهم معا لن يعيشا فى سلام " حاول الأمير كثيراً معه ، ولكنه رفض ، وفضل أن يبقى بهذه الصفة طول حياته عن أن يتزوج هذه البومة ، ثم سكت ، ودخل الحجرة ، وقال " وهو كذلك ، أنا الذى سأزوجك ، إذا ساعدتنا على ان نعرف هذه الكلمة . " قالت " أنتما سعيدا الحظ ، إن اليوم موعد لقائهما ، فهيا أوصلكما إلى الممر " ، وطارت بهما كثيراً حتى وصلوا إلى إحدى الحارات ، وأطلوا من النافذة ، فوجدوا مصباحاً فى أحد الممرات ، ويحيط به الناس جميعاً ، وقد لاحظ الأمير أن فيهم العطار الذى باع لهم الدواء المسحوق ، وبينما هما فى المخبأ سمعوا كل واحد منهم يتكلم عن الأمور التى عملها ، وسمع أحدهم يقول لكبير السحرة " أية كلمة كتبتها لأمير المسلمين ، وقلت إذا نطقها سيرجع إنساناً ؟ " قال الساحر " كلمة صعبة وهى " موتابو " ، والآن مهما بقى لايهمنى ، ربما أكلهم الآن أحد الوحوش "

فلما سمعوا هذه الكلمة عادا إلى حيث تكون البومة ، واتجها جهة الشرق وسجدا ثلاث مرات وقالوا "موتابو" ، وبمجرد نطقهما بهذه الكلمة ، تغيرت طبيعتهما ، وعادا بشرا كما كانا ، وبعد أن انتهىا شكرا البومة ، لمساعدتها لهما ، وعانقا بعضهما من فرط السرور .

قالت البومة " لا مجال للشكر ، أين وعدنا ؟ "

نظر الأمير إلى الوزير وقال لها الوزير " لعلك تعرفين أن الأمير لا يخلف وعده "

فلما سمع الأمير ذلك قال " حقا يا وزير ، اعقد لنا القران "

دعا الوزير ، ومسحا وجهيهما ، وبمجرد المسح رأيا البومة قد تحولت إلى فتاة لامثيل لجمالها في كل الدنيا ، فتراجع الأمير إلى الوراء وقال " أنت انس أم جان "

فقالت " زوجتك البومة "

فنظر إليها من أسفل إلى أعلى ، وتنهد ، وقال " تبارك الله الملك الذى خلق الجن والإنس ، إن تحولنا إلى بجمع أراد الله لنا به خيرا " ، وعانقا بعضهما من شدة السرور .

ونظر الأمير فى جيب ثوبه ، فوجد علبة الدواء ، فاتخذ الثلاثة السبيل ، وساروا أياما حتى وصلوا المدينة ، ودخلوا القصر ، فوجدوا حمزة على العرش ، فلما رأى الناس عدل أميرهم قد عاد ، عمت الفرحة المدينة ، وأخرجوا حمزة ابن كبير السحرة ، وأعادوا أميرهم ووزيره ، فقد ضايقهم حمزة وأبوه .

ولما اعتلى الأمير العرش ، جمع كبار المدينة وقص لهم كل شئ ، ثم قال " أيها الناس ، ماذا تظنون جزاء هذا الساحر الآن "

فلما سمعوا ذلك ، قالوا لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقالوا " ليس أفضل من أن يقتل شر قتلة ، هو وابنه " ، فأمر الأمير بربطهما ، وأخذ الساحر إلى السوق حيث طعن بالسيف ، ثم أمر أن يأتوا بـحمزة ، وقال " اختر ما تفضله ، أن اقتلك ، أم تشم هذا الدواء "

قال " أشمه "

فقدم إليه الأمير الدواء فشمه ، وقال له قل " موتابو "

فقال حمزة " موتابو " وفى الحال تحول إلى بجعة فأمر الأمير بأخذه وصنع له قفصاً كبيراً ، ووضع فيه على باب القصر ليراه الجميع .

وأخذ الأمير والأميرة والوزير يتمتعون بحياتهم ، وإذا أراد الأمير أن يمزح قام وأخذ يقلد الوزير عندما كان بجعة ، وأخذ يمد عنقه ويمشى خطوة خطوة ، ويمد يديه ويحركهما ، كما كان يفعل الوزير إذا رأى ضفدعة ، أو يركع ويمد عنقه ، وينقر بمنقاره فى الأرض ، ويقول " مو - مو - مو - "

أى كما كان يفعل الوزير عندما كان يريد أن يتذكر الكلمة ، فينفجر الجميع فى الضحك ، وكان الوزير إذا أراد أن يتركه الأمير ، يقول " أقول لزيلا ما كنا نتشاور فيمن سيتزوجها . "

فتركه الأمير حتى لا يكشف سره . انفجر فصيح فى الضحك ، وقال " كل القصص التى سمعتها ، لم أسمع أبدا ما تفوق هذه القصة جمالا " ، ثم طار وانصرف . وعندما طلع النهار ، لم يذهب فصيح طول النهار خارج القصر ليضيع وقته عبثا ، ولكن مكث فى المنزل يفكر فى القصة التى يقدمها ، فيسر الوزير منها ، وبعد قليل عندما رأى أن الظهر قد اقترب ، طار وقصد منزل الوزير ، ودخل ، وحياة .

فرد الوزير وقال " هل مستعد لتقديم القصة "

قال فصيح " نعم "

قال الوزير وهو كذلك " ابدأ بسم الله "

بدأ فصيح قصة " سوسو سو ، وشا شا شا "

قال الوزير " يا ابن الحرام ، هل سمعت مرة أن رجلا يسمى بهذا الاسم ؟ "

قال فصيح " نصرك الله ، إنها قصة ، وأنت قلت أى اسم أراه مناسبا أذكره ، وانتظر لتسمع كيف اخترعت هذا الاسم . "

قصة سوسو وشاسا

كان يعيش فى إحدى القرى صديقان ، أحدهما كان يسمى سوسو ، والآخر شاسا ، وكان لكل منهما زوجة ، وكان الرجلان يحبان بعضهما ، ولكن الزوجتان كانتا دائما فى شجار كالكلاب ، وكان شئ واحد فقط يسبب هذا الشجار ، كانت كل امرأة تظن زوجها يفوق زوج الأخرى غباء .

وذات يوم قالت امرأة سوسو لزوجته شاسا ، انتظري لتسمعي ماذا يفعل زوجي ، فأنت كل يوم تثيرين معي خلافا بلا فائدة ، انتظري ، ذات يوم وجدته يصنع ثريدا ليقدمه للرضيع ليشر به عندما سمعه يبكي ، ولولا أن الله أحضرني بسرعة لحدث أمر سيئ ، ومع أنه صب جزءاً من الثريد فى فمه وبدأ يتسلخ ، ولكن استمر ، وأخذ يضع له الثريد يظن أنه لم يشبع .

قالت زوجة شاسا ، " نعم ، لابد أن زوجك لديه بعض الغباء مثل زوجي ، ولكن إذا سمعت كيف أعاني من زوجي تتعجيين ، اسمعي ما حدث ، ذات يوم طلبت منه أن يشتري لنا كسافا فذهب وأحضر لنا نباتا ساما ، وطلب أن نطهيه ، سيكون له طعم لذيذ ، اسمعي أيضا فذهب وجاء بنبات سام وقال جربى هذا سيكون لذيذا ، وفى مثل هذا اليوم من الأسبوع الماضي ، طلبت منه أن يبيع لنا خروفا ، وكان أقل ما يمكن بيعه به ثمانية شلنات ، ولكن عندما ذهب وثمان بشلن ونصف ، قبل المبلغ ووضع فى جعبته ، واشترى لنا تسعة عشر صاعا من الحبوب ، انتظري غيباه لأنه كان بإمكانه شراء أكثر من هذا بكثير بما معه من المال .

قالت الزوجة سوسو " لست أرى غباء فى هذا ، الأفضل أن نجرب من هو الأكثر غباء فيهما .

كان لدى سوسو منسج ، وكانت زوجته تجيد النسج ، لذلك عندما دخلت المنزل قصدت المنسج فوجدت زوجها قد قطع الخيوط التى ربطها أول أمس ، ولا توجد خيوط فى النول ، وهو ما كانت تريده الزوجة ، فهيات المنسج وجلست عليه ، وأخذت تحرك المكوك كأنها تنسج ، وبعد ذلك جاء زوجها ، فاجتهدت فى النسج ولم ترفع رأسها إليه .

فلما دخل الزوج ورآها قد نشطت فى النسج ، ولكن لم ير خيطا ولا أثر له ، فوقف على رأسها صامتا فاغرا فاه من الدهشة يرى قلرة الله ، وبعد قليل ذلك عينيه وفتحهما ، ونظر إلى المنسج فلم ير أثرا للخيط .

فقال للزوجة " هل جننت ، تجتهدين هكذا فى نسج الهواء ، ولا أرى خيطا ؟

قالت الزوجة " لا يوجد خيط؟ ، هل مسك الجن ؟ ، هاهو الخيط قد اشتريته لا صنع لك ثوبا ، لن ترى مثله أبدا ، فتقول لا يوجد خيط على المنسج ، أنت الذى لا تهتم بذلك ، وإلا لرأيت لأن الخيط عمتار ، وهو السبب الذى جعل الأغبياء من الناس لا يستطيعون رؤيته بسهولة إلا إذا أمعنوا النظر .

فتح الزوج عينيه فلم ير شيئا ، فقال " إنني سعيد الحظ بزواجتي الحكيمة ، بالله لولا أنك قلت لى لقلت انه لا يوجد خيط فى المنسج ، ولكن بعد أن أخبرتني الآن ، بدأت أرى أثر الخيط ، تنسجين شيئا فشيئا .

ابتسمت الزوجة ، وكاد يغلبها الضحك ، فأخفته ، وقامت بعد قليل وأخذت سكيناً وكأنها تقطع خيطا بعد أن انتهت من النسج ، ولم يتبق إلا الحياكة ، فأخذت خيطا وإبرة وأخذت تخيط الهواء ، فجاء الزوج وركع أمامها ، وفغرفاه يتعجب ، وبعد فترة قالت أنها تشعر بالنوم ، ستركه حتى تتم الحياكة فى الصباح وتقدمه إليه .

ذهب الزوج إلى الفراش وهو مسرور ، يتعجل طلوع الفجر ليرتدى هذا الذى لا يمكن أن يرى أحد من الناس أجمل منه . وعندما طلع النهار أخذت الزوجة المقص وأخذت تقص الهواء ، ثم وضعت المقص وأمسكت الإبرة وعملت كأنها تخيط شيئا دون أن يكون شئ فى يدها ، وزوجها راكم يراقبها .

وبعد قليل وضعت الزوجة الإبرة ، وقالت " لقد انتهيت " ، ونظرت إلى الزوج وقالت " هيا نجرب " ، فخلع ثوبه وسرواله ، ولم يبق على جسده سوى السترة ، وقامت دون أن يكون فى يدها شئ ، وقالت إنها تحمل الثوب ولكن لجودته لا يستطيع أن يراه ، وادعت أنها ستلبسه الثوب ، وقد وقف زوجها فاغرا فاه من الدهشة .

ولما قالت زوجته إنها ألبسته ، نظر إلى أكتافه فلم ير شيئا قد لبسه ، فقال " والله إننى أحس كأن لا شئ على جسمي " فقالت الزوجة " لقد قلت لك لأن الخيوط جيدة ، لذلك لا ترى شيئا ، ومثل هذا الثوب لا مثيل لجماله فى وقت الحر . "

فحاول الزوج أن يمسكه ، فرأى أنه لا يمسك إلا جلده ، فقال " طالما أنك قلت أنه جيد ، لابد أن يكون كذلك ، دعك من جماله الآن ، إنني أعلم أنني لو دخلت به المدينة لن يكون أحد أكثر منى جمالا وزينة ، لأن الأمير نفسه لا يرتدى أحسن من هذا . "

قالت الزوجة " دعني أنادى زوجة شاشا ، لتسمع ماذا تقول " ، وذهبت إليها وقصت لها كل ما حدث ، فأخذا يضحكان وطلبت منها أن تأتي لتراه .

فلما جاءت زوجة شاشا ورات سوسو تعجبت وقالت " بالله عليك يا أختي، أين وجدت هذا الخيط حتى صنعت لزوجك ثوبا منه ؟ ، سأحاول شراء مثله مهما كان الثمن ، لأصنع منه ثوبا لزوجي "

فلما سمع سوسو ذلك ، قال لزوجته ، " لا تقولي لها ، إيهما لا يحبون أن يريا زوجة أحد اشترت شيئا للعرض إلا وجاءا بمثله ، لا تقولي لها "

خرجت زوجة شاشا مسرعة وكأنها غاضبة ، لأنها رفضت أن تقول لها ، فاتبعتها زوجة سوسو وكأنها تهدئ من غضبها ، وسوسو يقول لها ، " اتركيها تذهب إلى الجحيم وتموت بسببنا ، هل زوجها يرتدى مثل هذا الثوب " .

ولما أعطيا ظهريهما لسوسو ، قالت زوجة شاشا ، " بعد قليل تعالى لتري صاحبي " ، وعادت الزوجة فقال سوسو " يجب أن نريه للناس ، حتى يعرفوا أن الله لم يعط أحدا من الناس الحكمة مثلك "

فقالت الزوجة " هذا رأيك ؟ ، أنا لا أضيع المال الذي أنفقته من أجلك سدي . "

بينما كانت زوجة سوسو تعاني في صناعة الثوب لزوجها ، كانت زوجة شاشا مع زوجها ، فلما دخل المنزل قامت وفي فمها بعض البصل الذي كانت تأكله خفية والدمع ينساب من عينيها ، ونظرت إلى شاشا وهي مذعورة ، والدمع يسيل من عينيها .

فلما رأى شاشا أنها تحديق فيه هكذا وكأنها حزينة ، وقف ونظر إليها وقال " ما الذي حدث وأثار غضبك هكذا حتى سال الدمع من عينيك وتحديقين في وجهي وتبكين ؟ "

قالت الزوجة " اذهب بسرعة واسترح إنك مريض . "

رأى شاشا أن صحته جيدة ، ولكن زوجته تخبره أنه مريض ، لذلك قال " إن زوجتي لا تكذب ، ربما إنني مريض وصحتي ليست جيدة ، ولا أدرك ذلك " ، وتوجه إلى السرير وورقد وهو ينهج .

ولكثرة التفكير والتعجب لم تغمض له عين حتى طلع الفجر ، وإذا أراد أن يبول أحضرت له زوجته إناء صغيرا من الفخار تبول فيه ، مع أن صحته جيدة ، وكان إذا أخذت سوطا وضربته به أو إذا جرى من الصباح وحتى الظهر لا يتعب ، ولكن عندما قالت له زوجته أنه مريض تمدد فوق السرير ، دون حركه ، وأخذ الناس يأتون لعيادته وهو ينهج ويرد بصعوبة .

فلما رأى أنه رقد في السرير منذ ظهر أمس وقد طلع النهار قال لزوجته " هل أنا مارلت مريضا حتى الآن ولم أشف ؟ "

قالت الزوجة " أين الشفاء ، إنك تزداد سوءاً . "

قال شاشا " بالله عليك قولي لى ماذا يؤلني فى جسمي؟ ، أنا لا أعرف "

قالت الزوجة " ألا تعرف؟ ، ألم تشعر قبل أن أنتهى من طهي الطعام ، كأن شيئا يغمص فى بطنك ؟ "

قال شاشا " أشعر به دائما ، قبل أن أقوم بهذه الرحلة الطويلة ، أو فى اليوم الذى لم تنته فيه من طهي الطعام بسرعة ، ولكن بعد أن أكلت الطعام ، لم أشعر به . "

قالت الزوجة " إنه مرض قليللى ، إن لم تأخذ العلاج بسرعة ، يهلك الإنسان حالا "

قال شاشا " بالله عليك ألا تساعدني بالعلاج ؟ "

قالت الزوجة " سأحاول ، ولكن أخشى أن يضعفك هذا المرض ، لماذا لم تقل لى فى خينه ، إلا بعد أن علمت بنفسى "

صدق شاشا أنه مريض ، فقال لزوجته " لقد كنت أظن من قبل أنني سأشفى بسرعة ، وهو الذى جعلني أفعل كالرجال ، وتركت كل التعب الذى أشعر به ، حتى لا أقول لك فتقلقي ، وإن هذا المرض من النوع الذى يشعر الإنسان معه أنه سليم ، لو أعلم أنني مريض لقلت لك قبل ذلك . "

قالت الزوجة " لا بأس ، الحمد لله ، لقد عملت كل ما أستطيع ، وعليك أن تنام " ، سكن الزوج ولم يتحرك ، وإذا دخلت الزوجة ، وسألته عن صحته ، قال لها " إن المرض يزداد . "

أحضرت الزوجة هذه الأوراق ، وقدمتها إليه ليمسح جسمه بها ، وقطعت بعض

لحاء الشجر ليمسح به جسمه ، وبعد قليل جاءت زوجة سوسو ، لترى غياب شاشا ، فقالت المرأة لأختها ما فعلت به ، فخرجتا وهما يضحكان .

قالت زوجة سوسو ، " إن زوجك اسم على مسمى "

قالت زوجة شاشا " كيف عرفت أنه اسم على مسمى؟ ، انتظري لتعرفي ماذا سيحدث مستقبلا ، ثم افترقتا .

ولما حان وقت الظهر جاءت زوجة شاشا وهو راقد على السرير ، وانفجرت في بكاء كاذب ، فهب شاشا واقفا فوق السرير ، ونظر إلى الزوجة وقال " ماذا أصابك حتى تبكين ؟ "

قالت الزوجة " ارقد بسرعة ، ستموت ، حتى لا تموت واقفا ، فتقع وتجرح "

قال شاشا " سأموت ، والله لقد شفيت ، انتظري حتى أذهب وأخذ الفأس ، وأذهب إلى الحقل ، إنني أشعر وكأن جسمي لم يمرض أبدا " ، ثم نزل من فوق السرير .

قالت الزوجة " عد ونم لأنك ستموت قبل العصر ، اغمض عينيك ، وتمدد ، انك تعرف ، لا يستحب أن يموت الإنسان واقفا "

أصاب شاشا الرعب عندما سمع كلام زوجته ، فعاد إلى السرير وراقد ، وتمدد ، لأنه طالما قالت زوجته انه سيموت ، فلا بد أن يموت ، وهو لا يعرف ماهو الموت ، وذهبت زوجته . وقالت لزوجة سوسو ، وأخذتا يضحكان . ثم ذهبت وأخذت تبكي بكاء كاذبا ، وقالت للناس أن شاسا قد مات ، ويبحث خالها بعض الناس يحفرون القبر ، وقبل أن يأتوا ذهبت واشترت كفنا ، ونادت زوجة شاسا وقاما بحياته ، ووضعوا فيه شاسا ، وظل صاحبنا لا يتحرك كأنه قد مات .

عندما جاء الناس ، وجدوا أنه قد وضع في الكفن ، فقالوا " هل أتمتم كل شيء ؟ " قالت الزوجة " لقد مات منذ الظهر ، حتى جاء إخوته وغسلوه وكفنوه ، ولم يبق الا أن يحمل النعش ويدفن "

ولم يعرف الناس ما في الأمر ، وفي الحال أحضروا الكفن ، وحملوا ، وتعجب شاسا كثيرا في نفسه ، وقال " إذا مات الإنسان سمع كل ما يقولون؟ ، إن الموت لذيد ، وكان الناس يحبونني في المدينة في الوقت الذي مت فيه ، ولولا أن كل من على الأرض سيموت لفضلت الحياة في الآخرة على الدنيا . "

وحمل إلى حيث حفر قبره ، وأخذ وألقي فيها ، وبدأوا يهيلون عليه التراب ويضعون
الحجارة ، وإذا بسوسو يخرج ويتمخطر بالسترة يسير مختللاً اعتقاداً أنه يرتدي الثوب الذي
لا يراه أحد ليشيع جنازة صديقه .

لما رآه الناس عارياً هكذا انفجروا في الضحك ، فلما سمعهم شاسا ينفجرون في
الضحك أطل برأسه من القبر ليرى علام يضحكون ، وقال "والله لولا أنني مت
لضحكت على غبائكم "

تراجع الناس إلى الوراء وقالوا " ألم تمت ؟ "

قال شاسا " لقد مت ، قالت زوجتي أنني مت منذ الظهر "

فلما بدأ الناس يضحكون دمعت عيونهم.

قال فصيح " هل سمعت القصة التي اخترعتها ، عن سوسو و شاسا نصر ك الله " ،
طار الوزير وأخذ فصيح وعانقه وهو يفخر به ، ويمدحه على هذا الاجتهاد .

وعندما انتهى قال " دعني أقص عليك مثالا للتحذير السابع عشر " ، قال فصيح "
وهو كذلك " ، وبدأ الوزير .

كل من قلده غيره فقد شخصيته

كان أحد الرجال يعيش في بلدة ، وكان يفوق كل الناس جبنا ، وغضبنا ، وحقدا ، وتدمرا ، وجحودا ، وكان دائما يضايق زوجته ، ويدعي أنها لا تبذل أقصى طاقتها ، يقول " اذهبي ، جبانة ، أنت لا تعملين عملا مهما ، ومع ذلك لا تعملين للإنسان ما يريح نفسه ، كل يوم أعمل هناك في الحقل منذ طلوع الشمس حتى غروبها ، وحرارة الشمس فوق رأسي ، حتى تغيب ، أررع وأحصد ، وإذا نضج الزرع أحمله إليك وأنت جالسه تطهين فقط ، هذا أقصى ما تفعلين "

فتقول الزوجة " هذا كل ما تراه يا سيدي ؟ "

يقول الزوج " إذا لم يكن هذا كل ما أراه فماذا تفعلين سوى الغناء والتطيل الذي تلحين به علي؟ "

قالت " يا سيدي ، درس الحبوب دائما أقوم به كل صباح ، والطحن للثريد ، وفصل الحب لصناعة الثريد ، كل هذا ليس عملا ؟ "

قال رب البيت " ماهو العمل في كل هذا ؟ ، كل هذه الأشياء تتم وتنتهي قبل الضحى ، ليس قلة عملك هو الذي يغضبني ، ولكن إذا فرغت من صنع الطعام تجعلين نصيبي مثل نصيبك ، أمس كان الحساء أسود جدا ، أما حساؤك فقد وضعت فيه السمن ، حتى يمكنك رؤية وجهك فيه "

قالت " يا سيدي انظر إلى هذا الطفل الذي أمامي ، إني أعاني كثيرا من حملة ، وانظر إلى هذا الحمار ، كل خدمتهم تتم بيدي "

قال الزوج " كلام فارغ ، أية خدمه لهذا الحمار ، سوى أخذه للرعي ، وتقديم الماء له؟ ، أما الطفل فمن الذي لا يستطيع حملة ، إن الشخص الذي كان السبب الأول في جعل النساء يعملن عمل المنزل والرجال يعملون في الحقل قد أساء القسمة "

قالت الزوجة " هذا كل ما تراه الآن ؟ ، هل نسيت ورود الماء ، وكنس المنزل ؟ "

قال رب البيت " كفي عن هذا الكلام السخيف وإلا سأضربك ضرب الكلاب ، هل هذا عمل ؟ هل يعمل الرجال في المنزل وتعمل النساء في الحقل ، ويحك ألسنت ترين جسمي ؟ ، انظري لجسمك كم هو ناعم ، وانظري لجسمي الخشن كم هو خشن ، ومشقق ، ومتسلخ من العمل ، أعجب كيف لا تتعيين من الراحة "

قالت الزوجة " يا سيدي هل أنت صادق في كلامك هذا ؟ ، أم هذا الكلام للمزاح فقط ؟ ، إذا كان للمزاح ينبغي أن تكف عنه فإن كلامك قد راد عن حده "

غضب الزوج لأن كل هذا الكلام الذي قاله تظنه مزاحاً ، فزجرها ، وقال " أنت امرأة فاسدة عابسة أ يكون المزاح هكذا ؟ ، أعمل كل يوم في الحقل ولا أتركه حتى أعرق وأتعب "

نظرت إليه الزوجة وركعت وقالت " اغفر لي إذا كان كلامي أغضبك ، من أنا حتى أجادلك ؟ ، ولكن كل ما أريده هو أن نغير العمل غداً ، تنتظر أنت في المنزل وتعمل كل الأعمال التي أقوم بها ، وأنا أذهب إلى الحقل ، وأكمل الزراعة والعزقة الأولى التي بدأتها اليوم ، وإذا شعرت بالتعب الذي تعانيه ، حينئذ أجعل نصيبك من الطعام ضعف نصيبي "

مص الزوج شفثيه وقال " امرأة رقيقة جداً مثلك ، مالك أنت والزراعة ، إن والديك دلاك ، لو ربياك تربية النساء الريفيات اللاتي يسابقن أدواجهن في المزرعة ما صار فيك أمر سيئ "

قالت الزوجة " لا بأس اتركني أعمل "

قال الزوج " أين أتركك تأتين وتفسدين علي اليوم كله عبثاً ، وتجعلين الجيران يتفوقون علي ؟ "

قالت الزوجة " لقد قلت لك اتركني وسترى نشاطي ، إن المثل يقول من يقول لك أنه يستطيع أن يتلغ الفأس جريه بيدها ، لا أذهب إلى الحقل لإحضار شيء منه ولكن لأذوق ما تذوق فأشفق عليك ، وأضع لك طعاماً أكثر من طعامي ، وإذا ضايقتني أمر ، يوجد كثير من الناس يساعدونني ، ويعلمونني كيف أعمل "

قال الزوج " نعم ، إن الذين يحدوننا من جهة الشرق والغرب أناس طيبون ،

ستجدين مساعدتهم إذا طلبت ذلك ، ولكن إياك أن تخطئي ، وتطلبي مساعدة من الذين يحدوننا من الجنوب ، إنه جار ظالم ، لا يعمل شيئا سوي الغيبة والجور على الحدود ، وسترين أمراً غريباً ، إنه يخرج منذ صلاة الفجر ، ولا يعود إلا الظهر ، ومع ذلك زراعته أفضل من زراعتنا قليلاً ، أنا الذي أقوم وقت الضحى

قالت الزوجة " لا يضايقك هذا ، انتظر أنت واسترح إذن ، وقم بعملي ، فأذهب أنا وأقوم بعملك ، ولكن لا تنسى أن تطهي لي الطعام ، وتذكر أنه عندما تغرف ، اغرف لي أكثر منك ، لأنك اليوم تستريح ، وسأقوم أنا بالعمل "

قال الزوج " إذا كان على الطعام ، لا يقلقك هذا ، سأنتهي قبل أن ينتصف النهار وسأتي وأدعوك "

قالت الزوجة " لا تتعب نفسك وتناديني ، عندما أري الشمس تتوسط السماء ، سأتي كما تفعل أنت عادة "

قال رب البيت " لا ، لا تأتي ، انتظري حتى أناديك ، وإلا ستكررين الذهاب والعودة ولا تجيدين عمل المنزل ولا الزراعة .

قالت الزوجة " ما كنت آتي لأدعوك ، بل عندما كنت تشعر بحرارة الشمس قبل منتصف النهار كنت تعود ، الآن الأمر قد عاد إلى ، تقول أنني يجب أن أستم إلى منتصف النهار؟ "

قال الزوج " لا أريد أن تأتي الظهر ، ولا أريد أن تأتي قبل أن أنتهي ، حتى لا تضايقيني بقولك أعمل كذا ، أعمل كذا ، أريد أن أعمل حاجتي بنفسي ، ستدوقين حساء لم تذقي مثله من قبل ، واعلمي حتى في الطهي لا توجد امرأة تفوقني "

قالت الزوجة " وهو كذلك ، سأفعل ما قلت ، غدا استعد لشرب الحساء اللذيذ وليس مثل حسائي غير اللذيذ "

قال الزوج " إن شاء الله ، وهذا الولد الصغير سأردف ، وسأعد له الطعام من الضحى ، ولن أتركه حتى ينتصف النهار ، ولا يضايقني بالبكاء ، وأنا لا أحب بكاء الأطفال ، وإذا رأيته قد استيقظ أعطيه إناء صغيراً يلعب به "

قالت الزوجة " لا بد أن تستطيع تربيته هكذا ، ولكن أفضل أن أذهب به إلى المزرعة حتى لا يضايقك "

قال الزوج " لا ، لا تأتي به ، إذا ذهبت به من يمسه لك ، ومن يفلح الأرض لك؟ ، أنت تقصدين عدم العناية به " .

قالت الزوجة " لا ، سأذهب به ، وأنيحه في الظل عندما أعمل ، وإذا سمعته يبكي ، آتي وأرضعه ، وسأذهب بكلبنا الأسود ليرقد بالقرب من الطفل إذا وضعته ، ولماذا تشغل نفسك بهذا؟ ، عليك أنت أن تهتم بالعمل " .

قال الزوج " يبدو أنك لا تريد أن تترك هذا الولد معي ، ولا تعلمين أنني أكثر منك اهتماما به ، ولكن طالما أنك تريد الذهاب به ، وهو كذلك ، أحيانا الله إلى الغد " .

عندما طلع النهار ، استعدت المرأة للزراعة ، وخرجت ، وتركت الزوج يغط في نوم عميق لأنه يري أن العمل قليل في المنزل ، ولما وصلت المرأة إلى الحقل ، وضعت الطفل أسفل شجرة التمرهندي ، وتركت الكلب راقدا بالقرب منه ، وذهبت لتبدأ الزراعة ، ولما رآها الناس تفلح الأرض ، قالوا " أين زوجك ، هل هو مريض؟ " .

قالت الزوجة " هو طيب جدا ، ولكن تبادلنا الأعمال لأنه دائما يضايقني ، بحجة أنني لا أعمل شيئا في المنزل سوى النوم ، وهو كل يوم هنا يعاني من حرارة الشمس ، ويقول أنني لا أجعل طعامه أكثر من طعامي ، لأنني لا أشعر بالمشقة التي يعانيها ، لذلك قلت له أن يمكث في المنزل ، ويؤدي العمل الذي أقوم به ، وآتي له إلى المزرعة " .

انفجر الناس في الضحك ، وقالوا " ما هو العمل الذي يضايق الناس هكذا ، كم حزمة من الذرة ربط العام الماضي؟ " .

قالت الزوجة " لقد اجتهد العام الماضي ، وربط أربع حزم من الغلال وثلاث من الدخن " .

انفجر الناس في الضحك وقالوا " هكذا قال لك؟ ، إنه يكذب ، لقد ربط حزمتين فقط من الغلال ، وواحدة وقليل من الدخن ، والباقي ساعدناه فيه ، لأنه كان يحضر لنا الماء إذا شعرنا بالعطش ، ولكن طالما الأمر كذلك ، اذهبي أنت واستريح في الظل ، لأن العمل القليل الذي كان يعمل كل يوم نحن نعمل لك ضعفه الآن " ، وفي الحال ساعدوها ، رحمة بها .

وصاحبنا الآخر لم يستيقظ من النوم إلا بعد أن توسطت الشمس السماء ، فلما استيقظ شرب الشريد ، ودخن التبغ ، وهو يقول "إن النساء يتمتعن بحياتهن كلها ، أستريح حتى يزول النوم من الجفون ، ثم أقوم في الضحى ، وأنهى العمل المطلوب .

وبعد قليل حان وقت الضحى ، فقام وأخذ إناء الحبوب وراح يزن عيارين ، وذهب إلى المطحن وأصلح الحجر وأخذ يطحن ، وقد شعر بلذة الراحة ، وهو في الظل ، وأخذ يمرح ويغني .

وكلما تعب من أغنية انتقل إلى أخرى ، واستمر يغني حتى غني حوالي اثنتي عشرة أغنية مختلفة ، ولكن لم يطحن ولو قدحا ، حتى أتعب يديه وكتفيه وركبتيه التي يركع عليها ، ولمس الدقيق الذي طحنه فوجده لا يصلح للثريد لأنه ما زال خشنا ، وقد تصبب العرق وأخذ يلهث ، فقال في نفسه ، سيكون هذا الأمر الذي رأيته يسيرا بهذه الصعوبة؟ ، هيا اعمل حيلة ، لا أصنع ثريدا ، أعمل فرا تكفيينا ، لأنه ماذا يحدث إذا لم تأكل ثريداً لمدة يوم واحد؟" ، وترك الطحن وأخذ إناء ليحضر فيه الدخن .

ولما وصل إلى الحجرة تذكر أنه ترك الإناء مفتوحا عندما ذهب لإحضار الحبوب ، فدخلت الماعز وبعثرتها ، وأكلت بعض الدخن وبعثرت باقي الغلال ، فتألم وراح يضرب الماعز ، فخرجت تجري ، فأخذت المكنسة وكنس الحجرة قماما ، وأخذ باقي الفرا التي كانت في الإناء ، ووقعت على الأرض ، جمعها ورمها ، وعاد يقول "ها هي الحجرة عادت نظيفة كما كانت ، وستأكل الماعز باقي الحبوب ، ولكن لا بأس ، لقد كاد يتهي ، الفم الذي خلقه الله لا يمنع عنه الطعام" وذهب إلى الرحا .

فلما رآه حماره أخذ ينهق ، ليأخذه إلى المرعي ، فقال " لك حق ، لقد أنسيك" ، وذهب وأخذ الحبل الذي يقيده به ، وفكه ، ووقف يفكر في المكان الذي يربطه فيه ، وقال في نفسه أين أحسن مكان أربط فيه هذا الحمار؟ المستنقع بعيد م. ا. سيضيع الوقت في الذهاب والعودة ، وحتى الآن لم أعد ما سأكله ، وقد بدأت أشعر بالجوع ، وقد بعثرت الماعز الملعونة الثريد الذي أعدته ، وإذا تكلمت يقولون أنني ثرثار ، وما جعلني أحقد عليها هو أنني لا أملك مثلها ، ولولا أنه بعيد لأخذته إلى النهر ، وإذا تركته هنا لا أدري ما يصيبه ؟ ، ووقف يفكر في نفسه ، ورغم أن هذا الرجل لم يكن ثريا كان لمنزله سقف ، وليس من العشب ،

وعندما كان ثريا كان منزله مكوناً من حجرتين ، والآن بعد أن تحول الحال عجز عن إصلاحها كلها حتى انهارت إحدى الحجرتين ، وخلق هذا الانهيار مكانا كالسلم ، استطاعت الماعز أن تصعد فوق السقف بسهولة ، وقد نبت العشب فوق سقف الحجرة المنهارة بسهولة وكثرة، وكان هذا الجزء المنهار سليما من الخلف.

وقف الرجل يفكر في المكان الذي يربط فيه الحمار ، فلم يجد ، وفي النهاية فكر في هذا المكان فسحب الحمار ، واستدار به وبحث عن المكان الذي يربطه فيه ، فتعذر الأمر عليه ، فلا توجد شجرة في هذا المكان ، ولا أثر له ، لذلك ألقي الحبل من النافذة، ودار ودخل الحجرة وأمسك الحبل وربطه في أحد الأعمدة ، الذي يحمل سقف الحجرة خشية أن ينهار.

ولما أدرك أنه وجد مكانا ليربط الحمار فيه ، قال "لاشك أن حيلي كثيرة ، وعاد إلى طحن الحبوب ، ولشدة التعب الذي عاناه ترك الغناء، أخذ يعمل مرغما ، وهو يلهمث والعرق يتصبب من جبهته فيمسحه ، ثم سمع حركة في الخارج ، فجذب الحبل الذي ربط الحمار فيه ، ثم رأى دعامة السقف تتحرك ، فترك الطحن في الحال وفك الدعامة حتى لا يجذبها الحمار بشدة من الخارج ، فتسقط الدعامة وينهار السقف ، ولعلك تعرف أنه لم يكن قويا ، ولاسيما أنه في فصل الخريف.

فك الرجل الحبل وأمسكه في يده ، ولم يعرف أين يربطه ، ورأى أنه لو ظل ممسكا به في يده لا يجد فرصة للعمل ، لذلك فكر في حيلة ، وربطه في قدمه ، ولما عمل هذه الحيلة ، قال "والله أنا في غاية الذكاء ، أرايت أفكارى المتنوعة؟" ، ونظر إلى الحبوب فوجد أنه لم يطحن حفنة واحدة حتى الآن ، فضلا عن الطحنة الثانية ، فأعد إناء ليضع ثريدا وحساء، وأدرك أن الشمس توسطت السماء ، فقال "لدي حيلة ، إذا انتهيت من صنع الثريد لا أصنع حساء وأعمل عصيدة، من أراد أن يأكل ليأكل ومن أبى لا أبالي" ، ثم عاد إلى طحن الحبوب.

وأثناء انشغاله في العمل ، ملأ إناء من الطحنة الأولى ، فشعر أن كتفه أخذ يؤلمه ، ولا يستطيع أن يتم العمل ، لذلك جمعه وقال "لماذا تصنع المرأة نوعا واحدا من الطعام كل يوم ، فتصنع ثريدا كل يوم دون أن تغير نوع الطعام ، سأصنع اليوم حساء ولا أبالي بمن يرفض الشرب".

ولمس بعض الدقيق الذي طحنه فوجده خشنا لا يصلح ، فقال " هيا أستريح قليلا وأطحن بسرعة ، فقد كادت الشمس تتوسط السماء ولم أعمل شيئا ، تكرار الطحن ليس مشكلة ، أستريح قليلا ثم أعمل " .

وبعد أن استراح ، قام وعاد للعمل ، وأثناء العمل ، أغرى العشب الذي خلف الدار الحمار فجذبه حتى وصل إلى سقف الحجرة المربوط فيها ، دون أن يشعر رب البيت ، المشغول في الطحن ، ودودن أن يدرك ما في الأمر ، فشعر أنه يجذب ويسقط من فوق النافذة فتشبث بحجر الطحن ، والإناء الذي وضعت زوجته لتعجن فيه العجين ، ولكن دون فائدة فوقع رزع بصل : رأسه في الأرض ورجلاه إلى الأعلى ، وقد ربطت إحداها في النافذة ، وقد جرح فمه وأنفه ورأسه ، وأخذ الدم يسيل منها ، وتلوث جسمه وثيابه بالعجين ، عندما جذبه من القدر ، إذا كان يتشبث بما يقع تحت يديه .

والسبب في هذا الحادث عندما هم الحمار يرعى ما فوق السقف ، رأى بعض العشب ، قد تسلق فوق الحائط ، فمد عنقه ليأكله ، وما أدراك ما كبير الحجم ، ومد عنقه أكثر حتى سقط خلف المبنى ، ولشدة السقوط انجذب رب البيت ، حتى وصل إلى النافذة وظل معلقا ، ورأسه أسفل ، الآن الحبل المربوط في رجل الحمار مربوط في رجل صاحبه من الناحية الأخرى ، ولم يكن الحبل طويلا حتى يصل الحمار إلى الأرض ، فظل معلقا يتدلى ، ولما كان الربط في أرجل الحمار الأمامية ، كانت رأس الحمار إلى أعلي وليست أسفل كرأس صاحبه .

كان الرجل ورأسه في الأرض ، فحاول أن يمسك الحبل ويربطه ولكن لم يستطع ، لأن يده لا تصل فتعب وصبر على هذا الوضع ، وظل معلقا وقد برزت عيناه من التعب وهو يشعر وكأن أمعاءه ستخرج من فمه ، ورأسه فوق الموقد مباشرة ، فعلا الدخان أنفه ، وأخذ الدمع ينساب من عينيه ويكي من شدة الدخان .

وقبل أن تتوسط الشمس السماء ، انتهى من العمل كل الذين يساعدون المرأة في الحقل ، وتركوها تنفض العشب الذي زرعه ، ولما رأت الشمس مالت عن سمتها ولم يأت الزوج ، قالت لجيرانها الذين ساعدوها " سأذهب إلى المنزل ، لأرى لماذا لم يأت زوجي حتى الآن بالطعام ؟ " .

قال الناس " صدقت ، إنه قد تأخر في عن المنزل حتى الآن ، ولكن انتظري نحضر

لك الطعام الذى جاءنا، كلى منه ، حتى لا تحرمى من الأكل هنا وفى المنزل ، ولكن إذا كان على زوجك فاصنعى له الطعام ، ربما لم يطه الطعام حتى الآن"

ولما منعها الحياء ألحوا عليها أن تتوقف لتأكل ، وترعى الطعام لكلبها دنا حتى يأكل ، فلما شبعوا ، أخذت الفأس وحملت الطفل ، وتبعها الكلب ، وهمت بالسير فقال لها الناس " هيا نتبعك ، لنرى كيف ركع وأخذ يشعل النار" ، ونفضوا فئوسهم ، واتبعوها حتى المنزل .

ودخلوا الحجرة مرة واحدة ، وظنوا أنهم سيرون رب البيت يطهى الطعام ، فلم يروه، وسمعوا كأن صوتا من السماء من ناحية النافذة يقول لهم " الحمد لله ، جئتم ، بسرعة خلصينى"

عندما سمعوا هذا الصوت أصابهم الرعب ، وتراجعت الزوجة إلى الخلف ، ونظروا، فرأوا الزوج تتدلى رأسه على الأرض ، وتلوث بالعجين ، والدم يسيل من أنفه وفمه ، وفوقه الذباب ، ودمعه يسيل ويكى ، فانفجر الناس فى الضحك العالى ، وبدا على المرأة البكاء ، ودقت صدرها وقالت " سبحان الله ، ماذا أصابك يا سيدى"

قال الزوج " كفى عن الثرثرة ، وخلصينى"

وجمعت هؤلاء الناس الذين بعثهم الله ليخلصوا زوجها ، وهى تقول "خذوه برفق حتى لا يسقط منكم فتزداد جراحه" ، فقال الناس " فليمت ولا نبالى "

ومدت الزوجة يدها وفكوا الحبال من حول قدميه ، وتركوه يسقط برأسه فارتطم أنفه بالأرض ، ونزل صامتا من ألم السقوط ، فأخذته الزوجة وعانقته وهى تبكى ، وكانت سقطة الزوج شديدة ، ثم سمع الناس شيئا يسقط خلف الحجرة ، فأسرعوا ليروا ماذا حدث ، فرأوا حمار الزوج قد سقط لأنهم فكوا رجل صاحب المنزل ، وكان ثقل الحمار هو الذى يمنع الزوج من السقوط .

عندما أسقط الحمار أخذ يجري ، وجري الناس إلى رب البيت وهم يضحكون ، وعندما رأت الزوجة أن زوجها أفاق ، ركعت أمامه وهو ملطخ بالدماء وقالت "سلامتك يا سيدى كيف حدث هذا؟"

فنهرها صاحبنا ، وقال "إذا لم تغلقي فمك هذا الآن ، سأنهال عليك ضربا" ، إذا

كنت تشعرين بقلّة الأدب فلإني أكثر منك ، ما شأنك أنت وما قد حدث؟ ، لا أحب الكلام الكثير ، من اليوم انتظري لتعملي عمل المنزل الذي تعودت عليه ، واتركيني لعملي في الحقل ، امرأة فاسدة ، وإلا سأشبعك ضربا ، امرأة عابثة .

خرج الجيران ، وهم يضحكون ، ويقولون " بالله عليكم انظروا كيف يريد أن يشفي غليله منها ، هل هي التي أمرته أن يتعلق "

ولم تجد المرأة ما تقوله ، فقامت وأكملت الطحن لتصنع له الطعام .

أسمعت ما أصاب رب هذه البيت ، ومنذ هذا اليوم تحسن طبعه ، وترك كل طباعه السيئة ، وصار زوجا صالحا ، وكأنه ليس هو .

وعندما انتهى الوزير ، سر فصيح وأخذ يقول " هذه القصة أجمل من قصة الأمس ، وهذا الشعر الذي أنشده الزوج ، أدخل السرور على نفسي " .

وقبل أن يحين وقت الظهر ، وإذا بأحد رجال الأمير يأتي يستدعي الوزير ، استعد الوزير ، وخرج وحمل كرسي العرش رجال كبار ، وخرجوا به من الباب وإذا برجل يقف في الشارع ، فقام كل من رأي الوزير تحية له ، ولكن هذا الرجل لم يتحرك ، وأخذ ينظر إلى الوزير ويضحك .

فلما رآه الوزير هكذا ، قال للناس " من هذا؟ "

قال الناس الذين يتبعونه " ابن الوزير المرحوم ، نصرك الله "

فنظر الوزير إلى رجل ضخم الجسم ممن يتبعونه وقال له " اضربوه ضربا شديدا حتى يموت " ، فانهال عليه الناس ضربا ، حتى سقط على الأرض يتألم .

فأمرهم الوزير بالتوقف ، ونظر إلى ابن هذا الوزير وقال " لماذا تضحك على؟ ، ألسنتك كوالدك . "

قال " نعم ، نصرك الله " ، وركع وأخذ يقول " تبت " .

قال الوزير " اذهبوا به إلى المنزل وأعطوه قميصا مزركشا ، وسروالا مزينا ، ومائة شلن يشتري حبا "

فركع الرجل وأخذ يحييه ، ومضى الوزير إلى القصر .

ولما عاد من القصر ، جاء فصيح ، فقال الوزير "اليوم ستنهي ، سنذكر المثال
التحذيري الثامن عشر"
قال فصيح "نعم"
وبدأ الوزير.

إذا انشق الحائط تجد السحلية مكاناً للدخول

كان لرجل أربعة أبناء ، الكبير كان يسمى الأول ، والذي يليه ثانی ، والذي يليه ثالث ، وأصغرهم كان يسمى رابع ، وكانت أمهم واحدة ، وكان ما يضايق الأب في أمرهم ، أنهم منذ صغرهم لم يكون متحدين ، فما يريد أحدهم لا يريد الآخر ، إذا قال أحدهم شرقا ، يقول الآخر غربا ، وكان الأب يحاول دائما هدايتهم ويجعلهم متحدين ، ولكن دون جدوى .

وذات يوم مرض أبوهم مرض الموت ، فلما أشرف على الموت نادى هؤلاء الأولاد ، ووعظهم ، وقال لهم أهم ما يفعلونه لوجه الله أن يتحدوا ويعملوا معا ، لا ينفرد أحدهم بنفسه .

وليوضح لهم معنى كلامه ، طلب منهم أن يجمعوا له أربع عصي قصيرة ، ولما أحضروها ربطها معا ، وطلب من الكبير أن يكسرها ، فوضعها على ركبته ، وحاول كسرها فأخفق ، فسلمها الأب لمن يليه ، فحاول هو الآخر ، فعجز ، فأعطيت لكل واحد منهم فعجز عن كسرها ، فقال الأب " فرقوها ، لتروا هل يمكن كسرها؟ ، فلما تفرقت أخذ كل واحد عصا فكسرها ، فقال الأب " إذا رفضتم الاتحاد ، ما حدث لهذه العصي عندما تفرقت سيحدث لكم " ، فركعوا جميعا وسألوه المغفرة ، فغفر لهم ، ولما هموا بالانصراف قال لهم ، " رأيتم ما حدث لهذه العصي عندما تفرقت؟ ، قال الأبناء " نعم رأينا يا أبانا "

قال الأب " وهو كذلك ، انتظروا أخبركم بسر ، كنت أخفيه عنكم منذ زمن طويل " ، فركعوا مرة أخرى ، فقال " واحد منكم ليس ابني ، ابن حرام ، ولكن لا تفشوا هذا السر لأحد ، طالما أنه لا يعرفه أحد ، فاكنتموا هذا السر في قلوبكم ، وتصرفوا كأنني أنجبتكم جميعا ، وإذا تركتم أحدا يسمع فلا تلوّموا إلا أنفسكم .

وحاول الأبناء كثيرا ليقول لهم من هو ، وقالوا أنهم لن يكشفوا سره ، فقال الأب إنه لا يستطيع أن يخبرهم ، فإنه يخشى أن يجرح مشاعره وقال " إذا كنتم لا تحبون إثارة

المشاكل فما الفائدة من معرفة من هو؟ ، وكانوا كلهم يقصدون هدفا واحدا ، فلما هموا بالقيام قال لهم مرة أخرى "انتظروا، بقي أمر واحد، في مستنقع من ناحية الباب الشرقي دفنت بعض المال ، منذ مدة ، ولكن نسيت الجهة التي دفنته فيها ، إذا ضاقت عليكم الدنيا فاجتمعوا واحفروا هذا المستنقع جيدا ، فسوف تجدون ما يكفيكم في الحياة " ، فرد الأولاد على كلامه بدموعهم .

نظر إليهم الأب وقال "اغفر ولي ، وقد غفرت لكم في الدنيا والآخرة ، بارك الله فيكم " ، وجذب الملاة وغطي وجهه ، ونام ، ثم فارق الحياة ، فأموا الجنازة وانتهى الأمر .

وبعد أن تصدقوا عليه سبعة أيام ، أخذ الأولاد يوزعون ثروته التي تركها لهم ، يفعلون كل أمر معا ، وأخذ الناس يتعجبون كيف انتهى أمرهم هكذا ، بينما كانوا لا يحب أحدهم الخير لأخيه ، في حياة أبيهم وكأنهم من أب واحد ولكن غير أشقاء .

وذات يوم وهم على هذه الحال ، كانوا يتناولون الطعام ، نظر ساني إلى رابع وقال " وأنت تشرب حساء أكثر مني ، وكذلك لا تأكل من أمامك ، فتأكل من أمام هذا ، وتأكل من أمام ذلك ، أكل الطعام بهذا الأسلوب ليس مستحبا "

ونظر إليه الأول وقال "انظر إليه، كيف يجلس على ساقيه كالمرأة ، ويربع كأنه ابن أمير استنبول ، الإنسان مهما كان مثقفا لا يتكبر على الطعام " .

وهنا قال ثالث "إذا نظرنا إلى حال رابع ، لا يستطيع أن يعيش معه ، الذي نشأ على الشراهة؟ ، انظر ، لا يستطيع أن يمضغ الطعام ، ويبطئ في الأكل كالكلب ولا يقطع اللقمة جيدا بفمه ، ويقطعها دائما بأسنانه "

تركه رابع ، ورأى أن إثارة المشاكل كثرت ، لذلك قال " كل الطيور تأكل القاذورات "

قال ثالث "وهو كذلك ، من غيرك تراه يأكل الطعام هكذا؟ ، قلت أن الطيور كلها تأكل البراز ، أتعرف أن الولد لا يحترم من هو أكبر منه مباشرة؟ "

نظر رابع إلى ثالث وقال "وأنت ، ألسنت تأكله بكل حرارته؟ "

قال رابع " لا ، الحقيقة أنت الكبير تتكلم ، تتدخل في الكلام "

عندما سمع ثالث ذلك غضب وقال 'من الدجاجة؟' ، أنت الولد الصغير ، أنني أعرف أنك ابن حرام"

ولعلك تعرف الصبي ، لم يعرف رابع ما يقصد ثالث بقوله " إنه يعرف أنه ولد ابن حرام " ، فظن أنه يقصد أنه الابن الذي قال أبوه أنه ابن حرام ، لذلك غضب وقال " هل قال أبي قبل أن يموت أنني ابن حرام؟ ، لا شك أنك أنت ابن الحرام ولست أنا"

ثم قاما وهما بالقتال ، وفصل بينهما الكبار ، وقبل أن يفصل بينهما استولى الغضب على ثالث حتى لطم رابعاً ، ولكن لم يصبه ، فأصاب وجه الساني .

شعر ساني بالألم ، فرفه بقدمه ، وقال " هل رأيت هذا الولد ابن الحرام ، هل لديك القلب الذي يغضب بسرعة دون سبب ، ونفضل بينكما فتضرب؟"

قال الأول الذي كان يفوقهم حظوة عن ثالث ، قال لساني " مهما تقل له ، دع قولك له ابن حرام ، طالما أن بابا مات ولم يوضح لنا من فينا ابن الحرام ، فلا تطلقها على أحد"

هذا الكلام أغضب ساني ، فقال " اذهب ، لقد قال فقط ابن حرام ، أنت ابن الحرام ، لأنه لم يوضح ، وهو الذي جعله يكرهك وهو حي"

قال الأول " لا ، مشاجرتكما وصلت إلى؟ " ، ثم نشبت بينهما معركة مصارعة وملاكمة ، وصفع بالأكف ، بين أول وساني .

فأمسكهما ثالث ورابع ، وحاولوا كثيرا حتى أصابا أنفسهما بالجراح ، وأخذ كل من المتشاجرين يقول أنه ابن الحرام ، وأخفي أبوه عنه الخبر .

ولما سمع الجيران في الحي ضوضاء في المنزل ، دخلوا ليروا ما في الأمر ، فوجدوا أنهم جرحوا بعضهم ، ويقول كل منهما " أنت ابن حرام " ، فلما رأى الناس أن الأمر وصل إلى هذا الحد ، تملكهم الرعب واستدعوا الشرطة فساقهم حتى منزل الأمير ، وقال له ما يقولون ، وكيف وجدهم .

قال الأمير " لماذا يقول كل واحد منكم للآخر أنه ابن حرام؟ ، هل يوجد شخص ابن حرام بينكم؟ "

قام الأول بصفته الكبير ، ينكر ذلك ، حتى لا يكشف السر كما قال أبوهم فصفعه رئيس الشرطة بيده ، فاستغرب ، ثم سألوا ساني ، فقال كل ما قال أبوهم "

فلما سمع الأمير ذلك ، وكان رجلا ظالما ، فقال " لقد كشفكم الله ، هل ستخفون علينا وتورعوا الثروة على ابن حرام؟ ، فلا بد أن تروني الآن ابن الحرام فيكم ، وإلا سأخذ ثروتكم كلها ، وأترككم فقراء "

وجم الأطفال ، وهنا نظر أول إلى ثانٍ ، وقال " لماذا تنظر إلى ، هل أنا ابن حرام؟ ، لماذا لا تكون أنت ، ولست أنا؟ "

وهنا التبس عليهم الأمر ، هذا يقول هذا ، وهذا يقول هذا "

قال الأمير " اتركوا هذا الإتهام ، لقد كشف الله سركم ، وأمر الشرطة ان يذهبوا بهم إلى السجن ويجردوهم تماما ، وطردوهم الأمير من المجلس ، فخرجوا وكل يهاجم أخاه ، واشتغل الأول حمالا ، وبنال قرشا يأكل به وأخذ ساني يبيع اللحم المجفف ، وذهب ثالث إلى منزل أحد الطبالين ، يشد له الطبول الصغيرة ، ولكن رابع كان ضعيفا ، فكان يقطع العشب ويبيعه ، كل هذه كانت حرف تجول بالنهار ، فإذا أقبل الليل عادوا إلى منزلهم وباتوا فيه .

واستمروا على هذه الحال ، وذات يوم ، حمل ساني اللحم المجفف وذهب يبيعه كعادته كل يوم ودخل المدينة ، فنادي عليه بعض التجار ، وظلموه وأكلوا عليه ثلاثة قروش دون أن يعرف ، ولما حان المغرب عاد إلى كبير القصابين ، فعد المال فوجده ينقص قرشا فأخذ يسبه ، وقال له أن ما سرق هو أجره ، وقال إذا تكرر هذا سيطرده .

عاد ساني إلى المنزل ، وكان في هذا اليوم لا يملك نصف قرش يشتري به ثريدا ، فصعد سريره ونام ، فعجز عن النوم ، واشتد الجوع عليه ، وأخذ يفكر فيما سيفعله غدا ، إذا طرده كبير القصابين ، وأثناء التفكير خطر على فكره قول أبيه ، عندما قال أنه دفن بعض المال في مستنقع القصب ، لذلك عندما طلع النهار قام وأخذ فأسه ، وتوجه إلى المستنقع ، وأخذ يحفر فيه ما شاء الله ، ولم يخرج شيئا ، فعاد إلى المنزل ، وصبر .

ولم يمض يومان حتى حاول الأول أن يجد ما يحمله ، فلم يجد ، فعاد إلى المنزل ولم يجد ما يأكله من طعام ، فنام وأخذ يعد خشب السقف ، وقرب الصلاة تذكر الثروة التي قال أبوهم أنه دفنها في المستنقع ، فتسلل ، حتى لا يعلم أخوته ، وتوجه إلى المستنقع ، وأخذ يحفر حتى توسطت الشمس السماء ، فلم يحفر إلا القليل فعاد إلى المنزل ، وصبر .

وذاث يوم تذكر رابع ، فذهب ، وأخذ يحفر هو الآخر ، ولم يكن في قوتهم ، فعجز وتعب ، وعاد.

وذاث يوم ، ضاق الأمر في المدينة على ثالث ، فذهب هو الآخر ولكنه عجز عن حفر أي شئ ، فقال في نفسه " لو اجتمعنا وحفرنا هنا المستقع جيدا ، في كل مكان يحتمل أن يكون دفن أبونا فيه المال ، ثم سكت ، ولم ينطق شيئا " .

وعجزوا جميعا وظن كل واحد منهم أنه عجز وحده ، فرأى أنه لو اجتمعوا جميعا ، وحفروا المستقع ، وحفروا كل شئ فيه ، وتحمس كل واحد فيهم ، ولا يستطيع أن يبادر الآخر بالقول ليجمعوا ويحفروا جميعا ، وبعد عدة أيام عندما أدرك ثالث أن الله فعال لما يريد ، أشار على الباقي أن يجمعوا ويحفروا هذا المستقع ، لعلهم يجدون ما قال لهم أبوهم أنه قد دفنه ، فقال كل منهم ، لقد كنت أريد أن أستشيركم في هذا ، ولكن خشيت أن ترفضوا ، لذلك سكت "

وأحضروا الفئوس ، وأخذوا يحفرون المستقع ، وظلوا يعملون حتى حفروا تماما ، فلم يجدوا شيئا ، لذلك صبروا ، وقالوا " هيا نزرعها بقصب السكر حتى لا يضيع عملنا هباء "

منذ كان هذا المستقع لم يجد من يستصلحه مثل هذا اليوم ، لذلك كان القصب الذي زرع هذا العام لا يعلم جودته إلا الله ، وأن هذا هو الثروة التي كان يقصدها أبوهم ، ولكن لم يدركوها ، وقالوا إن هذا هو المال الذي قال أبوهم أنه دفنه ، ومن هذه اللحظة غيروا ما في قلوبهم ، واجتمعوا وركزوا اهتمامهم في الزراعة ، وفي وقت قصير عادوا كما كانوا ، أغنياء جدا ، وذاث يوم اجتمعوا ليأكلوا الطعام ، وجلسوا يتسامرون ، فقال ثالث " رأيتم ما قاله أبونا " ، ثم قال " إننا لو وافقنا على أن نتفرق ، نخسر ، أن نتحد أفضل من أن نتفرق عن بعضنا ، كما قال ، إذا تركنا يعرفون سرنا فلا نستطيع النجاة بشروتنا " .

قال الباقيون " رأينا ما حدث بيننا ، إن كل واحد يرفض كلام من هو أكبر منه ، يندم حيث لا فائدة من الندم " .

قال ثالث " رأيتم هذه الثروة التي هبطت علينا ، والتي جلبها علينا اتحادنا ، وطاعتنا والاهتمام بالزراعة " .

رقم الصفحة	فهرس
3	تقديم
7	تمهيد
15	مقدمة
17	الكلام وأسمال
29	قصة الفلاتى والشبل
35	عبث يطارد عبثاً
39	الأبله والغبى
43	قصة أوتو ابن رئيس المزرعة والحيوانات المفترسة
47	قصة ساهورو وساهوراما
51	قصة القروى وأبناء المدينة
55	قصة الببغاء وربة البيت
57	قصة الأمير زيرانا وكاهن المدينة
61	قصة القط والفأر
67	قصة الحمار والثور
71	ما فعلناه مع سيدى أوجو
77	إذا حان الأجل قموت بلا مرض
81	قصة الأصدقاء الثلاثة
89	ما يزرع الإنسان يحصده إن خيراً خيراً ، وإن شراً شراً
93	احفظ لسانك قبل يدك
997	أسوأ الأمور أن يغضب الابن والديه
101	ضخم مجنون وصبى عاقل يفوقه
105	قصة أمير المزار
113	كل من يحاول أن ينال أكثر مما كتبه الله له هلك
119	قصة النبى سليمان
121	لا يتعب إلا الشره

125 سرعة الغضب تجلب الندم
129 إن يحتقر الشكل تر الانتقام
133 قصة الشيخ المجدد ابن فوديو وعمر علقم
137 قصة الشيخ ابن فوديو وكبير التجار
141 قصة الشيخ ابن فوديو وأحد العلماء
45 التعجل يسبب التأخير
157 الكلام رأسمال
163 أيها الصبي الزم مكانك لا يغرنك أبناء الدينا
167 ما شأن الرزق بالشعر السيء من وهبه الله الصبر لا يلام
173 قصة كاللا وكلالة
177 قصة يوشع الصخرة الذي لا يخاف
183 الكذاب يعرق حتى ولو كان في الماء
187 ليس من الصدق أن تهمل حكم الشرع لتثال السعادة
191 قصة كبير المزارعين وأولاده
197 عدم القيام أفضل من الرقص السيء
203 قصة جمرو ابن رئيس المزرعة الثاني
207 قصة الأعمى
213 قصة قوسو ابن رئيس المزرعة الأول
219 رفض أكل القرد فأكل الثعلب
223 لقاء قوسو وجمرو ونومو
231 اختبار نومو كبير اللصوص
241 قصة الخياطين الثلاثة
245 الذئب عند الطمع يموت
251 لا تفرح يا غلام إذا اصطاد كلبك أسداً
259 هديل الحمامة كلام لا يفهمه إلا العاقل
261 قصة أمير وخادمه

265 الإلحاح فى الطلب لا يحضر المطلوب
269 الله يساعد من يساعد نفسه
273 قصة جائر بن سماجنتى
283 قصة بعض المهرجين وأبناء سماجنتى
291 قصة أمير فارس والرجل الهندى
299 قصة الشبان الثلاثة
303 شكل الشخص ليس هو نفسه
309 قصة قمر الزمان بن الأمير شهر الزمان
323 قصة أمجد وأسد
347 إذا كان الساحر غاضباً فسد سحره
351 القدرة على الرؤية كالقدرة على الترك
357 اليوم الأخير
365 الكلام رأسمال
371 كل من يعتمد على الله لا يخاف حاسداً ولا حقوداً
381 إذا ساعدك الله فساعد من دونك
383 الفقر ملازم للمتكبر
391 كل من يحتقر مخلوقاً ير نهايته
405 ما تستهين به من قذى يطرف عينيك
415 الخير لا يقع على الأرض عبثاً
423 النفاق عفریت يأكل صاحبه
441 الطمع مفتاح الصعاب ، ولولا الطمع ما كان الازدراء
449 أيها الغلام ابذل جهداً عظيماً لتشتهر
455 لكل زمان ما يناسبه
465 إذا كنت تحفر حفرة للشر فلا تعمقها
471 الانتقام من المؤذى عبادة
485 سعيد الحظ يبيع الماء على نهر كوارا

503 قصة الأمير جاتو
515 ساعة الحظ التي تفوق المتاع الكثير
529 الحسد لصاحب النصيب كالسماد لصاحب المزرعة
541 الديك الذي أراد الله أن يؤذن ، يؤذن حتى لو كان أمامه قط وخلفه صقر..
555 من قدر له أن يضرب لا ينفعه التحذير
563 قصة سوسو وشاسا
569 كل من قلده غيره فقد شخصيته
579 إذا انشق الحائط تجد السحلية مكاناً للدخول

المشروع القومى للترجمة

١ - اللغة العليا (طبعة ثانية)	جون كوين	ت : أحمد درويش
٢ - الوثنية والإسلام	ك. مادهو باتيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣ - التراث المسروق	جورج جيمس	ت : شوقي جلال
٤ - كيف تتم كتابة السيناريو	انجا كاريتتكوفا	ت : أحمد الحضري
٥ - ثريا فى غيبوبة	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
٦ - اتجاهات البحث اللسانى	ميلكا إفتيش	ت : سعد مصلوح / وفاء كامل فايد
٧ - العلوم الإنسانية والفلسفة	لوسيان غولمان	ت : يوسف الأنطكى
٨ - مشعلو الحرائق	ماكس فريش	ت : مصطفى ماهر
٩ - التغيرات البيئية	أنثرو س. جودى	ت : محمود محمد عاشور
١٠ - خطاب الحكاية	جيرار جينيت	ت : محمد معتمد وعبد الجليل الأزنى وعمر حلى
١١ - مختارات	فيسوفا شيمبوريسكا	ت : هناء عبد الفتاح
١٢ - طريق الحرير	ديفيد براونستون وايرين فرانك	ت : أحمد محمود
١٣ - ديانة الساميين	روبرتسن سميث	ت : عبد الوهاب علوب
١٤ - التحليل النفسى والأدب	جان بيلمان نويل	ت : حسن المودن
١٥ - الحركات الفنية	إدوارد لويس سميث	ت : أشرف رفيع عفيفى
١٦ - أثنية السوداء	مارتن برنال	ت : بإشراف / أحمد عثمان
١٧ - مختارات	فيليب لاركين	ت : محمد مصطفى بدوى
١٨ - الشعر النسائى فى أمريكا اللاتينية	مختارات	ت : طلعت شاهين
١٩ - الأعمال الشعرية الكاملة	جورج سفيريس	ت : نعيم عطية
٢٠ - قصة العلم	ج.ج. كراوثر	ت : يعنى طريف الخولى / بدوى عبد الفتاح
٢١ - خوخة وألف خوخة	صمد بهرنجى	ت : ماجدة العنانى
٢٢ - مذكرات رحالة عن المصريين	جون أنتيس	ت : سيد أحمد على الناصرى
٢٣ - تجلى الجميل	هانز جيورج جادامر	ت : سعيد توفيق
٢٤ - ظلال المستقبل	باتريك بارنر	ت : بكر عباس
٢٥ - مثنوى	مولانا جلال الدين الرومى	ت : إبراهيم الدسوقي شتا
٢٦ - دين مصر العام	محمد حسين هيكل	ت : أحمد محمد حسين هيكل
٢٧ - التنوع البشرى الخلاق	مقالات	ت : نخبة
٢٨ - رسالة فى التسامح	جون لوك	ت : منى أبو سنه
٢٩ - الموت والوجود	جيمس ب. كارس	ت : بدر الديب
٣٠ - الوثنية والإسلام (ط٢)	ك. مادهو باتيكار	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣١ - مصادر دراسة التاريخ الإسلامى	جان سوفاجيه - كلود كاين	ت : عبد الستار الطوجى / عبد الوهاب علوب
٣٢ - الانقراض	بيفيد روس	ت : مصطفى إبراهيم فهمى
٣٣ - التاريخ الاقتصادى لإفريقيا الغربية	أ.ج. هويكنز	ت : أحمد فؤاد بليغ
٣٤ - الرواية العربية	روجر آلن	ت : حصة إبراهيم المنيف
٣٥ - الأسطورة والحداثة	بول . ب . نيكسون	ت : خليل كلفت

٣٦ - نظريات السرد الحديثة	والاس مارتن	ت : حياة جاسم محمد
٣٧ - واحة سيوة وموسيقاها	بريجيت شيفر	ت : جمال عبد الرحيم
٣٨ - نقد الحداثة	آلن تورين	ت : أنور مقيث
٣٩ - الإغريق والحسد	بيتر والكوت	ت : منيرة كروان
٤٠ - قصائد حب	آن سكستون	ت : محمد عيد إبراهيم
٤١ - ما بعد المركزية الأوروبية	بيتر جران	ت : عاطف أحمد / إبراهيم فتحي / محمود ملجد
٤٢ - عالم ماك	بنجامين باربر	ت : أحمد محمود
٤٢ - الذهب المزدوج	أوكتايفو پاث	ت : المهدي أخريف
٤٤ - بعد عدة أضياف	آلوس هكسلي	ت : مارلين تانرس
٤٥ - التراث المغدور	روبرت ج دنيا - جون ف أ فاين	ت : أحمد محمود
٤٦ - عشرون قصيدة حب	بابلو نيرودا	ت : محمود السيد على
٤٧ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (١)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٤٨ - حضارة مصر الفرعونية	فرانسوا دوما	ت : ماهر جويجاتي
٤٩ - الإسلام في البلقان	ه . ت . نوريس	ت : عبد الوهاب علوب
٥٠ - ألف ليلة وليلة أو القول الأسير	جمال الدين بن الشيخ	ت : محمد برادة وعثمانى الملود ويوسف الأنطكي
٥١ - مسار الرواية الإسبانية الأمريكية	داريو بيانوبيا وخ . م بينياليستي	ت : محمد أبو العطا
٥٢ - العلاج النفسى التدمي	بيتر . ن . نوفاليس وستيفن . ج . روجسيفيتز وروجر بيل	ت : لطفي قطيم وعادل دمرdash
٥٣ - الدراما والتعليم	أ . ف . ألتجتون	ت : مرسى سعد الدين
٥٤ - المفهوم الإغريقى للمسرح	ج . مايكل والتون	ت : محسن مصيلحي
٥٥ - ما وراء العلم	جون بولكنجهوم	ت : على يوسف على
٥٦ - الأعمال الشعرية الكاملة (١)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود على مكى
٥٧ - الأعمال الشعرية الكاملة (٢)	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمود السيد ، ماهر البطوطى
٥٨ - مسرحيتان	فديريكو غرسية لوركا	ت : محمد أبو العطا
٥٩ - المحبرة	كارلوس مونييث	ت : السيد السيد سهيم
٦٠ - التصميم والشكل	جوهانز ايتن	ت : صبرى محمد عبد الغنى
٦١ - موسوعة علم الإنسان	شارلوت سيمور - سميث	مراجعة وإشراف : محمد الجوهري
٦٢ - لذة النص	رولان بارت	ت : محمد خير البقاعى .
٦٣ - تاريخ النقد الأدبي الحديث (٢)	رينيه ويليك	ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
٦٤ - برتراند راسل (سيرة حياة)	آلان وود	ت : رمسيس عوض .
٦٥ - فى مدح الكسل ومقالات أخرى	برتراند راسل	ت : رمسيس عوض .
٦٦ - خمس مسرحيات أندلسية	أنطونيو جالا	ت : عبد اللطيف عبد الحليم
٦٧ - مختارات	فرناندو بيسوا	ت : المهدي أخريف
٦٨ - نتاشا العجوز وقصص أخرى	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
٦٩ - العالم الإسلامى فى أوائل القرن العشرين	عبد الرشيد إبراهيم	ت : أحمد فؤاد متولى وهويدا محمد فهمى
٧٠ - ثقافة وحضارة أمريكا اللاتينية	أوخينيو تشانج روبريجت	ت : عبد الحميد غلاب وأحمد حشاد
٧١ - السيدة لا تصلح إلا للرمى	داريو فو	ت : حسين محمود

- ٧٢ - السياسى العجوز
٧٣ - نقد استجابة القارئ
٧٤ - صلاح الدين والمالوك فى مصر
٧٥ - فن التراجم والسير الذاتية
٧٦ - چاك لاكان وإغواء التحليل النفسى
٧٧ - تاريخ النقد الألبى الحديث ج ٣
٧٨ - العولة : النظرية الاجتماعية والثقافة الكنية
٧٩ - شعرية التأليف
٨٠ - بوشكين عند «نافورة الدموع»
٨١ - الجماعات المتخيلة
٨٢ - مسرح ميغيل
٨٣ - مختارات
٨٤ - موسوعة الأدب والنقد
٨٥ - منصور الحلاج (مسرحية)
٨٦ - طول الليل
٨٧ - نون والقلم
٨٨ - الابتلاء بالتغرب
٨٩ - الطريق الثالث
٩٠ - وسم السيف (قصص)
٩١ - المسرح والتجريب بين النظرية والتطبيق
٩٢ - أساليب ومضامين المسرح
الإسباني وأمريكى المعاصر
٩٣ - محدثات العولة
٩٤ - الحب الأول والصحية
٩٥ - مختارات من المسرح الإشباني
٩٦ - ثلاث زنبقات ووردة
٩٧ - هوية فرنسا (مج ١)
٩٨ - الهم الإنسانى والابتزاز الصهيونى
٩٩ - تاريخ السينما العالمية
١٠٠ - مساعلة العولة
١٠١ - النص الروائى (تقنيات ومناهج)
١٠٢ - السياسة والتسامح
١٠٣ - قبر ابن عربى يليه آباء
١٠٤ - أوبرا ماهوجنى
١٠٥ - مدخل إلى النص الجامع
١٠٦ - الأدب الأندلسى
١٠٧ - مبرزة الفدائى فى الشعر الأمريكى المعاصر
- ت . س . إليوت
جين . ب . توميكنز
ل . ا . سيمينوفا
أنثريه موروا
مجموعة من الكتاب
رينيه ويليك
رونالد روبرتسون
بوريس أوسپنسكى
ألكسندر بوشكين
بندكت أندرسن
ميغيل دى أونامونو
غوتفريد بن
مجموعة من الكتاب
صلاح زكى أقطاى
جمال مير صادقى
جلال آل أحمد
جلال آل أحمد
أنتونى جينز
نخبة من كُتاب أمريكا اللاتينية
باربر الاسوستكا
كارلوس ميغل
مايك فيذرستون وسكوت لاش
صمويل بيكيت
أنطونيو بوپرو بايخو
قصص مختارة
فرنان برودل
نماذج ومقالات
نيثيد روبنسون
بول هيرست وجراهام تومبسون
بيرنار فاليط
عبد الكريم الخطيبى
عبد الوهاب المؤتب
برتولت بريشت
جيرارچينيت
د . ماريا خيسوس روبيرامتى
نخبة
- ت : فؤاد مجلى
ت : حسن ناظم وعلى حاكم
ت : حسن بيومى
ت : أحمد درويش
ت : عبد المقصود عبد الكريم
ت : مجاهد عبد المنعم مجاهد
ت : أحمد محمود ونورا أمين
ت : سعيد الغانمى وناصر خلاوى
ت : مكارم الغمرى
ت : محمد طارق الشرقاوى
ت : محمود السيد على
ت : خالد المعالى
ت : عبد الحميد شبيحة
ت : عبد الرازق بركات
ت : أحمد فتحي يوسف شتا
ت : ماجدة العنانى
ت : إبراهيم السوقى شتا
ت : أحمد زايد ومحمد محيى الدين
ت : محمد إبراهيم مبروك
ت : محمد هناء عبد الفتاح
ت : نادية جمال الدين
ت : عبد الوهاب علوب
ت : فوزية العشماوى
ت : سرى محمد محمد عبد اللطيف
ت : إدوار الخراط
ت : بشير السباعى
ت : أشرف الصباغ
ت : إبراهيم قنديل
ت : إبراهيم فتحي
ت : رشيد بنحدو
ت : عز الدين الكتانى الإدريسى
ت : محمد بنيس
ت : عبد الغفار مكاوى
ت : عبد العزيز شبيل
ت : أشرف على دعدور
ت : محمد عبد الله الجعيدى

- ١٠٨ - ثلاث دراسات عن الشعر الأنثى مجموعة من النقاد
١٠٩ - حروب المياه جون بولوك وعادل درويش
١١٠ - النساء في العالم النامي حسنة بيجوم
١١١ - المرأة والجريمة فرانسيس هيندسون
١١٢ - الاحتجاج الهادئ أرلين علوى ماكليود
١١٣ - راية التمرد سادى بلانت
١١٤ - مسرحيات حماد كوني وسكان المستنقع وول شوينكا
١١٥ - غرفة تخص المرء وحده فرجينيا وولف
١١٦ - امرأة مختلفة (درية شفيق) سينثيا نلسون
١١٧ - المرأة والجنوسة في الإسلام ليلي أحمد
١١٨ - النهضة النسائية في مصر بث بارون
١١٩ - النساء والأسرة وقوانين الطلاق أميرة الأزهرى سنيل
١٢٠ - الحركة النسائية والتطور في الشرق الأوسط ليلي أبو لغد
١٢١ - الليل الصغير في كتاب المرأة العربية فاطمة موسى
١٢٢ - نظام العبودية القديم ونموذج الإنسان جوزيف فوجت
١٢٣ - إمبراطورية العثمانية وعلاقاتها الدولية نينل الكسندر وفنابولينا
١٢٤ - الفجر الكاذب جون جرائ
١٢٥ - التحليل الموسيقى سيدريك ثورپ ديفي
١٢٦ - فعل القراءة فولفغانج إيسر
١٢٧ - إرهاب صفاء فتحي
١٢٨ - الأدب المقارن سوزان باسنيث
١٢٩ - الرواية الإسبانية المعاصرة ماريا دولورس أسيس جاروته
١٣٠ - الشرق يصعد ثانية أندريه جوندرفرانك
١٣١ - مصر القديمة (التاريخ الاجتماعي) مجموعة من المؤلفين
١٣٢ - ثقافة العولة مايك فيذرستون
١٣٣ - الخوف من المرايا طارق علي
١٣٤ - تشريع حضارة باري ج. كيمب
١٣٥ - المختار من نقد س. إيه (ثلاثة أجزاء) ت. س. إليوت
١٣٦ - فلاحو الباشا كينيث كرونو
١٣٧ - منكرات ضابط في الحملة الفرنسية جوزيف ماري مواريه
١٣٨ - عالم التليفزيون بين الجمال والعنف إيفيلينا تارونى
١٣٩ - باريسيفال ريشارد فاچنر
١٤٠ - حيث تلتقى الأنهار هريبرت ميسن
١٤١ - اثنتا عشرة مسرحية يونانية مجموعة من المؤلفين
١٤٢ - الإسكندرية : تاريخ ودليل أ. م. فورستر
١٤٣ - قضايا التطوير في البحث الاجتماعي ديريك لايدار
١٤٤ - صاحبة اللوكاندة كارلو جولونوى
- ت : محمود على مكى
ت : هاشم أحمد محمد
ت : منى قطان
ت : ريهام حسين إبراهيم
ت : إكرام يوسف
ت : أحمد حسان
ت : نسيم مجلى
ت : سمىة رمضان
ت : نهاد أحمد سالم
ت : منى إبراهيم ، وهالة كمال
ت : ليس النقاش
ت : بإشراف/ رؤوف عباس
ت : نخبة من المترجمين
ت : محمد الجندى ، وإيزابيل كمال
ت : منيرة كروان
ت : أنور محمد إبراهيم
ت : أحمد فؤاد بلبع
ت : سمحه الخولى
ت : عبد الوهاب علوب
ت : بشير السباعي
ت : أميرة حسن نويرة
ت : محمد أبو العطا وآخرون
ت : شوقي جلال
ت : لويس بقطر
ت : عبد الوهاب علوب
ت : طلعت الشايب
ت : أحمد محمود
ت : ماهر شفيق فريد
ت : سحر توفيق
ت : كاميليا صبحي
ت : وجيه سمعان عبد المسيح
ت : مصطفى ماهر
ت : أمل الجبورى
ت : نعيم عطية
ت : حسن بيومى
ت : عدلى السمرى
ت : سلامة محمد سليمان

١٤٥ - موت أرتيميو كروث	كارلوس فويتس	ت : أحمد حسان
١٤٦ - الورقة الحمراء	ميجيل دى لىيس	ت : على عبد الرؤوف الببى
١٤٧ - خطبة الإدانة الطويلة	تاتكرىد دورست	ت : عبد الغفار مكوى
١٤٨ - القصة القصيرة (النظرية والتقنية)	إنريكى أندرسون إمبرت	ت : على إبراهيم على منوفى
١٤٩ - النظرية الشعرية عند إليوت وأونيس	عاطف فضول	ت : أسامة إسبر
١٥٠ - التجربة الإغريقية	روبرت ج. ليمان	ت : منيرة كروان
١٥١ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ١)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٢ - عدالة الهنود وقصص أخرى	نخبة من الكتاب	ت : محمد محمد الخطابى
١٥٣ - غرام القراءة	فيولين فاتويك	ت : فاطمة عبد الله محمود
١٥٤ - مدرسة فرانكفورت	فيل سليتر	ت : خليل كلفت
١٥٥ - الشعر الأمريكى المعاصر	نخبة من الشعراء	ت : أحمد مرسى
١٥٦ - المدارس الجمالية الكبرى	جى أنبال والآن وأوديت فيرمو	ت : مى التمساني
١٥٧ - خسرو وشيرين	النظامى الكرجى	ت : عبد العزيز بقوش
١٥٨ - هوية فرنسا (مج ٢ ، ج ٢)	فرنان برودل	ت : بشير السباعى
١٥٩ - الإيديولوجية	ديفيد هوكس	ت : إبراهيم فتنى
١٦٠ - آلة الطبيعة	بول إيرليش	ت : حسين بيومى
١٦١ - من المسرح الإشباني	اليخاندرو كاسونا وأنطونيو جالا	ت : زيدان عبد الحليم زيدان
١٦٢ - تاريخ الكنيسة	يوحنا الأسبوى	ت : صلاح عبد العزيز محبوب
١٦٣ - موسوعة علم الاجتماع	جوردين مارشال	ت : مجموعة من المترجمين
١٦٤ - شامبوليون (حياة من نور)	جان لاکوتير	ت : نبيل سعد
١٦٥ - حكايات الثعلب	أ. ن أفانا سيفا	ت : سهير المصانفة
١٦٦ - العلاقات بين المتنبيين واللمانيين فى إسرائيل	يشعيا هو ليثمان	ت : محمد محمود أبو غدير
١٦٧ - فى عالم طاغور	رابندراناث طاغور	ت : شكرى محمد عياد
١٦٨ - دراسات فى الأدب والثقافة	مجموعة من المؤلفين	ت : شكرى محمد عياد
١٦٩ - إبداعات أدبية	مجموعة من المبدعين	ت : شكرى محمد عياد
١٧٠ - الطريق	ميغيل دليبيس	ت : بسام ياسين رشيد
١٧١ - وضع حد	فرانك بيجو	ت : هدى حسين
١٧٢ - حجر الشمس	مختارات	ت : محمد محمد الخطابى
١٧٣ - معنى الجمال	ولتر ت. ستيس	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٧٤ - صناعة الثقافة السوداء	ايليس كاشمور	ت : أحمد محمود
١٧٥ - التلفزيون فى الحياة اليومية	لورينزو فيلشس	ت : وجيه سمعان عبد المسيح
١٧٦ - نحو مفهوم للاقتصاديات البيئية	توم تيتنبرج	ت : جلال البنا
١٧٧ - أنطون تشيخوف	هنرى ترواي	ت : حصه إبراهيم منيف
١٧٨ - مختارات من الشعر اليونانى الحديث	نخبة من الشعراء	ت : محمد حمدى إبراهيم
١٧٩ - حكايات أيسوب	أيسوب	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٠ - قصة جاويد	إسماعيل فصيح	ت : سليم عبدالأمير حمدان
١٨١ - النقد الأدبى الأمريكى	فنسنت . ب . ليتش	ت : محمد يحيى

١٨٢ - العنف والنبوة	و . ب . بيتس	ت : ياسين طه حافظ
١٨٣ - جان كوكو على شاشة السينما	رينيه چيلسون	ت : فتحي العشرى
١٨٤ - القاهرة .. حالة لا تتام	هانز إيندورفر	ت : نسوقى سعيد
١٨٥ - أسفار العهد القديم	توماس تومسن	ت : عبد الوهاب علوب
١٨٦ - معجم مصطلحات هيجل	ميخائيل أنوود	ت : إمام عبد الفتاح إمام
١٨٧ - الأرضة	بُزْدَجْ علوى	ت : علاء منصور
١٨٨ - موت الأدب	الفين كرتان	ت : بدر الديب
١٨٩ - العمى والبصيرة	بول دى مان	ت : سعيد الغانمى
١٩٠ - محاورات كونفوشيوس	كونفوشيوس	ت : محسن سيد فرجاني
١٩١ - الكلام رأسمال	الحاج أبو بكر إمام	ت : مصطفى حجازى السيد
١٩٢ - سياحتنامه إبراهيم بيك	زين العابدين المراغى	ت : محمود سلامة علاوى
١٩٣ - عامل النجم	بيتر أبراهامز	ت : محمد عبد الواحد محمد
١٩٤ - مختارات من النقد الأنطو - لأمريكى	مجموعة من النقاد	ت : ماهر شفيق فريد
١٩٥ - شتاء ٨٤	إسماعيل فصيح	ت : محمد علاء الدين منصور
١٩٦ - المهلة الأخيرة	فالنتين راسبوتين	ت : أشرف الصباغ
١٩٧ - الفاروق	شمس العلماء شبلى النعمانى	ت : جلال السعيد الحفناوى
١٩٨ - الاتصال الجماهيرى	إدوين إمري وآخرون	ت : إبراهيم سلامة إبراهيم
١٩٩ - تاريخ يهود مصر فى الفترة العثمانية	يعقوب لاتداوى	ت : جمال أحمد الرفاعى وأحمد عبد اللطيف حماد
٢٠٠ - ضحايا التنمية	جيرمى سبيروك	ت : فخرى لبيب
٢٠١ - الجانب الدينى للفلسفة	جوزايا رويس	ت : أحمد الأنصارى

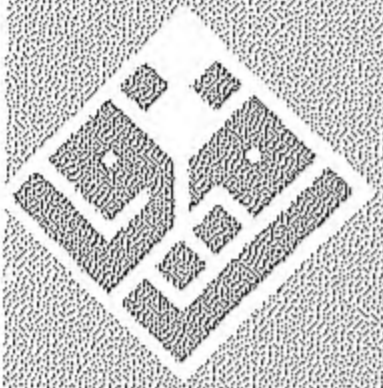
(نحت الطبع)

الولاية	الذرافيل أو الجيل الجديد
تاريخ النقد الأدبى الحديث (الجزء الرابع)	سحر مصر
الإسلام فى السودان	الهيولية تصنع علماً جديداً
العربى فى الأدب الإسرائيلى	عولة السياسة
المسرح الإشباني فى القرن السابع عشر	رايولا
فن الرواية	بقايا اليوم
ما بعد المعلومات	لغة التمزق
علم الجمالية وعلم اجتماع الفن	فكرة الاضمحلال
عن الذباب والفئران والبشر	حقول عدن الخضراء
العولة والتحرير	مأزق البطل الوحيد
علم اجتماع العلوم	
قصص الأمير مرزيان على لسان الحيوان	
الشعر والشاعرية	
ديوان شمس	
مصر أرض الوادى	

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

رقم الإيداع ٥٥٩٦ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي (6 - 203 - 305 - 977 - I. S. B. N.)



MOGANA JARICE

انتشرت اللغة العربية بانتشار الإسلام في غرب إفريقيا بصفة عامة، وفي ولايات الهوسا بصفة خاصة، وكان علماء الدين الإسلامى في هذه البلاد يعتمدون في ثقافتهم الإسلامية على ما كتبه العلماء والأدباء في المشرق الغربى دون أن يلجأوا إلى التأليف في هذه العلوم.

من هنا، فإن للقارئ العربى حقاً ثقافياً في التعرف على الآداب الإفريقية المدونة باللغات الوطنية والإقليمية الكبرى في القارة وجنوب الصحراء، وهذه المجموعة القصصية الإفريقية تقدم اليوم مترجمة إلى اللغة العربية، إنها من الجهود المصرية في هذا المجال، وتعد من ثمار حركة الترجمة الأدبية من لغة الهوسا إلى اللغة العربية.

إن هذه المجموعة القصصية تمثل لبنة في صرح جديد يتكون، ويدل على اهتمام أدبى وثقافى بالشعوب المختلفة في القارة الإفريقية، ولقد كتب الأفارقة جنوب الصحراء إنتاجهم الفكرى تارة باللغة العربية وتارة بلغاتهم المحلية مدونة بالحرف العربى، ولكنهم أخذوا بعد تغيير نظام الكتابة من الحرف العربى إلى الحرف اللاتينى فى عدة مواقع أخرى كثيرة، ولغة الهوسا مثال لكافة هذه الأنماط، ولكنها تستحق الاهتمام الجاد بحثاً وتأصيلاً ومقارنة، وإذا كان العالم المعاصر قد أصبح قرية اتصالية كبيرة، فإن الوعي بالذاتية الثقافية للشعوب الإفريقية يصبح مطلباً جاداً.



Bibliotheca Alexandrina

مكتبة الإسكندرية